

مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها

مجلة علميّة دوريّة محكمة

الجزء ١

العدد :١٩
يناير - مارس ٢٠٢٦م

مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها
الجزء ١


١٣٨
١٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية
د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية
أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية
د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا
أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر
أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية
أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر
أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. عياد بن عيد الثبيتي
أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى
أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود
أ.د. منصور بن محمد الغامدي
أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب
أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب
أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر
أ.د. حسن دربر
أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب
أ.د. عزالدين محمد المجدوب
أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية
أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي
أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن
أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	الحُكمُ الصرفيّ الحَسَن عند سيبويه بين القبول والرفض دراسة وصفية إحصائية **د. جمال محمد سعيد حمد**	٩
٢)	بين العكبريّ وابن هشام في إعراب القرآن دراسة في حواشي ابن هشام على التبيان **د. سلطانة بنت محمد بن مشبب آل صالح الشهراني**	٨٣
٣)	التعدية للمفعول ومعناه لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجي دراسة وتحقيقًا **د. طارق بن هندي بن عطية الله الصاعدي**	١٤٥
٤)	الاستحالة في التَّراكيب عند عبد القاهر الجرجانِيّ في كتابه (دلائل الإعجاز) دراسة لغويَّة في المفهوم والسِّمات والأسباب **د. عبد الله بن محمَّد عليّ بن جويبر الصُّليميّ**	١٩٣
٥)	بنية الأمثال في مقدمة معجم الأدباء دراسة تحليلية لأثر المثل في أدب ياقوت الحموي **د. مريم محمد الأمين حسن الشنقيطي**	٢٤٩

م	البحث	الصفحة
٦)	شرف الدين يحيى الأصيلي المصري (ت١٠١٠ هـ) حياته وما تبقى من شعره –جمع وتحقيق ودراسة **د. ازاد محمد كريم الباجلاني**	٣١١
٧)	التناظر في قصة يوسف – عليه السلام– عند المستشرقين دراسة مستنصر مير وجراي رِيندسبورج أنموذجًا **د. منال بنت صالح الصاعدي**	٣٩٥
٨)	مظاهر التشظي في ديوان "بلقع" لهند النزاري دراسة سيميائية **د. خالد بن ناصر الجميحي القحطاني**	٤٣١
٩)	الاستفهام في ديوان بين الزحام لعلي رديش دراسة تداولية **د. حافظ بن محمد عريشي**	٤٩٣
١٠)	فاعلية برنامج قائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى **د. رابح بن عبد الله بن عباس العوفي**	٥٣٥

الحُكمُ الصرفيّ الحَسَن عند سيبويه : بين القبول والرفض
دراسة وصفية إحصائية

The Morphological Ruling of the Term al-Ḥasan According to Sībawaih: Between Acceptance and Rejection
A Descriptive and Statistical Study

د. جمال محمد سعيد حمد

أستاذ النحو والصرف المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة

البريد الإلكتروني: jhamad@bu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
12/10/2025		10/12/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-001		

مستخلص البحث

يعالج هذا البحث موضوع الحُكم الصرفي الحَسَن عند سيبويه بين القبول والرفض معالجة وصفية إحصائية ويهدف إلى استقراء المعايير التي اعتمدها في إطلاق وصف الحُسْن على بعض المسائل الصرفية، ورصد الألفاظ التي عبَّر بها عن هذا الحكم؛ إلى جانب تحديد العوامل التي حالت دون إطلاقه لوصف بعض الصيغ بالحُسْن، كما يعمل البحث على حصر المواضع التي ورد فيها هذا الحكم في الكتاب، وبيان الأبواب الصرفية التي تكرر فيها حضوره، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي الاستقرائي الإحصائي، وانتهى إلى جملة من النتائج من أبرزها:

إنَّ وصف الحَسَن عند سيبويه لا يقتصر على مجرد الجواز، بل يدل على تفضيل صرفي يستند إلى معاييرَ متداخلة، كالسماع والقياس، والخفة ووضوح الدلالة، وموافقة الذوق العربي وقد بلغت ألفاظ الحكم الصرفي الحَسَن في كتابه (٦٨) موضعًا، تصدرها لفظ "أَحْسَن" بواقع (٤٣) موضعًا، في مقابل خمس عبارات مختلفة عبَّر بها عن إعراضه عن وصف بعض الصيغ بالحُسْن، ويوصي الباحث بإجراء دراسات مقارنة بين استعمال ألفاظ الحُسْن الصرفي عند سيبويه وغيره من النحاة، مع العمل على إعداد معجم خاص بألفاظ الحكم الصرفي؛ لتيسير الإفادة منها في الدراسات اللغوية والنحوية.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ– الحُكم– الصرفي –الحَسَن –سيبويه.

Abstract

This study addresses the concept of the morphological ruling termed *al-ḥasan* between acceptance and rejection in the works of Sībawaih through descriptive and statistical approach. The study aims to examine the criteria adopted by Sībawaih in attributing the term *al-ḥusn* (good) to certain morphological issues and to follow the specific expressions he used to convey this ruling. It also seeks to identify the factors that prevented him from attributing the description *al-ḥusn* to some morphological forms. Moreover, the research works on cataloging all occurrences of this ruling in his book and determining the grammatical chapters where this term is most frequently found.

The research adopts a descriptive, inductive, and statistical approach. Among its key findings is that Sībawaih's description of the term *al-ḥasan* goes beyond mere permissibility and indicates a morphological preference based on overlapping criteria such as auditory evidence, analogy, ease of pronunciation, clarity of meaning, and conformity to native Arabic intuition.

The term *al-ḥasan* in morphological rulings appears in 68 instances throughout his book, with the word "*aḥsan*" (better) appearing most frequently in (43 instances).

In contrast, Sībawaih uses five distinct expressions to indicate his disinclination to consider certain forms of *al-ḥusn*.

The study recommends conducting comparative studies between the use of *al-ḥusn* and similar evaluative terms in the works of Sībawayh and other grammarians. It also calls for the compilation of a specialized dictionary of morphological rulings expressions to facilitate their use in linguistic and grammatical studies.

Keywords: Expressions – Ruling – Morphological – Ḥasan – Sībawaih.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمدٍ ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنَّ كتاب سيبويه يُعد حجر الأساس في بناء الدرس اللغوي العربي، وذلك لما اشتمل عليه من منهج دقيق، وتصنيف علمي رصين، وتحليل عميق لأبنية اللغة وأحكامها، وقد تميز سيبويه في كتابه بتنوع أحكامه الصرفية والنحوية، فتارة يُجيز، وتارة يقيس، وتارة يختار أو يرجح، مستعملًا أوصافًا تفضيلية مثل: "أجود"، و"أَحْسَن"، و"جيد"، وهذه الأوصاف لا تقتصر على التقعيد فحسب بل تكشف عن أبعاد ذوقية وصوتية ووظيفية تدل على حسٍّ لغويٍّ رفيع المستوى.

وفي هذا السياق، يبرز وصف "الحُسْن" الصرفي كظاهرة لغوية لها دلالتها الخاصة في كتاب سيبويه؛ إذ لا يُطلقه إلَّا على صيغٍ تفوقت على غيرها في جوانب الأداء والاستعمال؛ مما يُظهر ميله إلى الترجيح بين الأوجه المتقاربة، بناءً على معاييرَ دقيقةٍ تجمع بين السماع، والقياس، والخفّة، وموافقة الاستعمال الفصيح.

والملاحظ أنَّ سيبويه لم يُطلق حكمه الحَسَن على نحو عفوي، بل قيده بجملة من الشروط، التي قد تفضي إلى ما يمكن تسميته بـ"الصيغة المقبولة المفضلة"، ورغم تكرار هذا المفهوم في مواضعَ متفرقةٍ من كتابه، فإنَّه لم يَحْظَ بدراسة مستقلة تكشف عن بنيته الصرفية، ولم تُحصر شواهده بشكل دقيق، كما لم يُعالج بالدراسة الإحصائية في ضوء أبواب الكتاب ومباحثه؛ ومن هذا المنطلق نشأت الرغبة في تناول هذا الموضوع، والكشف عن مظاهره، واستقصاء جوانبه وصفًا وتحليلًا، كمًّا ونوعًا، فجاء هذا البحث بعنوان:" **الحُكمُ الصرفيّ الحَسَن عند سيبويه: بين القبول والرفض – دراسة وصفية إحصائية**".

مشكلة البحث:

تتلخص في السؤال الرئيس:

ما المعايير التي اعتمدها سيبويه في وصف الحكم الصرفي بالحَسَن؟

ومن السؤال الرئيس تتفرع عدة تساؤلات، منها:

١- ما معنى الحُسْن في اللغة والاصطلاح؟

٢- ما الألفاظ التي عبّر بها سيبويه عن الحُكم الصرفي الحَسَن، وما دلالاتها في السياق الصرفي والتركيبي؟

٣- ما أبرز الصيغ والمواطن الصرفية التي أطلق فيها سيبويه الحكم الحَسَن؟

٤- متى يمتنع سيبويه عن إطلاق وصف الحَسَن في الحكم الصرفي؟

٥- كم مرّة ورد وصف الحَسَن في الحكم الصرفي في كتاب سيبويه؟

٦- ما أكثر الأبواب الصرفية ورودًا لوصف الحَسَن في كتاب سيبويه؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من معالجته المستقلة للحكم الصرفي الحَسَن عند سيبويه، وهو موضوع لم يُتناول بدراسة منهجية مفصلة – فيما أتيح من مصادر – ويأتي في إطار الكشف عن منهج سيبويه في بناء القاعدة الصرفية من منظور تفضيلي.

أهداف البحث:

١- استقراء المعايير التي اعتمدها سيبويه في إصدار الحكم الحَسَن في المسائل الصرفية.

٢- توضيح المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الحُسْن.

٣- رصد الألفاظ التي عبّر بها سيبويه عن الحُكم الصرفي الحَسَن، والوقوف على

دلالاتها ومعانيها في ضوء السياق الصرفي والتركيبي.

٤– تتبع مظاهر الحكم الصرفي الحَسَن عند سيبويه كما وردت في كتابه.

٥– تحديد العوامل التي حالت دون إطلاق وصف الحَسَن في بعض المسائل الصرفية عند سيبويه.

٦– رصد مواضع إطلاق الحُسْن الصرفي في كتاب سيبويه، مع تحديد الأبواب الصرفية التي تكرر فيها هذا الاستعمال.

أسباب اختيار الموضوع:

١– ندرة الدراسات التي تناولت "الحُسْن" بوصفه معيارًا صرفيًّا وصفيًّا عند سيبويه.

٢– أهمية الجمع بين المعالجة النظرية والمنهج الإحصائي لإبراز قوة الظاهرة وامتدادها.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي الاستقرائي الإحصائي، بما يتوافق مع طبيعة موضوعه، إذ يتناول ظاهرة لغوية تقييمية تتكرر في كتاب سيبويه، هي "الحكم الصرفي الحَسَن"، ويقوم البحث على وصف أبعاد هذه الظاهرة الدلالية وصلتها ببناء المنهج، إلى جانب رصد كمّي دقيق لمواضع ورودها في الكتاب.

حدود البحث:

يمثل كتاب سيبويه ميدان البحث ومادته الأساس، واقتصر على مواضعَ وصف فيها البنية الصرفية بلفظ (حَسَن) ومشتقاته، دون التطرق إلى السياقات النحوية أو الصوتية؛ إذ لم يكن الغرض رصد المصطلح في عموم استعمالاته، بل دراسته من زاوية صرفية خالصة.

الدراسات السابقة:

على الرغم من ندرة الدراسات التي تناولت الحُسْن الصرفي بوصفه معيارًا تقييميًا مستقلًا في كتاب سيبويه، فقد ظهرت بعض الدراسات التي تقاطعت جزئيًا مع موضوع هذه الدراسة من حيث الطرح أو المنهج، ومن أبرز هذه الدراسات ما يلي:

١. دراسة مريم عابد الهذلي بعنوان: "معاير القبول والرفض النسبية في كتاب سيبويه"، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ٢٠١٥م.

تتناول الدراسة مفهوم القبول والرفض النسبيين عند سيبويه، أي كيفية اعتبار بعض الصيغ أو العبارات صالحة (مقبولة) أو مرفوضة في ضوء معايير نسبية تعتمد الذوق، وكثرة الاستعمال، والسماع، والتجربة الصرفيّة، ويتقاطع هذا البحث معها في تتبع منهج سيبويه في إصدار الأحكام، لكنَّه يختص بتركيزه على معايير الحكم الصرفي الحَسَن تحديدًا، مع توظيف المعالجة الإحصائية لرصد مواضعه وتوزيعها في "الكتاب".

٢. دراسة محمد عبد الله المالكي بعنوان: "الحكمُ النحوي الحَسَن عند سيبويه: مفهومه وأسبابه" بحث قصير منشور في مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، العدد السبعون ١٤٤٥هـ، الجزء الأول.

ركزت هذه الدراسة على مفهوم "الحُسْن" في السياق النحوي، مبيّنة معالمه وأسبابه من زاويتَيه التركيبية والدلالية، دون التوسع في الجانب الصرفي أو توظيف المنهج الإحصائي، في حين تميز البحث الحالي بتركيزه على البُعد الصرفي خاصة، مع توظيف التحليل الإحصائي لحصر مواضع الحكم وتصنيفها حسب التكرار والباب الصرفي.

يعدّ هذا البحث امتدادًا للدراسات السابقة ومتمايزًا عنها؛ إذ يدرس "الحكم الصرفي الحَسَن" عند سيبويه بوصفه قضية مستقلة، معتمدًا منهجًا نوعيًّا وإحصائيًّا

يفتح أفقًا جديدًا في الدراسات الصرفية ذات البعد التقييمي.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، تليها خاتمة تُلخص أبرز النتائج والتوصيات.

يأتي التمهيد بعنوان: "مفهوم الحُسْن في اللغة والاصطلاح".

المبحث الأول بعنوان: "معايير الحكم الصرفي الحَسَن وأسباب الإعراض عنه عند سيبويه".

المبحث الثاني بعنوان: "ألفاظ الحُكم الصرفي الحَسَن ومظاهره عند سيبويه".

المبحث الثالث بعنوان: " إحصاء ألفاظ الحكم الصرفي الحَسَن في كتاب سيبويه".

والله ولي التوفيق والسداد.

تمهيد

مفهوم الحُسْن في اللغة والاصطلاح

أولًا: الحُسْن في اللغة:

يُعدّ "الحُسْن" من الألفاظ ذات الدلالة الواسعة في المعاجم العربية، حيث تدل مادته (ح س ن) على ما يُقابل القُبح، ويُطلق على كل ما يُستحسن ويُمدَح به في الشكل أو المعنى أو الفعل، وقد أجمع أئمة اللغة على هذا المعنى؛ مما رسّخ مفهومًا لغويًا أصيلًا يقوم على الجمال والاستحسان (١)، وتنوّعت دلالات "الحُسْن" في المعاجم العربية بين ما يدل على الجمال الظاهري والبهاء، وما يشير إلى المعاني الباطنية من الصلاح والفضل والاستقامة؛ مما يدل على شمول المفهوم واتساع مجاله في الوصف والمدح، سواء في الألفاظ أو المعاني أو الأفعال (٢).

وبناءً على ما سبق يمكن تحديد دلالة "الحُسْن" في اللغة من خلال أربعة أبعاد متكاملة، تعكس طبيعة الاستحسان في الاستعمال العربي، هي: الجمال الظاهري والمعنوي، والبعد التقييمي، ومطابقة الذوق اللغوي والقياس.

---

(١) يُنظر: أحمد القزويني ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام هارون، (دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م"، مادة "حسن"؛ ومحمد جمال الدين ابن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، مادة "حسن".

(٢) يُنظر: مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي، "القاموس المحيط". تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، مادة "حسن"؛ ومحمد عبد الرزاق الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، مادة "حسن".

ثانيا: الحُسْن في الاصطلاح:

يرتبط المفهوم الاصطلاحي لـ"الحُسْن" بجذوره اللغوية، ويُفهم في سياق النحو والصرف بوصفه تعبيرًا عن تفضيل أو ترجيح، لا عن حدٍّ اصطلاحي دقيق، ولم يُعرف عن النحاة أو الصرفيين وضع تعريف اصطلاحي محدد لهذا المصطلح، إلّا أنَّه معدود في مراتب الحكم النحوي والصرفي(١) ، ويُعدّ "الحُسْن" حكمًا تقييميًّا يُمنح لبعض الصيغ دون غيرها، لا عند مخالفة القاعدة أو خرق الضوابط، بل عند تساوي الصيغ في الجواز ، مع تميّز إحداها بما يجعلها أقرب إلى الذوق العربي وأولى في الاستعمال (٢)، ويتضح هذا المفهوم من خلال آراء العلماء ومعاييرهم التفضيلية المستنبطة من الاستعمال، إذ لا يقوم على الجواز أو الذوق المجرد، بل على عناصر موضوعية، كالسماع، والقياس، وسهولة النطق، وهي متى اجتمعت رفعت الصيغة إلى مرتبة التفضيل (٣).

وقد أشار بعض علماء الصرف إلى أنَّ جمال الصيغة لا يعتمد فقط على مطابقتها للقواعد، بل يرتبط أيضًا بذوق اللغة وصحة المعنى، وتُعدّ الصيغة جيّدة إذا كانت سهلة النطق، واضحة المعنى، ومألوفة في الاستعمال العربي، فهذه الأمور تجعلها أقرب للقبول وأَحْسَن في التعبير (٤)، ويُفهم من أقوال بعض العلماء أنَّ وصف

(١) يُنظر: محمد عبد الله المالكي، "الحكم النحوي الحسن عند سيبويه: مفهومه وأسبابه"، *مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٧٠*، (١٤٤٥هـ): ٢٣.

(٢) يُنظر: محمد كاظم البكاء، "منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي". (ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٩م): ٢٠٦.

(٣) يُنظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، "الخصائص". (ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتب)، ٢: ١٥٢.

(٤) يُنظر: محمد الحسن الرضي الأستراباذي، "شرح شافية ابن الحاجب". تحقيق محمد محي =

الصيغة بالحُسْن لا يعني بطلان غيرها، بل يُراد به تفضيل وجه على آخر لكونه أكثر اتساقًا مع معايير الفصاحة، مع بقاء الوجه الآخر في دائرة الجواز والاستعمال [١].

وهكذا يظهر من مجموع هذه الأقوال أنَّ مفهوم "الحُسْن الصرفي" ليس وصفًا عشوائيًا، بل يعتمد على الصوت والمعنى والاستعمال، ويجمع بين السماع والقياس والذوق، ويُفضَّل ما وافق لسان العرب وتكاملت فيه هذه الجوانب.

=

وآخرين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، ١: ٢٥

(١) علي ابن يعيش، "شرح المفصل للزمخشري". تقديم إميل يعقوب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، ٤: ٤٧.

المبحث الأول: معايير الحكم الصرفي الحَسَن وأسباب الإعراض عنه عند سيبويه

لا يستخدم سيبويه وصف "الحَسَن" عشوائيًّا أو لمجرد الانطباع، بل يصدره بعد مقارنة دقيقة بين الصيغ، ويمنحه للبنية التي تجتمع فيها خصائص تُوافق أساليب العرب وفطرتهم اللغوية، ومن تتبّع استعمالاته يظهر أنَّه لا يكتفي بقبول الصيغ، بل يُميز بين الجائز والمفضَّل، فيصف بالحُسْن ما اجتمع فيه السلاسة، والقياس، والسماع العربي، ولا يمنح الوصف عمّا ينقصه شيء من ذلك، ولو كان صحيحًا في الظاهر (١)؛ ولهذا جاء هذا المبحث ليتتبع المعايير التي اعتمدها سيبويه في إطلاق وصف "الحَسَن"، ويُبيّن أسباب تركه لهذا الوصف في بعض المواضع؛ مما يكشف دقته في المفاضلة، وحرصه على ربط الحكم اللغوي بالقياس والسماع، لا بمجرد الاستحسان.

أولًا: معايير الحكم الحَسَن عند سيبويه:

١–موافقة السماع:

يُعدّ السماع من المعايير الراسخة التي يعتمدها سيبويه في إطلاق الحكم الحَسَن، إذ يُمثّل الاستعمال العربي المأثور المرجع الأعلى في تقويم الصيغ، وتفضيل بعضها على بعض، فالمعيار ليس مجرد مطابقة البنية للقياس، بل امتثالها لما ثبت عن العرب في كلامهم الفصيح، وموافقتها لما تواتر من استعمالهم، ومن ثمّ يُرجّح الصيغة التي شاع ورودها في السماع، حتى وإن كانت الصيغ الأخرى مقبولة من حيث البنية النظرية، ما دام الاستعمال الفعلي منح الأفضلية لبعضها دون غيره (٢).

---

(١) يُنظر: سناء على حسين، "مظاهر التعليل في كتاب سيبويه". *مجلة دواة دار اللغة والأدب العربي* ١٨، (٢٠١٨م): ١١٠.

(٢) يُنظر: فاطمة عبد الرحمن العمري ومجدي إبراهيم عبد الله، "مبادئ تأصيل السماع في كتاب سيبويه". *مجلة الدراسات اللغوية والأدبية* ٣، (٢٠١٨م): ١١٦.

ومن الأمثلة التي تُظهر اعتماد سيبويه على السماع في إطلاق وصف "الحَسَن"، ما أورده في تحليل قوله: ((وأكثرُ العرب يقول: لاثٌ وشاكٌ سلاحُه... وكِلا القولين حسنٌ جميل))[١]

جاء ذلك عند تحليله لقول طريف بن تميم العنبري[٢]:

فتعرّفوني أنني أنا ذاكُمُ شاكٍ سِلاحي في الحوادث مُعْلِمُ

حيث وقف على لفظ "شاكٍ" بالتحليل، متوقفًا عند أصل الصيغة، وهل تعود إلى الفعل المعتل (شاك يشوك) أم إلى الفعل المشدد (شَكَّ يشُكّ)؟ ورجّح أنَّ الأصل "شائك" على وزن اسم الفاعل، إلا أنَّ الاستعمال العربي غلب فيه الحذف فجاءت "شاكٍ"، كما في "لاث" بدل "لائث"، وأشار إلى أنَّ كلا الوجهين مقبولان، مع ميل إلى تثبيت الصيغة المسموعة؛ مما يدل على موازنة بين القياس والسماع في اختيار الصيغة، ويُفهم من قوله أنَّه يعرض وجهين في تفسير أصل الهمزة في مثل "جاء": الأول: يذهب إلى أنَّ الهمزة أصلية من بنية "جيء"، لكنَّها حُذفت للتخفيف. والثاني: يرى أنَّ الهمزة مُبدلة من عين الفعل المعتل، وأنَّ الحذف إنَّما وقع لاستثقالها في سياق صوتي معين، كما هو الحال في "شاكٍ" بدلاً من "شائك".

ويبدو أنَّ سيبويه لا يرفض أحد الرأيين، بل يُقر صلاحية كل منهما، مشيرًا إلى أنَّ كليهما "حَسَنٌ جميل"، في دلالة على توازن في النظر بين السماع والقياس، دون إلغاء لأحدهما.

(١) عمرو بن عثمان، سيبويه، "الكتاب". تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، ٤: ٣٧٨

(٢) يُنظر البيت في: الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، ٣٣: ١٣١؛ وسيبويه، "الكتاب"،٤: ٣٧٨.

وخلاصة القول إنَّ سيبويه يُفضّل "شاكٍ" و"لاثٍ" على "شائك" و"لائث"؛ لاعتماده على كثرة ورودهما في كلام العرب، مع أنَّ الوجهين صحيحان قياسًا، وهذا يدلّ على أنَّ السماع عنده مقدَّم، وأنَّه يمنح الصيغة وصف "الحَسَن" إذا وافقت ما جرى به لسان العرب.

٢–القياس الصرفي:

القياس الصرفي من أبرز المعايير التي يعتمدها سيبويه في إطلاق الحكم الحَسَن، إذ يُمثّل القاعدة المطَّردة التي يُقاس عليها غير المسموع، ويُرجّح بها أحد الأوجه الجائزة عند التعدّد، وسيبويه لا يعتمد على السماع وحده، بل يحتكم إلى القياس حين يندر النص أو تختلف الروايات، فيُقدّم الصيغة التي تندرج في النظام الصرفي المطّرد، وتنسجم مع ما استقر في أبنية العربية[١]، ومن ثمَّ فإنّ الحكم الحَسَن عنده لا ينفصل عن القياس، بل يقوم عليه متى توفر الاطراد والتوافق مع أبنية الكثرة والاستعمال، ومن الأمثلة التي اعتمد فيها سيبويه على القياس الصرفي في إطلاق الحكم الحَسَن قوله في باب "ما تحذف منه الزوائد من بنات الثلاثة مما أوله الألفات الموصولات": "لأنَّك إذَنْ أردت أن يكون تكسيرُه وتحقيره على ما في كلام العرب، نحو: التِّجْفاف والتِّبْيان، وكان ذلك أحسنَ من أن يجيئوا به على ما ليس من كلامهم. ألا ترى أنَّه ليس في الكلام سِفْعالٌ"[٢]، يُفهم من ذلك أنَّ تصغير الأسماء التي تبدأ بألف الوصل يستلزم حذف الألف، لأنَّها لا تُثبت إلا إذا وقع بعدها ساكن، بينما التصغير يفتح الحرف التالي لها، فإذا صُغّرت كلمة مثل "استضراب"، حُذفت ألف الوصل، فتبقى الأحرف

(١) يُنظر: أحمد تيمور باشا، "السماع والقياس". (ط١، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م): ١٤.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٤٣٤.

(س، ت، ض، ر، ا، ب)، وتظهر فيها ثلاث زوائد: السين، والتاء، والألف الداخلة في "استفعل"؛ ولأنَّ التخفيف يقتضي حذف أحد الزوائد وردّ الكلمة إلى وزن مألوف، فقد فضّلوا حذف السين؛ لأنَّ الناتج "تُضَيْرِيب"، يوافق أوزانًا معروفة مثل "تُجيفيف" من "تِجفاف" و"تُميسيح" من "تِمساح"، أمّا حذف التاء أو الألف مع إبقاء السين، فينتج عنه أوزان غير مألوفة مثل "سُفيعيل" أو "سِفعال"، وهي شاذة وضعيفة في القياس

والاستعمال [١].

ويبيّن هذا المثال أنَّ سيبويه يربط إطلاق الحكم الحَسَن بالقياس الصرفي، مع مراعاة مطابقة الصيغة لأبنية الكثرة والاطراد، وانسجامها مع الأوزان المأثورة في الاستعمال، لا الاكتفاء بالجواز النظري، وهو ما يعكس وعيه العميق بنظام التصريف العربي، وإدراكه لسعة القياس فيه.

٣–خفة اللفظ:

تُعدّ الخفة في النطق من المعايير الأساسية التي يعتمدها سيبويه في وصف الصيغ بالحُسْن، لما لها من أثر في انسجام الصيغة مع النظام الصوتي وتجنّب الثقل، وقد نبّه عدد من علماء اللغة إلى أنَّ جمال اللفظ لا يُقاس بالمعنى وحده، بل يرتبط أيضًا بوضوح النطق وسلامة الأداء [٢]، في هذا السياق لا يكتفي سيبويه بسلامة البنية، بل يشترط سهولة النطق وخلوّ الصيغة من الثقل والتعقيد؛ لذا يُرجّح الصيغ الأخف

(١) أبو سعيد الحسن السيرافي، "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، ٤: ١٨١.

(٢) يُنظر: عمرو بن بحر الجاحظ، "الحيوان". تحقيق عبد السلام هارون، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣٨هـ) ٣: ١٣١٢.

صوتًا، حتى لو كان غيرها صحيحًا من حيث البناء [١]، كما يرتبط قبوله للإدغام بالبيئة الصوتية، ويزداد ترجيحه له إذا كثرت الحركات المتتالية في السياق ((وكلما توالت الحركاتُ أكثرَ كان الإدغام أحسنَ))[٢]، ويزداد حُسْنُ الإدغام كلّما أدى الإظهار إلى توالي الحركات وكثرة النطق؛ لأنَّ ذلك يسبب ثقلًا صوتيًا، فكلما زاد هذا التوالي كانت الحاجة إلى الإدغام أشد، لأنَّه يُخفف الأداء ويُحقق تناسقًا صوتيًا واضحًا [٣]، ويُعد الإدغام حَسَنًا إذا جاء بين متحركين وانتهى بساكن، أو إذا سُبق بحرف مدّ، ((وإذا التقى الحرفان المِثْلان اللذان هما سواءٌ متحرّكين، وقبل الأول حرفُ مدٍّ، فإن الإدغام حسَنٌ؛ لأنَّ حرف المدّ بمنزلة متحرِّك في الإدغام)) [٤]، ويسهم الإدغام في تحقيق الانسجام الإيقاعي وتخفيف الجهد في النطق، ومن خلال تتبّع استعمال سيبويه لوصف "الحَسَن" في باب الإدغام، نجد عبارات مثل: " فأَحْسَن ما يكون الإدغام"، و"حَسُن الإدغام"، و "فإنَّ الإدغام حَسَنٌ" وهذه العبارات لا تدلّ على الجواز فقط، بل تعبّر عن ملاحظة دقيقة للجوانب الصوتية، خاصة في المواضع التي يُسبب فيها الإظهار ثقلًا، فالإدغام عنده وجه حَسَن؛ لأنَّه يُخفف من توالي الحركات، ويُحقّق التناسق مع إيقاع العربية الفصيحة.

٤– الفصاحة، ووضوح المعنى، وموافقة الذوق العربي:

يرتكز وصف الحَسَن عند سيبويه على معاييرَ تتجاوز السلامة الشكلية؛ إذ

(١) يُنظر: هيد الله مولود، "رسالة كتاب سيبويه وامتداداتها النقدية والبلاغية". *مجلة الخطاب* ٢ ، (٢٠١٩): ٢٨.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٤٣٧.

(٣) يُنظر: ابن عصفور، "الممتع الكبير في التصريف"، (ط١، لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م): ٤١٤.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، ٤:٤٣٧.

يُفضّل الصيغ التي تجمع بين الفصاحة ووضوح المعنى وانسجامها مع الذوق العربي، فالصيغة التي تُحقق دلالة واضحة وتنسجم في بنائها مع أساليب العرب تُعد أحقّ بالحكم الحَسَن، حتى وإن وُجدت صيغ أخرى صحيحة من حيث القياس لكنَّها أقلّ ملاءمة في الأداء، أو أقل توافقًا مع السياق، والمتأمل في معايير الحكم الصرفي الحَسَن عند سيبويه يلاحظ أنّها جميعًا تصب في خدمة مبدأ الفصاحة ووضوح المعنى وموافقة الذوق العربي، إذ إنّ سيبويه لا يكتفي بتحقيق الجواز أو القياس، بل يحرص على انتقاء الصيغة الأوضح معنًى، والأفصح أداءً، والأقرب إلى سليقة العرب[١]، ومن الأمثلة التي تكشف عن هذا التوجّه قوله: ((وإنْ حقّرتَ رَجلًا اسمهُ مَهارَى، أو رَجلًا اسمه صَحارَى كان صُحيْر ومُهَيْر أحسنَ، لأنَّ هذه الألف لم تجئ للتأنيث))[٢].

ويتضح من ذلك أنَّ سيبويه فضَّل في تصغير نحو " مهاريّ" و "صحاريّ" المنسوبتين إلى "مَهْر" و "صَحْر"، صيغة "مُهَيْر" و"صُحَيْر"؛ لكون الألف فيهما امتدادًا لياء النسب لا للتأنيث، فكان حذفها أنسب للتخفيف والوضوح، وأقرب إلى القياس، وهو منهج قاسه على نظائر أخرى، مثل: "علانية" التي خُففت إلى "علن" و"ثمانية" التي خففت إلى "ثمان"[٣].

يدل هذا المثال على أنَّ الحذف هنا ليس عشوائيًّا، بل قياسيّ يُراعي الخفة والاقتصاد في البناء، بما يوافق الذوق العربي في التصغير، فالصيغتان "مُهَيْر" و"صُحَيْر" أوضح في الدلالة على المذكر، وأقرب إلى المألوف العربي، بخلاف "صُحَيْرى" أو

(١) يُنظر: سعيدة عبد الله سعودي وأمينة محمد حماني، "مستويات الفصاحة وتمثيلاتها في كتاب سيبويه". *مجلة الممارسات اللغوية* ٢، (٢٠٢٤م):١٠٥.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٤٣٨

(٣) السيرافي، شرح كتاب سيبويه"، ٤: ١٨٣.

"مُهَيْرى"، التي قد توهم التأنيث بسبب الألف الممدودة في الأصل، ومن ثمَّ جاء ترجيح سيبويه للصيغة الأوضح انسجامًا مع الفصاحة ووضوح المعنى، وتحقيقًا لسلامة الصيغة ومطابقتها للاستعمال العربي الأصيل.

ثانيا: أسباب الإعراض عن الحكم الصرفي الحَسَن عند سيبويه:

من خلال تتبّع شواهد سيبويه يتبيّن أنَّه لا يمنح الحكم الصرفي الحَسَن لجميع الصيغ الجائزة بإطلاق، بل يُلاحظ أنَّه يعرض عن منح هذا الوصف لبعض الأوجه، رغم جوازها من جهة القياس، أو ثبوتها في السماع، ويأتي هذا الإعراض عن وصف الحَسَن دالًا على دقة معيار سيبويه؛ إذ لم يكن الجواز وحده كافيًا في نظره ليمنح الصيغة مرتبة الحُسْن، بل لا بد من تحقق جملة من الشروط، أهمها: موافقة القياس، وثبوت السماع، وخفّة اللفظ، وموافقة الذوق العربي والفصاحة، وبناءً على ذلك فإنَّ إعراض سيبويه عن وصف بعض الصيغ بالحُسْن يرتبط بمخالفات جزئية أو كلية لهذه المعايير؛ مما يدل على منهج واضح في التمييز بين المقبول والمفضّل، بين ما يجوز استعماله وما يستحق أن يُوصف بالحُسْن؛ لبلوغه درجة أعلى في مطابقة السليقة العربية، ومن خلال عبارات سيبويه التي تنفي الحُسْن، مثل: ""ولا يَحْسُن في هذا"، "ما لا يَحْسُن أن تضيف إليه الأسماء"، "ولا مُسْتَحْسَنةً عند العامة"، "ولا تُسْتَحْسَن في قراءة القرآن ولا في الشعر"، "وليس كحُسْنِه مع هؤلاء"[1]، يظهر أنَّ رفضه لبعض الصيغ يرتبط بأسباب متعددة، أهمها: ضعف السماع، أو قلة القياس وندرته، أو الثقل في النطق، أو غموض المعنى، وقد يجتمع أكثر من سبب في صيغة واحدة؛ مما يدفعه للإعراض عنها وعدم وصفها بالحُسْن.

وفيما يلي نعرض المواضع التي امتنع فيها سيبويه صراحةً عن وصف بعض

(١) يُنظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٣٩٣، ٣: ٥٦٦، ٤: ١٣٥، ٤: ٤٣٢، ٤: ٤٥٨.

الصيغ بالحُسْن، مع توضيح الأسباب التي دعته إلى هذا الإعراض.

الموضع الأول:

قال سيبويه في باب "لا تجوز فيه التثنية والجمع": "ولا يَحسن في هذا إلَّا هذا الذي وصفتُ لك وأشباهُه"(١)، في هذا الموضع يبيّن سيبويه منع تثنية أو جمع الأسماء المبنية أصلًا على صيغة التثنية أو الجمع، مثل: "مسلمون" و"رجلان" إذا سَمَّى بهما شخص، إذ يرى أنَّ الكلمة مشبعة بالعلامة، أي تحمل علامة التثنية أو الجمع في أصلها؛ ولذا يصرح بأن "لا يَحْسُن في هذا إلا هذا" أي أنَّه لا يجيز وجهًا آخر رغم إمكانه في القياس؛ لكونه لا يرقى إلى مرتبة الحُسْن(٢)، ويرجع امتناع سيبويه عن وصف بعض الصيغ بالحُسْن إلى أسباب مباشرة، منها التنافر التركيبي وضعف القياس، كما في اجتماع "رفعان" أو "نصبان" في اسم واحد، أو تكرار العلامات النحوية بطريقة لا توافق ذوق العرب.

الموضع الثاني:

تناول سيبويه في باب "ما لا يَحْسُن أن تضيف إليه الأسماء التي تبيِّن بها العددَ إذا جاوزتَ الاثنين إلى العَشَرة" مسألة تركيب العدد مع الصفة إذا جاوز اثنين إلى العشرة، مثل قولهم: "ثلاثةُ نسّاباتٍ"(٣)، وبيَّن أنَّ الوجه الفصيح أن تُجعل الصفة جمعًا ظاهرًا، كـ "ثلاثةٌ مُسلِمون" أو "ثلاثةٌ قُرَشِيُّونَ"؛ لأنَّ استعمال "ثلاثة نَسّابات" يُحدث لبسًا، فيُوهم أنَّ المعدود مؤنث، مع أنَّه مذكر (٤)؛ مما يفقد التركيب فصاحته، ويجعل

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٣٩٣

(٢) يُنظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٤: ١٤٢.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٦٦.

(٤) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٤: ٣٠٢.

الجملة أقرب إلى الضرورة الشعرية؛ ولذلك لم يصف سيبويه هذا الأسلوب بالحَسَن، بل علل ذلك بقوله: "كراهيةَ أن تُجعَل الصفةُ كالاسم"(١)، أي كراهة أن تتحول الصفة إلى موقع الاسم في تركيب العدد، فيختل التوازن بين العدد والمعدود في الدلالة والتركيب، ويبدو أنَّ سبب امتناع سيبويه عن وصف هذا التركيب بالحَسَن هو خشية الغموض في المعنى، إذ قد يلتبس فيه الموصوف بالصفة؛ مما يُفقد الكلام وضوحه ودقته، وهما شرط أساس عنده للحكم بالحَسَن.

الموضع الثالث:

قال سيبويه في باب "ما يمتنع من الإمالة من الألفات التي أملتها فيما مضى": ((ومن قال هذا مَالٌ: ورَأيتُ بابا فإنَّه لا يقول على حال: ساقٌ ولا قارٌ ولا غابٌ: – وغَابٌ: الأجَمةُ – فهي كألف فاعِلٍ عند عامّتهم، لأن المعتلّ وَسَطًا أقوى، فلم يَبلغ من أمرها ههنا أن تمال مع مُسْتَعْلٍ، كما أنَّهم لم يقولوا: بال من بُلْتُ حيث لم تكن الإمالةُ قويَّةً في المال ولا مستحسنَةً عند العامة))(٢)، يُميز سيبويه هنا بين الأسماء التي تُمال وتلك التي لا تُمال، بحسب قوة الدافع الصوتي للإمالة، ومدى قبولها عند العرب؛ ولذلك يُعْرِض عن وصف الإمالة بالحَسَن في كلماتٍ مثل: "مال" و"باب" و"غاب" إذا جاءت معها حروف الاستعلاء؛ لأنَّ العرب لم تَسْتَحْسِن هذا النوع من الإمالة (٣)، ويرى أنَّ ألف "غاب" وأمثالها أضعف في الحافز الصوتي للإمالة من ألف "قائل"؛ لذا لم يُجرِ العرب الإمالة عليها، حتى مع وجود حروف الاستعلاء، كما لم يُميلوا "بال"

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٦٦.

(٢) المرجع نفسه،٤: ١٣٥.

(٣) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"،٤: ٥١٢.

من "بُلْتُ"[١]، وهذا يدل على أنَّ الحكم بعدم الإمالة مبني على ضعف السماع وغياب الاستحسان، لا على مجرد القياس؛ ولهذا لم يمنحها سيبويه وصف الحَسَن.

الموضع الرابع:

في باب "الإدغام" يذكر سيبويه أصواتًا فرعية وردت في لهجات بعض العرب، لكنَّها غير مُسْتَحْسَنة ولا شائعة في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تُقبل في القرآن ولا في الشعر، ومن ذلك: ((الكاف بين الجيم والكاف، والجيمُ التي (كالكاف، والجيمُ التي) كالشِين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، ...وغيرها[٢]، وقد وافقه ابن جني، فعدّ هذه الأصوات لغات ضعيفة مرذولة لا يُؤخذ بها في الفصيح[٣]، وقد وصفها مكي القيسي بأنَّها قليلة وشاذة[٤]؛ مما يؤكد بُعدها عن الذوق العربي المألوف، ويتضح أنَّ سيبويه أعرض عن وصف هذه الأصوات بالحَسَن لأنَّها تخالف الفصاحة، وتندر في كلام الفصحاء، فرآها لهجية أو مصطنعة تُضعف الأداء؛ ولهذا حكم عليها بناءً على ضعف السماع، وقلة الاستعمال، ومخالفتها للذوق، ونصّ بوضوح على أنَّها غير مُسْتَحْسَنة.

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ١٣٥.

(٢) يُنظر: سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٤٣٢

(٣) يُنظر: ابن جني، "سر صناعة الإعراب". تحقيق حسن هنداوي، (دمشق: دار القلم، ١٩٨٥م) ١: ٤٥.

(٤) يُنظر: مكي القيسي، "كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة". تحقيق أحمد حسن فرحات، (الأردن: دار عمار، ١٩٨٤م): ٧٢.

الموضع الخامس:

قال سيبويه في باب "الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد": ((وجوازُ الإدغام على أنَّ آخِر مُخرج اللام قريبٌ من مُخرجها، وهي حروفُ طرَف اللسان، وهي مع الظاء والثاء والذال جائزة، وليس كحُسْنِهِ مع هؤلاء، لأنَّ هؤلاء من أطراف الثنايا وقد قاربنَ مُخرج الفاء))[1]، يناقش سيبويه جواز إدغام اللام في الظاء والثاء والذال، ويُقرّ بقابليته صوتيًّا لتقارب المخارج، لكنَّه لا يصفه بالحَسَن، بل يصرّح بأنَّه "ليس كحُسْنِهِ مع هؤلاء"، أي دون غيره في الفصاحة؛ وذلك لأنَّ الإدغام هنا أقلّ خفة، وأبعد نسبيًّا في المخرج، وقد يُسبب لبسًا أو تنافرًا صوتيًّا، فلا يحقق الانسجام المطلوب.

وبعد وصف هذه المواضع وبيان أسباب إعراض سيبويه عن إطلاق وصف "الحَسَن" على بعض الصيغ الصرفية، يتضح أنّ هذا الإعراض لم يكن عفويًّا، بل قائمًا على أسباب منهجية دقيقة، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بما استُخلص من منهجه في تفضيل بعض الأوجه الصرفية، وبناءً على ذلك يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

- لا يكتفي سيبويه بالجواز اللغوي لوصف الصيغة بالحُسْن، بل يشترط توافر معايير متكاملة، تشمل القياس والسماع وحُسن الذوق العربي، وهذا يدل على منهجه الدقيق في التقييم، فهو لا يُفاضل بين الصيغ لمجرد جوازها، بل لما تحققه من فصاحة واستقامة في الأداء.
- يُفرّق سيبويه بين القبول والتفضيل؛ فبعض الصيغ يُجوّزها ولا يفضّلها، ويُقرّ

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٤٥٨.

استعمالها دون أن يصفها بالحُسْن؛ مما يُظهر دقته في الحكم.

- إعراض سيبويه عن وصف بعض الصيغ بالحُسْن لا يعني رفضها مطلقًا، بل يعني الاكتفاء بإقرارها من جهة الجواز دون تفضيلها.
- لم يكن إعراض سيبويه عن وصف الحُسْن بسبب عامل واحد دائمًا، بل تتداخل الأسباب في كثير من المواضع، فقد يجتمع ضعف السماع مع ضعف القياس، أو تكون الصيغة خفيفة في النطق لكن تحتمل اللبس؛ مما يجعله مترددًا في منحها وصف الحُسْن.

المبحث الثاني: ألفاظ الحُكم الصرفي الحَسَن ومظاهره عند سيبويه

قبل الحديث عن الألفاظ التي استعملها سيبويه في وصف الحكم الصرفي بالحَسَن وتتبع مظاهر هذا الحكم عنده، يجدر بنا المرور على مفهوم الحكم الحَسَن بشكل عام في كتابه سواءً أكان الحكمُ نحويًا أم كان الحكمُ صرفيًا، ونقول في ذلك: إنَّ سيبويه لم يقدّم تعريفًا صريحًا لمفهوم "الحكم الحَسَن" في النحو أو الصرف، كما لم يبيّن منهجًا محددًا في إطلاقه، بخلاف ما استقر لاحقًا في المؤلفات المتأخرة، ومع ذلك يمكن استنباط ملامح هذا المفهوم من خلال تتبّع مواضع استعماله في "الكتاب"، حيث يُلاحظ أنَّه يلجأ إلى هذا الوصف في سياقات المفاضلة بين صيغ متعددة، يُرجّح إحداها على الأخرى لأسباب صرفية أو استعمالية (١).

ويرى سيبويه أنَّ "الحَسَن" يدخل ضمن حكم أوسع سماه "الاستقامة"، فقسّم الكلام بحسب قبوله في لسان العرب، فبعض التراكيب "مستقيمة حَسَنة" تجمع بين صحة اللفظ وسلامة المعنى، وبعضها يُعد مستقيمًا في اللفظ فقط، وقد يكون منها ما يُعد قبيحًا أو غير مقبول (٢).

ويتّضح من استعمال سيبويه لوصف "الحَسَن" في سياقات متعددة أنَّ هذا الحكم يتجاوز حدود السلامة النحوية أو مجرد الجواز؛ ليعبر عن تفضيل صرفي يستند إلى معاييرَ متكاملة، تجمع بين اعتماد الصيغة في السماع، وموافقتها للقياس، وسهولة نطقها، ووضوح معناها، وانسجامها مع المقام وسليقة العرب (٣).

---

(١) يُنظر: عبد المنعم علي محمد، "تعليل الحكم الصرفي في كتاب سيبويه". رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، مصر: كلية اللغة العربية (٢٠٠٨م): ١٣.

(٢)سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٥

(٣) يُنظر: حافظ علوي علي وسيف الدين عبد الله الفقراء، "البنى الصرفية والنحوية الموسومة =

من خلال تتبّع مواضع الحكم بالحَسَن في كتاب سيبويه، يتبيّن أنَّ هذا الوصف لا يُطلق جزافًا أو بناءً على الذوق وحده، بل يأتي نتيجة للمقارنة بين الأوجه الممكنة، حيث يقر بجواز بعضها، ويُفضّل أحدها بوصفه أرجح، ويُفهم من ذلك أنَّ الحُسْن عنده يُعبر عن مرتبة عالية من القَبول الصرفي ترتكز على أسس من الفصاحة والقياس، وتُراعي انسجام البنية مع خصائص العربية الفصيحة[١]، وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى أنَّ وصف الحَسَن في استعمال سيبويه يرتبط بمعناه اللغوي – وهو الجميل – استنادًا إلى أنَّ مصطلحات سيبويه الصرفية غالبًا ما تحتفظ بدلالاتها الأصلية في اللغة[٢].

وبعد بيان مفهوم الحكم الصرفي الحَسَن عند سيبويه، يحسن أن ننتقل إلى الألفاظ التي استخدمها في التعبير عنه، فنقول: إنَّ كتاب سيبويه يحظى بمكانة رفيعة في مسار الدرس النحوي والصرفي؛ لما تميّز به من دقة في وضع القواعد، ومنهجية واضحة تقوم على السماع، وتستعين بالقياس، وتميل إلى التخيير أو الترجيح عند تعدد الأوجه اللغوية، ومن الجوانب البارزة في كتابه توظيفه لوصف "الحَسَن" في الحكم على بعض التراكيب أو الصيغ دون غيرها؛ ولأجل ذلك استخدم عددًا من الألفاظ المشتقة من الجذر (ح–س–ن)، مثل: "أَحْسَن"،

=

بحكم الجيد عند سيبويه". *مجلة الآداب، جامعة بغداد ١٤٩* ، (٢٠٢٤م): ١٠ وعبد المنعم محمد، "تعليل الحكم الصرفي في كتاب سيبويه"، ٢٢.

(١) يُنظر: زكريا سلمان عبد الرؤوف، "نص الاستقامة من الكلام والإحالة لسيبويه وتطبيقاته لدى البلاغيين". *مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ٢٨* ، (٢٠١٩م): ٥٩.

(٢) يُنظر: مريم عابد الهذلي، "معايير القبول والرفض النسبية في كتاب سيبويه"، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: كلية اللغة العربية (١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م): ٦٨.

و"أَحْسَنَه" و"حَسَن"، و"حُسْنًا" و"حَسَنان"، وقد وردت هذه الألفاظ في سياقات مختلفة، إمَّا للمفاضلة بين صيغ صرفية متعددة، أو للحكم على وجه منها بالقبول استنادًا إلى السماع والقياس ونحوهما.

سنقف في هذا الموضع على تتبع هذه الألفاظ في نصوصه، وتفسير دلالاتها في ضوء السياقات التي وردت فيها، مع الإشارة إلى مواضعِ ظهورها؛ للكشف عن كيفية توظيفها في بناء تصوره لمفهوم الحكم الحَسَن.

١- (أَحْسَن، وأَحْسَنَه):

يعد لفظ "أَحْسَن" من أكثر الألفاظ التي استخدمها سيبويه في الحكم الصرفي، وقد ورد في معظم الأبواب الصرفية ومسائلها في الكتاب، يستخدم غالبًا في المفاضلة الصريحة بين بنيتين أو وجهين صرفيين، ومن ذلك قول سيبويه في "باب دخول فعَّلتُ على فعَلتُ لا يشركه في ذلك أفعلْتُ": ((وفتّحتُ في هذا أحسن، كما أنَّ قِعدة في ذلك أحسن. وقد قال جلَّ ذكره: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ (٢). فهذا وجه فَعَلْتُ وفَعَّلْتُ مبيَّنًا في هذه الأبواب، وهكذا صفته))(٣).

هذا السياق يتناول المفاضلة بين صيغتين صرفيتين هما" فعَّلْتُ و "أفْعَلْتُ"، وموقعهما من الصياغة والفصاحة، فصيغة "فعلت" مثل "قعدت" و"فتحت" تُعد من حيث التركيب والصياغة أقرب إلى الذوق العربي، وأسلم في القياس من "أفعلت" التي مثل: "أقعدت" و"أفجرت"؛ ولهذا وصف استعمالها في بعض المواضع بأنَّه

(١) القرآن الكريم، ص: ٥٠.
(٢) القرآن الكريم، القمر: ١٢.
(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٦٥

"أَحْسَن"[١]، واستشهد بالآيتين ليُظهر أنَّ الصياغة على "فعلت" جاءت في النص القرآني؛ مما يمنحها وزنًا بلاغيًّا ودلالة على الفصاحة، أمَّا قوله: "قِعْدة في ذلك أَحْسَن"، فالمقصود به أنَّ استعمال "قعدتُ" بدلًا من "أقعدتُ" في السياق المعين أنسب وأبلغ، من جهة السلاسة والمألوف في كلام العرب، وقد دلَّ لفظ "أَحْسَن" على تفضيل استعمال صيغة "فعلت" على "أفعلت"، من حيث الفصاحة، والمتداول في الاستعمال العربي، والورود في النصوص القرآنية.

أمَّا "أَحْسَنَه" فهي من الألفاظ القليلة التي استخدمها سيبويه في وصف الحكم الصرفي بالحَسَن، فهي تميل إلى التحديد الأدق في التطبيق، وتأتي غالبًا بعد عرض بدائل، ومن ذلك قوله في باب "تحقير كل اسم كان ثانيه ياء تثبت في التحقير": ((وذلك نحو: (بَيتٍ) و(شَيْخٍ) و(سَيِّدٍ) فأَحْسَنُه أن تقُول: (شُيَيْخٌ) و(سُيَيْدٌ) فَتضم؛ لأنَّ التحقير يضُم أوائل الأسماء، وهو له لازمٌ كما أنَّ الياء لازمة له))[٢].

هذه الأسماء تحتوي في أصلها على ياء ثانية في البنية، وعند تصغيرها تُكرر الياء حسب القاعدة، وتُضم أول الكلمة لأنَّ التصغير غالبًا يبدأ بضم الفاء، ويرى سيبويه أنَّ الضم والياء كلاهما لازم في التصغير، لكن بعض العرب لا يُحبّون التقاء الضمة والياء المشددة؛ لأنَّه يُثقل اللفظ، فيُبدلون الضمة بفتح أو كسر لتخفيف النطق[٣]، وهنالك وجه ثالث أضعف تُقلب فيه الياء واوًا، كما في: بويت وشويخ...وهذا الوجه لم يرجحه سيبويه؛ لأنَّه يخالف القاعدة القياسية التي تُبقي على الحرف الأصلي من غير إبدال ما لم توجد ضرورة صوتية، وقد دلل سيبويه على ضعفه بأنَّ قلب الياء واوًا

(١) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٤: ٤٤٤.
(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٤٨١.
(٣) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٤: ٢٠٣.

يكون لانضمام ما قبلها كما قال في (ضارب: ضويرب) [١]، ويدعم هذا الرأي ما ورد في كتب الصرف تحت "بند قلب الياء واوًا"، الذي يشترط أن تكون الياء ساكنة، وأن يقع ضم ما قبلها[٢]، وهو ما لا ينطبق في حالات التصغير المذكورة.

واستعمال سيبويه للفظ "أَحْسَنه" في هذا الموضع لم يأتِ لمجرد الجواز، بل يذهب إلى ترجيح أحد الأوجه المستعملة بناءً على ما يوافق القياس، ويحقق خفة الأداء، فـ"أَحْسَنه" تشير إلى مفاضلة بين الأوجه المستعملة في تحقير هذه الأسماء، فسيبويه يسْتَحْسِنُ الوجه الأول الذي يراعي القاعدة الصرفية في التصغير، ويحافظ على بنية الكلمة الأصلية، ويفضله على الوجه الثاني الذي فيه خفَّة صوتية لكنَّه دون الأول في القوة القياسية، كما يستبعد الوجه الثالث لضعفه وخروجه عن القياس، مبيّنًا عِلَل ذلك الضعف.

٢- (حَسَن، وحُسْنًا، وحَسَنان):

استخدم سيبويه لفظي "حَسَن" و"حُسْنًا" للتعبير عن الحكم الصرفي الإيجابي، وغالبًا ما وردا في سياقات تدلّ على قبول وجهٍ من الوجوه دون مفاضلة، أي للدلالة على الجواز والصحة، لا على التفضيل بين البدائل، ومن ذلك قوله في باب "الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد": ((القاف مع الكاف، كقولك: الحَقْ كَلَدةَ. الإدغام حسنٌ والبيان حسنٌ. وإنَّما أدغمتَ لقرب المخرجين، وأنَّهما من حروف اللسان، وهما متَّفقان في الشدة))[٣].

يرى سيبويه أنَّ إدغام القاف في الكاف وبيانها وجهان حَسَنان؛ لتقاربهما في

(١) المرجع نفسه ٤: ٢٢٠.

(٢) يُنظر: أحمد بن محمد الحملاوي، "شذا العرف في فن الصرف". تحقيق نصر الله عبد الرحمن، (الرياض: مكتبة الرشد): ١٣١.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٤٥٢.

المخرج وصفة الشدة، ويُعدّ كلٌ منهما جائزًا؛ لأنَّ الفارق بينهما يسير، ولا يسبب لبسًا في السمع أو خللًا في الأداء، واستخدامه للفظ "حَسَن" هنا يدل على قبول الوجهين دون تفضيل، فالحكم بالحَسَن في هذا الموضع يعني الجواز والاستعمال، لا الأفضلية أو الفصاحة العليا.

وبالطريقة نفسها يُوظّف سيبويه "حُسْنًا" للتعبير عن الإقرار بصحة وجه لغوي من حيث الجواز والاستقامة في الأداء، دون ترجيح أو تفضيل بينه وبين وجه آخر، ومن ذلك قوله في باب "الإدغام في الحرفين": ((والبيان ههنا يَزْدادُ حُسْنًا لسكون ما قبله))[١]، حيث يؤكد حُسْن البيان (الإظهار)؛ نظرًا لسكون ما قبله، من غير أن يُصرّح بتفضيله على الإدغام، بل يُظهر أنَّ لكل منهما موضعًا مناسبًا يُسْتَحْسَن فيه بحسب البنية الصوتية[٢].

وهكذا نجد أنَّ سيبويه يستخدم (حَسَن وحُسْنًا) للدلالة على جواز الوجه أو صلاحيته في العربية، مع احتمال وجود وجه آخر، دون التعبير عن حكم تفضيلي أو ترجيحي كما تفعل "أَحْسَن وأَحْسَنه"، وبناءً على ذلك فإنَّ هذه الألفاظ تُستخدم لإثبات صحة الصيغة ضمن حدود القبول في اللغة، اعتمادًا على السماع أو القياس، دون أن تشير بالضرورة إلى تفضيل بنية على أخرى، فهي تُعد أدوات إقرار بصلاحية الاستعمال، لا أدوات للمفاضلة أو التقديم.

أمَّا لفظ "**حَسَنان**" فيعدُّ من الألفاظ القليلة التي استعملها سيبويه في التعبير عن الحكم الصرفي، وقد ورد في سياق الإقرار بجواز الوجهين معًا، مثل: "حَسَن" و "حُسْنَا"، وذلك ضمن عرضه للأوجه الصرفية المرتبطة بإدغام الحروف المتجانسة في

(١) المرجع نفسه، ٤: ٤٣٨.

(٢) يُنظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٥: ٣٩٨.

باب "الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد" حيث ذكر: ((الجيم مع الشين، كقولك: ابْعَجْ شَبَثًا، الإدغام والبيانُ حسنانِ لأنَّهما من مخرج واحد، وهما من حروف وَسَط اللسان))[1]، يتحدث سيبويه هنا عن التقارب بين الجيم والشين، فهما يخرجان من وسط اللسان؛ مما يجعل الإدغام ممكنًا والإظهار جائزًا أيضًا، وهو لا يُفضّل أحد الوجهين، بل يقبلهما معًا؛ لأنَّ الإدغام مدعوم بوحدة المخرج، والإظهار مقبول لسلامة النطق ووضوح الأداء[2].

وبعد التتبع والاستقصاء لألفاظ الحُكم الصرفي الحَسَن ومظاهره عند سيبويه يمكننا تسجيل هذه الخلاصة:

ألفاظ الحكم الصرفي الحسن عند سيبويه تتوزع بين:

- ألفاظ تفضيل (أَحْسَن وأَحْسَنه) تفاضل بين وجهين.
- ألفاظ إقرار (حَسَن وحُسْنًا وحَسَنان) تقرُّ بصحة وجه دون تفضيل.

وكلّ لفظ من هذه الألفاظ يُعبّر عن درجة مختلفة من القبول الصرفي، تتفاوت بين القياس، والسماع، والذوق العربي، دون أن تُستخدم جميعها للدلالة على نفس الحكم.

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٤٥٢.

(٢) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٥: ٤٢٣.

المبحث الثالث: إحصاء ألفاظ الحُكم الصرفي الحَسَن في كتاب سيبويه

تُعدّ أحكام سيبويه الصرفية أساسًا مهمًا في بناء العربية، فهو لم يكتفِ ببيان الجواز والمنع، بل أضاف بُعدًا تقييميًّا، من أبرز مظاهره وصف بعض الصيغ بـ"الحُسْن" ومشتقاته ويسعى هذا المبحث إلى إحصاء هذه الألفاظ في كتابه، من حيث عددها ومواضع تكرارها واقترانها، وأكثرها ورودًا، والأبواب والأجزاء التي تكررت فيها، للكشف عن قيمتها المنهجية في تقويم الصيغ الصرفية.

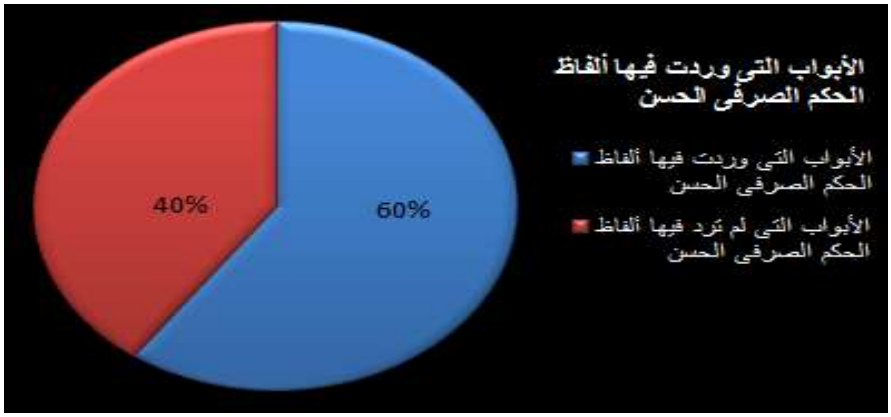
أولًا: إحصاءات عامة:

١- بلغت مواضع ألفاظ الحكم الصرفي الحَسَن في كتاب سيبويه، وهي: "أَحْسَن، أَحْسَنه، حَسَن، حُسْنًا، وحَسَنان" نحو (٦٨) موضعًا، توزعت على أجزاء الكتاب وأبوابه، وقد تصدر لفظ "أَحْسَن" هذه الألفاظ بوروده في (٤٣) موضعًا بنسبة (٦٣٪)، يليه لفظ "حَسَن" في (١٨) موضعًا بنسبة (٢٦٪)، ثم "حُسْنًا" في (٤) مواضع بنسبة (٦٪)، وجاء بعده "أَحْسنَه" في (٣) مواضع بنسبة (٤٪)، أمَّا لفظ "حَسَنان" فلم يرد في كتاب سيبويه إلَّا في موضع واحد، غير أنَّ شرح السيرافي نقله عنه في نحو ثلاثة مواضع. والشكل التالي يوضح ذلك التوزيع.



٢- وردت ألفاظ الحكم الصرفي الحَسَن في نحو (٢٩) بابًا من أصل (٤٨) بابًا صرفيًّا تقريبًا في كتاب سيبويه، أي بما يعادل نسبة (٦٠٪) من مجموع الأبواب الصرفية.

كما يتضح في الشكل الآتي



وتفاصيلها على النحو الآتي:

أ- جاء لفظ "أَحْسَن" في الصدارة من حيثُ التوزيع على الأبواب؛ إذ ورد في

(١٨) بابًا بنسبة (٦٢٪)، يليه لفظ "حَسَن" في (٤) أبواب بنسبة (١٤٪)، ثم "أَحْسَنه" و"حُسْنًا" في (٣) أبواب لكل منهما بنسبة (١٠٪)، في حين اقتصر لفظ "حَسَنان" على باب واحد فقط بنسبة (٤٪).

والشكل التالي يوضح هذا التفصيل



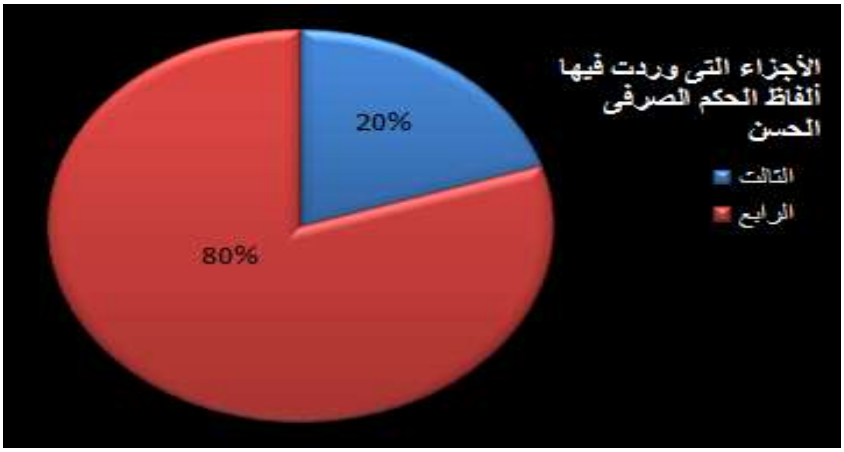
ب- حاز باب " الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد" أعلى نسبة من ورود ألفاظ الحكم الصرفي، إذ تكرر فيه نحو (٢٢) موضعًا بنسبة (٣٢٪)، يليه باب "الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا" بنحو (١٩) موضعًا بنسبة (٢٨٪).

كما يوضح الشكل الآتي



ج- يُعدّ الجزء الرابع من الكتاب الأكثر استيعابًا لألفاظ الحكم الصرفي؛ إذ تضمن نحو (٥٤) موضعًا بنسبة (٨٠٪)، ويُلاحظ أنَّ مباحث الصرف وأبوابه تتركز أساسًا في الجزءين الثالث والرابع؛ وهو ما يفسر كثرة ورود هذه الألفاظ فيهما.

كما يوضح الشكل أدناه



ثانيًا: إحصاءات خاصة بألفاظ الحكم الصرفي الحَسَن:

قبل الشروع في عرض نتائج الدراسة الإحصائية الخاصة بألفاظ الحكم الصرفي

الحَسَن من المفيد توضيح بعض المصطلحات المستخدمة في هذا السياق:

- منفرد: يُقصد به أنَّ اللفظ ورد على صورة مفردة غير مكررة.
- مقترن: يُراد به أنَّ اللفظ اقترن أو ارتبط بغيره من ألفاظ الحكم الصرفي الأخرى.
- منفرد مقترن: يُعنى به أنَّ اللفظ ورد في صورة مفردة غير مكررة، مع اقترانه في الوقت نفسه بأحد ألفاظ الحكم الصرفي الأخرى.
- الرقم بين القوسين ﴿ ﴾ يشير إلى رقم الموضع في الجدول.

أولًا: لفظ أَحْسَن:

ورد لفظ "أَحْسَن" للدلالة على الحكم الصرفي الحَسَن في كتاب سيبويه نحو (٤٣) مرة بنسبة (٦٣٪)، منها (١٧) موضعًا منفردًا، ونحو (٧) مواضع مكررًا مرتين، وقرابة (٤) مواضع مكررًا ثلاث مرات، كما اقترن بغيره من ألفاظ الحُسْن في نحو (٧) مواضع.

والجدول التالي يوضح هذه التوزيعات بالتفصيل:

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر		
				مرتان / ثلاثة		
١-	وكان ذلك أحسنَ من أن يجيئوا به على ما ليس من كلامهم.	✓			ما تحذف منه الزوائد من بنات الثلاثة مما أوائله الألفات الموصولات	٤٣٤/٣
٢-	كان صُحيْر ومُهَيْر أحسن.	✓			تحقير ما كان من الثلاثة فيه زائدتان تكون فيه بالخيار في حذف إحداهما تحذف أيَّهما شئت	٤٣٨/٣
٣-	وقول الخليل أحسنُ، كما أنَّ عُفَيْرِيةً أحسنُ.			✓	باب تحقير ما كان في الثلاثة فيه زائدتان تكون فيه بالخيار في حذف	٤٣٩/٣

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر		
				مرتان / ثلاثة		
					إحداهما تحذف أيَّهما شئت	
٤-	وذلك نحو: حُلَى ودِفلى؛ فأحسنُ القول فيه أن تقول: حُلِيٌّ و دِفْلِيٌّ.	✓			الإضافة إلى كل اسم كان آخره ألفًا زائدة لا ينون وكان على أربعة أحرف	٣٥٢/٣
٥-	فإذا صار واحدًا فهو أحسن أن يكسَّر.	✓			ما يكسَّر مما كُسِّر للجمع	٤٠٨/٣
٦-	والوجه أن تقول: آباءُ زَيْدٍ، وهو قول يونس.. وهو أحسن من آباء الزَّيْدِينَ.	✓			جمع الأسماء المضافة	٤٠٩/٣
٧-	وهو أن يكون الشيئانِ كلُّ واحد منهما بعضَ شيء مفرَدٍ من صاحبه. وذلك قولك: ما أحْسَنَ رءُوسَهما، وأحْسَنَ عَواليَهما.		✓		ما لفظ به مما هو مثنى كما لُفظ بالجمع	٦٢١/٣

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر		
				مرتان / ثلاثة		
٨-	وفَتّحْتُ في هذا أحسن، كما أن قِعدة في ذلك أحسن			مرتان ✓	دخول فعَّلتُ على فعَلتُ لا يشركه في ذلك أفعلْتُ	٦٥/٤
٩-	والنصبُ فيه كلّه أحسنُ، لأنها ليست كألف حُبْلَى.	✓			باب الراء	١٤٢/٤
١٠-	فإذا كان قبل الهاء حرفُ لينٍ فإنَّ حذف الياء والواوِ في الوصل أحسنُ... فلَما اجتَمعت حروفٌ متشابِهةٌ حذفُوا. وهو أحسنُ وأكثر ... وأحسنُ القراءَتين: ﴿ونَزَّلْناهُ تَنزِيلًا﴾(١)			ثلاثة ✓	ثبات الياء والواو في الهاء التي هي علامة الإضمار، وحذفِهما	١٨٩/٤
١١-	وسمعنا بعض العرب			ثلاثة ✓	التضعيف في	٣٩٧/٤

(١) القرآن الكريم، الإسراء :١٠٦

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر		
				مرتان / ثلاثة		
	يقول، أعْيِيَاءُ وأحْيِيَةٌ؛ فيبيّن. وأحسنُ ذلك أن تُخْفيَها وتكون بمنزلتها متحركة... ولكنك تُخْفِي وتجعلها بمنزلة المتحركة، فهو أحسنُ وأكثر...إلَّا أنَّك إن شئت أخفيت والتبيينُ فيه أحسن مما في يائه كسرة.				بنات الياءِ وذلك نحو:عَيِيتُ وحَيِيتُ وأحْيَيْتُ	
١٢-	وإنَّما خففوا في عَمْيةٍ وكان ذلك أحسنَ لأنَّهم يقولون فَخْذٌ في فَخِذٍ.	✓			ما قِيسَ من المعتل من بنات الياءِ والواو ولم يجيء في الكلام إلا نظيره من غير المعتل	٤١٠/٤
١٣-	وذلك قولهم: أحَسْتُ، يريدون:	✓			ما شذ من المضاعف فشُبه	٤٢١/٤

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر: مرتان	مكرر: ثلاثة	
	أحْسَسْتُ؛ وأحَسْنَ، يريدون: أحْسَسْنَ.					بـاب أقَمْـتُ، وليس بِمُتْلَئِبٍ	
١٤-	فأحسـنُ مـا يكـون الإدغـام في الحـرفين المتحـرِّكين... وممَّـا يـدلُّك علـى أنّ الإدغام فيما ذكرتُ لـك أحسـنُ أنَّـه لا يتـوالى في تأليـف الشِعْر خمسة أحرف متحرّكة... فإن كان قبل الحرف المتحرّك الـذي وقـع بعـده حـرفٌ مثلُـه حـرفٌ متحـرك لـيس إلا، وكان بعد الذي هو مثلُـه حـرفٌ سـاكنٌ حسُـن الإدغـام		✓		✓	الإدغـام في الحـرفين اللـذين تضـع لسـانَك لهمـا موضـعًا واحـدًا لا يـزول عنه	٤٣٧/٤

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر		
				مرتان / ثلاثة		
	...وكلما توالت الحركاتُ أكثر كان الإدغام أحسنَ. وإن شئتَ بيَّنت.					
١٥-	وتقول: هذا ثَوْبُ بَكْرٍ، البيانُ في هذا أحسنُ منه في الألف، لأنَّ حركة ما قبله ليس منه فيكون بمنزلة الألف.	✓			الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانَك لهما موضعًا واحدًا لا يزول	٤٤٠/٤
١٦-	فالإظهار في الحروف التي من مُخْرَج واحد وليست بأمثالٍ سَواءٍ أحسَنُ، لأنها قد اختلفت. وهو في المختلفة المخَارج أحسنُ، لأنها أشدُ تباعدًا. وكذلك الإظهار كلما تباعدت المخارجُ		✓	✓	الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد	٤٤٥/٤ - ٤٤٦

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر: مرتان	مكرر: ثلاثة	
	ازداد حسنًا.					
١٧-	الهاء مع الحاء: كقولك: اجْبَهْ حَمَلًا، البيانُ أحسن لاختلاف المخْرَجين، ولأنَّ حروف الحَلْق ليست بأصلٍ للإدغام لقلَّتها. والإدغام فيها عربيٌّ حسنٌ لقرب المخرجين... العينُ مع الهاء: كقولك اقْطَعْ هِلالًا، البيان أحسنُ...		✓	✓		الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد	٤٤٩/٤
١٨-	وإذا أردت الإدغام حوَّلت العين حاء ثم أدغمت الهاءَ فيها فصارتا حاءيْن. والبيانُ أحسنُ.	✓				الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد	٤٥٠/٤
١٩-	الغين مع الخاء.		✓	✓		الإدغام في	٤٥١/٤

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر		
				مرتان / ثلاثة		
	البيانُ أحسنُ والإدغام حسنٌ... كما فعلتَ ذلك في العين مع الحاء والخاء مع الغين. البيانُ فيهما أحسنُ لأنَّ الغين مجهورة وهما من حروف الحَلق.				الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد	
٢٠-	والكاف مع القاف: انْهَكْ قَطَنًا، البيان أحسن والإدغام حسنٌ...وإنَّما كان البيان أحسنَ لأنَّ مُخرجهما أقربُ مخارج اللسان إلى الحلق...اللام مع الراء... وهما في الشِّدَّةِ وجَرْي الصوت سواءٌ، وليس بين مُخْرَجيهما مُخْرَجٌ.		✓	ثلاثة: ✓	الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد	٤٥٢/٤

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر: مرتان	مكرر: ثلاثة	
	والإدغام أحسنُ...					
٢١-	وأما اللام فقد تدغم فيها، وذلك قولك: هَنَّرَى، فتدغم في النون. والبيانُ أحسنُ	✓				الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد ٤٥٦/٤
٢٢-	فإذا كانت غير لام المعرفة نحو لام هَلْ وبَلْ، فإنَّ الإدغام في بعضها أحسنُ.	✓				الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد ٤٥٧/٤
٢٣-	فإن قلت: أقول اصْحَبْ مَطَرًا، وهما شديدتان، والبيانُ فيهما أحسنُ.	✓				الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا ٤٦١/٤
٢٤-	ويصيران مع الضاد صادًا كما صارت الدالُ والتاءُ مع الطاءِ طاءً. يدلُّك التفسير. والبيانُ أحسنُ؛ لرَخاوتهنَ وتَجافِي اللسان	✓				الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا ٤٦١/٤ – ٤٦٢

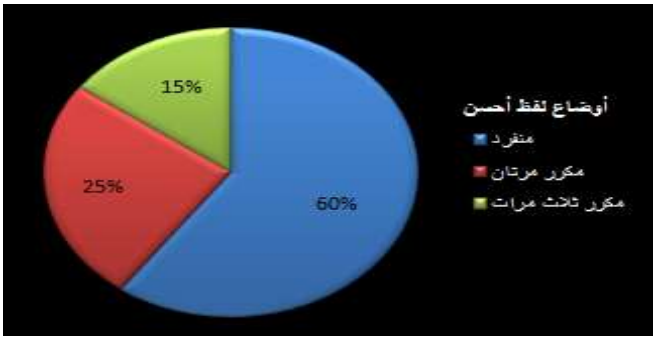
الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ				الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر			
				مرتان	ثلاثة		
	عنهنّ.						
٢٥-	واعلم أن جميع ما أدغمتَه وهو ساكنٌ يجوز لك فيه الإدغام إذا كان متحرِّكا، كما تفعل ذلك في المِثْلين. وحاله فيما يحسن ويقبح فيه الإدغام وما يكون فيه أحسنَ وما يكون خَفِيًّا.	✓	✓			الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا	٤٦٦/٤
٢٦-	واعلم أنَّ ترك البيان هنا أقوى منه في المنفصلَين، لأنَّه مضارع، يعني ما يُبْنَى مع الكلمة في نحو افْتَعَلَ. فأنْ تقول: احْفَظْ تلك، وخُذْ تِلك، وابْعَثْ تلك، فتبيِّنَ –	✓	✓			الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا	٤٧٢/٤

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر: مرتان	مكرر: ثلاثة		
	أحسنُ من حَفِظْتُ وأخَذْتُ وبَعَثْتُ، وإنْ كان هذا حسنًا عربيًّا.						
٢٧-	ولكنهم قد يضارعون بها نحو صاد صَدَقَتْ. والبيان فيها أحسنُ... ولم تكن المضارعة هنا الوجهَ، لأنك تُخِلُّ بالصاد، لأنها مُطْبقة، وأنت في صُفْتُ تضع في موضع السين حرفًا أفْشَى في الفم منها للإطباق، فلمَّا كان البيانُ ههنا أحسنَ لم يجز البدل.			✓		الحرف الذي يضارَعُ به حرفٌ من موضعه والحرِف الذي يُضارَعُ به ذلك الحرفُ وليس من موضعه	٤٧٨/٤
٢٨-	وذلك قولك في التَّسْدِير: التزَّدِير، وفي يَسْدُلُ ثوبَه:	✓				الحرف الذي يضارع به حرفٌ من موضعه	٤٧٨/٤ – ٤٧٩

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر		
				مرتان / ثلاثة		
	يَزْدُلُ ثوبه، لأنها من موضع الزاي وليست بمُطْبقة فَيَبقى لها الإطباق. والبيانُ فيها أحسنُ؛ لأنَّ المضارعة في الصاد أكثرُ وأعرفُ منها في السين.				والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه	

ومن خلال الجدول يمكن استخلاص ما يأتي:

١- ورد لفظ "أَحْسَن" منفردًا في (١٧) مَوضِعًا بنسبة (٦٠٪)، وهو الأكثر شيوعًا؛ مما يشير إلى اعتماده صيغة أساسية في الحكم الصرفي، كما ورد مكررًا مرتين في (٧) مواضع بنسبة (٢٥٪) وثلاث مرات في (٤) مواضع بنسبة (١٥٪)؛ ويكشف هذا التكرار ميل سيبويه إلى التوكيد وإبراز درجة التفضيل عند الحاجة. كما يوضح الشكل الآتي:



٢- ورد لفظ "أَحْسَن" مقترنًا بغيره من ألفاظ الحُسْن في (٧) مواضع بنسبة (١٦٪)، فقد جاء مقترنًا وهو مفرد في موضعين ﴿٢٥ – ٢٦﴾ بنسبة (٢٩٪)، ومقترنًا وهو مكرر مرتين في (٣) مواضع ﴿١٦-١٧-١٩﴾ بنسبة (٤٢٪)، كما ورد مقترنًا وهو مكرر ثلاث مرات في موضعين ﴿١٤-٢٠﴾ بنسبة (٢٩٪)؛ وذلك كما هو مبيَّن في الشكل أدناه



ويكشف اقتران لفظ "أَحْسَن" بغيره من ألفاظ الحُسْن أنَّ سيبويه يستخدمه في مواقفَ لغوية تستدعي مزيدًا من التوضيح أو التأكيد، وهو ما يعكس حرصه على إبراز قوة بعض الأوجه الصرفية وتفوقها على غيرها.

١- اقترن لفظ " أَحْسَن " بغيره من ألفاظ الحُسْن على النحو التالي:

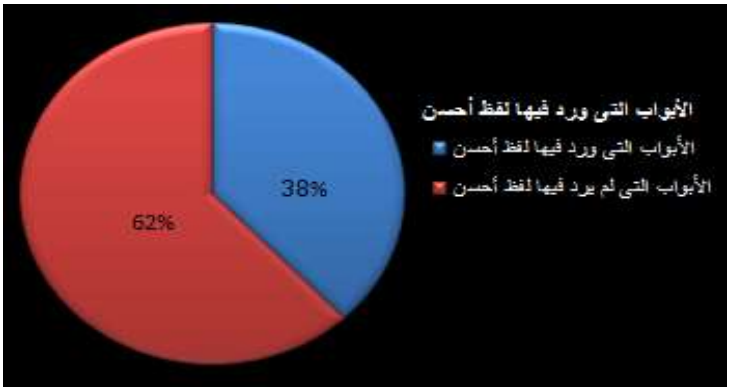
- اقترن بلفظ "حَسَن" في (٤) مواضع ﴿١٤-١٧-١٩-٢٠﴾ بنسبة (٥٨٪)
- اقترن بلفظ "حُسْنًا" في موضع واحد ﴿١٦﴾ بنسبة (١٤٪)
- اقترن بلفظ "يَحْسُن" في موضع واحد ﴿٢٥﴾ بنسبة (١٤٪)
- اقترن بلفظ "حَسَنًا" في موضع واحد ﴿٢٦﴾ بنسبة (١٤٪)،

والشكل التالي يوضح ذلك



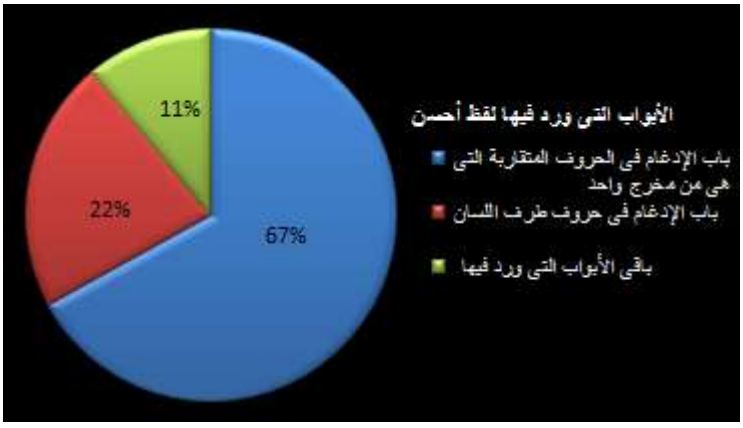
ومما سبق يتضح أنَّ لفظ "أَحْسَن" يمثل الركيزة الأساس في صياغة الحكم الصرفي عند سيبويه، وأنَّ تنوع طرائق استعماله (منفردًا – مقترنًا – مكررًا) تعكس تفاوت الحاجة إلى التوضيح أو التأكيد أو الترجيح؛ تبعًا لطبيعة الموضع وسياق العبارة والمقصود منها.

٢- ورد لفظ " أَحْسَن " في نحو (١٨) بابًا من أبواب الصرف بالكتاب، أي بنسبة (٣٨٪)، كما يبيّن الشكل الآتي



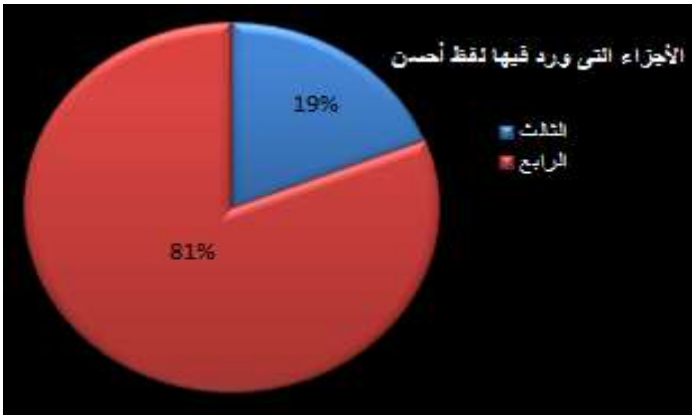
٣- جاء باب " الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد " في المرتبة الأولى من حيثُ ورود لفظ " أَحْسَن "، إذ تكرر فيه (١٢) مرة بنسبة (٦٧٪)، يليه باب "الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا"، بوروده (٤) مرات بنسبة (٢٢٪).

كما يوضح الشكل التالي



٤- يُعدّ الجزء الرابع أكثر أجزاء الكتاب ورودًا للفظ " أَحْسَن "، إذ تكرر فيه نحو (٣٥) مرة بنسبة (٨١٪).

كما يوضح الشكل أدناه



ثانيا: لفظ (أَحْسَنه):

ورد لفظ "أَحْسَنه" في الدلالة على الحكم الصرفي الحَسَن في كتاب سيبويه في نحو (٣) مواضع فقط بنسبة (٤٪)، وجاء في جميعها منفردًا دون اقتران، وقد توزع هذا اللفظ على ثلاثة أبواب صرفية مختلفة من الكتاب بنسبة (٦٪)، منها موضعان في الجزء الثالث، وموضع واحد في الجزء الرابع.

والجدول التالي يبيّن ذلك:

الرقم	العبارة	حالة اللفظ			الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر		
				مرتان / ثلاثة		
١-	وإذا حَقَّـــــرتَ عَلانِيَةً أو ثَمانِيَةً أو عُفارِيَـةً، فأحسـنُه أن تقـول: عُفَيْرِيَـةٌ وعُلَيْنِيةٌ، وثُمَيْنِيَةٌ	✓	-	- / -	تحقير ما كان في الثلاثة فيه زائدتان تكون فيه بالخيار في حذف إحداهما تَحذف أيَّهما شئت	٤٣٧/٣
٢-	وذلك نحو: بَيتٍ وشَـــيْخٍ وسَـــيِّد. فأحْسنُه أن تقُول: شُـــيَيْخٌ وَسُـــيَيْدٌ فتَضـــــم؛ لأنَّ التحقـــير يَضُـــم أوائـــل الأسمـــاء، وهو لازمٌ له، كما أنَّ الياء لازمة له	✓	-	- / -	تحقير كلَ اسم كان ثانيه ياء تَثبت في التحقير	٤٨١/٣
٣-	ولا تكـــون هـــذه الأشياء في مِفْعالٍ	✓	-	- / -	باب ما لا يجوز فيه ما أفعله	٩٨/٤

	ولا فَعُـولٍ، كمـا تقـــول رجُـــلٌ ضَـــرُوبٌ ورجـــلٌ مِحْسـانٌ، لأن هـذا في معـــنى مـــا أحسنَه						

ومن خلال الجدول يمكن استنتاج ما يأتي:

- استعمال سيبويه للفظ " أَحْسَنه "كان محدودًا من حيثُ العدد، لكنه نوعي في الدلالـة؛ إذ اسـتخدمه في إبـراز الصـيغ المتفوقـة في القيـاس أو الخفـة أو وضوح المعنى.
- اقتصار لفظ " أَحْسَنه " على الانفراد يشير إلى دقة استعماله عند سيبويه، حيثُ يلجأ إليه في المواضع التي تتطلب إبراز صيغة بعينها على أنَّها الأرجح، أو الأحْسَن دون حاجة إلى دعمها بصيغ أخرى.

ثالثًا: لفظ (حَسَن):

ورد لفظ "حَسَن" في كتاب سيبويه للدلالة على الحكم الصرفي في نحو (١٨) مَوضِعًا بنسبة (٢٦٪)، وقد استُعمل منفردًا في قرابة (١٠) مواضع بنسبة (٥٦٪)، وجاء مكررًا مرتين في نحو (٤) مواضع بنسبة (٢٢٪)، كما اقترن بغيره في نحو (٤) مواضع أخرى بنسبة (٢٢٪).

والجدول التالي يبيّن هذه التوزيعات بالتفصيل:

الرقم	العبارة	حالة اللفظ				الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر			
				مرتان	ثلاثة		
١-	فهذا تقويةٌ لمن زعم أن الهمزة في جاءٍ هي الهمزة التي تبدل من العين. وكلا القولين حسنٌ جميل	✓				ما الهمزة فيه في موضع اللام من بنات الياء والواو	٣٧٨/٤
٢-	فإن كان قبل الحرف المتحرّك الذي وقع بعده حرفٌ مثلُه حرفٌ متحرك ليس إلا، وكان بعد الذي هو مثله حرفٌ ساكنٌ حسُن الإدغام	✓				الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانَك لهما موضعًا واحدًا	٤٣٧/٤
٣-	وإذا التقى الحرفان المِثْلان اللذان هما سواءٌ متحرّكين، وقبل الأول حرفُ مدٍ، فإنَّ الإدغام حسَنٌ، لأنَّ حرف	✓				الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانَك لهما موضعًا واحدًا	٤٣٧/٤

الرقم	العبارة	حالة اللفظ				الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر			
				مرتان	ثلاثة		
	المدّ بمنزلة متحرَّك في الإدغام						
٤-	وحَسُنَ الإدغام في اقْتَتَلُوا كَحُسْنِه في جَعَلْ لّكَ			✓		الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانَك لهما موضعًا واحدًا	٤٤٥/٤
٥-	والحروفُ المتقاربة مخارجُها إذا أدْغمت فإنَّ حالها حالُ الحرفين اللذين هما سواءٌ في حُسْن الإدغام، وفيما يزداد البيان فيه حُسْنًا	✓	✓			الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مُخْرَج واحد	٤٤٥/٤
٦-	الهاء مع الحاء: كقولك: اجْبَهْ حَمَلًا، البيانُ أحسن لاختلاف المخْرَجين، ولأنَّ حروف الحَلْق ليست	✓	✓			الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد	٤٤٩/٤

الرقم	العبارة	حالة اللفظ				الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر			
				مرتان	ثلاثة		
	بأصلٍ للإدغام لقلَّتها. والإدغام فيها عربيٌّ حسنٌ لقرب المخرجين						
٧-	الغين مع الخاء. البيانُ أحسنُ والإدغام حسنٌ	✓	✓			الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد	٤٥١/٤
٨-	ألا ترى أنَّه يقول بعضُ العرب: مُنْخُلٌ ومُنْغُلٌ فيُخْفى النون كما يُخْفيها مع حروف اللسان والفم... ويدُّلك على حسن البيان عزَّتُها في باب رَددتُ	✓				الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد	٤٥١/٤
٩-	القاف مع الكاف، كقولك: الحَقْ كَلَدَة. الإدغام حسنٌ والبيان حسنٌ			✓		الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد	٤٥٢/٤

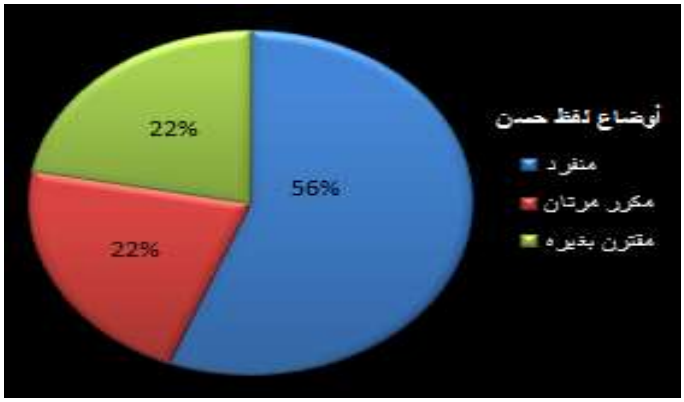
الرقم	العبارة	حالة اللفظ				الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر			
				مرتان	ثلاثة		
١٠-	والكاف مع القاف: انْهَكْ قَطنًا، البيان أحسن والإدغام حسنٌ	✓	✓			الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد	٤٥٢/٤
١١-	وقرأ بعضهم: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ يريد: لا يَتَسَمّعون. والبيانُ عربيٌّ حسنٌ لاختلاف المخْرَجين	✓				الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا	٤٦٣/٤
١٢-	فمن ذلك قولهم في مُثْتَرِدٍ: مُثَّرِدٌ لأنَّهما متقاربان مهموسان. والبيانُ حسنٌ	✓				الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا	٤٦٧/٤
١٣-	وإذا تقارَبَ المخْرَجان قولهم: يَطَّوَّعُونَ في يَتَطَوّعَونَ... الإدغام في هذا أقوى، إذ كان يكون في الانفصال.			✓		الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا	٤٧٤/٤ - ٤٧٥

الرقم	العبارة	حالة اللفظ				الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر			
				مرتان	ثلاثة		
	والبيانُ فيهما عربيٌّ حسن لأنهما متحرّكان، كما حسُن ذلك في يَخْتَصِمُونَ ويَهْتَدُونَ						
١٤-	وينبغي على هذا أن تقول في تَتَرَّسَ: اتَّرَّسَ. فإن بيَّنتَ فَحُسْنُ البيان كحُسنِهِ فيما قبله			✓		الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا	٤/٤٧٥

ومن خلال الجدول يمكن استخلاص ما يأتي:

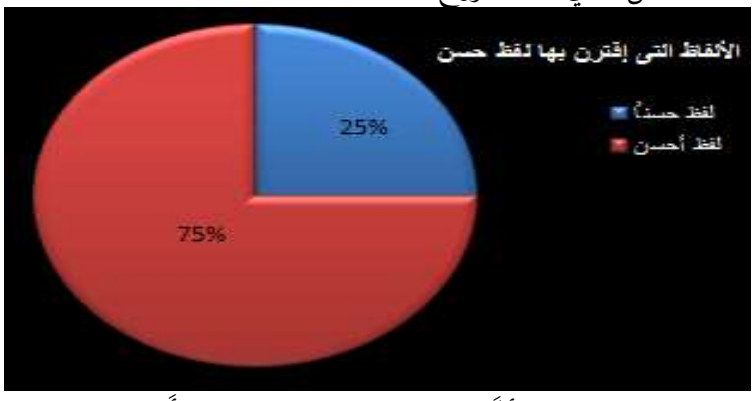
١- ورد لفظ "حَسَن" منفردًا في (١٠) مواضع بنسبة (٥٦٪)، وهو أكثر صيغ الاستعمال شيوعًا بعد لفظ "أَحْسَن" مقارنة مع سائر ألفاظ الحُسْن الأخرى، كما ورد مكررًا مرتين في (٤) مواضع بنسبة (٢٢٪)، دون أن يرد مكررًا ثلاث مرات في أي موضع، وقد جاء مقترنًا في (٤) مواضع ﴿٥ – ٦-٧-١٠﴾، بنسبة (٢٢٪)، وكان في جميعها منفردًا دون تكرار، ولم يرد في صورة مقترنة مكررة داخل الكتاب.

كما يوضح الشكل الآتي



٢- اقترن لفظ "حَسَن" بغيره من ألفاظ الحكم الصرفي على النحو التالي:

- مع لفظ "حُسْنًا" في موضع واحد فقط ﴿٥﴾ بنسبة (٢٥٪)
- مع لفظ "أَحْسَن" في (٣) مواضع ﴿٦-٧-١٠﴾ بنسبة (٧٥٪)، ويوضح الشكل التالي هذا التوزيع

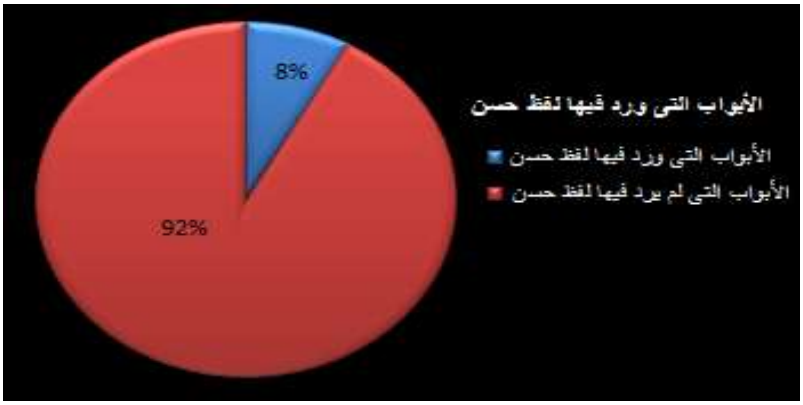


وتظهر هذه النسب أنَّ اقتران لفظ "حَسَن" بلفظ " أَحْسَن " هو الغالب، وهو ما يعكس طبيعة العلاقة بينهما في مراتب الحكم الصرفي عند سيبويه؛ إذ يستعمل " حَسَن " للدلالة على الصيغ المقبولة، بينما يستعمل " أَحْسَن " لترجيح الأوجه الأوْلى بالاستعمال.

٣- ورد لفظ " حَسَن " في نحو (٤) أبواب من أبواب الصرف بالكتاب بنسبة

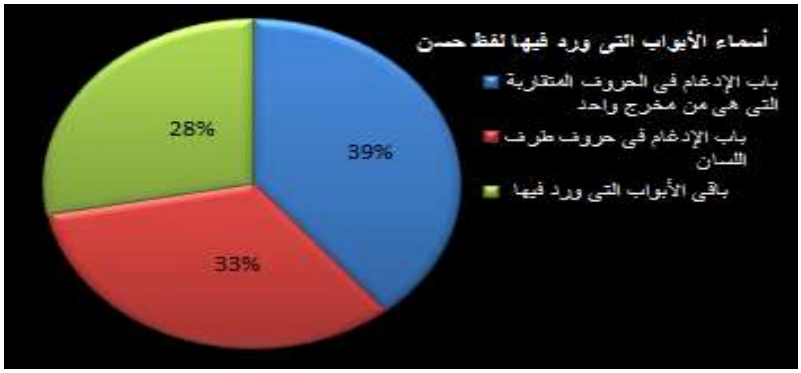
(٨٪) من مجموعها.

كما يوضح الشكل الآتي:



٤– تصدر باب " الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد " مواضع ورود لفظ " حَسَن "، حيثُ ورد فيه (٧) مرات بنسبة (٣٩٪)، يليه باب "الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا" بتكراره (٦) مرات بنسبة (٣٣٪)، ويكشف ذلك عن كثرة استعمال هذا الحكم في الأبواب الصوتية المرتبطة بالإدغام.

كما يوضح الشكل أدناه



٥- يُلاحظ أنَّ ورود لفظ " حَسَن " اقتصر على الجزء الرابع من الكتاب دون بقية الأجزاء؛ مما يجعله الأكثر استيعابًا له.

رابعًا: لفظ (حُسْنًا):

ورد لفظ "حُسْنًا" في كتاب سيبويه للدلالة على الحكم الصرفي في نحو (٤) مواضع بنسبة (٦٪)، وجاء في جميعها منفردًا غير مكرر، كما اقترن في (٣) مواضع.

والجدول الآتي يوضح ذلك بالتفصيل

الرقم	الموضع والعبارة	حالة اللفظ				الباب	الجزء والصفحة
		منفرد	مقترن	مكرر			
				مرتان	ثلاثة		
١–	ألا تراهم في غير الانفصال قالوا: رادٌّ، وتُمُودَّ الثوبُ. وذلك قولك: إنَّ المال لَّكَ، وهم يَظْلِمُونِيّ، وهما يَظْلِمانِيّ، وأنت تّظْلِمينِيّ. والبيان ههنا يَزْدادُ حُسْنًا لسكون ما قبله	✓				الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانَك لهما موضعًا واحدًا لا يزول عنه	٤٣٨/٤
٢–	والحروفُ المتقاربة مخارجُها إذا أُدْغمت فإن حالها حالُ الحرفين اللذين هما سواءٌ في حُسْن الإدغام، وفيما يزداد البيان فيه حُسْنًا، وفيما لا	✓	✓			الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد	٤٤٥/٤

	يجوزُ فيه إلا الإخفاءُ وحده، وفيما يجوزُ فيه الإخفاءُ والإسكان						
٣-	فالإظهار في الحروف التي من مُخْرِج واحد وليست بأمثالٍ سَواءٍ أحسَنُ، لأنها قد اختلفت. وهو في المختلفة المخَارج أحسنُ، لأنها أشدُ تباعدًا وكذلك الإظهار كلما تباعدت المخارجُ ازداد حسنًا	✓	✓			الإدغام في الحروف التي المتقاربة هي من مخرج واحد	٤٤٥/٤ - ٤٤٦
٤-	واعلم أن ترك البيان هنا أقوى	✓	✓			الإدغام في حروف طرف	٤٧٢/٤

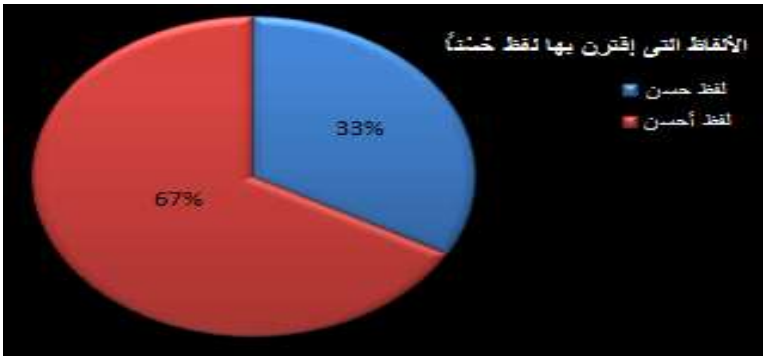
	منه في المنفصلَين، لأنَّه مضارع، يعني ما يُبْنَى مع الكلمة في نحو افْتَعَل. فأنْ تقول: احْفَظْ تِلك، وخُذْ تِلك، وابْعَثْ تِلك، فتُبيّن- أحسنُ من حَفِظْتُ وأخَذْتُ وبَعَثْتُ، وإن كان هذا حسنًا عربيًّا					اللسان والثنايا	

ومن خلال الجدول يُلاحظ الآتي:

١- اقترن لفظ "حُسْنًا" بغيره من ألفاظ الحكم الصرفي على النحو التالي:

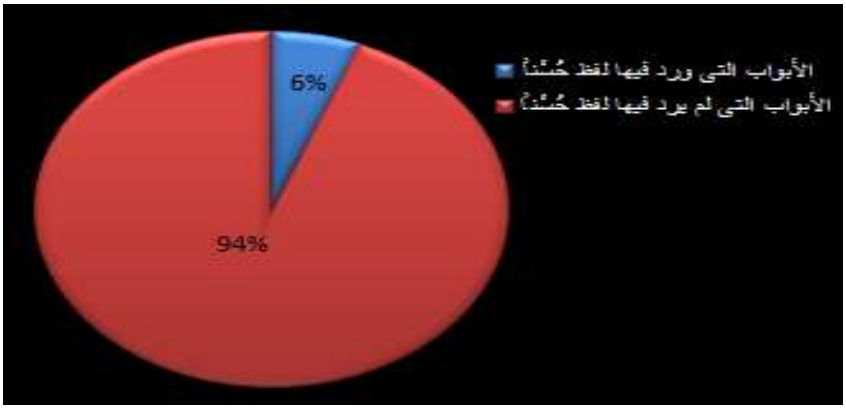
- مع لفظ "حَسَن" في موضع واحد ﴿٢﴾ بنسبة (٣٣٪)
- مع لفظ "أَحْسَن في موضعين ﴿٣-٤﴾ بنسبة (٦٧٪).

والشكل التالي يوضح ذلك



٢- توزَّع لفظ "حُسْنًا" على ثلاثة أبواب صرفية متفرقة من الكتاب، جميعها في الجزء الرابع بنسبة (٦٪).

كما يوضح الشكل



٣- ورد لفظ " حُسْنًا " في باب " الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد" في موضعين ﴿٣-٤﴾ بنسبة (٥٠٪)، وفي باب " الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانَك لهما موضعًا واحدًا" في موضع واحد ﴿١﴾ بنسبة (٢٥٪)، كما ورد في باب " الإدغام في حروف طرف اللسان" في موضع واحد أيضًا

- ﴿ ٤ ﴾ بنسبة (٢٥٪).

كما يوضح الشكل أدناه



ومن خلال ما سبق يمكن استخلاص الآتي:

- استعمال لفظ "حُسْنًا" المحدود يشير إلى أنَّ اللفظ يؤدي وظيفة تكميلية إلى جانب الألفاظ الأخرى الأكثر شيوعًا، خاصة "أَحْسَن" و"حَسَن" لاقترانه بهما.
- اقتصار اللفظ على الجزء الرابع من الكتاب يكشف ارتباطه المباشر بالأبواب الصوتية والصرفية المرتبطة بالإدغام والحروف، وهو ما يميز سياق استعماله.

خامسًا: (حَسَنان):

جاء لفظ "حَسَنان" للدلالة على الحكم الصرفي الحَسَن في كتاب سيبويه في موضع واحد فقط، وذلك في باب "الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد" عند حديثه عن حُسن الإدغام والبيان في حروف وسط اللسان(١)، وقد تكررت العبارة نفسها "حَسَنان" في شرح السيرافي نقلًا عن سيبويه في نحو ثلاثة مواضع(٢).

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٤٥٢.

(٢) يُنظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٥/٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢.

وقبل الانتقال إلى الخاتمة، تجدر الإشارة إلى أنَّ الألفاظ التي استخدمها سيبويه للتعبير عن إعراضه عن وصف بعض الصيغ بالحكم الصرفي الحَسَن بلغت نحو خمس عباراتٍ متفرقة، وردت بصيغ مختلفة، منها: "ولا يَحْسُن في هذا"، و"ما لا يَحْسُن أن تضيف إليه الأسماء"، و"ولا مُسْتَحْسَنةً عند العامة"، و"ولا تُسْتَحْسَن في قراءة القرآن ولا في الشعر"، و"وليس كحُسْنِه مع هؤلاء"، وقد توزَّعت هذه العبارات بين الجزءين الثالث والرابع من الكتاب، وهي في مجموعها تُعدّ قليلة العدد مقارنةً بألفاظ الحكم الصرفي الحَسَن التي أطلقها في مواضع متفرقة من الكتاب.

الخاتمة

بفضل الله وتوفيقه تم البحث، وفي خاتمته تلخيص لأبرز النتائج والتوصيات

١- وصف الحَسَن عند سيبويه لا يقتصر على الإباحة أو الجواز، بل يدل على تفضيل صرفي مبني على معاييرَ متداخلة، أبرزها: السماع، والقياس، والخفة، ووضوح المعنى، وموافقة الذوق العربي.

٢- لم يفرد سيبويه بابًا خاصًا للحكم الصرفي الحَسَن، ولم يذكر شروطه صراحة، لكن تتبّع استعمالاته في الكتاب يكشف عن تلك المعايير ضمنًا.

٣- ألفاظ الحُسْن عند سيبويه تتوزع بين التفضيل والإقرار، ويعبر كلٌّ منها عن مستوى مختلف من القبول الصرفي، دون أن تُستخدم جميعها للدلالة على نفس الحكم.

٤- فرَّق سيبويه بين القبول والتفضيل، فعدّ بعض الصيغ جائزة دون أن يمنحها وصف الحَسَن؛ مما يدل على دقة معاييره الصرفية.

٥- من أسباب إعراض سيبويه عن وصف بعض الصيغ بالحُسْن: ضعف السماع أو القياس، وثقل اللفظ، واحتمال اللبس؛ وهذا الإعراض لا يعني رفض الصيغة مطلقًا، بل الاكتفاء بإجازتها من حيثُ الاستعمال دون تفضيلها.

٦- وردت ألفاظ الحكم الصرفي الحَسَن في كتاب سيبويه في نحو (٦٨) موضعًا، تصدرها لفظ "أَحْسَن" بـ(٤٣) موضعًا بنسبة (٦٣٪)، في حين عبّر عن إعراضه عن وصف بعض الصيغ بالحُسْن عبر خمس عبارات متفرقة جاءت بصيغ مختلفة.

٧- يعد لفظ "أحسن" الركيزة الأساسية في الحكم الصرفي عند سيبويه، وتنوع وروده (منفردًا – مقترنًا – مكررًا) يكشف عن تفاوت دلالي يعكس حاجة

السياق إلى التوضيح أو التأكيد أو الترجيح.

٨- جاء باب " الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد " في صدارة الأبواب من حيثُ كثافة ألفاظ الحكم الصرفي؛ إذ وردت في نحو (٢٢) موضعًا بنسبة (٣٢٪)، أمَّا الجزء الرابع من الكتاب فهو الأوفر حظًا من حيثُ شمول هذه الألفاظ، حيثُ تضمن نحو (٥٤) موضعًا بنسبة (٨٠٪).

التوصيات

- ❖ إجراء دراسات مقارنة بين سيبويه وغيره من النحاة؛ للوقوف على مدى استمرار، أو اختلاف استعمال ألفاظ الحُسْن.
- ❖ بناء معجم خاص بألفاظ الحكم الصرفي عند سيبويه وما بعدها؛ لتسهيل الرجوع إليها للباحثين والدارسين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا– الكتب العلمية

الاستراباذي، محمد الحسن الرضي، "شرح شافية ابن الحاجب". تحقيق محمد محي وآخرين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م).

باشا، أحمد تيمور، "السماع والقياس". (ط١، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م).

البكاء، محمد كاظم، "منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي". (ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٩م).

الجاحظ، عمرو بن بحر، "الحيوان". تحقيق عبد السلام هارون، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣٨هـ).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "الخصائص". (ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتب).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "سر صناعة الإعراب". تحقيق حسن هنداوي، (دمشق: دار القلم، ١٩٨٥م).

الحملاوي، أحمد بن محمد، "شذا العرف في فن الصرف". تحقيق نصر الله عبد الرحمن، (الرياض: مكتبة الرشد).

الزبيدي، محمد عبد الرزاق، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق مجموعة من المحققين، (دار الهداية).

الزبيدي، محمد عبد الرزاق، "القاموس المحيط". تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).

سيبويه، عمرو بن عثمان، "الكتاب". تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة

الخانجي، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).
السيرافي، أبو سعيد الحسن، "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).
ابن عصفور، علي بن مؤمن، "الممتع الكبير في التصريف"، (ط١، لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م).
ابن فارس، أحمد القيزوني، " معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام هارون، (دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م".
الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر، "القاموس المحيط". تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).
القيسي، مكي ابن مختار، "كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة". تحقيق أحمد حسن فرحات، (الأردن: دار عمار، ١٩٨٤م).
ابن منظور، محمد جمال الدين، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
ابن يعيش، يعيش علي، "شرح المفصل للزمخشري". تقديم إميل يعقوب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).

ثانيا– الرسائل الجامعية

محمد عبد المنعم علي، "تعليل الحكم الصرفي في كتاب سيبويه". رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، مصر: كلية اللغة العربية (٢٠٠٨م): ١٩ – ٧٦.
الهذلي مريم عابد، "معاير القبول والرفض النسبية في كتاب سيبويه"، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: كلية اللغة العربية (١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م): ١ – ٢٢٩.

ثالثا- المجلات العلمية

حسين سناء على، "مظاهر التعليل في كتاب سيبويه". مجلة دواة دار اللغة والأدب العربي ١٨، (٢٠١٨م): ٩٧ – ١١٧.

سعودي سعيدة عبد الله وحماني أمينة محمد، "مستويات الفصاحة وتمثيلاتها في كتاب سيبويه". مجلة الممارسات اللغوية ٢، (٢٠٢٤م): ٩٥ – ١١٠.

عبد الرؤوف زكريا سلمان، "نص الاستقامة من الكلام والإحالة لسيبويه وتطبيقاته لدى البلاغيين". مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ٢٨، (٢٠١٩م): ٥٩ – ٦٩.

علي حافظ علوي والفقراء سيف الدين عبد الله، "البنى الصرفية والنحوية الموسومة بحكم الجيد عند سيبويه". مجلة الآداب، جامعة بغداد ١٤٩، (٢٠٢٤م): ١ – ٢٤.

العمري فاطمة عبد الرحمن وعبد الله مجدي إبراهيم، "مبادئ تأصيل السماع في كتاب سيبويه". مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ٣، (٢٠١٨م):١١٤ – ١٣١.

المالكي محمد عبد الله، "الحكم النحوي الحسن عند سيبويه: مفهومه وأسبابه"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٧٠، (١٤٤٥هـ): ١٩ – ٧٦.

مولود هيد الله، "رسالة كتاب سيبويه وامتداداتها النقدية والبلاغية". مجلة الخطاب ٢، (٢٠١٩):١١ – ٣٦.

Bibliography

Al-Qurʾān al-Karīm

The Scientific books

Al-Istirābādhī, Muḥammad al-Ḥasan al-Raḍī. *"Sharḥ Shāfiyat Ibn al-Ḥājib."* Investigated by Muḥammad Muḥyī et al. (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1975)

Bāshā, Aḥmad Taymūr. *"Al-Samāʿ wa al-Qiyās."* (1st edition. Cairo: Dār al-Āfāq al-ʿArabiyyah, 2001)

Al-Bakkāʾ, Muḥammad Kāẓim. *"Manhaj Kitāb Sībawayh fī al-Taqwīm al-Naḥwī."* (1st edition. Baghdad: Dār al-Shuʾūn al-Thaqāfiyyah al-ʿĀmmah, 1989**)**

Al-Jāḥiẓ, ʿAmr ibn Baḥr. *"Al-Ḥayawān."* Investigated by ʿAbd al-Salām Hārūn. (1st edition. Cairo: Maktabat al-Khānijī, 1938)

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʿUthmān. *"Al-Khaṣāʾiṣ."* (4th edition. Cairo: Al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil Kutub**)**

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʿUthmān. *"Sirr Ṣināʿat al-Iʿrāb."* Investigated by Ḥasan Hindāwī. (Damascus: Dār al-Qalam, 1985).

Al-Ḥamlāwī, Aḥmad ibn Muḥammad. *"Shadhā al-ʿArf fī Fann al-Ṣarf."* Investigated by Naṣr Allāh ʿAbd al- Raḥmān. (Riyadh: Maktabat al-Rushd)

Al-Zabīdī, Muḥammad ʿAbd al-Razzāq. *"Tāj al-ʿArūs min Jawāhir al-Qāmūs."* Investigated by a group of scholars. (Dār al-Hidāyah).

Al-Zabīdī, Muḥammad ʿAbd al-Razzāq. *"Al-Qāmūs al-Muḥīṭ."* Investigated by Maktab Taḥqīq al-Turāth Muʾassasat al-Risālah. (8th edition. Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 2005).

Salmān, Zakariyyā. *"Naṣṣ al-Istiqāmah min al-Kalām wa al-Iḥālah li-Sībawayh wa Taṭbīqātuhā ladā al-Balāghiyyīn."*

Sībawayh, ʿAmr ibn ʿUthmān. *"Al-Kitāb."* Investigated by ʿAbd al-Salām Hārūn. (Cairo: Maktabat al- Khānijī, 1988**)**

Al-Sīrāfī, Abū Saʿīd al-Ḥasan. *"Sharḥ Kitāb Sībawayh."* Investigated by Aḥmad Ḥasan Mahdalī and ʿAlī Sayyid. (1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2008).

Ibn ʿAṣfūr, ʿAlī ibn Muʾmin. *"Al-Mumtiʿ al-Kabīr fī al-Taṣrīf."* (1st edition. Lebanon: Maktabat Lubnān 1996).

Ibn Fāris, Aḥmad al-Qazwīnī. *"Maʿjam Maqāyīs al-Lughah."* Investigated by ʿAbd al-Salām Hārūn. (Beirut: Dār al-Fikr, 1979).

Al-Fayrūz Ābādī, Majd al-Dīn Abū Ṭāhir. *"Al-Qāmūs al-Muḥīṭ."* Investigated by Maktab Taḥqīq al-Turāth, Muʾassasat al-Risālah. (8th edition. Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 2005**)**

Al-Qaysī, Makkī ibn Mukhtār. *"Kitāb al-Riʿāyah li-Tajwīd al-Qirāʾah*

wa Taḥqīq Lafẓ al-Tilāwah." Investigated by Aḥmad Ḥasan Farḥāt. (Jordan: Dār ʿAmmār, 1984).

Ibn Manẓūr, Muḥammad Jamāl al-Dīn. *"Lisān al-ʿArab."* (3rd edition. Beirut: Dār Ṣādir, 1994).

Ibn Yaʿīsh, Yaʿīsh ʿAlī. *"Sharḥ al-Mufaṣṣal li-l-Zamakhsharī."* Introduction by Imīl Yaʿqūb. (1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2001).

Scientific Theses

Abdul-Munʿim, Muhammad Ali. "Taʿleel Al-Ḥukm Al-Ṣarfi fi Kitab Sibawayh." *PhD Dissertation, Al-Azhar University* (in Arabic), Faculty of Arabic Language, Egypt (2008): 19–76.

Al-Hudhli, Maryam Abid. "Maʿāyīr Al-Qabūl wa Al-Radd Al-*Nisbiyyah* fi Kitab Sibawayh." *PhD Dissertation, Umm Al-Qura University* (in Arabic), Faculty of Arabic Language, Makkah Al-Mukarramah.

Scientific Journals

Hussein, Sanaa Ali. "Mazahir Al-Taʿleel fi Kitab Sibawayh." Dawat *Journal, Dar Al-Lughah wa Al-Adab Al-ʿArabi* (in Arabic) 18, (2018): 97–117.

Saoudi, Saʿidah Abdullah and Hammani, Amina Muhammad. "Mustawayat Al-Faṣāḥah wa Tamthīlātuhā fi Kitab Sibawayh." *Al-Mumārāsāt Al-Lughawiyyah Journal* (in Arabic) 2, (2024): 95–110.

Abdul-Raouf, Zakariyya Salman. "Naṣṣ Al-Istiqaamah min Al-Kalam wa Al-Iḥālah li-Sibawayh wa Taṭbīqātuhā ladā Al-Balāghiyyīn." *Jil Journal for Literary and Intellectual Studies* (in Arabic) 28, (2019): 59–69.

Ali, Hafidh Alawi and Al-Fuqaraʾ, Saifuddin Abdullah. "Al-Buna Al-Ṣarfiyyah wa Al-Naḥwiyyah Al-Mawsūmah bi-Ḥukm Al-Jayyid ʿinda Sibawayh." *Al-Adab Journal, University of Baghdad* (in Arabic) 149, (2024): 1–24.

Al-ʿUmari, Fatimah Abdulrahman and Abdullah, Majdi Ibrahim. "Mabādiʾ Taʾṣīl Al-Samāʿ fi Kitab Sibawayh." *Journal of Linguistic and Literary Studies* (in Arabic) 3, (2018): 114–131.

Al-Maliki, Muhammad Abdullah. "Al-Ḥukm Al-Naḥwi Al-Ḥasan ʿinda Sibawayh: Mafhūmuhu wa Asbābuhu." *Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University* (in Arabic) 70, (1445 AH): 19–*76*.

Mouloud, Hayd Allah. "Risālat Kitab Sibawayh wa *Imtidadātuhā* Al-Naqdiyyah wa Al-Balāghiyyah." *Al-Khitab Journal* (in Arabic) 2, (2019): 11–3.

بين العكبريّ وابن هشام في إعراب القرآن
دراسة في حواشي ابن هشام على التبيان

Between al-ʿUkbarī and Ibn Hishām in the Syntactic Parsing of the Qur’an: A Study of ibn Hishām’s Footnotes on al-Tibyān

د. سلطانة بنت محمد بن مشبب آل صالح الشهراني

الأستاذ المشارك بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: smmshbab@kku.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
29/09/2025		03/01/2026

نشر البحث
A Research Publication

شوال ١٤٤٧هـ = April 2026

DOI:10.36046/2356-000-019-002

الملخص

عنوان البحث: بين العكبريّ وابن هشام في إعراب القرآن؛ دراسة في حواشي ابن هشام على التبيان.

وتبرز أهمية الموضوع في كونه رصدًا لمعالجة علمية ذات بُعْد تطبيقي على آيات الذكر الحكيم على يدي نخبة من نحاة العربية، ويهدف إلى جمع مواضع من الخلاف بين العكبري وابن هشام رحمهما الله مع دراستها تصنيفًا وتحليلاً ونقاشًا، مع الوقوف على أهم ملامح منهج ابن هشام.

ومن أبرز النتائج: الكشف عن تأثير كتب إعراب القرآن في إثراء الدرس النحوي وتطويره، مع الوقوف على أهم ملامح منهج ابن هشام في الخلاف النحوي، وبيان استقلال شخصيته العلمية وأسلوبه الموضوعي، ثمّ وضع آراء الرجلين وتوجيهاتهما النحوية في الميزان.

الكلمات المفتاحية: حواشي ابن هشام، الخلاف النحويّ، إعراب القرآن، التبيان للعكبري.

Abstract

Research Title: Between al-ʿUkbarī and Ibn Hishām in the Syntactic Parsing of the Qur'an: A Study of Ibn Hishām's Footnotes on al-Tibyān.

The importance of this study lies in its documentation of a scholarly endeavor with an applied dimension on the verses of the Noble Qur'an, undertaken by a select group of Arabic grammarians. The research aims to collect instances of disagreement between al-ʿUkbarī and Ibn Hishām (may Allah have mercy upon both), to study these instances through classification, analysis, and discussion, and to identify the principal features of Ibn Hishām's approach to syntactic disagreement.

The study employs a descriptive method to analyze the issues considering the research objectives.

The main findings reveal the impact of works on Qur'anic Syntactic Parsing to the enrichment and development of Arabic syntactic studies, the delineation of the major features of Ibn Hishām's methodology in addressing syntactic disputes, the affirmation of his scholarly independence and objective style, and a critical assessment of the syntactical opinions and interpretations of both scholars.

Keywords: Ibn Hishām's Ḥawāshī, syntactic disagreement, Qur'anic syntactic parsing, al-Tibyān by al-ʿUkbarī.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، الذي رفع مقام العلم وأهله، وأنعم عليهم بسوابغ نعمه، والصلاة والسلام على من خُصّ بجوامع الكلم ومكارم الأخلاق، وعلى آلة وأصحابه أعلام الهدى، ومن سار على نهجه وبه اقتدى.

الحمد لله الذي هيأ لي دراسة هذا الموضوع، وعنوانه: (بين العكبريّ وابن هشام في إعراب القرآن؛ دراسة في حواشي ابن هشام على التبيان)؛ ذلك أن الوقوف على المعالجات العلمية التطبيقية لآيات الذكر الحكيم من أولويات البحث العلمي في الدرس اللغويّ.

بدأ بنيان النحو العربي وتطور حتى اكتمل كسائر العلوم والمعارف وفق قانون التطور والارتقاء، وقد تجلتْ مرحلة التطور في نحونا العربي في مسارين منسجمين متكاملين؛ أولهما نظري وهو مسار التقعيد، وأثمر عن وضع قواعد النحو العربي كاملةً، وثانيهما تطبيقي عُني بمعالجة الشواهد القرآنية وغيرها معالجة علمية، وأثمر عن تأسيس مكتبة زاخرة في الدراسات القرآنية النحوية تمثلها كتب إعراب القرآن الكريم التي وَجدتْ في القرآن الكريم بغيتها كأفصح نصّ عربيّ على الإطلاق! فانكبّ مؤلفوها عليه إعرابًا ومعالجة صرفية، وتحليلاً نحويًّا ولغويًّا، ودراسةً لأساليبه، وبحثًا في ألفاظه ومعانيه، ...الخ،

وامتد هذا المسار من القرن الثالث الهجري حتى يومنا هذا، على يدي نخبة من علماء العربية. والبحث محاولة أزعم أنها جادة للوقوف على حقيقة هذه الدراسات العلمية المتراكمة عبر حقب زمنية متتالية، وهل كان لها أثرٌ في إثراء الدرس النحوي العربي وتطويره؟ أم أنها مجرد عملية جمع يقوم بها اللاحق منهم عن السابق؟ عن طريق تناول إحدى هذه الدراسات بالبحث والدراسة، مع محاولة الوقوف على إجابة لهذه الأسئلة:

ماهي المواضع التي خالف فيها ابنُ هشام العكبريَّ رحمهما الله؟ وأيهما كان رأيه أكثر قبولاً عند النحاة؟ هل كان ابن هشام تابعًا لشخصية أو مدرسة نحوية بعينها؟ ماذا عن منهجه في الخلاف؟ بمن تأثر ابنُ هشام من النحاة في إعرابه واختياراته؟ ما أدلته التي احتج بها؟

أهمية الموضوع: شرف الموضوع؛ أعني إعراب القرآن الكريم الذي هو مصدر الاحتجاج اللغويّ الأول.

وأهمية الكتاب الذي هو محور الدراسة؛ أهميته في ذاته، وأهميته من حيث حداثة انضمامه للمكتبة العربية؛ حيث ظل حبيس المكتبات حتى وقتنا هذا، ثمّ وجد طريقه إلى التحقيق والطباعة لأول مرة عام ١٤٤٤هـ -٢٠٢٢[(١)]، كما لا تتوافر منه نسخة إلكترونية –فيما أعلم– حتى تاريخ إعداد هذا البحث.

أهداف البحث: – جمع مواضع من الخلاف بين أبي البقاء العكبريّ (ت٦١٦هـ) وابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) رحمهما الله في إعراب القرآن الكريم.

- دراسة مواضع الخلاف تصنيفًا وتحليلاً ونقاشًا.
- وضع آراء العكبري وابن هشام رحمهما الله في ميزان التحليل والتقييم.
- الكشف عن منهج ابن هشام في مخالفة العكبريّ رحمهما الله.

حدوده: البحث دراسة وصفية لمواضع مختارة من الخلاف بين العكبري وابن هشام رحمهما الله في ضوء كتاب "حواشي ابن هشام الأنصاريّ على التبيان لأبي البقاء

(١) الكتاب مجلدٌ واحد يقع في ٤١٩صفحة، ومن الجدير بالذكر ههنا أن الكتاب جاء خلوًا من أربع سور من القرآن هي آل عمران والنساء والمائدة والأنعام، فجاءت سورة الأعراف تاليةً لسورة البقرة.

العكبريّ"

وتتمثل **المعالجة العلمية** في: انتقاء عدد من مواضع الخلاف بينهما، على نحو يسهم في تحقيق أهداف البحث، وتصنيفها، وبيان تفسيرها، وإبراز الخلاف بينهما، بنقل كلامهما نصًّا والتصرف في المواضع التي يحسن حذف بعض الكلام فيها اختصارًا، مع الوقوف على آراء معربي القرآن السابقين لهما واللاحقين، ووضع ما ورد من الأقوال والآراء في ميزان النقاش والتحليل.

الدراسات السابقة:

ثمّ دراسة تناولت اعتراض ابن هشام على العكبري، عنوانها: اعتراضات ابن هشام (٧٦١هـ) النحوية على العكبريّ(٦١٦هـ) في حواشيه على التبيان (مسائل مختارة)، أعدتها: شيماء علي طاهر، ونُشرت في مجلة مداد الآداب، بالجامعة العراقية، مجلد (١٤) العدد (٣٧)، (٢٠٢٤م): (١١٢-٨٥).

ومع أنّ كتاب الحواشي هو ميدان هذه الدراسة أيضًا إلا أنها مختلفة عما نحن فيه هدفًا وتصنيفًا ومن ثمَّ مسائل، حيث اختلفت مسائل الدراسة في البحثين اختلافا كاملاً، فقد جاء البحث في مطلبين:

الأول (الاعتراض النحوي عرضًا وتفصيلاً) والثاني: (مسائل مختارة) درستْ الباحثة فيه:

١- الاعتراض في الأسماء؛ تناولت فيه: أ- بيان مسوغ الابتداء بالنكرة، ب- إعراب (ما). ج- إعراب (أولئك).

٢- الاعتراض في الأفعال؛ تناولت فيه: دلالة الفعل (اتخذتم)

٣- الاعتراض في الحروف؛ تناولت فيه: أ- (لمّا) اسم أم حرف؟ ب-اختلاف

معاني (مِنْ) الجارة.

منهج البحث: المنهج الوصفي القائم على التحليل والنقاش والتقويم كلما أمكن.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث تقفوها خاتمة وثبتٌ بالمصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: تتناول أهمية الموضوع، وأهدافه، ومشكلته، ومنهجه...الخ

المبحث الأول: الخلاف في وجوه الإعراب.

المبحث الثاني: الخلاف في الحروف والأدوات.

المبحث الثالث: الخلاف في الحذف والتقدير.

فإنْ أصبتُ فتوفيقٌ من الله تعالى، وإنْ أخطأتُ فمن نفسي والشيطان، واللهَ أسأل التوفيق والسداد وأن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم.

المبحث الأول: الخلاف في وجوه الإعراب

١– بين المبتدأ والخبر:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ يس: ٣٧

معنى (آية)[١] ههنا دليل، أي: ودليل لهم على قدرة الله تعالى على فعل ما يشاء الليل ننزع منه النهار.

العكبري: **"{وآية لهم} مبتدأ و{لهم} الخبر"**[٢]

ابن هشام: **"لو كان كذا لقُدِم الخبر، والذي يظهر أنّ {آية} خبر، بدليل {وآية لهم أنّا حملنا}يس٤١"**[٣]

التحليل:

انحصر الخلاف كما ترى في هذا الموضع (آية) في وجهين متقاربين من باب واحد؛ هو الابتداء؛ فالعكبري على أنّه مبتدأ، موافقًا أبا جعفر النحاس[٤] (ت٣٣٨هـ)

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تفسير القرآن". تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م): ٦/٢٧٦.

(٢) انظر: العكبري، عبد الله بن أحمد، "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق: علي محمد البجادي، (القاهرة: طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م)، ٢:١٠٨٢.

(٣) انظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، "حواشي ابن هشام الأنصاري على التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري". تحقيق: إسماعيل أحمد حامد، (ط١، القاهرة: المكتبة العمرية، ١٤٤٤هـ)، ٢٨٧.

(٤) انظر: النحاس، أحمد بن محمد، "إعراب القرآن". اعتنى به خالد العلي، (ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م)، ٨٢٠.

والزمخشري[١] (ت ٥٣٨هـ) ، وابن هشام على الخبرية، ووافقه أبو حيان الأندلسي[٢] (ت٧٥٤هـ) وجلّ النحاة على هذا الوجه ومنهم السمين الحلبي[٣] (ت٧٥٦هـ) رحمهم الله جميعًا.

العكبريّ وصاحباه على أنّ (آية) مبتدأ و(لهم) خبره، و(الليل) مبتدأ، وجملة (نسلخ) الخبر، وهي تفسير للآية.

ابن هشام وصاحبه على أنّ (آية) خبر مقدم، و(الليل) مبتدأ مؤخر، و(لهم) متعلق بـ(آية)، والتقدير: والليلُ المنسلخ منه النهار آيةٌ لهم. وجملة (نسلخ) استئنافية؛ بيان لكون الليل يُسلخ منه النهار، أو حال؛ العامل فيهاّ (آية) بما فيها من معنى الإعلام، والتقدير: والليل آيةٌ منسلخًا منه النهار، كقولهم: قائمًا زيدٌ مسرعًا، أو صفة لـ(الليل).

كلا الوجهين – مع جوازهما ووردهما في كلام العرب– خلاف الأصل، فالقول الأول على تنكير المبتدأ، والثاني على تقديم الخبر على المبتدأ، أمّا من جهة المعنى فالثاني أقرب وأوفق.

يغلب على ظني أنّ القول الثاني هو الأقرب؛ فالمعنى متسق مع هذا الوجه كما ترى، كما يدعمه الدليل النقلي الذي ساقه ابن هشام؛ أعني قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ

(١) انظر الزمخشري، محمود بن عمر "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". تحقيق: خليل مأمون شيحا، (ط٣، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٩م)، ٨٩٤:٢٣.

(٢) انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، "البحر المحيط في التفسير". (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز)، ٦٤:٩.

(٣) انظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، "الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق: أحمد الخراط، (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٠٦هـ)، ٢٦٩:٩.

﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ يس:٤١ف (آية) خبر مقدم، و(أنا حملنا) مبتدأ مؤخر، أمّا ما ذهب إليه العكبريّ فبعيد صناعةً من جهة الابتداء بالنكرة دونما مسوغ.

٢– بين الخبر والعطف:

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة: ٧٩

معنى يسخرون منهم: ينتقصونهم، أي[١]: الذين يطعنون على المتصدقين بأموالهم على المساكين بقولهم: إنما تصدقوا رياءً وسمعةً، ولقد كان الله غنيًا عن صدقة هؤلاء، لهم عند الله عذاب موجعٌ يوم القيامة.

العكبريّ: "**وخبر الأول على هذه الوجوه فيه وجهان: أحدهما: {فيسخرون} والثاني أن الخبر {سخر الله منهم}**"[٢]. **ابن هشام: "وأمّا {فيسخرون} فالحق أنه معطوف على {يلمزون} وليس بخبر**"[٣].

التحليل:

وقع الخلاف في هذا الموضع في بابين مختلفين هما: الابتداء والتوابع، وقد انفرد العكبريّ برأيه، إذ ذهب إلى أنّ (يسخرون) خبر المبتدأ (الذين يلمزون)، وذهب الباقون إلى أنّ(يسخرون) معطوف على(يلمزون).

العكبريّ على أنّ خبر (الذين) فيه وجهان[٤]: أحدهما –وهو ما يعنينا– جملة

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ١٤٢:٤.

(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ٦٥٢:٢.

(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢٢٨.

(٤) والآخر: أن الخبر جملة (سخر الله منهم) وجوز على هذا المعنى نصب (الذين يلمزون) بفعل محذوف يفسره قوله تعالى(سخِر).

(فيسخرون)، ودخلت الفاء لما في الاسم الموصول (الذين) من الشّبه بالشرط، و(الذين لا يجدون) معطوف على (الذين يلمزون) أو على (المطّوعين) أو على (المؤمنين).

خالف جلُّ النحاة العكبريَّ في هذا الموضع ومنهم أبو جعفر النحاس[١]، فجملة (فيسخرون) معطوفة على (يلمزون)، وجملة (سخر الله منهم) هي الخبر؛ فالذين يلمزون ويسخرون.. سخِر الله منهم.

– ردّ ابن هشام رأي العكبريّ ونعته بالباطل وأنّ القول بالخبرية هو الحق، أمّا أبو حيان فقد استبعد قول العكبريّ من جهة المعنى[٢]؛ إذ يترتب عليه أن يكون الخبر كأنه مفهوم من المبتدأ؛ أي: الذين يلمزون المؤمنين يسخرون منهم، ألا ترى أنّ من عاب أحدًا أو غمزه فهو ساخرٌ منه، فهو نظير قولهم: سيد الجارية مالكها، وهو لا يجوز.

والذي أرى وجاهته هو رأي ابن هشام ومن معه؛ لسلامة المعنى، وانسجامه مع تفسير الآية، أمّا ما ذهب إليه العكبريّ فهو بعيد من جهة المعنى[٣]؛ لأن من عاب إنسانًا وغمزه عُلم أنه يسخر منه، فالخبر وافقه في معنى المبتدأ، والأصل أنّ الخبر هو مناط الفائدة وبمثابة الحكم على الخبر.

٣– بين المفعول والظرف:

﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ البقرة: ١٠٨

(سواء)[٤] فَعَال من (سوء)، وسواء الشيء منتصفه، ومنه سواء الجبل: ذروته،

(١) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٣٧٧.

(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"،٥:٤٦٩.

(٣) انظر: السمين، "الدر المصون"، ٦:٨٩.

(٤) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٥م)، (س و ء)

والسبيل[١]: الطريق، والمعني[٢]: ومن يستبدل بالإيمان بالله ورسوله الكفرَ بالارتداد عن دينه، فقد حادَ عن منهج الطريق الواضح المسبول.

العكبريّ: "**{سواء} ظرف**"[٣].

ابن هشام: "**الذي يظهر أنّ {سواء} مفعول به، أي: أخطأ الطريق، لا أنه ضلّ في سواء السبيل**"[٤].

الخلاف في هذا الموضع محصور في باب المنصوبات؛ فالعكبريّ أعربه ظرفًا، على أساس أنّه ظرفٌ غير مختص، وابن هشام أعربه مفعولاً، على أساس أنه اسمٌ.

التحليل:

العكبريّ على أنّ (سواء) ظرفٌ، بمعنى: وسط السبيل وأعدله، وعليه قوله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ الصافات: ٥.

ابن هشام رجّح أنّه مفعول به للفعل المتعدي (ضلّ)؛ فهو اسمٌ وليس بظرف.

ويظهر لي أنّ كثيرًا من المعربين على القول بالمفعولية، وإنْ لم يصرّحوا بها؛ يفهم هذا من توصيفهم لـ(سواء) بأنه اسمٌ؛ فالفراء (ت٢٠٧هـ) على أنّه اسمٌ معناه (قصد)[٥]، وأبو جعفر النحاس على أنّه اسمٌ[٦]؛ ولذا أعربه مبتدأً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، (س ب ي)

(٢) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ١:٣٣٩.

(٣) انظر: العكبري، "التبيان"، ١:١٠٤.

(٤) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢١٢.

(٥) انظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، "معاني القرآن". تحقيق: أحمد يوسف بجاتي، ومحمد علي النجار، (بيروت: دار السرور)، ١:٧٣.

(٦) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ١٩.

﴿كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ البقرة: ٦.

والزمخشري يُفهم من كلامه أنه مفعول(١)؛ فهو عنده اسم معناه: الاستواء، أي اسمٌ معناه المصدر، ولذا يُنعت به كما ينعت بالمصادر، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا﴾ آل عمران: ٦٤؛ فـ(سواء) كما ترى نعتٌ لـ(كلمة)، وبمثل قوله هذا قال أبو حيان(٢)، وزاد أنّه يكون بمعنى (مستوٍ) ولذا يتحمل الضمير –كالمشتق– في قولهم: مررتُ برجلٍ سواء هو والعدم.

والوجه عندي هو القول بالمفعولية، يقويه قول جلّ المعربين به، واتساقه من جهتي المعنى والصناعة؛ أعني وقوعه في المواقع النحوية المختلفة، أمّا قول العكبريّ فيضعفه أنّ الظرف قائم في الأساس على معنى (في)، ولا يستقيم هذا في التركيب محل البحث، فلا يتصور أن التقدير ضلّ في سواء السبيل، ولا أعلم أنّ (ضلّ) أُستعمل متعديًا بـ(في) في الذكر الحكيم، زدْ على هذا انفراد العكبريّ به.

٤– بين الظرف والمصدر:

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ سبأ: ٣٠.

الميعاد: الأجل، والمعنى(٣): قل يا محمد لمن يسألونك عن العذاب: (متى هذا الوعد إنْ كنتم صادقين): لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعةً للتوبة ولا تستقدمون عنه بالعذاب. ويُطلق الميعاد على الوعد، ويكون في الخير، وعلى الوعيد، ويكون في الشر غالبًا.

(١) انظر: الزمخشري، "الكشاف"، ١:٤١.

(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ١:٧٠.

(٣) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ٦:٢٢٤.

العكبريّ: "**{ميعاد يوم} هو مصدر مضاف إلى الظرف**"(١).

ابن هشام: "**جوز الزمخشري بأنّ(الميعاد) ظرف للوعيد زمان أو مكان، وأنّ المراد هنا الزمان؛ بدليل قراءة بعضهم**(٢): **ميعادٌ يومٌ بتنوينهما ورفعهما. ويردُّ قولَ أبي البقاء أنّ (مفعالاً) ليس من أوزان المصادر، واختار أبو حيان أنه اسمٌ بمعنى المصدر، وأنّ التقدير: ميعاد ميعاد يومٍ**"(٣).

التحليل:

لا أعلم خلافًا بين النحاة في أنّ(ميعاد) مبتدأ مؤخر و(لكم) خبر مقدم، على قراءة الجمهور(٤) برفع (ميعاد) وجرّ (يوم)، بيد أنّ الخلاف وقع بينهم في تصنيف هذا الموضع بين بابي الظرف والمصدر؛ فالعكبريّ على أنّ (ميعاد) مصدر مضاف إلى الظرف (يوم)، ويجوز عنده أن تعود هاء (عنه) إلى المصدر(ميعاد) أو الظرف (يوم)، وجملة (لا تستقدمون) نعت لما عاد عليه الضمير منهما.

وابن هشام على أنه ظرف زمان غير مختص مثل (يوم) و(ليلة) ونحوهما؛ موافقًا الزمخشريّ.

والزمخشريّ على أنّ(٥) الميعاد ظرفٌ للوعد من زمان أو مكان، وهو ظرف للزمان

---

(١) انظر: العكبري، "التبيان"،٢:١٠٩٦.

(٢) قراءة ابن عبلة واليزيدي بتنوينهما منصوبين، وأجاز النحاة تنوينهما مرفوعين، انظر: أبا القاسم الهذلي، يوسف بن علي، "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها". تحقيق: جمال الشايب، (ط١، الإمارات العربية المتحدة: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ٢٠٠٧م)، ص٦٢٣؛ أبو حيان، "البحر المحيط"، ٨:٥٥٠؛ الشوكاني، محمد بن علي، "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)، ٤:٣٧٦.

(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢٧٦.

(٤) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٨:٥٥٠.

(٥) انظر: الزمخشري، "الكشاف"، ٢٢:٨٧٤.

في هذا الموضع، مضاف إلى الظرف (يوم)، إضافة تبيين كما في قولهم: سحقُ ثوبٍ وبعيرُ سانيةٍ، واستدل على الظرفية الزمانية بقراءة (ميعادٌ يومٌ) [١] برفعهما منونين؛ على إبدال (يوم) من(ميعاد).

وردّ أبو حيان استدلال الزمخشري هذا بقوله[٢]: إنّه لا يتعين ما قاله، لاحتمال أنْ يكون (يوم) بدلاً على تقدير محذوف؛ أي: قل لكم ميعاد ميعاد يومٍ، فحُذف (ميعاد) الأولى وأقيمت الثانية مقامها وأُعربت إعرابها.

ردّ ابن هشام قول العكبريّ بالمصدرية بأن ميعاد (مِفْعَال) من الوعد، وهذا الوزن ليس من بين أوزان المصادر.

وفي المسألة قولٌ ثالث ذهب إليه أبو حيان، مفاده[٣]: أن (ميعاد) اسم على وزن (مفعال) أُستعمل بمعنى المصدر، أي: قل: لكم وعد يوم وتنجيزه، يؤيده عنده أنّ المعنى وفقه على التهديد مطابقٌ لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت[٤].

الفراء أشار إلى الظرفية[٥]، وأبو جعفر النحاس نقل[٦] عن النحاة تجويزهم الاسمية والظرفية في (ميعاد)، أما السمين الحلبي فقد ذكر[٧] وجهي المصدرية والإسمية، ثمّ وصف القول بالمصدرية بأنّه هو الظاهر، محتجًا بقول أبي عبيدة (ت ٢١٠هـ): الوعد والوعيد

(١) القراءة معزوة لابن أبي عبلة واليزيدي في: أبي حيان، "البحر المحيط"، ٨:٥٥١.
(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٨:٥٥٠.
(٣) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٨:٥٥٠.
(٤) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٨:٥٥١.
(٥) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ٢:٣٦٢.
(٦) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٧٩٣.
(٧) انظر: السمين، الدرّ المصون، ٩:٨٨.

والميعاد بمعنًى[١].

والظاهر أنّ القول بالظرفية الزمانية قويّ؛ لاتساقه من جهتي المعنى والصناعة، ولذا قال به جلّ المعربين، بيد أني لم أقف على ما يقطع باستعماله ظرفًا منصوبًا، أمّا القول بالدلالة على الظرفية فغير ظاهرٍ؛ بدليل أنّ الوعد والوعيد اسمان، وإنما الكلام على المعنى.

ويُضعف القول بالمصدرية ضعفه من جهة الصناعة؛ حيث إنّ (مفعالاً) ليس من بين أوزان المصادر كما سلف.

الوجه هو القول بالاسمية؛ لاتساقه معنًى وصناعةً واستعمالاً، ومن الشواهد على استعماله اسمًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ آل عمران: ٩.

٥– بين الحال والنعت:

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ الحجر: ٤.

الكتاب المعلوم هو الأجل المؤقت، والمعنى[٢]: ما أهلكنا من أهل قرية من القرى الماضية التي أهلكنا أهلها بكفرهم، إلا ولها أجل مؤقت ومدة معلومة لا نهلكهم حتى يبلغوها.

العكبريّ: **"{إلا ولها كتاب} الجملة نعت لـ {قرية} كقولك: (ما لقيت رجلاً) إلا عالمًا"**[٣]

ابن هشام: **"بل حال، وكذا جزم به النحاس وقال: يجوز سقوط الواو في غير القرآن ... وأما إذا كانت الحالية التالية لحرف الاستثناء مصدرة بفعل ماضٍ، فالواو ممتنعة، نحو {إلا كانوا به يستهزءون}** الحجر: ١١، **وسينصّ أبو البقاء في قفا**

(١) انظر: أبا عبيدة؛ معمر بن المثنى، "مجاز القرآن". تحقيق: فؤاد سزكين، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هـ)، ٢:١٤٩.

(٢) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"،٤:٤٦٨؛ وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٤:٤٦٦.

(٣) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:٧٧٧.

هذه الورقة على الحالية في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾ الحجر: ١١

ولا يذكر غيرها، فهذا عجيب"(١)

انحصر الخلاف ههنا في موضع الجملة الإسمية (ولها كتاب) بين الحال والنعت، فالعكبري على الوصفية، وابن هشام إلى الحالية مال.

التحليل:

العكبري تبع الزمخشري(٢) في إعراب هذا الموضع؛ فالجملة في موضع جرّ نعت لـ(قرية)؛ نعت تأكيد، والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف.

ابن هشام تبع أبا جعفر النحاس وأبا حيان؛ ويرون أن الواو حالية والجملة بعدها في موضع نصب حال من (قرية)؛ حال لازمة.

يظهر لي أن الزمخشريّ والعكبريّ تمسّكا ابتداءً بالقول بالوصفية استنادًا إلى دليل صناعيّ وهو: تنكير (قرية)، وقد تقرر في الدرس النحويّ أنّ الجملة الخبرية التي لم يستلزمها ما قبلها إنْ كانت مرتبطة بنكرة محضة(٣) فهي صفة لها.

ومع قوة هذا الأساس الذي بنوا عليه قولهم، فإنّ القول بالوصفية ههنا يعتوره الضعف من جهتين: **الأولى**: توسط الواو بين الصفة جملة (ولها كتاب) والموصوف (قرية)، ومعلوم أنّ الصفة والموصوف تابع ومتبوع والأصل عدم الفصل بينهما.

ولم يغب هذا الأمر عن الزمخشريّ؛ فذكر أنّه مخالف للقياس، يقول: "والقياس ألا

(١) انظر: "حواشي ابن هشام"، ٢٣٨.

(٢) انظر: الزمخشري، "الكشاف"، ١٤:٥٥٨.

(٣) انظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩١م)، ٤٩٢.

يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى":﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ الشعراء: ٢٠٨، حيث وقعت جملة (لها منذرون) في محل جرّ نعت لـ(قرية) على الأصل دون أن تفصل بينهما الواو، ثمّ علل توسط الواو ههنا بقوله: "وإنّما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف"، ونظّر لهذا بقولهم في الحال: جاءني زيدٌ عليه ثوبٌ، وعليه ثوبٌ[(١)].

وأدرك العكبريّ هذه الإشكالية، فحاول دعم ما ذهب إليه بطريقتين: أولاهما: تقديم النظير، وهو قول القائل: ما لقيتُ رجلاً إلا عالمًا، الثانية: تقديم مسوغ لوجود الواو بين الصفة والموصوف؛ وهو:١– أنّ صورة الجملة[(٢)] واحدة في الصفة والحال، يقول في أثناء معالجته لقوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ البقرة: ٢١٦، "وساغ دخول الواو؛ لما كانت صورة الجملة هنا كصورتها إذا كانت حالاً"[(٣)].

والذي يظهر لي أنّ هذه الحجج التي ساقاها لا ترقى إلى مستوى الدليل العلميّ المحكم؛ فاحتجاجهم بدخول الواو في جملة الحال ليس بشيء، لاختلاف التركيبين: تركيب النعت عن تركيب الحال، وما يسوغ في أحدهما قد لا يسوغ في الآخر، كما أنّ احتجاجهم بالنظير غير موفق؛ فهو قول مصنوع لا يمكن الركون إليه، ويضعفه احتمال أن يكون على تقدير: إلا رجل عالم، وأما تعليلهم دخول الواو لتأكيد اللصوق فعجيب! إذ كيف تؤكد الواو لصوق النعت بالمنعوت وهي حرفٌ فاصلٌ بينهما!؟

الثانية: توسط (إلا) الاستثنائية بين النعت والمنعوت؛ فقد بنوا قولهم على أساس لا يثبت، وهو جواز وقوع الصفة بعد (إلا) الاستثنائية، وهو أمر لا يدعمه نقل ولا قياس، بل المعهود في الدرس النحويّ هو: امتناع دخول الواو في جملة الحال التالية لحرف الاستثناء إذا كان فعلها ماضٍ كما في قوله تعالى:﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ

(١) انظر: الزمخشري، "الكشاف"، ١٤:٥٥٨.

(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:٧٧٧.

(٣) العكبري، "التبيان"، ١:١٧٣.

بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الحجر١١ ، وقد أعرب(١) أبو البقاء العكبريّ جملة (كانوا به يستهزئون) حالاً مقررة من الضمير المفعول في (يأتيهم).

وقد ردّه النحاة؛ لضعفه، يقول الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) منبهًا إلى قبح الاعتراض بـ(إلا) الاستثنائية بين النعت والمنعوت: لا يفصل بين الصفة والموصوف بإلا، وأمّا نحو: ما جاءني رجلٌ إلا راكب، فعلى تقدير: إلا رجل راكب، وفيه قبحٌ بجعلك الصفة كالاسم(٢).

ونصّ أبو علي الفارسيّ (ت٣٧٧هـ) على عدم صحته، يقول: "تقول: ما مررت بأحدٍ إلا قائمًا، (قائمًا) حال، ولا تقول: إلا قائمٍ؛ لأنّ(إلا) لا تعترض بين الصفة والموصوف "(٣).

وعلق ابن العلج (من نحويي القرن السابع) على ما ذهب إليه الزمخشريّ من قوله في نحو: ما مررت بأحدٍ إلا زيدٌ خيرٌ منه: إنّ الجملة صفة لـ(أحد)(٤) علق بقوله: "إنّه مذهب لم يُعرف لبصريّ ولا كوفيّ، فلا يلتفت إليه، وقال: الصواب أن الجملة في الآية والمثال حالية"(٥).

(١) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:٧٧٧.

(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٤:٤٦٦.

(٣) الفارسي؛ أبو علي الفارسي، "المسائل البصريات". تحقيق: محمد الشاطر، (القاهرة: مطبعة المدني ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ٢:٨٤١.

(٤) انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، "المفصل في علم اللغة". قدم له وراجعه: محمد عز الدين السعيدي، (ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٠م)، ٩١.

(٥) انظر قوله في: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". عناية: السيد محمد بدر الدين النعساني، (ط١، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٢هـ)، ١:٢٣٠.

وعبّر أبو حيان عن رفضه هذا القول بقوله: " وهذا الذي قاله الزمخشريّ وتبعه فيه أبو البقاء، لا نعلم أحدًا[١] قاله من النحويين"[٢].

أما السمين الحلبي فإنّه رجّح القول بالحالية، حيث قال عنه: "وهو الظاهر"[٣] ومع هذا وصف القول بالوصفية بالقوة من جهة القياس والنقل؛ فقوة القياس عنده في النواحي التالية: ١– أنّ الصفة كالحال في المعنى، وإنْ كان بينهما فروق من بعض الجهات.٢– أنّ الواو كما تدخل على جملة الحال تدخل على الواقعة صفةً. ٣– وجود النظير؛ يعني قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ الشعراء: ٢٠٨ وقوة النقل عنده متمثلة في قراءة ﴿ إِلَّا لَهَا ﴾ بإسقاط الواو[٤].

القول بالحالية قال به ورجّحه جلّ النحاة منهم أبو جعفر النحاس الذي ذكره وحده[٥] ولم يذكر الوصفية، والرضي الإستراباذي (ت٦٨٦هـ) الذي نصّ على أنّ الواو للحال؛ لأنّ صاحب الحال عام[٦].

---

(١) سبق ابنُ جني الزمخشريَ وأبا البقا في تجويز زيادة الواو في خبر (كان) تشبيهًا له بالحال؛ وعليه قولهم: كنتَ ولا مال لك، وكان زيدٌ ولا أحد يعرفه؛ كما يقولون: جاء زيدٌ وعلى يده بازٌ. انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، "سر صناعة الإعراب". تحقيق: حسن هنداوي، (ط٢، دمشق: دار القلم، ١٩٩٣م)، ٢:٦٥٠.

(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦:٤٦٦.

(٣) السمين، "الدر المصون"، ٧:١٤١.

(٤) القراءة معزوة لابن أبي عبلة في: أبي حيان، "البحر المحيط"، ٦:٤٤٦؛ والسمين، "الدر المصون"، ٧:١٤١.

(٥) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٤٨٦.

(٦) انظر: الرضي الإستراباذي، محمد بن الحسن، "شرح الرضي لكافية ابن الحاجب". تحقيق: =

ومع هذا فإنه لم يخل من إشكالٍ صناعيٍّ هو وقوع الحال من النكرة (قرية)، مع أنّ الأصل في صاحب الحال أنْ يكون معرفةً، غير أن للمجيء من النكرة مسوغات معتبرة(١).

الوجه عندي هو القول بالحالية؛ لضعف القول بالوصفية صناعةً كما مرّ؛ زدْ عليه اتساق المعنى مع القول بالحالية؛ فإن دلالة الواو على أن ما بعدها في الزمن سابقٌ لما قبلها، يتفق مع معنى أن الإهلاك لا يكون إلا بعد وجود الأجل المحدد، فهذا أنسب من القول بأن الإهلاك موصوف بوجود الأجل المحدد، يقوي هذا عندي القول الذي نسبه أبو حيان والسمين الحلبي للقاضي سعيد بن منذر ومفاده أنّ "هذه الواو هي التي تعطي أنّ الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو"(٢).

٦– بين المخصوص بالذم والبدل:

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ البقرة:

اشتروا ههنا بمعنى باعوا، والمعنى(٣): بئس الشيءُ باع اليهود به أنفسهم كفرُهم بالقرآن؛ بغيًا وحسدًا أنْ ينزل الله من فضله.

العكبريّ: "**{أنْ يكفروا} خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أنْ يكفروا، وقيل: ...في**

حسن محمد الحفظي، (ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٣م)، ٧٥١:٢:١.

(١) انظر: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، "حاشية شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار التراث العربي)، ٢٥٦:٢؛ والكلام لمحمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٤٤٦:٦؛ السمين، "الدر المصون"، ١٤٣:٧.

(٣) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٩٢:١.

موضع جرّ بدلاً من الهاء في {به}، وقيل: هو مبتدأ و(بئس) وما بعدها خبر عنه"[١]

ابن هشام: **"و"{أنْ يكفروا} على الوجوه المذكورة فيه نظر، بل يتعيَّن كونه المخصوص"**[٢]

يبدو الخلاف في هذه المسألة واسعًا، غير أنه في واقع الأمر لم يخرج عن بابين هما الابتداء والبدل، وخرج من هذين البابين ثلاثة وجوه في إعراب المصدر المؤول من (أن يكفروا).

أبو البقاء على أنّ المصدر المؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: بئسما اشتروا به أنفسهم هو أنْ يكفروا ....، ثمّ ذكر فيها وجهين آخرين ساقهما النحاة فيه؛ وهما: ١– الرفع على أنه مبتدأ مؤخر، خبره جملة (بئسما اشتروا) ٢– الجر على أنّه بدل من الهاء في (به).

أمّا ابن هشام فالمصدر المؤول عنده في محل رفع على أنّه مخصوص بالذم، على وجه التعيين.

التحليل:

ابن هشام يتفق مع أبي البقاء في وجه الرفع، ويختلف معه في وجه الجرّ؛ فهو لا يلتفت للقول بأنّ المصدر المؤول في محل جرّ بدل من الهاء في (به).

وأغلب النحاة تقبل القولين، ومنهم:

الفراء جوّز في موضع المصدر المؤول وجهين[٣]: أولهما: الجرّ على أنه بدلٌ من الهاء في (به)، كأنه قيل: اشتروا أنفسهم بالكفر، الثاني: الرفع على أنها مخصوص بالذم.

(١) انظر: العكبري، "التبيان"، ١:٩١.

(٢) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ١٩٦.

(٣) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ١:٥٦.

أبو جعفر النحاس جوّز أنه على القول بالبدليّة[١]؛ من الهاء في (به)، ولم يتعرض لوجه الرفع.

الزمخشري جوّز أنّه مخصوص بالذم[٢]، و(ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل (بئس) أي: بئس شيئًا اشتروا به أنفسهم أنْ يكفروا...

أبو حيان على أنّه مخصوص بالذم في محل رفع[٣]، وذكر الوجهين المحتملين فيه؛ وهما: أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ مؤخر خبره جملة (بئسما).

المنهج العلمي ههنا يقتضي الوقوف على توصيف التركيب السابق لجملة (أن يكفروا)؛ لأن الخلاف فيها منشؤه الخلاف في إعراب (بئسما اشتروا) أعني التوصيف النحوي لـ(ما) الداخلة على فعل الذمّ (بئس) وجملة (اشتروا)، ومما يجدر ذكره هنا أن وجوه إعراب جملة (اشتروا) مترتبة أيضًا على اختلافهم في إعراب (ما)[٤]؛ وذلك على النحو التالي:

(١) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ١:٥٤.

(٢) انظر الزمخشري، "الكشاف"، ١:٨٦.

(٣) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ١:٤٨٩.

(٤) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م)، ١:٤٧٦؛ والفراء، "معاني القرآن"، ١:٥٦؛ والأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، "معاني القرآن". تحقيق: عبد الأمير محمد، (ط٥، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ١:٣٢٢؛ وأبو حيان، "البحر المحيط"، ١:٤٨٩؛ والسمين، "الدر المصون"، ١:٥٠٨.

	وجوه إعراب (ما)	الوجوه الواردة في جملة (اشتروا)	التقدير
١	(ما) نكرة موصوفة مبنية في محل نصب على التمييز وفاعل (بئس) ضمير مستتر تقديره (هو) مفسر بـ(ما)	في موضع نصب نعت لـ(ما)	بئس هو شيئًا اشتروا به أنفسهم
٢		في موضع رفع نعت للمخصوص بالذم المحذوف (شيءٌ)	بئس شيئًا شيءٌ اشتروا به أنفسهم
٣	(ما) معرفة ناقصة بمعنى (الذي)	صلة الموصول (ما) لا محل لها من الإعراب	بئس الذي اشتروا به أنفسهم
٤	(ما) معرفة تامة في محل رفع فاعل	في موضع رفع نعت لـ(ما)	بئس الشيء شيء اشتروا به أنفسهم

وبناءً على تعدد وجوه إعراب جملة (اشتروا)، كان الخلاف في إعراب جملة (أن يكفروا)؛ على النحو التالي:

	توجيه جملة اشتروا	توجيه جملة (أن يكفروا)	التقدير
١	في موضع نصب نعت لـ(ما)	مخصوص بالذّم/مبتدأ	بئس هو شيئًا اشتروا به أنفسهم كفرُهم
٢	في موضع رفع نعت للمخصوص بالذم المحذوف (شيءٌ)	بدل من المخصوص بالذم المحذوف أو خبر مبتدأ محذوف	بئس شيئًا شيءٌ اشتروا به أنفسهم كفرُهم بئس شيئًا شيءٌ اشتروا به أنفسهم هو أنْ يكفروا
٣	صلة الموصول (ما) لا محل لها من الإعراب	مخصوص بالذّم/خبر مبتدأ محذوف	بئس الذي اشتروا به أنفسهم هو أنْ يكفروا
٤	في موضع رفع نعت لـ(ما)	الجرّ على أنه بدلٌ من الهاء في (به)	بئس الشيء شيء اشتروا به أنفسهم كفرُهم

ومع أنّ الوجهين سائغان معنًى وصناعةً، فإنّ الوجه عندي هو الجرّ على البدلية لحمله كلام المولى تبارك وتعالى على الظاهر دون تكلف القول بالحذف والتقدير، أو التقديم والتأخير.

٧– بين العطف والاستئناف:

﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ

﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة: ٣٣

المعنى[١]: أعلمُ –مع علمي غيب السموات والأرض– ما تظهرونه بألسنتكم وما كنتم تخفونه في أنفسكم؛ فلا يخفى عليّ شيءٌ من سرائركم وعلانيتكم.

العكبريّ: **"{وأعلم ما تبدون} مستأنف"**[٢]

ابن هشام: **"ويجوز أنْ لا تكون مستأنفة، ولا محكية في موضع نصب، بل معطوفة على خبر (إنَّ)، فتكون في موضع رفع"**[٣]

الخلاف هنا مجاله محل جملة (وأعلم ما تبدون) على قولين: أحدهما: أنّ لها موضع من الإعراب؟ والآخر: أنها مستأنفة فلا موضع لها، وهذا من الناحية الصناعية مترتبٌ على نوع الواو؛ فإن كانت عاطفة فالأول، وإنْ كانت استئنافية فالثاني.

التحليل:

العكبريّ على أنّ الجملة مستأنفة؛ فالواو استئنافية، والجملة لا موضع لها من الإعراب، وجوّز أن تكون محكيةً فتكون في محل نصب.

ابن هشام ذهب إلى أنّه يجوز ألا تكون مستأنفة ولا محكية؛ بل هي معطوفة على (إنّ) وهو (أعلم غيب السماوات والأرض)؛ فهي في محل نصب والواو عاطفة.

وبالعطف أيضًا قال أبو جعفر النحاس[٤]، وأبو حيان الأندلسيّ[٥]، ورجحه السمين الحلبي[٦] (ت٧٥٦هـ)، ويبدو العكبريّ منفردًا بالقول بالاستئناف.

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"،١:١٧١.

(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ١:٥٠.

(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ١٢٨.

(٤) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٣٤.

(٥) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ١:٢٤٣.

(٦) انظر السمين، "الدر المصون"، ١:٢٧٠.

المنهج العلمي هنا يقتضي تبيّن الفرق بين أسلوبي العطف والاستئناف؛ فالواو العاطفة تشرك ما بعدها في حكم ما قبلها معنًى وإعرابًا، وأما الواو الاستئنافية فتقطع ما بعدها عن حكم ما قبلها إعرابًا ومعنًى، ومن شواهدها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ الأنعام:٢؛ فـ(أجلاً) منصوبةً قبلها و(أجلٌ) مرفوعةً بعدها.

والذي يظهر لي أن الاستئناف يحسن حيث أريدت المغايرة؛ مغايرة ما بعدها لما قبلها حكمًا كما في آية الأنعام، وأمّا العاطفة فتكون حيث أريد تبعية ما بعدها لحكم ما قبلها؛ وعليه فإن الوجه عندي هو ما ذهب إليه ابن هشام ومَن معه، يؤيده عندي قول الطبري السالف الذكر في تفسير الآية: أعلم –مع علمي غيب السماوات والأرض– ما تظهرونه.. الخ، واتحاد الفعل وهو (أعلم) في جملتي العطف.

٨– بين النعت وعطف البيان:

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ النمل:٧

الشهاب: الشعلة، والقبس: النار المقبوسة، والمعنى[١] يدور حول قول موسى عليه السلام لأهله وهو في مسيره من مدين لمصر، وكان الطريق قد اشتبه عليه مع شدة البرد: إني أبصرت نارًا، فامكثوا مكانكم، سآتيكم بخبر من موقد النار يدلنا على الطريق، أو أستصحب من النار ما تدفؤون به.

العكبريّ: "**{بشهابٍ قبسٍ} الإضافة من باب (ثوب خزٍّ)؛ لأنّ الشهاب نوع من القبس، أي: المقبوس، والتنوين على الصفة**"[٢]. ابن هشام: "**قوله: "على**

(١) انظر: الطبري، " تفسير الطبري"، ٥:٥٤٧؛ وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٨:٢١٠.

(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:١٠٠٤.

الصفة": بقي عليه: أو عطف البيان، وهو الظاهر "[١]

التحليل:

ثمة قراءتان سبعيتان في قوله عزّ من قائل (شهاب قبس) إحداهما: (شهابٍ قبسٍ)[٢] بجرهما مع التنوين–وهي القراءة المعنية هنا– والأخرى: (شهابِ قبسٍ)[٣] بجر الأول دون تنوين والثانية مع التنوين على الإضافة.

اختلف في التوصيف النحوي لـ(شهابٍ قبسٍ) على القراءة الأولى على ثلاثة أجه هي: ١– البدل٢–النعت٣–عطف البيان؛ هذا مع وحدة الباب النحوي وهو باب التوابع، ووحدة الحكم الإعرابي وهو الجرّ.

العكبريّ على أن (قبس) نعت لـ(شهاب)؛ والقبس بمعنى مقبوس، فهي (فَعَل) بمعنى (مفعول)، أي: شعلة مقبوسة، ونظيره: القَبض بمعنى مقبوض، والنّقض بمعنى منقوض.

وابن هشام الظاهر عنده أنّ (قبس) عطف بيان من (شهاب).

وجوز الأخفش البدلية مع التنوين[٤]، والإضافة مع عدمه، ووصف الوجهين

(١) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢٧١.

(٢) القراءة معزوة لعاصم وحمزة والكسائي في ابن مجاهد؛ أبو بكر أحمد بن موسى، "السبعة في القراءات"، ت: شوقي ضيف، (ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م)، ٤٧٨؛ ولعاصم والأعمش في: الفراء، "معاني القرآن"، ٢٨٦:٢؛ ولعامة قراء المدينة والبصرة في الطبري، "تفسير الطبري"، ٤٥٧:٥؛ وللكوفيين في: الثعلبي؛ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، "الكشف والبيان في تفسير القرآن. تحقيق: سيد كسروي حسن، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م)، ١٥٤:٢؛ وأبي حيان، "البحر المحيط"، ٢١٠:٨.

(٣) القراءة معزوة لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر في ابن مجاهد، "السبعة"، ٤٧٨؛ والنحاس، "إعراب القرآن"، ٦٩٢، وأبي حيان، "البحر المحيط"، ٢١٠:٨.

(٤) انظر: الأخفش، "معاني القرآن"، ٦٤٧:٢.

بالحسن.

أبو جعفر النحاس على أنّ (قبس) بدلٌ من (شهاب)[١]، وجوّز الزمخشري البدلية والنعت[٢]، وكذلك فعل أبو حيان[٣].

الوجه عندي هو ما ذهب إليه العكبريّ رحمه الله، ومع اتساق الوجوه الثلاثة من حيث المعنى، أرى أنّ القول بالنعت أوفقها صناعةً؛ من حيث مجيء النعت على الأصل فهو مشتق أو مؤول بمشتق، بخلاف عطف البيان فإنّ الأصل فيه الجمود كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ﴾ المائدة: ٩٥، يؤيد هذا عندي استعماله نعتًا على وزن (مفعول) في كلام العرب؛ ومنه قول الشاعر:

وقد أضاء سهيلٌ بعدما هجعوا كأنه ضرمٌ بالكفِّ مقبوسُ[٤]

(١) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٦٩٢.

(٢) انظر الزمخشري، "الكشاف"، ١٩:٧٧٦.

(٣) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٨:٢١٠.

(٤) البيت للمتلمس في الشنقيطي، محمد محمود، "ديوان الهذليين". (مصر: الدار القومية للطباعة، ١٩٦٥م)، ١:١٢٩؛ وأبي زيد، محمد بن الخطاب القرشي، "جمهرة أشعار العرب". تحقيق: علي محمد البجادي، (مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٧م)، ٤٤٥، وابن قتيبة؛ أبي مسلم عبد الله بن محمد، "غريب الحديث"، تحقيق: عبد الله الجبوري، (ط١، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ)، ٢:٦٣٥.

المبحث الثاني: الخلاف في الحروف والأدوات

١– (أنْ) بين الإعمال والإهمال:

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنَّنِيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ هود: ٢٦

المعنى(١): أنّ القرآن الكريم كتابٌ أحكم الله آياته من الخلل والباطل والدجل، ثمّ فصلها بتمييز الحقّ عن الباطل، وهو حكيم بتدبير الأمور خبيرٌ بما تؤول إليه عواقبها؛ فصلها بأنْ لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له وتخلعوا الآلهة والأنداد.

العكبريّ: "**في (أنْ) ثلاثة أوجه: أحدها: هي المخففة من الثقيلة، والثاني: أنها الناصبة للفعل؛ وعلى الوجهين موضعها الرفع**"(٢)

ابن هشام: "**في الوجه الأول نظرٌ؛ لأنَّ (لا) حينئذ ناهية والفعل مجزوم، فيلزم وقوع الجملة الطلبية خبرًا عن اسم (أنْ) وعن ضمير الشأن، وهما ممتنعان. لا يخبر عن ضمير الشأن إلا بجملة خبرية، ولا عن (أنّ) وأخواتها بجملة إلا وهي خبرية**"(٣)

دار الخلاف في هذا الموضع حول (أنْ) بين الإعمال والإهمال، فهذان خطان نتج عن الخلاف فيها ثلاثة أوجه إعرابية؛ يمكن بيانها على النحو التالي:

١– الإعمال ويتضمن وجهًا واحدًا من الإعراب وهو أن تكون (أنْ) هي المصدرية الناصبة للمضارع.

٢– الإهمال: يتضمن وجهين من الإعراب أولهما: أنها مخففةً من الثقيلة؛ فلا تعمل عند البصريين، وتعمل عند الكوفيين في الجملة الإسمية، وثانيهما: أنها مفسرة لا عمل لها.

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ٤:٢٥٣.

(٢) انظر: "التبيان"، ٢:٦٨٨.

(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢٣١.

ومن الجدير بالذكر ههنا أن ثمة قولاً رابعاً في إعراب (أنْ) ومدخولها وهو الرفع على البدلية من لفظ (آيات)[١]، وقد ضعفه أبو حيان، وقال إنّ من ذهب إليه بمعزل عن علم القرآن.

التحليل:

جوّز العكبريّ فيها الأوجه الثلاثة السالفة الذكر؛ وأحدها أن تكون مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، وخبرها جملة (لا تعبدوا) والثاني أن تكون المصدرية الناصبة للمضارع (تعبدوا)، وأجاز في المصدر المؤول من (أنْ) وما دخلت عليه — في هذين الوجهين– ثلاثة أجه إعرابية: ١–الرفع على الخبرية لمبتدأ محذوف والتقدير: هي أنْ لا تعبدوا إلا الله، ٢– النصب على نزع الخافض، ٣– الجرّ بالباء والتقدير: بأنْ لا تعبدوا إلا الله، و(لا) ناهية، الثالث أن تكون تفسيرية، والمصدر المؤول لا محل له من الإعراب، و(لا) نافية.

ابن هشام يفهم من كلامه تجويز وجهي الناصبة والمفسرة، وضعّف الوجه الأول (المخففة)؛ قال عنه: فيه نظر؛ لأنه ممتنع من جهة الصناعة، حيث إنّ (لا) ناهية، و(تعبدوا) مجزوم بها، ويترتب على هذا وقوع الجملة الطلبية (لا تعبدوا) مجزومة خبرًا عن اسم (أنْ)، وهذا ممتنع، فلا يُخبر بجملة عن (أنّ) وأخواتها إلا وهي خبرية. وسبق الزمخشريُّ[٢] ابنَ هشام في تجويز وجهي الناصبة والمفسرة.

الفراء[٣] وأبو جعفر النحاس[٤] ذهبا إلى أنها المصدرية الناصبة وقد دخلت عليها الباء، أي بأن لا تعبدوا، أمّا أبو حيان الأندلسيّ[٥] فقد رجّح أنها مفسرة؛ استنادًا على

(١) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦:١٢٠؛ والسمين، "الدر المصون"، ٦:٢٨١.
(٢) انظر الزمخشري، "الكشاف"، ١٢:٤٨١.
(٣) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ٢:٣.
(٤) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٤١٠.
(٥) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦:١٢٠.

أمرين: **سلامة المعنى**، فإنّ مفهوم التفصيل الوارد في الآية يناسب مضمون (أن) المفسرة، **والأصلية** فإنّه لا يحتاج إلى تكلف الحذف، والتقدير عنده: لأنْ لا تعبدوا – أو بأنْ لا تعبدوا، والمصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله. وقد تبعه السمين الحلبي في ترجيح[١] هذا الوجه.

والوجه عندي هو ما ذهب إليه أبو حيان؛ لوجاهته من جهتي المعنى والصناعة.

٢– (إنْ) بين التخفيف والشرط:

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ إبراهيم: ٤٦

المكر ههنا: الشرك بالله والافتراء عليه، والمعنى[٢]: لقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم وافتروا عليه، وعند الله علم شِركهم به وافترائهم، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلٌ لها، وما كان شركهم بالله وافتراؤهم عليه لتزول منه الجبال، لضعفه ووهنه، بل ما ضروا بذلك إلا أنفسهم.

العكبريّ: "... **فعلى هذا في (إنْ) وجهان: أحدهما: هي بمعنى (ما)؛ أي: ما كان مكرهم لإزالة الجبال...والثاني أنها مخففة من الثقيلة** "[٣]

ابن هشام: "**مقتضى كلام الزمخشري أنّ (إنْ) شرطية، فإنّه قال: (ومكتوب عند الله مكرهم، فهو مجازيهم عليه بمكرٍ هو أعظم منه، أو عند الله مكرهم الذي**

(١) انظر: السمين، "الدر المصون"، ٦:٢٨١.

(٢) انظر: الطبري، "تفسير الطبري". ٤:٤٦٢؛ والقرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان". تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م)،٩:٣٨١.

(٣) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:٧٧٣.

يمكرهم به، وإنْ كان مكرهم لتزول منه الجبال، وإنْ عظُم وتفاقَمَ فكان بعد لإزالة الجبال) ثمَّ قال: (وقد جعلت (إنْ) نافيةً، واللام مؤكدة لها مثل:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾ البقرة: ١٤٣**على المعنى: ومحال أنْ تزول الجبال بمكرهم**(١))"(٢)

الخلاف في هذا الموضع واقعٌ في (إنْ) على ثلاثة أوجه هي:

١- النافية، والمعنى على تحقير مكرهم، أي(٣) أنّ مكرهم ما كان لتزول منه الشرائع والنبوءات وأقدار الله التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها.

٢- المخففة من الثقيلة، والمعنى على تعظيم مكرهم وشدته، أي(٤): وإنْ كان مكرهم شديدًا لتذهب به عظام الأمور.

٣- الشرطية، وجوابها محذوف والمعنى على تعظيم مكرهم، أي(٥)وإنْ كان مكرهم معدًّا لإزالة أشباه الجبال الرواسي وهي المعجزات والآيات.

التحليل:

المنهج العلميّ هنا يستلزم الوقوف على القراءات الواردة في قوله تعالى(لِتَزُولَ) وهي قراءتان: أحدهما: (لِتزولَ)(٦) بكسر اللام الأولى وفتح الثانية، والثانية(٧) (لَتزولُ)

(١) انظر: الزمخشري، "الكشاف"، ١٣:٥٥٦.

(٢) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢٣٧.

(٣) نظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦:٤٥٤.

(٤) انظر: ابن عطية؛ عبد الحق بن غالب، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". (فاس: المجلس العلمي، ١٩٧٥م)، ٨:٢٦٤.

(٥) انظر: السمين، "الدر المصون"، ٧:١٢٦.

(٦) القراءة معزوة لجمهور السبعة في: ابن مجاهد، "السبعة"، ٣٦٣؛ والثعلبي، " الكشف والبيان في تفسير القرآن"، ٧٢؛ وأبي حيان، "البحر المحيط"، ٦:٤٥٤.

(٧) القراءة معزوة للكسائي في: ابن مجاهد، "السبعة"، ٣٦٣؛ والثعلبي، " الكشف والبيان في تفسير =

بفتح الأولى ورفع الثانية.

العكبريّ جوّز فيها وجهين – على القراءة الأولى– أولهما: أنها نافية معناها معنى (ما) النافية، والمعنى: ما كان مكرهم لإزالة الجبال. الثاني: أنها مخففة من الثقيلة، والمعنى: أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال في الثبوت. أمّا على القراءة الثانية فهي مخففة من الثقيلة واللام للتوكيد.

ابن هشام سار على خطى الزمخشريّ، ومضمونه جواز وجهين أولهما الشرطية: وهذا الوجه لم يصرح به الزمخشريّ، بل ذكر ابن هشام: أنه مقتضى كلام الزمخشريّ؛ يعني قوله: "ومكتوبٌ عند الله مكرهم، فهو مجازيهم عليه بمكرٍ هو أعظم منه ... أو وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به "﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ الثاني: أنّها نافية، واللام مؤكدة لها، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ البقرة: ١٤٣

الفراء على أنّها نافية[١] لا غير، وكذلك أبو جعفر النحاس[٢]، وذكر في تقوية النفي أنّ الزجاج (ت٣١١هـ) كان يذهب[٣] إلى أنّ هذا الوجه جاء على كلام العرب؛ لأنهم يقولون: لو أنّك بلغت كذا ما وصلت إلى شيء، وإن كان لا تبلغه.

القرآن"، ٧٢؛ وأبي حيان، "البحر المحيط"، ٦:٤٥٤؛ وابن جني، أبي الفتح عثمان بن جني، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها". تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٦هـ)،١:٣٦٥.

(١) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ٢:٧٩.

(٢) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٤٨٣.

(٣) انظر: الزجاج؛ إبراهيم بن محمد، "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٤م)، ٣:١٦٧.

أبو حيان الأندلسيّ ذكر فيها الوجهين[1] اللذين ذكرهما العكبريّ: الأول أنها نافية، واستدّل على هذا الوجه بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (وما كان مكرهم) بـ(ما) النافية موضع (إنْ)، ويجوز في (كان) عنده أن تكون تامة، وخبرها محذوف أو جملة (تزول) على الخلاف المعهود بين البصريين والكوفيين في خبرها، وأنْ تكون ناقصة واللام لام الجحود. الثاني أنها مخففة من الثقيلة، و(كان) ناقصة.

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ الظاهر لدى أبي حيان أنّ زوال الجبال مجازٌ ضُرب مثلاً لمكر قريش وعظمه.

والوجه عندي هو أنها نافية لسلامته من الناحية الصناعية، وخلوه من تكلف الحذف والتقدير، مع وجود النظير القرآني، واتساقه مع تفسير الآية عند غير قليل من المفسرين، ومنهم الطبري(ت٣١٠هـ) الذي قال في تفسيره المذكور: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال؛ فاستعمل (ما) موضع (إنْ).

٣– (أفٍّ) بين اسم الفعل واسم الجملة:

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ الإسراء: ٢٣

المعنى: إذا بلغ عندك والداك أو أحدهما الكبر، فلا تأفف من شيء تراه منهما مما يتأذى به الناس، بل اصبر واحتسب الأجر كما صبرا عليك في صغرك.

العكبري: "**(أفّ): اسم للفعل، ومعناه التضجر والكراهية، وقيل: هو اسم للجملة الخبرية، ومعناه ضجرت أو كرهت**"[2]. **ابن هشام: "المعروف أنه اسم فعل، لا للجملة، وأن الفعل مضارع لا ماض .....** "[3]

(١) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦:٤٥٤.

(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:٨١٧.

(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢٤١.

(أفّ) كلمة تأفف وتضجر، اختلف فيها الرجلان رحمهما الله كما ترى على قولين: العكبري أورد فيها وجهين: اسم فعل واسم جملة، اتفق معه ابن هشام في الوجه الأول، وخالفه في الوجه الثاني، وأنكر أنْ يكون اسمًا للجملة مستندًا على ما تعارف عليه النحاة في بابه، كما خطأه في تقديره للجملة التي زعم بفعل ماضٍ هو ضجرتُ أو كرهتُ، والصحيح الذي استقر في الدرس النحوي أنه اسم فعل مضارع معناه: أتضجّر.

التحليل:

عند النظر في توصيف كلمة (أفّ) في الدرس النحوي نجد النحاة اختلفوا في توصيفها النظري على وجوه عديدة؛ فقدامى النحاة قدموا لها توصيفًا عامًا يفتقر للنضج، أمّا متأخروهم فقدموا لها توصيفًا نحويًا متكاملاً؛ هذا إجمالٌ دونك بيانه:

١- التوصيف اللغوي للكلمة دون تناول المضمون النحوي؛ كما عند الفراء فقد وصفها بأنها صوت لا يعرف معناه إلا بالنطق به[١].

٢- التوصيف العام؛ فالنحاس اكتفى بوصفها بأنها اسم[٢]، هكذا دون قيد.

٣- التوصيف النحوي، وهذا ظهر عند الزمخشري الذي ذهب إلى أنها اسم صوت[٣].

٤- التوصيف النحوي المتكامل؛ ومضمونها أنها اسم فعل مضارع معناه: أتضجر ونظيره (أوه)، وهو أكمل توصيف لها وقفت عليه، وهذا ظهر عند أبي حيان[٤] وابن هشام وكذلك السمين الحلبي[٥].

(١) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ٢:١٢١.

(٢) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٥١٨.

(٣) انظر: الزمخشري، "الكشاف"، ١٥:٥٩٤.

(٤) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦:٢٥.

(٥) انظر: السمين، "الدر المصون"، ٧:٣٤١.

والذي يظهر لي أن ما ذهب إليه ابن هشام هو القول الوجيه؛ لاتساقه في بابه مع مكونات الصناعة النحوية يقويه اتفاق كثير من النحاة عليه ومن بينهم العكبريّ، وأمّا الوجه الثاني الذي ذكره العكبريّ فلم يقل به غيره، زد على هذا عدم اتساقه مع معطيات الدرس النحوي.

٤– (الباء) بين السببية والمقابلة:

﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ البقرة: ١٠٨

المعنى[١]: ومن يستبدل الجحود بالله وآياته بالتصديق بالله وآياته فقد ضل سواء السبيل.

العكبري: "**وتكون الباء للسبب كقولنا: اشتريت الثوب بدرهم**"[٢]، وأنكر عليه ابن هشام هذا التوجيه قائلاً: "**ليست الباء في الآية ولا في المثال لمعنى السبب، وإنما هي للمقابلة، ثمّ لو صحّ معنى السببية لم يكن مفعولاً أي مفعولاً به، بل مفعولاً لأجله**"[٣]

التحليل:

جاء الفعل (يتبدّل) متعديًا إلى مفعولين: الأول (الكفر) تعدى إليه مباشرةّ، والثاني(الإيمان) تعدى إليه بوساطة الباء.

واختلف العكبري وابن هشام رحمهما الله في معنى الباء كما سلف على قولين هما السببية والمقابلة.

السببية والمقابلة من المعاني المقررة للباء كما تبيّن المدونات النحوية المعنية[٤]؛

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ١:٣٣٨.

(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ١:١٠٣.

(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"،٢١٢.

(٤) انظر: ابن هشام، "مغني البيب"، ١:١٠٤.

السببية مضمونها ترتب أمر على آخر كما في قوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ العنكبوت: ٤٠، أي: عاقبناهم بالريح والصيحة ...الخ بسبب ذنوبهم وهي استكبارهم في الأرض وصدهم عن سبيل الله(١)، والمقابلة هي الداخلة على الأعراض المتقابلة كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾ البقرة: ١٧٨.

فرّق ابن هشام بين المعنيين على نحو عملي، في نحو قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ النحل ٣٢، وقولهم: اشتريته بألف، وكافأت إحسانه بضعف، حيث يقول: "وإنما لم نقدرها باء السبب كما قالت المعتزلة، وكما قال الجميع في {لن يدخل أحدكم الجنةَ بعمله}(٢)؛ لأن المعطي بعوض قد يعطي مجانًا، وأما المسبب فلا يوجد دون السبب"(٣).

المفهوم من كلام الزمخشري أنه على المقابلة؛ حيث قال فسّر (من يتبدل..) بقوله: من ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها(٤)، ونصّ السمين الحلبي على أنّ الباء للعوض(٥).

وما ذهب إليه ابن هشام هو الوجه عندي؛ لاتساقه مع المعنى؛ أعني المقابلة بين

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ٦:٧٣، والسمين، "الدر المصون"، ٩:٢١.

(٢) الحديث رواه البخاري في "صحيحه"، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، رقم (٥٦٧٣)، ورواه مسلم في "صحيحه"، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحدٌ الجنةَ بعمله، رقم (٢٨١٦).

(٣) انظر: ابن هشام، "مغني البيب"، ١:١١٠.

(٤) انظر: الزمخشري، "الكشاف"، ١:٩١.

(٥) انظر: السمين، "الدر المصون"، ٢:٦٥.

الكفر والإيمان، يقول ابن كثير (ت٤٤٧هـ) في تفسير الآية: من يشتري الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل[١]، ويقول أبو حيان: التبديل هنا أخذ الكفر بدل الإيمان[٢]، ونصّ على أنّ (يتبدّل) ههنا معناه (يستبدل) ونظيره (تعجّل) بمعنى (استعجل) ، وأما ما ذهب إليه العكبري فبعيدٌ معنًى وصناعةً، فالسببية غير ظاهرة ولا يمكن القول بها في الآية ولا في المثال الذي ساقه، ولم يقل به غيره، وردّه السمين الحلبيّ، وعلق على المثال الذي أورده وذُكر سابقًا بأنه محل نظر[٣].

٥– (أو) بين الشك والإضراب:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ البقرة: ٧٤

المخاطبون هنا هم كفار بني إسرائيل الذين كفروا بالبعث بعد الموت، وظلوا على كفرهم حتى بعد أنْ أحيا الله تعالى لهم القتيل فأخبرهم بقاتله وسبب القتل، **والمعنى**[٤]: ثم صلبت قلوبكم –بعد إذ رأيتم الحق وعرفتموه– عن الخضوع له؛ فقلوبكم كالحجارة صلابة ويبسًا وغلظةً أو أشد قسوةً منها.

العكبريّ: **"(أو) ها هناك(أو) في قوله: {كصيّب} و(أشدّ) معطوف على الكاف، تقديره: أو هي أشدّ"**[٥] البقرة:١٩، **وفي ذلك الموضع قال: إنّ في (أو) أربعة أوجه: ١– الشكّ٢–التخيير٣– الإباحة ٤– الإبهام**[٦].

(١) انظر ابن كثير؛ أبا الفداء إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: يوسف عبد الرحمن، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م)، ١:١٥٧.

(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ١:٥٥٦.

(٣) انظر: السمين، "الدر المصون"، ٢:٦٥.

(٤) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ١:٢٥٢.

(٥) انظر: العكبري، "التبيان"، ١:٧٩.

(٦) انظر: العكبري، "التبيان"، ١:٣٤.

ابن هشام: **"الظاهر فيها معنى(بل)، ويكون ترقيًا من وصفٍ إلى أبلغ منه"**[١].

ثمَّ اتفاق بين العكبريّ وابن هشام رحمهما الله على أنّ (أوْ) ههنا حرف عطف؛ و(أشدّ) معطوفة على موضع (كالحجارة) في محل رفع، أو(أشدّ) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: فهي كالحجارة أو هي أشدّ قسوةً منها، بيد أنّهما اختلفا في معناها، اختلافًا واسعًا، وكذلك فعل النحاة السابقون واللاحقون؛ فالعكبريّ أجاز فيها أربعة معانٍ هي: ١-الشك،٢- الإباحة. ٣-التخيير، ٤- الإبهام. وابن هشام الظاهر عنده أنها بمعنى (بل) أي للإضراب.

التحليل:

المعاني التي أجازها العكبريّ كلها لها وجهٌ سائغٌ في العربية معتبرٌ في المعنى والتفسير، ولها نظائر في القرآن الكريم وفي كلام العرب؛ هذا إجمالٌ دونك بيانه:

١- الشك: وهو الأصل في باب معاني (أوْ) مضمونه: أنّكم أيها المخاطبون لو شاهدتم قسوة تلك القلوب لشككتم أهي كالحجارة أم أشد منها؟ فالشك متوجهٌ للمخاطبين، أمّا المولى جلّ في علاه فأخباره منزّهة عن الشك يقينًا، وهذ الوجه أعجب إلى ابن جرير الطبريّ[٢] رحمه الله من غيره من الوجوه؛ لأصالته في معاني (أوْ).

٢- الإباحة: ومضمون هذا الوجه أنّ السامع مباحٌ له تشبيه قلوبهم القاسية بالحجارة أو بما هو أشدّ منها كالحديد مثلاً، وهو قول الزجاج[٣]، ونظّر له بمثال من قبيل قولهم: (اطلب العلم من الحسن أو ابن سيرين)، وهو أيضًا

(١) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ١٨٢.

(٢) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ١:٢٣٥.

(٣) انظر: "معاني القرآن وإعرابه"، ١:١٦٥.

المفهوم من كلام الزمخشري[١].

٣–التخيير: فالسامع مخيرٌ بين تشبيه قلوبهم القاسية إمّا بالحجارة أو بما هو أشدّ منها؛ كأنه تعالى يقول للمخاطب: إنْ شئت فشبههم بالحجارة في قسوة قلوبهم، ولك أنْ تقول: هم أشدّ من الحجارة قسوةً، وهذا الوجه أجازه الطاهر ابن عاشور[٢] (ت١٣٩٣هـ) عطفًا على الخبر (كالحجارة)، والمعنى: فهي كالحجارة، أو هي أقوى منها. وبناءً على ما تقرر في الدرس النحويّ مِنْ أنّ الفرق بين الإباحة والتخيير يكمن في جواز الجمع بين الأمرين في الأول، وامتناعه والإلزام بأحدهما في الثاني، فيجوز تشبيه قلوبهم بالحجارة أو بما هو أشدّ في الوجه الثاني، ويتعين تشبيه القلوب بأحد الأمرين فقط في الوجه الثالث.

٤– الإبهام، ومضمونه: أنّ المولى تبارك وتعالى أبهم على المخاطبين في تشبيه قسوة قلوبهم بالحجارة أو بما هو أشدّ منها.

أمّا ابن هشام فقد نقل هذه المعاني عن العكبريّ، وأعرض عنها إلى معنى (بل) أعني الإضراب؛ والمعنى: أنّ قلوبهم في قسوتها كالحجارة بل تجاوزتها شدةً وصلابةً. وفحص هذا الوجه يستلزم الوقوف على الأمور التالية:

الأصل في معاني(بَلْ) الإضراب. والإضراب في باب (أوْ) ليس أصيلاً، بل مناط خلاف[٣] بين البصريين والكوفيين؛ فالكوفيون يجيزونه مطلقًا ودليلهم السماع من كلام المولى عزّ وجلّ ومن كلام العرب، والبصريون لا يجيزونه؛ تمسكًا بالأصل، ومنهم من أجازه بشرطين: تقدم النفي أو النهي، وإعادة العامل.

(١) انظر: الكشاف: ٨٣/١.

(٢) انظر: ابن عاشور؛ محمد الطاهر، "التحرير والتنوير". (ط١، تونس، دار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)،١:٥٦٤.

(٣) انظر: الأنباري؛ عبد الرحمن بن محمد، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٢م)، ٢:٣٩٥.

ورد الإضراب في كلام العرب على وجهين: **أحدهما**: الإضراب الإبطالي؛ أي: الإعراض عما قبل (بل) إلى ما بعدها، ويكون عن خطأ أو نسيان، نحو: قابلت زيدًا بل بكرًا، وهذا الوجه يُنزّه عنه كلام المولى تبارك وتعالى، فلم يقع في القرآن. **الآخر**: الإضراب الانتقالي: ومضمونه الانتقال من معنًى إلى آخر أعلى منه، وهذا الوجه هو الذي قصده ابن هشام، وعبّر عنه بقوله:" ويكون ترقيًا من وصفٍ إلى أبلغ منه" ومعناه: أنّ قلوبهم القاسية كالحجارة بل هي أشدّ قسوةً منها. وهذا الوجه ورد في القرآن الكريم، فثمّ شواهد حُملت فيها (أوْ) على معنى (بل)، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ الصافات: ١٤٧، فالمعنى: مائة ألف بل يزيدون(١)، وقد أنكر المانعون هذا الاستعمال وحملوا (أوْ) في هذا الموضع على التخيير أو الشك(٢).

والوجه عندي هو ما ذهب إليه ابن هشام، فمع وجاهة القولين معنًى وصناعةً، ومع أنّ الأقوال التي أجازها العكبري جاءت وفق الأصل في باب (أوْ)، يظهر لي أنّ قول ابن هشام أنسب لغرض التشنيع على أولئك القاسية قلوبهم، فهي ليست كالحجارة ــمع قساوتهاــ بل هي أشدّ قسوةً منها!

وممن وافق ابنَ هشام في هذا الوجه ابنُ عاشور(٣).

ومما يجدر ذكره ههنا أنّ ثمّ أقوالاً غير السالف ذكرها في معنى (أو)، منها على سبيل المثال:

١- معنى الواو، وهو ما ذهب إليه الأخفش(٤)، ونظّر له بنحو قولهم: نحن نأكل

(١) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ١:٧٢؛ الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ٢:٣١٤.

(٢) انظر: ابن جني، عثمان بن جني، "الخصائص". تحقيق، محمد علي النجار، (بيروت: دار الكتاب العربي): ٢/٤٦١.

(٣) انظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"،١:٥٦٤.

(٤) انظر: الأخفش، "معاني القرآن"، ١:٢٨٥.

البرّ أو الشعير أو الأرز، وحُمل على هذا الوجه[1] قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ ﴾ الإنسان: ٢٤

وهذا المعنى في (أوْ) مناط خلاف كمعنى (بل) فيها، وهو المفهوم من كلام أبي جعفر النحاس[2].

٢- التنويع؛ ومضمونه أنّ قلوبهم كأنّها على قسمين: قلوب كالحجارة قسوةً، وقلوب أشد قسوةً من الحجارة، فـ(أوْ) أفادت تنويع تلك القلوب إلى ما هو مشبهٌ بالحجارة، وإلى أشدّ منه. وهذا الوجه استحسنه أبو حيان الأندلسي[3].

(١) انظر: القرطبي، تفسير القرطبي"، ٢:٢٠٥.

(٢) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٤٩.

(٣) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ١:٤٢٣.

المبحث الثالث: الخلاف في الحذف والتقدير

١– تقدير المبتدأ:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ الحج: ٦٣

المعنى[١]:ألم تر يا محمد أنّ الله أنزل من السماء مطرًا، فتصبح الأرض مخضرةً بما ينبت فيها من النبات، وفي هذا دليلٌ على كمال قدرته جلّ في علاه، أي[٢]: من قدِر على هذا قدِر على إعادة الحياة بعد الموت.

العكبريّ: **"والتقدير: فهي، أي القصة، و(تصبح): الخبر"**[٣]

ابن هشام: **"لا محوج للتقدير"**[٤]

يدور الخلاف بينهما حول تركيب (فتصبح) بين قائل بتقدير مبتدأ بعد الفاء وهو الضمير المتصل (هي) وبين قائل بأن التركيب لا يتطلب هذا التقدير.

التحليل:

منشأ الخلاف بينهما يعود لتوصيفهما لجملة (فتصبح) فالعكبري على الاسمية، والفاء عاطفة عنده داخلة على جملة اسمية المبتدأ فيها محذوف تقديره (هي)، والخبر هو الجملة الفعلية (تصبح) أي: أنّ الله أنزل من السماء ماءً فهي تصبح مخضرة.

وابن هشام على الفعلية؛ والفاء عنده استئنافية داخلة على جملة فعلية استئنافية؛ وعليه فلا حاجة لتقدير مبتدأ في الكلام.

---

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ٥:٣٣٧.

(٢) انظر: القرطبي، "تفسير القرطبي"، ١٤:٤٤٠.

(٣) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:٩٤٧.

(٤) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢٦٧.

والمتأمل يلحظ التباين بين (أنزل) و(تصبح) من حيث المضي والمضارعة، والتساؤل عن سبب مجيء (تصبح) مضارعًا لا ماضيًا حاضرٌ في الذهن، وجوابه[١]: إفادة بقاء أثر المطر زمنًا بعد زمن، ولا يتأتى هذا بلفظ (أصبحت).

ولا شك عندي في أن الوجه هو ما ذهب إليه ابن هشام من عدم الحاجة للتقدير، يقوي هذا عندي اتساقه معنًى وصناعةً نحوية، وأما القول بالتقدير فبعيد من جهتين: ١– افتراض أن الجملة اسمية تكلفٌ واضح وإعراضٌ عن الظاهر لا مسوغ له.٢–تقدير المبتدأ بضمير القصة (هي) لا يستقيم؛ من حيث إن ضمير القصة غرضه التأكيد والتعظيم، والقول بحذفه يفوت هذا الغرض الأصيل في بابه. ويضعفه عندي أيضًا انفراد العكبري به، فلا أعلم أحدًا من المفسرين أو النحاة قال به، فأكثر النحاة –المتقدمين منهم والمتأخرين– لم يذكروا التقدير أصلاً في أثناء معالجتهم هذا الموضع كالفراء[٢]وأبي جعفر النحاس[٣] والزمخشري[٤] وأبي حيان[٥] وشهاب الدين الألوسي[٦] (ت١٢٧٠هـ)، ومن أورده منهم قليلٌ، منهم السمين الحلبي وقد عرضه وخالفه؛ يقول: "ولا حاجة لتقدير مبتدأ"[٧].

(١) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٥٣١:٧.

(٢) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ٢٢٩:٢.

(٣) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٦٢٩.

(٤) ا انظر الزمخشري، "الكشاف"، ٧٠٠:١٧.

(٥) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٥٣١:٧.

(٦) انظر: الألوسي؛ شهاب الدين، السيد محمود، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". ضبطه وصححه: عبد الباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ–١٩١٤م)، ١٨٢:٩.

(٧) انظر: السمين، "الدر المصون"، ٢٩٧:٨.

٢– تقدير الفاعل:

﴿ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المدثر: ٤٠-

المعنى[١]: أنّ أصحاب اليمين في بساتين يتساءلون عن المجرمين الذين سُلكوا في سقر: أيّ شيء سلككم في سقر، قال المجرمون: لم نكن من المصلين.

العكبريّ: **"(لم نك من المصلين) هذه الجملة سدت مسد الفاعل، وهو جواب (ما سلككم)"**[٢]

ابن هشام: **"يعني أنّ التقدير: سلكنا أنّا لم نك إلى آخرها، وهو غريب، والفاعل لا يقع جملةً على الأصحّ"**[٣]

خالف ابنُ هشام العكبريَّ في قوله إنّ جملة (لم نكن من المصلين) سدت مسد فاعل (سلكنا) المقدر في جواب المجرمين، والتقدير: سلكنا فيها عدم صلاتنا ...الخ.

التحليل:

يأتي الخلاف في هذا الموضع نموذجًا تطبيقيًا لمسألة خلافية بين النحاة مضمونها؛ وقوع الفاعل جملةً، وأساسها ما أُشتهر عند النحاة أثناء تقعيدهم باب الفاعل من أنّ الفاعل اسمٌ.

والنظر في هذه المسألة[٤] يكشف عن ثلاثة مذاهب، أولها: المنع مطلقًا وعليه

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ٧:٤٠٦.

(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:١٢٥١.

(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٣٤٥.

(٤) انظر في هذه المسألة: الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ٤:٢١٠؛ والنحاس، "إعراب القرآن"، ١٢٢٦؛ وابن هشام، " مغني اللبيب"،٤٩١؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ١:١٦٤؛ والسمين" "الدر المصون"، ٦:٤٩٤.

جمهور البصريين. الثاني: الجواز مطلقًا وإليه ذهب جمهور الكوفيين، ومثّلوا له بـ: يعجبني قام زيدٌ. الثالث: التفصيل في المسألة، فقالوا: إنْ كان الفعل قلبيًا، وثمَّ معلِّقٌ عن العمل جاز، نحو: ظهر لي أقام زيدٌ، وإنْ انتفى العامل القلبي أو المعلق، لم يصح، وبناء عليه حملوا قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ يوسف:٣٥، على وقوع الفاعل جملةً؛ فجملة (ليسجننه) عندهم فاعل (بدا)، وفي المقابل منعوا نحو: يعجبني يقوم زيد، لعدم العامل القلبي والمعلق، ويُنسب هذا القول للفراء.

الظاهر ههنا أنّ العكبريَّ قد سار على مذهب الكوفيين القائل بالجواز مطلقًا؛ حيث جعل جملة (لم نكن من المصلين) سادةً مسد فاعل (سلكنا) المحذوف من جواب المجرمين؛ للعلم به، حيث ذكر في سؤال أصحاب اليمين السالف الذكر، ومعلوم أنّ هذا الموضع خالٍ من قيد القلبية، فـ(سلكنا) ليس قلبيًا، وقد انفرد العكبري بهذا الوجه فلا أعلم أحدًا قال به غيره(١).

وأما ابن هشام فقد سار على مذهب البصريين القائلين بالمنع مطلقًا، ولذا ردّ إعراب العكبري لهذه الجملة بقوله: الفاعل لا يقع جملة، بل وصفه بالغرابة!

– والوجه عندي هو ما ذهب اليه ابن هشام؛ فجملة (لم نكن من المصلين) جوابٌ لسؤال أصحاب اليمين: ما سلككم في سقر؟

٣– تقدير المفعول به:

﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ الإسراء: ٦٢

(١) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ١٢٢٦، والزمخشري، "الكشاف"، ١١٥٨:٢٩؛ وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٣٣٨:١٠.

المعنى[١]: يقول إبليس: أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ ــوهو آدم عليه السلامــ: لئن أخرت إهلاكي لأستولينّ على ذريته ولأستميلنّهم ولأضلنّهم.

العكبريّ:"**(هذا) هو منصوب بـ(أرأيت) و(الذي) نعتٌ له، والمفعول الثاني محذوف تقديره: تفضيله أو تكريمه**"[٢].

ابن هشام: "**ليس هذا التقدير مطابقًا للمعنى ولا للإعراب، وقدّر الزمخشري: لمَ فضلته عليّ وأنا خيرٌ منه، وهذا جيدٌ؛ لأنه ينتظم منه مع** ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ مبتدأ وخبر"[٣] .

اتفق الرجلان رحمهما الله على التوصيف النحوي لقوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾، واختلفا في تقدير المحذوف؛ فالعكبريّ قدره بـ: تفضيله أو تكريمه، **وتقديره عند** ابن هشام: لمَ فضلته عليّ وأنا خيرٌ منه؟

التحليل:

نقطة الخلاف ههنا تكمن في تقدير المفعول الثاني لـ(رأيت)؛ فقد اتفق جلّ النحاة على: أنّ (رأيت) علمية معناها: أخبرني، وخالفهم غير واحد من النحاة فذهبوا إلى أنها بصرية فتتعدى إلى مفعول واحد، واختاره الرضي الإستراباذي[٤]، وأنّ الكاف حرف خطاب مؤكد لتاء المخاطب لا موضع له من الإعراب، وخالفهم

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ٥:٤٥.

(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ٢:٨٣٣.

(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ٢٤٣.

(٤) انظر: الرضي الإستراباذي، محمد بن الحسن، "شرح الرضي لكافية ابن الحاجب". تحقيق: يحيى بشير مصري، (ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ)، ٢:٢:٩٩٩.

الفراء ذاهبًا إلى أنها ضمير في محل نصب مفعول به، والمعنى: أرأيت نفسك[1]، نظير: أتدبرت آخر أمرك فإني صانعٌ فيه كذا، وأنّ جملة ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ مبتدأ وخبر جملة استئنافية.

وأنّ الفعل متعدٍ إلى مفعولين: الأول مذكور وهو اسم الإشارة (هذا) والثاني محذوف تقديره عند ابن هشام وأكثر النحاة: لمَ فضلته عليّ وأنا خيرٌ منه؟ وعند العكبريّ: تفضيله أو تكريمه، وبحسب ما اطلعت عليه، تبيّن أنه انفرد بهذا التقدير دون غيره.

والراجح عندي ما ذهب إليه ابن هشام، ووافقه كثير من النحويين، كالزجاج[2] والزمخشري[3] والحوفي[4](ت٤٣٠هـ) والرضي الإستراباذي[5]وأبي حيان[6] والسمين الحلبي[7] والألوسي[8].....الخ. ويقوي هذا عندي ما يلي:

١- **المعنى**، فمعنى التركيب ههنا: أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ لمَ كرمته علي وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين؟ وهذا يتسق أيضًا مع مضمون قصة إبليس التي عرضها القرآن الكريم في غير موضع، وذكر القرطبي(ت٦٧١هـ) في تفسيره للآية وجهين أحدهما: أن في الكلام حذفًا تقديره: أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ لمَ كرمته على وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين؟ وعلم السامع هو مسوغ الحذف.

(١) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ١:٣٣٣.
(٢) انظر: الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ٣:٢٤٩.
(٣) انظر الزمخشري، "الكشاف"، ١٥:٦٠١.
(٤) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦:٥٥.
(٥) انظر: الرضي، "شرح الرضي لكافية ابن الحاجب"، ٢:٢:١٠٠٠.
(٦) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦:٥٥.
(٧) انظر السمين، "الدر المصون"، ٧:٣٧٨.
(٨) انظر: الألوسي، "روح المعاني"، ٨:١٠٤.

٢- **أصول الصناعة النحوية؛** فالقول بتقدير الجملة الاستفهامية (لمَ كرمته علي) مفعولاً ثانيًا يتسق مع معطيات الدرس النحوي من عدة جهات: إحداها: أنّ (رأى) العلمية مضمونها: أخبرني؛ ذكر سيبويه أنّ أرأيتك بمعنى: أخبرني، ومثّل له بـ: أرأيتك زيدًا أبو من هو[١] ، وأنت ترى اتساق هذا المثال مع التركيب القرآني من حيث تضمن (أرأيتك) معنى : أخبرني، ونصب(رأى) مفعولين الأول (زيدًا) والثاني الجملة الاستفهامية (أبو من هو؟)، غاية ما في الأمر أنّ المفعول الثاني محذوف في الآية مذكور في مثال سيبويه، وكذا ذكر الزجاج أن (أرأيتك) في معنى: أخبرني[٢].

الثانية: أنّ المقرر في المفعول به الثاني في هذا الباب أن يكون جملة مشتملةً على استفهام، وقولهم: (لم فضلته علي) كذلك، زد على هذا أن التقدير المذكور ينعقد منه مع ما قبله: مبتدأ وخبر إذا قيل: هذا الذي كرمته عليّ لمَ فضلته علي؟ الثالثة: أنّ الحذف ههنا له مسوغٌ وهو علم السامع بالمحذوف لدلالة الكلام عليه، أعني قوله عزّ من قائل في الآية السابقة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ الإسراء: ٦١

وأمّا ما ذهب إليه العكبري فبعيدٌ، وقد ردّه ابن هشام؛ لعدم مطابقته للمعنى ولا للإعراب، ووصفه السمين الحلبي بأنّه لا يجوز؛ لأنّ المفعول الثاني حقه أن يكون جملة استفهامية[٣].

٤- تقدير المفعول له:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا

(١) انظر سيبويه، "الكتاب"، ١:١٢٢.

(٢) انظر: الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ٣:٢٤٩.

(٣) انظر السمين، "الدر المصون"، ٧:٣٧٩.

مِنۡ أَحَدٖ مِّنۡ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ فاطر: ٤١

المعنى:[١] إنّ الله يمسك السموات والأرض لئلا تزولا من أماكنهما، ولو زالتا ما أمسكهما أحدٌ سواه جلّ في علاه. وذكر أبو حيان –رحمه الله – قولين[٢] في معنى الزوال أولهما: انتقال السماوات والأرض عن أماكنهما وسقوط السماوات عن علوها، والثاني: زوالهما عن الدوران.

العكبريّ: " **{أن تزولا} يجوز أن يكون مفعولا له، أي: مخافة أن تزولا**"[٣].

ابن هشام: "**هذا خطأ والصواب: كراهة أن تزولا**"[٤]

اتفق العكبري وابن هشام رحمهما الله على موضع المصدر المنسبك من أنْ والفعل (أنْ تزولا) وهو النصب على أنه مفعول لأجله، بيد أنهما اختلفا في تقدير المصدر الصريح له.

التحليل:

الخلاف بينهما يدور بين المخافة مخافة الزوال والكراهة، فالتقدير عند العكبري: إنّ الله يمسك السماوات والأرض مخافة أنْ تزولا، وعند ابن هشام: إنّ الله يمسك السماوات والأرض كراهة أنْ تزولا.

وقد وافق ابنَ هشام في هذا التقدير كثيرٌ من النحاة الذين وقفت على معالجتهم لهذا الموضع، من أولئك أبو جعفر النحاس؛ يقول: "أنْ في موضع نصب بمعنى: كراهة"[٥] والزمخشري حيث يقول: "أن تزولا: كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن

(١) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ٦:٢٦٠.
(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٩:٣٩.
(٣) العكبري، "التبيان"، ٢:١٠٧٦.
(٤) حواشي ابن هشام، "ابن هشام"، ٢٨٤.
(٥) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٨١٠.

تزولا"[١]، وكذا يقول أبو حيان: " ... وقُدرا: لئلا تزولا، ومخافة أن تزولا"[٢]، ونصّ الألوسي(ت١٢٧٠هـ) على تقدير "كراهة زوالهما"[٣]

– والراجح عندي هو ما ذهب إليه ابن هشام؛ فهو الأقرب لمعنى التركيب، ويدعم هذا عندي ما يلي: أنّ المبحث العقدي والتأدب مع أفعال الذات الإلهية ينسجمان مع تقدير الكراهة، وقد نسب المولى تبارك وتعالى الكراهة لنفسه في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ التوبة: ٤٦، أما المخافة فلا تُتصور من خالق السموات والأرض جلّ في علاه. ويعدّ تقدير العكبري في هذا الموضع وجهًا بعيدًا؛ قلّ أنْ يذكره معربو القرآن، فلم يتعرضوا له بالتحليل فيما وقفت عليه، سوى ابن هشام الذي ناقشه وردّه.

٥– تقدير الحال:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ البقرة: ٦٣

المخاطبون هم بنو إسرائيل والميثاق هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ صد﴾ البقرة: ٨٣، ومعنى بقوة: بجدّ، والطور: الجبل، أي[٤]: خذوا ما افترضنا عليكم في كتابنا من الفرائض، فاقبلوه واجتهدوا في أدائه من غير تقصيرٍ ولا توانٍ، و(ما) موصولة، والعائد عليها

(١) انظر الزمخشري، "الكشاف"، ٢٢:٨٨٨.

(٢) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٩:٣٩.

(٣) انظر: الألوسي، "روح المعاني"، ١١:٣٦٧.

(٤) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ١:٢٣٤.

محذوف[١]، أي: خذوا ما آتيناكموه.

العكبري: "{خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم} **التقدير: وقلنا: خذوا. ويجوز أن يكون القول المحذوف حالاً، التقدير: رفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا**"[٢]. ابن هشام: "**لا يحتاج لإضمار القول؛ لأنّ** {أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ} **بمعنى: قلنا لكم**"[٣]

الخلاف بين الرجلين جليّ ههنا؛ فالعكبري على أنّ ثمّ حذفاً في الكلام تقديره: قائلين، وجوّز أن يكون المحذوف حالاً؛ أي: رفعنا فوقكم الطور قائلين: خذوا، وابن هشام على حمل الكلام على ظاهره؛ إذ لا محوج للتقدير.

التحليل:

العكبريّ يذهب إلى الحذف والتقدير كما سلف، وقد سبقه إلى هذا الأخفش، بيد أنه قدر المحذوف فعلاً ولم يشر إلى كون المحذوف حالاً، والتقدير عنده[٤]: فقلنا: خذوا، وكذا الزمخشري ، والتقدير عنده[٥]: قلنا: خذوا أو اذكروا، ووافقه أبو حيان الأندلسي من غير ذكر لتقدير الحال؛ فالتركيب عنده على إضمار القول، أي: وقلنا لكم خذوا، ونصّ القرطبي على الحذف، والتقدير عنده[٦]: قلنا: خذوا، أما السمين الحلبي فوافقه في القول بالحذف وتقدير الحال، فـ(خذوا) عنده في محل نصب بقول مضمر، أي: قلنا لهم خذوا، والقول المضمر يجوز أنْ يكون في محل نصب حال من فاعل (رفعنا) والتقدير[٧]: رفعنا الطور قائلين لكم: خذوا.

(١) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ١:٣٩٣.
(٢) انظر: العكبري، "التبيان"، ١:٧١.
(٣) انظر: ابن هشام، "حواشي ابن هشام"، ١٩٦.
(٤) انظر: الأخفش، "معاني القرآن"، ١:٢٧٧.
(٥) انظر الزمخشري، "الكشاف"، ١:٨٠.
(٦) انظر: القرطبي، "تفسير القرطبي"، ٢:١٦٥.
(٧) انظر: السمين، "الدر المصون"، ١:٤٠٩.

ابن هشام على الأصل أعني حمل الكلام على ظاهره، حيث لا محوج لتقدير القول هنا؛ لأن أخذ الميثاق المذكور بمثابة القول، أي: وإذ أخذنا ميثاقكم بأن خذوا ما آتيناكم، وإليه ذهب الكوفيون[١]، وعند تأمل مواقف من سبقه من معربي القرآن يظهر ميلهم لهذا القول، حيث لم يصرحوا بالحذف والتقدير في أثناء معالجتهم هذا الموضع، ومنهم الفراء[٢]، والزجاج[٣]وأبو جعفر النحاس[٤].

– الوجه عندي هو ما ذهب إليه ابن هشام؛ لأصالته في بابه؛ فحمل الكلام على ظاهره مع فهم المعنى هو الأولى والأليق بالتركيب القرآني، وما أحسن قول الطبري في هذا: والصواب أن كلّ كلام نُطق به — مفهوم به معنى ما أُريد — ففيه الكفاية من غيره[٥].

(١) انظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ١:٣٩٣.
(٢) انظر: الفراء، "معاني القرآن"، ١:٤٣.
(٣) انظر: الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ١:١٤٨.
(٤) انظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٤٦.
(٥) انظر: الطبري، "تفسير الطبري"، ١:٢٣٣.

الخاتمة:

١– كشفت الدراسة عن شيء من تأثير كتب إعراب القرآن في إثراء الدرس النحوي وتطويره؛ ومن ذلك: تعدد الأوجه الإعرابية؛ ففي الغالب يضيف اللاحق أوجهًا نحوية وإعرابية لم يذكرها السابق، وإثراء المعالجة العلمية من لدن اللاحق بالعديد من أدوات الدرس النحوي كالاستدلال والتعليل، والتنظير، والردّ، والترجيح، والمعارضة...الخ

٢– وقف البحث على أهم مجالات الخلاف بين الرجلين، وهي ثلاثة: وجوه الإعراب، والحروف والأدوات، والحذف والتقدير.

٣– وقفت الدراسة على أهم ملامح منهج ابن هشام في الخلاف:

الأول: إيراد كلام العكبري مع بيان موقفه من آرائه، وإذا تضمن كلامه أكثر من وجه عرضها ثم ذكر رأيه فيها، وقد يرفضها كلها، وقد يوافقه في بعضٍ ويخالفه في بعضٍ.

الثاني: الاحتجاج على ما يذهب إليه أو يختاره بأدلة علمية أهمها: النقل، وموافقة الصناعة النحوية، وكلام النحاة وآراؤهم.

الثالث: المعالجة العلمية المختصرة والنقاش الرصين لآراء صاحبه، بأسلوب يغلب عليه الاعتدال والاختصار.

الرابع: تعبيره عن خلافه معه بعبارات مختلفة يقولها معلقًا على تلك الآراء، منها: هذا خطأ والصواب كذا، وهو محل نظر، الحق أنّه ليس كذا بل كذا، وهو غريب، بل يتعين كونه كذا، الظاهر كذا،...الخ

الخامس: تحليه بأدب الخلاف؛ ظهر هذا في الردّ العلمي الموضوعي على العكبري دون تعرضٍ لشخصه أو تقليلٍ من شأنه.

٤– كشفت الدراسة عن استقلال شخصيته العلمية؛ فلم يظهر تعصبه لمدرسة نحوية

بعينها؛ فمرة يتفق مع المدرسة البصرية وأخرى مع الكوفية، كما كشفت عن تأثره ببعض النحاة وأهمهم: أبو جعفر النحاس، والزمخشري، وأبو حيان.

٥- وضع آراء الرجلين -رحمهما الله - في الميزان ينبيئ عن فضلهما وجهودهما في إعراب القرآن الكريم، مع تفوق ابن هشام في الإعراب، والتوجيه النحويّ، وقد بدا من خلال الدراسة أنّ آراء ابن هشام أكثر اتساقًا مع المعنى ومع معطيات الصناعة النحوية، ولذا حظيت بالقبول، بينما انفرد العكبري ببعض التقديرات التي لم تحظ بالقبول، وهذا لا يقدح في علميّة العكبري ولا ينقص من فضله شيئًا؛ لكنها سنة أنّ اللاحق ربما حظي بما لم يحظ به السابق من كثرة المصادر وتنوعها، ونشاط المحيط العلمي.

المراجع

القرآن الكريم.

الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة. "معاني القرآن". تحقيق عبد الأمير محمد. (ط٥، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م).

الألوسي، شهاب الدين، السيد محمود. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". ضبطه وصححه عبد الباري عطية. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩١٤م).

الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين". تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٢م).

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد. "الكشف والبيان في تفسير القرآن". تحقيق سيد كسروي حسن. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. "الخصائص". تحقيق محمد علي. (د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. "سر صناعة الإعراب". تحقيق حسن هنداوي. (ط٢، دمشق: دار القلم، ١٩٩٣م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها". تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين. (د.ط، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٦هـ).

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. "البحر المحيط في التفسير". عناية عرفات العشا. (د.ط، مكة المكرمة: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد، د.ت).

الخوارزمي، القاسم بن الحسين. "شرح المفصل في صنعة الإعراب (التخمير)". تحقيق

عبد الرحمن بن سليمان. (ط١، مكة المكرمة: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م).

الرضي الإستراباذي، محمد بن الحسن. "شرح الرضي لكافية ابن الحاجب". تحقيق حسن محمد. (ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٣م).

الرضي الإستراباذي. محمد بن الحسن. "شرح الرضي لكافية ابن الحاجب". تحقيق يحيى بشير مصري. (ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ).

الزجاج، إبراهيم بن محمد. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. (ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٤م).

الزمخشري، محمود بن عمر. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". تحقيق خليل مأمون. (ط٣، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٩م).

الزمخشري، محمود بن عمر. "المفصل في علم اللغة". قدم له وراجعه محمد عز الدين. (ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٠م).

أبو زيد، محمد بن الخطاب القرشي. "جمهرة أشعار العرب". تحقيق علي محمد البجادي. (د.ط، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٧م).

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. "الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق أحمد الخراط. (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٠٦هـ).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق عبد السلام محمد. (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". عناية محمد بدر الدين. (ط١، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٢هـ).

الشنقيطي، محمد محمود. "ديوان الهذليين". (د.ط، مصر: الدار القومية للطباعة، ١٩٦٥م).

الشوكاني، محمد بن علي. "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).
الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان في تفسير القرآن". تحقيق بشار عواد. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م).
ابن عاشور، محمد الطاهر. "التحرير والتنوير". (ط١، تونس: دار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
أبو عبيدة، معمر بن المثنى. "مجاز القرآن". تحقيق: فؤاد سزكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هـ).
ابن عطية، عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". (فاس: المجلس العلمي، ١٩٧٥م).
العكبري أبو البقاء، عبد الله بن أحمد. "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق علي محمد البجادي. (د.ط، القاهرة: طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م).
ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق محمد محي الدين. (د.ط، بيروت: دار التراث العربي).
الفارسي، أبو علي. "المسائل البصريات". تحقيق: محمد الشاطر. (د.ط، القاهرة: مطبعة المدني،١٩٨٥م).
الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. "معاني القرآن". تحقيق أحمد يوسف ومحمد علي. (د.ط، بيروت: دار السرور، د.ت).
ابن قتيبة، عبد الله بن محمد. "غريب الحديث". تحقيق عبد الله الجبوري. (ط١، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ).
القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م).
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق يوسف عبد الرحمن.

(د.ط، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر،١٩٩٢م).
ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى. "السبعة في القراءات". تحقيق شوقي ضيف. (ط٣، القاهرة: دار المعارف).
ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". عناية أمين محمد ومحمد الصادق. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥م).
النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. "إعراب القرآن". عناية خالد العلي. (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٨م).
أبو القاسم الهذلي، يوسف بن علي. "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها". تحقيق جمال الشايب. (ط١، الإمارات العربية المتحدة: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ٢٠٠٧م).
ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. "حواشي ابن هشام الأنصاري على "التبيان في إعراب القرآن" لأبي البقاء العكبري". تحقيق إسماعيل أحمد. (ط١، القاهرة: المكتبة العمرية، ١٤٤٤هـ).
ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق محمد محيي الدين. (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١-١٩٩١).
ابن يعيش، يعيش بن علي. "شرح المفصل". (ط١، بيروت، عالم الكتب، د.ت).

Bibliography

Al-Akhfash al-Awsat, Sa‘id bin Mas‘adah. "Ma‘āni al-Qur’an". Investigated by ‘Abd al-Amir Muhammad Amin al-Ward. (2nd edition. Beirut: ‘Alam al-Kutub, 1405–1985).

Al-Alousi, Shihab al-Din, al-Sayyid Mahmud. "Ruh al-Ma‘ani fi Tafsir al-Qur’an al-‘Azim wa-al-Sab‘ al-Mathani". reviewed by ‘Abd al-Bari ‘Atwah. (1st edition. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1415–1994).

Al-Anbari, Abu al-Barakat ‘Abd al-Rahman bin Muhammad. "Al-Insaf fi Masa’il al-Khilaf bayna al-Nahwiyyin al-Basriyyin wa-al-Kufiyyin". Investigated by Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd al-Hamid. (Beirut: Dar al-Fikr, 1982).

Al-Tamimi, Abu Ishaq Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim. "Al-Kashf wa-al-Bayān fi Tafsir al-Qur’an". Investigated by Sayyid Kisrawi Hasan. (1st edition. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2004).

Ibn Jinni, Abu al-Fath ‘Uthman bin Jinni. "Al-Khasa’is". Investigated by Muhammad ‘Ali al-Najjar. (Beirut: Dar al-Kitab al-‘Arabi, 1371–1952).

"Sirr Sina‘at al-I‘rab". Investigated by Hasan Hindawi. (2nd edition. Dimashq: Dar al-Qalam, 1414–1993).

"Al-Muhtasab fi Tabiyin Wujuh Shuwadh al-Qira’at wa-al-Idah ‘anha". Investigated by ‘Ali al-Najdi Nasif and others. (Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs, 1386).

Abu Hayyan al-Andalusi, Muhammad bin Yusuf. "Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir". (Makkah al-Mukarramah: al-Maktabah al-Tijariyyah, Mustafa Ahmad al-Baz).

Al-Khwarizmi, al-Qasim bin al-Husayn. "Sharh al-Mufassal fi Sina‘at al-I‘rab (al-Takhmir)". (1st edition. Makkah al-Mukarramah: Dar al-Gharb al-Islami, 1990).

Al-Radi al-Istarabadi, Muhammad bin al-Hasan. "Sharh al-Radi li-Kafiyat Ibn al-Hajib". Investigated by Hasan Muhammad al-Hifzi. (1st edition. Riyadh: Jami‘at al-Imam Muhammad bin Saud al-Islamiyyah, 1414–1993).

"Sharh al-Radi li-Kafiyat Ibn al-Hajib". Investigated by Yahya Bashir Masri. (1st edition. Riyadh: Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, 1417).

Abu Ishaq al-Zajjaj, Ibrahim bin Muhammad. "Ma‘āni al-Qur’an wa-I‘rabuhu". Investigated by ‘Abd al-Jalil ‘Abduh Shalabi. (Cairo: Dar al-Hadith, 1414–1994).

Al-Zamakhshari, Mahmud bin ‘Umar. "Al-Kashshaf ‘an Haqā’iq Ghawamid al-Tanzil wa-‘Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta’wil". Investigated by Khalil Ma’mun Shiha. (3rd edition. Beirut: Dar al-Ma‘rifah, 2009).

"Al-Mufassal fi ‘Ilm al-Lughah". Prefaced and revised by Muhammad ‘Izz al-Din al-Sa‘idi. (1st edition. Beirut: Dar Ihya’ al-‘Ulum, 1990–1410).

Abu Zayd, Muhammad bin al-Khattab al-Qurashi. "Jumhurat Ash‘ar al-‘Arab". Investigated by ‘Ali Muhammad al-Bijadi. (Misr: Nahdat Misr li-al-Tiba‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzi‘, 1967).

Al-Samin al-Halabi, Ahmad bin Yusuf. "Al-Durr al-Masun fi ‘Ulum al-Kitab al-Maknun". Investigated by Ahmad al-Kharrat. (1st edition. Dimashq: Dar al-Qalam, 1406).

Sibawaih, ‘Amr bin ‘Uthman. "Al-Kitāb". Investigated by ‘Abd al-Salam Muhammad Harun. (3rd edition. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1408–1988).

Al-Suyuti, Jalal al-Din ‘Abd al-Rahman bin Abi Bakr. "Hama‘ al-Hawami‘ fi Sharh Jam‘ al-Jawami‘". Supervised by al-Sayyid Muhammad Badr al-Din al-Nu‘asati. (Cairo: Matba‘at al-Sa‘adah, 1372).

Al-Shinqiti, Muhammad Mahmud. "Diwan al-Hudhayliyyin". (Egypt: al-Dar al-Qawmiyyah, 1385–1965).

Al-Shawkāni, Muhammad bin ‘Ali bin Muhammad. "Fath al-Qadir". (1st edition. Damascus–Beirut: Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalim al-Tayyib, 1414).

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir. "Jami‘ al-Bayan fi Tafsir al-Qur’an". Investigated by Bashshar ‘Awwad Ma‘ruf. (Beirut: Dar al-Ma‘rifah , 1403–1983).

Ibn ‘Ashour, Muhammad al-Tahir. "Al-Tahrir wa-al-Tanwir". (1st edition. Tunis: al-Dar al-Tunisiyyah , 1984).

Abu ‘Ubaidah, Ma‘mar bin al-Muthanna. "Majāz al-Qur’an". Investigated by Fu’ad Sarkin. (Cairo: Maktabat al-Khanji, 1374).

Ibn ‘Atiyyah, ‘Abd al-Haqq bin Ghalib. "Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-‘Aziz". (Fas: al-Majlis al-‘Ilmi, 1395–1975).

Abu al-Baqa’ al-‘Ukbari, ‘Abd Allah bin Ahmad. "Al-Tibyan fi I‘rab al-Qur’an". Investigated by ‘Ali Muhammad al-Bijadi. (Cairo: ‘Isa al-Babi al-Halabi Press, 1976).

Ibn ‘Aqil, ‘Abd Allah bin ‘Abd al-Rahman. "Sharh Ibn ‘Aqil ‘ala Alfiyyat Ibn Malik". Investigated by Muhammad Muhyi al-Din

‘Abd al-Hamid. (Beirut: Dar al-Turath al-‘Arabi).

Abu ‘Ali al-Farisi. "Al-Masa’il al-Basriyyat". Investigated by Muhammad al-Shatir. (Cairo: Matba‘at al-Madani, 1405–1985).

Al-Farra’, Abu Zakariya Yahya bin Ziyad. "Ma‘āni al-Qur’an". Investigated by Ahmad Yusuf Bijani and Muhammad ‘Ali al-Najjar. (Beirut: Dar al-Surur).

Ibn Qutaibah, Abu Muslim ‘Abd Allah bin Muhammad. "Gharib al-Hadith". Investigated by ‘Abdullah al-Juburi. (1st edition. Baghdad: Matba‘at al-‘Ani, 1397).

Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad. "Al-Jami‘ li-Ahkam al-Qur’an wa-al-Mubayyin lima Tadammanahu min al-Sunnah wa-Ay al-Furqan". Investigated by ‘Abd Allah bin ‘Abd al-Muhsin al-Turki. (3rd edition. Dar al-Qalam, reprinted from Dar al-Kutub al-Misriyyah, 1386–1966).

Ibn Kathir, Abu al-Fida’ Isma‘il. "Tafsir al-Qur’an al-‘Azim". Investigated by Yusuf ‘Abd al-Rahman al-Ma‘rashli. (Beirut: Dar al-Ma‘rifah li-al-Tiba‘ah wa-al-Nashr, 1412–1992).

Ibn Mujahid, Abu Bakr Ahmad bin Musa. "Al-Sab‘ah fi al-Qira’at". Investigated by Shawqi Dayf. (1st edition. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1421–2000).

Ibn Manzur, Muhammad bin Mukarram. "Lisan al-‘Arab". (1st edition. Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi and Mu’assasat al-Tarikh al-‘Arabi, 1416–1995).

Abu Ja‘far al-Nahhas, Ahmad bin Muhammad. "I‘rāb al-Qur’an". Supervised by Khalid al-‘Ali. (2nd edition. Beirut: Dar al-Ma‘rifah, 1429–2008).

Abu al-Qasim al-Hudhali, Yusuf bin ‘Ali . "Al-Kāmil fi al-Qira’at al-‘Ashr wa-al-Arba‘in al-Za’idah ‘Alayha". Investigated by Jamal al-Shayib. (1st edition. Mu’assasat Sama, 2007–1428).

Ibn Hisham al-Ansari, ‘Abd Allah bin Yusuf. "Hawāshi Ibn Hisham al-Ansari ‘ala "Al-Tibyan fi I‘rab al-Qur’an" li-Abi al-Baqa’ al-‘Ukbari". Investigated by Isma‘il Ahmad Hamid. (1st edition. Cairo: al-Maktabah al-‘Umariyyah, 1444).

"Mughni al-Labib ‘an Kutub al-A‘arib". Investigated by Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd al-Hamid. (Beirut: al-Maktabah al-‘Asriyyah, 1411–1991).

Ibn Ya‘ish, Ya‘ish bin ‘Ali. "Sharh al-Mufassal". (1st edition. Beirut: ‘Alam al-Kutub).

"التعدية للمفعول ومعناه"
لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجي المتوفى سنة (١٠٦٩هـ)
دراسة وتحقيقًا

"Transitivity and Its Meaning"
By Shihab al Din Ahmad bin Umar al -Khafaji
(Died 1069AH)
Study and Investigative Edition

د. طارق بن هندي بن عطية الله الصاعدي

أستاذ النحو والصرف المشارك بجامعة الطائف (الكلية الجامعية في الخرمة)

البريد الجامعي: tariq@tu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
13/10/2025		24/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-003		

ملخص البحث

يتناول هذا البحث تحقيق ودراسة رسالة لغوية نحوية تراثية بعنوان "التعدية للمفعول ومعناه" للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، أحد كبار علماء اللغة والتفسير في القرن الحادي عشر الهجري، المشهور بمؤلفاته مثل: عناية القاضي، ونسيم الرياض، وريحانة الألبا وغيرها.

يهدف البحث إلى إحياء هذا النص التراثي النفيس من خلال تحقيقه وفق المنهج العلمي المتبع في تحقيق كتب التراث، وضبط نصوصه، وتوثيق مصادره، مع إبراز التكامل بين علوم العقيدة والنحو.

وجاء البحث في قسمين، القسم الأول تناول الدراسة النظرية التي تضمنت: التعريف بالمؤلف، والتعريف بالمخطوط، ودراسة المسألة وبيان أثرها العقدي، وأبرز المآخذ.

وفي القسم الثاني من البحث جاء النص المحقق بعد محاولة تصحيحه وتوثيقه، ملتزمًا بعزو الآيات، وتوثيق الأقوال من مصادرها الأصيلة ما أمكن.

وخلص البحث إلى أن هذه الرسالة من رسائل الخفاجي، وتمثل أنموذجًا من نماذج تكامل علمي النحو والعقيدة، وأن الراجح ما ذهب إليه الخفاجي تبعًا لجمهور النحاة من أنَّ "السماوات" ونحوها مفعول به لا مفعول مطلق في هذه الآية:﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، وفساد القول بأن المخلوق هو نفس الخلق، وأن تحقيق هذه الرسالة يسهم في إحياء التراث اللغوي العقدي، ويكشف عن دقة العلماء القدامى في الربط بين اللغة والعقيدة، وبين اللفظ والمعنى، وبين القاعدة النحوية والمعتقد الصحيح.

الكلمات المفتاحية: الخفاجي-التعدية-مفعول به.

Abstract

This research focuses on editing, investigating and studying a linguistic and syntactic heritage treatise entitled "Transitivity and Its Meaning," by Imam Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad bin Umar al-Khafaji al-Misri al-Hanafi (d. 1069 AH), one of the most prominent scholars of language and interpretation in the eleventh century AH, renowned for his works such as "Inayat al-Qadi," "Naseem al-Riyadh," and "Rayhanat al-Alibba," among others.

The research aims to revive this valuable classical text by investigating it in accordance with the established scholarly methodology applied to the investigation of heritage manuscripts, by establishing and standardizing its textual readings, documenting its sources, and highlighting the integration between the sciences of theology and syntax.

The research is divided into two sections. The first section covers a theoretical study, including an introduction to the author, an introduction to the manuscript, a study of the issue, an explanation of its doctrinal impact, and the most prominent criticisms.

The second section presents the investigated text after an attempt to correct and authenticate it, adhering to authenticating the verses and attributing the statements to their original sources whenever possible.

The research concludes that this work by al-Khafaji represents an example of the intersection of syntax and theology. It further affirms that the stronger view is that adopted by al-Khafājī, in agreement with most grammarians: that *"al-samāwāt"* (the heavens) and similar expressions function as a **direct object (maf'ūl bihi)** rather than an **absolute object (maf'ūl muṭlaq)** in this verse "He created the heavens and the earth". The study also refutes the claim that the created entity is identical to the act of creation itself. Moreover, editing and verifying this treatise contributes to reviving the linguistic–theological heritage and reveals the precision of early scholars in linking language with aqeedah (Islamic belief), wording with meaning, and grammatical rules with correct belief.

Keywords: al-Khafaji, transitivity, direct object**.**

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

تُعدُّ العناية بتراث الأمة العلمي من أسمى صور الوفاء لعلمائها الأقدمين، ومن أعمق وسائل إحياء الفكر العربي والإسلامي الأصيل. ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث الذي يتناول تحقيق ودراسة رسالة للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، أحد كبار علماء اللغة والتفسير في القرن الحادي عشر الهجري، تحت عنوان " التعدية للمفعول ومعناه."

وتتناول هذه الرسالة مسألة نحوية ذات امتداد عقدي، تكشف صورة من التداخل بين علوم النحو والعقيدة في التراث الإسلامي. فالمسألة ليست لغوية بحتة، بل تتصل بإثبات صفات الله الفعلية وأفعاله الاختيارية.

وتتجلى هذه المسألة في إعراب "السموات" من قوله تعالى:﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، فقد جمع الخفاجي أقوال العلماء في رسالته، كالرماني وابن الحاجب وابن هشام من جهة، وقول الجمهور من جهة أخرى، فعرضها وناقشها، وأبرز خلافهم وأدلتهم، مبرزًا موقف أهل السنة ومن وافقهم من الأشاعرة في إثبات الصفات الفعلية لله تعالى خلافًا للمعتزلة ومن وافقهم، مبيِّنا فيها رأيه الذي وافق رأي أهل السنة في هذه المسألة، ورادًّا على من خالفه ومستدركًا عليه، مرجحًا قول الجمهور، كل ذلك جاء في فصلين.

إنَّ هذا العمل لا يقف عند تحقيق نص لغوي، بل يقرأ الفكر النحوي في ضوء القضايا العقدية، ويُظهر عمق التفاعل بين الإعراب والعقيدة في تراثنا العربي الإسلامي.

أهمية البحث

تظهر أهمية البحث وقيمته العلمية في الأمور الآتية:

١- فيه إحياء لنص تراثي نفيس، لعالم من أشهر علماء عصره وأغزرهم علمًا

وأكثرهم تأليفًا.

٢- عناية الخفاجي بجمع آراء العلماء في المسألة ومناقشتها والترجيح بينها.

٣- إظهار التكامل والتداخل المعرفي بين علمي العقيدة والنحو، وأثر العقيدة في التوجيه الإعرابي.

الدراسات السابقة

بعد البحث في محركات البحث العلمية وسؤال بعض أهل العربية لم أقف على من قام بتحقيق هذه الرسالة للخفاجي، وحققت مؤخرًا بعض الرسائل من نفس المجموع، منها:

١- التحفة فيما في الحج الأكبر من الوقفة، حققها الدكتور: نواف بن غدير الشمري، منشورة في مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد (٥١) لعام ١٤٤٦.

٢- رسالة في قولهم:" ليس الطيب إلا المسك"، تحقيق الدكتور: إبراهيم بن ناصر الشقاري، منشورة في مجلة الدراسات اللغوية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في العدد الأول من المجلد الثامن والعشرين لعام ١٤٤٧.

خطة البحث

جاء البحث في تمهيد، وفيه: المقدمة وأهمية البحث والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه، ويليه قسمان وخاتمة وفهارس على النحو الآتي:

القسم الأول: الدراسة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه ومولده.

المطلب الثاني: شيوخه.

المطلب الثالث: تلاميذه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية.

المطلب الخامس: مكانته العلمية.

المطلب السادس: وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم المخطوط، ونسبته إلى مؤلفه.

المطلب الثاني: وصف المخطوط.

المطلب الثالث: دراسة المسألة، وأثرها العقدي.

المطلب الرابع: أبرز المآخذ.

القسم الثاني: النص المحقق، ويليه الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثم فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث

لقد اتبعت في تحقيق هذا الكتاب المنهج العلمي المتبع في تحقيق كتب التراث وهو كالآتي:

١. نسخ المخطوط من النسخة الوحيدة، حسب القواعد الإملائية الحديثة، ملتزمًا بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط .

٢. ما جزمت بخطئه في النسخة فإنني أجتهد في تصويبه من رسالتي السبكي" التهدي إلى معنى التعدي"[١]، و"بيان المحتمل في تعدية عمل"[٢]، مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية.

٣. وضع خط مائل هكذا / للدلالة على بداية اللوحة مع الإشارة إلى رقم اللوحة

(١) حققها د. يوسف الجوارنة ونشرت في مجلة العلوم العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٨ سنة ١٤٣٢.

(٢) نقلها السيوطي في الأشباه والنظائر ١٠٥/٤ طبعة مجمع دمشق، وسقط العنوان من طبعة عالم الكتب ١٢٤/٧. (وجميع ما سيأتي من طبعة عالم الكتب).

داخل معقوفين.

٤. عزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر أرقامها، وإن تعددت مواضعها عزوت إلى أول موضع لها، وكتابتها بالرسم العثماني.

٥. التعليق على المسائل النحوية عند الحاجة إلى ذلك، وتوثيق مسائل الخلاف من كتب الخلاف النحوي.

٦. توثيق الآراء والأقوال الواردة فيه من مؤلفات أصحابها – إن وجدت – وإلا فمن المؤلفات الوسيطة.

٧. لم أترجم للأعلام اختصارًا للبحث.

القسم الأول: الدراسة

المبحث الأول: التعريف بالشهاب الخفاجي، وفيه ستة مطالب

- **المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه ومولده**

هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، الحنفي فقهًا، الماتريدي عقيدة، ولد في مصر سنة ٩٧٧ هـ[١]، يُنسب إلى قبيلة خفاجة، قال في ريحانة الألبا:" هذا وإني كنت قبل أن تُشِيب منِّي الخطوبُ الذوائب، وتصبح كبدي وأحشائي بلظى النَّوائب ذوائب، والزمان ربيعٌ، ورَوْض الشباب مَرِيع، أعد الأدب عنوان صحائف الشمائل، وبيت القصيد في ديوان المآثر والفضائل، أُنفق نقد عمري في اقتنائه واقتناص شوارده، وأملأُ صدف المسامع مما يستخرج غوَّاص الأفكار من فرائده، وأَشِيم بارقة السحر من نفثاتِه، وأشُمُّ عبِير السرور من أرْدَان نسماتِه، وأرتَشِف من طَبْعي ما يَنِمّ على سرِّ الزُّجاجة، وأشْتَفُّ منه ما أسْأرَتْه الجُدودُ من ذُؤابة خفاجة، صُبابةَ مجدٍ لم يكدِّرها في جامِ المشارب وِرْدُ الخطوب، وازدِحامُ الشَّوائب.

فإنِّي من العرب الأكرمين ... وفي أوَّل الدهرِ ضاع الكرمْ"[٢].

- **المطلب الثاني: شيوخه:**

أخذ الخفاجي عن كثير من العلماء في مصر والحرمين وبلاد الروم منهم:

١- أحمد بن قاسم العبادي: (ت٩٩٢هـ)، قال عنه: شيخنا[٣]، وشيخ

---

(١) ينظر: محمد أمين المحبي. "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، (بيروت، الناشر: دار صادر) ١: ٣٣١.

(٢) أحمد بن محمد الخفاجي. "ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا". تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، (ط: الأولى، القاهرة، الناشر: مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، ١٣٨٦هـ) . ١: ٤.

(٣) ينظر: أحمد بن محمد الخفاجي، "خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا". تحقيق: د. مسعود =

مشايخنا[١]؛ إذ أخذ عنه أولًا ثم عن طلابه كوالده والشيخ الشنواني.

٢- برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن العلقمي: (ت٩٩٤هـ) قرأ عليه كتاب "الشفا" للقاضي عياض وأجازه به[٢].

٣- شمس الدين محمد بن أحمد الرملي: (ت ١٠٠٤هـ) أخذ عنه بعض صحيح مسلم، وأجازه بمؤلفاته ومروياته عن شيخه زكريا الأنصاري وعن والده[٣].

٤- علي بن محمد بن غانم المقدسي: (ت١٠٠٤هـ) حضر دروسه وقرأ عليه الحديث[٤].

٥- داود بن عمر الأنطاكي: (ت١٠٠٨) أخذ الطب عنه[٥].

٦- سعد الدين محمد بن حسن المعروف بـ(خواجة أفندي): (ت١٠٠٨هـ) شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، وتلميذ المفسر أبي السعود، أخذ عنه في بلاد الروم[٦].

٧- علي بن جار الله القرشي، المشهور بـ(ابن ظهيرة): (ت١٠١٠هـ) أخذ عنه في رحلته إلى الحرمين[٧].

أركين، (ط: الأولى، دمشق، منشورات: مجمع اللغة العربية، سنة: ١٤٣٦هـ). ٦١٢، وأحمد بن محمد لخفاجي. "عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية على تفسير البيضاوي)"، (د.ط، بيروت الناشر: دار صادر). ٣: ٢٣٨.

(١) ينظر: الخفاجي، "عناية القاضي". ٤: ١٥٩.

(٢) ينظر: الخفاجي، "خبايا الزوايا". ٦٠٦.

(٣) ينظر: المحبي، "خلاصة الأثر". ١: ٣٣٢.

(٤) ينظر: الخفاجي، "خبايا الزوايا". ٥٣٠.

(٥) ينظر: المرجع السابق ٢٨٨.

(٦) ينظر: المرجع السابق ٧٢٥؛ والمحبي، خلاصة الأثر ٣: ٤١٨.

(٧) ينظر: الخفاجي، "خبايا الزوايا". ٣٧٤؛ والمحبي، "خلاصة الأثر". ٣: ١٥٠.

٨- والده شمس الدين محمد بن عمر الخفاجي: (ت١٠١١هـ) لزمه وأخذ عنه كثيرًا من الفنون[١].

٩- خاله أبو بكر بن إسماعيل الشَّنَواني: (ت١٠١٩هـ) أخذ عنه علوم العربية[٢].

- **المطلب الثالث: تلاميذه:**

أخذ عن شهاب الدين الخفاجي عدد من طلبة العلم، منهم:

١- فضل الله بن محب الله المحبي: (ت١٠٨٢هـ) لازم الخفاجي، وهو الذي كتب عنه أصل كتاب "الريحانة" المسمى "خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا"[٣].

٢- العلامة عبدا لقادر بن عمر البغدادي: (ت١٠٩٣هـ) لازمه وأخذ عنه الحديث والأدب والتفسير، وأجازه بمؤلفاته، وكان الخفاجي يدارسه غريب المسائل لسعة اطلاعه[٤].

٣- أحمد بن يحيى بن عمر الحموي: (ت١٠٩٤هـ) المعروف بالعسكري الشافعي، مفتي الشافعية في حماة[٥].

- **المطلب الرابع: آثاره العلمية:**

كثرت تصانيف الخفاجي وتنوعت لسعة اطلاعه وموسوعيته، فصنَّف في العربية والأدب والتفسير والتراجم وغيرها، فمن مؤلفاته المطبوعة:

(١) ينظر: المحبي، "خلاصة الأثر". ٤/٧٦.

(٢) ينظر: الخفاجي، "ريحانة الألبا". ٢: ٣٠١؛ والمحبي، "خلاصة الأثر". ١/٧٩.

(٣) ينظر: المحبي، "خلاصة الأثر". ٣: ٢٧٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق ٢: ٤٥١.

(٥) ينظر: المرجع السابق ١: ٣٦٧.

١- أمالي الشهاب الخفاجي: ذكره البغدادي في خزانة الأدب[١].
٢- ديوان الأدب: ذكره الشهاب في ريحانة الألبا.
٣- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: ذكره صاحب خلاصة الأثر.
٤- شرح درة الغواص في أوهام الخواص: ذكره الشهاب في ريحانة الألبا.
٥- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الوحشي القليل: ذكره الشهاب في عناية القاضي[٢].
٦- عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية على تفسير البيضاوي).
٧- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض: ذكره الشهاب في ريحانة الألبا.
٨- نكت على مغني اللبيب، وتوفي الخفاجي في بداية تصنيفه الكتاب[٣].

وله رسائل كثيرة متفرقة منها ما حُقِّق ومنها ما ينتظر التحقيق.

- **المطلب الخامس: مكانته العلمية:**

بلغ الخفاجي منزلة رفيعة بين العلماء، وفاق أقرانه وكثيرًا من أهل عصره، قال عنه المحبي:" صاحب التصانيف السائرة، وأحد أفراد الدنيا المجتمَع على تفوقه وبراعته، وكان في عصره بدر سماء العلم، ونير أفق النثر والنظم، رأس المؤلفين ورئيس المصنفين"[٤].

وقال عنه العياشي:" الشيخ الذي طبق ذكره الآفاق، وسارت بالثناء عليه الرفاق،

(١) ينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي. "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، تحقيق: عبد السلام هارون، (الطبعة: الرابعة، القاهرة، الناشر: مكتبة الخانجي، سنة:١٤١٨ هـ). ١: ٢٣.
(٢) ينظر: الخفاجي، "عناية القاضي". ٤: ٣٣٨.
(٣) ينظر: زكريا سليمان التميمي. "مآخذ الشهاب الخفاجي في "نكته على مغني اللبيب" على ابن هشام الأنصاري: دراسة نحوية". مجلة كلية دار العلوم-العدد: ١٤٦ (يوليو ٢٠٢٣م) ١١١.
(٤) المحبي، "خلاصة الأثر" ١: ٣٣٢.

المسن المعمر، الفخم المفخم، ذو الجاه الأثيل والمجد الأصيل...إمام الحنفية بمصر، بل الحنفية وغير مصر ولا مدافع، والمسلم له في كل العلوم ولا منازع"(١).

وقال أحدهم: قلت للبغدادي لما رأيت من سعة حفظه واستحضاره:" ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك، فقال لي: جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه"(٢)، ولِّي القضاء في بلاد الروم، وفي مصر(٣).

- **المطلب السادس: وفاته:**

توفي الخفاجي –رحمه الله–في الثاني عشر من شهر رمضان سنة (ت١٠٦٩هـ) من الهجرة، ودُفن في القاهرة(٤).

(١) عبد الله بن محمد العياشي. "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر". تحقيق: نفيسة الذهبي، (ط: الأولى، الرباط منشورات: كلية الآداب، سنة: ١٩٩٦م). ١٢٦.

(٢) ينظر: المحبي، "خلاصة الأثر". ٢: ٤٥٢.

(٣) ينظر: خير الدين الزركلي. "الأعلام". (ط: الخامسة عشرة، بيروت، نشر: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م). ١: ٢٣٨.

(٤) ينظر: المحبي، "خلاصة الأثر". ١: ٣٣٤.

المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط، وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: اسم المخطوط، ونسبته إلى المؤلف.**

صرح المؤلف في أول الرسالة بعنوانها فقال:" الرسالة الثانية والثلاثون في التعدية للمفعول ومعناه"، وأما نسبته للشهاب الخفاجي فقد اتضحت من عدة أدلة:

أحدها: الرسالة منسوبة للمؤلف في الورقة الأولى من المجموع الذي وقعت فيه الرسالة باسم" رسائل شهاب أفندي"، وهذا اللقب مشهور متداول للمؤلف، حيث ورد في خاتمة كتابه: عناية القاضي[١]، وكتابه: نسيم الرياض في شرح الشفا[٢].


تمت السورة الشريفة بحمد الله وعونه ومنه فقرا والله اعلم
تم الجزء الثالث من عناية القاضي وكفاية الراضي لوحيد دهره وفريد عصره
القطب الرباني والعارف الصمداني المخلص لربه المرتضى
المولى شهاب الدين افندي رحمه الله
ورضي عنه ونفعنا به آمين
والحمد لله رب العالمين
آمين

(١) ينظر: اللوحة الأخيرة من نسخة مكتبة مراد ملا برقم (٢٥٩).

(٢) ينظر: اللوحة الأخيرة من نسخة مكتبة مراد ملا برقم (٤٤٧).


الجزء الاول من شرح الشفا للمولانا
شهاب افندي على الخفاجي
عباس رحمهما الله تعالى
وينفعنا بهما في الدارين
امين والحمد لله
وحده
اهـ

الدليل الآخر: الرسالة وقعت ضمن مجموعة رسائل ثابتة النسبة للمصنف، كرسالة في إعراب قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ وهي مطبوعة ضمن كتاب:" أربع رسائل في النحو" تحقيق الدكتور عبد الفتاح سليم من إصدارات مكتبة الآداب.

الدليل الثالث: نسب البغدادي في مجموع رسائل رسالة في تفسير قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ إلى الخفاجي [1]، حيث قال:" هذه الرسالة لأستاذنا المولى الأعظم، لسان العرب، الثقة، خاتم الحفاظ، أحمد شهاب الدين أفندي"، وهي نفس الرسالة الخامسة والعشرين في هذا المجموع.

وكذلك رسالة في تفسير ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾، حيث نسبها البغدادي

(١) المجموع رقم ١٤٦٧ في مكتبة راغب باشا في أسطنبول، بخط البغدادي تلميذ المؤلف، والرسالة في ١٠٠/ب.

إلى الخفاجي[١]، وهي نفس الرسالة الرابعة الثلاثين في مجموعنا.

الدليل الرابع: أحال الخفاجي في بعض رسائل هذا المجموع إلى بعض مصنفاته، ومنه قوله:" فيه تفصيل أوردناه في شرح الشفا"[٢]، وقال في موضع آخر:"كما بيناه في نكت المغني"[٣].

الدليل الخامس: أشار إلى خاله أبي بكر الشنواني أحد شيوخه –كما مر بيانه– في قوله:" تتمة في فائدة مهمة: وهي ما قاله شيخي الخال أبو بكر الشنواني..."[٤].

- **المطلب الثاني: وصف المخطوط.**

جاءت الرسالة ضمن مجموعة رسائل محفوظة في مكتبة (مراد ملا) في مدينة أسطنبول برقم (١٨٣٦) وهي الرسالة الثانية والثلاثون، وتبدأ من نهاية الصفحة ٦٨/أ وتنتهي في منتصف الصفحة ٧٦/ب، وبعد البحث في فهارس المخطوطات وسؤال بعض المختصين لم أقف إلا على هذه النسخة.

وهي نسخة تامة، في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرًا، في كل سطر نحو اثنتي عشرة كلمة، مكتوبة بخط واضح باللون الأسود، وتمييز عناوينها باللون الأحمر، إلا أنها لا تخلو من بعض التصحيف، وإهمال النقط، ولم يُشر إلى تاريخ نسخها.

- **المطلب الثالث: دراسة المسألة وأثرها العقدي.**

جاءت الرسالة تعقيبًا على رسالتين للسبكي إحداهما بعنوان:" التهدّي إلى معنى التعدّي"، والأخرى بعنوان:" بيان المحتمل في تعدية عمل"، فقد تناولت الرسالتان مسألة نحوية كلامية أصولية، ظهر فيها الأثر العقدي في إعراب "السماوات" من قوله

(١) المرجع السابق ١٠٩/ب.
(٢) هذا المجموع ١٥٠/ب
(٣) هذا المجموع ٣٨/ب.
(٤) هذا المجموع ٧/أ.

تعالى:﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وتناولت الخلاف في الفرق بين معمول الأفعال العامة والأفعال الخاصة، إذ ذهب الرماني والجرجاني وابن الحاجب وتبعهم ابن هشام إلى أن معمول الأفعال العامة كـ(عمل وصنع وخلق) مفعول مطلق، وأن معمول الأفعال الخاصة كـ(ضرب وأكل وشرب) مفعول به، وخالفهم جمهور النحاة، وتبعهم الخفاجي فلم يفرقوا بينهما، مع ذكر أدلة القول الأول والرد عليها.

وصرَّح ابن الحاجب بسبب هذا الخلاف في أماليه في قوله: من قال إن الخلق هو المخلوق أعرب السماوات مفعولًا مطلقًا لبيان النوع، فهي كقولك: قعدت القرفصاء، ومن قال إن المخلوق غير الخلق وإنما هو متعلق الخلق أعربها مفعولًا به، وهذا باطل؛ إذ لا يستقيم أن يكون المخلوق متعلق الخلق، فلو كان متعلقًا لزم أن يكون الخلق المتعلق قديمًا أو مخلوقًا، فإن كان مخلوقًا لتسلسل وبطل، وإن كان قديمًا لزم أن يكون متعلقه معه؛ إذ لا خلق بلا مخلوق، فتكون المخلوقات حينئذ أزلية وهذا باطل، فلزم بطلان القول(١).

والمسألة مسألة إثبات الأفعال والصفات الاختيارية لله تعالى، فالمعتزلة أثبتوا الأسماء وأنكروا الصفات(٢)، والأشاعرة أنكروا الصفات الفعلية الاختيارية، قال الرازي- وهو من أئمة الأشاعرة-: أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وإن أنكروه باللسان(٣).

وأثبتها أهل السنة وبعض الأشاعرة كالخفاجي، قال الطحاوي:" مازال بصفاته

(١) ينظر: أبو عمرو عثمان ابن الحاجب. "أمالي ابن الحاجب". تحقيق د: فخر صالح قدارة، (د.ط بيروت وعمَان، نشر: دار الجيل، سنة ١٤٠٩ هـ). ٢: ٧٠٢.

(٢) ينظر: أحمد بن يحيى الزيدي. "المنية والأمل في شرح الملل والنحل". تحقيق د. محمد جواد مشكور، (ط: الثانية الناشر: دار الندى، سنة: ١٤١٠هـ). ٣٠.

(٣) ينظر: تقي الدين ابن تيمية الحراني. "درء تعارض العقل والنقل". تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (ط: الثانية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ) . ٢: ٢٠٧.

قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان أزليًّا كذلك لم يزل عليها أبديًّا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق..."[١].

المطلب الرابع: أبرز المآخذ.

ممَّا يؤخذ على الخفاجي في هذه الرسالة خمسة أمور:

الأول: أكثر النقل من رسالتي السبكي "التهدي إلى معنى التعدي" و"بيان المحتمل في تعدية عمل" وتصرف في النص دون إشارة إليهما.

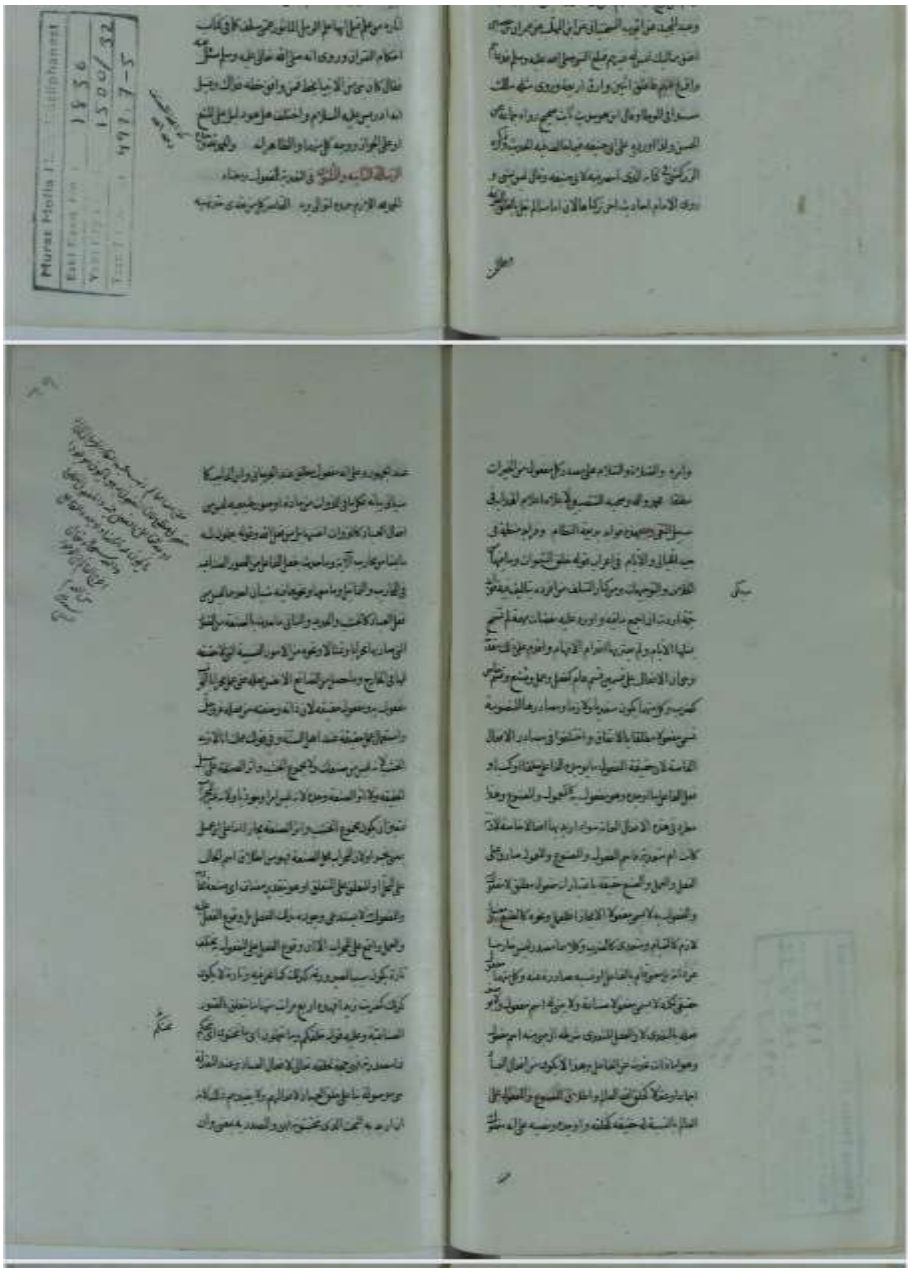
الثاني: اختصاره الشديد لبعض العبارات ممَّا استوجب بيانها وشرحها.

الثالث: تكرار بعض المسائل والعبارات في موضعين، وعلة ذلك أنَّ السبكي ذكرها في رسالتين، فأخذها الخفاجي وجمعها في رسالة واحدة.

الرابع: غلبة المنطق وعلم الكلام على أدلته؛ إذ لم يستدل بأصول النحو سوى الإجماع في موضع واحد.

الخامس: تقريره لاعتقاد الأشاعرة في أكثر من موضع.

(١) أحمد بن محمد الطحاوي. "العقيدة الطحاوية". (ط: الأولى، بيروت، الناشر: دار ابن حزم، سنة: ١٤١٦هـ). ٩.



صورة أول الرسالة



صورة آخر الرسالة

الرسالة الثانية والثلاثون في التعدية للمفعول ومعناه.

الحمد لله اللازم حمده لتوالي بِرِّه، القاصرِ كلَّ من تعدَّى حدَّ نهيه [٦٨/ب] وأمرِه، والصلاة والسلام على مصدر كلِّ مفعولٍ من الخيرات مطلَقًا، محمد وآله وصحبه المنتصبين لإعلاء أعلام الهداية في سبيل التقى، وبعد.

فهذه فوائد بديعة النظام وفرائد منظَّمة في جيد الليالي والأيام، في إعراب قوله:﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[١] وما فيها من الخلاف والتوجيهات، ومن كبار السلف من أفرده بتأليف فيه فوائد جَمَّة[٢]، أردت أن أجمع ما فيه وأورد عليه تعقبات مهمة، لم تسمح بمثلها الأيام، ولم يعثر بها أقدام الأفهام، وأقدِّم على ذلك مقدِّمةً، وهي أنَّ الأفعال على قسمين: قسم عامٌّ كـ (فَعل وعَمِل وصنع)، وقسم خاصٌّ كـ(ضرب)،وكلٌّ منهما يكون متعدِّيًا ولازمًا، ومصادرها المنصوبة تسمى مفعولًا مطلَقًا بالاتفاق[٣]، واختلفوا في مصادر الأفعال الخاصة؛ لأنَّ حقيقة المفعول ما يوجده الفاعل خلقًا أو كسبًا[٤]، وفعل الفاعل ما أوجده وهو مفعوله[٥] كالمعمول والمصنوع، وهذا مطَّرد في هذه الأفعال العامة، سواء

---

(١) جزء من الآية (١) من سورة الأنعام.

(٢) هو الإمام السبكي كما مرَّ.

(٣) أي الأفعال العامة.

(٤) قال الأشاعرة بالكسب في مسألة أفعال العباد، وتعني عدم تأثير إرادة العبد في فعله، خلافًا لأهل السنة فإنهم يرون أن العبد فاعل لهذه الأفعال باختياره، وله قدرة عليها. ينظر: محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي."التوحيد". تحقيق: فتح الله خليف، (طبعة مصورة، دار الجامعات المصرية). ٧٥-٧٦؛ وعبد الرحمن بن محمد بن قاسم. "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية". (الطبعة: الأولى، مطابع الرياض، ١٣٨١هـ). ٢: ١١٩.

(٥) في النسخة "وهو مفعول به" والصواب ما أثبته (من التهدي إلى معنى التعدي) ٤٧، ويؤيده قوله بعده:" فاسم المفعول والمصنوع والمعمول صادق على الفعل والعمل والصنع حقيقة باعتبار أنه مفعولٌ مطلق لا مفعول به".

أُرِيَد بها أفعالًا عامة لازمة كانت أم متعدية، فاسم المفعول والمصوغ والمعمول صادق على الفعل والعمل والصنع حقيقة باعتبار أنه مفعولٌ مطلق لا مفعول به.

والمفعول به لا يسمى مفعولًا إلَّا مجازًا، فللعمل ونحوه كالصنع معنيان: لازم كالقيام، ومتعدي كالضرب، وكلاهما مصدر ليس خارجًا عن ذاته بل معنى قائم بالفاعل، أو نسبة صادرة عنه، وكل منهما مفعول حقيقي لكنه لا يسمى مفعولًا صناعة، ولا يبنى له اسم مفعول، ولا يوصف فعله بالتعدي؛ لأن الفعل المتعدِّي شرطه أن يبنى منه اسم مفعول، وهو إنَّما ذات تحدث عن الفاعل، وهذا لا يكون من أفعال العباد إجماعًا وعقلًا كـ"خلق الله العالم"، وإطلاق المصوغ والمفعول على العالم بالنسبة له حقيقة كخَلْقه وأوجده، ونصبه على أنه مفعولٌ به [٦٩/أ] عند الجمهور(١)، وعلى أنه مفعولٌ مطلقٌ عند الجرجاني(٢) وابن الحاجب(٣) كما سيأتي بيانه.

وقوله: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾(٤) الآية، وما حدث بفعل الفاعل من الصور الصناعية في المحاريب والتماثيل وما معها ونحوها فيه شيئان: أحدهما ليس من فعل العباد كالخشب والحديد، والثاني ما حدث بالصنعة من الصور التي صار بها محرابًا وتمثالًا ونحوه من الأمور النسبية التي لا حقيقة لها في الخارج، وما حصل من الصانع إلا نفس فعله.

ففي (عمل محرابًا) المحراب مفعول به ومفعول حقيقة؛ لأن ذاته وصفته من فعله

(١) ينظر: خالد بن عبدالله الأزهري. "التصريح بمضمون التوضيح". تحقيق د: عبد الفتاح بحيري، (ط: الأولى، نشر: الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٨هـ). ١: ٢٦٨

(٢) ينظر: عبد القاهر الجرجاني. "المقتصد في شرح الإيضاح". تحقيق د: كاظم بحر المرجان، (د.ط، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، سنة: ١٩٨٢م). ١: ٥٨٠.

(٣) ينظر: ابن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب". ٢: ٧٠٢.

(٤) سورة سبأ جزء من الآية (١٣).

عز وجل، واستعمال "عَمِل" حقيقة عند أهل السنة، وفي قولك: (عملت أنا) لا تريد الخشب؛ لأنه ليس من صنعك، ولا مجموع الخشب وأثر الصنعة على سبيل الحقيقة، ولا أثر الصنعة وحده؛ لأنه ليس أمرًا وجوديًّا، ولأنه غير المحراب، فتعين أن يكون مجموع الخشب وأثر الصنعة مجازًا إمّا على أنّ "عَمِل" بمعنى "نجر"، أو لأنّ المحراب محل الصنعة فهو من إطلاق اسم الحال على المحل، أو المتعِّلق على المتعَّلق، أو هو بتقدير مضاف أي: صنعة محاريب.

والمفعول به لا يستدعي وجوده بذلك الفعل بل وقوع الفعل عليه، والعمل واقع على المحراب إلا أن وقوع الفعل على المفعول به مختلف، تارة يكون سببا لصيرورته كذلك كما نحن فيه، وتارة لا يكون كذلك كـ"ضربت زيدًا".

فهذه أربع مراتب[1] منها ما يتعلق بالصور الصناعية وعليه قوله:﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [2] أي ما تنحتون أي نحتكم، فما مصدرية فهي حجة لخلقه تعالى لأفعال العباد، وعند المعتزلة هي موصولة بناء على خلق العباد لأفعالهم، ولا يفيدهم ذلك؛ لأنه إن أريد به النحت الذي تنحتونه فهي والمصدرية بمعنى، وإن [٦٩/ب] أريد المنحوت من حيث مادته لم يصح؛ لأنه لا يناسب الإنكار عليهم في عبادتهم؛ لأنهم لم يعبدوه من حيث مادته، وإن أريد من حيث صورته فقيد النحت متصور، فيعود لما مَّر من التقدير كأنه قال: ما يعملونه في المنحوت من النحت.

فـ"عِمل" معمولُها إن كان ذاتًا أو صفة غير صناعية تعدت وأسندت إلى الله، وما نصبته مفعول به بمقتضى الصناعة النحوية، وإن كان مفعولًا حقيقة وليس مصدرًا بل مفعولًا مطلَقا أي لم يقيد بقولهم: به أو فيه أو له أو معه، فكلُّ مصدر يكون مفعولًا

(١) المراتب هي: المعنى اللازم والمتعدي وما يحدث عن الفعل من ذات وما يحدث عنه من معنى.
(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).

مطلقًا، و[ليس][(١)]كل مفعول يكون مصدرًا.

وإن كان معمولها صفة صناعية صحَّ إعرابه مفعولًا به؛ لوقوع الفعل عليه، ومفعولًا مطلقًا كالنوات على سبيل المجاز، ولذا قال الزمخشري في قوله:﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[(٢)] يجوز كونه مفعولًا به مشاكلة[(٣)]، وقدَّم الأولى من أنه مفعول له[(٤)].

وإن لم يكن معمولها ذاتًا ولا صفة طبيعية ولا صناعية لم يكن إلا نفس العمل فيكون لازما كـ:﴿واعْمَلُوا صَالِحًا﴾[(٥)]، وعملت صلاة؛ إذ لا فرق بين: (عملت صلاة وصليت صلاة)، كل منهما لازم، ومن زعم خلافه لم يعرف النحو ولا المفعول[(٦)]، ولو جعلت الظهر موضع الصلاة كان انتصابه على المصدرية كرجع القهقرى؛ لأن الظهر نوع من الصلاة، ولم يصح أن يكون مفعولًا به إلا مجازًا ولا ضرورة إليه.

والثاني[(٧)]: الأفعال الخاصة وتكون لازمة ومتعدية، والتعدي مجاوزة أثر الفاعل إلى غيره كالضرب الواقع على زيد، والشرب والأكل الواقع على الماء واللحم، وليس معنى التعدي أن الفعل متعلق به، ونسبة بينه وبين الفاعل والخلق والإيجاد ونحوهما مما يشارك ذلك في المجاوزة ووجود آثارها في المخلوق الموجَد ونحوهما، ويزيد عليها بأن المخلوق

(١) سقط من النسخة وأثبته من السبكي، "التهدي إلى معنى التعدي" ٥٣.

(٢) سورة سبأ جزء من الآية (١٣).

(٣) المشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. "الإتقان في علوم القرآن" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٣٩٤هـ). ٣: ٣٢٢.

(٤) ينظر: أبو القاسم محمود الزمخشري. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". ط: الثالثة، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، سنة: ١٤٠٧هـ). ٣: ٥٧٣.

(٥) سورة المؤمنون جزء من الآية (٥١)، وهي في النسخة بلا واو "اعملوا".

(٦) لأن معمولها ليس ذاتًا ولا صفة طبيعية ولا صناعية كما قرره سابقًا.

(٧) الأول قوله: "الأفعال على قسمين: قسم عام..." (ص ١٤)

والموجَد ونحوهما [٧٠/أ] موجودة بذلك الفعل، فينبغي أن تسمى مفعولة لا مفعولًا بها، لكن النحاة سموها مفعولًا بها إمَّا لغلبة ذلك في المفعول به فأُلحق غيره به وسِّمي باسمه، أو لأنَّ معنى الفعل واقع به، والوقوع مختلف، ففي نحو "ضرب" الواقع حدث على موجود قبله، وفي "أوجد" ليس كذلك؛ لما فيه من تحصيل الحاصل، أو لأن كثيرًا من النحاة عندهم المعدوم من ذوات إنما يكسبه[1] الفاعل الوجود، فالخالق لا فعل له في الذوات غير اتصافها الواقع عليها كالضرب.

والمختار الثاني؛ فإنَّ الوقوع أعُّم من الواقع على ذات سابقة كـ"زيد المضروب" أو مقارنة، جمعًا بين مذهب أهل السنة وغيرهم[2]، ولولا هذا كان نحو المخلوق أحق باسم المفعول المطلق من المفعول به كما مر، ومع هذا فلابد في المفعول به من صحة بناء اسم المفعول له بلا قيد حرف كمضروب ومأكول، فإن لم يصح ذلك لم يعرب مفعولًا به ولم يكن فعله متعديًا لإجماع النحاة على أن المتعدي ما يبنى منه اسم مفعول غير مقيد.

الضرب الثاني اللازم كـ"قام"، وجميعها يتعدى إلى المصدر، وقيل لا يسمى مفعولًا مطلَقا إلا مصدر الأفعال العامة، وهو قول شاذ[3]، وتحقيقه ما قيل: إن أريد بالمفعول المطلق ما صدر عن الفاعل وهو الفعل الحقيقي مطلَقا والنوات والصفات الحقيقية في فعل الله عز وجل فالمفعول أعم من المصدر، لكنَّ النحاة سموها مفعولًا به، فتعين أن يكون مرادهم بالمفعول المطلق نفس الحدث، فالعمل في الفعل اللازم والصلاة ونحوها ليس مفعولًا به، وقد يراد بالمفعول المطلق الاسم المبني للمفعول ولا يريده أحد من النحاة هنا.

وقد قسَّموا المصدر إلى معنى قائم بالفاعل غير صادرٍ عنه كالفهم، وصادر عنه

(١) في النسخة "يكسب" والراجح ما أثبته.

(٢) يعني أهل الصنعة كما في "التهدي إلى معنى التعدي " ٥٥.

(٣) ينظر: محمد بن يوسف الأندلسي. "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، تحقيق د: رجب عثمان. (ط: الأولى، القاهرة، نشر: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ). ٣: ١٣٥٣.

كالضرب حقيقة، أو مجازًا كمات موتًا، وقيل: المصدر مطلقًا لابد أن يكون [٧٠/ب]إمّا قائمًا بالفاعل أو نسبة بينه وبين غيره، ولا حاجة لتقييده بالمجاز لقيام الموت بمن أسند إليه وهو المراد بالفاعل، وتسميته فاعلًا اصطلاح ولغة، والفاعل حقيقة من صدر عنه الفعل سواء صدر عنه بفعله حقيقة كأفعال الله، أو بكسبه كأفعال العباد(١).

ثم إنَّ من الأفعال ما يشبه اللازم لخفاء وجه تعديه، وهو (قلت قولًا)، فإنَّ الجملة نحو: (قلت زيد منطلق) في محل نصب مفعول به، وهذا يحتمل أن يكون مفعولًا به ومفعولًا مطلقًا، فإن قلنا إنه يعمل في المفرد فهو مفعول به، ولا بد أن يغايره، فإن قلنا: القول بمعنى المقول كاللفظ بمعنى الملفوظ فهو مفعول به، وإن قلنا: هو التكلم وتحريك اللسان ونحوه بصوت مخصوص فهو مفعول مطلق، وعلى الأول هو نفس الصوت المتكَّلم به(٢).

فصل في (عِمل)

عِمل في نحو قوله: ﴿ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾(٣)، و﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾(٤) فاعلم أنَّ بعض أهل العلم نقل عن سيبويه أن "صالحًا" في نحو "عِمل صالحًا" نعت مصدر مقدَّر أو حالٌ من ضمير مصدر مقدر، أي: اعملوه صالحًا(٥)، وليس "عِمل" متعدِّيًا،

(١) قاله السبكي في "التهدي إلى معنى التعدي" ٥٧.

(٢) هنا انتهى نقله من "التهدي إلى معنى التعدي" وهي آخر الرسالة.

(٣) سورة المؤمنون جزء من الآية (٥١)، وهي في النسخة بلا واو "اعملوا".

(٤) سورة المؤمنون جزء من الآية (٥١).

(٥) ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط: الأولى، بيروت، نشر: دار الجيل). ٢: ٣٧٠. ولم يرد عنه سوى النصب على الحالية، والذي أجاز إعرابه نعت مصدر مقدر هو السبكي في "التهدي إلى معنى التعدي" ٤٥.

قال: ومن زعم خلافه لم يفهم كلام النحاةوكلام سيبويه إمام الصنعة(١)؛ لأن المتعدي ما وقع عليه فعل الفاعل(٢)، والمفعول به محلٌّ لفعل الفاعل، وهذا هو الذي بنى له النحاة صيغة مفعول كمأكول ومضروب، فزيدٌ المضروب والخبز هو المأكول والماء المشروب، فهي محل تلك الأفعال وليست مفعولة بل مفعولًا بها، والمفعولة غيرها.

ومعنى مفعول بها: أنَّها فُعِل بها شيء من الأحداث، والحدث الواقع به مفعولٌ ومفعولٌ مطلقٌ ومصدرٌ، فهو مفعول بلا قيد كمعه وله، ومن تدبر قول النحاة "مفعول به" عرف ذلك، وأنَّ المفعول غيره، أطلق عليه اسم مفعول لا اسم مفعول به لفهم المعنى وهو واضح في نفسه، [٧١/أ] فكل فعل لم يبن منه اسم(٣) لا يقال له متعدي وإن كان له مفعول حقيقي وهو الفعل، والعمل هو الفعل، وهو المفعول المطلق، فهو مصدر وليس مفعولًا به، ولا يبنى له اسم مفعول، فلا يتعدى فعله إليه تعدي الفعل إلى المفعول به بل تعديه إلى المصدر، فلذلك قال في نحو:﴿ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾(٤) إنه ليس مفعولًا به.

والفعل اصطلاحًا يدل على زمان وحدث هو عندهم الفعل، والدال عليه مصدرٌ ومفعولٌ مطلقٌ في الغالب، وقد يكون المعنى الذي دلَّ عليه الفعل قائمًا بالفاعل من غير أن يكون صادرًا عنه، كعلم الله القديم القائم بالذات المقدسة عند أهل السنة، وتسمية ما اشْتُقَّ منه فعلًا أمْر اصطلاحيٌّ، فقول النحاة: المصدر مفعول مطلق وفعل(٥) ليس يطَّرد.

---

(١) هذا قول السبكي في:" التهدي إلى معنى التعدي" ٤٥ و٥٣.

(٢) كذا في المخطوط، وفي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. "الأشباه والنظائر في النحو". تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، (ط: الثالثة، بيروت، نشر: عالم الكتب، سنة: ٢٠٠٣م). ٧: ١٢٥ "لأن المتعدي هو الذي يكون له مفعول به..."

(٣) يعني اسم مفعول، كما في السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٢٦.

(٤) سورة النحل جزء من الآية (٩٧).

(٥) قال الجرجاني في تسمية المصدر فعلًا:" هذا على مقتضى العادة، وهو أن الضرب فعل يفعل =

وأما (خلق الله السملوات والأرض والعالم) فقد ذهب الجرجاني وتبعه ابن الحاجب في أماليه[١] إلى أنَّ انتصابه على المصدرية بناء على أن الخلق هو المخلوق وسيأتي بيانه، وغيرهم يقول إنَّه مفعولٌ به، ومفعوله المطلق إنَّما هو الخلق[٢]،وكذلك الأفعال العامة كقوله:﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾[٣] ويلزمهم أن يكون لهم مفعول من غير تقييد ليس بمصدر، وأكثرهم صرَّح بخلافه، فإمَّا أن يقال: إنَّهم تسمَّحوا في تعريف المطلق بالمصدر، أو نقول: المفعول ما نشأ عن فاعل كالمصدر، وتارة يخالفه كهذا، أو يقال: أكثر النحاة معتزلة، والمعدوم عندهم شيء، أي ذات متقررة في العدم لا تأثير للفاعل في ذاته بل في إبرازه للوجود، وإبرازه معنى واقع عليه كالضرب[٤]، فمنهم من قاله اعتزالًا ومنهم من قاله تقليدًا،وكذا ما يدل عليه إنشاء النوات كأوجد، وهذا بناء على ما اشتهر عند النحاة، وسيبويه أطلق على المفعول به أنه مفعول كما ذكره في باب الفاعل الذي لم يتعد فعله إلى مفعول[٥]، ولم يطلق المفعول [٧١/ب] على المصدر بل على ما تعدى إليه فعل الفاعل فتأمل.

وتقدم أنَّ النحاة اختلفوا في إطلاق المفعول المطلق هل يعم جميع المصادر أو يختص بمصادر الأفعال العامة كـ(عِمل) وهذا شاذ كما مر[٦].

في الحقيقة، إلا أن النحويين لا يسمونه فعلًا ليفصل بينه وبين الألفاظ المشتقة من هذه المصادر لاختلاف الأزمنة كضرب ويضرب". المقتصد في شرح الإيضاح ١: ٥٨٠.

(١) ينظر: ابن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب". ٢: ٧٠٢.

(٢) ينظر: السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٢٨.

(٣) سورة يس جزء من الآية (٧١)، وفي النسخة "ما عملت".

(٤) أي على المضروب.

(٥) ينظر: سيبويه، "الكتاب". ١: ٣٣.

(٦) الأول قول الجمهور، والثاني قول ابن العلج ينظر: محمد بن يوسف الأندلسي. "التذييل =

وبعض المصادر لا يصح أن يقال إنَّه فعل حقيقي ولا مفعول مطلق كعِلْم الله القديم، فمعنى التعدي تعلق معنى الفعل بغير الفاعل، كـ(عِلم الله كذا)؛ لتعلُّقِ علمِه بالمعلوم وتسميته عَزَّ وجلَّ فاعلًا مجرد اصطلاح للنحاة، وغيره -تعالى- لا تأثير لفعله في النوات إجماعًا، ولما قال أهل السنة[1] إنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله احتجوا بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] فأجاب المعتزلة بأنَّ "ما" موصولة[3] يراد به الاصنام المخلوقة لله اتفاقًا، ورُدَّ بأن الآية ردٌّ على عبدة الاصنام، وهم لم يعبدوا ذواتها من حيث هي، بل من حيث صورها المنحوتة، فكأنه قيل: أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم ونحتكم أو والنحت الذي تنحتونه أو المنحوت المصوَّر بنحتكم، فهذه تقادير لأهل السنة أن تكون "ما" مصدرية[4] أو موصولة مرادًا بها المصدر، وبعض النحاة قدَّرها هكذا في كل مكان أُريد بها المصدر، وينكر جعلها مصدرية وإن اشتهر خلافه، فالدلالة لأهل السنة ظاهرة جدًّا، والثالث: أن تكون موصولة، والمراد بها المنحوت بهذا النحت، وله جهتان، ذاته: ولم يُعبد من جهتها، وصنعته: وهي التي عُبِد من جهتها، وهي مخلوقة له -تعالى- بدلالة الآية، فإن صحَّ أنَّ صورة الصنم معمولة للآدمي فالآية دليل لأهل السنة، وإلَّا تعيَّن أن يكون العمل نفسه، فتصحُّ الدلالة لأهل السنة أيضًا، وسيأتي بيان

والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق د: حسن هنداوي. (ط: الأولى، دمشق – الرياض، نشر: دار القلم – كنوز إشبيليا. ١٤١٨ هـ. ٧: ١٣١.

(١) يعني الأشاعرة.

(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).

(٣) القول بأنها موصولة هو مذهب ابن تيمية أيضًا. ينظر: ابن تيمية، "مجموع الفتاوى". ٨: ١٢١.

(٤) القول بمصدريتها أحد قولي أهل السنة، وممن قاله: إسماعيل بن كثير الدمشقي. "تفسير القرآن العظيم". (ط: السادسة، القاهرة، الناشر: دار الحديث، ١٤١٣هـ). ٤: ١٥، ومحمد بن صالح العثيمين. "شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية". (ط: الثانية، الدمام، الناشر: دار ابن الجوزي، ١٤١٥هـ). ٢: ٢١٠.

الراجح من هذين الاحتمالين.

والصور على قسمين: ما لا أثر لفعل العبد فيه بل هو فعل الله، إما بلا سبب من العبد أو بسبب منه، وتلك [٧٢/أ]صور طبيعية وهي كالنوات ليست من فعل العبد.

والثاني: ما هو أثر صنعة العبد وهي الصورة الصناعية ومنها صور الصنم عند أهل السنة لا المعتزلة، فإذا قلت: صوَّر المشرك الصنم، لم يكن من فعله إلا التصوير، والصورة الناشئة عنه من فعل الله تعالى، فلا يقال إنها معمولة للعبد إلا مجازًا، وإنَّما يقال مصوَّرة، كما يقال لزيد المتعلق به الضرب مضروب، فإذا قيل: (عِمل المشرك الصنم) ففيه مجاز بخلاف صوَّره؛ لأنَّ "عِمل" فعلٌ عامٌّ، و" صوَّر" فعل خاصٌّ، وسيأتي الفرق بينهما.

فقولنا:" عِمل" يقتضي أنَّ الصنم معمول لما أسند إليه، ولا شيءٌ من الصنم ولا[1] مادته ولا صورته فعلًا للعبد ولا من عمله، فكيف يكون مجموعه من عمله، فلابد من التجوز فيه باستعمال الأعم في الأخص، أو يكون بتقدير مضاف كأنه قيل: عِمل تصوير الصنم، فلا يكون التصوير على هذا مفعولًا به بل مصدرًا، وهذان الوجهان أقرب الوجوه، فلذا اقتصرنا عليهما، والثاني يقوي أن المراد بقوله:" وما يعملون" التصوير، ففيه حجة لأهل السنة.

والأفعال ضربان، خاص: كقام وقعد في اللازم، وأكل وشرب في المتعدي، وهو الأكثر لكمال الفائدة فيه خبرًا وأمرًا ونهيًا ونحوه.

والثاني: عام كعمل وصنع، وجاءت هذه الأفعال؛ لأنه قد يُقصد بها الإخبار عن جنس فعلٍ بدون تخصيص نوع أو لغرض آخر،وكذا الأمر والنهي وما أشبهه، فلذا كان أقلَّ من الأول، فإذا سئل عنه هل هو لازم أو متعد لم يجز إطلاق القول فيه بتعد أو لزوم؛

(١) كذا في المخطوط "ولا" ولعل الصواب "لا" بدون الواو.

لأنه أعُم منهما فلا يصدق على أحدهما، فهو كالقضية المهملة التي هي في قوة الجزئية[١]، والأفعال العامة كالعمل والصنع وهي أحداث عامة يندرج تحتها أحداث خاصة هي أفعال حقيقية يصدق عليها معمولات ومفعولات [٧٢/ب] ومصنوعات لصدورها عن الفاعل، والشخص فاعل لها، وفعله مفعول له، فلذا اتفق النحاة على أنه يطلق على مصادر هذه الأفعال اسم المفعول المطلق بخلاف الخاصة؛ لأنه يصدق[٢] على الضرب مضروب لا[٣] مفعول وإن كان مفعولًا حقيقة، ولا شك أنه لا يصدق عليه مضروب بلا خلاف، وإنما صدق على الفعل مفعول لاتفاقهما في لفظ (ف ع ل)،وكذا عمل وصنع يقال فيهما معمول ومصنوع، ومع ذلك لا يكون الفعل المذكور متعدِّيًا بل يصح ذلك، وإن أريد به معنى خاص لازم أو أريد به مطلق الفعل الذي هو أعم من اللازم والمتعدي، فإذا قلت: "عملت عملًا" ونحوه انتصب على المصدر ليس إلَّا.

نعم إن أردت بالفعل المفعول الذي ليس هو الحدث بل مفعول به مجازا وحينئذ يصح فيه أن يكون مفعولًا به، وفيه تجُّوز من جهة أن حقيقة المفعول ما صدر عن فاعل، وحقيقة المفعول به ما وقع عليه فعل فاعل على اصطلاح متأخري النحاة[٤].

وإذا قلت: (عمل محرابًا) فإن أسندت الفعل إليه تعالى صحَّ وانتصب "محرابًا" على أنه مفعول به، وهو أيضًا مفعول، ومنه ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ كما تقدم بيانه،

(١) لأن الحكم فيها يمكن يرجع إلى جميع الأفراد أو بعضهم. ينظر: علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي. "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية"، تحقيق: إحسان عباس. (ط: الأولى، بيروت، الناشر: دار مكتبة الحياة، ١٩٠٠م). ٨٥.

(٢) كذا في المخطوط ولعل الصواب "لا يصدق" كما في: السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٣٥ حتى يستقيم بها المعنى.

(٣) كذا في المخطوط "لا" بدون "و" ولعل الصواب "ولا" كما في: السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٣٥ حتى يستقيم بها المعنى.

(٤) ينظر: السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٣٥.

وإن أُسند لغير الله كـ(عِمل النجار محرابًا) لم يكن المحراب مفعولًا نفسه لأن عمل العباد لا يتجاوزهم[١]، ولا زيادة المحراب معمولة للعباد، وهي جزء المحراب، فلا يكون الكل معمولًا لهم، وفي مفعوليتها تفصيل؛ لأنك إن جعلت "عِمل" مجازًا عن "نجر" كان إعماله في "محرابًا" حقيقة على أنه مفعول به حقيقة كـ"نجرت محرابًا"، فإنَّ النجر واقع على المحراب وقوع الضرب على زيد، والمجاز في "عمل" لا غير، وإن كان "عمل" على حقيقته فإن جعلته على حذف مضاف كما تقدَّم فالتقدير "عمل تصوير محراب" فالتصوير مصدر، إذا حُذف وأقيم [٧٣/أ] المحراب مقامه أُعرب مفعولًا به على المجاز، وإن قدَّرته "عملت صنعة محراب" على أن تكون الصورة الحاصلة في المحراب معمولة بخلاف ما تقدم كان كذلك أيضًا.

وإن جعلت المحراب معمولًا باعتبار أنه محل العمل لإطلاق المحل على الحال لزم المجاز –أيضًا– ولا شك في جوازه، قال تعالى:﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾[٢].

وقد بان بهذا أن قوله: ﴿ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ إنَّما ينتصب فيه "صالحًا" على غير المفعول به، ولا يجوز انتصابه على المفعول به إلَّا بمجازين: إطلاق الصالح على المفعول الذي ليس فعلًا.

والثاني: إضافة العمل إليه.

وثالثٌ: وهو حذف الموصوف من غير دليل، بخلاف ما إذا قدرنا "عملًا" المقيَّد به[٣] فإن الفعل يدل عليه، وكل واحد من الثلاثة لا يصار إليه من غير ضرورة، ولا ضرورة في جعله مفعولًا به، فكيف يصار إليه مع هذه المحذورات.

---

(١) هذا تقرير لعقيدة الأشاعرة في مسألة أفعال العباد، وسبق الحديث عنها في الحاشية (٤) ص (١٥).

(٢) سورة يس جزء من الآية (٣٥).

(٣) كذا في المخطوط، وفي: السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٣٧ "عملًا الذي هو المصدر".

وبهذا ظهر وجه التقدير في قوله:﴿ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٍ﴾[1] وقوله: :﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ وأما قوله:﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ فانتصاب "شكرا" على أنه مفعول له، وجوز الزمخشري فيه أن يكون مفعولًا به على المشاكلة وفيه مجاز.

وأما قوله:﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[2]، وقوله:﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[3] ونحوه فكلها ترجع إلى المصدر.

وإنَّما فرق بين الأفعال العامة والخاصة؛ لأنَّ تعدي الفعل إلى المفعول معناه وصول معناه إليه، فالفعل الخاص كالضرب -مثلًا- تعديه بوصول الضرب إلى المضروب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الضارب مؤثرًا في ذات المضروب، أعني موجدًا لها، والفعل العام كـ(عمِل) -مثلًا- تعديه لوصول معناه وهو العمل، وهو معنى عام في الذات وصفاتها، فلذلك اقتضى العموم واتحاد المعمول حتى يقوم دليل على خلافه، فمثار الفرق إنما هو من معاني الأفعال ووصولها [٧٣/ب] إلى المفعول.

واعلم أن من الأفعال نوعًا آخر كـ(قال ولفظ) لخفاء الفرق بين القول والمقول واللفظ والملفوظ؛ لأنَّ القول واللفظ هو الأصوات والحروف المقطعة، والوجه في الفرق أنَّ هناك أمرين: حركة اللسان ونحوه ممَّا فيه مقاطع الحروف، والثاني: نفس تلك الحروف المقطعة المسموعة التي هي كيفيات تُعرض للصوت الخارج بتلك الحركات، فالأول هو التلفظ، وهو القول واللفظ اللذان هما مصدران، والثاني هو المقول والملفوظ، فإذا قلت: لفظت لفظًا أو: قلت قولا فلك أن تريد الأول فينصب اللفظ والقول على المصدرية، ولك أن تريد الثاني فتنصبهما على المفعول به، وهما متغايران، وإن لم يتجاوز الفاعل وهو اللافظ القائل المتكلم.

---

(١) سورة سبأ جزء من الآية (١١).

(٢) سورة النساء جزء من الآية (١٢٣).

(٣) سورة النساء جزء من الآية (١٢٤).

وليس من شرط تعدي الفعل أن يتجاوز إلى محل غير الفاعل، [بل الشرط المغايرة][(١)] سواء جاوز في محّله أو في غير محّله.

وأما عِمل وصنع وفعل في نحو قوله: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ فقد قالوا إنه ليس مفعولًا به بل مفعول مطلق؛ لأنه نعت مصدرٍ مقدَّر، أي: عملًا صالحًا، وعليه أكثر المعربين في أمثاله، أو حال وهو المنقول عن سيبويه، والتقدير:" اعملوه صالحًا"، بتقدير ضمير المصدر، ومن الناس من زعم أنَّ "عِمل" متعدٍ و" صالحًا" مفعول به، فقيل: إنَّه وهمٌ؛ لأنَّ المفعول به محل الفعل الذي وقع عليه، ولذا بنى له النحاة اسم مفعول من عامله، فـ(زيد) في قوله: (ضربت زيدًا) مضروبٌ وليس مفعولًا، وإنَّما هو مفعول به، فالمفعول غيره ضرورة، ومبنى مفعول به ظاهره؛ لأنه فُعل به الحدث، وقس غيره عليه.

والفعل في الاصطلاح يدل على حدث وفعل حقيقي، سَّموه مصدرًا ومفعولًا مطلَقا، وهو صحيح باعتبار غالب الأفعال، وقد يكون فعلًا قائما بالفاعل غير صادر عنه كالعِلم، بل قد لا يكون حدثًا أصلًا [٧٤/أ]ولا فعلًا حقيقيًا كالعِلم القديم الذي ليس بفعلٍ ولا مفعول ولا حدث، بل معنى قائم بالذات المقدَّسة عند أهل السنة، وتسمية ما اشُتُقَّ منه فعلًا اصطلاحي، وقصدهم بهذا التنبيه على أنَّ تسمية المصدر مفعولًا مطلَقا ليس مطَّرِدًا، وقد نَّبه لهذا بعض النحاة[(٢)] إلَّا أنه لم يوضِّحه، بل قسَّم المصدر إلى معنى قائم بالفاعل كالفهم والحذر، وإلى صادر عنه كالضرب والخط، وإن كان الضرب والخط قائمين بالفاعل أيضًا.

ولم يطلق النحاة المفعول المطلق على غير ذلك، وقد مَّر أنَّ المفعول به ما وقع عليه المفعول المطلق وليس مفعولًا، فإذا نظرت لقولك: "ضربت زيدًا" ظهر أنَّ ذات

(١) سقط من المخطوط وأثبته من: السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٣٩.

(٢) هو ابن مالك. ينظر: محمد بن عبد الله ابن مالك الجياني. "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق: محمد كامل بركات. (د.ط، القاهرة، نشر: دار الكتاب العربي، سنة: ١٣٨٧هـ). ٨٧.

زيدٍ ليس فعلًا للضارب.

وقولنا: خلق الله العالم وقوله عز وجل:﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[1] وما ضاهاها تحقيقه أنه في مذهب الجرجاني وابن الحاجب ومن تبعهما مخالف لقول النحاة أنه مفعول به، فمعمول "خلق" عندهم مفعول مطلق منصوب على المصدرية، قال في أماليه: الخلق هو المخلوق فوجب كون السماوات ونحوها مفعولًا مطلقًا لبيان النوع كقعد القرفصاء، إذ حقيقة المصدر المسمى مفعولًا مطلقًا أن يكون اسمًا لما دل عليه الفعل، فلا فرق بين "خلق خلقًا" و"خلق السماوات" إلَّا بالإطلاق والتخصيص، ولو كان غيره فهو إمَّا حادث أو قديم، وعلى الأول يلزم التسلسل وعلى الثاني قِدم المخلوق وكلاهما باطل فملزومه كذلك[2]، وإنَّما جاءهم الوهم من أنهم رأوا كل مصدر غير جسم فتوهموا أنه لا يكون المصدر إلَّا كذلك واستبعدوا مصدريتها، فلو نظروا حقَّ النظر علموا أنَّ الله تعالى يفعل الأجسام كما يفعل الأعراض، فوجب أن تكون مصادر[3]. انتهى.

وقال بعض الفضلاء: أكثر النحويين والأصوليين على أن الخلق غير المخلوق، فما ذُكِر مفعول به ومفعول أيضًا، [٧٤/ب]وهو أثر صادر عن الخلق، وذات العالم موجودة بالفاعل بخلاف ذات المضروب[4].

فله حينئذ جهتان، نظر النحاة لإحداهما فلذا جعلوه مفعولًا به واقتصروا عليه لاطِّراده، ولأنَّ ادِّعاء مصدريته تعسُّفٌ كلامهم يأباه، فلذا لم يجوِّزوا تسميته مفعولًا مطلقًا

(١) جزء من الآية (٤٤) من سورة العنكبوت.

(٢) هذا القول بناء على مذهبه الاعتزالي، وأما أهل السنة فالخلق عندهم غير المخلوق، فالخلق فعله والمخلوق مفعوله. ينظر: ابن قاسم، "مجموع الفتاوى". ٥: ٥٢٨.

(٣) ينظر: ابن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب". ٢: ٧٠٢.

(٤) هو: السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٢٨.

بل مفعولًا به، والخلق نفسه هو المفعول،وكذا معمول الأفعال العامّة ك(صَنع الله العالم)، فالعالم ذات موجودة بفعل الله، والخلق واقعٌ به، فهو منلوج في حد المفعول به وهو ما وقع به الفعل، فإن زِيد في المفعول المطلق قيْد وهو أن يكون موجودًا بذلك الفعل لزم أن يكون لنا مفعول بلا قيد ليس بمصدر، وهم قد قالوا المفعول المطلق هو المصدر، ولم يتعرض النحاة لهذا القيد؛ لأنه ليس من صناعتهم، وقولهم هو المصدر إنّما تسامح أو أمر اصطلاحي،وكثير من النحاة معتزلة، المعدوم عندهم شيء أي ذات مقررة في العدم، وتأثيره[١] فيه بإبرازه للوجود [وإبرازه معنى][٢] واقع عليه كالضرب[٣]، فمنهم من قاله بناء على اعتزاله ومنهم من قاله تقليدًا،وكذا كل ما يدل على إنشاء ك(بنيت الدار).

تنبيه: قولهم: قعد القرفصاء واشتمل الصماء فيه–كما في شرح الكتاب للصفار– ثلاثة أقوال: مفعول مطلق أو صفة مصدر هو المفعول أي: القعود والاشتمال أو منصوب بمقدر من لفظه أي: قرفص القرفصاء وصمَّم، ورُدَّ بأنه لم ينطق بهذا الموصوف ولم يسمع له فعل[٤].

الثاني: في قولهم:" المعدوم ليس بشيء" في كتب الكلام لا خلاف في أن الممتنع لذاته ليس بشيء، كما أن الواجب وجوده والممكن الموجود شيء بالاتفاق، وإنّما الخلاف في المعدوم الممكن هل هو شيء على معنى أنّ له تقرُّرًا في الخارج منفكًّا عن الوجود؟ فمن قال:" الوجود عين الماهية" لا يمكنه أن يقول: الممكن المعدوم شيء في

(١) أي تأثير الفاعل.

(٢) زيادة يستقيم بها الكلام، ومرَّت العبارة ص (١٨) ومنها أثبتها.

(٣) أي على المضروب.

(٤) لم أقف عليه في شرحه للكتاب. وينظر: أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري. "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق: د. عبدالإله النبهان، (ط: الأولى، دمشق، الناشر: دار الفكر، ١٤١٦هـ). ١: ٢٦٥.

الخارج؛ وإلَّا لزم اجتماع النقيضين، وهو الوجود والعدم، [٧٥/أ]والقائلون بزيادته على الماهية اختلفوا: فمنهم من منع كون المعدوم شيئًا، وهو مذهب أهل السنة وبعض المعتزلة والحكماء، ومنهم من زعم أنه شيء، وهو مذهب بقيَّة المعتزلة، وفيه تفصيل في علم الكلام، والخلاف إنَّما هو في إطلاقه عليه حقيقةً، وأما استعماله مجازًا فجائز بالاتفاق كما ذكره الإمام في الأربعين(١).

وفي مغني اللبيب: الصواب أن السملوات مفعولٌ مطلقٌ؛ لأنه ما يقع عليه اسم المفعول كـ(ضربًا) في (ضربت ضربًا)، والمفعول به ما لا يقع عليه ذلك إلا مقيدًا، وأنت لو قلت:" السملوات" مفعولة كان صحيحًا، وقد يعارض هذا بأنه يصاغ له اسم مفعول تام، فيقال: السملوات مخلوقة، وذلك مخصوص بالمفعول به، وأيضًا المفعول به ما كان موجودًا قبل الفعل الذي عمل فيه ثم أوقع الفاعل به فعلًا، والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل إيجاده، والذي غرَّ أكثر النحويين أنَّهم يمثّلون المطلق بأفعال العباد، وإنما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال لا النوات، فتوهَّموا أنَّ المفعول المطلق لا يكون إلَّا حدثًا، ولو مثَّلوا بأفعال الله ظهر أنه لا يختص بذلك؛ لأنه موجِد الأفعال والنوات جميعًا، ولا موجد لها سواه، وممَّن قال بهذا الجرجاني وابن الحاجب،وكذا البحث في (أنشأ الدار) ونحوه، ومنه: عملوا الصالحات، وزعم ابن الحاجب أنَّ المفعول المطلق يكون جملة في القول ومضى رُدَّه، وزعم في:(أنبات زيدًا عمرًا فاضلًا) أنَّ الأول مفعولٌ به والثاني والثالث مفعولٌ مطلقٌ، فإنَّه النبأ، بخلاف:(أعلمت زيدًا عمرًا فاضلًا)؛ لأنَّهما متعلقا العلمِ لا نفسُه، وهو خطأ لأنهما منبأ بهما.(٢) انتهى.

---

(١) ينظر: محمد بن عمر الرازي. "الأربعين في أصول الدين" تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، (د.ط. القاهرة، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٦م). ١: ٨٨.

(٢) ينظر: عبدالله بن يوسف ابن هشام الأنصاري. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، (ط: السادسة، دمشق، الناشر: دار الفكر، سنة: ١٩٨٥م). ٨٦٧.

وهذا مذهب الرماني[١] والجرجاني وابن الحاجب ومن تبعهم، وخالفهم فيه أكثر النحاة، فذهبوا إلى أنَّ مفعول [٧٥/ب] (خلق وعِمل) مفعولٌ به لا مطلق كما ذهبوا إليه، واشترطوا في المفعول به توقف الفعل عليه، سواء وجد قبله أم لا، وفي شرح الكافية للأصبهاني أن المفعول به في غير فعل الإيجاد يقتضي أن يكون موجودًا، وفيه[٢] لا يقتضيه[٣].

وفصل الخطاب في ذلك –أنه علم اسمًا قالوه برمته–[٤] أنهم اختلفوا في مفعول (خلق)، وسبب اختلافهم عند ابن الحاجب والسبكي أمر عقلي، وهو عند ابن الحاجب كون الخلق عين المخلوق[٥]، وعند السبكي أن المعلوم شيء[٦]، وما توهم من ابتناء الخلاف على مسألة أصولية غير صحيح مدعى ودليلًا؛ لأنه لم يعهد مثله لأهل العربية، واتحاد الخلق والمخلوق ممَّا تقرَّر في الأصول أنَّ الحقَّ خلافه، ثم إن أُريد أنَّهما متحدان حقيقة فغير صحيح؛ لأنَّ أحدهما معنى والآخر جثة، فإن أريد أنه لا ينفك أحدهما عن الآخر فهو قليل الجدوى.

وقال أبو المعين النسفي في التبصرة: التكوين والتخليق والخلق والإيجاد والاختراع أسماء مترادفة، معناها إخراج المعلوم من العدم إلى الوجود، والقول بأن التكوين عين المكوَّن باطل عند أهل السنة، ثم أقام عليه البرهان وبينه أتم بيان وقال إنَّه يترتب عليه محظورات. ولولا خوف الملل أوردناه[٧].

---

(١) حكاه السيوطي في "الأشباه والنظائر". ٧: ١٤٠ ولم يجزم، فقال:" ويقال إنه مذهب الرماني أيضًا".

(٢) أي في فعل الإيجاد.

(٣) ينظر: السيوطي، "الأشباه والنظائر". ٧: ١٤١.

(٤) كذا في المخطوط، ولم يظهر لي معناها، ويستقيم الكلام بدونها.

(٥) ينظر: ابن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب". ٢: ٧٠٢.

(٦) كذا في المخطوط! وفي رسالة " التهدي إلى معنى التعدي" (٥٥) خلاف هذا القول.

(٧) ينظر: ميمون بن محمد النسفي. "تبصرة الأدلة في أصول الدين". تحقيق: د. محمد حامد عيسى، (ط: الأولى، القاهرة، منشورات: المكتبة الأزهرية للتراث، سنة: ٢٠١١م). ١: ٤٩١.

وأما بناؤه على اختلافهم في الشيء [المعلوم][1] فليس بشيء، فالحق أنَّ مبنى الخلاف ليس على ما زعموه -فإنَّه صلح من غير رضى الخصوم-[2] وإنَّما منشؤه أنَّهم لما رأوا المصدر مفعولًا حقيقةً سَّموه مفعولًا مطلقًا، وخصَّوه بالاسم؛ لاطِّراده فيه، وسَّموا غيرَه مفعولًا به؛ لأنَّه فُعِل به فعلٌ وقع عليه بوقوع أثر المؤثر عليه، ولما رأى بعضهم النوات الصادرة عن الله كالأفعال والمعاني الصادرة عنه وعن غيره جعلها مفعولًا مطلقًا لمساواتها لمدلول المصادر في تعلق الإيجاد بها، ولصحَّة إطلاق مفعولٍ ومصنوعٍ بلا قيد [٧٦/أ] عليها، فحقها أن تُسمَّي بما تُسمَّى به، بل هي أحقُّ بذلك الاسم من غيرها كما تقدم، والجمهور لما رأوا الوجود الذي هو أثر الفاعل المختار معنى قائمًا بها وأثرًا واقعًا عليها وحدثًا[3] تعلق بها جعلوه مفعولًا بها كغيرها من المفاعيل، وسموه باسمه لدخوله في حدِّه، وأيده أنه يطلق عليها اسم مفعولٍ تامٍ من لفظ عامله فيقال: مخلوقة كما يقال لزيد مضروب، فلكل منهما وجه وللبركة مع الجماعة، فما ذهبوا إليه أولى بل متعيّن؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح، وقولهم: السملوات مصدر مكابرة وخرق للإجماع على أنه اسم جنس.

وقوله في المغني:" يعارض بأنه يصاغ...إلخ" إشكال لم يُجب عنه؛ لظنه أنه وارٌد غير مندفع، وليس كما قال؛ لأنه مندفع غير وارد، فإنَّه كما يصاغ له مفعول تام من فعل غير عام يصاغ من العام، فيقال: مخلوقة ومصنوعة لله، فهو كما أنه وارد على من قال إنه مفعول به غير وارد على من قال إنه مفعول مطلق؛ لأنَّ اللازم فيه أن يكون فعلًا ومفعولًا كسائر المصادر، وقد يكون الشيء مفعولًا لغيره ومفعولًا به أمور أُخر كـ(نسج الثوب) ويطلق عليه أنه مفعول أيضًا، ولا تعارض فيه أصلًا.

---

(١) ساقطة من المخطوط يحتاجها السياق.

(٢) كذا العبارة في المخطوط، ولم يتضح معناها، ويستقيم السياق بدونها.

(٣) في المخطوط "معنى قائمٌ بها وأثرٌ واقع عليها وحدثٌ" والصواب ما أثبته.

وقوله:" إنَّ المفعول به ما كان موجودًا" أمْر لم يعتبره النحاة، ولو استقصيت الكلام وجدت فيه ما يخالفه، فقوله:" الصواب" مع ما فيه من الاضطراب غير صوابٍ، وأنت إذا تأملت ما خالفوا فيه وجدته غير صحيح نقلًا وعقلًا؛ لما في الكتاب وشروحه من أنَّ الفعل وما له حكمه يعمل في فاعل حقيقي أو لغوي كـ(مات زيد)[١]، ثم يتعداه إلى مفعول يقع عليه واحدًا فصاعدًا كما في بابي أعطى وعلم مما يجوز فيه الاقتصار على أحد مفعوليه أو يمتنع، ثم يتعدى إلى مفعول مطلق أو مقيد بنحو (فيه أو له)، والمطلق ما يسمى به من غير قيدٍ، ومفعوله [٧٦/ب] المطلق مدلول العامل وضعًا، ولذا عمل في جميع أنواعه كالظرف الزماني لدلالة الفعل على الحدث والزمان وضعًا، بخلاف المكان فإنَّه يدلُّ عليه التزامًا؛ إذ كلُّ حدثٍ لابدَّ له من حيِّزٍ يقع فيه، فلذا التزموا فيه أن يكون مبهمًا؛ لأنه يدل على مكانٍ ما، ومقتضى هذا أنَّ المفعول المطلق لابدَّ فيه أن يكون مصدرًا حقيقة أو تأويلًا.

وأما الثاني فلأنَّ الذي غرَّهم هنا توهُّم أنَّ المفعول به لابدَّ أن يكون موجودًا قبل الفعل، وقد تقدَّم أنه غير صحيح، وهنا موانع أُخر تمنع من كون "السملوات والعالم" مفعولًا مطلقًا، ودعوى مصدريته مكابرة ويأباه ذكر المصدر معه، كـ(خلق الله السملوات خلقًا)، فإنَّ الفعل لا يكون له مفعولان مطلقًا إلا نادرًا، مع أنه لابدَّ من التأويل كما في شرح الكتاب للصفار[٢].

والحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده.

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب". ١: ٣٣؛ والحسن بن عبد الله السيرافي. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق: أحمد مهدلي وعلي سيد علي. (ط: الأولى، بيروت، نشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ). ١: ٢٦١.

(٢) لم أقف عليه.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

بعد دراسة وتحقيق رسالة الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي الموسومة بـ "التعدية للمفعول ومعناه"، تبيّن أنها تمثل أنموذجًا من تكامل علوم النحو والعقيدة مما يجعلها من الرسائل المهمة في تراث العربية والإسلام.

أهم النتائج:

١. إثبات نسبة الرسالة إلى الخفاجي من خلال ورودها ضمن مجموع رسائله المحفوظ بمكتبة مراد ملا في إسطنبول، وغيرها من الأدلة المذكورة في موضعها.

٢. الرسالة تناولت مسألة لغوية ذات أثر في العقيدة، خصوصًا في باب الصفات الفعلية لله تعالى.

٣. أبرز الخفاجي التلازم بين النحو والعقيدة، مبيِّنا أن بعض الخلاف النحوي ينبني على تصورات عقدية، وأن مذهب أهل السنة في الصفات الإلهية هو الأسلم والأعلم والأحكم والأقرب لظاهر النصوص.

٤. رجّح الخفاجي رأي جمهور النحاة القائلين بأن "السملوات" مفعول به لا مفعول مطلق.

٥. أوضح الخفاجي فساد قول من جعل المخلوق هو نفس الخلق، وهو بهذا يوافق مذهب أهل السنة.

٦. بين البحث أثر العقيدة في التوجيه الإعرابي، فالمعتزلة أنكروا الأفعال الاختيارية لله تعالى، بينما أثبتها أهل السنة وعدّوها من صفات الكمال.

٧. الرسالة تُظهر سعة اطلاع المؤلف على أقوال النحاة والمتكلمين، كابن الحاجب، والجرجاني، والسبكي، والرماني، وتكشف عن قوة نقده واستقلال نظره.

٨. تمثل هذه الرسالة حلقة وصل بين علوم العربية وأصول الدين، وتؤكد أن النحو عند العلماء الأوائل لم يكن مجرد صناعة لفظية، بل وسيلة لفهم النص الشرعي

على وجهه الصحيح.

٩. أكد البحث عناية الخفاجي بجمع آراء العلماء في المسألة ومناقشتها وترجيح ما يراه صوابًا، مما يدل على موسوعيته وتفوقه.

التوصيات:

أوصى -في الخاتمة-بتحقيق ما تبقى من رسائل الخفاجي النفيسة الموجودة في نفس المجموع، التي لم تُحَقَّق بعد.

المصادر والمراجع

ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان. "أمالي ابن الحاجب". تحقيق د: فخر صالح قدارة، (د.ط بيروت وعمّان، دار الجيل، سنة ١٤٠٩ هـ).

ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد. "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية". (الطبعة: الأولى، مطابع الرياض، ١٣٨١هـ).

الأزهري، خالد بن عبدالله. "التصريح بمضمون التوضيح". تحقيق د: عبد الفتاح بحيري، (ط: الأولى، الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٨هـ).

الأندلسي، علي بن أحمد ابن حزم. "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية"، تحقيق: إحسان عباس. (ط: الأولى، بيروت، الناشر: دار مكتبة الحياة، ١٩٠٠م).

الأندلسي، محمد بن يوسف. "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، تحقيق د: رجب عثمان. (ط: الأولى، القاهرة، نشر: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ).

الأندلسي، محمد بن يوسف. "التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق د: حسن هنداوي. (ط: الأولى، دمشق – الرياض، نشر: دار القلم – كنوز إشبيليا. ١٤١٨ هـ.

الأنصاري، عبدالله بن يوسف ابن هشام. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، (ط: السادسة، دمشق، الناشر: دار الفكر، ١٩٨٥م).

البغدادي، عبد القادر بن عمر. "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، تحقيق: عبد السلام هارون، (الطبعة: الرابعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ).

الجرجاني، عبدالقاهر. "المقتصد في شرح الإيضاح". تحقيق د: كاظم بحر المرجان، (د.ط، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م).

الجياني، محمد بن عبد الله ابن مالك. "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق: محمد كامل بركات. (د.ط، القاهرة، نشر: دار الكتاب العربي، سنة: ١٣٨٧هـ).

الحراني، تقي الدين ابن تيمية. "درء تعارض العقل والنقل". تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (ط: الثانية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ).

الخفاجي، أحمد بن محمد. "خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا". تحقيق: د. مسعود أركين، (ط: الأولى، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٤٣٦هـ).

الخفاجي، أحمد بن محمد. "ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا". تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، (ط: الأولى، القاهرة، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، ١٣٨٦هـ).

الخفاجي، أحمد بن محمد. "عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية على تفسير البيضاوي)"، (د.ط، بيروت: دار صادر).

الدمشقي، إسماعيل بن كثير. "تفسير القرآن العظيم". (ط: السادسة، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٣هـ).

الرازي، محمد بن عمر. "الأربعين في أصول الدين" تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، (د.ط. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٦م).

الزركلي، خير الدين. "الأعلام". (ط: الخامسة عشرة، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م).

الزمخشري، أبو القاسم محمود. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". ط: الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ) .

الزيدي، أحمد بن يحيى. "المنية والأمل في شرح الملل والنحل". تحقيق د. محمد جواد مشكور، (ط: الثانية، دار الندى، ١٤١٠هـ).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط: الأولى، بيروت، نشر: دار الجيل).

السيرافي، الحسن بن عبدالله. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق: أحمد مهدلي وعلي سيد علي. (ط: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الإتقان في علوم القرآن" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الأشباه والنظائر في النحو". (منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٧هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الأشباه والنظائر في النحو". تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، (ط: الثالثة، بيروت: عالم الكتب، سنة: ٢٠٠٣م).

الطحاوي، أحمد بن محمد. "العقيدة الطحاوية". (ط: الأولى، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ).

العثيمين، محمد بن صالح. "شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية". (ط: الثانية، الدمام، الناشر: دار ابن الجوزي، ١٤١٥هـ).

العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين. "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق: د. عبدالإله النبهان، (ط: الأولى، دمشق، الناشر: دار الفكر، ١٤١٦هـ).

العياشي، عبد الله بن محمد. "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر". تحقيق: نفيسة الذهبي، (ط: الأولى، الرباط: كلية الآداب، ١٩٩٦م).

الماتريدي، محمد بن محمد أبو منصور. "التوحيد". تحقيق: فتح الله خليف، (طبعة مصورة، دار الجامعات المصرية).

المحبي، محمد أمين. "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، (بيروت: دار صادر)

النسفي، ميمون بن محمد. "تبصرة الأدلة في أصول الدين". تحقيق: د. محمد حامد عيسى، (ط: الأولى، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠١١م).

المجلات والمخطوطات:

التميمي، زكريا سليمان. "مآخذ الشهاب الخفاجي في "نكته على مغني اللبيب" على ابن هشام الأنصاري: دراسة نحوية" *مجلة كلية دار العلوم*–العدد: ١٤٦ (يوليو ٢٠٢٣م) ١٠٣-١٨١.

السبكي، أبو الحسن تقي الدين. "التهدي إلى معنى التعدي". تحيقق: د. يوسف الجوارنة. *مجلة العلوم العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية*، العدد ١٨ (١٤٣٢هـ) ١٥-٦٤.

المجموع رقم ١٤٦٧ في مكتبة راغب باشا في أسطنبول.

مخطوط شرح الشفا للخفاجي، مكتبة مراد ملا باسطنبول، رقم ٤٤٧.

مخطوط عناية القاضي وكفاية الراضي للخفاجي، مكتبة مراد ملا باسطنبول، رقم ٢٥٩.

Bibliography

Ibn al-Ḥājib, Abū ʻAmr ʻUthmān. "Amālī Ibn al-Ḥājib". investigated by: Dr. Fakhr Ṣāliḥ Qadārah, (Beirut and Oman: Dār al-Jīl, 1409 AH).

Ibn Qāsim, ʻAbd-al-Raḥmān ibn Muḥammad. "Majmūʻ Fatāwá Shaykh al-Islām Ibn Taymīyah". (1st ed., Maṭābiʻ al-Riyāḍ, 1381 AH).

al-Azharī, Khālid ibn Abdillāh. "al-Taṣrīḥ be-Madmoun al-Tawḍīḥ". investigated by: Dr. ʻAbd al-Fattāḥ Buḥayrī, (1st ed., al-Zahrāʼ lil-Iʻlām al-ʻArabī, 1418 AH).

al-Andalusī, ʻAlī ibn Aḥmad Ibn Ḥazm. "al-Taqrīb Li-Haddi al-Manṭiq wa-al-madkhal ilayhi be-al-alfāẓ al-ʻāmmīyah wa-al-amthilah al-fiqhīyah", investigated by: Iḥsān ʻAbbās. (1st ed., Beirut: Dār Maktabat al-ḥayāh, 1900).

al-Andalusī, Muḥammad ibn Yousuf. "Irtishāf al-ḍarb min Lisān al-ʻArab". investigated by: Dr. Rajab ʻUthmān. (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1418 AH).

al-Andalusī, Muḥammad ibn Yūsuf. "al-Tadhyīl wa-al-takmīl fī sharḥ Kitāb al-Tas′hīl". investigated by: Dr. Ḥasan Hindāwī. (1st ed., Damascus – Riyadh: Dār al-Qalam-Kunūz Ishbīliyā. 1418 AH).

al-Anṣārī, Abdullāh ibn Yūsuf Ibn Hishām. "Mughnī al-labīb ʻan kutub al-aʻārīb". investigated by: Dr. Māzin al-Mubārak / Muḥammad ʻAlī Ḥamad Abdullāh, (6th ed., Damascus: Dār al-Fikr, 1985).

al-Jurjānī, ʻAbd al-Qāhir. "al-muqtaṣid fī sharḥ al-Īḍāḥ". investigated by: Dr. Kāẓim Baḥr al-Marjān, (Iraq: Ministry of Culture and Information, 1982).

al-Jayyānī, Muḥammad ibn ʻAbdillāh Ibn Mālik. "Tas′hīl al-Fawāʼid wa-takmīl al-maqāṣid". investigated by: Muḥammad Kāmil Barakāt. (Cairo: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1387 AH).

al-Ḥarrānī, Taqī al-Dīn Ibn Taymīyah. "Durʼu Taʻāruḍ al-ʻaql wa-al-naql". investigated by: Dr. Muḥammad Rashād Sālim, (2nd ed., Riyadh: Imam Muḥammad ibn Saud, 1411 AH).

al-Khafājī, Aḥmad ibn Muḥammad. "khabāyā al-zawāyā fīmā fī al-rijāl min al-baqāyā". investigated by: Dr. Masʻūd Arkīn, (1st ed., Damascus: Majmaʻ al-lughah al-ʻArabīyah, 1436 AH).

al-Khafājī, Aḥmad ibn Muḥammad. "Rayḥānah al-alibbā wa-zahrat al-ḥayāh al-Dunyā". Investigated by: ʻAbd al-Fattāḥ Muḥammad al-Ḥulw, (1st ed., Cairo: Maṭbaʻat ʻĪsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh, 1386 AH).

al-Damasqiī, Ismāʻīl ibn Kathīr. "tafsīr al-Qurʼān al-ʻAẓīm". (6th ed., Cairo: Dār al-ḥadīth, 1413 AH).

al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar. "al-arba‘īn fī uṣūl al-Dīn". Investigated by: Dr. Aḥmad Ḥijāzī al-Saqqā, (Cairo: Maktabat al-Kullīyāt al-Azharīyah, 1986).

al-Ziriklī, Khayr al-Dīn. "al-A‘lām". (15th ed., Beirut: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 2002).

al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd. "al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl". (3rd ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1407 AH).

al-Zaydī, Aḥmad ibn Yaḥyá. "al-munyah wa-al-amal fī sharḥ al-milal wa-al-niḥal". investigated by D. Muḥammad Jawād Mashkūr, (2nd ed., Dār al-nadá, 1410 AH).

Sibawaih, ‘Amr ibn ‘Uthmān. "al-Kitāb". Investigated by: ‘Abd al-Salām Hārūn, (1st ed., Beiru: Dār al-Jīl).

al-Sīrāfī, al-Ḥasan ibn Abdillāh. "sharḥ Kitāb Sībawaih". Investigated by: Aḥmad Mahdalī and ‘Alī Sayyid ‘Alī. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1429 AH).

al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān". Investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (1st ed. al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1394 AH).

al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "al-Ashbāh wa-al-naẓā’ir fī al-naḥw". (Publications of the Arabic Language Academy in Damascus ,1407 AH).

al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "al-Ashbāh wa-al-naẓā’ir fī al-naḥw". Investigated by: ‘Abd-al-‘Āl Sālim Mukarram, (3rd ed., Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 2003).

al-Ṭaḥāwī, Aḥmad ibn Muḥammad. "al-‘aqīdah al-Ṭaḥāwīyah". (1st ed., Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 1416 AH).

al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ. "sharḥ al-‘aqīdah al-wāsiṭīyah li-Ibn Taymīyah". (2nd ed., Dammam, Dār Ibn al-Jawzī, 1415 AH).

al-‘Ukbarī, Abū al-Baqā’ Abdullāh ibn al-Ḥusain. "al-Lubāb fī ‘Ilal al-binā’ wa-al-i‘rāb". Investigated by: Dr. ‘Abd al-Ilah al-Nabhān, (1st ed., Damascus: Dār al-Fikr, 1416 AH).

al-‘Ayyāshī, ‘Abdullāh ibn Muḥammad. "Iqtifā’ al-athar ba‘da dhihāb ahl al-athar". Investigated by: Nafīsah al-Dhahabī, (1st ed., Rabat: Kullīyat al-Ādāb,1996).

al-Māturīdī, Muḥammad ibn Muḥammad Abū Manṣūr. "al-tawḥīd". Investigated by: Fatḥ Allāh Khulayyif, (Photocopied Edition, Dār al-jāmi‘āt al-Miṣrīyah).

al-Muḥibbī, Muḥammad Amīn. "Khulāṣat al-athar fī a‘yān al-qarn al-

ḥādī ʻashar", (Beirut: Dār Ṣādir).

al-Nasafī, Maymūn ibn Muḥammad. "Tabṣirat al-adillah fī uṣūl al-Dīn". Investigated by: Dr. Muḥammad Ḥāmid ʻĪsá, (1st ed., Cairo: al-Maktabah al-Azharīyah lil-Turāth, 2011).

Journals and Manuscripts:

al-Tamīmī, Zakarīyā Sulaimān. "ma'ākhidh al-Shihāb al-Khafājī fī" nuktah ʻalá Mughnī al-labīb "ʻalá Ibn Hishām al-Anṣārī: dirāsah naḥwīyah". *Journal of the Faculty of Dar Al-Uloom* – Issue 146 (July 2023), pp. 103–181.

al-Subkī, Abū al-Ḥasan Taqī al-Dīn. "al-tahaddi ilá maʻná al-taʻaddī". Investigated by: Dr. Yūsuf al-Jawārinah. *Arab Sciences Journal*, affiliated with Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, Issue 18 (1432 AH), pp. 15–64.

Collection No. 1467 in the Raghib Pasha Library in Istanbul.

Manuscript of Sharḥ al-Shifāʾ by al-Khafājī, Murad Molla Library in Istanbul, No. 447.

Manuscript of ʿInāyat al-Qāḍī wa Kifāyat al-Rāḍī by al-Khafājī, Murad Molla Library in Istanbul, No. 259.

الاستحالة في التَّراكيب عند عبد القاهر الجرجانيِّ في كتابه (دلائل الإعجاز) دراسة لغويَّة في المفهوم والسِّمات والأسباب

Inconceivability in Syntactic Structures According to ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī
A Linguistic Study on the Concept, Features, and Causes

د. عبد الله بن محمَّد عليّ بن جويبر الصُّليميّ

الأستاذ المساعد بقسم اللُّغة والنَّحو والصَّرف بكلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بجامعة أمِّ القرى

البريد الإلكتروني: amalslemi@uqu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
24/10/2025		17/12/2025

نشر البحث
A Research Publication

شوال ١٤٤٧هـ = April 2026

DOI:10.36046/2356-000-019-004

الملخَّص

يتناول هذا البحثُ التَّراكيبَ الموصوفةَ بالاستحالة في كتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجانيّ، في دراسةٍ لغويَّة تهدف إلى تحديد مفهوم الاستحالة لدى الجرجانيّ، ومعرفةِ وجوهها وأسبابها، واستكشافِ سماتها وخصائصها، وتوضيحِ علاقتها بالنَّظم، وهي بَعْدُ دراسةٌ تطمح بتحقيق هذه الأهداف إلى الكشف عن وجهٍ من وجوه التَّفاعل بين اللُّغة والعقل في بناء التَّراكيب وتحليلها وتقويمها، وإبرازِ رؤية عبد القاهر الجرجانيّ العميقة في هذا الشَّأن.

وقد جاء البحثُ في مقدِّمةٍ ومبحثين وخاتمة، ففي المقدِّمة تعريفٌ عامٌّ بالبحث، وفي المبحث الأوَّل تعريفٌ بالاستحالة، وبمفهومها عند الجرجانيّ، وبسماتها، وبعلاقتها بالنَّظم، وفي المبحث الثَّاني بيانٌ للأسباب الرَّئيسة المؤدِّية للاستحالة في التَّراكيب اللُّغويَّة مع دراسة تحليليَّة للتَّراكيب المستحيلة، وربطِها بالسِّياقات الواردة فيها.

وخلص البحثُ إلى مجموعة من النَّتائج، أهمُّها: أنَّ الاستحالة في التَّراكيب اللُّغويَّة لدى الجرجانيّ استحالةٌ عقليَّةٌ، تعدَّدت أسبابُها ومداخلُها وتنوَّعت، ويمكن إجمالُها في أربعة، هي: الإخلالُ بالتَّناسب الدّلاليّ بين عناصر التَّركيب، ومخالفةُ السِّياق، والإخلالُ بالبنية الأساسيَّة للتَّركيب، ومخالفة المنطق العقليّ.

الكلمات المفتاحيَّة: الاستحالة – التَّراكيب – اللُّغويَّة – العقل – الجرجانيّ

Abstract

This study examines the syntactic constructions described as *inconceivable* (istihāla) in ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī's *Dalāʾil al-Iʿjāz* through a linguistic analysis aimed at defining the concept of *istihāla* in al-Jurjānī's thought, identifying its forms and causes, exploring its characteristics, and clarifying its relationship with the concept of *naẓm* (syntactic/semantic order). The study ultimately seeks to uncover a key aspect of the interaction between language and reason in the construction, analysis, and evaluation of linguistic structures, while highlighting al-Jurjānī's profound vision in this domain.

The research is structured into an introduction, two main sections, and a conclusion. The introduction provides a general overview of the topic. The first section defines *istihāla*, outlines its features and its conceptual framework in al-Jurjānī's theory, and discusses its connection to *naẓm*. The second section investigates the primary causes of inconceivability in linguistic constructions, offering an analytical study of these invalid structures within their specific textual contexts.

The study concludes with several findings, the most significant of which is that *istihāla*, in al-Jurjānī's framework, is fundamentally a rational inconceivability (*ʿaqliyya*), with diverse causes and pathways. These can be summarized into four categories: (1) disruption of semantic harmony between structural elements, (2) conflict with contextual cues, (3) violation of the core structural form of the sentence, and (4) contradiction of logical reasoning.

Keywords: inconceivability – syntactic constructions – linguistics – reason – al-Jurjānī.

المقدِّمة

لا يكاد يخطئ النَّاظرُ في كتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجانيّ ملاحظةَ المنزع العقليّ بشتَّى تمثُّلاته، سواءٌ أكان ذلك في مستوى مادَّة الكتاب العلميَّة، وهي نظريَّة النَّظم، أم في مستوى الطَّريقة التي قُدِّمت بها هذه النَّظرية، إذ اصطبغتْ هذه الطَّريقةُ في الأعمِّ الأغلب بالأسلوب الحجاجيّ العقليّ الذي يستند إلى الاستدلال العقليّ والمناقشة المنطقيَّة. وأمَّا نظريَّة النَّظم فقد بناها الجرجانيُّ على أساس عقليٍّ، ما زال في مستوى التَّنظير يصرّح به ويلمِّح، وقد كان لا يفتأ يعرِّف بهذه النَّظريَّة في مواضع متعدِّدة من كتابه وينصُّ في كلٍّ منها على دور العقل فيها، وينبِّه على عناصر هذه النَّظرية وأنَّها يستحيل أن تتحصَّل إلا بالعقل، فالنَّظم الذي هو "توخِّي معاني النَّحو في معاني الكَلِم"(١) ينصُّ الجرجانيُّ على أنَّه لا يتأتَّى "مِنْ غير رويَّة وفكر"(٢)، ولا يستقيم إلا إذا جاء "على الوجه الذي اقتضاه العقل"(٣)؛ إذ هو "صنعةٌ يُستعان عليها بالفكرة"(٤). فكان من البدهيِّ أن نجده في المستوى التَّطبيقيِّ للنَّظريَّة يحاكم التَّراكيب اللُّغويَّة عقليًّا، فلا يكتفي بالنَّظر في صحتَّها وسلامتها لغويًّا ونحويًّا، بل يخضعها للتَّحليل العقليِّ، بغرض التَّحقُّق من صحَّة العلاقات المنطقيَّة التي تحكم التراكيب، وانسجامها مع مبادئ العقل ومقتضياته، ومدى إمكان تحقُّق معاني هذه التَّراكيب في الواقع.

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز في علم المعاني". تحقيق عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ٢٣٤.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٣٤.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٤٢.

(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٤٣.

وتبعًا لهذه المركزيَّة العقليَّة لدى الجرجانيّ وجدناه أثناء تحليله للتراكيب اللغويَّة ربَّما وصف بعضَها بـ(الاستحالة) أو بـ(المُحال)، فيقول – مثلًا –: "ولو قلتَ: (أأنت قلتَ شعرًا قطُّ؟، أأنت رأيت إنسانًا؟) أحَلْتَ"(١)، وفي موضع آخر يَذكُر أنَّك لو حاولتَ أن تقول: "(جريرٌ هو القائلُ هذا البيتَ وفلانٌ) حاولتَ مُحالًا"(٢)، ويَجعل من المُحال أن تقول: "إنْ قُمْتَ قُمْتَ، وإنْ خَرجْتَ خَرجْتَ"(٣)؛ وهذا من حيث كان "الشَّرطُ سببًا والجزاءُ مسبَّبًا، وأنَّه مُحالٌ أن يكون الشيء سببًا لنفسه"(٤)، وغير ذلك من المواضع المتفرِّقة في كتابه (دلائل الإعجاز).

ومِنْ هنا جاءت فكرة هذا البحث للوقوف على هذه المواضع، ودراستها دراسة تحليليَّة، بهدف تحديد مفهوم الاستحالة عند الجرجانيّ، واستكشافِ سماتها وخصائصها التي تميّزها عن غيرها من الأحكام والأوصاف المقاربة لها، وبيانِ علاقتها بنظريَّة النَّظم، والتعرُّفِ على الأسباب الدَّاعية لوصفها بالاستحالة وتصنيفِها. وهي بعدُ دراسةٌ تطمح بتحقيق هذه الأهداف إلى الكشف عن وجهٍ من وجوه التَّفاعل بين اللُّغة والعقل، وإبراز رؤية عبد القاهر الجرجانيّ العميقة في هذا الشَّأن.

مشكلة البحث وأسئلته:

تكمن مشكلة البحث في معرفة الأسباب الدَّاعية إلى وصف التَّركيب بالاستحالة لدى الجرجانيّ، والتعرُّف على سياقات ورودها في نظريَّة النَّظم التي هي موضوع كتاب

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٠.
(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢١.
(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٣٤٩.
(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٣٤٩.

(دلائل الإعجاز). وعن هذه المشكلة البحثيَّة تتفرَّع الأسئلةُ الآتيةُ التي يسعى البحثُ للإجابة عنها:

- ما المقصود بالاستحالة في التَّراكيب اللغويَّة لدى عبد القاهر الجرجانيِّ؟
- ما سمات هذه الاستحالة وخصائصها؟
- ما علاقة هذه الاستحالة بنظريَّة النَّظم؟
- ما الأسباب التي تؤدِّي إلى وصف التَّراكيب بالاستحالة عند عبد القاهر الجرجانيِّ؟
- كيف تكشف الاستحالةُ في التَّراكيب عند الجرجانيِّ عن محوريَّة العقل ومركزيَّته في رؤيته اللغويَّة؟

أهداف البحث:

- التَّعريف بمفهوم الاستحالة عند عبد القاهر الجرجانيِّ.
- تحليل سمات وخصائص الاستحالة عند عبد القاهر، وتوضيح علاقتها بنظريَّة النَّظم.
- تحديد أسباب الاستحالة عند الجرجانيِّ، وتصنيفها.
- تحليل التَّراكيب المستحيلة، وربطها بسياقاتها، وتوضيح كيفيَّة تمايزها عن التَّراكيب المستقيمة.
- الكشف عن منهج الجرجانيِّ الشَّامل، ورؤيته العميقة للعلاقة بين اللُّغة والعقل.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفيِّ، وهذا من خلال الوقوف على مواضع الاستحالة في التَّراكيب اللُّغويَّة الواردة في كتاب (دلائل الإعجاز)، ودراستها دراسة

تحليليَّة بهدف الإجابة عن أسئلة البحث، وتحقيق أهدافه.

أهمِّيَّة البحث:

يكتسب هذا البحث أهمِّيَّته من عدَّة أمور، يمكن اختصارها في أمرين، أحدهما عامٌّ والآخر خاصٌّ. فالأوَّل هو أنَّ البحث يكشف عن شكلٍ من أشكال التَّفاعل بين اللُّغة والعقل، ويُبِيْنُ عن دور العقل في بناء التَّراكيب اللُّغويَّة وتحليلها وتقويمها، وهو جانب مهمٌّ لم ينلْ حظَّه الكافي من العناية، وما زال بحاجة إلى إبرازه وتسليط الضوء عليه.

والأمر الآخر هو ارتباط البحث بشخصيَّة الإمام عبد القاهر الجرجانيِّ، وبكتابه (دلائل الإعجاز) على وجهٍ أخصَّ، فأمَّا الجرجانيُّ فهو من العلماء المؤسِّسين للعلوم، وهذه الفئة من العلماء مَهْمَا كثرت حولهم الدِّراسات تبقى الحاجةُ إلى دراسة آثارهم؛ لاستكشاف أصولهم ومنطلقاتهم وطرائق تفكيرهم ومناهجهم قائمةً لا تنقطع، وأمَّا كتاب (دلائل الإعجاز) فيعدُّ أهمَّ كتبه التي تجلِّي لنا فكره؛ إذ هو آخر ما أنتجه، وفيه تتجلَّى رؤيته اللغويَّة المتكاملة، وتفكيرُه اللغويُّ الشَّامل، بالإضافة إلى أنَّه أسَّس فيه لنظريَّة النَّظم التي كان لها أثر بالغ في الدِّراسات اللغويَّة بعده، كما أنَّ أهمَّ ما فيه – بالنِّسبة لبحثنا – هو المنهج التحليليُّ اللغويُّ الشَّامل الذي سلكه فيه، ووظَّف فيه سائر العلوم والفنون في قراءة النُّصوص وتوجيهها.

حدود البحث:

البحث مؤطَّرٌ بما ورد في كتاب (دلائل الإعجاز)؛ وذلك لِمَا له من قيمة معرفيَّة عامَّة، أشرنا إليها من قبل، ولِمَا له من قيمة خاصَّة تميِّزه عن باقي كتب الجرجانيِّ، كـ(أسرار البلاغة) و(المقتصد في شرح الإيضاح)، فأمَّا (أسرار البلاغة) فلم

توجد الظاهرة فيه كما وُجدت في (دلائل الإعجاز)، وأمَّا (المقتصد) فهو كتابٌ نحويٌّ قواعديٌّ، يتميَّز كتابُ الدَّلائل عنه بكونه كتابًا تحليليًّا تتجلَّى فيه براعة الجرجانيّ في توظيفه لشتَّى العلوم والمعارف كالنَّحو واللُّغة والبلاغة والمنطق، في تحليل ما ساقه من أمثلة وشواهد كثيرة متنوِّعة من القرآن والشِّعر، وبهذا أيضًا تمتاز هذه الدِّراسة عن بقيَّة الدراسات السَّابقة الَّتي لم يتناول أيٌّ منها الظَّاهرة على النَّحو الذي اختطَّته هذه الدِّراسة منهجًا ومحلَّ دراسة.

الدِّراسات السَّابقة:

سُبقت هذه الدِّراسة بدراسات تقترب من موضوعها إلا أنَّها تختلف عنها اختلافًا بيِّنًا في الهدف أو المنهج أو المادَّة، أو فيها كلِّها، وما وقفتُ عليه منها الدِّراساتُ الآتية:

(الاستقامة والإحالة في النَّحو العربيّ)، لحوريَّة بوحموم[1]، وقد تبنَّت الدراسة نصَّ سيبويه وانطلقت منه واعتنت بتفسيره وربطه بالجانب الرياضيّ من جهة دراسة الاحتمالات العقليَّة الممكن منها والمستعمل، كما هدفت بشكل رئيس إلى مقارنة ما جاء عند سيبويه باللسانيَّات التوليديَّة التحويليَّة الحديثة، ولذا جاءت الدراسة في فصلين، الأوَّل: مفهوم الاستقامة والإحالة عند النحاة العرب، والثاني: مفهوم الاستقامة والإحالة بين النحو العربيّ والنحو التوليديّ التحويليّ. وهي بهذا تفترق بصورة واضحة عن أهداف دراستنا ومنهجها ومادَّتها.

(التركيب اللغويُّ بين الاستقامة والإحالة)، لعليّ رمضان البيُّومي[2]، وهي دراسة عامَّة انطلقت من نصِّ سيبويه، وركَّزت على التراكيب، متى تكون مقبولة ومتى تكون

(١) رسالة ماجستير من جامعة سعد دحلب البليدة في الجزائر، (٢٠١١م).

(٢) منشور في مجلة الدراسات اللغوية٢، (٢٠١٨م).

مرفوضة، ومثَّل صاحبُها ببعض ما وُصف من التراكيب بالاستحالة عند النُّحاة، وكان اتجاه الباحث اتجاها نحويًّا قواعديًّا واضحًا، وقد بناها على أسباب تختلف كُليًّا عمَّا توصَّلت إليه دراستنا، وهي: بناء الجملة بين الاستقامة والإحالة، والتوجيه النحويُّ بين الاستقامة والإحالة، وقصد المتكلِّم وإرادته بين الاستقامة والإحالة، والعلامة الإعرابيَّة بين الاستقامة والإحالة.

(مفهوم الإحالة عند سيبويه أبعاده وضوابطه)، للطيفة إبراهيم النجَّار[١]، وهي دراسة اختصَّت بدراسة الظاهرة عند سيبويه، وبيَّنت أنَّ الظاهرة قد تخرج عن صورة التناقض التي ربطها بها سيبويه في أوَّل كتابه، وأنَّها قد تجيء نتيجة أسباب أخرى، هي: نقص الكلام، وغياب المرجع، والكلام المفكَّك، ومقام الكلام. وهي دراسة –كما نرى – خاصَّة بسيبويه، فما مدى تأثُّر العلماء بعده به في هذه الظَّاهرة؟ تأتي دراستنا بنتائجها لتُبِيْنَ عن مدى تأثر عبد القاهر به في هذا الموضوع، وكيف أنَّ الجانب العقليَّ المنطقيَّ كان أظهرَ عند الجرجانيّ نظرًا لطبيعة السياق الذي وردت فيه هذه الظاهرة، كما لم تخلُ دراستُنا من مقارنةٍ ما بينهما.

(ظاهرة المحال في النحو والصرف)، لمحمَّد أحمد فريد[٢]، يدرس الباحث فيها (المحال) دراسة مصطلحيَّة خالصة، بهدف إثبات استقلاليَّة هذا المفهوم وكونه مصطلحًا ثابتًا منضبطًا اجتمعت له عناصر الضبط الواجبة لأيّ مصطلح آخر، ومن أجل ذلك أخذ يقارنه ببقيَّة المصطلحات الأخرى، ويبيّن مجالات توظيفه، ومسوِّغاته. وهي دراسة

(١) منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها١، (٢٠٠٧م).
(٢) بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ٦، (٢٠٢٠م).

جادَّة، لكنَّها تختلف تمامًا عن دراستنا من حيث الهدف الرَّئيس لكلٍّ من الدراستين.

(المحال في الفضلات)، لسهاد محمد الحسناوي، وأسيل عبد الحسن الخفاجي[1]، وهي دراسة قصيرة جدًّا وغير واضحة المعالم، فيها تمثيلٌ لبعض مواضع الاستحالة في باب الفضلات فقط، ولم تتعمَّق في وصف الظاهرة ولا تحليلها.

وقد أفدتُّ من بعض هذه الدراسات، كما أفدتُّ بصورة أكبر من كتاب (شرح دلائل الإعجاز)، للدكتور: محمَّد إبراهيم شادي، واستعنت به في قراءة وتفهُّم بعض نصوص الإمام عبد القاهر الجرجانيِّ.

خُطَّة البحث:

جاء هذا البحث في مقدِّمة ومبحثين وخاتمة، وذلك على النَّحو الآتي:

المقدِّمة، وفيها تعريف عامٌّ بالبحث.

المبحث الأوَّل، وفيه التَّعريف بالاستحالة، وبمفهومها عند الجرجانيِّ، وبسماتها، وتوضيح علاقتها بالنَّظم.

المبحث الثَّاني، وفيه بيانٌ للأسباب الرئيسة المؤدِّية للاستحالة في التراكيب اللغويَّة.

الخاتمة، وفيها نتائج البحث.

(١) بحث منشور في مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية ٣، (٢٠١٨م).

المبحث الأوَّل: التعريف بالاستحالة، وبمفهومها، وسماتها، وعلاقتها بالنَّظم

المعنى اللغويُّ والاصطلاحيُّ للاستحالة:

أصل مادَّة الاستحالة والمُحال في اللغة: (حول)، وهي تعني: الانتقال. مِنْ "(حالَ الشيءُ يحولُ): إذا انتقل عن جهته"(١)، وجاء في لسان العرب: "والمُحال من الكلام: ما عُدِل به عن وجهه. وحوَّله: جعله مُحالًا. وأحال: أتى بمُحال... وكلامٌ مستحيلٌ: مُحالٌ"(٢)، فالكلام المستحيل والمحال بمعنًى واحد، و"خلافُ المُحال: المستقيم"(٣)، وإذا كان الوجهُ في الكلام الاستقامةَ فإحالتُه تعني العدولَ به إلى (الفساد)، "يُقال: أحلْتُ الكلامَ أُحيلُه: إذا أفسدْته"(٤)، ولكنْ هل الفاسد والمحال بمعنًى واحد؟ يبدو أنَّهما ليسا كذلك، فالمحال هو ما بلغ أقصى درجات الفساد، فعلى هذا سيكون بينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، فـ"كلُّ مُحال فاسد، وليس كلُّ فاسد مُحالًا"(٥). وأقصى درجات الفساد المعنويِّ التي يمكن الوصول إليها هو التناقض، وهو أكثر ما فُسِّر به (المحال)(٦)، جاء في تاج العروس: "قال الرَّاغب:

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ)، ٢٨: ٣٧٠.

(٢) محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١١: ١٨٦.

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، "الفروق اللغوية". (القاهرة: دار العلم والثقافة)، ٤٣.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، ١١: ١٨٦.

(٥) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، " الصناعتين". تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١١، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٣٨٣هـ)، ٧٠.

(٦) تفسيره بالمتناقض أكثر ما يكون بالمثال، ينظر – مثلًا –: العسكري، "الفروق اللغوية للعسكري"، ٤٣؛ والجرجاني، علي بن محمد، "التعريفات للجرجاني"، ٢٠٥.

المُحال ما جُمِع فيه بين المتناقضَين، وذلك يوجد في المقال، نحو أن يقال: جسم واحد في مكانين في حالة واحدة"(١)، كما فُسِّر المحال بتفسير أوسع من (التناقض)، فقيل: هو "ما يمتنع وجوده في الخارج"(٢)، أو "الذي لا يُتصوَّر وجودُه في الخارج"(٣)، أو "ما لا يجوز كونُه ألبتةَ، كقولك: الدُّنيا في بيضة"(٤)، وتفسيرٌ ثالثٌ جاء عن الخليل بن أحمد فيما رواه عنه ابنُ شُميل، وهو أنَّ "المُحالَ: الكلامُ لغير شيء، والمستقيمَ: كلامٌ لشيء، والغلطَ: كلامٌ لشيء لم تُرْدْه، واللَّغوَ: كلامٌ لشيء ليس من شأنك، والكذبَ: كلامٌ لشيء تَغرُّ به"(٥)، وكأنَّه يريد أنَّ المحال هو ما انعدم معناه، فههنا معانٍ ثلاثةٌ للمحال: التناقض، وما لا يُتصوَّر وجوده، وانعدام المعنى؛ وأعمُّ هذه المعاني هو أنَّ المحال (ما لا يُتصوَّر وجوده)، وأشهرُها (التناقض).

وقد كان سيبويه أوَّلَ مَنْ طَرَقَ باب (المحال) وعرَّفه في نصٍّ ثريٍّ حَفِل بعناية عظيمة وحفاوة خاصَّة من العلماء والدارسين، ولا يسعنا ونحن نتحدَّث عن (الاستحالة) أن نتجاوزه، وقد جاء هذا النصُّ في مقدِّمة كتابه تحت باب بعنوان: (الاستقامة من الكلام والإحالة)، حيث قسم الكلامَ فيه خمسةَ أقسام، فقال: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأمَّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمسِ وسآتيك غدًا، وأمَّا المحال فأنْ تنقُضَ أوَّلَ كلامك، فتقول: أتيتُك غدًا، وسآتيك أمسِ، وأمَّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربتُ ماءَ البحر ونحوه، وأمَّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قدْ زيدًا رأيتُ،

(١) الزبيدي، "تاج العروس"، ٢٨: ٣٧٠.
(٢) الجرجاني، "التعريفات للجرجاني"، ٢٠٥.
(٣) الزبيدي، "تاج العروس"، ٢٨: ٣٧٠.
(٤) العسكري، " الصناعتين"، ٧٠.
(٥) ابن منظور، "لسان العرب"، ١١: ١٨٦.

وكيْ زيدًا يأتيك، وأشباه هذا، وأمَّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماءَ البحر أمْسِ"[١]، وهذه الأقسام الخمسة واقعةٌ –كما نرى – تحت قسمين رئيسين، هما: المستقيم، والمحال، وبتعريف سيبويه للمحال يتَّضح أنَّ الفرق بين القسمين: المستقيم والمحال، عائدٌ إلى المعنى الدلاليّ، حيث فسَّر المحالَ بما فيه تناقض دلاليٌّ، ومثَّل له بـ(أتيتك غدًا، وسآتيك أمسِ)، ووجه التناقض في الجملة الأولى هو أنَّ دلالة الفعل (أتى) هي الزمن الماضي، ودلالة الظرف (غدًا) هي الزمن المستقبل، فحصل التناقض، والجملة الثانية صُدِّرت بـ(السين) وهو حرف دالٌّ على الاستقبال، ثم نُقضت هذه الدلالةُ بالظَّرف (أمْس) الدالِّ على الزمن الماضي، فحدث التناقض. وكذلك الحال مع (المحال الكذب) كما يسمِّيه سيبويه، ومثالُه عنده (سوف أشرب ماء البحر أمْسِ)، فالتناقض حاصل بين دلالتي (سوف) على الاستقبال، و(أمس) على المضيّ، والكذب جاء من جهة مضمون الجملة وهو (شُرْب ماء البحر)، فهو ممَّا يُعلم بالضرورة عدم صدقه وأنَّه لا يطابق الواقع.

وقد وافق السيرافيُّ سيبويهِ في تفسير (المحال) بالكلام المتناقض، فقال: "المحال هو الكلام الذي يوجب اجتماع المتضادَّات"[٢]، وإنْ كان ألمح قبل ذلك إلى ما يدلُّ على عموميَّة دلالة (المحال)، حين شرح عبارة سيبويه، وهي: "وأمَّا المحال فأن تنقُض أوَّلَ كلامك، فتقول: أتيتك غدًا، وسآتيك أمْسِ"[٣]، فقال معلِّقًا: "فهذا كلام محال، ومعنى

(١) عمرو بن عثمان بن قَنبر الحارثي، سيبويه، "الكتاب". تحقيق عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ١: ٢٥.

(٢) أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، ١:١٨٦.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٥.

المحال أنَّه أُحيل عن وجهه المستقيم الذي به يُفهم المعنى إذا تكلَّم به"[١].

غير أنَّ أبا الحسن الأخفش كان أكثر وضوحًا من السيرافيّ حين صرَّح بتوسيع دلالة (المحال) وعدمِ قصرها على معنى (التناقض)، فقال: "وأمَّا المحال فهو ما لا يصحُّ له معنًى"[٢]، وهو بهذا يقترب من التعريف الذي أوردناه للخليل حين قال: "المحال: الكلام لغير شيء"[٣]. ويبدو أنَّ سيبويه لم يقصد قصْرَ معنى الإحالة على (التناقض)، وإنَّما قَصَدَ تقريبَ معنى (المحال) بذكْر أوضح صوره وأبْينها، وهي (التناقض)، وهذا كتمثيله بـ(شُرْب ماء البحر) و(حَمْل الجبل)، فإنَّه لم يقصد بالتمثيل بهما إلا التقريبَ بالتمثيل بأوضحِ وأبْينِ ما يُعرف بداهةً وابتداءً أنَّه (كذب)؛ وهذا من حيث كان "ظاهرهما يدلُّ على كذب قائلهما قبل التصفُّح والبحث، وإلا فكلُّ كلام تُكلِّم به وكان مُخبِرُه على خلاف ما يوجبه الظاهر فهو كذبٌ، عَلم أو لم يَعلم"[٤]، وممَّا يدلُّ على أنَّ سيبويه لم يقصد قصْرَ معنى الإحالة على (التناقض) تطبيقاتُه في سائر كتابه، فإنَّنا لا نجد معنى التناقض حاضرًا في كلِّ المواضع والأمثلة التي حكم فيها بـ(المحال)[٥].

مفهوم الاستحالة عند الجرجانيّ:

لم يبتعد الجرجانيُّ في توظيفه لوصف الاستحالة عن المعاني التي ذكرها أهلُ اللغة للاستحالة، وقد سبق أنْ ذكَرْنا أنَّها تدور حول معانٍ ثلاثةٍ يمكن تداخلها، وهي: التناقض، وما لا يُتصوَّر وجوده، وانعدام المعنى، فكلُّ هذه المعاني ملاحَظةٌ في مواضع

(١) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١:١٨٦.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٦، الهامش رقم (١).

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، ١١: ١٨٦.

(٤) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١:١٨٦.

(٥) يُنظر: لطيفة إبراهيم النجار، "مفهوم الإحالة عند سيبويه أبعاده وضوابطه". المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ٣، (٢٠٠٧م): ٣. حيث أكَّدت هذه النتيجة.

الاستحالة لدى الجرجانيّ كما سنرى، وبهذا يكون وصفُ الاستحالة لدى الجرجانيّ يحيل على الجانب العقليّ الخالص، ويمكن تقريبُ معنى الاستحالة لديه بأن نقول: هو وصفٌ يطلقه الجرجانيُّ على التركيب اللغويّ أو على أحد تأويلاته إذا كانا يؤدِّيان إلى ما لا يتصوَّره العقل، إمَّا لتناقض المعنى وهو أكثر الأسباب حضورًا، وإمَّا لغياب المرجعيَّة الخارجيَّة، وإمَّا لانعدام المعنى. وتتعدَّد مداخلُ هذه الاستحالة العقليَّة وأسبابُها الأولى لدى الجرجانيّ، ويمكن إجمالُها في أربعة، هي: الإخلال بالتَّناسب الدلاليّ بين عناصر التركيب، ومخالفة السياق، والإخلال بالبنية الأساسيَّة للتركيب، ومخالفة المنطق العقليّ. وهذه الأسباب الأربعة تنطوي تحت المظلَّة الكبرى وهي الاستحالة العقليَّة.

سمات الاستحالة عند الجرجانيّ:

بعد تتبُّع مواضع الاستحالة لدى عبد القاهر الجرجانيّ يمكن تلمُّسُ خصائصِها وسماتِها وبيانُها على النَّحو الآتي:

١– خصوصيَّة وصف الاستحالة لدى الجرجانيّ وتميُّزه عن غيره من أوصاف الحظر: يتَّسم مفهومُ الاستحالة لدى الجرجانيّ بخصوصيَّة تميِّزه عن غيره من أوصاف الحظر التي يستعملها، كالممنوع والمرفوض والمردود وغيرها، فإذا كانت هذه الأحكام غالبًا ما تصْدر عن اعتبارات لغويَّة ونحويَّة بحتة، فإنَّ الأصل في الاستحالة أن تصدر عن اعتبارات عقليَّة، ومعنى هذا أنَّ الجرجانيَّ حين يصف تركيبًا ما بالاستحالة فإنَّ هذا يعني أنَّ فيه خللًا يحول دون تحقُّق المعنى على المستوى العقليّ قبل المستوى النَّحويّ أو الدِّلاليّ، وهذا ما تُسْلم إليه الأمثلةُ موضع الدراسة، إمَّا بصفة مباشرة، وعلى هذا سائر الأمثلة التي ستتناولها الدراسة، وإمَّا بصفة غير مباشرة، ويمكن التمثيل لهذه الحالة الثَّانية بما جاء في مسألة (وقوع الفاء موقع "إنَّ")، حيث أصَّل الجرجانيُّ ابتداءً بجواز ذلك، مع كونِ الأوفقِ للنظم استعمالَ (إنَّ)، وهذا كما في بيت بشَّار بن بُرْد:

بكِّرا صاحبيَّ قبلَ الهجيرِ إنَّ ذاكَ النجاحَ في التَّبْكيرِ(١)

ثُمَّ ذكر أنَّه قد يمتنع أن تقع (الفاءُ) موقعَ (إنَّ)، ومثَّل لهذا بأربعة أمثلة قرآنيَّة، عبَّر عن المنع فيها بالاستحالة في مثالين منهما فقط؛ وهذا لـمَّا كان سبب المنع فيهما عائدًا إلى اعتبارات عقليَّة. وهذه الأمثلة الأربعة -كما ساقها الجرجانيُّ- هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان:٥١] فإنَّك لو قُلْتَ -في غير القرآن الكريم-: "(إنَّ هذا ما كنتُم به تمترون، فالمتَّقون في جنَّاتٍ وعيونٍ)، لم يكن كلامًا"(٢)، والمثال الثَّاني هو قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء:١٠١]، فـ"لو قُلْتَ: (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ، فالذين سبقت لهم منَّا الحسنى)، لم تجدْ لإدخالك (الفاءَ) فيه وجهًا"(٣). ونلحظ أنَّه لم يعبِّر ههنا بـ(المحال)، ولكنَّه عبَّر به في المثالَين الآخرَين، فقال: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧]، فـ(الَّذِينَ آمَنُوا) اسمُ (إنَّ)، وما بعده معطوفٌ عليه، وقولُه: (إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) جملةٌ في موضع الخبر، ودخولُ (الفاء) فيها محالٌ؛ لأنَّ الخبر لا يُعطف على المبتدأ"(٤)، ثمَّ عقَّب الجرجانيُّ بمثال آخر، فقال: "ومثلُه سواءٌ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ

(١) يُنظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٧٩، والبيت من الخفيف، "ديوان بشّار بن برد". مراجعة محمد شوقي أمين، (الجزائر: وزارة الثقافة، ٢٠٠٧م)، ٣:٢٠٣.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.

(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.

﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف:٣٠]"[١]، فيستحيل دخولُ الفاء على الخبر هنا أيضًا، فلا يُقال: (فنحن لا نضيع أجر من أحسن عملًا)؛ للسبب ذاته.

فهذه الأمثلة الأربعة كلُّها يمتنع فيها وقوعُ (الفاء) موقع (إنَّ)؛ إلَّا أنَّنا لم نجد الجرجانيَّ يعبّر بـ(المحال) إلَّا في المثالين الأخِيْرَين، وأمَّا في المثالَين الأوَّلَين فعبَّر عن المنع بـ "لم يكنْ كلاماً"[٢]، وبـ "لم تَجِدْ لإدخالِك (الفاء) فيه وجهًا"[٣]، والسببُ هو أنَّه حين تقع الفاء في موقع (إنَّ) – في المثالين اللذَين حَكم فيهما بـ(المحال) – سيُعطف الخبرُ على المبتدأ، فيبقى المبتدأ ضائعًا بلا خبر، وفي هذا إخلالٌ صريحٌ ببنية التركيب الأساسيَّة، وإسقاطٌ لأحد عنصري الإسناد، وهو ما يؤدِّي إلى انعدام المعنى التركيبيّ، واستحالة تصوُّر المراد. وأمَّا دخول (الفاء) في المثالين الأوَّلَين فهو لا يخلُّ ببنية التركيب وعناصره الأساسيَّة، فلم يستحقَّ وصفَ الاستحالة. وقد علَّل الجرجانيُّ للاستحالة في هذا التركيب بـ"أنَّ الخبر لا يُعطف على المبتدأ"[٤]، وهذه العلَّة وإنْ بدتْ أنَّها علَّة نحويَّة خالصة، إلا أنَّ الجرجانيَّ –كما سبق أنْ ذكرنا – لا يصف تركيبًا بالاستحالة إلَّا إذا كان فيه خللٌ يحول دون تحقُّق المعنى على المستوى العقليّ قبل المستوى النحويّ، وقد رأينا أنَّ عطف الخبر على المبتدأ يحول دون تصوُّر معنى التركيب عقليًّا؛ إذ لا يمكن تصوُّر معناه إلا باكتمال عنصرَي الإسناد ورُكْنَيه: المبتدأ والخبر.

٢- **تفاوت درجات الاستحالة**: ليست الاستحالة لدى الجرجانيّ وصفًا مطلقًا ثابتًا، بل هو وصف نسبيٌّ قابلٌ للتفاوت، وتفاوتُه يعود إلى عوامل عدَّة، منها تعدُّد

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.
(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.
(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.
(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.

أسباب الاستحالة في التركيب الواحد، فتكون الاستحالة بذلك مركَّبة في مقابل استحالة أخرى مفردة، ومنها درجة الوضوح في الاستحالة، فقد تكون بدهيَّة وقد تكون خفيَّة ودقيقة، وغير ذلك من العوامل التي كشفت عنها الدراسة، وهذا التفاوت يتجلَّى في مظهرين، هما:

الأوَّل: على مستوى التَّعبير اللفظيّ عن معنى الاستحالة، حيث تنوَّعت وتفاوتت تعبيراتُه عنها، وهذا التنوع لم يكن عشوائيًّا، بل كان نتيجةَ إدراكه لدرجة الاستحالة ومستواها، فمن تلك التعبيرات: "وذلك في المحال الذي يُضحَك منه"(١)، "تفحُّمٌ في المحالات"(٢)، "وذلك من شنيع المحال"(٣)، "وذلك ما لا يُشَكُّ في استحالته"(٤)، "فممَّا لا تخفى استحالتُه على عاقل"(٥)، "وهو من الإحالة المفْرطة"(٦)، "ففي غاية الإحالة"(٧)، "وكفى بهذا بُعْدًا وإحالةً"(٨).

الثَّاني: على مستوى التَّطبيق، فإنَّه ربَّما عَرَضَ أحدُ أسباب الاستحالة لتركيبَين مختلفَين فيستحيلان لذلك، فيصِفُ الجرجانيُّ أحدَهما بالاستحالة دون الآخر؛ وذلك لعُروض عاملٍ آخرَ في التركيب الموصوف بالاستحالة جَعَلَ الاستحالة واضحةً بدهيَّةً فيه، الأمرُ الذي سوَّغ وصفَه بالاستحالة دون التركيب الآخر، وهذا مثلُ ما جاء في أمثلته في باب (القصر)، حين وَصَفَ بالاستحالة التركيبَ الآتي: (جريرٌ هو القائلُ هذا

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٩٣.
(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٨٦.
(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٧٨.
(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٩.
(٥) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٩٣.
(٦) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٤٣.
(٧) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٦١.
(٨) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٣٣.

البيتَ وفلانٌ)، دونَ أن يَصِفَ بها: (زيدٌ المنطلق وعمرٌو)، مع أنَّ كليهما تركيبٌ مستحيلٌ؛ وسببُ الاستحالة الإخلال بالتَّناسب الدلاليّ، من حيث كان النَّظمُ يقتضي أنَّ تعريف الخبر يعني قصْرَ معناه على المبتدأ، فإنَّك لا تقول: (زيد المنطلق) إلا "مع منْ عرف أنَّ انطلاقًا كان، إمَّا من زيدٍ وإمَّا من عمرٍو، فأنت تُعْلمه أنَّه كان من زيدٍ دون غيره"(١)، وكذلك تعريف (القائل) في التركيب الآخَر يعني قصْرَ معناه على (جرير). والعطفُ يقتضي التشريكَ في الحكم، فحين يؤتى به بعد الخبر المعرفة الدالِّ على القصر يحدث التناقضُ بالجمع بين القصر والعطف بعده. وقد وجدنا الجرجانيَّ يحيل التركيب الأول فقط، فيقول: "ومن الواضح في تمثيل هذا النحو قولُنا: (هو القائلُ بيتَ كذا)، كقولك: (جريرٌ هو القائل: ولَيْسَ لِسَيْفي في العِظَامِ بقيّةٌ(٢))، فأنت لو حاولتَ أن تُشْرك في هذا الخبر غيرَه، فتقولُ: (جريرٌ هو القائلُ هذا البيتَ وفلانٌ)، حاولتَ محالًا، لأنَّه قول بعينه، فلا يُتصوَّر أن يَشْرَكَ جريرًا فيه غيرُه"(٣).

والذي سوَّغ للجرجانيّ أن يَصِفَ بالاستحالة: (جريرٌ هو القائلُ هذا البيتَ وفلانٌ)، دون أن يَصِفَ بها: (زيدٌ المنطلقُ وعمرٌو)، هو أنَّ معنى الاستحالة في التركيب الأوَّل مباشرة وصريحة من حيث كان المعنى المقصورُ على واحدٍ هو قولَ بيتٍ من الشِّعر، والبيتُ من الشِّعر يستحيل أن يقوله اثنان، في حين أنَّ معنى الاستحالة في التركيب الثاني إنَّما جاء من معنى القصر العائد إلى تعريف الخبر: (المنطلق) فقط، وأمَّا المعنى المقصورُ – وهو الانطلاق – فهو ممَّا يمكن صدورُه مِن أكثر من واحد، ولو لم يُعرَّف الخبرُ لأمكن الاشتراكُ في معناه، فيقال – مثلًا –: (زيد منطلقٌ وعمرٌو). ولا يمكن هذا

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢٠.

(٢) تمام البيت: وللسيف أشوى وقعة من لسانيا، وهو من الطويل. جرير بن عطية، "ديوان جرير". تحقيق نعمان محمد أمين طه، (القاهرة: دار المعارف)، ١ :٨٠.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢١.

مع التركيب الأوَّل. فتركيب (جريرٌ هو القائلُ هذا البيتَ وفلانٌ) استحال من جهتين، وتركيب (زيد المنطلق وعمرو) استحال من جهة واحدة.

٣- الاستحالة ضربان: داخليَّة وخارجيَّة: فالاستحالة الداخليَّة هي ما كان سببُ الاستحالة فيها نابعًا من داخل التركيب، كأنْ يكون سببُه الإخلالَ بالتناسب الدِّلاليّ بين عناصر التركيب، أو الإخلالَ ببنية التركيب الأساسيَّة، والتركيب في هذه الحالة مرفوضٌ على كلِّ حال، وهذا كما في أكثر أمثلة البحث التي ستكون محلَّ الدراسة في المبحث الثاني، نحو: (أأنت قُلْتَ شعرًا قطُّ؟)، (أأنت رأيتَ إنسانًا؟)، و(ما أنا قلتُ شعرًا قطُّ)، (ما أنا أكلت اليوم شيئًا)، (ما أنا رأيت أحدًا من النَّاس)، و(جريرٌ هو القائلُ هذا البيتَ وفلانٌ)، والاستحالة الخارجيَّة سببُها عاملٌ خارجيٌّ، وهو عدم انسجام التركيب مع السِّياق الوارد فيه، فيكون التركيب هنا مرفوضًا في مقام دون مقام، وفي تأويل دون تأويل، ويمكن التمثيل ههنا بما أورده الجرجانيُّ من قول الأعشى: (هُوَ الواهبُ المئةَ المصطفاةَ)[(١)]، حيث يستحيل أن تكون (أل) عهديَّة في الاسم المشتقِّ الواقع خبرًا، وقد قُيِّد بمخصِّص يجعله في حكم نوع برأسه؛ وهذا كـ (الواهب) في هذا التركيب؛ وذلك لأنَّنا حين نجعلها عهديَّة فهذا يعني أنَّها مثل (أل) في: (زيد هو المنطلق)، فكما

---

(١) من بيت الأعشى، وهو كما ورد في دلائل الإعجاز ١٢٢: هُوَ الواهِبُ المِئَةَ المُصْطفاةَ، ... إمَّا مِخاضاً وإمَّا عِشَاراً.

وقد روي البيت هكذا عند عبد القادر بن عمر البغدادي، "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، (ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م)، ٤: ٢٣٩، مع رواية أخرى فيه وهي: (الواهب المائة الهجان وعبدها * قطنًا تشبّهها النّخيل المكرعا) ٤: ٢٣٩، وأمَّا الذي جاء عند ميمون بن قيس بن جندل الأعشى، "ديوان الأعشى". (نسخة المكتبة الشاملة)، ٢: ٦٣. فروايتان مختلفتان، هما: (هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا*ةَ كالنّخلِ طافَ بها المجترمْ) ٢: ٦٣، و: (هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا * ةَ، كالنخلِ زينها بالرَّجنْ) ٢: ٦٦.

أنَّ المعنى في (المنطلق): الانطلاقُ المخصوصُ، فكذلك سيكون المعنى في (الواهب)، أي: الهبَة المخصوصة، وكأنَّه وهب هذه المئةَ من الإبل، ثُمَّ لم يَعُدْ لمثلها، وهذا نقضٌ للغرض، من حيث كان المقامُ مقامَ مدح، وغرضُ الشاعر الثناء على الممدوح بالكرم، ومعنى البيت الذي يوافق الغرضَ هو: أنَّه الذي من شأنه أن يهَب المئة بعد المئة، وأنَّ هذا شأنه وعادته دائمًا، فتكون (أل) للتعميم، وفي قوة (أل) الجنسيَّة، وليست عهديَّة(١).

٤- تعدُّدُ أسباب الاستحالة وتنوُّعُ عواملها بين عوامل لغويَّة وأخرى عقليَّة: وهي الأسباب التي أقيمت الدراسة عليها، وخُصِّص لها المبحث الثاني، ويمكن عرضُها ههنا بإيجاز على النحو الآتي:

السبب الأول: الإخلال بالتَّناسب الدِّلالي بين عناصر التركيب، ونعني به فقدانَ الانسجام الدلاليّ بين عناصر التركيب وتنافرَها.

السبب الثاني: مخالفة السياق، ونعني به عدمَ ملاءمة التركيب للسياق الخاص الوارد فيه، سواء أكان هذا السياق لغويًّا أم غيرَ لغويٍّ.

السبب الثالث: الإخلال ببنية التركيب الأساسيَّة، ونعني به غيابَ أحد عنصرَي التركيب الأساسيَّين، وهما المسند والمسند إليه.

السبب الرابع: مخالفة المنطق العقليّ، ونعني به الإخلالَ بالعلاقات المنطقيَّة الحاكمة للتركيب، وعدمَ انسجام التركيب مع مبادئ العقل وقوانينه.

العلاقة بين التراكيب المستحيلة ونظريَّة النظم:

وردت هذه التراكيب المستحيلة في سياق شرح الجرجانيّ لنظريَّة النظم، وفي أبواب متفرِّقة من أبوابه التي عقدها لتفسير خصائص النظم، كباب: التقديم والتأخير، والقصر

(١) ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢٢، وسيمرُّ معنا هذا الشاهد في المبحث الثاني

والاختصاص، والوصل والفصل، وغيرها، وقد يُتساءل عن وجه ورود التراكيب المستحيلة في كتاب الدلائل الذي يتناول قضيَّة النظم، وقد يُظَنُّ أنَّ ثَمَّة مفارقة، وجهُها أنَّ التراكيب المستحيلة تندرج ضمن المستوى المعياريّ الذي يبحث في صحَّة التركيب وفساده وقبوله ورفضه، في حين أنَّ نظريَّة النظم تتجاوز البحث في هذا المستوى إلى البحث في أسرار ومزايا الأنماط البليغة العالية من الكلام والتراكيب اللغويَّة. ويمكن أن يُجاب عن هذا من خلال نقطتين، نتبيَّن فيهما العلاقة بين التراكيب المستحيلة ونظريَّة النظم:

الأولى: ذكرنا من قبل أنَّ الاستحالة في التراكيب عند الجرجانيّ هي استحالة عقليَّة، وإن تعدَّدت أسبابها ما بين أسباب دلاليَّة أو نحويَّة أو منطقيَّة أو سياقيَّة، ونظريَّةُ النظم ترتكز على أساس عقليٍّ ما زال الجرجانيُّ على مستوى التنظير يصرّح به ويلمِّح، وبعيدًا عن تعريفات النظم التي ينصُّ فيها على دور العقل فيه، نجده قد كَرَّرَ مفردة (العقل) ومشتقَّاتها في كتاب (دلائل الإعجاز) أكثرَ من (٢٠٠) مرَّة، هذا غير المفردات التي ترادفها وتقاربها ، كالفكر والرويَّة والنظر والتأمُّل وغيرها، وكلُّ هذا إيمانٌ منه بمركزيَّة العقل في اللغة، وأنَّها نتاج عمليَّات عقليَّة بحتة، فإنْ أنت أحسنتَ في هذه العمليات العقليَّة ورتَّبتَ فيها المعاني "لم تحتجْ إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتَّب لك بحكم أنَّها خدمٌ للمعاني، وتابعةٌ لها، ولاحقةٌ بها"(١).

فكان من الطبيعيّ أن نجده في تطبيقات هذه النظريَّة يحاكم التراكيب ويخضعها لاختبارات عقليَّة، فيبحث عن عناصر التركيب الأساسيَّة التي لا يُعقل معنى التركيب إلا بوجودها، وهي عناصر الإسناد، ويَحْكُم بالاستحالة عند غياب أحدها، ويبحث في مدى الانسجام الدلاليّ بين تلك العناصر، ويحكم بالاستحالة في حال تنافرها، ويبحث في مطابقة التركيب لسياقه الخاصِّ، وينبِّه على أنَّه ربَّما أدَّت عدمُ مطابقةِ التركيب لسياقه إلى استحالة التركيب العقليَّة، ويبحث كذلك في صحَّة العلاقات المنطقيَّة التي تحكم

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٤٥.

التركيب، وفي انسجام التركيب مع مبادئ العقل ومقتضياته، ويحكم بالاستحالة في حال الإخلال بتلك العلاقات المنطقيَّة ومخالفةِ تلك المبادئ العقليَّة.

الثانية: قد يورد الجرجانيُّ بعض التراكيب المستحيلة ويحلِّلها في كتابه لإقناع القارئ بصحَّة قواعد النظم التي يقرِّرها، ووجهُ ذلك أنه يقرِّر القاعدة ويمثِّل لها ويحتجُّ لها ويسوق أمثلة واضحة يسلِّم القارئُ بصحَّة وجهِ الاستدلال بها، وهذه الأمثلة الواضحة هي التراكيب المستحيلة، وهو مبدأ حجاجيٌّ ينسجم مع منهج الجرجانيّ في كتابه الدلائل، يقوم هذا المبدأُ على إثبات صحَّة الفكرة بتقديم ما يناقضها وإظهار استحالته، ومعنى ذلك أنَّ الجرجانيَّ لا يقصد إلى تحليل أخطاء التراكيب المستحيلة، بل يوظِّفها وسيلةً لإثبات صدق القاعدة التي يشرحها ويريد تقريرها.

ويمكن الإشارة ههنا إلى أحد الأمثلة التي تدلُّ على المقصود، وذلك أنَّ الجرجانيَّ يقرِّر بالفَرْقِ الدلاليّ بين تقديم اللفظ وتأخيره، وأنَّه لا يكفي أن يقال في اللفظ المتقدِّم: "إنَّه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذِكْرَه أهمُّ"(١)، ثمَّ يُثْبت قاعدةً نظميَّةً هي: أنَّ تقديم الفعل الماضي بعد همزة الاستفهام يعني السؤالَ عن الفعل نفسه والشكَّ فيه، وأنَّ الغرض أنْ تعْلَم بوجوده من عدمه، كأن تقول: (أفعلتَ؟)، وأنَّ تقديم الاسم (الفاعل) في هذا الموضع على الفعل يعني السؤال عن الفاعل والشكَّ فيه، أهو أم غيره؟، وأمَّا الفعلُ فهو واقع لا ريب، وهذا كأن تقول: أأنت فعلت؟. ثمَّ يمثِّل بأمثلة على ذلك، ويرجعُ فيَختارُ بدقَّةٍ وعنايةٍ أمثلةً واضحة تُثْبت صدقَ التفريق بين الحالين، وهي تراكيب مستحيلة لا بُدَّ أن يُسلِّم القارئُ – إذا هو حكَّم عقلَه – ببطلانها، ويقتنعَ بصحَّة القاعدة النظميَّة التي يسعى الجرجانيُّ لتقريرها، فيقول: "وممَّا يُعلَم به ضرورةً أنَّه لا تكون البدايةُ بالفعل كالبداية بالاسم أنَّك تقولُ: (أقلتَ شعرًا قطُّ؟)، (أرأيتَ اليومَ إنسانًا؟)، فيكونُ كلامًا

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٧٨.

مستقيمًا، ولو قلتَ: (أأنتَ قلت شعرًا قطُّ؟)، (أأنت رأيت إنسانًا؟)، أحَلْتَ"[١]، مِنْ حيثُ كان المقدَّمُ في هذه التراكيب المستحيلة الاسمَ، وهذا يعني أنَّ الفعل وقع بالضرورة وإنَّما تريد أن تسأل عن فاعله، ولكنَّ الإشكال هو في كون هذا الفعل مطلقًا، وأنَّه "ليس ممَّا يختصُّ بهذا دون ذاك حتى يُسأل عن عين فاعله"[٢]؛ والسؤالُ عن الفاعل "إنَّما يُتصوَّر إذا كانت الإشارةُ إلى فعل مخصوص، نحو أن تقول: (منْ قال هذا الشِّعر؟، ومن بنى هذه الدَّار؟ ومن أتاك اليوم؟، ومن أذِن لك في الذي فعلتَ؟)، وما أشبَه ذلك ممَّا يمكن أن يُنَصَّ فيه على مُعَيَّن، فأمَّا قيلُ شعرٍ على الجملة، ورؤيةُ إنسانٍ على الإطلاق، فمحالٌ ذلك فيه"[٣]، ثمَّ يُعقِّبُ الجرجانيُّ أخيرًا ويكشف سبب استدعائه لهذه التراكيب المستحيلة، فيقول: "ولو كان تقديمُ الاسم لا يوجب ما ذكرنا، من أن يكون السؤالُ عن الفاعل من هو؟ وكان يصحُّ أن يكون سؤالًا عن الفعل أكان أم لم يكن؟ لكان ينبغي أن يستقيم ذلك"[٤].

وخلاصة هذا المبحث أنَّ الاستحالة لدى الجرجانيّ عقلية، تتعدَّد مداخلها الأولى وأسبابها إلى أربعة، هي: الإخلال بالتَّناسب الدلاليّ بين عناصر التركيب، ومخالفة السياق، والإخلال بالبنية الأساسيَّة للتركيب، ومخالفة المنطق العقليّ. كما أنَّ هذه الاستحالة تتَّسم عند الجرجانيّ بخصوصيَّة تميزها عن غيرها من أوصاف (الحظر) التي ترِد عنده، فالوصف بالاستحالة لديه يصدر في الأصل عن اعتبارات عقليَّة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا بخلاف الأوصاف الأخرى التي تصدر عن اعتبارات نحويَّة أو لغويَّة بحتة، كما أنَّها تتَّسم بأنَّها ليست وصفًا مطلقًا ثابتًا، بل

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٠.
(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٠.
(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٠.
(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٠.

وصف نسبيٌّ قابل للتفاوت، وهي كذلك ضربان داخليَّة نابعة من التركيب نفسه، وخارجيَّة يكون التركيب فيها مستحيلًا في مقام دون مقام، كما تتَّسم الاستحالة عند الجرجانيّ بتنوُّع أسبابها الأولى بين أسباب لغويَّة وأخرى عقليَّة. وأخيرًا رأينا أنَّ ورود هذه التراكيب المستحيلة ذات البعد العقليّ في سياق شرحه لنظرية النَّظم ينسجم مع الأساس العقليّ الذي بنى عليه الجرجانيُّ هذه النظريَّة، كما وجدنا الجرجانيَّ ربَّما أورد هذه التراكيبَ المستحيلة لإقناع القارئ بصحَّة قواعد النظم التي يقرِّرها، ووجهُ ذلك أنه يقرِّر القاعدة ويمثِّل لها ويحتجُّ لها ويسوق أمثلة واضحة يسلِّم القارئُ بصحَّة وجهِ الاستدلال بها، وهذه الأمثلة الواضحة هي التراكيب المستحيلة.

المبحث الثَّاني: أسباب الاستحالة

لكي يحظى التركيبُ بالقبول يجب أن يستقيم نحويًّا ودلاليًّا وسياقيًّا ومنطقيًّا، فهَهُنا أربعة مستويات، واستقامةُ التركيب نحويًّا بأن يجيء على إحدى الصور التجريديَّة للبنية الأساسيَّة للتراكيب اللغويَّة: فعل+فاعل، أو مبتدأ+خبر، في تأليفٍ موافقٍ لقوانين النَّحو وقواعده، واستقامتُه دلاليًّا بأنْ تنسجم دلالة كلِّ عنصر في التركيب مع دلالات عناصر التركيب الأخرى بحيث تتآلف فيما بينها، واستقامتُه سياقيًّا بأن تتلاءم دلالة التركيب مع السياق الخاصِّ الذي يَرِدُ فيه، واستقامتُه منطقيًّا بأن تصحَّ العلاقات المنطقيَّة بين عناصر التركيب، وتتوافق دلالةُ التركيب مع مبادئ العقل(١).

وعند اختلال أحد هذه المستويات الأربع تنشأ أسباب الاستحالة كما رأيناها في تحليل عبد القاهر الجرجانيِّ، وهي: الإخلال بالبنية الأساسيَّة للتركيب، والإخلال بالتناسب الدلاليِّ بين عناصر التركيب، ومخالفة السياق، ومخالفة المنطق العقليِّ. وهذا المبحث معقودٌ للتعريف بهذه الأسباب والتمثيل لها.

السبب الأوَّل: الإخلال بالتَّناسب الدلاليِّ بين عناصر التركيب:

يجب أن تكون الدلالة المعجميَّة الخاصَّة لكلِّ عنصر من عناصر التركيب قابلةً للاستجابة والتَّفاعل مع دلالات عناصر التركيب الأخرى، بحيث تتآلف وتنسجم هذه الدلالات فيما بينها، وهذا ما نعنيه بالتناسب الدلاليِّ بين عناصر التركيب، فهو على هذا شرطٌ في صحَّة التركيب، والإخلال به ربَّما أدَّى إلى انعدام المعنى أو تناقضه، ومِنْ ثمَّ استحالته عقليًّا، وهو – بالمعنى الذي ذكرناه – قريبٌ من (التناسق الدلاليِّ) الذي

(١) تحدَّث الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، في كتابه "النحو والدلالة". (ط١، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م). عن مستويي النحو والدلالة، وحاول تأصيل (المعنى النحوي الدلالي) المأخوذ من (المعنى الدلالي) و(المعنى النحوي). يُنظر ما كتبه في المبحثين: الأول والثاني من الكتاب.

جاء في قول الجرجانيّ: "ليس الغرضُ بنظم الكلِم، أن توالت ألفاظُها في النُّطق، بل أن تناسقت دلالتُها، وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل"(١).

والتراكيب التي أحالها الجرجانيُّ لهذا السبب هي من نوع التراكيب التي أحالها سيبويه في نصِّه الذي أشرنا إليه من قبل، حين أحال: (أتيتك غدًا)، و(سآتيك أمْس)، و(سوف أشرب ماء البحر أمْس)، فكلُّ هذه التراكيب مستحيلة؛ لأنَّها تؤدِّي معاني متناقضة يتعذَّر على العقل تصوُّرها، وسببُ الاستحالة فقدان التناسب الدلاليّ في كلِّ تركيب منها، من حيث كانت دلالةُ الفعل (أتى) الزمنَ الماضي، وهي تُناقِضُ دلالةَ الظرف (غدًا). ودلالةُ (السِّين) الاستقبال، وهي تُناقِضُ دلالةَ الظرفِ (أمْس) الدالِّ على الزمن الماضي. ودلالةُ (سوف) على الاستقبال تُناقِض دلالةَ (أمْس) على المضيّ.

إلا أنَّ الفرْق بين الاستحالة عند سيبويه والاستحالة عند الجرجانيّ أنَّها عند سيبويه استحالة مباشرة ناتجة من تناقض الدلالة الأوليَّة لكلٍّ من المفردتين، فدلالةُ الفعل (أتى) على الزمن الماضي تناقِض دلالةَ الظرف (غدًا) على الاستقبال، في حينِ أنَّ الاستحالة عند الجرجانيّ غيرُ مباشرة؛ لأنَّها استحالة ناتجة عن عدم تناسب دلالاتٍ غير أوَّليَّة للمفردات، بل هي دلالات ثانويَّة، اكتسبتْها المفرداتُ بعد تركيبها. وتفسير هذا الفرق بين الاستحالة عند سيبويه والاستحالة عند الجرجانيّ يعود إلى اختلاف المقامات والأغراض: فسيبويه كان في مقدِّمة كتابه في مقام تأسيسٍ وتعريفٍ بالكلام العربيّ المقبول وغير المقبول، لينطلق بعد ذلك لتبيان قواعد الكلام العربيّ المقبول، فكان الغرضُ من التمثيل هو التعريفَ، فاختار أسهلَ وأقربَ ما يحقِّق غرضَه. في حين أنَّ أمثلة الجرجانيّ جاءت في سياق شرح نظريَّة (النظم)، وهو مستوى أعلى من مجرَّد الكلام المقبول، ولذا كانت الاستحالةُ غير مباشرة. ويحسن أن نمثِّل ههنا بما يدلُّ على القصد، فقد أحال

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٤٢.

الجرجانيُّ أن تقول: "(ما أنا قلتُ شعرًا قطُّ) و(ما أنا أكلت اليوم شيئًا) و(ما أنا رأيت أحدًا من النَّاس)؛ وذلك أنَّه يقتضي المحال، وهو أن يكون ههنا إنسانٌ قد قالَ كلَّ شِعر في الدُّنيا، وأكَلَ كلَّ شيء يؤكل، ورأى كلَّ أحد من الناس، فنفيتَ أن تكونه"(١)، وسببُ الاستحالة هو فقدان التناسب الدلاليّ بين دلالة تقديم الفاعل في النفي، وهو الضمير (أنا)، ودلالة العموم للاسم النكرة (شعرًا) و(شيئًا) و(أحدًا). وبيانُ هذا أنَّ النظم يقتضي أنَّ تقديم الفعل في الخبر المنفيّ يعني نفيَ الفعل عن المسند إليه فقط، ولا يعني أنَّ الفعل لم يقع ألبتَّةَ، فربَّما وقع من غير المسند إليه، وهذا كأن تقول: (ما فعلتُ)، وأمَّا تقديم الفاعل فيعني شيئين: نفيَ الفعل عن المسند إليه، وأنَّه واقعٌ من غيره، وهذا كأنْ تقول: (ما أنا فعلت)، ومِنْ ثَمَّ يستحيل أن يكون المنفيُّ عامًّا مع تقديم الفاعل، فلا تقول: (ما أنا قلت شعرًا)؛ وذلك لأنَّ نظم التركيب يقتضي أنَّك نفيت عن نفسك هذا الفعل، وأثبتَّه لغيرك، فيلزم منه أنَّ غيرك قد قال كلَّ شعْر؛ ودلالةُ العموم لازمةٌ من حيث كانت "النَّكرةُ في سياق النَّفي تَعُمُّ"(٢)، ففسادُ التناسب الدلاليّ بين دلالتَي عنصرَي التركيب أدَّى إلى معنًى لا يتصوَّره العقل، ومثْلُ هذا التركيبِ التركيبان الآخَران. وأمَّا مع تقديم الفعل فيصلح أن يكون المنفيُّ عامًّا، فلك أن تقول: (ما قلتُ شعرًا قطُّ) و(ما أكلتُ اليوم شيئًا) و(ما رأيتُ أحدًا من الناس)؛ من حيث كان تقديم الفعل في الخبر المنفيّ لا يعني بالضرورة أنَّه واقعٌ من غيرك. والذي نودُّ أن نلفت إليه الانتباه ههنا هو أنَّ الدلالتين المتنافرتين في كلِّ تركيبٍ هما دلالتان ثانويَّتان اكتسبتهما المفردتان: (أنا) و(شعرًا)، أو (أنا) و(شيئًا)، أو (أنا) و(أحدًا)، بعد التركيب، وأمَّا دلالتاهما الأُوْليَان المعجميَّتان فلا تنافرَ ولا تعارضَ بينهما، وهذا بخلاف التنافر الدلاليّ الناتجِ عن الدلالتين

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٧.

(٢) أحمد بن إدريس القرافي، "الذخيرة للقرافي". تحقيق محمد حجي وآخرين (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م)، ١: ٨٩.

الأُوْلَيَين للكلمتين المتناقضتين في كلِّ تركيبٍ من أمثلة سيبويه، كما ذكرْنا من قبل.

وننتقل الآن إلى تراكيب أخرى وصفها الجرجانيُّ بالاستحالة؛ لفساد التناسب الدلاليّ بين عناصرها، فمن ذلك تراكيب يمكن إلحاقها بالتراكيب السابقة، إلا أنَّ تلك جاءت في باب التقديم والتأخير مع النفي، وهذه مع الاستفهام، فقد أحال أن تقول: (أأنتَ قلت شعرًا قطُّ؟، أأنت رأيت إنسانًا؟)؛ وعبارتُه: "ولو قلتَ: (أأنتَ قلت شعرًا قطُّ؟، أأنت رأيت إنسانًا)، أحَلْتَ"(١)، يعني: أتيت بـ (المحال)؛ وذلك لأنَّ هذه التراكيب تؤدِّي معنًى مستحيلًا لا يتصوَّره العقل، وهو أنَّك تسأل عن إنسان قال كلَّ شِعر في الدُّنيا، ورأى كلَّ إنسان في الدُّينا، وهذا معنًى مستحيل يتعذَّر على العقل الإنسانيّ تصوُّره، فاستحال التركيبُ لذلك. وقد مرَّت معنا هذه الأمثلة من قبل، ويكفي أن نقدِّم بالقاعدة النظميَّة التي جاءت الاستحالة في سياقه، ثمَّ نشير إلى موضع الاستحالة. فنظمُ الكلام –كما يقرِّر عبد القاهر – يقتضي أنَّ تقديم الفعل الماضي بعد همزة الاستفهام يعني السؤالَ عن الفعل نفسه والشكَّ فيه، وأنَّ الغرض أن تعلم بوجوده من عدمه، كأن تقول: (أفعلتَ؟)، وأنَّ تقديم الاسم (الفاعل) في هذا الموضع على الفعل يعني السؤال عن الفاعل والشكَّ فيه، أهو أم غيره؟، وأمَّا الفعلُ فهو واقع لا ريب، وهذا كأن تقول: أأنت فعلت؟ وموضعُ الاستحالة هو تنافر الدلالتين: الدلالة الناتجة عن تقديم الفاعل وهي: أنَّ الفعل واقع بالضرورة، والدلالة الناتجة عن وقوع النكرة بعد الاستفهام، وهي: الإطلاق، والمعنى المستحيل الناتج عن هذا التركيب الفاقد للتناسب الدلاليّ هو: أنَّك تسأل عن إنسان قال كلَّ شعر في الدُّينا، ورأى كلَّ إنسان في الدُّينا.

وفي السياق ذاته يعبِّر الجرجانيُّ عن تراكيب أخرى مستحيلة للسبب نفسِه بأنَّها (خروج عن كلام الناس)، وأنَّ التركيب المستحيل (ليس بقول)، وهي تعبيرات يمكن أن

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٠.

ترشدنا إلى طبيعة هذه التراكيب وطبيعة الاختلال فيها، وأنَّ هذا الاختلال ليس خرقًا لنظام اللغة فقط، بل هو فساد يخرجها من كلام البشر على الجملة؛ وذلك لتعذُّر إدراك معانيها على العقل البشريّ عامَّة، وإن كان منشأُ الاستحالة فيها أيضًا عائدًا إلى فساد التناسب الدلاليّ للتركيب، يقول الجرجانيُّ: "فلو قلتَ: (أأنت بنيتَ الدَّارَ التي كنتَ على أن تبنيها؟)، (أأنت قلتَ الشعرَ الذي كان في نفسك أن تقوله؟)، (أأنت فرغْتَ من الكتاب الذي كنتَ تكتبه؟)، خرجْتَ من كلام الناس. وكذلك لو قلتَ: (أبنيتَ هذه الدارَ؟)، (أقُلْتَ هذا الشِّعرَ؟)، (أكتبتَ هذا الكتابَ؟)، قُلتَ ما ليس بقول؛ ذاك لفساد أن تقول في الشيء المشاهَد الذي هو نُصْبُ عينيك أموجودٌ أم لا؟"(١)، فهذه التراكيب كلُّها مرفوضة مستحيلة لاستحالة معناها، ووجهُ استحالة معناها – هذه المرَّة – عائد إلى التناقض، وذلك أنَّه إذا قُدِّم الفاعلُ في هذا السياق فهذا يعني أنَّ الشكَّ فيه وأنَّ الفعل واقع، كما في مثل: (أأنت بنيت الدارَ التي كنتَ على أن تبنيها؟)، ولكن جاء في آخر التركيب ما يدلُّ على عدم وقوع الفعل، فحصل التناقضُ بين ما يدلُّ على وقوع الفعل في صدر التركيب وما يدلُّ على عدمه في آخره، وكذلك حين قُدِّم الفعلُ في التراكيب الأخرى، فإنَّ هذا يعني أنَّ الشكَّ والسؤال عنه، وأنَّ السائل لا يعلم أوقع الفعل أم لا؟، كما في مثل: (أبَنَيْتَ هذه الدارَ؟)، ولكن الإشارة إلى الدار تدلُّ على أنَّها مبنيَّة وأنَّ الفعل قد وقع، فحصل التناقض أيضًا.

ونختم بمثال آخر في باب (القصر)، حيث يحيل الجرجانيُّ أن تقول: (جرير هو القائلُ هذا البيتَ وفلانٌ)، ومثلُه كلُّ تركيب كان الخبرُ فيه معرفةً وأفاد (القصرَ)، ثم عُطف عليه بمبتدأ ثانٍ، مثل: (زيد المنطلق)، فإنَّه يمتنع، بل يستحيل: (زيدٌ المنطلقُ وعمرٌو)؛ وذلك لأنَّه سيؤدِّي معنى مستحيلًا سببه التناقض بين قصْرِ حكم الخبر على المبتدأ وإشراكِ غيرِه معه فيه. ومنشأ الاستحالة هو فقدان التناسب الدلاليّ للتركيب،

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٠.

من حيث كان النظم يقتضي أنَّ تعريف الخبر في مثل: (زيد المنطلق) يعني قصرَ معناه على المبتدأ؛ لأنَّك لا تقول ذلك إلا "مع من عرف أنَّ انطلاقًا كان إمَّا من زيد وإمَّا من عمرو، فأنت تعلمه أنَّه كان من زيد دون غيره"(١)، وهذا بخلاف الخبر النكرة في مثل: (زيدٌ منطلقٌ)، فإنَّ "كلامَك مع من لم يعلم أنَّ انطلاقًا كان، لا مِن زيد ولا من عمرو، فأنتَ تُفيده ذلك ابتداءً"(٢)، وبناءً على ذلك فإنَّه يجوز مع الخبر النكرة الإتيانُ بمبتدأ ثانٍ معطوفٍ على الأوَّل وإشراكُه معه في معنى الخبر، فيجوز: (زيد منطلق وعمرٌو)، ولا يجوز هذا مع الخبر المعرفة، فلا تقول: (زيد المنطلق وعمرو)؛ "لأنَّ المعنى مع التعريف على أنَّك أردْتَ أن تُثبت انطلاقًا مخصوصًا قد كان من واحد، فإذا أَثْبَتَّه لزيد لم يصحَّ إثباتُه لعمرو"(٣). فههنا التناقض الذي أحال التركيب، الجمع بين القصر والعطف. ثمَّ مثَّل الجرجانيُّ بمثال آخر يوضِّح الفكرة ويجلِّيها، فاختار فعلًا غيرَ (الانطلاق) الذي ربَّما يدِقُّ إدراكُ كونِه مخصوصًا بواحد في مثل هذا التركيب، وهو قولُ البيت من الشِّعر، فهذا ممَّا لا يُتصوَّر أن يكون من اثنين، يقول الجرجانيُّ: "ومن الواضح في تمثيل هذا النحو قولُنا: (هو القائلُ بيتَ كذا)، كقولك: (جريرٌ هو القائلُ: ولَيْسَ لِسَيْفي في العِظَامِ بقيّةٌ)(٤)، فأنت لو حاولتَ أن تشرك في هذا الخبر غيره، فتقول: (جريرٌ هو القائلُ هذا البيتَ وفلانٌ)، حاولتَ محالًا؛ لأنَّه قول بعينه، فلا يُتصوَّر أن يَشْرَكَ جريرًا فيه غيرُه"(٥).

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢٠.
(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢٠.
(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢١.
(٤) سبق تخريج البيت
(٥) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢١.

السَّبب الثَّاني: مخالفة السِّياق:

كان منشأ الاستحالة في التراكيب السابقة نابعًا من داخلها، ولذلك استحالت استحالةً كُلِّيَّةً وصارت تراكيب مرفوضة مطلقًا، لا تُقبل على وجه، أمَّا هذا النوع من التراكيب فإنَّ سبب استحالتها هو عدم انسجامها مع السياق الذي قيلت فيه، فهو عامل خارجيٌّ، ولذلك فهي مستحيلة في سياق دون سياق، وسنمثِّل بأمثلة متنوِّعة لذلك ممَّا وجدناه عند الجرجانيِّ، وسنجعلها في قسمين باعتبار نوعَي السياق: اللغويِّ وغيرِ اللغويِّ:

أوَّلًا: السياق اللغويُّ: ونعني به العناصر اللفظيَّة المحيطة بالتركيب، التي تسهم في تحديد دلالته، أو هو "ما يسبق أو يلحق بالتركيب من كلام يمكن أن يضيء دلالته"(١)، والسياق بهذا يعدُّ مفتاحًا مهمًّا لفهم التركيب وتحديد معناه الصحيح، وسنتعرَّف فيما يلي كيف يستحيل معنى التركيب حين يخالف السياقَ اللغويَّ الذي ورد فيه.

فمن ذلك أنَّ الجرجانيَّ يقرِّر في التفريق بين تقديم الفعل المضارع وتقديم الفاعل في الاستفهام التقريريِّ والإنكاريِّ أنَّك إذا قدَّمتَ الفعل فقُلْتَ: (أفعلتَ؟) كان المعنى "أنَّك تَعْمد بالإنكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنه لا يكون، أو أنَّه لا ينبغي أن يكون"(٢)، وإذا قدَّمت الفاعلَ فقلت: (أأنت تفعل؟) "كنتَ وجَّهْتَ الإنكارَ إلى نفس المذكور، وأبيْتَ أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعلُ وممَّن يجيءُ منه، وأنْ يكون بتلك المثابة"(٣)، و" أردتَ ما تريده إذا قلتَ: ليس هو بالذي يفعل، وليس مثلُه يفعل، ولا يكون هذا

(١) دكتور ردَّة الله بن ردَّة بن ضيف الله الطَّلحيّ، "دلالة السياق". (ط١، مكة: جامعة أمّ القرى، ١٤٢٤هـ)، ٥١. رسالة علميَّة. معهد البحوث العلميَّة.. بتصرُّف يسير.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٣.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٣.

المعنى إذا بدأتَ بالفعل فقلتَ: (أَتفعل؟)"[١].

وبناءً على هذه القاعدة يقرِّر الجرجانيُّ أنَّ الإنكار متوجِّهٌ إلى الفعل في قول امرئ القيس:

أَيقتُلُني والمشْرَفِيُّ مُضَاجِعي وَمَسْنونةٌ زُرْقٌ كأَنيابِ أغوالِ[٢]

"فهذا تكذيبٌ منه لإنسانٍ تهدَّده بالقتل، وإنكارٌ أنْ يقدر على ذلك ويستطيعه"[٣]، ثمَّ ذَكَرَ الجرجانيُّ أنَّه قد يُظنُّ أنَّ الإنكار في هذا البيت متوجِّهٌ للفاعل لا للفعل – على خلاف مقتضى النظم الذي قرَّره الجرجانيُّ – وأنَّ معنى التركيب: أنَّه ليس بالذي يقتلُ مثلي، تعلُّقًا بقول الشَّاعر قبل البيت المذكور:

يَغِطُّ غَطيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ لِيَقْتُلَنِي والمرءُ ليسَ بقتَّالِ[٤]

حيث نفى الشاعرُ في هذا البيت قدرةَ خصمه على قتله بقوله: (والمرء ليس بقتَّال)، فقد يُفهم منه أنَّ الإنكار متوجِّه للفاعل مع أنَّ الفعل هو المقدَّم. وهذا التأويل مستحيل؛ وذلك لأنَّ الشاعر قال: "(والمشرفيُّ مضاجِعي) فذكَرَ ما يكون منعًا من الفعل، ومحالٌ أن يقول: (هو ممَّنْ لا يَجيء منه الفعلُ)، ثمَّ يقول: (إني أَمنعُهُ)؛ لأنَّ المنع يُتصَوَّر فيمن يجيء منه الفعل، ومع من يصحُّ منه، لا منْ هو منه محالٌ، ومن هو نفسه عنه عاجز"[٥]. فالاستحالة في تأويل هذا التركيب هذا التأويلَ ناشئةٌ من تناقضها مع مدلول قرينة لفظيَّة أخرى واردةٍ في السياق ذاته، وبناءً على هذا فيستحيل أن يكون

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٤.

(٢) البيت من الطويل، وهو عند امرئ القيس بن حجر الكندي، "ديوان امرئ القيس". اعتنى به عبد الرحمن بن المصطاوي، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤م) ١٣٧.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٤.

(٤) البيت من الطويل، وهو عند امرئ القيس، "ديوان امرئ القيس"، ١٣٧.

(٥) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٤.

معنى تركيب: (أيقتلني؟) كمعنى: (أهو يقتلني؟)؛ ونلحظ ههنا أيضًا خصوصيَّة وصف الاستحالة حين أطلقها الجرجانيُّ على تأويل هذا التركيب دون بقيَّة الأمثلة التي ساقها معه، وهذا لمَّا كان تأويل هذا التركيب يؤدِّي إلى التناقض العقليّ.

ننتقل الآن إلى مثال آخر يستحيل فيه تأويل التركيب لمخالفته لمقتضى السياق اللغويّ الوارد فيه، وهو معنى: (لم يكد يفعل)، حيث ذكر الجرجانيُّ "أنَّه قد جرى في العُرف أن يقال: (ما كاد يفعل) و (لم يكدْ يفعل) في فعل قد فُعِل، على معنى أنَّه لم يَفعل إلاَّ بعد الجهدِ، وبعد أن كان بعيدًا في الظنِّ أن يفْعله"(١)، وهذا الفهم وهمٌ، وكأنَّهم وقعوا فيه تعلُّقًا بمعنى قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة:٧١]، ولم يفطنوا إلى أنَّ إثبات كونهم فعلوا في الآية جاء من دلالة: (فذبحوها) لا مِنْ: (ما كادوا يفعلون)، والمعنى الصحيح لهذا التركيب كما يقول عبد القاهر: "أنَّ الفعل لم يكن من أصله، ولا قارب أن يكون، ولا ظُنَّ أنَّه يكون. وكيف بالشكِّ في ذلك؟ وقد عَلِمنا أنَّ (كاد) موضوعٌ لأنْ يَدُلَّ على شدَّة قُرْب الفعل من الوقوع، وعلى أنَّه قد شارف الوجود"(٢)، وبعد هذه التَّقدِمة نأتي إلى موضع الاستحالة وهي في قوله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ ﴿٤٠﴾﴾ [النور:٤٠]، وقولِ الشاعر:

إذا غيَّر النأيُ المحبينَ لم يكد رسيسُ الهوى من حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ(٣)

فإنَّه يستحيل أن يكون تأويل التركيبَين: (لم يكد يراها) و(لم يكد رسيس الهوى

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٨١.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٨١.

(٣) البيت من الطويل، وهو منسوب لذي الرمَّة، ولم أجده في ديوانه، وهو عند أبي الفرج الأصفهاني، "الأغاني". تحقيق سمير جابر، (ط٢، بيروت: دار الفكر)، ١٨: ٣٩.

يبرح) على أنَّ الفعل قد وقع فيهما؛ وذلك لأنَّهما واقعان في جوابَي (إذا) الشرطيَّة، وهي تُمحِّض الفعلَ بعدها للاستقبال، من حيث كانت "ظرفًا للمستقبل مضمَّنة معنى الشَّرط"(١)، فادِّعاءُ وقوع الفعلين في الزمن الماضي يوقع في تناقض عقليٍّ بين الزمنَين: المستقبل الذي يدلُّ عليه الشرط، والماضي الذي يدلُّ عليه (لم يكد)؛ وهذا يستحيل عقلًا. ومن هنا استحال تأويل تركيب (لم يكد) بأنَّ الفعل بعدها واقع؛ لأنَّ هذا التأويل يخالف مقتضى دلالة السياق اللغويِّ الوارد فيه. يقول الجرجانيُّ: "(لم يكد) في الآية والبيت واقع في جواب (إذا)، والماضي إذا وقع في جواب الشرط على هذا السبيل، كان مستقبَلًا في المعنى فإذا قلتَ: (إذا خرجْتَ لمْ أخرُجْ)، كنتَ قد نفَيْتَ خروجًا فيما يُستقبل. وإذا كان الأَمر كذلكَ، استحال أن يكونَ المعنى في البيتِ أو الآيةِ على أنَّ الفعل قد كان؛ لأنَّه يؤدِّي إلى أن يجيءَ (بلم أفعلْ) ماضيًا صريحًا في جواب الشرط فتقول: (إذا خرجتَ لم أخرجْ أمسِ)، وذلك محالٌ"(٢).

ثانيًا: السياق غير اللغويِّ: ونعني به كُلَّ ما يحيط بالتركيب من ظروف وعوامل خارجيَّة وعناصر غير لغويَّة، وهو بلا ريب محدِّدٌ مهمٌّ في فهم التركيب ومؤثِّر رئيس في تفسيره والحكم عليه.

ونجد في هذا أنَّ الجرجانيَّ كان كثيرًا ما يحمل تراكيب على وجهٍ دون وجهٍ؛ لاستحالة ذلك الوجه الممنوع مستعينًا بالسياق غير اللغويِّ (المقام)، ومن الأمثلة على ذلك أنَّه يستحيل عطفُ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ١٥﴾ [البقرة:١٥]، على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ

(١) أبو محمد عبد الله بن يوسف، ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق مازن المبارك محمد علي حمد الله، (ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م)، ١٢٧.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٨٢.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾[البقرة:١٤]، مع كون الجملتين متَّفقتَين في (الخبريَّة)، وهذا موضع من مواضع (الوصل)(١)؛ إلا أنَّ المانع من العطف هو ما يترتَّب عليه من فساد المعنى واستحالته، من حيث كان العطف يقتضي التشريكَ في الحكم، والجملةُ الأولى حكايةٌ عن المنافقين، والثانيةُ خبرٌ من الله تعالى، والتشريكُ بينهما مستحيل؛ لأمرين عبَّر عنهما الجرجانيُّ فقال: "لاستحالة أن يكون الذي هو خبرٌ من الله تعالى، معطوفًا على ما هو حكاية عنهم، ولإيجاب ذلك أن يخرج من كونه خبرًا من الله تعالى، إلى كونه حكاية عنهم، وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنَّهم مؤاخذون، وأنَّ الله تعالى معاقبُهم عليه"(٢)، فالأمر الأوَّل هو فساد المعنى في التشريك بين القولين لاختلاف مصدرَيهما، فالقول الأوَّل من المنافقين، والقول الثاني من الله تعالى، والأمر الثاني هو فساد المعنى واستحالته أيضًا، وهو أنْ يشهد المنافقون على أنفسهم بالذنب والعقوبة.

ومن ذلك الاستحالة التي أشار إليها عند قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾[هود:٢٨]، فقد قدَّم بقاعدة – سبقت الإشارةُ إليها – في التفريق بين تقديم الفعل المضارع وتقديم الفاعل في الاستفهام التقريريّ والإنكاريّ، وهي أنَّ تقديم الفاعل في مثل: (أأنت تفعل؟)، يعني توجيهَ الإنكار إليه، وكأنَّك تقول: "ليس هو بالذي يفعل، وليس مثلُه يفعل"(٣)، وإنما غَيْرُه...، وتقديمَ الفعل في مثل: (أفعلتَ؟) يعني توجيهَ الإنكار إلى الفعل نفسه، وأنَّه لا ينبغي أن يكون. وحيث كان الفعل هو المتقدِّمَ في الآية كان الإنكار متوجِّهًا إلى فعل الإلزام نفسه ولا إشكال؛ لكنَّه أشار إلى

(١) ينظر: محمد بن عبد الرحمن القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣، بيروت: دار الجيل)، ٣: ١٢٧.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٥٤.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٤.

استحالة أن يُراد بهذا التركيب في الآية ما يُراد بالتركيب الذي يتقدَّم فيه الفاعلُ مع الاستفهام؛ وذلك لأنَّ المعنى حينئذ سيخالف مقتضى المقام، وأنَّه لا يليق في حقِّ الله تعالى، فهي استحالةٌ أقرب ما تكون إلى (الاستحالة الشرعيَّة)(١)، يقول الجرجانيُّ: "وكذلك مُحالٌ أن يكون المعنى في قوله جلَّ وعلا: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود:٢٨]، أنَّا لسنا بمثابة من يجيء منه هذا الإلزامُ، وأنَّ غيرنا من يفعله، جلَّ الله تعالى"(٢).

ونختم بمثال من الشِّعر، حيث ذكر الجرجانيُّ أنَّه يستحيل أن تكون (أل) عهديَّة في الاسم المشتقِّ الواقع خبرًا، وقد قُيِّد بمخصِّصٍ يجعله في حكم نوع برأسه؛ وهذا كـ (الواهب) في مثل: (هو الواهب المئة المصطفاة) الواردة في قول الأعشى:

هُوَ الواهِبُ المِئَةَ المُصْطفاةَ إمَّا مِخاضاً وإمَّا عِشَاراً(٣)

وذلك لأنَّنا حين نجعلها عهديَّة فهذا يعني أنَّها مثل (أل) في: (زيد هو المنطلق)، فكما أنَّ المعنى في (المنطلق): الانطلاقُ المخصوص، فكذلك سيكون المعنى في (الواهب)، أي: الهبَة المخصوصة، وكأنَّه وهب هذه المئةَ من الإبل، ثمَّ لم يعد لمثلها، وهذا نقضٌ للغرض، من حيث كان المقامُ مقامَ مدح، وغرضُ الشاعر الثناء على الممدوح

(١) من الأمثلة عليها ما جاء عند خالد بن عبد الله الأزهري، "شرح التصريح على التوضيح". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٢: ١٧٢. حيث يجب أن تكون (أمْ) المنقطعة داخلة على استفهام إنكاري مقدَّر؛ لئلَّا يلزم المحال، قال: "قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الطور:٣٩]، أي: بل أله البنات؟، إذ لو قدَّرتَ الإضراب المحض لزم المحال، وهو الإخبار بنسبة البنات إليه، تعالى عن ذلك".

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٤.

(٣) سبق تخريج البيت، ويُنظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٢٢.

بالكرم، ومعنى البيت الذي يوافق الغرضَ هو: أنَّه الذي من شأنه أن يهَبَ المئة بعد المئة، وأنَّ هذا شأنه وعادته دائمًا، فتكون (أل) للتعميم، وفي قوَّة (أل) الجنسيَّة.

وقد عبَّر الجرجانيُّ عن هذا التأويل الفاسد بـ(المحال)؛ وعلَّل لوجه الاستحالة بأنَّه خلاف الغرض، وهو ما يعني مخالفةَ المقام، يقول الجرجانيُّ: "وهكذا محالٌ أن تقصد في قولِه: (هو الواهب المئةَ المصطفاةَ)، إلى هبَة واحدة؛ لأنَّه يقتضي أَن يقصد إلى مئة من الإبل قد وهبها مرَّةً، ثمَّ لم يعدْ لمثلها. ومعلومٌ أنَّه خلافُ الغرض؛ لأنَّ المعنى أنَّه الذي من شأنه أن يهَب المئةَ أبدًا، والذي يبلغُ عطاؤه هذا المبلغَ، كما تقول: هو الذي يُعطي مادحه الألفَ والألفين"(١).

السَّبب الثَّالث: الإخلال بالبنية الأساسيَّة للتركيب:

البنية الأساسيَّة للتركيب(٢)هي المبتدأ والخبر في الجملة الاسميَّة، والفعل والفاعل في الجملة الفعليَّة، وهاتان الصورتان هما أقلُّ الصُّور التي يمكن أنْ يأتلف منهما الكلام(٣)، وهذه العناصر الأربعة هي العناصر الإسناديَّة، التي تكوِّن المعنى الأساسيَّ للجملة، وبدون هذه العناصر لا تقوم جملة ولا يتأتَّى تركيب، فـ "التركيب الذي ينعقد به الكلامُ ويحصل منه الفائدةُ لا يحصل إلا من اسمين نحو: زيد أخوك، والله إلهنا،... أو مِنْ فعل واسم، نحو: قام زيدٌ، وانطلق بَكرٌ"(٤)، وغيابُ أحد ركني الإسناد يفسد التركيب ويحيله

---

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٣١.

(٢) نعني بطبيعة الحال -: التركيب الذي ينعقد به الكلام ويحصل منه الفائدة، كما سيأتي معنا، وهو مرادفٌ للجملة.

(٣) أبو محمد عبد الله بن يوسف، ابن هشام، "شرح قطر الندى وبل الصدى". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة)، ١: ٤٤.

(٤) أبو البقاء يعيش بن أبي السرايا، "شرح المفصل في النحو". (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية)، ١: ٢٠ بتصرف يسير، وينظر: سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٣.

ويجعله بلا معنًى، ولذا أطلق النحاةُ على هذه الأركان الأربعة (العُمَدَ)[١]، وهي لا يستغني عنها الكلام، وحذفها ممنوع إلا إنْ دلَّ عليها دليل، فتكون موجودة بالنيَّة، ويقابلها (الفضلات) وهي ما عدا المبتدأ والخبر والفعل والفاعل، ويمكن الاستغناء عنها في الأصل، ومناطُ هذه القضيَّة هو (الإسناد) فهو محطُّ الفائدة، وعنصراه: (المسنَد)، وهو الفعل والخبر، و(المسند إليه)، وهو الفاعل والمبتدأ. وقد عبَّر الجرجانيُّ عن حتميَّة وجود عنصري (المسنَد) و(المسنَد إليه)، وأنَّه يستحيل تصوُّر كلام بغيرهما، فقال: "اعلمْ أنَّ معاني الكلام كلَّها معانٍ لا تُتصوَّر إلا فيما بين شيئين، والأصلُ والأوَّلُ هو (الخبر). وإذا أحكمتَ العلم بهذا المعنى فيه، عرفتَه في الجميع. ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس، أنَّه لا يكون خبرٌ حتى يكون مخبَرٌ به ومُخبرٌ عنه"[٢]، و(المخبَر به) هو الخبر في الجملة الاسمية، والفعل في الجملة الفعلية، و(المخبَر عنه) هو المبتدأ في الجملة الاسمية، والفاعل في الجملة الفعلية. وقد شدَّد الجرجانيُّ في استحالة تصوُّر وجودِ أحدِ عنصرَي الإسناد دون الآخر، وأنَّك إذا قلت: (خَرَجَ) فقط. أو قلت: (صالح) فقط "كان لفظُك بذلك وصوتًا تُصوِّته سواءً"[٣]، وكنتَ "مخرجًا نفسَك إلى الهذيان"[٤].

ومِنْ هنا فقد وجدناه أثناء تحليله للتراكيب يحكم بالاستحالة على حذف أحد عنصري الإسناد؛ ومن الأمثلة على ذلك أنَّه حَكَم بالاستحالة على حذف الفعل إنْ

(١) "العمدة عبارة عمَّا لا يسوغ حذفُه من أجزاء الكلام إلا بدليل يقوم مقام اللفظ به". أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". (القاهرة: المكتبة التوفيقية)، ١: ٣٥٩.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٣٤٤.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٦٢. بتصرُّف يسير.

(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٦٢.

لم يدلَّ عليه دليل، فذَكَرَ أنَّك إذا "تركتَ ذكرَ الفعلِ أحلْتَ"[١]، وهذا في سياق تحليله لبيت المتنبّي:

وما عَفَتِ الرِّياحُ له محلًّا عفاهُ مَنْ حَدا بهمُ وساقا[٢]

وقد استشهد به على موضع من مواضع (الفصل) بين الجملتين؛ لـ(شبه كمال الاتصال) بينهما؛ من حيث كانت الجملة الثانية وهي: (عفاه من حدا بهم وساقا) بمنزلة الجواب عن سؤال (مقدَّر) ناشئٍ عن الجملة الأولى، وهي: (وما عفت الرِّياحُ له محلًّا)؛ فكأنَّ الشاعر حين قال: (وما عفت الرياح له محلًّا)، "قدَّر كأنَّ قائلًا قال: (قد زعمتَ أنَّ الرِّياحَ لم تَعْفُ له محلًّا، فما عفاه إذنْ؟)، فقال مجيبًا له: (عفاهُ مَنْ حَدا بِهم وساقا)"[٣]، ولذا تُرك العطفُ بين الجملتين كما يُترك عطف الجواب على السؤال؛ إلَّا أنَّ الفرق أنَّ السؤال ههنا مقدَّر وليس صريحًا. ثمَّ تطرَّق الجرجانيُّ إلى أنَّه وإن كان يجوز حذفُ الفعل في جواب السؤال اعتمادًا على علم المخاطَب به إذْ كان مذكورًا في السؤال، فتقول في جواب (من جاء؟): (زيدٌ)؛ إلا أنَّه لا يجوز حذفه في مثل هذا الموضع؛ لأنَّه لو حُذِف فلن يكون هناك دليل عليه، إذ السؤال ههنا مفترَض مقدَّر وليس ظاهرًا صريحًا، يقول الجرجانيُّ: "فلو قلتَ مثلًا: (وما عفت الرياح له محلًّا، من حدا بهم وساقا) تزعم أنَّك أردتَ: (عفاه من حدا بهم)، ثمَّ تركتَ ذِكْرَ الفعلِ، أَحَلْتَ؛ لأنَّه إنَّما يجوز تركُه حيثُ يكونُ السؤالُ مذكورًا؛ لأنَّ ذِكْرَه فيه يدلُّ على إرادته في

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٥٩.

(٢) البيت من الوافر، أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، "ديوان أبي الطيب المتنبي وأخباره". (ط١، الرياض: مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ١٤٤٥هـ)، ٣٩٦، وينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٥٩.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٥٩.

الجواب، فإذا لم يُؤتَ بالسُّؤال لم يكن إلى العلم بهِ سبيلٌ"[١]. فالتركيب المحال هو: (مَنْ حدا بهم وساقا)[٢]؛ وذلك لفساد بنيته الأساسيَّة حين حُذف أحد ركنيها بلا دليل عليه، ومن ثَمَّ أدَّى هذا –كما نرى – إلى انعدام المعنى التركيبيّ الذي لا يتمُّ إلا بالإسناد، فكانت النتيجةُ عدمَ تصوُّر المراد وتعذُّرَ فهم الخطاب.

وننتقل الآن إلى مثال آخر يحيل فيه الجرجاني دخول (الفاء) على (الخبر)؛ لمَا يؤدِّيه ذلك من بقاء المبتدأ بلا خبر، وهو إخلال ببنية التركيب الأساسيَّة، الأمرُ الذي يحيل تصوُّر معنى التركيب، ويجعله بلا معنًى، وهذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴿١٧﴾﴾[الحج:١٧]، فـ"(الَّذِينَ آمَنُوا) اسمُ (إنَّ)، وما بعده معطوفٌ عليه، وقولُه: (إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) جملةٌ في موضع الخبر، ودخولُ (الفاء) فيها محالٌ؛ لأنَّ الخبر لا يُعطف على المبتدأ"[٣]، فلا يجوز أن يقال: (فالله يفصل بينهم يوم القيامة)؛ وقد وَصَفَ إدخالَ (الفاء) في هذا الموضع بـ(المحال)؛ وعلَّل لذلك بأنَّ الخبر لا يُعطف على المبتدأ؛ وذلك لأنَّ مؤدَّاه بقاء المبتدأ بلا خبر، وهو إخلال صريح ببنية التركيب، ثم عقَّب الجرجاني بعد ذلك فقال: "ومثلُه سواءٌ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}"[٤]، فيستحيل دخول (الفاء) على الخبر هنا أيضًا، فلا يقال: (فنحن لا نضيع أجر من أحسن عملًا)؛ للسبب ذاته.

وفي مثالٍ أخيرٍ يحيل الجرجانيُّ بقاءَ المبتدأ بلا خبر، في مثل: (جاءني زيدٌ وهو

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٣٩.
(٢) (مَنْ) بطبيعة الحال (موصولة) كما وردت في بيت المتنبي.
(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.
(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١١.

يسرع)، وهذا في باب (الفروق في الحال)، حيث يَمنع أن يكون معنى: (جاءني زيد يسرع)؛ كمعنى: (جاءني زيد وهو يسرع)، فإنَّك في التركيب الأوَّل "عمَدْتَ إلى الفعل الواقع في صدرها فضممتَه إلى الفعل الأول في إثباتٍ واحدٍ"(١)، وأردتَ الدلالة على تلبُّسهما في لحظة واحدة، وفي التركيب الثاني "مستأنِفٌ بها خبرًا، وغيرُ قاصدٍ إلى أن تَضُمَّها إلى الفعل الأوَّل في الإثبات"(٢). ويعلِّل لوجوب اختلاف مدلولي التركيب بعلَّة نحويَّة، وهي أنَّك لا يمكن أن تتجاهل معنى الاستئناف في (جاءني زيد وهو يسرع) وتضمَّ معنى (يسرع) إلى معنى (جاءني)، كما تفعل في (جاءني زيد يسرع)؛ لأنَّه ينبني عليه أن تُبقي المبتدأ وهو الضمير (هو) بلا خبر، أو كما يعبِّر الجرجانيُّ: تبقيه بـ(مَضْيعة) أو (ضائعًا)(٣)، و"تجيء به مبتدأ، ثمَّ لا تعطيه خبرًا"(٤)، وذلك (محال)(٥).

السَّبب الرَّابع: مخالفة المنطق العقليّ:

لقد كان عبد القاهر الجرجاني رائدًا في توظيف التفكير العقليّ والمنطقيّ في تحليل التَّراكيب اللغويَّة، انطلاقًا مِنْ إدراكه للعلاقة الوثيقة بين اللغة والعقل، وأنَّ التراكيب اللغويَّة محكومةٌ بعلاقات منطقيَّة وعقليَّة، وأنَّ صحَّة هذه العلاقات واستقامتها، مع انسجام التراكيب اللغويَّة مع مبادئ العقل وقوانينه شرطٌ في صحَّتها وقبولها، وأنَّ الإخلالَ بهذه العلاقات المنطقيَّة ومخالفةَ مبادئ العقل وقوانينه هما عينُ (المحال)، ومن ثَمَّ وجدناه يصف بالاستحالة ما يخلُّ بتلك العلاقات ويصادم تلك المبادئ.

وسنسرد ابتداءً المواضعَ التي وصف الجرجانيُّ فيها بالاستحالة ما خالفَ المنطقَ

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٤٣.
(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٤٣.
(٣) ينظر: الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٤٤.
(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٤٤.
(٥) ينظر: دلائل الإعجاز"، ١٤٣-١٤٥.

العقليَّ، ثم نعرّج – بإيجاز – على السياقات الَّتي وردت فيها في كتابه، فالمواضع هي:

١. يستحيل أن يحدث معنى الحرف في الكلمة من قبل أن يجيء الحرف[١].
٢. يستحيل أن تنبِّه السامعَ لشيء لا يعلمه في جملة ولا تفصيل[٢].
٣. محالٌ أن يوجب نفيُ مقاربةِ الفعلِ الوجودَ وجودَه[٣].
٤. محالٌ أن يقع تعريضٌ لشيء ليس له في الكلام ذِكْرٌ[٤].
٥. مُحالٌ أن تَعْمد إلى اسميْن كلاهما اسمُ شيء واحد، فتعطفَ أحدَهما على الآخَر[٥].
٦. إذا كان الغرضُ من ذكْر الصفة إزالةَ اللَّبس، كان مُحالاً أن تكون غيرَ معلومة عند المخاطَب[٦].
٧. محالٌ أن يكونَ الشيء سببًا لنفسه[٧].

فأمَّا السِّياق الذي وردت فيه استحالة (أنْ يحدث معنى الحرف في الكلمة من قبل أن يجيء الحرف)[٨]، فهو في تحديد موقع المقصور عليه في النفي والاستثناء، والتفريقِ بين مدلولي هذين التركيبين: (ما ضرب زيدًا إلا عمرٌو) و(ما ضرب عمرٌو إلا زيدًا)، فذَكَرَ الجرجانيُّ أنَّ المقصور عليه هو الذي يقع بعد (إلَّا)، سواء أكان الفاعل أم المفعول،

(١) دلائل الإعجاز"، ٢٢٢.
(٢) دلائل الإعجاز"، ٩٩.
(٣) دلائل الإعجاز"، ١٨١.
(٤) دلائل الإعجاز"، ٢٣٢.
(٥) دلائل الإعجاز"، ٢٤٢.
(٦) دلائل الإعجاز"، ٢٤٣.
(٧) دلائل الإعجاز"، ٢٤٩.
(٨) دلائل الإعجاز"، ٢٢٢.

ولا يمكن أن يحدث معنى الاختصاص في الاسم الواقع قبل (إلَّا)؛ لأنَّ معنى الاختصاص جاء من لفظ (إلا)؛ ويستحيل أن يحدث معنى (إلَّا) قبل مجيئها، يقول: "الاختصاص يَقعُ في واحدٍ من الفاعل والمفعول، ولا يقع فيهما جميعًا. ثم إنَّه يقعُ في الذي يكونُ بعد (إلَّا) منهما دون الذي قبلها، لاستحالة أن يحدُثَ معنى الحرف في الكلمة من قبل أن يجيء الحرفُ"(١)، فإذا اعتبرنا السببَ هو الحرفَ (إلَّا)، والنتيجةَ هي (معنى الاختصاص) كان المنطقُ يقتضي سبْقَ السببِ للنتيجة.

وفي سياق آخر يصف الجرجانيُّ بالاستحالة التنبيهَ إلى مجهول لدى المخاطَب؛ وذلك من حيث كان التنبيه معنًى يحيل إلى معلوم في ذهن المخاطَب، والمجهولُ بحاجة إلى التعريف لا التنبيه، وأمَّا المعلوم فهو الذي قد يحتاج إلى التنبيه، وقد جاء هذا عند حديثه عن التركيب الذي يتقدَّم فيه الاسمُ النكرةُ على الفعل، في مثل: (رجلٌ جاءني)، فإنَّه لا يحتمل إلا أنَّ المراد هو (الجنس)، وأنَّ الذي جاء رجلٌ لا امرأةٌ، فهذا التركيب "لا يصلح حتَّى تريد أنْ تعلمه أنَّ الذي جاءك رجلٌ لا امرأة، ويكونُ كلامُك مع من قد عرف أنْ قد أتاك آتٍ"(٢). ثمَّ ذكر أنَّه وإن جاز أن يكون المعنى في تقديم الاسمِ المعرفةِ المتحدَّثِ عنه التنبيهَ إليه كما في (عبدُالله ضربتُه)(٣)، إلا أنَّه لا يجوز أن يكون المعنى في تقديم النكرة قصْدَ التنبيه إليها؛ إذ "التَّنبيهُ لا يكون إلا على معلوم"(٤)، وإذا كان كذلك "كان مُحالًا أن تقول: (إني قدَّمتُه لأُنَبِّهَ المخاطَبَ له)؛ لأنَّه يَخرجُ بك إلى أن تقول: إنِّي أردتُّ أن أُنبِّه السامعَ لشيء لا يَعْلمه في جملة ولا تفصيل. وذلك ما لا

(١) دلائل الإعجاز"، ٢٢٢.
(٢) دلائل الإعجاز"، ٩٨. بتصرف يسير
(٣) ذكر هذا المعنى ومثَّل له سيبويه في كتابه: ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٨١.
(٤) دلائل الإعجاز"، ٩٩.

يُشَكُّ في استحالته"[١].

وفي تفسير دلالة تركيب: (لم يكدْ يفعل) و(ما كاد يفعل) يذكر الجرجانيُّ أنَّ المعنى الصحيح له هو نفيُ قُرْبِ الفعل من الوقوع، وليس المعنى إثباتَ وقوع الفعل بعد جهد ولأْيٍ، وهذا من حيث كان الفعلُ "(كاد) موضوعًا لأن يَدُلَّ على شدَّة قُرْب الفعل من الوقوع، وعلى أنَّه قد شارف الوجودَ. وإذا كان كذلك، كان محالًا أن يوجِب نَفْيُه وجودَ الفعل؛ لأنَّه يؤدِّي إلى أن يوجِب نفيُ مقاربةِ الفعلِ الوجودَ وجودَه، وأن يكون قولك: (ما قاربَ أنْ يَفْعل)، مقتضيًا على البتِّ أنَّه قد فعل"[٢]، فالجرجانيُّ ينبّه إلى استحالة أن يوجب نفيُ مقاربةِ الفعلِ الوجودَ وجودَه، وهذا من جهتين، إحداهما: استقلال كلٍّ من المعنيين، فمقاربةُ وقوع الفعل شيء، ووقوعُ الفعل شيء آخر، ولا يلزم من نفي الأول وقوعُ الثاني، والجهة الأخرى هي أنَّ نفي مقاربة الفعل تقتضي نفيَ وجودِه من باب أولى، ولذلك عبَّر الجرجانيُّ عن هذا المعنى بالاستحالة.

وفي باب القصر يتحدَّث الجرجانيُّ عن دور (إنَّما) في الكلام، والمعاني التي تأتي عليها، وذكر أنَّ من أهمِّ وأدقِّ ما تدلُّ عليه (إنَّما) حين "لا يُراد بالكلام بعدها نفسُ معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه"[٣]، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد:١٩]، فإنَّ الغرض هو التعريض بالكفار، "وأنْ يُقال: إنَّهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم، في حكم من ليس بذي عقل، وإنَّكم إنْ طمِعْتُم منهم في أن ينظروا ويتذكَّروا، كنتم كمن طمع في ذلك من غير أُولي الألباب"[٤]، ثمَّ

(١) دلائل الإعجاز"، ٩٩.
(٢) دلائل الإعجاز"، ١٨١.
(٣) دلائل الإعجاز"، ٢٣٠.
(٤) دلائل الإعجاز"، ٢٣٠.

ذكر أنَّ هذه الدلالة مرتبطة بوجود (إنَّما)، فلو حُذفت من التركيب وقيل: (يتذكَّر أولو الألباب) انتفى معنى (التعريض)؛ وذلك لأنَّه "محالٌ أن يقع تعريضٌ لشيء ليس له في الكلام ذكْر"(١)، والجرجانيُّ يصف بالاستحالة في هذا الموضع وجودَ (المدلول) مع انعدام (الدالّ)؛ وذلك لأنَّ اللفظ (إنَّما) هو الدالُّ في السياق، ومعنى (التعريض) هو (المدلولُ). وما ذكره هو مقتضى قوانين التفكير المنطقيِّ العقليِّ الذي يحكم العلاقةَ الرابطةَ بين عناصر التركيب.

وفي موضع آخر يحذِّر الجرجانيُّ من بعض التأويلات المُشْكلة لبعض الآيات القرآنية، ويَذكر من تلك التأويلات تأويلَ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء:١١٠]، وأنَّ مَنْ فَهِم أنَّ المعنى في (ادعوا): الدعاء، وأجرى الكلام على ظاهره، "خرجَ ذلك به – والعياذ بالله تعالى – إلى إثبات مدعوّينَ، تعالى اللهُ عن أن يكون له شريكٌ. وذلك من حيث كان مُحالًا أن تَعْمد إلى اسمَين كلاهما اسمُ شيءٍ واحدٍ، فتعطف أحدَهما على الآخَر، فتقول مثلًا: (ادْعُ لي زيدًا أو الأمير)، و(الأميرُ) هو (زيدٌ)"(٢)، وهذا من حيث كان "العطفُ يقتضي المغايرة"(٣)، ولذا أصَّل النحاةُ لهذا ونصُّوا على أنَّ "الأصلَ في باب العطف ألَّا يُعطف الشيء على نفسه"(٤). والاستحالةُ عائدة إلى المخالفة الصريحة لمقتضى المنطق العقليّ، وإلى مبدأ الهويَّة منه على وجه الخصوص، فالشيء الواحد لا يمكن أن يكون اثنين. وقد صحَّح الجرجانيُّ خطأَ هذا الفهمِ، وذكر أنَّ المعنى يستقيم حين نفسِّر معنى (ادعوا)

(١) دلائل الإعجاز"، ٢٣٢.
(٢) دلائل الإعجاز"، ٢٤٢.
(٣) الأزهري، "شرح التصريح على التوضيح"، ١: ٢٣٢.
(٤) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، "نتائج الفكر في النحو". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ١٨٦.

بـ"(الذِّكْر بالاسمِ)، كقولك: (هو يُدعى زيدًا) و(يُدعى الأميرَ)، وأنَّ في الكلام محذوفًا، وأنَّ التقدير: قُل ادعوهُ اللهَ، أو ادعوهُ الرحمنَ، أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى"(١).

كما أحال الجرجانيُّ أن تصِفَ الاسم بصفة يجهلها المخاطب، من حيث كان "الغرضُ من الصفة الايضاحَ والبيانَ بذكر حال ثابتة للموصوف يعرفها المخاطَب له ليست لمشارِكِه في اسمه"(٢)، وهو الأمر الذي يؤدِّي إلى التناقض المنطقيّ. وذلك أنَّ الصفة حين تكون للمعرفة، نحو : (جاءني زيدٌ الظريفُ)، فإنَّ الأصل أنَّها للتوضيح، وهو إزالة الاشتراك اللفظيّ في المعارف، فيُختار من نعوت (زيد) ما يَميزه عن غيره من الزّيود، وما يعرِّفه عند المخاطَب، فإذا اخترت أن تصفه بصفة لا يعرفها المخاطَب عنه نقضت الغرض من الصفة ووقعت في المحال، يقول الجرجانيُّ: "إذا قلتَ: (جاءني زيدٌ الظريفُ)، فإنَّك إنَّما تحتاج إلى أنْ تصفه بالظريف، إذا كان فيمن يجيء إليك واحدٌ آخرُ يُسمَّى (زيدًا)، فأنتَ تخشى إنْ قلْتَ: (جاءني زيدٌ) ولم تَقُل: (الظريفُ)، أنْ يَلْتَبِس على المخاطَبِ فلا يَدْرِي أهذا عنيتَ أم ذاك؟ وإذا كان الغرضُ من ذكْرِ الصفة إزالةَ اللَّبس والتبيينَ، كان مُحالًا أن تكون غيرَ معلومة عند المخاطَب، وغيرَ ثابتة؛ لأنَّه يؤدِّي إلى أنْ تروم تبيينَ الشيءِ للمخاطَب بوصفٍ هو لا يعلمه في ذلك الشيء؛ وذلك ما لا غايةَ وراءه في الفساد"(٣). وحديث الجرجانيّ هذا ورد في سياق ذكره لنماذج من التأويلات المشكلة لبعض الآيات القرآنيَّة، ونبَّه ههنا على خطأ إعراب (ابن) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة:٣٠]، صفةً لـ (عزير). و(عزير) خبرٌ لمبتدأ محذوف على تقدير: (هو عزير)، أو مبتدأ لخبر محذوف على تقدير:

(١) دلائل الإعجاز"، ٢٤٢.
(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٥٣.
(٣) دلائل الإعجاز"، ٢٤٣.

(عزير ابنُ الله معبودُنا)؛ وهذا الإعراب يؤدِّي إلى صرف التكذيب إلى الخبر، ولا يتوجَّه إلى الصفة؛ لأنَّها يجب أن تكون معلومة ثابتة لدى المخاطب.

ونختم بإحالة الجرجانيّ لتركيب: "إن قمتَ قمتَ، وإن خرجتَ خرجتَ"[(١)]، وهذا من حيث كان "الشرطُ سببًا والجزاءُ مسبَّبًا، وأنَّه محالٌ أن يكون الشيءُ سببًا لنفسه"[(٢)]، فلا تصلح المجازاةُ بالفعل الواحد إلا إذا أفاد الفعلُ في الجزاء فائدةً إضافيَّة، كأن يأتي في الجزاء معدًّى إلى شيء، وهو في الشرط مطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٧]، وقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء:١٣٠]، وهذه الاستحالة كما نرى سببُها الإخلالُ بالأسس العقليَّة والمنطقيَّة، فإنَّ كون الشيء سببًا لنفسه يناقض مبدأَ السببيَّة الذي يقتضي سبْقَ السبب لنتيجته، وتقدُّمَه زمنيًّا عليه، ومبدأَ عدم التناقض من حيث إنَّ الشيء لا يمكن أن يكون موجودًا وغير موجود في الوقت نفسه، وهذه القاعدة المنطقيَّة التي وظَّفها الجرجانيُّ في تحليله للتركيب تعدُّ نموذجًا واضحًا لتأثير المنطق العقليِّ على بنية اللغة والتعبير.

(١) دلائل الإعجاز"، ٣٤٩.

(٢) دلائل الإعجاز"، ٣٤٩.

نتائج البحث:

وفي ختام هذا البحث، أقدِّم أبرز النَّتائج التي توصَّل إليها، وهي:

١. الاستحالة في التراكيب اللغويَّة عند عبد القاهر الجرجانيّ هي استحالةٌ عقليَّةٌ، ويمكن تعريفُها بأنَّها: وصفٌ يطلقه الجرجانيُّ على التركيب اللغويِّ أو على أحدِ تأويلاته إذا كانا يؤدِّيان إلى ما لا يتصوَّره العقل، إمَّا لتناقض المعنى، وهو أكثر الأسباب حضورًا، وإمَّا لغياب المرجعيَّة الخارجيَّة، وإمَّا لانعدام المعنى.

٢. الاستحالة العقليَّة مظلَّة كبرى تتعدَّد مداخلُها وأسبابُها الأولى وتتنوَّع، ويمكن إجمالُها في أربعة أسباب، هي: الإخلال بالتناسب الدلاليِّ بين عناصر التركيب، ومخالفة السياق، والإخلال بالبنية الأساسيَّة للتركيب، ومخالفة المنطق العقليِّ.

٣. أهمُّ سمات الاستحالة في التَّراكيب عند الجرجانيِّ:

- امتيازُها عن غيرها من أوصاف الحظْر لدى الجرجانيِّ التي تصدر عن اعتبارات لغويَّة ونحويَّة بحتة غالبًا، وأمَّا وصف الاستحالة فهو يصدر لديه عن اعتبارات عقليَّة مباشرة أو غير مباشرة.
- تفاوُتُ درجاتِ الاستحالة، فقد تكون استحالة مباشرة وغير مباشرة، ومفردة ومركَّبة.
- الاستحالة ضربان: داخليَّة، ويكون التركيب معها مرفوضًا على كلِّ حال، وخارجيَّة، فيكون التركيب مرفوضًا معها في مقامٍ دون مقامٍ، وفي تأويلٍ دون تأويلٍ.
- تعدُّدُ أسباب الاستحالة وتنوُّع عواملها بين لغويَّة وأخرى عقليَّة.

٤. قد يورد الجرجانيُّ بعضَ التراكيب اللغويَّة المستحيلة في كتاب الدلائل لإقناع القارئ بصحَّة قواعد النَّظم التي يقرِّرها، وهو مبدأ حجاجيٌّ ينسجم مع منهج

الجرجانيّ في كتابه الدلائل، يقوم هذا المبدأُ على إثبات صحَّة الفكرة بتقديم ما يناقضها وإظهار استحالته، ومعنى ذلك أنَّ الجرجاني لا يقصد إلى تحليل أخطاء التراكيب المستحيلة، بل يوظِّفها وسيلةً لإثبات صدق القاعدة التي يشرحها ويريد تقريرها.

٥. كان عبد القاهر الجرجانيُّ رائدًا في توظيف التفكير العقليّ والمنطقيّ في تحليل التراكيب اللغويَّة، انطلاقًا من إدراكه أنَّه لا يمكن النَّظر إلى اللغة بمعزلٍ عن العقل، وأنَّ التراكيب اللغويَّة محكومة بعلاقات منطقيَّة وعقليَّة، وأنَّ صحَّة هذه العلاقات واستقامتَها، وانسجام التراكيب اللغويَّة مع مبادئ العقل وقوانينِه شرطٌ في صحَّتها وقبولها، وأنَّ الإخلال بهذه العلاقات المنطقيَّة ومخالفة مبادئ العقل وقوانينه هما عين (المحال).

المصادر والمراجع

الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد. "شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج. "الأغاني". تحقيق سمير جابر. (ط٢، بيروت: دار الفكر).

الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير. "ديوان الأعشى". نسخة المكتبة الشاملة المكية.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. (ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).

البيومي، علي رمضان. "التركيب اللغويُّ بين الاستقامة والإحالة". مجلة الدراسات اللغوية ٢٠ (٢)، (٢٠١٨م): ٣٧١-٤١٢.

بوحموم، حورية. "الاستقامة والإحالة في النَّحو العربيّ". رسالة ماجستير، جامعة سعد دحلب البليدة، الجزائر، (٢٠١١م).

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل. "دلائل الإعجاز في علم المعاني". تحقيق د. عبد الحميد هنداوي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. "كتاب التعريفات". ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).

جرير بن عطية. "ديوان جرير". بشرح محمد بن حبيب. تحقيق د. نعمان محمد أمين طه. (ط٣، القاهرة: دار المعارف).

الحسناوي، سهاد محمد، والخفاجي، أسيل عبد الحسن. "المحال في الفضلات". مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية ٢٦ (٣)، (٢٠١٨م).

ابن شميل، النضر بن شميل. أخباره ونصوصه. في: لسان العرب.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد. "نتائج الفكر في النَّحو". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م).

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق عبد الحميد هنداوي. (القاهرة: المكتبة التوفيقية).

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر. "الكتاب". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م).

شادي، محمد إبراهيم. "شرح دلائل الإعجاز". (ط٢، القاهرة: دار اليقين، ١٤٣٤هـ).

الطَّلحي، ردَّة الله بن ردَّة بن ضيف الله. "دلالة السياق". (ط١، مكة المكرمة: معهد البحوث العلميَّة، جامعة أمّ القرى، ١٤٢٤هـ).

عبد اللطيف، محمد حماسة. "النحو الدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي". (ط١، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. "الصناعتين". تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١١، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٣٨٣هـ).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. "الفروق اللغوية". حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم. (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع).

فريد، محمد أحمد. "ظاهرة المحال في النحو والصرف". مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ٨٠ (٦)، (٢٠٢٠م).

القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي. "الذخيرة". تحقيق محمد حجي وآخرون. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م).

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين، المعروف بخطيب دمشق. "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. (ط٣، بيروت: دار الجيل).

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. "ديوان امرِئ القيس". اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي. (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤م).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقى. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين. "الديوان ديوان أبي الطيب المتنبي وأخباره". جمعه واعتنى به إبراهيم بن محمد حمد البطشان. (ط١، الرياض: مجمع الملك سلمان العالميّ للغة العربية، ١٤٤٥هـ).

النجار، لطيفة إبراهيم. "مفهوم الإحالة عند سيبويه: أبعاده وضوابطه". المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ٣ (١)، (٢٠٠٧م).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين. "شرح قطر الندى وبل الصدى". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. (القاهرة).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، أبو محمد، جمال الدين. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. (ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م).

بشار بن برد العقيلي. "ديوان بشَّار بن برد". راجعه محمد شوقي أمين. (الجزائر: وزارة الثقافة، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م).

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي. "شرح المفصل في النحو للزمخشري". (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية).

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى. "تاج العروس من جواهر القاموس". (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ).

Bibliography

Al-Azhari, Khalid bin Abdullah bin Abi Bakr bin Muhammad. "Sharh al-Tasrih ala al-Tawdih aw al-Tasrih bi-Madmun al-Tawdih fi al-Nahw". (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2000).

Al-Asbahani, Ali bin al-Husain bin Muhammad bin Ahmad bin al-Haitham al-Marwani al-Umawi al-Qurashi, Abu al-Faraj. "Al-Aghani". investigated by Samir Jabir. (2nd ed., Beirut: Dar al-Fikr).

Al-A'sha, Maymoun bin Qais bin Jandal. "Diwan al-A'sha". Al-Maktabah al-Shamilah al-Makkiyyah edition.

Al-Baghdadi, 'Abd al-Qadir bin Umar. "Khizanat al-Adab wa-Lubb Lubab Lisan al-Arab". Investigated by 'Abd al-Salam Muhammad Harun. (4th ed., Cairo: Maktabat al-Khanji, 1997).

Al-Bayyoumi, Ali Ramadan. "Al-Tarrkib al-Lughawi baina al-Istiqamah wa-al-Ihalah". Majallat al-Dirasat al-Lughawiyyah 20 (2), (2018): 371-412.

Buhumum, Huwriyyah. "Al-Istiqamah wa-al-Ihalah fi al-Nahw al-Arabi". Master's thesis, Saad Dahlab University of Blida, Algeria, (2011).

Al-Jurjani, Abu Bakr Abd al-Qahir bin Abd al-Rahman bin Muhammad al-Farisi al-Asl. "Dala'il al-I'jaz fi Ilm al-Ma'ani". Investigated by Dr. Abd al-Hamid Hindawi. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2001).

Al-Jurjani, Ali bin Muhammad bin Ali al-Zayn al-Sharif. "Kitab al-Ta'rifat". Investigated by a group of scholars under the publisher's supervision. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1983).

Jarir bin Atiyyah. "Diwan Jarir". With commentary by Muhammad bin Habib. Investigated by Dr. Nu'man Muhammad Amin Taha. (3rd ed., Cairo: Dar al-Ma'arif).

Al-Hasnāwi, Suhād Muhammad, and al-Khafaji, Asil Abd al-Hasan. "Al-Muhāl fi al-Fadalat". University of Babylon Journal, Humanities, 26(3), (2018).

Ibn Shumail, al-Nadr bin Shumail. His reports and texts. In: Lisan al-Arab.

Al-Suhaili, Abu al-Qasim Abd al-Rahman bin Abdullah bin Ahmad. "Natā'ij al-Fikr fi al-Nahw". (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1992).

Al-Sirāfi, Abu Sa'id al-Hasan bin Abdullah bin al-Marzuban. "Sharh Kitāb Sibawaih". Investigated by Ahmad Hasan Mahdali and Ali Sayyid Ali. (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2008).

Al-Suyouti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din. "Ham' al-Hawami' fi Sharh Jam' al-Jawami'". Investigated by Abd al-Hamid

Hindawi. (Cairo: al-Maktabah al-Tawfiqiyyah).
Sibawaih, Amr bin Uthman bin Qanbar al-Harithi bi-al-Wala', Abu Bishr. "Al-Kitāb". Investigated by Abd al-Salam Muhammad Harun. (3rd ed., Cairo: Maktabat al-Khanji, 1988).
Shādi, Muhammad Ibrahim. "Sharh Dala'il al-I'jaz". (2nd ed., Cairo: Dar al-Yaqin, 1434 AH).
Al-Talhi, Riddah Allah bin Riddah bin Daif Allah. "Dalalat al-Siyāq". (1st ed., Makkah: Institute of Scientific Research, Umm al-Qura University, 1424 AH).
Abd al-Latif, Muhammad Hamasah. "Al-Nahw al-Dalalah: Madkhal li-Dirasāt al-Ma'na al-Nahwi al-Dalāli". (1st ed., Cairo: Dar al-Shuruq, 2000).
Al-'Askari, Abu Hilal al-Hasan bin Abdullah bin Sahl bin Sa'id bin Yahya bin Mihran. "Al-Sina'atain". Investigated by Ali Muhammad al-Bijawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (11th ed., Beirut: al-Maktabah al-Ansariyyah, 1383 AH).
Al-'Askari, Abu Hilal al-Hasan bin Abdullah bin Sahl bin Sa'id bin Yahya bin Mihran. "Al-Furouq al-Lughawiyyah". Investigated by Muhammad Ibrahim Salim. (Cairo: Dar al-Ilm wa-al-Thaqafah).
Farid, Muhammad Ahmad. "Zāhirat al-Muhāl fi al-Nahw wa-al-Sarf". Journal of the Faculty of Arts, Cairo University, 80 (66) ,(2020).
Al-Qarāfi, Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad bin Idris bin Abd al-Rahman al-Maliki. "Al-Dhākhirah". Investigated by Muhammad Hajji and others. (1st ed., Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1994).
Al-Qazwini, Muhammad bin Abd al-Rahman bin Umar, Abu al-Ma'ali, Jalal al-Din, known as Khatib Dimashq. "Al-Idāh fi Ulum al-Balāghah". Investigated by Muhammad Abd al-Mun'im Khafaji. (3rd ed., Beirut: Dar al-Jil).
Imru' al-Qais bin Hujr bin al-Harith al-Kindi. "Diwan Imri' al-Qais". Investigated by Abd al-Rahman al-Mustawfi. (2nd ed., Beirut: Dar al-Ma'rifah, 2004).
Ibn Manzour, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din al-Ansari al-Ifriqi. "Lisān al-Arab". (3rd ed., Beirut: Dar Sadir, 1414 AH).
Al-Mutanabbi, Abu al-Tayyib Ahmad bin al-Husayn. "Al-Diwan Diwan Abi al-Tayyib al-Mutanabbi wa-Akhbaruhu". Compiled by Ibrahim bin Muhammad Hamad al-Batshan. (1st ed., Riyadh: Majma' al-Malik Salman al-Alami li-al-Lughah al-Arabiyyah, 1445 AH).

Al-Najjar, Latifah Ibrahim. "Mafhoum al-Ihālah inda Sibawaih: Ab'āduhu wa-Dawābituh" The Jordanian Journal of Arabic Language and Literature, 3(1), (2007).

Ibn Hishām, Abdullah bin Yousuf bin Ahmad bin Abdullah Ibn Yusuf, Abu Muhammad, Jamal al-Din. "Sharh Qatr al-Nadā wa-Ballu al-Sadā". Investigated by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. (Cairo).

Ibn Hisham, Abdullah bin Yousuf bin Ahmad bin Abdullah, Abu Muhammad, Jamal al-Din. "Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'ārib". Investigated by Dr. Mazin al-Mubarak and Muhammad Ali Hamd Allah. (6th ed., Damascus: Dar al-Fikr, 1985).

Bashār bin Burd al-Uqaili. "Diwān Bashār bin Burd". Investigated by Muhammad Shawqi Amin. (Algeria: The Ministry of Culture, and the Printing Press of the Committee for Authorship, Translation, and Publication, Cairo, 2007).

Ibn Ya'ish, Muwaffaq al-Din Ya'ish bin Ali bin Ya'ish al-Nahwi. "Sharh al-Mufassal fi al-Nahw li-al-Zamakhshari". (Cairo: Al-Munīriyya Printing Administration).

Al-Zabidi, Muhammad bin Muhammad bin Abd al-Razzaq al-Husaini. "Tāj al-'Arous min Jawāhir al-Qamous". (1st ed., Beirut: Dar al-Fikr, 1414 AH).

بنية الأمثال في مقدمة معجم الأدباء:
دراسة تحليلية لأثر المثل في أدب ياقوت الحموي (ت٦٣٦هـ)

The Structure of Proverbs in the Introduction of Mu‘jam al-Udabā’: An Analytical Study of the Impact of Proverbs on the Literature of Yāqūt al-Ḥamawī (d. 636 AH).

د. مريم محمد الأمين حسن الشنقيطي

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: mmhshanketi@taibahu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
31/08/2025		11/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-005		

ملخص البحث

تعد الأمثال من أهم موروثات الأدب العربي، وقد لقيت عناية بالغة في كتب التراث العربي؛ ومنها كتاب "معجم الأدباء" ليقوت الحموي (ت٦٣٦هـ)، فقد استشهد في مقدمة كتابه بجملة من الأمثال؛ منها ما يمكن القول بأنه لم يسبق إليه، وجاء ذلك في صياغة أدبية تنم عن سعة اطلاعه وتمكنه من اللغة العربية، وقد قسم هذا البحث إلى مقدمة: تضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وتساؤلاته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته، وتمهيدًا عرف فيه بالمقدمة وأهميتها، والتعريف بياقوت الحموي وكتابه معجم الأدباء، أما المبحث الأول فعرض للتعريف بالأمثال وقيمتها الفنية في الأدب العربي، وتناول المبحث الثاني بنية الأمثال الواردة في مقدمة كتاب معجم لأدباء لياقوت دراسة تطبيقية، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج منها: أن الأمثال تتميز بخصائصها الفنية، وسماتها الأسلوبية، فقد اتفق العلماء على بلاغتها وإيجازها، وكثافة الأساليب البديعية، في نصوصها؛ وقد كشفت الدراسة عن أمثال تفرد بها ياقوت الحموي، كما كشفت عن أهمية مقدمات الكتب التي يفتتح بها المؤلفون كتبهم؛ فلها قيمة فنية عالية؛ كما أنها تصور للقارئ موضوع الكتاب، ومضامينه.

الكلمات المفتاحية: بنية، الأمثال، مقدمة، معجم، الأدباء، الحموي.

Abstract

Proverbs are among the most significant elements of Arabic literary heritage, receiving considerable attention in classical Arabic texts. One such example is Yāqūt al-Ḥamawī's (d. 636 AH) Mu'jam al-Udabā', where he cited several proverbs in the introduction to his book, some of which can be considered unprecedented. These were presented in a literary style that reflects his vast knowledge and mastery of the Arabic language. This study is divided into an introduction that outlines the topic's importance, reasons for its selection, objectives, research questions, scope, previous studies, methodology, and structure. It also includes a preface defining the introduction and its significance, as well as an overview of Yāqūt al-Ḥamawī and his Mu'jam al-Udabā'. The first chapter discusses the definition of proverbs and their artistic value in Arabic literature, while the second chapter examines the structure of the proverbs in the introduction of Mu'jam al-Udabā' through an applied study. The research reached several conclusions, including that proverbs are distinguished by their artistic characteristics and stylistic features. Scholars agree on their eloquence, conciseness, and the richness of rhetorical elements in their texts. The study also uncovered proverbs that were uniquely cited by Yāqūt al-Ḥamawī. Additionally, it highlighted the importance of the introductory sections with which authors begin their books, as these introductions possess high artistic value and offer the reader a clear portrayal of the book's subject and its content.

Keywords: structure, proverbs, introduction, Mu'jam al-Udabā', al-Ḥamawī.

المقدمة:

إنَّ الاهتمام بكتب التراث من أجل المهمات التي تقع على عاتق المتخصصين، ومن هذا المنطلق وقع الاختيار على كتاب "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" المشهور بـــ"معجم الأدباء" لياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٣٦هـــ)، وبعد دراسة مقدمته وجدت المصنف صاغها صياغة أدبية بديعة، ومما لفت نظري فيها جملة الأمثال التي أودعها إياها؛ والتي صبغتها صبغة أدبية، فجاءت حافلة بالأمثال المناسبة لسياق نص المصنف، وقد عنونت البحث بـــ"نية الأمثال في مقدمة معجم الأدباء": دراسة تحليلية لأثر المثل في أدب ياقوت الحموي (ت٣٦٣هـ).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١– أهمية الأمثال في الوجدان العربي منذ القدم إلى عصرنا الحاضر.
٢– ما تشكله الأمثال من أثر إيجابي في تعزيز القيم الأخلاقية لدى الفرد والمجتمع.
٣– الدور الذي تقوم به الأمثال في نقل التجارب الإنسانية والفكرية في المجتمع.
٤– المكانة العلمية لياقوت الحموي وكتابه "معجم الأدباء".

أهداف البحث:

١– التعريف بمقدمات الكتب، وإبراز قيمتها الأدبية.
٢– التعريف بأهمية الأمثال وعناية العلماء بها.
٣– إبراز الجانب الأدبي الذي تؤديه الأمثال.
٤– دراسة وتحليل الأمثال التي استشهد بها ياقوت الحموي في مقدمة كتابه "معجم الأدباء".
٥– بيان عناية مؤلفي كتب التراجم بالجانب الأدبي في مقدمات كتبهم.
٦– التعريف بياقوت الحموي وكتابه معجم الأدباء.

مشكلة البحث:

١- كيف استخدم ياقوت الأمثال في مقدمة كتابه لتعزيز الفكرة الأساسية له؟

٢- كيف أسهمت الأمثال في تعزيز القيمة الأدبية والفكرية لمقدمة معجم الأدباء لياقوت؟

حدود البحث:

يُحد هذا البحث بمقدمة كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي التي وضعها لكتابه.

الدراسات السابقة:

بالبحث في محركات البحث العلمي عبر الشبكة العالمية لم أعثر على دراسة تناولت الأمثال في مقدمة كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، إلا أنَّ هناك كثير من الدراسات التي تناولت مقدمات الكتب على وجه العموم، غير أنها لا ترتبط بموضوع البحث الحالي، ومنها:

١- طرر على معجم الأدباء، أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت: عبد العزيز الميمني، مقال منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م: ركز المؤلف فيه على تصحيح الأخطاء التي عثر عليها في معجم الأدباء طبعة مرجليوث، وتختلف عنه الدراسة الحالية في أنها تركز على الأمثال في مقدمة كتاب معجم الأدباء.

٢- الجوانب التربوية في معجم الأدباء: د. محمد البحتري، دار البشائر للنشر، دمشق، ١٤٢٢هـ: ركز مؤلفه على الجوانب التربوية المستنبطة من سير الأدباء ومواقفهم وآرائهم التي تضمنها الكتاب، وتختلف عنه الدراسة الحالية في أنها تركز على الحكم والأمثال في مقدمة كتاب معجم الأدباء.

٣- منهج ياقوت الحموي في معجمي الأدباء والبلدان: دراسة مقارنة: أ.م.د. سامي حمود، وعلياء جاسم ٢٠١٤م: ركز المؤلفان على منهج ياقوت

الحموي في المعجمين، وتختلف عنه الدراسة الحالية في أنها تركز على الأمثال في مقدمة كتاب معجم الأدباء.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفق التفصيل الآتي:

المقدمة: وتضمنت: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: التعريف بالمقدمة وأهميتها، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمقدمة.

المطلب الثاني: أهمية المقدمة.

المطلب الثالث: التعريف بياقوت الحموي وكتابه معجم الأدباء بإيجاز.

أولًا: التعريف بياقوت الحموي.

ثانيًا: التعريف بكتاب معجم الأدباء.

المبحث الأول: التعريف بالأمثال وقيمتها الفنية في الأدب العربي.

المطلب الأول: التعريف بالأمثال.

المطلب الثاني: القيمة الفنية للأمثال في الأدب العربي.

المبحث الثاني: التعريف بياقوت الحموي، وكتابه معجم الأدباء.

المطلب الأول: التعريف بياقوت الحموي.

المطلب الثاني: التعريف بمعجم الأدباء.

المبحث الثالث: بنية الأمثال الواردة في مقدمة كتاب معجم الأدباء لياقوت دراسة تطبيقية.

ويحتوي على المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأمثال التي تضرب لبلوغ المراد والظفر به.
المطلب الثاني: الأمثال التي تضرب لظهور الأمر ووضوحه.
المطلب الثالث: الأمثال التي تضرب للسبق والتقدم.
المطلب الرابع: الأمثال التي تضرب للتريث وعدم العجلة.
المطلب الخامس: الأمثال التي تضرب لبيان فساد الفرع لفساد أصله.
المطلب السادس: الأمثال التي تضرب لبيان الضروريات.
المطلب السابع: الأمثال التي تضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له.
المطلب الثامن: الأمثال التي تضرب للحث على الجد والاجتهاد.
المطلب التاسع: الأمثال التي تضرب لبيان قيمة الأشياء.
المطلب العاشر: الأمثال التي تضرب للتمييز بين القوة والضعف.
الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.
فهرس المصادر المراجع.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على عدة مناهج: وهي المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي البنيوي.

التمهيد: التعريف بالمقدمة وأهميتها

المطلب الأول: التعريف بالمقدمة لغة واصطلاحًا والألفاظ ذات الصلة

أولًا: المقدمة لغة:

المقدمة مشـــتقة من الفعل قَدَّمَ وجذره (ق د م)، والجمع مقدمات، ومقدم الشيء: أوَّله[(١)].

والْمُقدِّمَة: من كل شيء أوله؛ ومنه مُقَدِّمَة الكتاب؛ ما يقدمه المؤلف من كلام في أول كتابه[(٢)].

ثانيًا: المقدمة اصطلاحًا:

عرف العلماء المقدمة اصطلاحًا بعدة تعريفات منها:

أنها: "اســم لطائفة من الكلام، قُدِّمت أمام المقصــود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه"[(٣)].

وعرف الجرجاني مقدمة الكتاب بأنها: "ما يذكر فيه قبل الشــروع في المقصــود لارتباطها به"[(٤)].

(١) ينظر: محمد بت الحسن بن دريد، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي البعلبكي، (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، مادة: قدم، ٢: ٦٧٥.

(٢) ينظر: محمود بن عمرو الزمخشري، "الفائق في غريب الحديث"، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، د.ت)، مادة: قدم، ١: ٤٦.

(٣) مسعود بن عمر التفتازاني، "مختصر المعاني"، (ط١، قُمّ: دار الفكر، ١٤١١هـ)، ص٨.

(٤) علي بن محمد الجرجاني، "التعريفات"، ضبطه مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣هـ)، ص٢٢٥.

وعرفها المناوي بأنَّها: "تطلق تارة على ما تتوقف عليه الأبحاث الآتية"[(١)].

ويمكن تعريفها بأنها: الجزء الذي يُفتتح به الكتاب، فيوضح مقاصده ومراميه، وتدل على موضوع الكتاب وما يسعى المصنف إلى تضمينه فيه، وبيان منهجه وطريقة تأليفه، وتقسيماته، وأصوله التي استقاه منها.

ثالثًا: الألفاظ ذات الصلة بالمقدمة:

الافتتاحية:

في اللغة: مشتقة من الفعل افتتح يفتتح، ومعناها: الأول، ومنه فواتح السور، أي أوائلها، وفاتحته كل شيء أوَّله، وافتتح الشيء: بدأه[(٢)].

وفي الاصطلاح: "الدخول"[(٣)]، وقيل: الشروع[(٤)].

المدخل:

في اللغة: الدخول خلاف الخروج، والاسم منه مدخل، وهو مكان الولوج إلى الشيء[(٥)].

(١) محمد عبد الرؤوف المناوي، "التوقيف على مهمات التعاريف"، تحقيق: محمد الداية، (ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٤١٠هـ)، ص٦٧١.

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي. "العين"، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، مادة: فتح، ٣: ١٩٤.

(٣) يوسف بن عبد الله بن عبد البر، "التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد"، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكر، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ)، ١٠: ١٩٤.

(٤) أحمد بن علي بن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ٢: ٢١٧.

(٥) ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، مادة: دخل، ٤: ١٦٩٦.

وفي الاصطلاح: "الأسس والمنطلقات الفكرية التي يستند إليها الباحث ابتداء في تناول موضوع بحثه"(١).

المطلب الثاني: أهمية المقدمة

تعد المقدمة بمنزلة الرأس من الجسد، وكما أن الرأس يضم أعضاء الجسد ويرأسها، كذلك المقدمة التي يقدمها المؤلف في أول كتابه تضم ما تبعها، يتطرق فيها إلى ما يروم تأليفه(٢).

وقد اهتم قدامى المؤلفين بالمقدمات وأَوْلَوْها عناية خاصة، وتبرز تلك العناية في العديد من المصنفات التي عُنونت بالمقدمة، ومن أشهرها: مقدمة ابن خلدون، ومقدمة الأدب للزمخشري، والمقدمة الآجرومية في النحو لابن آجروم.

كما تبرز أهمية المقدمة في أنها تعطي صورة عامة عن الكتاب، ونبذة مختصرة تبين الخطوط العريضة والفكرة العامة للكتاب، والغرض منه، وأسباب تأليفه، وموضوعه الرئيس، وما يتضمنه من موضوعات(٣).

كما أن للمقدمة دورًا هامًّا في تشجيع القارئ على قراءة الكتاب؛ فهي تعطيه انطباعًا عن المؤلَّف؛ وذلك أنَّ المقدمة تصور للقارئ حلم المصنف الذي قد لا يتحقق في واقع الكتاب، وهذه الأمور تيسر فهم المؤلَّف.

---

(١) عيسى بوعافية، "مفهوم النظرية والمفاهيم ذات الحقل الدلالي المشترك: المدخل، المقاربة، النموذج"، بحث مقدم لندوة توظيف النظرية في بحوث الإعلام والاتصال، ص٥.

(٢) ينظر: علي بن خلف الكاتب. "مواد البيان"، تحقيق: د.حسين عبد اللطيف. (طرابلس–ليبيا: منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٢م)، ص٥.

(٣) ينظر: سليمان بن عبد القوي الطوفي، "شرح مختصر الروضة"، تحقيق: د.عبد الله التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م)، ١: ٩٩.

المطلب الثالث: التعريف بياقوت الحموي وكتابه "معجم الأدباء"

الفرع الأول: التعريف بياقوت الحموي:

هو: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي[١]، ولد سنة: (٥٧٤هـ)[٢]؛ وهو قول معظم من ترجم له[٣]، وقع في الأسر وهو صغير، واشتراه التاجر البغدادي عسكر الحموي فعامله معاملة الولد، وعلمه اللغة والنحو وعمل معه في إدارة تجارته، ولما أعتق عمل في نسخ الكتب والتجارة فتنقل كثيرًا[٤]، وتتلمذ على جملة من الشيوخ نص عليهم في مؤلفاته، ومن أشهرهم: عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني (ت:٦١٧هـ) مؤلف كتاب "الأنساب"[٥]، ويعيش بن علي بن يعيش،

(١) من مصادر ترجمته: أحمد بن أيبك الدمياطي، "المستفاد من ذيل تاريخ بغداد"، تحقيق: مصطفى عطا، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ)، ٢١: ١٩٢؛ ومحمد بن أحمد الذهبي، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، تحقيق: عمر تدمري. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٤٥: ٢٦٦؛ وخليل بن أيبك الصفدي، "الوافي بالوفيات"، باعتناء: إبراهيم شبوح، (ط١، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٣٠هـ)، ٢٨: ٤٥.

(٢) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، "التكملة لوفيات النقلة"، تحقيق: د. بشار معروف، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م)، ٤: ١٣٣٨.

(٣) ينظر: مبارك بن أحمد بن المستوفي، "تاريخ إربل"، حققه وعلق عليه: سامي الصفار، (ط١، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م)، ١: ٣١٩.

(٤) ينظر: علي بن يوسف القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل، (ط٢، مصر: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٠هـ)، ٤: ٧٥؛ ويوسف أحمد بني ياسين، "بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية، ٥٧٤-٦٢٦هـ: ١١٧٨-١٢٢٩م"، (ط١، أبو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٤م)، ص٥٩.

(٥) ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، "معجم الأدباء"، تحقيق: د.إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣هـ)، ١: ١٠.

النحوي، مؤلف كتاب "شرح المفصل" (ت:٦٤٣هـ)[١]، ومن أشهر تلاميذه علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله بن السَّاعي (ت:٦٧٤هـ)[٢].

تنوعت مؤلفات الحموي، ومن أشهرها: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، والمشهور بمعجم الأدباء: وهو موضوع هذه الدراسة، ومعجم البلدان: وهو كتاب ضخم عرف فيه بجميع أصقاع الأرض المعروفة في زمانه، والمشترك وضعًا من أسماء البلدان والمختلف صقعًا من الأقاليم، وكلها مطبوعة.

توفي ياقوت الحموي في رمضان سنة: (٦٢٦هـ) في مدينة حلب الشامية[٣].

الفرع الثاني: التعريف بكتاب معجم الأدباء:

أجمع المترجمون لياقوت على نسبة هذا الكتاب له[٤]، وقد تعددت مسميات الكتاب فنجد مؤلفه تارة يذكره بعنوان: "كتاب الأدباء"[٥]، وأخرى يسميه: "أخبار

(١) ينظر: علي بن أنجب بن الساعي، "الدر الثمين في أسماء المصنفين"، تحقيق: أحمد شوقي، ومحمد حنشي، (ط١، تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣٠هـ)، ص٥٧، ٦٣.

(٢) ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، "العبر في خبر من غبر"، تحقيق: محمد زغلول، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية العبر، د.ت)، ٣: ٢٤٩.

(٣) ينظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ٤: ٧٧؛ والمنذري، "التكملة لوفيات النقلة"، ٤: ١٣٣٧.

(٤) ينظر: ابن المستوفي، "تاريخ إربل"، ١: ٣١٩؛ وأحمد بن محمد بن خلكان، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٠م)، ٦: ١٢٧؛ ومصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، (ط١، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١م)، ٢: ١٥٨٠.

(٥) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ٢.

الأدباء"[١]، وثالثة يذكره بعنوان: "معجم الأدباء"[٢]، واشـــتهر به، ونص في مقدمته على أنَّ اسمه "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"[٣].

والموضـوع العام للكتاب تراجم الأدباء وقد جمع فيه أخبار النحويين، واللغويين، والنسابين، والقراء المشهورين، وأصحاب الرسائل المدونة، والخطاطين، وكل من صنف في الأدب[٤].

وقد قدم للكتاب بفصـلين: خصـص الأول لفضـل الأدب وأهله، وذم الجهل، وخصص الثاني لبيان فضيلة علم الأخبار، واستهل معجمه بمقدمة أوضح فيها سبب تأليفه له، وذكر أهم المصـــادر التي اعتمدها في تأليفه، وما عاناه من صـــعوبات في تأليفه، كما بين منهجه فيه[٥].

(١) المصدر السابق، ١: ٣٤٧.
(٢) المصدر السابق، ١: ١٢٦.
(٣) المصدر السابق، ١: ١٥.
(٤) المصدر السابق، ١: ٧.
(٥) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ٨.

المبحث الأول: التعريف بالأمثال وقيمتها الفنية في الأدب العربي

المطلب الأول: التعريف بالأمثال

أولًا: تعريف المثل لغة:

قال الأزهري في تعريفه: "مَثَلُ: الشيء أَيضًا: صفته، إنما الْمَثَل مَأْخوذ من المِثال والحَذْوِ... والمِثالُ: المقدارُ، وهو من الشِّـــبْه، والمثل: ما جُعل مِثالًا، أَي: مقدارًا لغيره يُحْذَى عليه، ... وماثَلَ الشيءَ: شابهه، والتِّمْثالُ: الصُّورةُ... "[(١)].

وقال ابن منظور: "المثل مأخوذ من الجذر الثلاثي: م ث ل، مِثل –بكســـر الميم– كلمة تسوية، يقال: هذا مثله، ومثَلُهُ –بالفتح– شِبهُه وشبهه بمعنى ... والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلًا فيجعل مثله"[(٢)].

ثانيًا: تعريف المثل اصطلاحًا:

للمثل تعريفات اصطلاحية كثيرة منها:

تعريف ابن سلَّام بأنَّه: "حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حولت حاجتها في المنطق بكناية غير صـريحة، فيجتمع لها بذلك ثلاثة خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه"[(٣)].

وعرفه المرزوقي بقوله: "المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، تتسم بالقبول،

---

(١) محمد بن أحمد الأزهري، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، مادة: مثل، ١٥: ٧١.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب". تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، (ط١، القاهرة: دار المعارف، د.ت)، مادة: مثل، ٦: ٤١٣٢.

(٣)، أبو عبيد القاسم بن سلام، "الأمثال"، تحقيق: د.عبد المجيد قطامش، (ط١، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ)، ص٢٤.

وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغييرٍ يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها"[(١)].

وعرفه بعض المعاصرين بأنَّه: "عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلًا ومضمونًا فتنتشر فيما بينهم، ويتناقلها الخلف عن السلف دون تغيير، متمثلين بها غالبًا في حالات مشابهة لما ضرب لها المثل أصلًا حتى وإن جُهل هذا الأصل"[(٢)].

وأستطيع القول: إنَّ الأمثال هي أقوال تتسم ببلاغة الإيجاز، تختزن مواقف وخبرات وظفها العقل العربي عبر العصور في المواقف المتشابهة.

المطلب الثاني: القيمة الفنية للأمثال في الأدب العربي

تعد الأمثال ركنًا أصيلًا من أركان الأدب العربي، فهي إلى جانب الشعر والخطب تمثل النواة الأولى للأدب، وهذه الأركان الثلاثة كانت هي السائدة في العصر الجاهلي، قبل دخول فنون أخرى في الأدب العربي، وقد أكثر العرب من استعمال الأمثال؛ لشهرتها وإيجازها وسهولة حفظها، وسرعة فشوها بين الناس، مع ما فيها من بلاغةٍ وتصويرٍ؛ كما أنها من أصدق ما يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها، ويبين عقليتها، ويحفظ تقاليدها وعاداتها، كما أنها تصور المجتمع وحياته وشعوره أتم التصوير، فهي مرآةٌ للحياة الاجتماعية والعقلية والسياسية والاقتصادية والدينية واللغوية، وهي في ذلك أقوى دلالةً من الشعر والخطابة؛ لأنهما لغة طائفةٍ خاصةٍ من الناس قد

(١) أحمد بن محمد المرزوقي، "شرح فصيح ثعلب"، تحقيق: سليمان العايد، (ط١، الرياض: من إصدارات كرسي د.عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، ٢٠١٤م)، ص٢٩٧.

(٢) مصطفى فتحي، "موسوعة الأمثال العربية"، (ط١، عمَّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، (٢٠١٣م)، ص٦٠.

حباهم الله موهبةً انفردوا بها عن غيرهم، أما الأمثال فهي لغة جميع طبقات المجتمع وفئاته.

ويتجلى للقارئ اهتمام القدماء بالمثل، وإدراكهم أهميته في قول الحسن اليوسي: "فلا يخفى على ذي ميز، ولا يشتبه على ذي لب، ما جعل الله تعالى فيه من الحكمة، وأودع فيه من الفائدة، وناط به من الحاجة؛ فإنَّ ضرب المثل يوضح الْمُنْبَهم، ويفتح المنغلق، وبه يصور المعنى في الذهن، ويُكشف المعمَّى عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حُسْن مَوْقع، وتَقْبله فضلَ قَبول، وتطمئن به اطمئنانًا، وبه يقع إقناع الخصم، وقَطع تَشَوُّف المعترض، وهذا كله معروف بالضرورة، شائع في الخاص والعام، ومتداول في العلوم كلها، منقولها ومعقولها، وفي المحاورات والمخاطبات، حتى شاع من كلام عامة المتعلمين والمعلمين قولهم: بأمثالها تعرف أو تتبين الأشياء"[(١)].

والأمثال كما تكون نثرًا فإن الشعر يزخر بها، فنجد كثيرًا من الشعراء شهروا بكثير من الأبيات التي أصبحت أمثالًا سائرة؛ كزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، والمتنبي.

والحق أنَّ الأدب العربي غني بالأمثال غنى عظيمًا في جميع العصور؛ فقد لقيت إقبالًا واسعًا لإيجازها لفظًا وإصابتها معنًى منذ عصور غابرة؛ فنرى وجود الأمثال منذ العصر الجاهلي، ولا تمر في حياتنا العامة أحداث إلا ونجد أمثالًا رائعة تضرب لها، وقل أن تخلو خطبة، أو قصيدة من مثل بديع؛ وتتنوع مناحي الأمثال تبعًا لتنوع مناحي الحياة؛ من أمثال خُلُقية، ودينية، واقتصادية، وسياسية، واجتماعية، وفنية.

وقد عني العلماء منذ القدم بالأمثال فتناقلها الرواة قبل التدوين، وفي عصر التدوين زخرت الكتب بمختلف فنونها بالأمثال شعرًا ونثرًا، لا سيما كتب الأدب واللغة، فإنَّ قصر جملها يسهّل حفظها على الدارسين؛ ولها دورها الفاعل في حفظ

(١) الحسن بن مسعود اليوسي، "زهر الأكم في الأمثال والحكم"، تحقيق: د.محمد حجي، ود.محمد الأخضر، (ط١، الدار البيضاء: الشركة الجديدة، ودار الثقافة، ١٤٠١هـ)، ١: ٣١.

تراث الأمة اللغوي، والأخلاقي، وتتجلى أهميتها في أننا قلما نجد علمًا من أعلام الأدب إلا له عناية بها؛ فمنهم من أفرد لها المصنفات، ومن أشهرها[(١)]:

- أمثال العرب: المفضل بن محمد الضبي (ت١٦٨هـ).
- الأمثال: لأبي فيد مؤرج السدوسي (ت١٩٥هـ).
- الأمثال: لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).
- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة: لحمزة الأصفهاني (ت٣٦٠هـ).
- الأمثال السائرة من شعر المتنبي: للصحاب بن عباد (ت٣٨٥هـ).
- جمهرة الأمثال: لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لعبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ).
- الأمثال والحكم: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ).
- الوسيط في الأمثال: لعلي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ).
- فصل المقال شرح كتاب الأمثال: لأبي عبيد عبد الله البكري (ت٤٨٧هـ).
- مجمع الأمثال: لأحمد بن محمد الميداني (ت٥١٨هـ).
- المستقصى في أمثال العرب: لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨هـ).
- فرائد الخرائد في الأمثال: ليوسف بن طاهر بن يوسف الخوئي (ت٥٤٩هـ).
- الأمثال في القرآن: لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ).
- تمثال الأمثال: لأبي المحاسن محمد بن علي الشيبي (ت٨٣٧هـ).
- زهر الأكم في الأمثال والحكم: للحسن بن مسعود اليوسي (ت١١٠٢هـ).

(١) ينظر: إميل يعقوب، "موسوعة أمثال العرب"، (ط١، بيروت: دار الجيل.، ١٤١٥هـ)، ١: ١٠-١١.

- نظم اللآل في الحكم والأمثال: لعبد عبد الله فكري باشا (ت١٣٠٦هـ).
- السحر الحلال في الحكم والأمثال: لأحمد بن إبراهيم الهاشمي (ت١٣٦٢هـ).
- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال: لحسين بن محمد المهدي.

وكما أنَّ كتب الأدب عمومًا لا تخلوا من باب أو فصل حوى جملة من الأمثال؛ ومن أمثلتها:

- المصون في الأدب: لأبي هلال العسكري (ت٣٨٢هـ).
- مفيد العلوم ومبيد الهموم: لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت٣٨٣هـ).
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: لأبي الفرج المعافى بن زكريا الجريري (ت٣٩٠هـ).
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨هـ).

وكثرة التصنيف في فنٍّ من الفنون لها دلالتها الواضحة على مكانة هذا الفن.

المبحث الثاني: الأمثال الواردة في مقدمة كتاب معجم لأدباء لياقوت

ضـمَّن ياقوت مقدمة معجم الأدباء جملة من الأمثال للتعبير عن تعلقه بالتراجم ومعرفة أحوال الأدباء، أو واصـفًا ما واجهه من صـعوبات في جمع مادته العلمية، أو من باب النصـح لمن قد يقع الكتاب بين يديه، إلى غير ذلك من الأمور، ونختار من هذه الأمثال ما يحقق التنوع في المقاصـد والدلالات والأسـاليب والتراكيب اللغوية، ونماذج من الألوان البيانية البديعية، ومع تحليلها تتبين الجوانب الجمالية للغة في هذه الأمثال المختارة:

المطلب الأول: الأمثال التي تضرب لبلوغ المراد والظفر به

١– قوله: يشفي الغليل:

هذا المثل يضرب لبلوغ الغاية من الشيء، والغليل حرارة الْعَطش والحزن والغيظ، وجمعها غلل، فضُرب هذا المثل للتعبير عن إطفاء حر العطش، وذهاب الحزن، وشفاء الغيظ من الخصم[(١)].

والغَليلُ: الضِغْنُ والحقدُ كذلك[(٢)].

ودار هذا المثل كثيرًا في الشعر والنثر؛ قال مهلهل بن ربيعة[(٣)]:

قَدْ شَـفَيْتُ الْغَلِيلَ مِنْ آلِ بَكْرٍ آلِ شَـيْبَـانَ بَيْنَ عَـمٍّ وَخَـالِ

أي شفيت حقدي وضغني من هؤلاء القوم.

والشـعراء تمثلوا بهذا المثل كثيرًا في شـفاء الغليل من الخصـوم في الحروب؛ ومن

(١) ينظر: الفراهيدي، "العين"، ٤: ٧٤؛ وابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة: غل، ٢: ٩٦٢.

(٢) ينظر: الجوهري، "الصحاح"، مادة: غل، ٥: ١٧٨٤.

(٣) ينظر: المهلهل بن ربيعة، "ديوان المهلهل بن ربيعة"، شرح: طلال حرب، (ط١، مصر: الدار العالمية، د.ت)، ص٧٠.

ذلك قول عيتبة بن الحارث[(١)]:

أُحَـامِي عَن ذِمَـار بَنِي أَبِيكُمُ وَمِـثْـلِـي فِي غُـواتِـكِـمُ قَـلِـيـلُ
كَمَـا لَاقَى ذَوُو الهِرمَـاسِ مِنِّي غَـداةَ الرَّوعِ إِذْ فُرِيَ الشَّـلِـيـلُ
إِذَا اختَلَفتْ نَوَاصِـي الْخَيْلِ ظَنُّوا بَأَنَّ بِصَـعْـدَتِي يُشْـفَى الْغَلِيـلُ

وكثيرًا ما استشهد به الشعراء في الغزل، ومن ذلك قول جرير[(٢)]:

أَبَانَ الْحَـيُّ يَـوْمَ لَـوَى حُـبِّي نَعَمْ بَانُوا وَلَمْ يُشْـفَ الْغَلِيـلُ

وقول عبد الصمد بن المعذل[(٣)]:

فَـإِذَا هَبَّـتِ النُّفُوس اشْـتِيَـاقًـا وَتَشَـهَّى الْخَلِيـلُ قُرْبَ الْخَلِيـلِ
كَـانَ مَـا كَـانَ بَيْنَنَـا لَا أُسَمِّيـ ـهِ وَلَكِنَّـهُ شِـفَـاءُ الْغَلِيـلِ

ويتجلى هذا المثل تصوير الحالة النفسية للغاضب أو الحاقد، وحتى العاشق على ما بين الحالتين من تباين؛ فهو تصوير بياني يتسم بالشمولية؛ فصورة التضاد اللفظي بين:

---

(١) ينظر الأبيات في: علي بن سليمان الأخفش، "الاختيارين"، تحقيق: فخر الدين قباوة، (ط١، دمشق–بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠هـ)، ص٢٦٥.

ومعنى: الشليل: ما يكون تحت الدرع من ثوبه وغير. ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة: شلل، ١١: ١٩٠.

والصعدة: الرمح. ينظر: علي بن إسماعيل بن سيده، "المخصص"، تحقيق: خليل جفال، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ)، ٢: ٤٢.

(٢) ينظر: جرير بن عطية الخطفى، "ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب"، تحقيق: د.نعمان طه، (ط٣، القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ٢: ٧١٦.

(٣) ينظر: عبد الصمد بن المعذل بن غيلان، "ديوان عبد الصمد بن المعذل"، تحقيق: زهير زاهد، (ط١، النجف: مطبعة النعمان، ١٣٩٠هـ)، ص١٥١.

شفاء × غليل

الحقد × الحب

نقل المتلقي إلى عالم التخييل في ربط المحسوس بالعواطف التي تتصارع في داخل النفس الإنسانية؛ كما أسهم الجرس الصوتي للكلمتين في تصوير ذلك؛ فحرف الشين وما يتميز به صوتيًا من تفشٍ وانتشارٍ يقتضي معالجة ذلك الصراع الداخلي الذي يصوره حرف الغين، وتكرار اللَّام، كما وظَّف المثل الجملة الفعلية للدلالة على الحدوث والتجدد؛ وذلك حال النفس الإنسانية فلا تثبت على حال.

ومما ورد فيه نثرًا قولهم: لقاء الخليل شفاء الغليل[(١)].

وقولهم: في اللقاء شفاء الغليل[(٢)].

وقال ابن أبي الحديد: "وفي هذا الكلام أمثال كثيرة، وألفاظ تجري مجرى الأمثال؛ ومن ذلك ما كتبته في وصايا توقيع بعض النظار وهو: الحركة الدائمة التي تذهب الكلال، وترهف الكليل، وتنزع الغل وتشفي الغليل، وتعقب الراحة"[(٣)].

(١) ينظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، "التمثيل والمحاضرة" تحقيق: عبد الفتاح الحلو، (ط٢، مصر: الدار العربية للكتاب، ١٤١٠هـ)، ص٤٦١؛ ومحمد بن أحمد الإبشيهي، "المستطرف في كل فن مستظرف"، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩هـ)، ص١٣٢.

(٢) ينظر: عبد الله بن محمد بن قتيبة، "عيون الأخبار"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ٤: ١٣٤.

(٣) عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، "الفلك الدائر على المثل السائر"، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ٤: ١٤٤-١٤٥.

٢– قوله: عشّه ووكره:

العش: ما يتخذه الطائر من الأشجار خاصة موضعًا للتفريخ[(١)].

والوكر: موضعُ الطائرِ الَّذِي يبيضُ فِيهِ ويُفْرِخُ وقد يكون في الحيطانِ والشجرِ والجبال[(٢)].

وقد استشهد ياقوت بهذا المثل في معرض حديثه عمن يستحق أن يكون في هذا الكتاب فقال: "وأما من عرف بالتصنيف، واشتهر بالتأليف، وصحّت روايته، وشاعت درايته، وقلّ شعره، وكثر نثره، فهذا الكتاب عشّه ووكره، وفيه يكون ثناؤه وذكره"[(٣)].

ومعنى هذا المثل أنَّ من اتصف بالصفات الواردة في النص فقد استحق أن يكون هذا الكتاب منزلًا وسكنًا له، فإنَّه سيجد فيه أفضل ما يريد من ذكر سيرته وإبداعه، وهذا فيه دلالة على الراحة؛ لما فيه هذا السكن من السعة والرخاء، فضلًا عن الاستقرار والوصول إلى البغية، وقد أبدع المثل في استدعاء صورة السكون والراحة.

ومما جرى مجرى هذا المثل للدلالة على سعة المكان وبلوغ الغاية القصوى قولهم: وَجَدَ تَمْرَةَ الغُرَابِ؛ ويضرب لمن وَجَدَ أفضلَ ما يريد، وظَفَر بالشيء النفيس؛ وذلك أنَّ الغراب يطلب من التمر أجودَه وأطيبه[(٤)].

---

(١) ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١: ٥٨؛ وأحمد بن فارس الرازي، "مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ٤: ٤٦، مادة: عش.

(٢) ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١٠: ١٩١؛ والجوهري، "الصحاح" ٢: ٨٤٩، مادة: وكر.

(٣) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ٨.

(٤) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص١٧٨؛ والحسن بن عبد الله العسكري، "جمهرة الأمثال"، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ٢: ٣٣٣؛ وأحمد بن محمد الميداني، "مجمع الأمثال"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط١، بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ٢: ٣٦٢.

كما يضرب لمن يجد ما يوافقه، فيسكن إليه، وتستريح نفسه له، ومن الأمثلة التي تضرب لذلك قولهم: وافق شنّ طبقة، يضرب مثلًا للشيئين يتفقان[(١)].

وقولهم: وجدت الدَّابَّة ظلفها؛ يضرب مثلًا للرجل يجد ما يوافقه[(٢)].

المطلب الثاني: الأمثال التي تضرب لظهور الأمر ووضوحه

قوله: فلم يكن عن صبح الكفاية سافرًا:

الإسفار الإضاءة والكشف والتوضيح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[المدثر:٣٤] أي: إذا أضاء[(٣)].

وقد أورد ياقوت هذا المثل عند حديثه عن مؤلفات العلماء المتعلقة بالأدباء مبينًا أنه لم يقف على ما يكشف له بغيته في هذا الصدد فقال: "مع أنّ جماعة من العلماء، والأئمة القدماء، أعطوا ذلك نصيبًا من عنايتهم وافرًا، فلم يكن عن صبح الكفاية سافرًا"[(٤)].

(١) اختلف في قصة المثل على روايتين؛ ينظر: تفصيلهما في: ابن سلام، "الأمثال"، ص١٧٧-١٧٨، والمفضل بن سلمة الضبي، "الفاخر في الأمثال"، تحقيق: عبد العظيم الطحاوي، ومحمد النجار، (ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ)، ص٤٧؛ والعسكري، "جمهرة الأمثال"، ٢: ٣٣٦-٣٣٧.

(٢) ينظر: زيد بن عبد الله الهاشمي، "الأمثال"، (ط١، دمشق: دار سعد الدين، ١٤٢٣هـ)، ١: ٢٦٢؛ ومحمود بن عمرو الزمخشري، "المستقصى في أمثال العرب"، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، ٢: ٣٧٢.

(٣) ينظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: أحمد شاكر، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ٢٤: ٣٣.

(٤) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ٥.

ومعنى هذا المثل أنَّه لم يُكشـــف له من تلك المؤلفات ما يوضـــح له الجوانب المختلفة من حياة الأدباء.

وإسفار الصبح يرد كثيرًا على سبيل ضرب المثل لظهور الأمر ووضوحه، ومنه قولهم: أسفر الصباح لذي عينين[(١)].

وقد بين الصبح لذي عينين، وأوضح الصبح لذي عينين؛ وتبلَّج الصبح لذي عينين، والمعنى: أضاء الصبح، ووضح الأمر لمن كان له أدنى بصيرة[(٢)].

وقولهم: أسفر لونه: إذا أشرق[(٣)].

ومما يجري مجراه من الأمثال –وإن اختلفت الألفاظ– قول امرأة العزيز: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[يوسف:٥١]، أي تبين واتضح وظهر[(٤)].

ومما يجري في معناه من الأمثال قولهم: صَرَّحَ الْحَقُّ عَن مَحْضِه[(٥)].

وهذه الأمثال تضرب لظهور الشيء واتضاحه، وبيانه بعد أن كان مستترًا خافيًا عن الأنظار، والرابط بينها وبين قول ياقوت: فلم يكن عن صبح الكفاية سافرًا؛ هو الظهور والوضوح والتبين، وإن كان قوله في صيغة النفي.

---

(١) ينظر: حيدر بن سليمان الحلي، "العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل"، تحقيق: أحلام عبود، (بابل–العراق: جامعة بابل مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، د.ت)، ص٤٨.

(٢) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص٥٩؛ والعسكري، "جمهرة الأمثال"، ١: ٢٧؛ والهاشمي، "الأمثال"، ص١٨٠.

(٣) ينظر: محمد بن مسلم بن قتيبة، "أدب الكاتب"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٤، مصر: المكتبة التجارية، ١٩٦٣م)، ص٢٧٨.

(٤) ينظر: أحمد بن محمد الثعلبي، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام ابن عاشور، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ)، ٥: ٢٢٩.

(٥) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص٥٩؛ والعسكري، "جمهرة الأمثال"، ١: ٢٧.

ولم أقف على من ذكر هذا المثل قبل ياقوت، وهنا تتجلى قدرته اللغوية على توظيف الأمثال مع التصرف في بنيتها بحيث تتلاءم مع ما يرمي إليه من معانٍ؛ فوظف خاصية التقديم والتأخير فقدم الجار والمجرور (عن عين الكفاية) على خبر كان (سافرًا)؛ وهذا له دلالته من لفت انتباه المتلقي، وتحويل بؤرة الاهتمام إلى (صبح الكفاية) التي تدل على مدى الحاجة للتوضيح وإظهار بغية المتلقي من ذلك المؤلف.

كما أنَّ الصورة البيانية تكسر أفق توقع القارئ قبل الانتقال للخبر.

المطلب الثالث: الأمثال التي تضرب للسبق والتقدم

١– قوله: أول من أعارهم طرفه، وسوّد في تبييض أخبارهم صحفه:

الإعارة هنا تعني الالتفات إلى الشيء والعناية به، والطرف كناية عن النظر في شأنهم[(١)].

التسويد: صبغُ الشيء باللون الأسود؛ يُقال: سوَّدَ وجهه، تسويدًا: إذا لوَّنَهُ بالسَّوادِ؛ ويطلق على الكتابة في الصحف[(٢)]، ومنه قول أبي تمام[(٣)]:

بِيضُ الصفائح لا سُودُ الصحائفِ في مُتُونِهِنَ جَلاَءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

وقد أورد ياقوت هذا المثل في معرض كلامه على أول من ألف في تراجم الأدباء

(١) ينظر: عبد الله بن جعفر بن دُرستويه، "تصحيح الفصيح"، تحقيق: محمد المختون، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٩هـ)، ص٥١٨؛ وأحمد مختار عمر، "معجم الصواب اللغوي"، (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ)، مادة: عور، ١: ٥٥.

(٢) ينظر: أحمد بن محمد الفيومي، "المصباح المنير في غريب شرح الكبير"، (ط١، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، مادة: سود، ١: ٢٩٤.

(٣) ينظر: حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، "ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي"، تحقيق: راجي الأسمر، (ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ)، ١: ٣١.

فقال: "كأبي بكر محمد بن عبد الملك التاريخي، وأرى أنه أول من أعارهم طرفه، وسوّد في تبييض أخبارهم صحفه"[(١)].

ومعنى هذا المثل أنَّ أبا بكر التاريخي هو أول من التفت إلى تراجم الأدباء وأولاهم عنايته واهتمامه، فسود في سيرهم صحائفه، أي ألف في سيرهم كتابًا.

ولم أقف على من ذكر هذا المثل قبل ياقوت، وإن كانت الأمثال في العناية بالشيء كثيرة منها قولهم:

تَقول ألق سَمعك، أَي اسْتمع بانتباه[(٢)].

وأنقه لي سمعك، وهو نفس معنى المثل السابق[(٣)].

وقَوْلهم جعلته نُصْب عَيْني؛ وذلك لشدة العناية به، وترك الغفلة عنه جعلته في هذا الموضع من نظري؛ لأن الشيء إذا كان بحيث تراه لم تنسه[(٤)]، ومنه قول امرئ الْقَيْس[(٥)]:

..... **وَبَات بعيني قَائِما غير مُرْسل**

(١) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ٥.

(٢) ينظر: العسكري، "جمهرة الأمثال"، ٢: ٢٨٦.

(٣) ينظر: أحمد يحيى ثعلب، "الفصيح"، تحقيق: د.عاطف مدكور. (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص٤٦؛ والعسكري، "جمهرة الأمثال"، ٢: ٢٨٦.

(٤) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص٢٥٣؛ والميداني، "مجمع الأمثال"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ١: ١٦٣.

(٥) امرؤ القيس بن حجر الكندي، "ديوان امرئ القيس"، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ)، ص١٦، وصدر البيت: (فَباتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلجامُهُ).

أي بات يرعاه ويحفظه ولم يهمله من شـــدة عنايته واهتمامه به[١].ويلفت انتباه القارئ في هذا المثل التجاذب الصوتي بين أطرافه وصحفه (أعارهم-أخيارهم) مما حقق موسيقى داخلية للمثل تطرب مسمع المتلقي، كما وظَّف المثل التضاد (سود-بيض) لدعم تلك الموسيقى الداخلية للمثل.

كما كان للصـورة حضـورها الفاعل في قوله: (أعارهم طرفه)؛ مما يحقق تداخلًا نصيًّا مع الشعر في قول العباس بن الأحنف[٢]:

نَزَف البُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْـــتَعِرْ عَـيْـنـاً لِـغَـيرِكَ دَمْـعُـهَـا مِـدْرَارُ

٢- قوله: وأن يفوز بقصب سبقه إلّاي:

القصب: كل نبات ساقه على شكل أنابيب[٣].

وهذا المثل يضـرب لإحراز الشـيء والفوز به قبل الآخرين، وقد اسـتشـهد به ياقوت عند الكلام في بيان حرصه على كتابه فقال: "واعلم أنَّني لو أعطيت حمر النّعم وسـودها، ومقانب الملوك وبنودها، لما سرّني أن يُنسـب هذا الكتاب إلى سـواي، وأن يفوز بقصب سبقه إلّاي"[٤].

وهذا المثل ورد بعدة روايات، منها:

(١) ينظر: يحيى بن علي التبريزي، "شرح القصائد العشر"، (ط٢، القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ)، ص٤٧.

(٢) العباس بن الأحنف، "ديوان العباس بن الأحنف"، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هـ)، ص١٣٩.

(٣) ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٨: ٢٩٤؛ والجوهري، "الصحاح"، ١: ٢٠١-٢٠٢، مادة: قصب.

(٤) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ١٣.

قولهم: حاز قصب السبق، وحوى قصب السبق، وفاز بقصب السبق، وملك قصب السبق، وأحرز قصب السبق، وأخذ قصب السبق[(١)].

وهذه الروايات تصب جميعها في معنى واحد، وهو الفوز بالشيء، والسبق إليه؛ قال البطليوسي: "هذا مثل مضروب للتقدم والتبريز على الأكفاء في كل شيء. وأصله أنهم كانوا إذا تسابقوا إلى غاية من الغايات، وخاطروا على ذلك، وضعوا الخطر على رأس قصبة وركزوها في الغاية التي يتحارون إليها، فمن سبق إليها أخذها، فصار ذلك مثلاً لكل من غولب فغلب"[(٢)].

ومن الأمثال التي تضرب للسبق إلى الشيء:

قولهم: استولى على الأمد، أي سبق إلى الغاية[(٣)]، قال النابغة[(٤)]:

إلاّ لِمِثْلِكَ أو مَن أنتَ سَـــابِقُهُ سَبْقَ الجَوادِ إذا استَولَىَ على الأَمِدِ

وقَوْلهم: هُوَ أَبُو عذرها؛ يُقال: فلان أبو عذر هذا الشيء أي إنه أول من سبق إِلَيْهِ واخترعه، وأصله في عذر الجارية؛ يقال لمن سبق إليها: هو أبو عذرها.

(١) ينظر: أحمد بن محمد الهروي، "الغريبين في القرآن والحديث"، تحقيق: أحمد المزيدي، (ط١، مكة المكرمة–الرياض: مكتبة نزار الباز، ١٤١٩هـ)، ٥: ١٥٤٨؛ وأحمد بن محمد المرزوقي، "شرح ديوان الحماسة"، تحقيق: غريد الشيخ، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ص١٠٨٥.

(٢) عبد الله بن محمد البطليوسي، "الاقتضاب في شرح أدب الكتاب"، تحقيق: مصطفى السقا، ود. حامد عبد المجيد، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م)، ١: ١٣٥.

(٣) الهروي، "الغريبين"، ٥: ١٥٤٨؛ والمفضل بن محمد الضبي، "أمثال العرب"، تحقيق: د. إحسان عباس، (ط٢، بيروت: دار الرائد، ١٤٠٣هـ)، ص١٤٠.

(٤) زياد بن معاوية النابغة الذبياني، "ديوان النابغة الذبياني"، تحقيق: عباس عبد الساتر، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، ص١٣.

ويروى: هو ابْن عذرها، أي المبدع لها[(١)].

المطلب الرابع: الأمثال التي تضرب للتريث وعدم العجلة

١–رُبَّ غَيْثٍ غبَّ البَارِقَةِ:

٢–ومُغِيثٍ تَحْتَ الخَافِقَةِ:

الغب الآخر، وغبت الأمور صارت إلى أواخرها، ويقولون: غَبَّ الأمرُ إذا صار إلى آخره[(٢)]؛ ومنه قول الشاعر[(٣)]:

غِبَّ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمَ السُّرَى .....

وقول ابن المعتز[(٤)]:

كَـأَنَّ سَمَـاءَنَا لَـمَّـا تَجَـلَّـتْ خِلَالَ نُجُومِهَا غِبَّ الصَّبَاحِ

رِيَاضُ بَنَفْسَـجٍ خَضِـلٍ نَدَاهُ تَفَتَّحَ بَيْنَـه نُورُ الْأَقَـاحِ

والبارقة: السحابة التي يكون فيها برق، يقال: ما فعلت البارقة التي رأيتها

(١) ينظر: محمود بن عمرو الزمخشري، "ربيع الأبرار ونصوص الأخبار"، (ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢هـ)، ٤: ٦٩.

(٢) ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٨: ٢٦؛ والرازي، "مقاييس اللغة"، ٤: ٣٧٩، مادة: غبب.

(٣) بلا نسبة في: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٨: ٦)؛ وسلمة بن مسلم الصُّحاري، "الإبانة في اللغة العربية"، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (ط١، مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٢٠هـ)، ٣: ٦٠٨.

(٤) عبد الله بن محمد بن المعتز، "ديوان ابن المعتز"، تحقيق: كرم البستاني، (ط١، بيروت: دار صادر، د.ت)، ص١٤٩.

البارحةَ؟ أي السحابة التي فيها برقٌ[(١)].

والخافقة: الراية؛ سميت بذلك لخفقانها، أي اضطرابها وحركتها[(٢)].

وهذان المثلان يضـــربان لعدم الندم على التأخير، وأن الخير قد يكون في آخر الأمور؛ ومعناه أن الغيث ربما يأتي في آخر الســحابة المبرقة، وأنَّ الغوث ربما يكون من حامل الراية الذي لم تجر العادة أن يقاتل سوى دفاعًا عن رايته.

وقد أوردهما ياقوت في معرض كلامه على تأخر تأليفه لكتابه فقال: "وكنت مع ذلك أقول للنفس مماطلا، وللهمة معاضـــلا، ربّ غيث غِبَّ البارقة، ومغيث تحت الخافقة، إلى أن هزم اليأس الطمع، واستولى الجدّ على اللعب والولع"[(٣)].

وقد ورد غب المطر، أو غب الغيث في عدد من الأمثال –وإن اختلف السـبب في ضربها–، ومنها قولهم:

أصابنا مطرٌ لا تَغِبَّةَ فيه، أي قد ملأ كلَّ شيءٍ[(٤)].

وقول المرقش الأكبر[(٥)]:

وَآخَـرَ شَـــاصٍ تَـرَى جِـلْـدَهُ كَقِشْـرْ الْقَتَادَةِ غِبَّ الْمَطَرِ

يصـف عدوه بأنَّه رافع رجليه منتفخ كقشـرة شـجر القتاد في آخر موسـم المطر

(١) ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٩: ١١٥؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ١٠: ١٤، مادة: برق.

(٢) ينظر: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، تحقيق: محمد العرقسوسي، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ)، مادة: خفق، ص٨٨٠.

(٣) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ٧.

(٤) إبراهيم بن إسحاق الحربي، "غريب الحديث"، تحقيق: د.سليمان العايد، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ)، ٢: ٦١٣.

(٥) عمرو بن سعد المرقش الأكبر؛ وربيعة بن سفيان المرقش الأصغر، "ديوان المرقشين"، تحقيق: كارين صادر، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م)، ص٥٤.

لجفافه[(١)].

أما الأمثال الواردة في الحث على التريث وعدم العجلة فكثيرة منها:

قول القطامي[(٢)]:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وقولهم: اللَّيْل طويلٌ وَأَنت مقمرٌ؛ ومعناه: اصبر على حاجتك فإنَّك تجدها في بقية ليلتك، فإنَّها طويلة ليس فيها ظلمة تمنعك عن التأني[(٣)].

وقولهم: رُبَّ عجلة تهب ريثًا[(٤)]؛ ومعناه: أنَّ الرجل ربما عجل في أمر ليفعله سريعًا فأودى به عجله إلى البطء؛ وذلك بسبب تضييع ما ينبغي أن يحافظ عليه[(٥)].

ويتجلى هنا سحر التجاوب الموسيقي حيث تناغمت الأصوات تناغمًا جذَّابًا على المستوى الصوتي المتمثل في القافية الداخلية بين (البارقة–الخافقة)، (غيث–مغيث)؛ فضلًا عن تكرار حرف الغين الذي تردد صداه في المثل.

المطلب الخامس: الأمثال التي تضرب لبيان فساد الفرع لفساد أصله

قوله: إذا كان اللسان معوجًّا متى يستقيم ما هو به:

هذا المثل يضرب لعدم صلاح أمر أساسه فاسدٌ، وقد استشهد به ياقوت في

(١) ينظر: ابن سلام، "الأمثال" ص٢٣٣؛ والعسكري، "جمهرة الأمثال"، ١: ١٣٦.

(٢) عمير بن شييم القطامي، "ديواني القطامي"، تحقيق: د.إبراهيم السامرَّائي، وأحمد مطلوب، (ط١، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م)، ص٢٥.

(٣) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص٢٣٢؛ ومؤرج بن عمرو السدوسي، "كتاب الأمثال"، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، (ط١، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٢م)، ص٥٤.

(٤) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص٢٣٢؛ والهاشمي، "الأمثال"، ص١٣٥.

(٥) ينظر: اليوسي، "زهر الأكم"، ٣: ٤٣.

معرض حديثه عن أهمية علم العربية فقال: "وحسبك من شرف هذا العلم أنّ كلّ علم على الإطلاق مفتقر إلى معرفته، محتاج إلى استعماله في محاورته، وصاحبه فغير مفتقر إلى غيره، وغير محتاج إلى الاعتضاد والاعتماد على سواه، فإن العلم إنما هو باللسان، فإذا كان اللسان معوجّا متى يستقيم ما هو به؟"[(١)].

ومن أشهر الأمثال التي تضرب لهذا المعنى قولهم:

متى يستقيم الظل والعود أعوج[(٢)]؟ أي لا يمكن للظل أن يكون مستقيمًا إذا كان العود المنعكس عنه أعوج.

وقول الشاعر[(٣)]:

إِذَا كَانَ رَبُّ البَيْتِ بِالدُّفِ مُوْلَعًا فَشِيْمَةُ أَهْلِ الدَّارِ كلّهمُ الرَّقْصُ

ومثله الآخر[(٤)]:

إِذَا كَانَ رَبُّ الدَّارِ لِلطَّبْلِ ضَارِبًا فَلَا تَلُمِ الصِّبْيَانَ فِيهَا عَلَى الرَّقْصِ

ومثله الآخر[(٥)]:

(١) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ١٠.

(٢) البيت بلا نسبة في: محمد بن أيدمر المستعصمي، "الدر الفريد وبيت القصيد"، تحقيق: د.كامل الجبوري، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ)، ٣: ٨٤.

(٣) البيت بلا نسبة في: المستعصمي، "الدر الفريد"، ٣: ٨٤؛ ومحمد بن حسين العاملي، "الكشكول"، تحقيق: محمد النمري، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ١: ٢٦٤.

(٤) البيت بلا نسبة في: المستعصمي، "الدر الفريد"، ٣: ٨٤.

(٥) البيت لأعرابية لم تسم، ينظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب"، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص٣٩٠؛ وأبو بكر بن علي ابن حجة الحموي، "ثمرات الأوراق"، (القاهرة: مكتبة الجمهورية العربية، د.ت)، ٢: ٢٧١.

إِذَا كَانَ الطِّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ فَلَا أَدَبٌ يُفِيدُ وَلَا أَدِيبُ

هذه الأمثلة كلها تضرب لعدم صحة استقامة أمر إذا كان أصله معوجًا.

وقد اعتمد هذا المثل في تركيبه على الإثارة الذهنية للمتلقي؛ وذلك عن طريق الاستفهام الاستنكاري وخاصية تتابع الضمائر (ما هو به) مما غذى جمالية المتلقي.

المطلب السادس: الأمثال التي تضرب لبيان الضروريات

قوله: من تكلّف دليلاً على ضياء النهار، وإشراق الشمس.

التكلف: المشقة في طلب الشيء وتحصيله[(١)].

استشهد ياقوت بهذا المثل في معرض حديثه على أهمية علم العربية فقال: "وإن أردت إقامة الدليل على شأن أهل هذا الشأن، وإيضاح فضلهم بالدلائل والبرهان، كنت كمن تكلّف دليلا على ضياء النهار، وإشراق الشمس وإحراق النار"[(٢)].

هذا المثل يضرب لتكلف دليل على الأمور الواضحات التي لا تحتاج إلى دليل؛ كضياء النهار، وطلوع الشمس، ومن الأمثال الواردة في هذا المعنى:

قولهم: اشتهار الشمس في رابعة النهار؛ أي إن شهرة هذا الأمر كشهرة النهار فلا يحتاج إلى دليل أو برهان على صحته[(٣)].

وقول الشاعر[(٤)]:

(١) ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١٠: ١٤٠؛ والجوهري، "الصحاح"، ٤: ١٤٢٣، مادة: كلف.

(٢) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ١٠.

(٣) محمد بن مرتضى الزبيدي، "حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق"، عني به: محمد بلال، (ط١، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١١هـ)، ص٢٤؛ ومحمد بن محمد الجزائري، "نضرة البهار في محاورة الليل والنهار"، عنى به: د. محمد الطيان، (ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـ)، ص١٢٩.

(٤) المستعصمي، "الدر الفريد"، ٧: ١٣٤.

دَلَالَتُهُ فِي الْفَضْلِ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَلَيْسَ عَلى شَمْسِ النَّهَارِ دَلِيلُ

أي إن الممدوح يدل بنفسه على فضله فلا يحتاج إلى من يبرهن عليه؛ كما لا تحتاج شمس النهار إلى دليل[(١)].

وقولهم: وهل تخفى الشمس رابعة النهار[(٢)].

ومثله قولهم: وُضوح الشَّمس في رابعة النهار[(٣)].

أي الشمس أشد ما تكون وضوحًا في رابعة النهار، وهو وسطه؛ فلا يمكن أن تخفى عن ذي بصر، وما أحسن قول المتنبي[(٤)]:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

أي إذا احتاج النهار إلى دليل يدل عليه لم يبق هنالك شيء صحيح[(٥)].

وقول الآخر[(٦)]:

طَلَبتَ عَلَى مَكَارِمنَا دَلِيلًا مَتَى احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

(١) ينظر: أحمد بن عبد الوهاب النويري، "نهاية الأرب في فنون الأدب"، (ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ)، ٨: ٦٣.

(٢) ينظر: عبد الله فكري باشا بن محمد، "نظم اللآل في الحكم والأمثال"، شرح: عبد المعين الملوحي، (د.ط، د.ن، د.ت)، ص٤١.

(٣) ينظر: الجزائري، "نضرة البهار"، ص: ١٢٩.

(٤) ينظر: أحمد بن الحسين المتنبي، "ديوان أبي الطيب المتنبي"، تحقيق: علي فاعور، (ط١، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ)، ص٣٤٣.

(٥) ينظر: إسماعيل بن عباد الطالقاني المشهور بالصاحب بن عباد، "الأمثال السائرة من شعر المتنبي"، تحقيق: محمد آل ياسين، (ط١، بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٥هـ)، ص٤٦.

(٦) البيت بلا نسب في: المستعصمي، "الدر الفريد"، ٧: ١٣٤.

المطلب السابع: الأمثال التي تضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له

قوله: ليس ذا عشّك فادرجي ولا مبيتك فأدلجي:

الإدراج: المشي في خطى متقاربة؛ ومنه قولهم: درج الصبي إذا بدأ المشي[(١)].

والإدلاج: السير في أول الليل، وقيل: السير في الليل كله[(٢)].

وهذا المثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له، ولا يلائمه؛ وقد استشهد به ياقوت في معرض حديث عمن لا ينبغي لهم الاطلاع على كتابه من الجهال فقال: "وأما أهل الجهل والغي، والفهاهة والعيّ، فليس ذا عشّك فادرجي، ولا مبيتك فأدلجي"[(٣)].

وهذا المثل تداولته كتب الأمثال، وشرحت معناه، قال أبو هلال العسكري: "قولهم: ليس بعشك فأدرجي، أي ليس مما ينبغي لك فَزُل عنه"[(٤)].

وقال البكري في شرح معناه: "أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق فدعه، وقد يضرب مثلاً للرجل ينزل المنزل لا يصلح له"[(٥)].

وقال الهاشمي: "أي ليس بمكانك فانتقلي عنه"[(٦)].

أما الثعالبي فقال: إنه مثل يضرب "للمستدفَع عما يدعيه"[(٧)].

---

(١) ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١٠: ٣٤١؛ والجوهري، "الصحاح"، ١: ٣١٤، مادة: درج.

(٢) ينظر: الجوهري، "الصحاح"، ١: ٣١٥؛ والفيومي، المصباح المنير، ١: ١٩٨، مادة: دلج.

(٣) الحموي، "معجم البلدان"، ١: ١١.

(٤) العسكري، "جمهرة الأمثال"، ٢: ١٩٧.

(٥) عبد الله بن عبد العزيز البكري، "فصل المقال في شرح كتاب الأمثل"، تحقيق: د. إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١م)، ص٤٠٣.

(٦) الهاشمي، "الأمثال"، ١: ٢٠٦.

(٧) الثعالبي، "التمثيل والمحاضرة"، ص٣٦٣.

ومن الأمثال التي ضُربت في هذا المعنى:

قولهم: كالحادي وليس له بعير، يضْـــرب للرجل ينتحل ما لا يُحســـنهُ؛ والحُدُوُّ: السَّوْق من وراء الإبل[(١)].

وقولهم: وَحْمَى ولا حَبَل، يضـــرب بمن يطلب ما لا يحتاج إليه من حرصـــه؛ لأنَّ الوحمى تشتهي كلّ شيء؛ ومعناه أنه يشتهي كما تشتهي الحبلى[(٢)].

وبالوقوف على العلاقات التركيبية في المثل وما ألحقه دخول (ليس) على الجملة الاسمية من تحولات حيث نقلتها من الإثبات إلى النفي؛ وهذا الاســـتدلال يوضـــح انتفاء السكون لانتفاء السكن.

كما بين للقارئ الأسلوب البياني الساحر في توظيف الصورة المجازية المتمثلة في العش والمبيت.

المطلب الثامن: الأمثال التي تضرب للحث على الجد والاجتهاد

١– من جَدَّ وَجَدْ.

جدَّ: أي اجتهد، وثابر وبذل غاية وســـعه في طلب أمر ما، ونقيض التهاون والكسل[(٣)].

هذا المثل يضـرب للدلالة على أنَّ من ثابر في تحصـيل أمر واجتهد فيه لابد أن يظفر به، وقد اســـتشـــهد به ياقوت في معرض حديثه على النهي عن تتبع زلات

(١) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص٢٠٨؛ والعسكري، "جمهرة الأمثال"، ١: ١٨٦؛ والميداني، "مجمع الأمثال"، ٢: ١٤٢.

(٢) ينظر: العسكري، "جمهرة الأمثال"، ٢: ٣٣٥؛ والهاشمي، "الأمثال"، ١: ٢٦٤؛ والميداني، "مجمع الأمثال"، ٢: ١٤٢.

(٣) ينظر: إسحاق بن إبراهيم الفارابي، "معجم ديوان الأدب"، تحقيق: د.أحمد مختار، (ط١، القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ)، مادة: جدد، ٣: ١٣٩.

المصنف الواقعة في الكتاب فقال: "وليتأمّله بعين الإنصاف لا الانحراف، فمن طلب عيبا وجدّ وجد"[(١)].

ومن الأمثال التي تضرب في هذا الشأن:

قوله: من غلى دماغه في القيظ غلت قدره في الشتاء؛ أي من اجتهد في الصيف في طلب الرزق توفر له في الشتاء[(٢)].

وقولهم: في كدِّ البدنِ رَوْحُ الرُّوحِ، أي إنَّ تعب البدن في التحصيل يريح النفس بحصول المراد والمطلوب[(٣)].

وقولهم: اكدح تربح[(٤)].

وقول الشاعر[(٥)]:

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُطَالِبُهُ فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

٢- كلّ مجتهد مصيب:

الاجتهاد: افتعال من الجهد والطاقة، وهو بذل الوسع في طلب الأمر، وهو ضد

(١) الحموي، "معجم البلدان"، ١: ١١.

(٢) ينظر: العسكري، "جمهرة الأمثال"، ٢: ١٦٥.

(٣) ينظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، "الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب"، تحقيق: د.إلهام المفتي، (ط١، القاهرة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ)، ص٢٣٧؛ والزمخشري، "ربيع الأبرار"، ٣: ٤٦٨.

(٤) ينظر: محمد بن قاسم بن الخطيب، "روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار"، (ط١، حلب. دار القلم العربي، ١٤٢٣هـ)، ص٣٥٣.

(٥) البيت لمحمد بن يسير، وهو في: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "الشعر والشعراء"، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ)، ٢: ٨٦٨؛ والمستعصمي، "الدر الفريد"، ١١: ١٥٧.

الكسل والتواني[(١)].

وهذا المثل يضرب لمن يجتهد ويبذل الأسباب ولا يتكل على الأماني والأحلام؛ وقد استشهد به ياقوت في معرض حديثه عن طلبه ممن يقرأ كتابه هذا أن يلتمس العذر له فقد اجتهد وبلغ وسعه، وهو بهذا مصيب –إن شاء الله– فقال: "فرحم الله امرءًا قهر هواه، وأطاع الانصاف ونواه، وعذرنا في خطأ إن كان مِنَّا، وزلل إن صدر عنّا، فالكمال محال لغير ذي الجلال...وإن عجز عن الاعتذار عنا والتصويب، فقد علم أن كلّ مجتهد مصيب..."[(٢)].

وقد وردت أمثال كثيرة في هذا المعنى، منها:

قولهم: الاجتهادُ في العمل، أصْوبُ من الاتكال على الأماني[(٣)].

وقول الشاب الظريف[(٤)]:

رَمَى فَأَصَابَ قَلْبِي بِاجْتِهَادٍ صَدَقْتُمْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبُ

وقول الشريف الرضي[(٥)]:

(١) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٧١٠؛ ومحمد بن محمد الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ)، مادة: جهد، ٤: ٤٠٩.

(٢) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ١١.

(٣) ينظر: علي بن محمد الماوردي، "الأمثال والحكم"، تحقيق: د.فؤاد أحمد. (ط١، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٠هـ)، ص٨٤.

(٤) ينظر: محمد بن سليمان التلمساني المعروف بالشاب الظريف، "ديوان الشاب الظريف"، تحقيق: شاكر شكر. (ط١، النجف: مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ)، ص١٥.

(٥) ينظر: محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي، "ديوان الشريف الرضي"، (ط١، بيروت: دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٠هـ)، ٢: ٣٧٢.

لكُـلّ مُجتَهِـدٍ حَظٌّ مِنَ الطّلَـبِ فَاسْبِقْ بِعَزْمِكَ سَيْرَ الأَنْجُمِ الشهب

وقولهم: اطلب تظفر، أي اسعى لما تريد تظفر به[(١)].

وقولهم: ألق دلوك في الدلاء، يضرب مثلًا في الحث على الاكتساب وترك التواني في طلب الرزق، وينسب إلى علي ﷺ، وقيل: بل هو من قول أبي الاسود الدؤلي[(٢)].

وقولهم: إنَّ السِّلاَءَ لِمَنْ أقام وَوَلَّدَ.

السِّـــلاء بالمد: الســـمن المذاب؛ والمعنى أن المنفعة لمن بذل الجهد وأعان على العمل، لا لمن تكاسل وأهمل؛ ويضرب في ذم الكسل[(٣)].

وقول الصفدي[(٤)]:

الجَدُّ في الجَدِّ والحرمانُ في الكسلِ فانْصَبْ تُصِبْ عن قريبٍ غايةَ الأملِ الشهب

وقد قيل: "إذا أردت السلامة من الفاقة، والبعد عما يوجب الندامة، فاسعَ لكسب المال بأســبابه، وعليك بالعمل، وتجنب الكســل؛ فإن من زرع حصــد، ومن جد وجد"[(٥)].

المطلب التاسع: الأمثال التي تضرب لبيان قيمة الأشياء

قوله: أعطيت حمر النّعم وسودها:

(١) ينظر: العسكري، "جمهرة الأمثال"، ١: ٧٣.

(٢) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص١٩٩؛ والعسكري، "جمهرة الأمثال"، ١: ٥٢.

(٣) ينظر: الميداني، "مجمع الأمثال"، ١: ٧٧.

(٤) ينظر: أحمد بن محمد الشرواني، "نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن"، (ط١، مصر: مطبعة التقدم العلمية، ١٣٢٤هـ)، ص١٤٨.

(٥) حسين بن محمد المهدي، "صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال"، راجعة: عبد الحميد المهدي، (ط١، صنعاء: دار الكتاب، ٢٠٠٩م)، ص١٨٢.

النعم: الإبل[(١)].

وحمر النعم: كرام الإبل يضرب وهي أفضل ما يكون منها، وهذا المثل تضربه العرب في الشيء الذي تُجلّه وتعظّمه، أو الشيء العزيز النفيس[(٢)].

وقد استشهد به ياقوت في معرض حديثه عن مكانة كتابه عنده فقال: "واعلم أنَّني لو أعطيت حمر النّعم وسودها، ومقانب[(٣)] الملوك وبنودها، لما سرّني أن يُنسب هذا الكتاب إلى سواي"[(٤)].

هذا المثل استشهد به النبي ﷺ في أكثر من حديث منها:

قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: (انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)[(٥)].

ومن الأمثال التي تضرب في هذا المعنى قولهم:

قولهم: هذا لا يشتريه إلّا وارث؛ وذلك لغلاء ثمنه[(٦)].

---

(١) ينظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة: نعم، ٢: ٩٥٣.

(٢) ينظر: الصُّحاري، "الإبانة في اللغة"، مادة: نعم، ١: ٢٨٤.

(٣) جمع مِقنب، وهو ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل. ينظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة: قنب، ١: ٣٧٤.

(٤) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ١٣.

(٥) أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري"، تحقيق: محمد الناصر، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ٥: ١٨، رقم: ٣٧٠١؛ ومسلم بن الحجاج القشيري، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ٤: ١٨٧٢، رقم: ٢٤٠٦.

(٦) ينظر: محمد بن الحسن الخوارزمي، "الأمثال المولدة"، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٤هـ)، ص١٦٨.

وقولهم: هذا واحد أمّه؛ وذلك أنَّ الوحيد لا تبخل عليه أمه بشيء[(١)].

قَوْلهم: إنَّه نَسِيج وَحده؛ أي لا نظير له، وأصله الثَّوْب النفيس لا ينسج على منواله أثواب غيره، وإنما ينسج وَحده؛ ويضرب في مدح الرجل الْمُنْقَطع القرين الذي لا نظير له[(٢)].

وقولهم: أَصَابَ تَمْرَةَ الغُرَابِ؛ يضرب لمن يَظْفَر بالشيء النفيس؛ لأنَّ الغراب يختار أَجْوَدَ التمر[(٣)].

المطلب العاشر: الأمثال التي تضرب للتمييز بين القوة والضعف

قوله: ستعرف الظالع من الضليع:

الظالع –ويروى: الضالع بالضاد المعجمة–: المائل[(٤)].

والضليع: العظيم الخَلْق، القوي الشديد[(٥)].

وهذا المثل يضرب للتفريق بين المختل الضعيف والمكتمل القوي، والمفاضلة بين الأشياء؛ وقد استشهد به ياقوت في معرض حديثه عن المقارنة بين كتابه وكتب غيره فقال: "فحملهم منعي على احتذائه، وتصنيف شرواه في استوائه، وما أظنّهم يشقّون غباره، ولا يحسنون ترتيبه وأسطاره، وإن وقفت لنظر الجميع، ستعرف

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: العسكري، "جمهرة الأمثال"، ٢: ٣٠٣؛ والزمخشري، "المستقصى في أمثال العرب"، ٢: ٣٦٧.

(٣) ينظر: الميداني، "مجمع الأمثال"، ١: ٤٠٤.

(٤) ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٢: ١٧٨؛ والزبيدي، "تاج العروس"، ١١: ٣١٠، مادة: ضلع.

(٥) ينظر: القاسم بن علي الحريري، "مقامات الحريري"، تحقيق: يوسف بقاعي، (ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م)، ص١٣.

الظالع من الضليع"[١].

وقد ورد هذا المثل بعدة روايات، منها: هيهات لا يدرك شأو الضليع هذا الضالع، وإنْ لمْ يُدْرِكِ الظّالِعُ شأوَ الضّليعِ[٢]؛ قال الشاعر[٣]:

ما ظالعٌ مثلَ الضّليعِ ولا ارتقى يوماً الى الجوزاءِ من يتسلّقُ

ومن الأمثال التي تضرب في هذا المعنى؛ لبيان التفاضل بين الأمور.

قولهم: فِي كل شَجَرَة نَارٌ، واستمجد المرخ والعفار[٤]؛ يضرب مثلًا في تفضيل بَعض الأمور على بعض؛ فلكل واحدٍ منهم فضلٌ إلَّا أنَّ بعضهم أفضل من بعض[٥].

وقولهم: فِي القَمَرِ ضِياءٌ، والشَّمْسُ أضْوَأ منه؛ يضرب في تفضيل الشيء على مثله[٦].

وقولهم: لَيْتَ حَفْصَةَ مِنْ رِجَالِ أمّ عَاصِمٍ؛ من أمثال أهل المدينة؛ وأصله أنَّ عمر ﷺ مرَّ بسُوق من أسواق المدينة، فرأى امرَأةً معها لبن تبيعه، ومعها بنت لها شابة، فهمَّت العجوز أن تَمْذُقَ[٧] لبَنَها، فجعلت الشابة تقول: يا أمه، لا تَمْذُقيه،

(١) الحموي، "معجم الأدباء"، ١: ١٤.

(٢) ينظر: أحمد بن علي السبكي، "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي. (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ)، ١: ٢٨.

(٣) البيت في: محمد بن محمد الأصفهاني، "خريدة القصر وجريدة العصر"، (د.ط، د.ن، د.ت)، ١: ٧.

(٤) المرخ والعفار: شجرتان يصنع من أغصانهما الزناد. ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة: عفر، ٢: ٢١٢.

(٥) ينظر: ابن سلام، "الأمثال"، ص١٣٥–١٣٦؛ والميداني، "مجمع الأمثال"، ٢: ٧٤.

(٦) ينظر: الميداني، "مجمع الأمثال"، ٢: ٧٤.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ٢: ٢٠٣.

فوقف عليها عمر ﷺ وقال لها: من هذه منك؟ فقالت: ابنتي، فأمر عاصمًا فتزوجها، فولدت له أم عاصم وحفصة، فتزوج عبد العزيز بن مروان أم عاصم، فكانت حَسَنة العِشْرة لينة الجانب، فولدت له عمر، فلما ماتت خلف على حفصة، فكانت سيئة الخلق تؤذى أحماءها، فسئل رجل عن حفصة وأم عاصم، فَقَال: ليت حَفْصَة من رجال أم عاصم، فذهبت مثلاً[(١)].

وقولهم: ما الخوَافِي[(٢)] كالقُلَبَةِ[(٣)]، وَلاَ الخُنَّازُ[(٤)] كالثُّعْبَةِ[(٥)]، أي لا يكون القشرْ كاللب، وهذا المثل يضرب في تفضيل الشيء بعضِه على بعضٍ[(٦)].

(١) المذق: خلط اللبن بالماء. ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة: مذق، ٩: ٧٧.

(٢) الخوافي: سَعَفُ النخل الذي دون القُلَبَة. ينظر: علي بن الحسن الهُنَّائي، "المنتخب من كلام العرب"، تحقيق: د.أحمد العمري. (ط١، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ)، مادة: خفي، ١: ٤٥٥.

(٣) القلبة: رأس النخلة اللين الذِي لم يشتد، وَقيل: الخوص الذي يلي أعلاها. ينظر: ابن سيده، "المخصص"، ٣: ٢١١.

(٤) الخُنَّاز: الوَزَغَة. ينظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة: خنز، ٧: ٩٦.

(٥) الثُّعَبْة: نوع من الوزغ. ينظر: علي بن إسماعيل بن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، مادة: ثغب، ٦: ٣٢٣.

(٦) ينظر: العسكري، "جمهرة الأمثال"، ٢: ٢٨٧؛ والميداني، "مجمع الأمثال"، ٢: ٢٨٢.

الخاتمة

أولًا: نتائج البحث:

الحمد لله على التمام، والشكر له أن تم هذا العمل، الذي عايشته فترة ليست بالقليلة، ومن أبرز ما توصلت له من نتائج:

١- أهمية مقدمات الكتب فهي تصور للقارئ موضوع الكتاب، ومضامينه؛ وتمثل الباب الذي يولج منه لقراءة الكتاب.

٢- القيمة الفنية العالية لمقدمة كتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي؛ لما حوته من تنوع وثراء في المادة العلمية، لا سيما القيمة الأدبية نظمًا ونثرًا.

٣- غزارة الأمثال التي استشهد بها المؤلف في مقدمته.

٤- تنوع مضارب الأمثال التي وردت في المقدمة، وتوظيف المؤلف لكل مثل لبيان الغرض الذي أتى به من أجله.

٥- الكشف عن أمثال تفرد بها ياقوت الحموي نحو قوله: "أول من أعارهم طرفه، وسوّد في تبييض أخبارهم صحفه"، وقوله: "فلم يكن عن صبح الكفاية سافرًا".

٦- أن تضمين المؤلف للأمثال لم يكن تضمينًا هامشيًا على سبيل تنميق الألفاظ، والبلاغة والبيان، بل يُعد ركيزة أساسية من الركائز التي قامت عليها مقدمته للكتاب.

٧- براعة المؤلف التي تكمن في قدرته على تحويل المثل إلى أداة فلسفية يسوق من خلالها لفكرة الكتاب وقيمته العلمية، وإبراز تمكن ومقدرة مؤلفه.

٨- أن المقدمة نموذج حيّ لكيفية توظيف التراث الأدبي المتمثل في الأمثال توظيفًا يخدم أفكار الكتّاب.

٩- من خلال تحليل ودراسة الأمثال الواردة في مقدمة كتاب "معجم الأدباء" يمكن

القول بأنَّ هذه المقدمة عبارة عن رسالة أدبية موجزة تحث على مكارم الأخلاق، وتنهى عن مساوئها.

ثانيًا: توصيات البحث:

توصي الدراسة بالعناية بمقدمات الكتب، ودراستها دراسة أدبية فاحصة، تسبر غورها، وتكشف مكنوناتها، وبنيتها اللغوية، ويمكن تناولها من عدة زوايا لا تخفى على الباحثين.

المصادر والمراجع

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، "الفلك الدائر على المثل السائر"، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).

ابن الأحنف، العباس بن الأحنف، "ديوان العباس بن الأحنف"، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هـ).

ابن الخطيب، محمد بن قاسم، "روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار"، (ط١، حلب. دار القلم العربي، ١٤٢٣هـ).

ابن الساعي، علي بن أنجب، "الدر الثمين في أسماء المصنفين"، تحقيق: أحمد شوقي، ومحمد حنشي، (ط١، تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣٠هـ).

ابن المستوفي، مبارك بن أحمد، "تاريخ إربل"، حققه وعلق عليه: سامي الصفار، (ط١، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م).

ابن المعتز، عبد الله بن محمد، "ديوان ابن المعتز"، تحقيق: كرم البستاني، (ط١، بيروت: دار صادر، د.ت).

ابن المعذل، عبد الصمد، "ديوان عبد الصمد بن المعذل"، تحقيق: زهير زاهد، (ط١، النجف: مطبعة النعمان، ١٣٩٠هـ).

ابن حجة الحموي، أبو بكر بن علي، "ثمرات الأوراق"، (القاهرة: مكتبة الجمهورية العربية، د.ت).

ابن حجر، أحمد بن علي، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

ابن خلكان، أحمد بن محمد، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٠م).

ابن دُرستويه، عبد الله بن جعفر، "تصحيح الفصيح"، تحقيق: محمد المختون، (القاهرة:

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٩هـ).
ابن دريد، محمد بن الحسن، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي البعلبكي، (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
ابن ربيعة المهلهل، "ديوان المهلهل بن ربيعة"، شرح: طلال حرب، (ط١، مصر: الدار العالمية، د.ت).
ابن سلام، أبو عبيد القاسم "الأمثال"، تحقيق: د.عبد المجيد قطامش، (ط١، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ).
ابن سيده، علي بن إسماعيل، "المحكم والمحيط الأعظم"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
ابن سيده، علي بن إسماعيل، "المخصص"، تحقيق: خليل جفال، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ).
ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، "التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد"، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكر، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ).
ابن قتيبة، عبد الله بن محمد، "عيون الأخبار"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، "الشعر والشعراء"، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ).
ابن قتيبة، محمد بن مسلم، "أدب الكاتب"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٤، مصر: المكتبة التجارية، ١٩٦٣م).
ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب". تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، (ط١، القاهرة: دار المعارف، د.ت).
أبو تمام، حبيب بن أوس، "ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي"، تحقيق: راجي

الأسمر، (ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ).
الإبشيهي، محمد بن أحمد، "المستطرف في كل فن مستظرف"، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩هـ).
أحمد بن محمد الهروي، "الغريبين في القرآن والحديث"، تحقيق: أحمد المزيدي، (ط١، مكة المكرمة–الرياض: مكتبة نزار الباز، ١٤١٩هـ).
الأخفش، علي بن سليمان، "الاختيارين"، تحقيق: فخر الدين قباوة، (ط١، دمشق–بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠هـ).
الأزهري، محمد بن أحمد، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
الأصفهاني، محمد بن محمد، "خريدة القصر وجريدة العصر"، (د.ط، د.ن، د.ت).
البخاري، محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، تحقيق: محمد الناصر، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
البطليوسي، عبد الله بن محمد، "الاقتضاب في شرح أدب الكتاب"، تحقيق: مصطفى السقا، ود.حامد عبد المجيد، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م).
البكري، عبد الله بن عبد العزيز، "فصل المقال في شرح كتاب الأمثل"، تحقيق: د.إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١م).
بني ياسين، يوسف أحمد، "بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية، ٥٧٤–٦٢٦هـ: ١١٧٨–١٢٢٩م"، (ط١، أبو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٤م).
بوعافية، عيسى، "مفهوم النظرية والمفاهيم ذات الحقل الدلالي المشترك: المدخل، المقاربة، النموذج"، بحث مقدم لندوة توظيف النظرية في بحوث الإعلام والاتصال.
التبريزي، يحي بن علي، "شرح القصائد العشر"، (ط٢، القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ).

التفتازاني، مسعود بن عمر، "مختصر المعاني"، (ط١، قُمّ: دار الفكر، ١٤١١هـ).
الثعالبي، عبد الملك بن محمد، "التمثيل والمحاضرة" تحقيق: عبد الفتاح الحلو، (ط٢، مصر: الدار العربية للكتاب، ١٤١٠هـ).
الثعالبي، عبد الملك بن محمد، "الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب"، تحقيق: د.إلهام المفتي، (ط١، القاهرة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ).
الثعالبي، عبد الملك بن محمد، "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب"، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
ثعلب، أحمد يحيى، "الفصيح"، تحقيق: د.عاطف مدكور. (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
الثعلبي، أحمد بن محمد، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام ابن عاشور، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ).
الجرجاني، علي بن محمد، "التعريفات"، ضبطه مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣هـ).
الجزائري، محمد بن محمد، "نضرة البهار في محاورة الليل والنهار"، عنى به: د.محمد الطيان، (ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـ).
الجوهري، إسماعيل بن حماد، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، (ط١، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١م).
الحربي، إبراهيم بن إسحاق، "غريب الحديث"، تحقيق: د.سليمان العايد، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ).

الحريري، القاسم بن علي، "مقامات الحريري"، تحقيق: يوسف بقاعي، (ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م).

الحسن بن عبد الله العسكري، "جمهرة الأمثال"، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

الحلي، حيدر بن سليمان، "العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل"، تحقيق: أحلام عبود، (بابل–العراق: جامعة بابل مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، د.ت).

الحموي، ياقوت بن عبد الله، "معجم الأدباء"، تحقيق: د.إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣هـ).

الخطفى، جرير بن عطية، "ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب"، تحقيق: د.نعمان طه، (ط٣، القاهرة: دار المعارف، د.ت).

الخوارزمي، محمد بن الحسن، "الأمثال المولدة"، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٤هـ).

الدمياطي، أحمد بن أيبك، "المستفاد من ذيل تاريخ بغداد"، تحقيق: مصطفى عطا، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ).

الذهبي، محمد بن أحمد، "العبر في خبر من غبر"، تحقيق: محمد زغلول، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية العبر، د.ت).

الذهبي، محمد بن أحمد، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، تحقيق: عمر تدمري. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

الرازي، أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

الزبيدي، محمد بن محمد، "تاج العروس من جواهر القاموس"، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ).

الزبيدي، محمد بن مرتضى، "حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق"، عني به: محمد بلال، (ط١، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١١هـ).

الزمخشري، محمود بن عمر، "الفائق في غريب الحديث"، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد

أبو الفضل، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، د.ت).
الزمخشري، محمود بن عمرو، "المستقصى في أمثال العرب"، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).
الزمخشري، محمود بن عمرو، "ربيع الأبرار ونصوص الأخبار"، (ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢هـ).
السبكي، أحمد بن علي، "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي. (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ).
السدوسي، مؤرج بن عمرو، "كتاب الأمثال"، تحقيق: د.رمضان عبد التواب، (ط١، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٢م).
سلمة بن مسلم الصُّحاري، "الإبانة في اللغة العربية"، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (ط١، مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٢٠هـ).
الشاب الظريف، محمد بن سليمان، "ديوان الشاب الظريف"، تحقيق: شاكر شكر. (ط١، النجف: مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ).
الشرواني، أحمد بن محمد، "نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن"، (ط١، مصر: مطبعة التقدم العلمية، ١٣٢٤هـ).
الشريف الرضي، محمد بن الحسين، "ديوان الشريف الرضي"، (ط١، بيروت: دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٠هـ).
الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد، "الأمثال السائرة من شعر المتنبي"، تحقيق: محمد آل ياسين، (ط١، بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٥هـ).
الصفدي، خليل بن أيبك، "الوافي بالوفيات"، باعتناء: إبراهيم شبوح، (ط١، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٣٠هـ).
الضبي، المفضل بن سلمة، "الفاخر في الأمثال"، تحقيق: عبد العظيم الطحاوي، ومحمد

النجار، (ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ).

الضبي، المفضل بن محمد، "أمثال العرب"، تحقيق: د.إحسان عباس، (ط٢، بيروت: دار الرائد، ١٤٠٣هـ).

الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: أحمد شاكر، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

الطوفي، سليمان بن عبد القوي، "شرح مختصر الروضة"، تحقيق: د.عبد الله التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م).

العاملي، محمد بن حسين، "الكشكول"، تحقيق: محمد النمري، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

عمر، أحمد مختار، "معجم الصواب اللغوي"، (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، "معجم ديوان الأدب"، تحقيق: د.أحمد مختار، (ط١، القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ).

فتحي، مصطفى، "موسوعة الأمثال العربية"، (ط١، عمَّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، "العين"، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).

فكري باشا، عبد الله بن محمد، "نظم اللآل في الحكم والأمثال"، شرح: عبد المعين الملوحي، (د.ن، د.ت).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، "القاموس المحيط"، تحقيق: محمد العرقسوسي، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ).

الفيومي، أحمد بن محمد، "المصباح المنير في غريب شرح الكبير"، (ط١، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت).

القطامي، عمير بن شييم، "ديواني القطامي"، تحقيق: د.إبراهيم السامرَّائي، وأحمد مطلوب، (ط١، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م.

القفطي، علي بن يوسف، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل، (ط٢، مصر: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٠هـ).

الكاتب، علي بن خلف. "مواد البيان"، تحقيق: د.حسين عبد اللطيف، (طرابلس– ليبيا: منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٢م).

الكندي، امرؤ القيس بن حجر، "ديوان امرئ القيس"، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، (ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ).

الماوردي، علي بن محمد، "الأمثال والحكم"، تحقيق: د.فؤاد أحمد. (ط١، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٠هـ).

المتنبي، أحمد بن الحسين، "ديوان أبي الطيب المتنبي"، تحقيق: علي فاعور، (ط١، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ).

المرزوقي، أحمد بن محمد، "شرح ديوان الحماسة"، تحقيق: غريد الشيخ، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

المرزوقي، أحمد بن محمد، "شرح فصيح ثعلب"، تحقيق: سليمان العايد، (ط١، الرياض: من إصدارات كرسي د.عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، ٢٠١٤م).

المرقش الأكبر، عمرو بن سعد؛ والمرقش الأصغر، ربيعة بن سفيان، "ديوان المرقشين"، تحقيق: كارين صادر، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م).

المستعصمي، محمد بن أيدمر، "الدر الفريد وبيت القصيد"، تحقيق: د.كامل الجبوري، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ.

القشيري، مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت:

دار إحياء التراث العربي، د.ت).
المناوي، محمد عبد الرؤوف، "التوقيف على مهمات التعاريف"، تحقيق: محمد الداية، (ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٤١٠هـ).
المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، "التكملة لوفيات النقلة"، تحقيق: د.بشار معروف، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م).
المهدي، حسين بن محمد، "صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال"، راجعة: عبد الحميد المهدي، (ط١، صنعاء: دار الكتاب، ٢٠٠٩م).
الميداني، "مجمع الأمثال"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
الميداني، أحمد بن محمد، "مجمع الأمثال"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط١، بيروت: دار المعرفة، د.ت).
النابغة الذبياني، زياد بن معاوية، "ديوان النابغة الذبياني"، تحقيق: عباس عبد الساتر، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).
النويري، أحمد بن عبد الوهاب، "نهاية الأرب في فنون الأدب"، (ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ).
الهاشمي، زيد بن عبد الله، "الأمثال"، (ط١، دمشق: دار سعد الدين، ١٤٢٣هـ).
الهُنَّائي، علي بن الحسن، "المنتخب من كلام العرب"، تحقيق: د.أحمد العمري. (ط١، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ).
يعقوب، إيميل، "موسوعة أمثال العرب"، (ط١، بيروت: دار الجيل.، ١٤١٥هـ).
اليوسي، الحسن بن مسعود، "زهر الأكم في الأمثال والحكم"، تحقيق: د.محمد حجي، ود.محمد الأخضر، (ط١، الدار البيضاء: الشركة الجديدة، ودار الثقافة، ١٤٠١هـ).

Bibliography

Ibn Abī al-Ḥadīd, ʻAbd al-Ḥamīd ibn Hibat Allāh, "al-falak al-dāʾir ʻalá al-mathal al-sāʾir", investigated by: Aḥmad al-Ḥūfī and Badawi Ṭabānah, (Cairo: Dār Nahḍat Miṣr).

Ibn al-Aḥnaf, al-ʻAbbās ibn al-Aḥnaf, "Dīwān al-ʻAbbās ibn al-Aḥnaf", (1st ed, Beirut: Dār Ṣādir, 1398 AH).

Ibn al-Khaṭīb, Muḥammad ibn Qāsim. "Rawḍ al-akhyār al-Muntakhab min Rabīʻ al-abrār", (1st ed, Ḥalab. Dār al-Qalam al-ʻArabī, 1423 AH).

Ibn al-Sāʻī, ʻAlī ibn Anjab. "al-Durr al-thamīn fī Asmāʾ al-Muṣannifīn". Investigated by: Aḥmad Shawqī and Muḥammad Ḥanashī, (1st ed, Tunisia: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1430 AH).

Ibn al-Mustawfī, Mubārak ibn Aḥmad. "Tārīkh Irbal", investigation and commentary: Sāmī al-Ṣaffār. (1st ed, Baghdad: Publications of the Ministry of Culture and Information, 1980).

Ibn al-Muʻtazz, ʻAbdullāh ibn Muḥammad. "Dīwān Ibn al-Muʻtazz", investigated by: Karam al-Bustānī, (1st ed, Beirut: Dār Ṣādir).

Ibn al-Muʻadhal, ʻAbd al-Ṣamad, "Dīwān ʻAbd al-Ṣamad ibn al-Muʻadhdhal", investigated by: Zuhayr Zāhid, (1st ed, al-Najaf : Maṭbaʻat al-Nuʻmān, 1390 AH).

Ibn Hujjat al-Ḥamawī, Abū Bakr ibn ʻAlī. "Thamarāt al-awrāq", (Cairo: Maktabat al-Jumhūrīyah al-ʻArabīyah).

Ibn Ḥajar, Aḥmad ibn ʻAlī. "Fatḥ al-Bārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī", (1st ed, Beirut: Dār al-Maʻrifah, 1379 AH).

Ibn Khillikān, Aḥmad ibn Muḥammad. "wafayāt al-aʻyān wa-anbāʾ abnāʾ al-Zamān", investigated by: Iḥsān ʻAbbās. (1st ed, Beirut: Dār Ṣādir, 1970).

Ibn Durustawaih, ʻAbdullāh ibn Jaʻfar. "taṣḥīḥ al-faṣīḥ", investigated by: Muḥammad al-Makhtūn. (Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs, 1419 AH).

Ibn Duraid, Muḥammad ibn al-Ḥasan. "Jamharat al-lughah", investigated by: Ramzī al-Baʻlabakkī, (1st ed, Beirut: Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, 1987).

Ibn Rabīʻah al-Muhalhil, "Dīwān al-Muhalhil ibn Rabīʻah", commentary: Ṭalāl Ḥarb, (1st ed, Egypt: al-Dār al-ʻĀlamīyah).

Ibn Sallām, Abū ʻUbaid al-Qāsim. "al-amthāl", investigated by: Dr. ʻAbd al-Majīd Qaṭāmish. (1st ed, Damascus: Dār al-Maʾmūn lil-Turāth, 1400 AH).

Ibn Seedah, ʻAlī ibn Ismāʻīl. "al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-Aʻẓam", investigated by: ʻAbd al-Ḥamīd Hindāwī, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2000).

Ibn Seedah, ʻAlī ibn Ismāʻīl, "al-Mukhaṣaṣ", investigated by: Khalīl Jaffāl, (1st ed, Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 1417 AH).

Ibn ʻAbd al-Barr, Yūsuf ibn ʻAbdillāh, "al-Tamhīd li-mā fī al-Muwaṭṭa' min al-asānīd", investigated by: Muṣṭafá al-ʻAlawī and Muḥammad al-Bakr, (Morocco: Ministry of Public Endowments and Islamic Affairs, 1387 AH).

Ibn Qutaibah, ʻAbdullāh ibn Muḥammad, "ʻUyūn al-akhbār", (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1418 AH).

Ibn Qutaibah, ʻAbdullāh ibn Muslim, "al-shiʻr wa-al-shuʻarā'", (Cairo: Dār al-ḥadīth, 1423 AH).

Ibn Qutaibah, Muḥammad ibn Muslim, "adab al-Kātib", investigated by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʻAbd al-Ḥamīd, (4th ed., Egypt: al-Maktabah al-Tijārīyah, 1963).

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, "Lisān al-ʻArab". Investigated by: ʻAbdullāh al-kabīr, Muḥammad Ḥasab Allāh & Hāshim al-Shādhilī, (1st ed, Cairo: Dār al-Maʻārif).

Abū Tammām, Ḥabīb ibn Aws, "Dīwān Abī Tammām be-sharḥ al-Khaṭīb al-Tabrīzī", investigated by: Rājī al-Asmar, (2nd ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1414 AH).

Al-Ibshihi, Muḥammad ibn Aḥmad, "al-Mustatraf fī kulli Fann mustaẓraf", (1st ed, Beirut: ʻĀlam al-Kutub, 1419 AH).

Aḥmad ibn Muḥammad al-Harawī, "al-Gharibain fī al-Qur'ān wa-al-ḥadīth", investigated by: Aḥmad al-Mazīdī, (1st ed., Makkah al-Mukarramah-Riyadh: Maktabat Nizār al-Bāz, 1419 AH).

al-Akhfash, ʻAlī ibn Sulaymān, "al-Ikhtiyārain", investigated by: Fakhr al-Dīn Qabāwah, (1st ed, Damascus-Beirut: Dār al-Fikr, Dār al-Fikr al-muʻāṣir, 1420 AH).

al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tahdhīb al-lughah", investigated by: Muḥammad ʻAwaḍ, (1st ed, Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 2001).

al-Aṣfahānī, Muḥammad ibn Muḥammad, "Kharīdat al-qaṣr wa-jarīdat al-ʻaṣr", (no information).

al-Baṭloyosī, ʻAbdullāh ibn Muḥammad, "al-Iqtiḍāb fī sharḥ adab al-Kitāb", investigated by: Muṣṭafá al-Saqqā and Dr. Ḥāmid ʻAbd al-Majīd, (Cairo: Maṭbaʻat Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 1996).

al-Bukharī, ʻAbdullāh ibn ʻAbd al-ʻAzīz, "Faṣl al-maqāl fī sharḥ Kitāb

al-amthal", investigated by: Dr. Iḥsān ʻAbbās, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1971).
Banī Yāsīn, Yūsuf Aḥmad, "Buldān al-Andalus fī aʻmāl Yāqūt al-Ḥamawī al-jughrāfīyah, 574-626h: 1178-1229m", (1st ed, Abu Dabi: Zayed Center for Heritage and History, 2004).
Bou'afiyah, ʻĪsá, "The Concept of Theory and Concepts Sharing a Common Semantic Field: The Approach, the Method, and the Model". A paper presented to the symposium "Applying Theory in Media and Communication Research.
al-Tabrīzī, Yaḥyá ibn ʻAlī, "sharḥ al-qaṣā'id al-ʻasharr", (2nd ed, Cairo: Idārat al-Ṭibāʻah al-Munīrīyah, 1352 AH).
al-Taftāzānī, Masʻūd ibn ʻUmar, "Mukhtaṣar al-maʻānī", (1st ed, Qum: Dār al-Fikr, 1411 AH).
al-Thaʻālibī, ʻAbd al-Malik ibn Muḥammad, "al-tamthīl wa-al-muḥāḍarah" investigated by: ʻAbd al-Fattāḥ al-Ḥulw, (2nd ed, Egypt: al-Dār al-ʻArabīyah lil-Kitāb, 1410 AH).
al-Thaʻālibī, ʻAbd al-Malik ibn Muḥammad, "al-shakwá wa-al-ʻitāb wa-mā waqaʻa lil-khillān wa-al-Aṣḥāb", investigated by: Dr. Ilhām al-Muftī, (1st ed, Cairo: The National Council for Culture, Arts and Literature, 1421AH).
al-Thaʻālibī, ʻAbd al-Malik ibn Muḥammad, "Thimār al-qulūb fī al-muḍāf wa-al-Mansūb ", (Cairo: Dār al-Maʻārif).
Thaʻlab, Aḥmad Yaḥyá, "al-faṣīḥ", investigated by: Dr. ʻĀṭif Madkūr. (Cairo: Dār al-Maʻārif).
al-Thaʻlabī, Aḥmad ibn Muḥammad, "al-kashf wa-al-bayān ʻan tafsīr al-Qur'ān", investigated by: al-Imām Ibn ʻĀshūr, (1st ed, Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 1422 AH).
al-Jurjānī, ʻAlī ibn Muḥammad, "al-Taʻrifāt", edited by a group of scholars under the supervision of the publisher, (Beirut: Dar al-Kutub al-ʻIlmiyya, 1983 AH).
al-Jazā'irī, Muḥammad ibn Muḥammad, "Naḍrat al-bahār fī muḥāwarat al-lail wa-al-nahār", investigated by: Dr. Muḥammad al-Ṭayyān, (1st ed, Beirut: Dār al-Bashā'ir al-Islāmīyah, 1421 AH).
al-Jawharī, Ismāʻīl ibn Ḥammād, "al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-ʻArabīyah", investigated by: Aḥmad ʻAṭṭār, (4th ed., Beirut: Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, 1987).
Ḥājjī Khalīfah, Muṣṭafá ibn ʻAbdillāh, "Kashf al-ẓunūn ʻan asāmī al-Kutub wa-al-Funūn", (1st ed, Baghdad: Maktabat al-Muthanná, 1941).

al-Ḥarbī, Ibrāhīm ibn Isḥāq, "Gharīb al-ḥadīth", investigated by: Dr. Sulaimān al-ʻĀyid, (1st ed, Makkah al-Mukarramah: Umm al-Qurá university, 1405 AH).
al-Ḥarīrī, al-Qāsim ibn ʻAlī, "Maqāmāt al-Ḥarīrī", investigated by: Yūsuf Biqāʻī, (1st ed, Beirut: Dār al-Kitāb al-Lubnānī, 1981).
al-Ḥasan ibn ʻAbdillāh al-ʻAskarī, "Jamharat al-amthāl", (Beirut: Dār al-Fikr).
al-Ḥillī, Ḥaidar ibn Sulaimān. "al-ʻIqd al-Mufaṣṣal fī Qabīlat al-Majd al-maʼthal", investigated by: Aḥlām ʻAbbūd, (Babil-Iraq: University of Babylon, Babylon Center for Civilizational and Historical Studies).
al-Ḥamawī, Yāqūt ibn ʻAbdillāh, "Muʻjam al-Udabāʼ", investigated by: Dr. Iḥsān ʻAbbās, (1st ed, Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1993 AH).
Al-Khaṭfá, Jarīr ibn ʻAṭīyah, "Dīwān Jarīr be-sharḥ Muḥammad ibn Ḥabīb", investigated by: Dr. Nuʻmān Ṭāhā, (3rd ed., Cairo: Dār al-Maʻārif).
al-Khuwārizmī, Muḥammad ibn al-Ḥasan, "al-amthāl al-muwalladah", (Abu Dabi: al-Majmaʻ al-Thaqāfī, 1424 AH).
al-Dimyāṭī, Aḥmad ibn Aybak, "al-Mustafād min Dhail Tārīkh Baghdād", investigated by: Muṣṭafá ʻAṭā, (2nd ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1425 AH).
al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, "al-ʻibarr fī khabarr min ghabarr", investigated by: Muḥammad Zaghlūl, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah).
al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tārīkh al-Islām wa-wafayāt al-mashāhīr wa-al-aʻlām", investigated by: ʻUmar Tadmurī. (1st ed, Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1407 AH).
al-Rāzī, Aḥmad ibn Fāris, "Maqāyīs al-lughah", investigated by: ʻAbd al-Salām Hārūn, (Beirut: Dār al-Fikr, 1399 AH).
al-Zabidī, Muḥammad ibn Muḥammad, "Tāj al-ʻarūs min Jawāhir al-Qāmūs", (1st ed, Beirut: Dār al-Fikr, 1414 AH).
al-Zabidī, Muḥammad ibn Murtaḍá, "Ḥikmat al-Ishrāq ilá Kitāb al-Āfāq", investigated by: Muḥammad Bilāl, (1st ed, Cairo: Maṭbaʻat al-madanī, 1411 AH).
al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʻUmar, "al-fāʼiq fī Gharīb al-ḥadīth", investigated by: ʻAlī al-Bajāwī and Muḥammad Abū al-Faḍl, (2nd ed, Beirut: Dār al-Maʻrifah).
al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʻAmr, "al-Mustaqṣá fī Amthāl al-ʻArab",

(2nd ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1987).
al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Amr, "Rabī‘ al-abrār wa-nuṣūṣ al-akhbār", (1st ed., Beirut: Mu’assasat al-A‘lamī, 1412 AH).
al-Subkī, Aḥmad ibn ‘Alī, "‘Arūs al-afrāḥ fī sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ", investigated by: Dr. ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī. (1st ed, Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, 1423 AH).
al-Sadousi, Mu'arrij ibn ‘Amr, "Kitāb al-amthāl", investigated by: Dr. Ramaḍān ‘Abd al-Tawwāb, (1st ed, Beirut: Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, 1982).
Salamah ibn Muslim al-Suḥāry, "al-Ibānah fī al-lughah al-‘Arabīyah", investigated by a group of researchers, (1st ed, Muscat: Ministry of National Heritage and Culture, 1420 AH).
al-Shābb al-Ẓarīf, Muḥammad ibn Sulaimān, "Dīwān al-shābb al-Ẓarīf", investigated by: Shākir Shukr. (1st ed, Najaf: Maṭba‘at al-Najaf, 1387 AH).
al-Shirwānī, Aḥmad ibn Muḥammad, "Nafḥat al-Yaman fīmā yazūlu be-dhikrihi al-Shajan", (1st ed, Egypt: Maṭba‘at al-Taqaddum al-‘Ilmīyah, 1324 AH).
al-Sharīf al-Raḍī, Muḥammad ibn al-Ḥusain, "Dīwān al-Sharīf al-Raḍī", (1st ed, Beirut: Dār Ṣādir, Dār Beirut, 1380 AH).
al-Ṣāḥib ibn ‘Abbād, Ismā‘īl ibn ‘Abbād, "al-amthāl al-sā’irah min shi‘r al-Mutanabbī", investigated by: Muḥammad Āl Yāsīn, (1st ed, Baghdad: Maktabat al-Nahḍah, 1965 AH).
al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak, "al-Wāfī be-al-Wafayāt", supervision of: Ibrāhīm Shabbūḥ, (1st ed, Beirut: The German Institute for Oriental Studies, 1430 AH).
al-Ḍabbī, al-Mufaḍḍal ibn Salamah, "al-fākhir fī al-amthāl", investigated by: ‘Abd al-‘Aẓīm al-Ṭaḥāwī and Muḥammad al-Najjār, (1st ed, Cairo: Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, ‘Īsá al-Bābī al-Ḥalabī, 1380 AH).
al-Ḍabbī, al-Mufaḍḍal ibn Muḥammad, "Amthāl al-‘Arab", investigated by: Dr. Iḥsān ‘Abbās, (2nd ed, Beirut: Dār al-Rā’id, 1403 AH).
al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, "Jāmi‘ al-Bayān fī Ta’wīl al-Qur’ān", investigated by: Aḥmad Shākir, (1st ed, Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1420 AH).
al-Ṭūfī, Sulaimān ibn ‘Abd al-Qawī, "Sharḥ Mukhtaṣar al-Rawḍah", investigated by: Dr. ‘Abdullāh al-Turkī, (1st ed, Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1987).

al-ʻĀmilī, Muḥammad ibn Ḥusain, "al-Kashkūl", investigated by: Muḥammad al-Nimrī, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1418 AH).

ʻUmar, Aḥmad Mukhtār, "Muʻjam al-ṣawāb al-lughawī", (1st ed, Cairo: ʻĀlam al-Kutub).

al-Fārābī, Isḥāq ibn Ibrāhīm, "Muʻjam Dīwān al-adab", investigated by: Dr. Aḥmad Mukhtār, (1st ed, Cairo: Mu'assasat Dār al-Shaʻb, 1424 AH).

Fatḥī, Muṣṭafá, "Mawsūʻat al-amthāl al-ʻArabīyah", (1st ed, Oman: Dār Usāmah, 2013).

al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, "al-ʻAyn", investigated by: Dr. Mahdī al-Makhzūmī and Dr. Ibrāhīm al-Sāmarrā'ī, (Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl).

Fikrī Bāshā, ʻAbdullāh ibn Muḥammad, "naẓm al-la'āl fī al-ḥukm wa-al-amthāl", commentary: ʻAbd al-Muʻīn al-Mallūḥī, (no information).

al-Fairūzābādī, Muḥammad ibn Yaʻqūb, "al-Qāmūs al-muḥīṭ", investigated by: Muḥammad al-ʻAraqsousy, (8th ed., Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1426 AH).

al-Fayyūmī, Aḥmad ibn Muḥammad, "al-Miṣbāḥ al-munīr fī Gharīb sharḥ al-kabīr", (1st ed, Beirut: al-Maktabah al-ʻIlmīyah).

al-Qaṭāmī, ʻUmair ibn Shuyaim, "Dīwānī al-Qaṭāmī", investigated by: Dr. Ibrāhīm al-Sāmurrā'i and Aḥmad Maṭlūb, (1st ed, Beirut: Dār al-Thaqāfah, 1960).

al-Qifṭī, ʻAlī ibn Yūsuf, "Inbāh al-ruwāh ʻalá anbāh al-nuḥāh", investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl, (2nd ed, Egypt: Maṭbaʻat Dār al-Kutub wa-al-Wathā'iq al-Qawmīyah, 1430 AH).

al-Kātib, ʻAlī ibn Khalaf. "mawādd al-Bayān", investigated by: Dr. Ḥusain ʻAbd al-Laṭīf, (Tripoli-Libya: publications of al-Fātiḥ university, 1982).

al-Kindī, Imru' al-Qais ibn Ḥajar, "Dīwān Imri' al-Qais", investigated by: ʻAbd al-Raḥmān al-Muṣṭāwy, (2nd ed, Beirut: Dār al-Maʻrifah, 1425 AH).

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl, "Ṣaḥīḥ al-Bukhārī", investigated by: Muḥammad al-Nāṣir, (1st ed, Beirut: Dār Ṭawq al-najāh, 1422 AH).

al-Māwardī, ʻAlī ibn Muḥammad, "al-amthāl wa-al-Ḥikam", investigated by: Dr. Fu'ād Aḥmad. (1st ed, Riyadh: Dār al-waṭan, 1420 AH).

al-Mutanabbī, Aḥmad ibn al-Ḥusain, "Dīwān Abī al-Ṭayyib al-Mutanabbī", investigated by: ʻAlī Fāʻūr, (1st ed, Beirut: Dār Beirut, 1403 AH).
al-Marzūqī, Aḥmad ibn Muḥammad, "Sharḥ Dīwān al-Ḥamāsah", investigated by: Gharīd al-Shaykh, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1424 AH).
al-Marzūqī, Aḥmad ibn Muḥammad, "sharḥ Faṣīḥ Thaʻlab", investigated by: Sulaymān al-ʻĀyid, (1st ed, Riyadh: From the publications of the Dr. Abdulaziz Al-Manea Chair for Arabic Language and Literature Studies, King Saud university, 2014).
Al-Muraqish al-Akbar, ʻAmr ibn Saʻd and al-Muraqish al-Aṣgharr, Rabīʻah ibn Sufyān, "Dīwān al-Muraqish", investigated by: Kārīn Ṣādir, (1st ed, Beirut: Dār Ṣādir, 1998).
al-Mustaʻṣimī, Muḥammad ibn Aydamur, "al-Durr al-farīd wa-Bayt al-qaṣīd", investigated by: Dr. Kāmil al-Jubūrī, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1436 AH).
al-Qushairī, Muslim ibn al-Ḥajjāj, "Ṣaḥīḥ Muslim", investigated by: Muḥammad Fu'ād ʻAbd al-Bāqī , (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī).
al-Munāwī, Muḥammad ʻAbd al-Ra'ūf, "al-Tawqīf ʻalá muhimmāt al-taʻārīf", investigated by: Muḥammad al-Dāyah, (1st ed, Beirut: Dār al-Fikr al-muʻāṣir, Damascus: Dār al-Fikr, 1410 AH).
al-Mundhirī, ʻAbd al-ʻAẓīm ibn ʻAbd al-Qawī, "al-Takmilah li-wafayāt al-naqalah", investigated by: Dr. Bashshār Maʻrūf, (2nd ed, Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1981).
al-Mahdī, Ḥusain ibn Muḥammad, "Ṣayd al-afkār fī al-adab wa-al-akhlāq wa-al-Ḥikam wa-al-amthāl", revised by: ʻAbd al-Ḥamīd al-Mahdī, (1st ed, Sana: Dār al-Kitāb, 2009).
al-Maidānī, "Majmaʻ al-amthāl", investigated by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʻAbd al-Ḥamīd, (Beirut: Dār al-Maʻrifah).
al-Maidānī, Aḥmad ibn Muḥammad, "Majmaʻ al-amthāl", investigated by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʻAbd al-Ḥamīd, (1st ed, Beirut: Dār al-Maʻrifah).
al-Nābighah al-Dhubyānī, Ziyād ibn Muʻāwiyah, "Dīwān al-Nābighah al-Dhubyānī", investigated by: ʻAbbās ʻAbd al-Sātir, (3rd ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1416 AH).
al-Nuwairī, Aḥmad ibn ʻAbd al-Wahhāb, "nihāyat al-arab fī Funūn al-adab", (1st ed, Cairo: Dār al-Kutub wa-al-Wathā'iq al-Qawmīyah, 1423 AH).

al-Hāshimī, Zaid ibn ʻAbdillāh, "al-amthāl", (1st ed, Damascus: Dār Saʻd al-Dīn, 1423 AH).

al-Hunnā'i, ʻAlī ibn al-Ḥasan, "al-Muntakhab min kalām al-ʻArab", investigated by: Dr. Aḥmad al-ʻUmarī. (1st ed, Makkah al-Mukarramah: The Institute of Scientific Research and the Revival of Islamic Heritage at Umm Al-Qura University, Umm al-Qura university, 1409 AH).

Yaʻqūb, Imil, "Mawsūʻat Amthāl al-ʻArab", (1st ed, Beirut: Dār al-Jīl., 1415 AH).

al-Yūsī, al-Ḥasan ibn Masʻūd, "Zahr al-Akam fī al-amthāl wa-al-Ḥikam", investigated by: Dr. Muḥammad Ḥajjī and Dr. Muḥammad al-Akhḍar, (1st ed, Casablanca: al-Sharikah al-Jadidah, Dar al-Thaqafah, 1403 AH).

شرف الدين يحيى الأصيلي المصري (ت١٠١٠ هـ)
حياته وما تبقى من شعره
جمع وتحقيق ودراسة

Sharaf al-Din Yahya al-Asili al-Misri (d. 1010 AH)
His Life and the Remaining Poetry
Collection, Investigation and Study

أ.م.د. ازاد محمد كريم الباجلاني

قسم اللغة العربية بكلية التربية الأساسية بجامعة كرميان– اقليم كردستان

الجمهورية العراقية

البريد الإلكتروني: azaad.mohammed@garmian.edu.krd

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
19/09/2025		24/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-006		

الملخص

هذا جمعٌ وتوثيقٌ وتحقيقٌ ودراسةٌ لحياة وشعر شرف الدين يحيى الأصيلي المصري، أحد علماء وشعراء مصر، وهو من الأعلام المغمورين، ممن عاش في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر للهجرة. والذي لم يعط حقه من البحث والدراسة قديماً وحديثاً، وقد أتت عوادي الزمن على أكثر شعره وأخباره؛ إذ نجزم أن هذا ليس كل شعره. وعلى كلٍّ فقد رتَّبنا ما تبقى منها في هذا المجموع بحسب القوافي، وترقيم الأَبيات والنصوص الشعرية، وقدمنا للشعر المجموع بدراسة عن حياته، وأبرز السمات الموضوعية والفنية لشعره، وكذلك تحقيق مخطوطة قصيدته وإظهارها للنور؛ لتكون إضافة مهمة لهذا المجموع، ومن الله التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحية: شرف الدين، الأصيلي، المصري، شعر.

Abstract

This is a collection, documentation, investigation and study of the life and poetry of Sharaf al-Din Yahya al-Asili al-Misri, one of Egypt's scholars and poets. He is one of the obscure figures who lived at the end of the tenth century and the beginning of the eleventh century AH. He is a poet who has not been granted the recognition he deserves, neither by early scholars nor by modern researchers. Time has swept away much of his poetry and the stories surrounding him, and we are convinced that what survives is only a fraction of his original work. We have organized the remnants of his poetry in this volume by rhyme, numbering the verses and poetic passages. Before presenting the collected poems, we offer a study of his life and the prominent thematic and artistic qualities of his poetry. We also present a newly edited edition of the manuscript of his poem, bringing it to light as an important contribution to this collection. We ask Allaah for success and guidance.

Keywords: Sharaf al-Din, Al-Asili, the Egyptian, poetry.

المقدمة

إن تراث الأدب العربي مليء بالكنوز الدفينة، منها ما تم الكشف عنه ومنها ما ينتظر، ولا سيما في عصر أو مرحلة عُرفت عند بعض الناس وسميت بالمتأخرة، وهي المرحلة التي تلت سقوط بغداد وبعدها الأندلس، وهذا العصر وسم بالانحطاط والظلام عند دارسي أدب هذا العصر.

ومن بين الشخصيات الأدبية والعلمية في هذا العصر الذي أهمل ذكره ولم يصلنا من شعره الشيء الكثير، الأديب الشاعر شرف الدين يحيى الأصيلي المصري، الذي لم يتعرض له أحد بالدرس والعناية ــ حسب علمنا ــ، وإن كان بعض كتاب عصره أو العصور اللاحقة له، قد نقلوا بعض شعره وذكروا شيئًا من أخباره في كتبهم فهي كتابات قليلة لا توفي الرجل حقه، ولا تمنحه قدره، وشعره لا يزال يحتاج إلى جمع وتحقيق ودراسة، وهذا ما تمَّ فعله بحول الله.

وقد تمَّ جمع شعره من مظانه في كتب القدماء، مثل: ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، وخبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، وسلافة العصر في محاسن أهل العصر، ونشوة السلافة ومحل الإضافة ...وغيرها.

كذلك تحقيق مخطوطة إحدى قصائده التي ذكرت ضمن مجموع كتبها أحد تلامذته النجباء وهو الشاعر الأديب يوسف المغربي. فكان إضافة مهمة لم يتم التطرق لها في أي من المظان التي ترجمتْ له وذكرت شيئًا من شعره.

ويحيى الأصيلي واحد من الشعراء الذين عاشوا في نهاية القرن العاشر وكانت وفاتهم في بداية القرن الحادي عشر، له مؤلف مفقود يسمى بـ(التذكرة)، ولا نعلم شيئًا عنه سوى الشيء اليسير المنقول عنه في بعض المضان التي سنشير إليها في الدراسة. أمَّا ديوان شعره فهو مفقود لم يصلنا، بل لا نعلم إن كان له ديوان أصلاً، إذ لم يشر من ترجم له أن له شعرًا مجموعًا في دفتي كتاب. كذلك لم يقم بهذا الأمر أحد

الدارسين حديثًا _ حسب علمي.

وقد تمَّ البحث عن أشعاره في مظانها وجمعها، وتحقيقها تحقيقًا علميًا، كما يجب أن يعطى الرجل حقة من العناية والدراسة، ثم أوردنا ثبتًا بأشعاره محققة تحقيقًا علميًا في نهاية البحث. فقد كان شاعرًا وكاتبًا، وعلى الرغم من أن ما وصل إلينا من شعره لا يمثل إلا جزءًا يسيرًا؛ لأن ما ضاع منه كان أكثر مما بين أيدينا، وهو ما يحول دون تكوين صورة مكتملة عن تجربته الشعرية. غير أن ما وصلنا يحمل في طياته جهده ومكانته الأدبية والعلمية يستحق العناية والدرس، وأن نوليه اهتمامًا خاصًا؛ وذلك لوجود ظواهر وأساليب خاصة بالشاعر، وإلقاء الضوء على أهم ظواهر الشعر في هذا العصر.

أهداف البحث:

يرمي البحث إلى عدة أهداف، هي:

١_ جمع وتحقيق شعر يحيى الأصيلي وإظهاره للنور، ولا سيما المخطوط منه.

٢_ إعطاء الشاعر حقه من الدرس والعناية.

٣_ إظهار مكانته الشعرية والأدبية، من خلال كلام معاصريه ومن جاء بعده، دليلًا للإجادة والمكانة العلمية، وإثبات ذلك في دراسة شعره بشكلٍ دقيق.

منهجي في الجمع والتحقيق:

_ جمع نتاج يحيى الأصيلي الشعري، من شتيت المظان، وكتب الطبقات والتراجم، التي ترجمتْ لحياته وأَوردت شيئاً من نتاجه الأدبي.

_ إعطاء كل نص شعري رقماً يُسّهل عملية الرجوع إليه في التخريج والدراسة.

_ ترتيب شعره على القوافي حسب الحروف الأبجدية، مع إثبات البحر الشعري لكل نص، ورقمت الأَبيات، وأحلت عليها في اختلاف الروايات بين المظان المختلفة.

_ اعتماد رواية المصدر الأقدم _الأصح أَو الأرجح_ الذي روى شعره، مع

مقابلته بالتخريج، والاختلاف مع رواية المصادر الأخرى.

_ تصدير المجموع الشعري بدراسة عن حياة الشاعر ونتاجه الشعري، من حيث الأغراض الموضوعية، والسمات الفنية بما يقتضي الدراسة وما يستحقه الشاعر.

_ تقديم صورة وافية عَمَّا تحتويه المخطوطة التي كانت قصيدة الشاعر من ضمن محتوياتها المجموعة، وبيان ما فيها من كتب ورسائل ومقامات، ومن ثمَّ تحقيق هذه القصيدة وإظهارها إلى النور.

وسوف يسير البحث على الخطة التالية:

– المقدمة، وبها أسباب اختيار الموضوع، وأهم المظان التي ذكرت وأوردت شيئًا عن حياته وشعره. ثم خطة وأهداف البحث. والمنهج الذي سار عليه الباحث في الجمع والتحقيق.

– **القسم الأول**: قسم الدراسة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يحيى الأصيلي حياته ومنزلته الأدبية.

المبحث الثاني: دراسة في شعره:

١_ أهم الظواهر والموضوعات التي تناولها في شعره.

٢_ الدراسة الفنية، ويشمل:

(أ) أهم الظواهر الأسلوبية.

(ب) الصورة الشعرية ومصادرها.

(ج) الموسيقا الداخلية والخارجية.

المبحث الثالث: تحقيق مخطوطة قصيدته.

– **القسم الثاني**: ما تبقى من أشعار يحيى الأصيلي مجموعة ومرتبة وفق القوافي.

– الخاتمة.

– المصادر والمراجع.

القسم الأول: قسم الدراسة

المبحث الأول: يحيى الأصيلي حياته ومنزلته الأدبية

هو شرف الدين، يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد الأصيلي نسبة إلى جد له[١]. وقد ذهب السخاوي في كتابه (الضوء اللامع) إلى أبعد من ذلك في ذكر نسب أبيه وصولًا لجده الذي أخذ لقبه منه؛ إذ يقول: فهو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله أو أيوب المحب أبو اليسر بن ناصر الدين بن أصيل[٢].

ولد ونشأ في دمياط بمصر، وانتقل إلى القاهرة، شابًا متعلمًا فكان له ما أراد، فقد لازم مشاهير العلماء فيها حتى صار هو العالم الذي يؤخذ العلم عنه فكان له تلامذة لا يقل شأنهم عن شأنه أو ربما يزيد. ولا نعرف إلَّا نزرًا يسيرًا من أخباره وتفاصيل حياته في الكتب التي ترجمت له وأوردت شيئًا من شعره، فهي في الأغلب كانت عبارة عن ثناء ومدح شخصه دون عناء ذكر تفاصيل وأسباب هذا الثناء.

وهذا ما لف غموضًا حوله، وحول المكانة العلمية التي وصل إليها. وكذلك نجهل سنة مولده، فلم تذكر مصادر ترجمته سوى مكان ولادته (دمياط)، دون تاريخ

(١) ينظر ترجمته في: الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر. ريحانة الألبا: ٢/ ٨٧، الخفاجي، شهاب الدين، خبايا الزوايا: ٤٣٣، المحبي، محمد أمين، خلاصة الأثر: ٤/ ٤٦٧، الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني، سُلافة العصر:٢/ ٦٥٨، الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي، نشوة السلافة: ١٧١، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين: ٤ / ١١٤، ابن الغزي، شمس الدين أبي المعالي، ديوان الإسلام: ١/ ١٣٩-١٤٠، ظاظا، زهير، ترتيب الأعلام على الأعوام: مج ١ / ٥٧٠، خليفة، حاجي، سلم الوصول: ٣ / ٤١٢.

(٢) ينظر: السخاوي، شمس الدين، الضوء اللامع: ٩ / ٤٠-٤١.

ولادته. ومن أخباره نعلم أنه ورد القاهرة شابًا، والتي يسميها من ترجم له بـ(مصر)، وفيها أخذ العلم على يد أشهر علمائها.

أمَّا أجداده وأفراد أسرته، فقد كانت لهم المكانة المرموقة، إذ عاشوا في مصر أيضًا، منهم أبوه (محمد) الذي يذكر أسمه ونسبه هكذا:(محمد بن محمد بن أحمد)[١] بن (محمد بن عثمان بن عبد الله_ ويقال أيوب بدل عبد الله وهو أصح_ أصيل الدين أبو عبد الله بن الفخر أبي عمرو بن النجم العمري _ فيما قيل _ الإشليمي ثم القاهري الشافعي والد الشهاب أحمد بن أصيل الماضي)[٢] . وكذلك نجد ذكرًا لأحد أعمامه أيضًا وهو: أحمد بن محمد بن عثمان بن أيوب شهاب الدين الإشليمي ثم القاهري، فهو أخو الشرف محمد الأصيلي[٣].

وتم ذكر سنة ولادة والده (محمد) وهي في السادس من رمضان سنة (٨٥٦ هـ)، وقد كان معروفًا بحفظه للقرآن أو كثيرًا منه [٤]. أمَّا أحد أجداده وهو (محمد بن عثمان) فكان مهتمًا بالقرآن والفقه والعربية ومن شيوخه في الفقه ابن الملقن والبلقيني، وكان له حظ بالتدريس والإفتاء، فقد ذكر أنه أُذن وسمح له بممارسته من قبل شيخه (ابن الملقن)، وقد وصفه بالعالم العلامة ذي الفنون، وقد تولى قضاء دمشق سنة (٨٠١ هـ)، لكن لم يدم عمله فيها طويلًا، إذ عاد إلى القاهرة، وقد نالته محنة بسبب الديون حتى أفضى به الأمر أن سجن مدة ثم أطلق، وكان له معرفة ودراية بالسيرة النبوية وشرح مسلم، مات في أواخر ذي الحجة سنة (٨٠٤هـ) عن ستين سنة فأكثر[٥].

(١) المصدر نفسه: ٩ / ٤٠.
(٢) المصدر نفسه: ٨ / ١٤٦ –١٤٧.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ١٤٠.
(٤) ينظر: السخاوي، شمس الدين، الضوء اللامع: ٩ / ٤١.
(٥) ينظر: السخاوي، شمس الدين، الضوء اللامع: ٨ / ١٤٦ – ١٤٧.

وذُكر أن له خالًا بالإسكندرية، دون معرفة اسمه وأخباره، فقد ورد بيتين كتبهما إليه [١]، يقول فيهما:

لِخَـــالِيَ فِي الإسْـــكَنْدَرِيَّةِ رَغْبَـــةٌ وَمِنْ بَعْدِهِ قَدْ حالَ لِي فِي الهَوى حَالُ

فَـإنْ يَـكُ أَضْـحَى ثَغْرُهـا مَوْطِنـاً لَـهُ فَيَـا حبَّذا فِي ذلِكَ الثَّغْرِ لِي خَـالُ[٢]

نتاجه الأدبي:

لم تذكر مصادر ترجمته سوى اسم كتاب له بعنوان (التذكرة) [٣]، التي لم يصلنا فهي من الكتب المفقودة، لكن نجد نقلًا فريدًا عنها تكرر في أكثر من كتاب، ونصه كالآتي:

(وفي تذكرته قال: كنا بخدمة الأستاذ محمد البكري قدس سره بمنزله ببولاق أنا وجماعة من فقرائه وذوي ولائه فأرسل لكل واحد حصة من الرمان وكنت قد ظهرت من المنزل لقضاء الحاجة فلما حضرت أخبرت بذلك فكتبت إليه:

مـــولاي يا أكـــرم الأنام ومـــن بحـــار جـــدوى نـــداه منصـــبه

قـــد جـــاء رمانـــك الـــورى جمـــلا والعبـــد مـــا جـــاءه ولا حبـــه

(١) ينظر: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٢، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٧، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧١ – ٤٧٢.

(٢) مجموع شعره: النص رقم (١٨).

(٣) ينظر: المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤/ ٤٧٨، الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦٠، الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي. نشوة السلافة: ١٧١، كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين: ٤ / ١١٤، ظاظا، زهير. ترتيب الأعلام: ١ / ٥٧٠.

فأرسل منه جملة وافرة وكتب مجيبا:

نأمـــر بالقلـــب واللســـان بمـــا يفـــيض منـــه غيـــث العطـــا صـــبه

فلـــيس هـــذا الفقـــير يعـــرف مـــن أتباعـــه مـــثلكم غـــدا صـــبه

فاعـذر ولا عتـب في الحسـاب علـى مخطـــئ محبوبـــه ولا حســـبه

فانظر إلى قوله نأمر بالقلب فإنه رمان ثم قال لي احتفظ بهذه الواقعة فإن لك فيها غاية الرفعة وهي تشهد باعترافي بأني لا أعرف أحدا من أتباعي يحبني كمحبتك ويودني كمودتك وقال أيضا كنت أنا وشيخنا العلامة نور الدين العسيلي جالسين عنده وقد ذكر في المجلس جماعة من أفاضل الدهر وأدباء العصر توفوا في مدة قريبة كالعلامة الفارضي والشهاب السيفي والبرهان البلط وخلائق لا يحصون فأنشد بديهة:

أقـــول وقـــد قيـــل لي كـــم مضـــى أديـــب لـــه حســـن نظـــم جليـــل

دعـــوا كـــل ذي أدب ينقضـــي ويحيى العسيلي ويحيى الأصيلي)[1]

يتبين من خلال القصتين اللتين يسردهما لنا الأصيلي في كتابه، علاقاته الشخصية، وقوتها مع علماء عصره، وكذلك نجد المكانة العلمية والأدبية له من خلال المقارنة والمحبة التي كانت بينهم.

شيوخه:

١ــ نور الدين العسيلي، فهو من علماء مصر وفضلائها وشعرائها، عاش في

(١) المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٨ – ٤٦٩، وينظر الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦٠ – ٦٦١، الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي. نشوة السلافة: ١٧١ – ١٧٢. مجموع شعره: النص رقم (٣٦) و(٢٢)

القرن العاشر الهجري وتوفي في نهايته سنة (٩٩٤ هـ)، يقول عنه الشهاب الخفاجي (نور حدق الزمان، ونور حديقة الحسن والإحسان، وإنسان طرف الظرف، وعارض وجنات اللطف، وكعبة وفود الفضلاء، وفاكهة الدهر والنُّدماء، وريحانة الأدب، وشمامة الطرب) [١] .

وقد وصف أخذه العلم منه بأنه:(تخرج بالنور العسيلي حتى حلا في ذوقه شهد آدابه وتزينت حقائق أفكاره بفرائد خطابه) [٢] .

٢ــ المشايخ البكرية: يقول المحبي بأنه كان (موفور الجاه بالديار المصرية لا سيما عند المشايخ البكرية)[٣] ، منهم محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي[٤] ، وأبو المواهب محمد بن الشيخ الأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري[٥] . وفيه يقول يحيى الأصيلي مشجرًا:

أقبـــل بالحســـنِ في مواكـــبْ تقـــيسُ أضـــواءَها الكواكـــبْ

بطلعـــــةٍ بالهـــــلالِ أزرَتْ فـاكْتَنَّ للغـيظِ في الغْياهـبْ[٦]

(١) الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٢٨، وينظر ترجمته في: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ١٩٧، ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات مصر: ٢٩٦.

(٢) المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٨.

(٣) المصدر نفسه: ٤ / ٤٦٧.

(٤) ينظر ترجمته في: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٣٩٧.

(٥) ينظر ترجمته في: المصدر نفسه: ٤٢٦، الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٤٩.

(٦) مجموع شعره: النص رقم (١).

ومنهم ابن اخيه الشيخ أحمد بن زين العابدين البكري، والشيخ عبد الرحمن بن زين العابدين البكري[١].

٣_ الشيخ شهاب الدين أحمد السنفيأو(السيفي) المالكي[٢]، والذي ذكر أنه _ الاصيل _ تذاكر في مجلسٍ أسماءً توفوا قريبًا من عهدهم، كان الشهاب السنفي منهم. يقول الأصيلي بأنه(اقترح على مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد السيفي المالكي أني أنظم بيتين من بحر المديد عندما وصلت في القراءة عليه إلى هذا الموضع من ابن الحاجب وشرحها لابن واصل) [٣] :

وجنـــة المحبـــوب ذات إحمـــرار مـن لظى القلـب استعار استعارا

فلهـــذا صـــار قلـــبي كليمـــا حيـث مـن خديـه آنسـت نارا [٤]

٤_ محمد النحريري الضرير، هو شمس الدين محمد النحريري الضرير مفسر، ومحدث، وفقيه [٥] . يقول فيه الأصيلي راثيًا:

إنْ عصـاني شِـعري لِفقـدِ شـعوري فَـــدموعي تَرثيـــكَ بالمنثـــورِ

(١) ينظر ترجمتهما في: الخفاجي، شهاب الدين.خبايا الزوايا: ٤١٦، الحسيني ، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٤٥.

(٢) ينظر ترجمته في: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢: ١٣٣، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ١ / ١٨٨.

(٣) المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٩.

(٤) مجموع شعره: النص رقم (١١).

(٥) ينظر ترجمته في: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٤١.

يا إمامـــاً لمَّـــا ســـكنتَ جِنـــاناً فـاض دمعي عليك فيض البحورِ[١]

تلامذته:

لم تذكر المصادر التي ترجمتْ له سوى اسم أحدهم وهو: يوسف بن زكريا المغربي، وهو شاعر وكاتب مجيد، له كتاب بعنوان (دفع الأصر عن كلام أهل مصر)، وكان ذا خط حسن، ولا يقل شأنًا عن أستاذه بل ربما يزيد[٢]. يقول مادحًا أستاذه يحيى الأصيلي:

مَـدحتُ البحـرَ إذْ أضـحى يُحـاكي عُلـومَ الـبَرّ ذي القَـدْرِ الجليـلِ

وإنِّيّ إنْ مـــدحتُ البحـــرَ يومًـــا فَمـدحي فيـهِ لِلْـبَرّ الأصـيلي[٣]

وقد خمسها الشهاب الخفاجي بطلب من يوسف المغربي، أثناء رسالة ومحاورة جرت بينهما، وهي قوله:

رأيـــتُ الشَّـــيْءَ يُمـــدحُ باشْـــتراكٍ لِآخَـــرَ في صـــفاتِ المـــدحِ زاكـــي

(١) مجموع شعره: النص رقم (١٢).

(٢) هو أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن زكريا بن حرب المغربي المصري الأزهري، نزيل مصر، أديب وشاعر، نشأ وتأدب بمصر، وتنحدر أسرته من أصل مغربي. ينظر ترجمته في: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٤٥، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٨٨، المغربي، جمال الدين يوسف بن زكريا، دفع الإصر عن كلام أهل مصر: ٧– ١٤.

(٣) الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٤٨، وينظر: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا): ٢ / ٣٥.

ألمْ تَـــــرني بعـــــزمْ وانهمـــــاكٍ مـدحتُ البحـرَ إذ أضـحى يُحـاكي

علــومَ الحِــبرِ ذي الفخــرِ الجليــلِ

أصِـــيليٌّ جفـــا في العلـــمِ نومـــا وَبَـــرٌّ قـــدْ غـــلا في المجـــدِ ســـوْما

ولجَّـــجَ في بِحـــارِ الفضـــلِ عومـــا وإنّي إنْ مـــدحتُ البحـــرِ يومـــا

فمـــدحي فيـــهِ لِلْـــبَرِّ الأصـــيليّ[1]

أبرز ما قيل فيه:

١ــ يقول فيه الشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩هـ) :(أديب ماهر، وشاعر ساحر، عبقت بالديار المصرية، أنفاسه النَّديَّة الندِّيَّة. بطبع يعير عيون الحور سحره، ويفضح رقة الصبا إذا نبهت جفون الأنوار سحره) [2]. (وخلق مهذب، لكل أمر متدرب، ولم يخبرك مثلُ مجرب) [3].

٢ ــ يقول فيه المحبي(ت١١١١هـ) :(الأديب الشاعر المشهور...، ناط شعره بالشعرى وقلد جيد الدهر درا فسماه شعرا مع رقة طبع وخفة روح ودماثة أخلاق توسي بها الجروح)[4] .

٣ ــ يقول فيه ابن معصوم المدني(ت١١٢٠هـ) :(شاعر ناط شعره الشعرى...،

(١) ينظر: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٥٠، الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٣٥ – ٣٧.

(٢) الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٣٨.

(٣) الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٣.

(٤) المحبي، محمد أمين بن فضل الله. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٧.

يسخر انتساق نظامه بالعقد الثمين، وتتلو ألسن سامعيه (إِنْ **هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**) (سبا / ٤٣)، وكم فصل ببيانه من الأدب مجملا، ألذ من السلوى وأطيب نفحة، من المسك مفتوقًا وأيسر محملًا، إلى رقة طبع وخفة روح، ودماثة أخلاق تؤسي بها الجروح) (١).

٤ ــ وقال فيه ابن الغزي (ت١١٦٧هـ) :(العالم الفاضل الأديب الشاعر المصري...، له شعر حسن شهير) (٢).

أمَّا حسن صوته ولهوه وإجادته للغناء والطرب، فقد قيل فيه:

ــ (كان يتغنى بالقرآن، ويَقْرِي بصوته الحسن الآذان، وله أنفاس في الغناء تُميت الهموم وتُحيي الطرب، وترشف منها الآذان ما تسكر منه ابنةُ العنب، فإذا ترنَّم في نادي سادةٍ أعْيان، فكأنه نسيم الصَّبا والقوم أغصان. فأنفاسه أطربُ من عُود، وذكره الجميل أطيبُ من عُود)(٣) .

ــ (كان فردًا في الموسيقا وفنون الطرب) (٤).

ــ (وتعلق بفنون الألحان، يدير بها من سلاف الطرب ما يهزأ بسلاف ألحان، فإذا غدا مترنمًا أطرب الناطق والجماد، واهتز له عطف السامع ارتياحًا وماد)(٥) .

ــ (وتعلق بفنون الألحان يدير بها من سلاف الطرب ما يهزأ بسلاف ألحان ويهزأ

(١) الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٥٨.

(٢) ابن الغزي، شمس الدين أبي المعالي. ديوان الإسلام: ١ / ١٣٩ – ١٤٠.

(٣) الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٣٨ – ٣٩.

(٤) الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٣.

(٥) الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٥٨.

اتساق نظامه بالعقد الثمين،) [١].

ـ (إذا ترنم يميت الهموم ويبعث الأشجان ولم يزل بمصر يدير سُلافة اللطافة ويحل في ديوان الأدب محل خلافه، لا يرضى خلافة ما بين لهو ومآرب فلبّه منه جانب وللخلاعة جانب)[٢] .

وهذا اللهو والانشغال به نجده عند والده (محمد) أيضًا، الذي يقول فيه السخاوي بعد أن يذكر انه حج بيت الله الحرام:(ولكن اشتغاله بأنواع اللهو أكثر) [٣] والله اعلم.

علاقاته بالعلماء وذوي السلطة:

نجد فيمن ترجم له أن يحيى الأصيلي، كان محبًا للمجالسة ومطارحة الشعر وبخاصة مجالسة العلماء، فها هو يكتب لأحد الشيوخ حين قدومه مصر، وهو الشيخ (محمد الصالحي) [٤]، يستأذنه في الدخول عليه؛ لأنه كان شديد التوحش[٥]:

على الباب من كاد من شوقهِ يموت وذلك يحيى الأصيلي

أتى يتغنَّى بأوصافكم فهل تأذنون له في الدخولِ[٦]

(١) المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٧.

(٢) خليفة، حاجي. سلم الوصول: مج٣ / ٤١٢ – ٤١٣.

(٣) السخاوي، شمس الدين، الضوء اللامع: ٩ / ٤١.

(٤) ينظر ترجمته في: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٦٦، الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ١ / ٢٧.

(٥) ينظر: المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (المصدر نفسه): ٤ / ٤٧٠.

(٦) مجموع شعره: النص رقم (٢٠).

فأذن له وأجابه بدية بقوله:

لمـــولاي يحـــيى رقيـــق الطِّبـــاع ولُطـــفُ السَّـــماع وحُســـنُ القبـــولِ

امـــولاي هـــل خـــارجٌ ضـــربُكمُ لتحتـــاج لـــلإذنِ عنـــد الـــدُّخولِ[١]

وكذلك مر بنا ما تم ذكره في كتابه (التذكرة)، وقصة خروجه عن مجلس أستاذه البكري لقضاء الحاجة، مما كان سببًا في عدم نواله من أعطيته لكن تم تدارك الأمر وأوصل وتم إرضاؤُهُ.

أمَّا علاقته بذوي السلطان فيذكر الشهاب الخفاجي والحاج خليفة أنه ارتحل إلى مكة للقاء شريفها سلطان الحجاز (حسن بن أبي نمي)[٢] ، (يؤمِّلُ تنويله)[٣] . وقد مدحه بقصيدة، منها:

أيـــــد الله تعـــــالى ســـــيِّداً كـــــاملاً في سِـــــرِّه والعلـــــنِ

بـــدرُ فضـــلٍ أشـــرقت أنـــوارهُ مـن ذُرا الشَّـام لأقصـى اليمنِ[٤]

لكن المحبي وابن معصوم يذكران أنه أرسل هذه القصيدة في كتاب [٥]_ بهذا ربما

(١) الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٨، الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٢ – ٤٣، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧٠.

(٢) ينظر ترجمته في: المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٢ / ٣، اليمني، محمد الشلي، السناء الباهر: ٥٩٩، الزركلي، خير الدين، الأعلام: ٢ / ٢٣٥.

(٣) الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٤، الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٣٩، خليفة، حاجي. سلم الوصول: مج٣ / ٤١٣.

(٤) مجموع شعره: النص رقم (٢٩).

(٥) ينظر: المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤/ ٤٦٩، الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم =

لم يتم اللقاء بينهما_، والله أعلم.

وفاته:

ارتحل شرف الدين يحيى الأصيلي إلى مكة قاصدًا الحج، فلما قضى مناسكه، طافت به المنية فانتقل من جوار بيت الله وحرمه، إلى مقر رحمته وكرمه، وذلك لثمان خلون من محرم الحرام سنة عشر بعد الألف بمكة [١].

أمَّا ابن معصوم فيذكر أنه (قصد الحج لأداء الفرض، وطوى لمشاهدة تلك المشاهد مهامه في الأرض، فلما قضى مناسكه وتفثه، ولمَّ من وعثاء السفر شعثه، طافت به المنية، طوافه بتلك البنية، فانتقل من جوار بيت الله وحرمه، إلى مقر رحمته وكرمه، وذلك لثمان خلون من محرم الحرام سنة إحدى وألف)[٢] .

وابن معصوم منفرد بهذا التاريخ، ويبدو أنه وقع هو في الوهم أو ناسخ كتابه، في جعل سنة وفاته(١٠٠١هـ) بدلًا من(١٠١٠هـ) المتفق عليه عند جميع من ترجم له[٣]، والله أعلم.

=

المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦٢.

(١) ينظر: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٤، الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٣٩، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٧ – ٤٦٨، ٤٧٢، ابن الغزي، شمس الدين أبي المعالي. ديوان الإسلام: ١/ ١٤٠، خليفة، حاجي. سلم الوصول: مج٣ / ٤١٣، كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين: ٤ / ١١٤، ظاظا، زهير. ترتيب الأعلام: مج١ / ٥٧٠.

(٢) الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٥٨.

(٣) ومنهم محقق كتاب سُلافة العصر د. محمود خلف البادي، حينما يترجم ليحيى الأصيلي في الهامش، ينظر: الهامش رقم (٢) / ٦٥٨، وكذلك محقق كتاب نشوة السلافة د. كامل سلمان الجبوري، في هامش رقم (١) / ١٧١.

المبحث الثاني: دراسة في شعره

(١) أهم الظواهر والموضوعات التي تناولها في شعره:

جاء الغزل ومن بعده الإخوانيات والمديح في المرتبة الأولى، من حيث عدد المقطعات والقصائد، فيما وصلنا من شعر شرف الدين يحيى الأصيلي. ولعل كثرة الغزل راجعة إلى طبيعته الشخصية، المحبة للمرح، المشاركة في مجالس اللهو والغناء، فهو كان ذا صوت شجي متعلق (بفنون الألحان يدير بها من سلاف الطرب)[١]، وهذا المعنى كرره الشهاب الخفاجي أيضًا، في قوله:(كان فردًا في الموسيقا وفنون الطرب، فإذا ترنَّم أسكر في مجالس الأنس ابنة العنب، فيُميتُ الهموم، ويبعث الأشجان، فتخاله نسيمَ الصَّبا والناس أغصان)[٢] .

فهذه الطبيعة وتلك المقدرة، جعلت شعر الغزل عنده ذا مكانة متقدمة على سواها من موضوعات وأغراض، فهي التي تلبي طلبه ومبتغاه في غنائه وموسيقاه.

وكان غزله متنوعًا، منه ما كان تقليديًا كأن يكون في مقدمة قصيدة مديح، كما هو الحال في قوله:

فـديت مـن حسـنه الفتـان أشـجاني ... فطـال في حبـه وجـدي وأشـجاني

لم يَسْتمل عنه قلبي قـوْلُ ذي عَـذَلٍ ... ولـيس في حسـنه للنـاس قـولانِ

نزهـــت نفســـي بخديـــه مرشـــفه ... لدى العذيب وفي أزهار نعمانِ[٣]

---

(١) المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٧.

(٢) الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٣.

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٣٢).

ويستمر في غزله في هذه القصيدة إلى أن يصل إلى الغاية من نظمه، وهي المديح فيقول:

يحكي الذي نمقته في الطروس يدا ... مولى المعالي علي القدر علوانِ

مولى غدا واحداً في الفضل منفردا ... لم يختلف في مزايا حسنه اثنانِ

مضى الكرام ووافى بعدهم فغدا ... كالحمد صدراً وكانوا مثل عُنوانِ[1]

وله في شخص يسميه بـ(أبي غزال)، كلام جميل يدل على مقدرته في هذا الباب:

لي في المحبّةِ عن مَلامِ العاذِلِ ... بجمالِ مَنْ أهواهُ أَشْغَلُ شاغِلِ

أثْرَتْ عيوني بالسُّهادِ وإنَّما ... دَمْعِي الَّذي أضحى بِوَصْفِ

إنْ غرَّدَتْ وُرْقُ الحمائمِ جَدَّدتْ ... شوقاً أهاجَ مِنَ الغرام بلابلي

بابي غزالٍ أرْضُ نجدٍ دارُهُ ... لكن لواحِظُهُ عُزِينَ لِبابلِ

لدن المعاطف رق مرشف ثغره ... فأعجب له من ذابل في ذابلِ

ولِحاظُهُ حَفَّتْ بأصداغٍ فيا ... لله مِنْ سيفٍ سَطا بحمائلِ

تتطاولُ الأغصانُ تحكي قَدَّهُ ... وإلى التَّناهي مَرْجِعُ المَتطَاوِلِ[2]

إن ملامة العذال وذكرهم، وصوت الحمائم وإنشادهم، من الأمور التقليدية المكررة عند أغلب من يكتب في هذا اللون الشعري، لكن الأصيلي بجمال صياغته،

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣٢).

(٢) مجموع شعره: النص رقم (٢٦).

وأسلوبه الرقيق أعاد القديم بثوب جديد طريف، فجمال المحبوب أشغله عن الاستماع للملامة فيه، وصوت الحمائم زاد من هذا الاشتياق والغرام، فكأنما أصواتهم هي التي تحرك مشاعره تجاه المحبوب، ومن ثمَّ ينتقل لوصف هذا المحبوب من خلال إبراز أجمل ما فيه اللواحظ والطول.

أمَّا مزج الغزل بجمال الطبيعة، فكان له حضور أيضًا، كقوله:

بدا بوجْهٍ جميلِ الوَصْفِ والشَّأنِ يقولُ سُبْحانَ مَنْ بالحُسنِ وشَّاني

كأنَّهُ رَوْضَةٌ غنَّاءُ مُزْهِرةٌ من دَمْعِ عاشِقها يُسْقى بِغُدرانِ

أشْبَهْتَ في حُبِّهِ وُرْقَ الحِمى فَغَدا كُلٌّ ببيتِ الجوى شَجْواً على البانِ

ومنها:

تقولُ أعطافهُ لمّا تُشَبّهُهَا بالرُّمحِ مَنْ قال إنَّ الرُّمحَ حاكاني

عِطْفايَ حُلوانُ مِمَّا أينعا ثَمَراً فكيفَ تحكيهما أعطافُ مرَّانِ(١)

إنه يقدم قوله من خلال ذكر جمال الوجه، ومن ثمَّ يشبه هذا الجمال بروضة غناء مزهرة بأنواع الزهور، لكن ما الذي أحياها وجعلها بهذه الكثرة والجمال، إنه العاشق الذي يسقي بدمعه، فله كل الفضل في إحيائها، بل في جمالها، كذلك جعل الرمح من يُحاكي في الطول والاتساق، لما جعله للمحبوب محاكيًا. فالله جل شأنه من زين وجهها، فكانت في جمالها روضة، فالثغر كالأقحوان، والخد كالورد، أمَّا العيون فهي النرجس، أمَّا سقيا الروضة فدموع هذا العاشق المسكين الذي لا يكف من

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣١).

سكبها، فهي تجري منه مجرى الماء بغدرانِ.

إن الشعر الغزلي من أجمل ما كتب الشعراء وهي مرآة لهم، وصورة لأنفسهم، وربما يعد ميزانًا للحكم على شاعريتهم، فالقلوب تلين لسماعه، وتطرب لقراءته، فهو مما يسهل حفظه ويعلق بالقلوب قبل العقول، وهذا ما أدركه يحيى الأصيلي، لذا كان المقدم عنده، لأنه عكس شخصيته، وأبرز موهبته ليس في مجال الشعر فحسب، بل في مجال الغناء، الذي هو مجيد فيها أيضًا. فغزله كان تعبير ووصف للجمال، وما يعتري المحبوب من ألم ولذة جراء حبه، كما وإبراز جمال المحبوب هي الصفة الغالبة على شعره الغزلي، ليعلل سبب الشغف الذي يعتريه إثر هذا الجمال الذي سلب لبه وأخذ عقله.

وذكر الغزل يجرنا للحديث عن ظاهرة أخرى كانت حاضرة في شعره وهي شعره الإخواني، وربما كلاهما متلازمان، فالثاني يجر لنظم الأول، والأول مما يكون سببًا في كثرة الثاني، بمعنى أن دعوة الأصحاب ومجالستهم ما يستدعي إنشاء ما يمتعهم وأي شعر يكون أفضل من الغزل متعة وجمالًا في هكذا مجالس.

فها هو يكتب للشيخ الصالحي، يستأذنه في الدخول، لما قدم مصر:

على الباب من كاد من شوقهِ يموت وذلك يحيى الأصيلي

أتى يتغنَّى بأوصافكم فهل تأذنون له في الدخولِ[1]

وكذلك نجده يقدم وصفًا لمكان لقائه بمن يسميه ويكنيه بـ(أستاذنا)، في قوله:

أَتَيْتُ جُنَيْنَةَ أستاذنا وَقَدْ جَمَعَتْ كُلَّ مَعْنًى كَمُلْ

(١) مجموع شعره: النص رقم (٢٥).

بِهـــــا أَيُّ وَرْدٍ وَآسٍ بِـــــــهِ تَفَـرَّقَ شَمْـلُ عِـداهُ وَفُـلْ[١]

ونجده في أخرى يحاول مرضاة صاحبًا له، يدعي المرض لكن مع ذلك نجده صابرًا، بل داعيًا أن يديم صحبته له، وهذا يدل على نبله وكرمه، يقول:

لِي صـــــاحِبٌ مُتَمَـــــرِّضٌ مُتَقَلِّـــــــقٌ فِي ذاتِـــــــهِ

يا ربِّ صَـــــبِّرْنِي عَسَـــــى أَقْـــوَى عَلَى مَـــرْضَاتِهِ[٢]

كذلك نجد له شعرًا في العتاب الذي يكون بين الاصحاب، فها هو يعاتب أستاذه وشيخه محمد البكري في عدم اشراكه أعطيته من الرمان وقد شملت الجميع سواه، يقول:

مـــولاي يا أكـــرم الأنام ومـــن بحـــار جـــدوى نـــداه منصـــبه

قـد جـاء رمانـك الـورى جمـلا والعبـد مـا جـاءه ولا حبـه[٣]

وقد أجاب طلبه وأرضاه شيخه وكتب مجيبًا له:

نأمـــر بالقلـــب واللســـان بمـــا يفـيض منـه غيـث العطـا صـبه[٤]

والملاحظ على شعره الإخواني أن أغلبها كانت بينه وبين أساتذته وشيوخه،

(١) مجموع شعره: النص رقم (١٧).

(٢) مجموع شعره: النص رقم (٧).

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٦).

(٤) المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٨ – ٤٦٩ وينظر الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦٠ – ٦٦١، الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي. نشوة السلافة: ١٧١– ١٧٢.

بمعنى أن أغلب مجالسه التي كان يحضرها ويلقي فيها شعره الإخواني والغزلي أيضًا، هي بصحبة من يأخذ علمه عنهم، وهذا ما جعل الوقار والاحترام والكلام الجيد البعيد عن الإسفاف والخلاعة الصفة الملازمة لهذا اللون الشعري عنده، وأقصى ما وجدنا من شعر ذُكر أنه شعر ماجن قوله:

لا بُـــــــدَّ يا مَـــــــــوْلايَ أنْ تَسْـــــمُو لَـــدَيْكَ مَوَاكِـــبُ

إنِّي رَأيْتُـــــــــكَ كاشِـــــــــفاً وَأنَا وَراءَكَ رَاكِـــــــــــبُ[1]

أمَّا شعر المديح، فكان أقل مما ذكرنا، وهذا إن دل على شيء فيدل على عدم إشغاله نفسه بالتملق والتقرب من ذوي السطان خاصة، لكن مع ذلك نجد له شعرًا صُرح بممدوحه حين إيرادها في مصادر ترجمته، وبعضها لم يصرح فالممدوح غير معروف، ومن مدائحه قوله في سلطان الحجاز، الذي يقال أنه كان يتأمل وصله ونواله [2]:

أيـــــد الله تعـــــالى ســـــيِّداً كـــــاملاً في سِـــــرِّه والعلـــــنِ

بـــــدرُ فضـــــلٍ أشـــــرقت أنـــــوارهُ مـــــن ذُرا الشَّـــــام لأقصـــــى الـــــيمنِ

مـــــن حـــــوى رِقَّ المـــــزَايا والعُـــــلا وشـــــرى المجـــــدَ بأغلـــــى ثَمَـــــنِ[3]

كذلك نجده يمدح أستاذه محمد البكري، بقوله:

---

(١) مجموع شعره: النص رقم (٤).

(٢) ينظر: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٤٥، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٨٨.

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٢٩).

ألا إنَّ لِي يا آلَ صِـــدِّيقَ أَحْمَـــدٌ لَشَـمْسُ هُـدًى مِـنْكُمْ بِـهِ الكَـرْبُ

فَلِـي مِنْـهُ أُسْـتاذٌ وَلِي مِنْـهُ مُرْشِـدٌ وَلِي مِنْهُ قُطْبٌ ذُو اتِّصالٍ وَلِي وَلِي[1]

وهذا النوع من البديع يسمى بإيهام التأكيد [2].

ونجده يمدح الشيخ أبو المواهب محمد بن الشيخ الأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري، بقصيدة جميلة مشجرًا [3]:

أقبَـــلَ بالحســـنِ في مواكـــبْ تقـــيسُ أضـــواءَها الكواكـــبْ

بطلعـــــةٍ بالهـــــلالِ أزرَتْ فـــاكْتَنَّ للغـــيظِ في الغَيَاهـــبْ

(١) مجموع شعره: النص رقم (٢١).

(٢) استخرجه الشيخ زين الدين عمر بن الوردي، وسماه بهذا الاسم، وهو عبارة عن أن يعيد المتكلم في كلامه كلمة فأكثر، مرادا بها غير المعنى الأول، حتى يتوهم السامع من أول وهلة أن الغرض التأكيد وليس كذلك، ولذلك سمي بإيهام التوكيد. كقوله تعالى:(**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** (التوبة:١٠٨)، فقوله: فيه فيه، هو إيهام التأكيد، فإن السامع يظن من أول وهلة أن الثاني تأكيد للأولى وليس كذلك. ينظر: المدني، علي صدر الدين بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع: ٦ / ١٥٩.

(٣) التشجير: فن من الفنون الشعرية ابتدعه شعراء العصور المتأخرة وهو نوع من النظم أطلقوا عليه أحيانا اسم التشجير وأحيانا اسم التطريز، وهو نظم يعتمد على جعل أوائل الحروف في الأبيات تشكل اسما معينًا. أو يكون من خلال تلاعب لفظي للشكل الكتابي للقصيدة، ينظر: حسين، أحمد شيخ، أنواع الزخارف البديعية في العصرين (العثماني والمملوكي): ١٦٦.

وجيـــهُ غصـــنٍ إذا تثـــنَّى فالغُصْـــنُ مـــادَتْ بـــه الجنائـــبْ

أغْـــزَالُ شِـــعْري لـــه وأمَّـــا مَـــدْحيَ ففـــي فخـــرِ آلِ غالـــبْ

لابـــسٌ بـــردَ الكمـــالِ راقٍ روقَ العُـــلا الشَّـــامِخ المراتـــبْ

مَـــوْلى العَطـــايا أخـــو السَّـــجايا نَجْـــلُ المـــزايا أبـــو المواهـــبْ

وارِثُ صِـــــدّيقِ آل طـــــه ومنشـــئُ الكُتُـــبِ والكتائـــبِ

أحيـــاهُ مـــولى الـــورى ليُحْيِـــي مناقـــبَ الفَضْـــلِ والمقانـــبِ

هـــاميَ العطـــايا مشـــرقُ المحيّـــا حـــامي السَّـــطا مُغْـــدِقُ الرَّغائِـــبِ

بـــه الأصـــيليُّ حـــازَ حُبَّـــاً بلَّغَـــهُ أشـــرفَ المطالـــبِ[1]

فقد جعل أوائل هذه الأبيات تبتدأ بحرف من حروف اسم ممدوحه (أبو المواهب).

أمَّا قصيدته التي حققنا مخطوطتها، فهي مما لم يُعرف فيمن قالها، التي بدأها بمقدمة غزلية، ومن ثمَّ مزج هذا الغزل بالمديح، يقول فيها:

مولى غدا واحداً في الفضل منفردا لم يختلـف في مـزايا حسـنه اثنـانِ

مضـى الكـرام ووافى بعـدهم فغـدا كالحمـد صـدراً وكـانوا مثـل عُنـوانِ

إلى أن يصل إلى آخر بيتين منها معترفًا بأفضال ممدوحه عليه، ومن ثمَّ الصلاة والسلام على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو ما ختم به قصيدته، يقول:

(١) مجموع شعره: النص رقم(١).

طـوقتني طـوق إفضـال ولا عجـب مـن المطـوق بأن يشـدو بألحـانِ

صـلى الإلـه علـى أزكـى الأنام عُـلا والآل والصحب والتالي باحسانِ

أمَّا الموضوعات الأقل ظهورًا في شعره، غرض الهجاء، الذي هو في بعضه يمثل نقدًا، كقوله في قاضٍ يأخذ رشوة:

رُبَّ قـــاضٍ قَبِـــلَ الرِّشْـــ وَةَ لَمَّـــا أنْ تَمَلَّـــكْ

قـــالَ لِلظَّـــالِمِ إنِّي سَأُنَجِّيـــكَ وَأهْلَـــكْ

وكذلك نجده يذم صفة الكبر في قوله:

قِيـــلَ لِي إنَّ فُـــلاناً قَـــدْ تَعَـــالَى وَتَكَـــبَّرْ

وَلَمِـــنْ قَـــدْ ســـاءَ رَأْسٌ قُلْتُ لا بَلْ رَأْسُ مَنْسَـــرْ[٣]

وكلمة (منسر) مركبة من (من) الموصولة، والفعل (سر)، وهذه الكلمة في عرف واستعمال أهل مصر هم قطاع الطرق من اللصوص [٤].

ونجده في أخرى يذم ويهجو (عرب العشير)، داعيًا للابتعاد عنهم، بسبب الخيانة وعدم الالتزام بالعهد، لكن الأصيلي هنا يغالي، فلا يمكن جر فعل فرد على الجماعة، يقول فيها:

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣٢).

(٢) مجموع شعره: النص رقم (١٥).

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٨).

(٤) ينظر: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٨، الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٣.

عـــن العشـــيرِ أبعـــدْ وَكُـــن ســـالماً وَكُـنْ فـتىً بالبُعـدِ عـنهم مُشـيرْ

عاشَـــرْتُ مـــنهم واحـــداً خـــانَني عهدي وميثاقي فَبئسَ العشيرْ[1]

أمَّا شعر الرثاء، فلم أجد سوى نص وحيد لم يصلنا كاملًا، قاله في أستاذه المفسر محمد النحريري الضرير، يقول فيه:

إنْ عَصـانِي شِـعْري لِفَقْـدِ شُـعُوري فَـــدُمُوعِي تَرْثِيـــكَ بالمنْثُـــورِ

يا إمامـــاً لَّـــا سَـــكَنْتَ جِنـــاناً فاضَ دَمْعِي عَلَيْكَ فَيْضَ البُحُورِ[2]

وأمَّا شعر الخمرة، فلم يصلنا سوى نص ذكره الشهاب الخفاجي، وهو قوله:

قُـمْ هَاتِهَـا قَهْـوَةً مِسْـكِيَّةً فَضَـحَتْ بِنْـتَ المُـدَامِ وَشَـنِّفْ لِي الفَناجِينَـا

تَـدْعُو إلَى نَحْـوِ مـا فِيـهِ البَقـاءُ وَلَـوْ دَعَـتْ إلَى نَحْـوِ مـا فِيـهِ الفَنـا جِينَـا

وَاللهِ لَـــوْ أنَّ ألْفـــاً نَحْـــوَ حانَتِهـــا يَبْغُوا النَّجاةَ وَجَدْتَ الألْفَ ناجينَا[3]

يقول الخفاجي أنه ذيلها بقوله:

فَهاتِهَـا بـرياحِينِ الحـديثِ لَـدَى رَوْضِ النَّـدامى وإنْ تَسـأمْ فَناجِينـا[4]

بهذا رأينا، أن شعر شرف الدين يحيى الأصيلي تنوعت موضوعاته بين غزل وإخوانيات، ومديح وهجاء وغيرها، وهذا ما وصل إلينا من شعره فقط، ولو وصل

(١) مجموع شعره: النص رقم (١٠).
(٢) مجموع شعره: النص رقم (١٢).
(٣) مجموع شعره: النص رقم (٢٨).
(٤) الخفاجي، شهاب الدين، خبايا الزوايا: ٣٤٨.

كاملًا لوجدنا فيه الخير الكثير، والجم الغفير من الموضوعات والأغراض الشعرية.

(٢) الدراسة الفنية لأشعاره: ويشمل:

أ_ أهم الظواهر الأسلوبية:

إن للأسلوب لبنات هي الألفاظ والمفردات، ولكل بنية وظيفة ودور تؤديه، وقد تعرض النقاد له بالتقنين حتى تكون مؤدية لعمله، فوضعوا مقاييس لنقده والحكم عليه، بالإجادة والإصابة من عدمها، منها: الدقة والسهولة والطرافة والإيحاء، وغيرها من مقاييس الوضوح والقوة والمحسنات البديعية.

وهذه الأساليب تختلف باختلاف الأغراض، بل إن الفن الواحد من الكلام له أساليب تختص به، موجودة فيه على أنحاء وأشكال مختلفة. والأسلوب هو ملك لصاحبه؛ ولذا عدوا_قديمًا_من أخذ المعنى الذي حواه الأسلوب سارقًا، وكذلك من أخذ لفظه، لذا كان باب السرقات الأدبية من الأبواب المهمة والكبيرة في النقد العربي القديم، زيادة في الاهتمام والاعتزاز بملكية الأسلوب والتميّز من خلالها [١].

(١) السهولة والوضوح:

ويتميز شعر شرف الدين يحيى الأصيلي بالرقة، والرقة مدرسة أسلوبية أو طريقة تعبيرية عرفت كاتجاه في العصر العباسي، ثم ازدهرت في العصرين الفاطمي والأيوبي وصولًا لعصر الشاعر، بحيث كاد معظم الشعراء يتبعونه في فنهم، فالألفاظ لينة، وبحور الشعر قصيرة أو مجزوءة، ويظهر في فنهم ألوان التكلف، وأكثر شعراء هذا الاتجاه ممن تكثر في أشعارهم الغزل، وفنون اللهو والطرب، وقد اهتم شعراء هذا الاتجاه اهتمامًا خاصًّا بالمقدمات الغزلية في قصائدهم، وأطالوا فيها، منشدين في أغلب الأغراض الشعرية، مهتمين بالتعبير عن العواطف بطريقة أدنى أو بمعنى آخر أقرب إلى ذوق

(١) ينظر: يدوس، د. أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب: ٤٥١.

العامة، وكانت المقطعات أو القصائد القصيرة أكثر انتشارًا ونظمًا من القصائد الطويلة، وسبب ذلك أنهم ــ ومنهم شاعرنا ــ كانوا ينشدون لأنفسهم وأصدقائهم، وإذا ذهب أحدهم إلى المدح رجع إلى التقليد فأطال وأسهب وربما دخل دون قصد إلى مدرسة الصنعة.

لذا لم نجد تنوعًا كبيرًا في أسلوب يحيى الأصيلي، فهو للسهولة والوضوح أقرب وأكثر نظمًا؛ إذ لم أجد فيما وصلنا من شعره، ما يمت بصلة لمدرسة الجزالة أو التصنع، سوى القصيدة التي وصلتنا مخطوطتها؛ إذ نجد فيها اهتمامًا زائدًا بالتراكيب والألفاظ، فهو حين يصل إلى المقطع الخاص بالمديح نجد الألفاظ أكثر رصانة وجزالة، كذلك ما يُطرح من فكر يخاطب من خلاله مكانة الممدوح وعلو شأنه، كقوله من هذه القصيدة:

ذيل البلاغة والأفضال يسحبه ... فكان في حالتيه أي سحبانِ

ذو راحة تعبت في رقم تذكرة ... وليس نيل العلا إلا لتعبانِ

وكم على يده من سر مملكة ... له اكتتام وكم فضل بإعلانِ

وكم حوى رتبة علياء مشرقة ... سامت على حالتيها أوج كيوان

وكم وعودٍ له لازال يذكرها ... حتى إذا وفيتْ نطت بنسيانِ

يمينه البحر في جود وأنمله ... لذلك البحر في أمثال خلجانِ

كأنما خطه روض زها وله ... مهارق الطرس في أشكال عذرانِ[1]

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣٢).

أمَّا فيما سواها، يعود شاعرنا للسهولة والوضوح حتى في شعره الذي قاله في المديح، من ذلك مدحه لسلطان الحجاز:

أيـــــد الله تعـــــالى ســـــيّداً كـــــاملاً في سِـــــرّه والعلـــــنِ

بـــدرُ فضـــلٍ أشـــرقت أنـــوارهُ مـن ذُرا الشَّـام لأقصـى الـيمنِ[١]

ومثله قوله في أحد شيوخه وهو شهاب الدين أحمد السنفي:

لله دَرُّ شِـــهابِ الـــدين مُرتقِيـــاً في الجـودِ والنسـبِ السَّـامي علـى

مَـنْ رامَ يَبْغي وَفـاً أو منْتقـى نسـبٍ قالـتْ فضـائلُه في ذا وذَا سَـنَفِي[٢]

لكن هذه السهولة والوضوح لم تبعده عن الإجادة والجمال في إيقاعه، خاصة في مقطعاته الغزلية التي تأسر القلب بموسيقا وإيقاع ألفاظه، كقوله:

بـدا بوجْـهٍ جميـلِ الوَصْـفِ والشَّـأنِ يقـولُ سُـبْحانَ مَـنْ بالحُسـنِ وشَّـاني

كأنَّـــهُ رَوْضَـــةٌ غنَّـــاءُ مُزْهِـــرةٌ مـن دَمْـعِ عاشِـقها يُسْـقى بِغُـدرانِ

أشْـبَهْتَ في حُبّـهِ وُرْقَ الحِمـى فَغَـدا كُلٌّ ببيتِ الجوى شَجْواً على البانِ[٣]

وفي قوله أيضًا:

لي في المحبّـــةِ عـــن مَـــلامِ العـــاذِلِ بجمـالِ مَـنْ أهـواهُ أشْـغَلُ شـاغِلِ

(١) جموع شعره: النص رقم (٢٩).
(٢) مجموع شعره: النص رقم (١٤).
(٣) مجموع شعره: النص رقم (٣١).

أثْـــرَتْ عيـــوني بالسُّـــهادِ وإنَّمـــا دَمْعِـــي الَّـــذي أضـــحى بِوَصْـــفِ

إنْ غـــرَّدَتْ وُرْقُ الحمـــائمِ جَـــدَّدتْ شـوقاً أهـاجَ مِـنَ الغـرام بلابلي[1]

(٢) تنوع الأساليب الخبرية والإنشائية:

إن الشاعر ينوع أسلوبه حسب ما يقتضيه المقام وموضوعه، فنراه ينشد لنا شعره ويكثر من الأسلوب الخبري في مديحه ورثائه وغزله، ولكنه يجمل هذه الأخبار بأسلوب إنشائي من ذلك قوله في ممدوح له مستخدمًا أسلوب النداء:

يا ماجـــدًا ذَكّرتنـــا حُســـنُ ســـيرته أخبـار قـوم مضـوا عنـا بازمـانِ[2]

فهو ينادي ممدوحه بياء النداء؛ للإشارة لمكانته العالية، التي ارتقت به إلى المجد، فهو الماجد لعلو منزلته وارتقائه، وينديه بـ(ماجدا) دون ذكر اسمه؛ لأنه محمود الفعال حسن السيرة، مجدد من خلال أخباره وسير أقوامٍ عرفوا بالمجد والعلو.

وفي أخرى نجده يخاطب ممدوحه وينديه، بقوله:

مـــولايَ يا أكـــرم الأنام ومـــن بحـــار جـــدوى نـــداه مُنصـــبه[3]

فهو قد نادى ممدوحه بياء النداء أيضًا، لكن هذه المرة سبقها بكلمة(مولاي)، زيادة في التمجيد وإعلاء المكانة، فالمخاطب هو شيخه وأستاذه محمد البكري، لذا الأمر اختلف، فالتواضع ومعرفة الفضل أصبح واجبًا عليه، فقد جعله أكرم الأنام الذي بجوده هو البحر يُعْرَفُ منه، بل تصب عليه.

ومن أسلوب النداء أيضًا، قوله راثيًا العلامة النحريري:

---

(١) مجموع شعره: النص رقم (٢٦).

(٢) مجموع شعره: النص رقم (٣٢).

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٥).

يا إمامـــاً لمـــا ســـكنت جنـــاناً فاض دمعي عليك فيض البحورِ[١]

الأمر مكرر هنا أيضًا، من إبراز للشخص من خلال مخاطبته بالإمام والاختلاف في أنه يخاطب وينادي من فارق الحياة، جاعلًا منه إمامًا وقدوة، مسكنه الجنة، لكن مع ذلك فهو يحس مرارة فقده لذا فاضتْ دموعه فيض البحور.

كذلك نجده يخاطب محبوبته بأسلوب النفي، لإثبات محبته لها، وإثبات الحسن والجمال، فهو لم يكن ليستمع وتتغير محبته لأقوال العذال، كحال الحسن لا يمكن أن يختلف فيه الناس، يقول:

لم يستمل عنه قلبي قول ذي عَذَلٍ ولـيس في حسـنه للنـاس قـولانِ[٢]

أمَّا في الحكمة والنصح، فيقول:

لا يُهْـــدِيَنَّ الفـــتى لصـــاحبه آلـــةَ قَطْـــعٍ كالسَّـــيْفِ والنَّصْـــلِ

إلَّا ومـــع ذاك إبـــرةً لِـــتَكُنْ معَ آلـــةِ القطْعِ آلةُ الوَصْـــلِ[٣]

إن الشاعر في هذين البيتين، يخاطب ناصحًا بأسلوب النهي طالبًا عدم الاكتفاء بما يسبب القطيعة والمجافاة، بل أن يجعل مكانًا للوصل ولمّ الشمل، كحال الطبيب الذي يخيط الجرح الذي تسبب به آلة قطع، بآلة وصلٍ وهي الإبرة والمخيط.

هكذا استخدم الشاعر أسلوب الإنشاء ليعبر به عن انفعالات نفسية ما كانت لتصلح إلا به، وقد نوع أسلوبه ما بين خبر وإنشاء؛ ليلائم بين المعنى والأسلوب بصياغة جميلة وأسلوب ماتع.

(١) مجموع شعره: النص رقم (١٢).
(٢) مجموع شعره: النص رقم (٣٢).
(٣) مجموع شعره: النص رقم (١٩).

(٣) التكرار:

للتكرار أثرٌ بيّن في تقوية الأسلوب إذا أُحسن توظيفه، وقد نجح الشاعر في الإفادة منه؛ إذ كرره في مواضع متعددة من شعره، فجاء تكراره طبيعيًّا يخدم المعنى ويعمّق الإيقاع دون أن يثقل النص أو يخرجه عن مألوف العربية، كقوله في بيان جمال محبوبته:

وجنـــــة المحبـــــوب ذات إحمـــــرار مـن لظى القلـب اسـتعار اسـتعارا[١]

وكذلك يكرر هذا الأسلوب في قوله:

مجـــدُهُ مـــن ذاتـــهِ مـــن أصـــلهِ حَسَـنٌ مـن حَسَـنٍ مِـنْ حَسَـنِ[٢]

فكل كلمة من هذه الكلمات الثلاث في العجز مرتبطة بما يقابلها في الصدر، فـ(مجده=حَسَنٌ) و(ذاته=حَسَنٍ) و(أصله=حَسَنِ)، وقد أحدث من خلال هذا التكرار مع اسم ممدوحه وهو الشريف(حسن) سلطان الحجاز جمالية وإيقاعًا موسيقيًا شد من انتباه المتلقي إليه.

ومن التكرار الذي يؤكد المعنى ويقويه قوله في فتاة اسمها (شمس الضحى):

لَّـــا وَفَـــتْ شمـــسُ الضُّـــحَى لي موعـــدي وَشَـــفَتْ غليلـــي

شـــــاهَدْتُ أيَّ عجيبـــــة شمـــسِ الضُّـــحى عندَ الأصـــيلِ

إن التكرار هنا يفيد التعجب والتشبيه،[٣] فهذا الجمال الذي ارتبط بالاسم هو نفسه الذي تعجب من ظهوره في غير وقته، أي شمس الضُّحى في نهاية اليوم. ومن

(١) مجموع شعره: النص رقم (١١).
(٢) مجموع شعره: النص رقم (٢٩).
(٣) مجموع شعره: النص رقم (٢٣).

جميل ما قاله الشاعر في التكرار قوله:

قُـمْ هَاتِهَـا قَهْـوَةً مِسْـكِيَّةً فَضَـحَتْ بِنْــتَ المُــدَامِ وَشَــنِّفْ لِي الفَناجِينَــا

تَـدْعُو إِلَى نَحْـوِ مـا فِيـهِ البَقـاءُ وَلَـوْ دَعَـتْ إِلَى نَحْـوِ مـا فِيـهِ الفَنـا جِينَـا

وَاللهِ لَــوْ أنَّ أَلْفــاً نَحْــوَ حانَتِهــا يَبْغُوا النَّجاةَ وَجَدْتَ الأَلْفَ ناجينَا[1]

فالكلمات المكررة في نهاية كل بيت هي ذاتها، لكن جاءت بمعنى مغاير في كل موطن، فالأول بمعنى (الكأس) التي توضع وتصب فيها الخمرة، أمَّا في البيت الثاني فجاءت الكلمة منفصلة عن بعضها لتدل على النهاية (الموت) الذي هم ذاهبون إليه، وأمَّا في البيت الثالث، فقد جاءت بمعنى مغاير وزادت في عملية الفصل بين أحرف الكلمة، فحرف (الفاء) سحبت لتؤلف كلمة جديدة والتي بقيتْ (ناجينا) وهي بمعنى النجاة، وبتكراره هذا وتلاعبه في أحرف الكلمة زاد من جمالية الأبيات وإيقاعها، كما وإنه كرر في البيت الثاني عبارة كاملة وهي(تدعو إلى نحو ما فيه) في الصدر وكذلك في العجز، فالتكرار كما رأينا يحسن في مثل هذه المواضع.

ففي البيت الأول يطلب الشاعر إحضار القهوة التي يصفها بالمسكية (لرائحتها) والتي فاقت الخمر (بنت المدام) في جودتها، ويطلب تزيين الفناجين، أمَّا في بيته الثاني الذي يحدث فيه جناس تام في كلمتي جِينَا في نهاية الشطرين، جِينَا (الأولى): جزء من كلمة "الفناجِينَا "في البيت الأول (ويقصد بها الفناجين)، وجِينَا (الثانية): فعل ماضٍ بمعنى "أتينا" أو "استجبنا" (من الفعل جاء). والمعنى المراد هنا أن القهوة تدعو إلى ما فيه البقاء والصحة، لكن، حتى لو دعت إلى ما فيه الفناء والموت، لأتينا إليها طاعة لحسنها. أمَّا البيت الثالث: فهو جناس تام أيضًا، ويكمن

(١) مجموع شعره: النص رقم(٢٨).

في كلمتي ناجِينَا في نهاية الشطر الثاني، ناجِينَا (الأولى): جزء من كلمة "الفناجِينَا "في البيت الأول، وناجِينَا (الثانية): جمع لكلمة "ناجٍ" بمعنى سالمين من الهلاك. والمعنى المراد هنا: لو توجه ألف شخص إلى حانوت القهوة (أو الخمر) طالبين النجاة، لوجدت الألف شخص ناجين بسبب بركة وجودها.

إنَّ الشاعر استعمل هذا النوع من الجناس اللفظي القائم على توهيم القارئ بأن الكلمة جزء من كلمة سابقة، ثم استعمالها ككلمة مستقلة ذات معنى مختلف، وهو فن يُظهر المقدرة البلاغية لهذا الشاعر.

والشاعر لديه نوع من التكرار الذي يفيد التأكيد، وهو قوله في مدح أستاذه البكري:

ألا إنَّ لِي يا آلَ صِـــدِّيقَ أَحْمَـــدٌ لَشَـمْسُ هُـدًى مِـنْكُمْ بِـهِ الكَـرْبُ

فَلِـي مِنْـهُ أُسْـتاذٌ وَلِي مِنْـهُ مُرْشِـدٌ وَلِي مِنْهُ قُطْبٌ ذُو اتِّصالٍ وَلِي وَلِي[1]

فقد كرر لفظة (لي) في هذين البيتين (٦) مرات، ليحدث إيقاعًا موسيقيًا يشد من انتباه المتلقي ــ الممدوح ــ، ويؤكد على المنزلة الرفيعة عنده، فهو الأستاذ والمرشد والقطب و...إلخ.

ب_ الصورة الشعرية ومصادرها:

إن الكلام المشتمل على الخيال أروع وأشد تأثيرًا في النفس من الكلام الذي يكون حقيقة كله؛ لذا نجد النقاد العرب دائمًا ما يكررون قولهم في ذلك بأن المجاز أبلغ من الحقيقة، ورأوه أحسن موقعًا في القلب والأسماع، لأن الكلام المشتمل على الخيال يجعل النفس شديدة الأنس به، سريعة إلى التأثير بصوره ومِنْ ثَمَّ وقعه عليها

(١) مجموع شعره: النص رقم (٢١).

أكبر [١].

والشاعر يحيى الأصيلي، يعي أهمية ذلك، فنراه في أغلب ما وصلنا من شعره يتجه ناحية الصورة والأخيلة، يعبر بها عن المعاني التي تجيش بداخله، وهذا الخيال أقوى في إيصال المعنى الذي أراده، لذا نجده يستخدم صوره من عدة موارد، منها:

الصور المستمدة من الطبيعة: كقوله:

كأنَّـــهُ رَوْضَـــةٌ غنَّـــاءُ مُزْهِـــرةٌ مـن دَمْـعِ عاشِـقها يُسْـقى بِغُـدرانِ

أشْـبَهْتَ في حُبِّـهِ وُرْقَ الحِمـى فَغَـدا كُلٌّ ببيتِ الجوى شَجْواً على البانِ

وقوله:

يمينـــه البحـــر في جـــود وأنملـــه لـــذلك البحـــر في أمثـــال خلجـــانِ

كأنمـــا خطـــه روض زهـــا ولـــه مهارق الطرس في أشكال عذرانِ[٣]

وقوله:

تتطـاول الأغصـان تحكـي قـدَّه وإلى التَّنـاهي مرْجِـعُ المتطـاول[٤]

وقوله:

تقـــول أعطافـــه لمّـــا تُشَـــبِّهُهَا بالرُّمح منْ قال إنَّ الرُّمح حاكاني[٥]

(١) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب: ٥١٠.

(٢) مجموع شعره: النص رقم (٣١).

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٣٢).

(٤) مجموع شعره: النص رقم (٢٦).

(٥) مجموع شعره: النص رقم (٣١).

كما نرى فالصور جميعها مأخوذة من الطبيعة أو قريبة مستمدة منها، فالروضة المزهرة والغدران في البيتين الأوليين، والبحر والخلجان، وكذلك الروض في الأنموذج الثاني، أمَّا البيت الثالث والرابع، فكلاهما يكرران معنىً واحدًا بشكل مختلف وبصورة فيها خيال مغاير، لكن كلاهما يصبان في معنى الطول، فالأغصان والرمح من تتطاول وتحاكي كي تصل لطول الحبيب أو الممدوح.

فهذه الصور المتخيلة كلها من الطبيعة، استخدمها الشاعر في رسم صورته مستعينًا بخصائص الطبيعة؛ ليرسم الصورة وفق معطيات هي متاحة للجميع، يستطيع المتلقي إدراكها وفهم مراميها، وذلك دون إجهاد العقل في تأليف الصورة التي تكون مكوناتها عقلية تحتاج إلى إعمال فكر وكد ذهن.

ومنها التأثر بالقرآن الكريم، في رسم صوره، كقوله:

مُــذْ بَانَ مــنْ أهــوى هَمَــتْ عَيْــــني بِمـــــاءٍ مُنْهَمِـــــرْ

فقلـــــــتُ للقلـــــــبِ إذا لَمْ تُلْـــفِ صـــــبْراً فاسْـــتَعِرْ[1]

فالصورة في البيت الأول من قوله تعالى: (**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ**) (القمر/ ١١)، وفي البيت الثاني كون صورته مستعينًا بكلمة من قوله تعالى:(**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**) (الملك/ ١٠) وقوله تعالى:(**بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**) (الفرقان/ ١١). إن الشاعر في هذين البيتين اراد أن يعبر عن شوقه، وأنه لا يحتمل الفراق، فلم يجد أفضل من تقديم ذلك من خلال الاستعانة بغزارة الماء المنهمر للدلالة عن كثرة دموعه، أمَّا اشتياقه ومرارة البعد فهي نار مستعرة في صدره.

(١) مجموع شعره: النص رقم (٩).

ومن جميل صوره قوله:

وجنـــةُ المحبـــوب ذات إحمـــرارِ مـن لظـى القلـبِ استعارَ استعاراْ

فلهــذا قــد صــارَ قلــبي كَليمــاً حيــثُ مــن خدّيــه (آنسْــتُ نارًا)[1]

و***هي مأخوذة من قوله*** تعالى *(إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) **(طه/ ١٠)**.

إن الأُنس الذي شعر به سيدنا موسى (عليه السلام) لدى رؤيته للنار، هو ذاته ــ وجنة المحبوب ــ التي لظاها تكوي قلب هذا المحب، الذي صار كليمًا كحال نبي الله موسى (عليه السلام)، فكلاهما وجدا المبتغى عند رؤية النار، لكن نار نبي الله موسى (عليه السلام)، نار حقيقية، أمَّا نار المحب فمتخيلة، وهي إحمرار وجنة المحبوب.

ومن صوره الرائعة، قوله راثيًا أستاذه النحريري:

وبكـــى الأزهـــر المُعمَّـــرُ بحـــراً كـــان في الله ربَّ دمـــعٍ غزيـــرِ

فمصـــــابيحهُ بأحشـــــائها النَّـــــا رُ عليـــه مـــن لوعـــةِ التَّـــذْكيرِ

ومحاريبـــــه لفرقـــــةِ ذاك الصْـــــ ـصدرِ أضحتْ مُقوَّساتِ الظُّهُورِ[2]

إن المكان ــ الأزهر ــ الذي كان شاهدًا على تقوى وصلاة هذا الإمام هي أول من تبادر في بكائه بدمعها الغزير، كذلك المصابيح التي هي رمز للإنارة، أصبحت رمزًا لإبراز اللوعة والاحتراق إثره، أمَّا محراب الصلاة، فيبرر انحناءه وتقوسه، فما كان إلا

(١) مجموع شعره: النص رقم(١١).

(٢) مجموع شعره: النص رقم(١٢).

بسبب فراقه، إذ كبر وشاخ بعده. فهذا العالم كان بالنسبة لهذا المكان الحياة بأسرها وبرحيله أخذ معه جزءًا من أعمار محبيه، كحال المحراب الذي شاخ وتقوس.

إن الشاعر بارع في استعمال تقنية الصورة للتعبير عما يجول بخاطره، ويصور مشاعره، وهي ــ كما ترى ــ صور جميلة لا صعوبة في إدراكها، ولا تعقيد في فهمها، كما أنها صور نابعة من الطبيعة التي حوله ومن ثقافته الدينية.

ج ــ الموسيقا الخارجية والداخلية:

الشعر العربي شعر غنائي قائم على أصول موسيقية مضبوطة، وقيم صوتية متكاملة، وهي ما ميزته عن الكلام المعتاد، وعن غيره من الفنون الأدبية.

وموسيقا الشعر أهم عناصر النص الأدبي الخاصة بالشعر، فهي التي تميزه، وهي التي تثير النفوس وتحرك العواطف والأحاسيس، فالشعر صناعة موسيقية دقيقة. يقول د. محمد مندور:(الموسيقا الشعرية إحدى الوسائل المرهفة التي تملكها اللغة للتعبير عن ظلال المعاني وألوانها، بالإضافة إلى دلالة الألفاظ والتراكيب اللغوية) [1].

(١) الموسيقا الخارجية:

وهي التي تقوم على الوزن والقافية، وهما العاملان الأساسيان في بناء الموسيقا الخارجية للشعر، ومن الوزن والقافية نشأت وحدة النغمة والإيقاع.

والوزن ركن من أركان الشعر ودعامة من دعائم الموسيقا، فإن يكن الشعر أسرع تطورًا في موضوعاته ومعانيه وأشكاله، إلا أن أوزان الشعر العربي أخذت هي الأخرى في التطور منذ أواخر العصر الأموي والعصر العباسي بشكل عام [2].

وهذه دراسة إحصائية لما وصلنا من شعر يحيى الأصيلي، فيه بيان للبحور

(١) مندور، الدكتور محمد، الأدب وفنونه: ٢٧.

(٢) أنيس، الدكتور إبراهيم، موسيقى الشعر: ٢٣.

الشعرية التي نظم عليها:

البحر	عدد الأبيات	عدد القصائد أو المقطوعات
البسيط	٥٨	٦
الكامل	١٩	٧
الرمل	١١	٤
الطويل	٦	٣
المتقارب	٦	٣
السريع	٦	٣
الخفيف	٥	١
المديد	٢	١
المنسرح	٢	١
الرجز	٢	١

من خلال هذه الدراسة الإحصائية يتبين أن الشاعر نظم الكم الأكبر من شعره الذي وصل إلينا على الأوزان الأشهر في الشعر العربي، بل على البحرين الأشهر في المديح خاصة(البسيط والكامل)، وهو ما نراه في القصيدتين الأطول عنده، اللتين كتبهما في المديح، وذلك بغية طول النفس، وجمال الوزن وجودة السبك، كما أن لبحر البسيط و الكامل جرسًا موسيقيًا رائعًا تطرب له الآذان، وترتاح له النفوس، مع أن البحرين يتساويان من حيث عدد القصائد والمقطعات، إلا أن الاختلاف في عدد

الأبيات التي هي في البسيط أكثر، ويأتي الرمل ثالثًا من حيث عدد الأبيات في خمس مقطوعات، في حين أن الطويل والمتقارب والسريع، جميعها متساوية في عدد الأبيات وكذلك المقطعات، ومن ثمَّ تتوالى البحور كما هو مبين في الجدول السابق.

أمَّا بخصوص القوافي وحركاتها، فقد نظم الشاعر القافية المطلقة والمقيدة، والأولى كانت الأكثر وهو المتعارف والمنتشر بين شعراء الشعر العربي.

لم يَنظِم الشاعر على جميع حروف المعجم روِيًّا، وهو ما ستُبيّنه الدراسة الإحصائية للقوافي التي اعتمدها يحيى الأصيلي:

القافية	عدد الأبيات	عدد القصائد أو المقطوعات
اللام	٢٨	١١
النون	٥٠	٥
الباء	١٨	٥
الراء	١٣	٥
التاء	٤	٢
الميم	٢	١
القاف	٢	١
الكاف	٢	١
الطاء	٢	١

والملاحظ أن الحروف التي جاءت بالمرتبة الأولى هي(اللام) و(النون) مع

اختلافٍ في عدد الأبيات، فالنون كان أكثر عددًا للأبيات إلا أن (اللام) كانت نسبة مقطعاتها أكثر، ومن ثمَّ (الراء) التي جاءت في المرتبة الثالثة في عدد الأبيات، إلا أنها تساوت مع (النون) في عدد المقطعات والقصائد، ويأتي (الباء) ومن ثمَّ (الراء) بعدها، وهذه الأحرف جميعها مما شاع وكثر في الشعر العربي، ويعزى ذلك إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة [١]. ثم تتوالى الحروف الأخرى بشكل متساوٍ في عدد الأبيات والمقطعات كما هو مبين في الجدول السابق.

(٢) الموسيقا الداخلية:

وهي التي تقوم على جرس الألفاظ وإيحائها، وتتمثل في اختيار ألفاظ متميزة تعبر عن انفعالات خاصة للشاعر وحالته النفسية التي تسيطر عليه أثناء نظم القصيدة، وهنا تبرز أهمية الموسيقا الداخلية في تشكيل موسيقا أقدر على الاتصال بالأحاسيس الداخلية والانفعالات النفسية، لهذا اتجه الشعراء إلى خلق حالات من الإيحاء عن طريق موسيقا اللفظ، وإلى الإلحاح على استعمال الكلمة كدلالة وكصوت انفعالي [٢].

وهذه الموسيقا الداخلية تختلف من غرض لآخر، فهناك الألفاظ التي لا تصلح في الرثاء وهي مطلوبة في الغزل وغيرها في الحماسة وهكذا، فلكل غرض أو موضوع ما يناسبه من ألفاظ، لما تحمله بداخلها من جرس موسيقي يتراوح بين الشدة والقوة واللطف، لذا كان إبداع الشعراء في اختيار تلك الألفاظ، وهي التي تميز وتفرق بين شاعر يجيد اختيار ألفاظه وآخر لا يراعي تلك الاختيارات؛ وهو ما وجدناه عند يحيى الأصيلي، الذي كان موفقًا– إلى حد ما– في اختياراته، فقد ناسب بين الغرض أو

(١) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٧٥– ٢٧٦.

(٢) ينظر: الورقي، السعيد لغة الشعر العربي الحديث: ٢٤٨.

الموضوع وبين ألفاظه، كقوله:

لي في المحبّـــةِ عـــن مَـــلامِ العـــاذِلِ بجمـالِ مَـنْ أهـواهُ أَشْـغَلُ شـاغِلِ

أثْـــرَتْ عيـــوني بالسُّـــهادِ وإنَّمـــا دَمْعِـي الَّـذي أضـحى بِوَصْـفِ

إنْ غـــرَّدَتْ وُرْقُ الحمـــائمِ جَـــدَّدتْ شوقاً أهاجَ مِنَ الغرام بلابلي[1]

فالشاعر حين يتذكر أحبته يتخير من الألفاظ ما يناسب تلك الحالة النفسية، وما يعبر عن عاطفته أصدق تعبير، كي يصل المعنى للمتلقي في أوضح بيان، ومن تلك الألفاظ (ملام، جمال، أشغل، السهاد، دمعي، غردت، ورق الحمام، أهاج، بلابلي)، فكلها ألفاظ تعبر عن الحالة النفسية من الشوق والألم بسبب لوم العاذل، وكذلك البعد والفراق. كما لا يخفى المجانسة التي نجدها في (أشغل) و(شاغل). وكذلك يستعمل في الرثاء هذه الموسيقا المعبرة عما يشعر تجاه مرثيه، كقوله في شيخه النحريري:

إنْ عَصـــانِي شِـــعْري لِفَقْـــدِ شُـــعُوري فَـــــدُمُوعِي تَرْثِيـــــكَ بالمنْثُـــــورِ

يا إمامـــــاً لَمَّـــا سَـــــكَنْتَ جِنـــــاناً فاضَ دَمْعِي عَلَيْكَ فَـيْضَ البُحُور

وبكـــى الأزهـــر المعمـــر بحـــراً كـان في الله ربَّ دمـعٍ غزيـرِ[2]

فاستعمل ألفاظ:(فقد، دموعي، ترثيك، إمامًا، سكنت جنانًا، فاض دمعي، بكى الأزهر، دمع غزير)، وهذه الألفاظ أخرجت مكنونات نفسه تجاه هذا الشخص، وقد جانس بين (شعري_شعوري) و(فاض_فيض)، وهذه كلها موسيقا تزيد من جمال الشعر وقوة وقعه وتأثيره.

(١) مجموع شعره: النص رقم (٢٦).

(٢) مجموع شعره: النص رقم (١٢).

ومن جميل هذه الموسيقا قوله مادحًا:

أقبَـــلَ بالحســـنِ في مواكـــبْ تقـــيسُ أضـــواءَها الكواكـــبْ

بطلعـــــةٍ بالهـــــلالِ أزرَتْ فـــاكْتَنَّ للغـــيظِ في الغَياهـــبْ

وجيـــــهُ غصـــــنٍ إذا تثـــــنَّى فالغُصْـــنُ مـــادَتْ بـــه الجنائـــبْ

أغْـــزَالُ شِـــعْري لـــه وأمَّـــا مَـــدْحيَ ففـــي فخـــرِ آلِ غالـــبْ

لابـــسٌ بـــردَ الكمـــالِ راقٍ روقَ العُـــلا الشَّـــامِخ المراتـــبْ

مَـــوْلى العَطـــايا أخـــو السَّـــجايا نَجْـــلُ المـــزايا أبـــو المواهـــبْ

وارِثُ صِـــــدّقِ آل طـــــه ومنشـــئُ الكُتُـــبِ والكتائـــبِ[1]

فقد وازن بشكل جميل بين الجمال والضياء في: (الحسن في مواكب واضوائها الكواكب)، وجانس بين(راق_ورق) وبين (الكتب_ الكتائب)، وكذلك التقارب في المعنى والدلالة الحاصل في قوله:(العطايا_السجايا_المزايا) وهو من الترادف أو التوكيد المعنوي، كل ذلك مما يزيد الموسيقا جمالاً وجرسًا، فضلًا عن جمال المعنى، والأسلوب، والعاطفة، والخيال.

(١) مجموع شعره: النص رقم(١).

المبحث الثالث: تحقيق مخطوطة قصيدته

وهي عبارة عن قصيدة من (٣٦) بيتًا، قام بنقلها ضمن مجموع الكاتب الشاعر تلميذه يوسف المغربي، وهذه القصيدة مما لم ترد في أي من المصادر التي ترجمتْ وأوردت شيئًا من شعره، بهذا يعد إضافة مهمة لشعره.

أمَّا وصف هذه المجموعة وما فيه، فقد قام الأستاذ الدكتور عبد الله الجبوري في كتابه (المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف) بذلك من خلال الوصف التالي لمخطوط هذه المجموعة التي هي ضمن مقتنيات مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، يقول: مجموع برقم تسلسلي (١٢٣٣١)، وطول صفحته(٢١سم) وعرضه(١٥سم)، يقع في مجلد لطيف الحجم، في تجليد قديم، خطه مغربي، وقد جاء على صفحته الأولى مذكورًا فيها جل محتواها، وهي كالآتي:

١ــ عبرة اللبيب بمصرع الكئيب، وهي من الكتب المنسوبة لابن النبيه.

٢ــ سجع المطوق، وهي لابن نباتة (ت ٧٦٨هـ).

٣ــ رسالة في ذكر المصادر التي اعتمدها العلامة العيني في شرح شواهده الكبرى، وهي مما نقلت عن خط مؤلفها(العيني).

٤ــ قصيدة، وهي مما نقل عن الشيخ يحيى الأصيلي، وتقع ضمن صفحتين في لوحة واحدة.

ومطلعها:

فـديت مـن حسـنه الفتـان أشـجاني فطـال في حبـه وجـدي وأشـجاني

أمَّا آخرها فقد وقع أستاذنا عبد الله الجبوري في الوهم بأن جعل خاتمتها قوله:

طوقتني طوق إفضال ولا عجب من المطوق بأن يشدو بألحانِ

لكن في الحقيقة ختامها كان في الصلاة والسلام على أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذلك في قوله:

صـلى الإلـه علـى أزكـى الأنام عُـلا والآل والصحب والتالي بإحسانِ

كذلك وقع الأستاذ عبد الله الجبوري في وهم آخر، في جعل أبيات القصيدة (٣٧) بيتًا، لكن في الحقيقة تقع في (٣٦) بيتًا، وقد بدأ قبل سرد أبيات القصيدة بكلامٍ يوضح نسبة القصيدة_سنذكرها مع التحقيق، كذلك نجد شرحًا لإحدى ألفاظ القصيدة في نهاية صفحة المخطوطة، وربما هذا ما أوقع الأستاذ الجبوري في الوهم من خلال عدها ضمن أبيات القصيدة، والله أعلم.

٥_صورة مكتوب ورد من حضرة ملك مراكش مولانا السيد الشريف_سلطان المغرب المنصور الذهبي_ إلى حضرة ملك العلماء شيخ الإسلام الشيخ محمد البكري الصديقي، كما أن هذا النص منقول عن تلميذه شاعرنا يحيى الأصيلي، نقلها عنه يوسف المغربي في هذا المجموع [١].

٦_ مقامة، ومؤلفها الشيخ أبو الحسن علي العسيلي (ت ٩٩٤هـ).

٧_ ديوان ابن مطروح، وهو يحيى بن عيسى جمال الدين (ت ٦٤٩هـ).

٨_ رسالة في العروض، ومؤلفاها: محمد بن أبي بكر المخزومي المالكي.

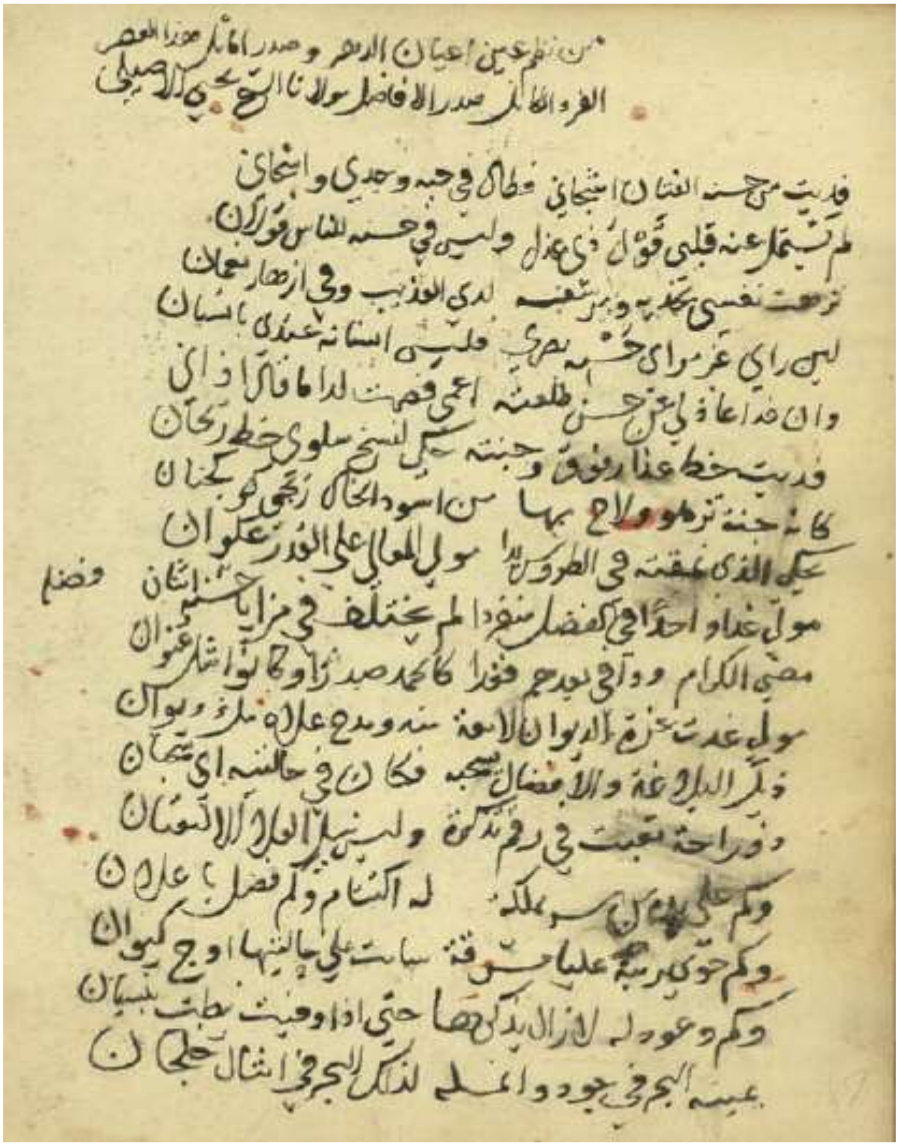
٩_ مقامة، ومؤلفها: محمد بن يوسف الحكمي السرقسطي الأندلسي المعروف باسم الاشتركوني المتوفى سنة (٥٣٨ هـ).

(١) ينظر: رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب الشرق، بحث: في مجلة دعوة الحق الإلكترونية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العددان ٩٨ و٩٩.

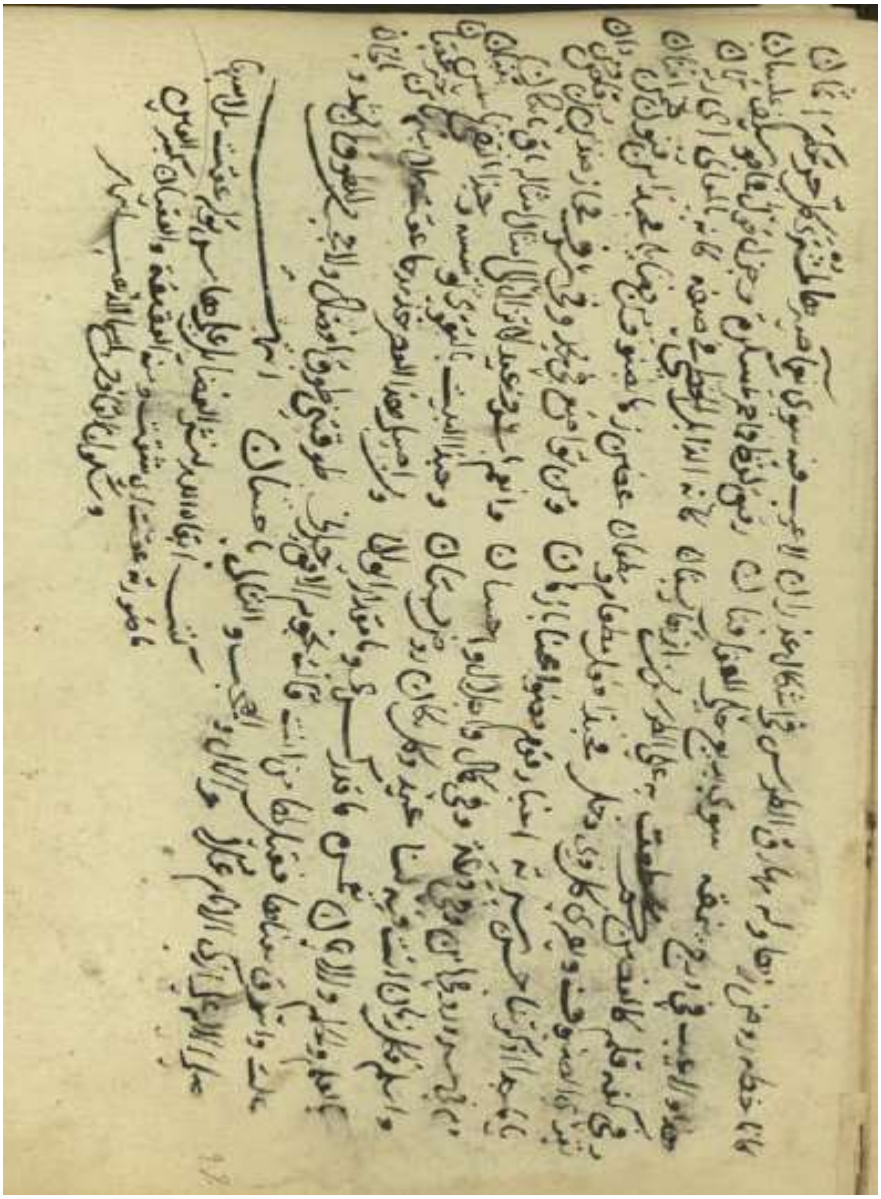
وكلها بخط يوسف المغربي تلميذ يحيى الأصيلي [1].

أمَّا وصف موقع هذا القصيدة من المجموع، فقد كانت ضمن صفحتين في لوحة واحدة، اشتملت الأولى على ذكر وبيان نسبة القصيدة للشيخ يحيى الأصيلي، ومن ثمَّ تم إيراد (١٧) بيتًا، أمَّا الصفحة الثانية فقد اشتملت على باقي أبيات القصيدة مع إيراد تعليق للأصيلي على إحدى الألفاظ التي وردت في القصيدة، لكن الاختلاف فيما بين الصفحتين أن الأولى كتبت بشكل عمودي، أمَّا الثانية فقد تمت كتابتها بشكل أفقي وقد اشتملت أسطرها على بيتين متجاورين.

(١) ينظر: الجبوري، الدكتور عبد الله، المستدرك على الكشاف عن مخطوطات: ٣٦١– ٣٦٥.



الصفحة الأولى من مخطوطة القصيدة



الصفحة الثانية من مخطوطة القصيدة

القسم الثاني

ما تبقى من أشعار يحيى الأصيلي مجموعة ومرتبة وفق القوافي

((قافية الباء))

النص رقم (١)

وفيه ـ أي الشيخ أبو المواهب محمد بن الشيخ محمد البكري ـ يقول الشيخ شرف الدين يحيى الأصيلي مشجرًا:(**من مخلع البسيط**)

١ـ أقبَلَ بالحسنِ في مواكبْ

تقيسُ أضواءَها الكواكبْ

٢ـ بطلعةٍ بالهلالِ أزرَتْ

فاكْتَنَّ للغيظِ في الغَيَاهبْ

٣ـ وجيهُ غصنٍ إذا تثنَّى

فالغُصْنُ مادَتْ به الجنائبْ

٤ـ أغْزَالُ شِعْري له وأمَّا

مَدْحيْ ففي فخرِ آلِ غالبْ

٥ـ لابسٌ بردَ الكمالِ راقٍ

روقَ العُلا الشَّامِخ المراتبْ

٦_ مَوْلى العَطايا أخو السَّجايا

نَجْلُ المزايا أبو المواهبْ

٧_ وارِثُ صِدّيقِ آلِ طه

ومُنشئُ الكُتُبِ والكتائبْ

٨_ أحياهُ مولى الورى ليُحْيِي

مناقبَ الفَضْلِ والمقانبْ[١]

٩_ هاميْ العطايا مشرقُ المحيّا

حامي السَّطا مُغْدِقُ الرَّغائِبْ

١٠_ به الأَصيليُّ حازَ حُبّاً

بلَّغَهُ أشرفَ المطالبْ[٢]

النص رقم (٢)

وله أيضا:(**من مجزوء الرجز**)

(١) المقانب: جمع مِقْنَب أو مَقْنَب تعني: فرق الخيل أو العسكر، أو الجماعة من الناس.

(٢) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٥٣ – ٦٥٤.

١ــ وَبِي عَرُوضِيٌّ إذَا
أبْصَرَهُ البَدْرُ احْتَجَبْ

٢ــ أعْطَافُهُ لِصَبِّهِ
فَاصِلَةٌ بِلا سَبَبْ[١]

النص رقم (٣)

وله أيضًا:(**من السريع**)

١ــ رِسالَةٌ مِنْ لُطْفِها أَشْبَهَتْ
رِيحَ الصَّبا مَرَّتْ بِزَهْرِ الرُّبا

٢ــ وَلَمْ يَزَلْ ما بَيْنَ أهْلِ الهَوَى
رَسائِلُ العُشّاقِ رِيحُ الصَّبا[٢]

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤١، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٦، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧١، المدني، أنوار الربيع: ٢ / ٢٩١ – ٢٩٢، الدمياطي، بدر الدين، نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء: ٤٠٤.

(٢) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٤ – ٤٥، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٩– ٤٤٠، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧١.

النص رقم (٤)

وله مُماجِنًا:(**من مجزوء الكامل**)

١_ لا بُدَّ يا مَوْلايَ كاشَفاً

تَسْمُو لَدَيْكَ مَوَاكِبُ

٢_ إنِّي رَأَيْتُكَ كاشِفاً

وَأنَا وَراءَكَ رَاكِبُ[١]

النص رقم (٥)

وقرأت في تذكرته ما نصه: قال كنا بخدمة الأستاذ محمد البكري بمنزله ببولاق أنا وجماعة من فقرائه وذوي ولائه، فأرسل لكل واحد حصته من الرمَّان، وكنت أنا قد ظهرت من المنزل لقضاء حاجة، فلما حضرت أخبرت بذلك فكتبت إليه:(**من المنسرح**)

١_ مَوْلايَ يَا أَكْرَمَ الأنامِ ومَنْ

بِحارُ جَدْوَى نَداهُ مُنْصَبَّهْ

٢_ قَدْ جَاءَ رُمَّانُكَ الوَرَى جُمَلاً

والعَبْدُ مَاْ جَاءَهُ وَلَاْ حَبَّهْ[١]

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤١، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٦.

((قافية التاء))

النص رقم (٦)

(من مجزوء الكامل)

١ــ مَنْ مُنْصِفِي مِنْ ظَالِمٍ

بَيْتُ المَظالِمِ بَيْتُهُ

٢ــ أُخْفِيهِ خَشْيَةَ بَأسِهِ

وَأَوَدُّ لَوْ سَمَّيْتُهُ(٢)

النص رقم (٧)

=

(١) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر:٢ / ٦٦٠، لمحبي، محمد أمين. خلاصة: ٤/ ٤٦٨- ٤٦٩. فأرسل ـمحمد البكري ـمنه جملة وافرة وكتب مجيبًا:

نأمر بالقلب واللسان بما يفيض منه غيث العطا صبه

فليس هذا الفقير يعرف من أتباعه مثلكم غدا صبه

فأعذر ولا عتب في الحساب على مخطئ محبوبه ولا حسبه

(٢) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢/ ٤٠، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٤، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤/ ٥٧١، البيت الاول(شادن) بدل(ظالم)، أنوار الربيع: ٥/ ١٠٠.

وله أيضًا يتشكّى من صديقٍ له كثير التمارض:(**من مجزوء الكامل**)

١ــ لِي صاحِبٌ مُتَمَرِّضٌ

مُتَقَلِّقٌ فِي ذاتِهِ

٢ــ يا رَبِّ صَبِّرْنِي عَسَى

أَقْوَى عَلَى مَرْضَاتِهِ[١]

((قافية الراء))

النص رقم (٨)

وللأصيلي أيضا:(**من مجزوء الرمل**)

١ــ قِيلَ لِي إنَّ فُلاناً

قَدْ تَعَالى وَتَكَبَّرْ

٢ــ وَلَمِنْ قَدْ ساءَ رَأْسٌ

قُلْتُ لا بَلْ رَأْسُ مَنْسَرْ[٢]

النص رقم (٩)

وله أيضا:(**من مجزوء الكامل**)

---

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٥، الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة: ٢ / ٤١، والبيت الأول (مقتلق) بدل (متقلق).

(٢) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين، ريحانة الألبا: ٢ / ٤٣، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٨، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧٠– ٤٧١.

١_ مُذْ بَانَ مَنْ أهْوَى هَمَتْ

عَيْنِي بِمَاءٍ مُنْهَمِرْ

٢_ فَقُلْتُ لِلْقَلْبِ إذَا

لَمْ تُلْفِ صَبْراً فاسْتَعِرْ(١)

النص رقم (١٠)

وقوله في عرب العشر وأجاد في التورية:(**من السريع**)

١_ عن العشيرِ أَبعدْ وَكُن سالماً

وَكُنْ فتىً بالبُعدِ عنهم مُشيرْ

٢_ عاشَرْتُ منهم واحداً خانَني

عهدي وميثاقي فَبِئسَ العشيرْ(٢)

النص رقم (١١)

وقال: اقترح عليَّ مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد النسفي المالكي، أن أنظم

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٤، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٩، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧١، نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء: ٢٨٨.

(٢) التخريج والتوثيق: المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤/ ٤٦٨، الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦٠.

بيتين من بحر المديد، عندما وصلت في القراءة عليه إلى هذا الموضع، من عروض ابن الحاجب وشرحها لابن واصل:(**من المديد**)

١_ وجْنَةُ المحبوب ذاتُ إحمرارِ

من لظى القَلْبِ استعارَ استعارا

٢_ فلهذا قد صارَ قلبي كَليماً

حيثُ من خدّيه (آنسْتُ نَارًا)[١]

النص رقم (١٢)

وله من قصيدة يرثي بها العلامة النِّحريري البصير، خاتمة المفسِّرين:(**من الخفيف**)

١_ إنْ عَصانِي شِعْري لِفَقْدِ شُعُورِي

فَدُمُوعِي تَرْثِيكَ بالمنْثُورِ

٢_ يا إِماماً لمَّا سَكَنْتَ جِناناً

فاضَ دَمْعِي عَلَيْكَ فَيْضَ

ومنها:

(١) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦١ – ٦٦٢، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٩، ولم ترد في البيت الثاني لفظة (قد).

وَبَكَى الأَزْهَرُ المُعَمَّرُ بَحْراً

كانَ فِي اللهِ رُبَّ دَمْعٍ غَزِيرِ

فَمَصابِيحُهُ بِأَحْشائِها النَّا

رُ عَلَيْهِ مِنْ لَوْعَةِ التَّذْكِيرِ

وَمَحارِيبُهُ لِفُرْقَةِ ذَاكَ الصَـ

ـدْرِ أَضْحَتْ مُقَوَّساتِ الظُّهُورِ[1]

((قافية الطاء))

النص رقم (١٣)

ومن مقطعاته قوله:**(من مجزوء الرمل)**

١ــ شَفَّنِي فَاحِمُ شَعْرٍ

حَسَنُ الجُمَّةِ سَبْطُ

٢ــ شَجَنِي يُمْلِي عَلَيْهِ

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٥، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٤٠.

وَهْوَ فِي الأَرْضِ يَخُطُّ[1]

((قافية الفاء))

النص رقم (١٤)

قال في شيخه شهاب الدين أحمد السنفي:**(من البسيط)**

١ــ لِله دَرُّ شِهابِ الدين مُرتقِياً

في الجودِ والنسبِ السَّامي على السَّلَفِ

٢ــ مَنْ رامَ يبغْي وَفاً أو مُنْتقَى نسبٍ

قالتْ فضائلُه في ذا وذَا سَنَفِي[2]

((قافية الكاف))

النص رقم (١٥)

وله أيضاً:**(من مجزوء الرمل)**

١ــ رُبَّ قاضٍ قَبِلَ الرِّشْـ

ـوَةَ لَمَّا أَنْ تَمَلَّكْ

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٤، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٨ – ٤٣٩.

(٢) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ١٣٤، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٥٤٨، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ١ / ١٨٨. البيت الأول: (درك) بدل (درُّ). والبيت الثاني: (سعي تقى) بدل (يبغي وفاً) و(ستفي) بدل(سنفي).

٢ــ قالَ لِلظَّالِمِ إنِّي

سَأُنَجِيكَ وَأهْلَكْ[١]

((قافية الام))

النص رقم (١٦)

وله أيضاً:**(من مجزوء الكامل)**

١ــ يا ذا العَرُوضِيّ الَّذِي

أضْحَى بَسِيطَ الحُسْنِ كَامِلْ

٢ــ وَعَنِ ابْنِ قَطَّاعٍ رَوَى

هَلَّا رَوَيْتَ عَنِ ابْنِ واصِلْ[٢]

النص رقم (١٧)

وله: **(من المتقارب)**

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٤، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا: ٤٣٩، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧١.

(٢) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤١، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٦، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤/ ٤٧١. نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء: ٢٧٩ البيت الأول:(وبي عروضي إذا) بدل (يا ذا العروضي الذي). والبيت الثاني: (عن) بدل (وعن).

١ــ أَتَيْتُ جُنَيْنَةَ أستاذنا

وَقَدْ جَمَعَتْ كُلَّ مَعْنًى كَمُلْ

٢ــ بِها أَيُّ وَرْدٍ وَآسٍ بِهِ

تَفَرَّقَ شَمْلُ عِداهُ وَفُلْ[١]

النص رقم (١٨)

وكتب لخاله بثَغْر الإسكندرية:(**من الطويل**)

١ــ لِخالِيَ فِي الإسْكَنْدَرِيَّةِ رَغْبَةٌ

وَمِنْ بَعْدِهِ قَدْ حالَ لِي فِي الهَوى

٢ــ فَإِنْ يَكُ أضْحَى ثَغْرُها مَوْطِناً لَهُ

فَيا حبَّذا فِي ذلِكَ الثَّغْرِ لِي خَالُ[٢]

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٢، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا: ٤٣٦– ٤٣٧، وفيه يعلق على لفظة (الفل) بضم الفاء وتشديد الام: نوعٌ من الزهور يشبه الياسمين إلا أنه أحسن منه وأقوى رائحة، وهو شائع في لغة أهل اليمن والحجاز، والظاهر أنه عربيٌّ؛ لكن أهل اللغة لم يذكروه.

(٢) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٢، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٧. والبيت الأول(خالُ) بدل(حال)، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧١ – ٤٧٢.

النص رقم (١٩)

وله أيضًا:

١ـ لا يُهْدِيَنَّ الفتى لصاحبه

آلةَ قَطْعٍ كالسَّيْفِ والنَّصْلِ

٢ـ إلَّا ومع ذاك إبرةً لِتَكُنْ

معَ آلةِ القطْعِ آلةُ الوَصْلِ[١]

النص رقم (٢٠)

وكتب لشيخنا الصَّالحي، يستأذنه في الدخول إليه، لما قدم مصر:(**من المتقارب**)

١ـ عَلَى البابِ مَنْ كادَ مِنْ شَوْقِهِ

يَمُوتُ وَذلِكَ يَحْيى الأَصِيلي

٢ـ أَتَى يَتَغَنَّى بِأَوْصافِكم

فَهَلْ تَأْذَنُونَ لَهُ فِي الدُّخُولِ[٢]

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٦.

(٢) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٢ – ٤٣، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٧، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧٠. فأجابه الصالحي بقوله:

=

النص رقم (٢١)

ومما أنشدني له من قصيدة في مدح الأستاذ البكري:(**من الطويل**)

١_ ألا إنَّ لِي يا آلَ صِدِّيقَ أَحْمَدٌ

لَشَمْسُ هُدًى مِنْكُمْ بِهِ الكَرْبُ

٢_ فَلِي مِنْهُ أُسْتاذٌ وَلِي مِنْهُ مُرْشِدٌ

وَلِي مِنْهُ قُطْبٌ ذُو اتِّصالٍ وَلِي وَلِي[1]

النص رقم (٢٢)

وقال في مليح يعرف بالمنهلي:(**من الطويل**)

١_ يناديكَ جِيدُ المنهليِّ إذ بدا

تَنَقَّلْ فَلَذَّاتُ الهوى في التَّنَقُّلِ

=

لمـــولاي يحـــيى رقيـــقُ الطِّبـــاع ولُطـفُ السَّـماع وحُسْـنُ القبـولِ

أمـــولاي هـــل خـــارجٌ ضـــربكم لتحتـــاج لـــلإذن عنـــد الـــدُّخولِ

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤٠، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٥. والبيت الأول (من آلِ) بدل (يا آلَ) و(منهم) بدل(منكم)، والبيت الثاني (واتِّصالٌ) بدل (ذو اتصالٍ)، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٧٠، أنوار الربيع: ٥ / ١٠٠.

٢_ وقالت لنا أصحابه في مقاله

وَرِدْ كُلَّ صافٍ لا ترد كُلّ منهلِ[١]

النص رقم (٢٣)

وقوله فيمن اسمها شمس الضحى موريًا باسمها:(**من مجزوء الكامل**)

١_ لمَّا وَفَتْ شمسُ الضُّحَى

لي موعدي وَشَفَتْ غليلي

٢_ شاهَدْتُ أيَّ عجيبة

شمسِ الضُّحى عندَ الأصيلِ[٢]

النص رقم (٢٤)

(من مجزوء الكامل)

(١) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦٠، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٨. والبيت الأول(حب) بدل(جيد) و(إذا) بدل(إذ)، والبيت الثاني(دع) بدل(في) و(لا تقف عند) بدل (لا ترد كل).

(٢) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٥٩، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٨، الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي. نشوة السلافة: ١٧١.

١ــ أذاني بقفل الضَّبّه

شخص أعمى البَصره كحّالِ

٢ــ نادَيت من أذاه لي قائل

يا فتاح عليك بالقفّالِ[١]

النص رقم (٢٥)

وقد ذكر في كتابه (التذكرة) قوله: كنت أنا وشيخنا العلامة نور الدين العسيلي جالسين عنده ــ القصد هنا محمد البكري ــ وقد ذكر في المجلس جماعة من أفاضل الدهر، وأدباء العصر، توفوا في مدة قريبة كالعلامة الفارضي والشهاب النسفي والبرهان المبطل وخلائق آخرين فأنشد بديهة:(**من المتقارب**)

١ــ أقولُ وَقَدْ قيلَ لي: كم مضى

أديبٌ له حُسْنُ نَظْمٍ جليلِ

٢ــ دعوا كُلَّ ذي أدَبٍ ينقضي

(١) التخريج والتوثيق: المغربي، يوسف،دفع الإصر: ٢٧٠، يذكر سبب نظم هذين البيتين: يقولون في السب: فلان قَفَّال، حتى أن بعض الثقلا ــ القصد هنا شخص يسمى جلال الدين بن محرز الكحال ــ قفل الخلوة، وكان شيخنا الأصيلي داخلها، فنظم فيه. وفي البيتين كسر لم نجد لهما بحرًا واضحًا.

ويُحيى العُسيلي ويُحيى الأصيلي[١]

النص رقم (٢٦)

فمن قوله:(**من الكامل**)

١ــ لي في المحبّةِ عن مَلامِ العاذِلِ

بجمالِ مَنْ أهواهُ أَشْغَلُ شاغِلِ

٢ــ أغرت عيوني بالسُّهادِ وإنَّما

دَمْعِي الَّذي أضحى بِوَصْفِ السَّائِلِ

٣ــ إنْ غرَّدَتْ قمري الحمائمِ

شوقاً أهاجَ مِنَ الغرام بلابلي

٤ــ بابي غزالٍ أرْضُ نجدٍ دارُهُ

لكنْ لواحِظُهُ عُزِينَ لِبابلِ

٥ــ لدن المعاطف رق مرشف ثغره

(١) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦١، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٩، الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي. نشوة السلافة: ١٧١ – ١٧٢.

فأعجب له من ذابل في ذابلِ

٦_ ولِحاظُهُ حَفَّتْ بأصداغِ فيا

لله مِنْ سيفٍ سطا بحمائلِ

٧_ تتطاوَلُ الأغصانُ تحكي قَدَّهُ

وإلى التَّناهي مّرْجِعُ المتطاولِ

٨_ أعيا الفصيحَ بنبت عارِضِه فَقُلْ

قِسُّ الفصاحةِ من أسارى باقلِ[1]

((قافية الميم))

النص رقم (٢٧)

ومن شعره أيضًا ما كتبه مقرضًا على نظم في العربية لبعض الفضلاء سماه الإشارات: **(من البسيط)**

(١) التخريج والتوثيق: المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٨، الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٥٩، البيت الثاني (أثرت) بدل (أغرت)، والبيت الثالث (ورق) بدل (قمري)، البيت الخامس لم ترد فيها، البيت السادس (بحمايل) بدل (بحمائل)، البيت السابع (تحي) بدل (تحكي) و(المطاول) بدل (المتطاول)، البيت الثامن (نبات) بدل (بنبت).

١ــ إنَّ الإشاراتِ للعلمِ العزيز

وحازَتِ الرَّفعَ مِثْلَ المفرَدِ العَلَمِ

٢ــ وإنْ تَقُلْ مادِحاً في نعتها كُلّها

ففي الإشاراتِ ما يُغني عن الكَلِمِ (١)

((قافية النون))

النص رقم (٢٨)

وعليه قول صاحبنا الأصيلي:(**من البسيط**)

١ــ قُمْ هَاتِها قَهْوَةً مِسْكِيَّةً فَضَحَتْ

بِنْتَ المُدَامِ وَشَنِّفْ لِي الفَنَاجِنَا

٢ــ تَدْعُو إلَى نَحْوِ ما فِيهِ البَقاءُ وَلَو

دَعَتْ إلى نَحْوِ ما فِيهِ الفَنا جِينا

٣ــ وَاللهِ لَوْ أنَّ أَلْفاً نَحْوَ حانَتِها

(١) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦١، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٩.

يَبْغُوا النَّجاةَ وَجَدْتَ الأَلْفَ نَاجِينا[1]

النص رقم (٢٩)

وقال في كتاب إلى الشريف حسن بن أبي نُميّ سلطان الحجاز:(**من الرمل**)

١ـ أيَّـــــد اللهُ تعـــــالى سَـــــيّداً

كـــــاملاً في سِـــــرّه والعَلَـــــنِ

٢ـ بَـــدْرُ فَضْـــلٍ أشْـــرَقَتْ أنـــوارُهُ

مـــن ذُرا الشَّـــام لأقصـــى الـــيَمَنِ

٣ـ مَـــنْ حـــوى رِقَّ المـــزَايا والعُـــلا

وشـــرى المجـــدَ بأغلـــى ثَمَـــنِ

٤ـ مجـــدُهُ مِـــنْ ذاتِـــهِ مـــن أصْـــلهِ

حَسَـنٌ مـن حَسَـنٍ مِـنْ حَسَـنِ[2]

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٣٤٨.

(٢) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٦٢، المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر: ٤ / ٤٦٩ – ٤٧٠، الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي. نشوة السلافة: ١٧٢.

النص رقم (٣٠)

وله أيضًا :(**من السريع**)

١ــ يا حُسْنَ جَنَّانٍ لَهُ وَجْنَةٌ

مِنْ وَرْدِها باللَّثْمِ حَيَّانِي

٢ــ أتحفَني يَوْماً بِما راقَني

مِنْ رُطَبٍ حُلْوٍ وَحَيَّانِي[١]

النص رقم (٣١)

وله من قصيدة:(**من البسيط**)

١ــ بَدَا بِوجْهٍ جَمِيلِ الوَصْفِ والشَّانِ

يَقُولُ سُبْحانَ مَنْ بِالحُسْنِ وشَّانِي

٢ــ كَأَنَّهُ رَوْضَةٌ غَنَّاءُ مُزْهِرةٌ

(١) التخريج والتوثيق: الخفاجي، شهاب الدين. ريحانة الألبا: ٢ / ٤١ – ٤٢، الخفاجي، شهاب الدين. خبايا الزوايا: ٤٣٦، البيت الأول(جَنَّاني) بدل(حياني) والبيت الثاني(ألحقني) بدل(أتحفني).

مِنْ دَمْعِ عَاْشِقِهَا يُسْقَى بِغُدْرانِ

٣_ أشْبَهْتَ في حُبِّهِ وُرْقَ الحِمَى فَغَدَاْ

كُلٌّ بِبَيْتِ الجَوَى شَجْواً على البانِ

منها:

٤_ تَقُولُ أعْطَافُهُ لمّا تُشَبِّهُهَا

بِالرُّمحِ مَنْ قَالَ إنَّ الرُّمْحَ حَاكَاني

٥_ عِطْفايَ حُلْوانُ مِمَّا أيْنَعَا ثَمَراً

فكيفَ تَحْكِيهُمَا أَعْطَافُ مرَّانِ[1]

النص رقم (٣٢)

((القصيدة المحققة))

من نظم عين أعيان الدهر وصدر أماثل هذا العصر الفرد الكامل صدر الأفاضل مولانا الشيخ يحيى الأصيلي:(من البسيط)

١_ فَـدَيْتُ مـنْ حُسْـنِهِ الفتَّـانِ أشْـجَاني

(١) التخريج والتوثيق: الحسيني، علي بن معصوم المدني. سُلافة العصر: ٢ / ٦٥٩، الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي. نشوة السلافة: ١٧١، البيت الثاني(تسقى) بدل(يسقى) والبيت الرابع(أعطافها) بدل(أعطافه) والبيت الخامس(مراً) بدل(ثمراً).

فَطَـالَ فِي حُبِّـه وَجْـدي وأشْـجانِي

٢_ لَمْ يَسْـتَمِلْ عَنْـهُ قَلـبِي قَـوْلُ ذِي عَـذَلٍ

وَلَـيْسَ فِي حُسْـنِهِ لِلنَّـاسِ قَـوْلانِ

٣_ نَزَّهْـتُ نَفْسِـي بِخَدَّيـهِ ومَرْشَـفِهِ

لَـدَى العُـذَيْبِ[١] وَفِي أزْهَـارِ نُعْمَـانِ

٤_ لَـئِنْ رَأى غَرِمُـوا في حُسْـنِهِ بَصَـري

فَلَـيْسَ إنْسَـانُهُ عِنْـدي بِإنسَـانِ

٥_ وإنْ غَـدَاْ عَـاذِلِي عَـنْ حُسْـنِ طَلْعَتِـهِ

أَعْمَـى فَصَـحَّتْ لَـدَاْ مَـاْ قَـالَ آذْانِي

٦_ فَـدَيْتُ خَـطَّ عُـذارٍ[٢] فَـوْقَ وَجْنتِـهِ

حَكـي لِنَسْـخِ سُـلُوّى خَـطَّ رَيْحَـانِ

٧_ كَأنَّـــهُ جَنَّـــةٌ تَزْهُـــو وَلَاْ حَ بِهَـــا

مِـنْ أسْـوَدِ الخَـالِ زنجـيٌّ {...} [٣]

(١) العُذَيْب (أو العُذَيبُ) هو اسم لموقع، وهو موضع ماء (منهل) ومحطة تاريخية على الطريق القديم الواصل بين الكوفة (في العراق) ونجد (في شبه الجزيرة العربية).

(٢) العذار: هو الشعر الذي ينبت على جانبي الوجه، أي الشعر النازل من الصدغ إلى اللحية.

(٣) ما بين المعقوفتين فيه طمس مقدار كلمة.

٨_ يَحْكـي الـذي نَمَّقَتْـهُ في الطُّـرُوس يَـدَاْ
مَـوْلَى المَعـالي عَلـي القَـدْرِ عَلـوانِ

٩_ مَـوْلَى غَـدَا وَاحِـداً في الفَضْـلِ مُنْفَـرِدَاً
لَمْ يَخْتَلِـفْ فِي مَـزَايَا حُسْـنِهِ اثْنَـانِ

١٠_ مَضَـى الكِـرَامُ وَوَافَى بَعْـدَهُمْ فَغَـدَا
كَالْحَمْـدِ صَـدْراً وَكَـانُوا مِثْـلَ عُنْـوانِ

١١_ مَـوْلَى غَـدَتْ غِـرَّةُ الـدِّيْوانِ لَاْمِعَـةً
مِنْـهُ وَمَـدَّ عُـلَاْهُ مِنْـكَ دِيْـوانِ

١٢_ ذَيْـلُ البَلاغَـةِ والأفْضَـالِ يَسْـحَبُهُ
فَكَـانَ فِيْ حَالَتَيْـهِ أي سَـحْبَانِ

١٣_ ذُوْ رَاحَـةٍ تَعِبَـتْ فِي رَقْـمِ تَـذْكِرَةٍ
وَلَـيْسَ نَيْـلُ العُـلَاْ إلّا لَتَعْبَـانِ

١٤_ وَكَـمْ عَلـى يَـدِهِ مِـن سِـرِّ مَمْلَكَـةٍ
لَـهُ اكْتِتَـامٌ وَكَـمْ فَضْـلٌ بِإِعْـلَانِ

١٥_ وَكَـمْ حَـوَى رُتْبَـةً عَلْيـاءَ مُشْـرِقَةً

سَـأْمَتْ عَلى حَالَتَيْهـا أَوْجُ كَيْـوانِ[١]

١٦_ وَكَـمْ وُعْـوُدٍ لَـهُ لَاْزَالَ يَـذْكُرُهَاْ

حَـتَّى إذَا وُفِّيَـتْ نَطَّـتْ بِنِسْـيانِ

١٧_ يَمِيْنُـهُ البَحْـر فِي جُـوْدٍ وأَنْمُلِـهِ

لِـذلكَ البَحْـرُ فِي أَمْثَـالِ خُلْجَـانِ

١٨_ كَأَنَّمَـا خَطُّـهُ رَوْضٌ زَهَـا ولـه

مَهَارِقُ[٢] الطَّرْسِ فِي أَشْكَالِ عُذْرانِ

١٩_ لَاْ عَيْـبَ فِيْـهِ سِـوى نِعمـاءَ صَـيَّرَهَا

لِمُشْـتَرِي كُـلِّ حُـرٍّ حُكْـمَ أَثْمَـانِ

٢٠_ هـذا وَلَاْ عَيْـبَ فِي دَرْجٍ يُنَمِّقُـهُ

سِـوَى بَـدِيْعِ حُلِّـي العَقْـلِ فَتَّـانِ

٢١_ رَقِيـقُ لَفْـظٍ فَمَـا خَمْـرٌ بِمُسْـكِرَةٍ

وَجَـزْلُ قَـوْلٍ فَمَـا {...} [٣] سَـيْفٍ

٢٢_ فِي كَفِّـهِ قَلَـمٌ كَالغُصْـنِ كَـمْ سَـطَعَتْ

(١) كيوان: هو كوكب زُحَل.

(٢) المهارق: جمع مَهْرَق، تعني: رقاع الكتابة من القماش، أو صحائف الوثائق القديمة.

(٣) ما بين المعقوفتين فيه طمس مقدار كلمة.

بِـهِ عَلـى الطـرْسِ مِـنْ أزْهَـارِ بُسْـتَانِ

٢٣_ كَأَنَّـــهُ الـــذَّابِلُ الخَطِـــيُّ فِي صِـــفَةٍ

كَأَنَّـــــــهُ بالمَعَـــــــانِي أيُّ رَيّانِ

٢٤_ يَقْـرِي الضـيوفَ ويَقْـري كـلَّ ذِيْ

فَحَبَّـــذَاْ فِعْـــلُ مِطْعَـــامٍ وَمِطْعَـــانِ

٢٥_ غُصْـنٌ زُهَـاْ بِصُـنُوفٍ مِـنْ فَضـائِلِهِ

فَحَبَّـذَاْ مِـنْ فُنُـونٍ ضِـمْنَ أفْنَـانِ

٢٦_ يَاْ ماجِـدًا ذَكّرتْنَـاْ حُسْـنُ سِـيْرَتِهِ

أَخْبـارُ قَـومٍ مَضَـوا عَنَّـا بِأَزْمَـانِ

٢٧_ وَمَـنْ تَوَاضَـعَ فِي مَجْـدٍ وَفِي شَـرَفٍ

فَحَـازَ ضِـدَّيْنِ مِـنْ قَـاصٍ وَمِـنْ دَانِ

٢٨_ دُمْ فِيْ سُـرُورٍ وَفِي أمْـنٍ وَفِي دَعَـةٍ

وَفِي كَمَـــالٍ وإِجْـــلَاْلٍ وإِحْسَـــانِ

٢٩_ انْعَـمْ بِأَشْـرَفِ عِيْـدٍ لَاْ تَـزَالُ إلى

أمْثَـــالِ أمْثَالِـــهِ بَاقٍ بِإِمْكَـــانِ

٣٠_ واسْـلَمْ فكُـلُّ زَمَـانٍ أَنْـتَ فِيْـهِ لَنَـا

عِيْـدٌ وَكُـلُّ مَكَـانٍ رَوْضُ بُسْـتَانِ

٣١_ وَحَبَّـذَاْ البيــتُ بِالتَّقْــوَى تُؤَسِّسُــهُ

وَحَبَّــذَاْ بِالتُّقَــى تَأْسِــيْسُ بُنْيَــانِ

٣٢_ بِالْعِلْــمِ وَالْحِلْــمِ والإِيْمَــانِ تَعْمُــرُهُ

مَـاْ قَـدْرُ كِسْـرَى وَمَـا مِقْـدَارُ إِيْـوَانِ

٣٣_ وَمِنْ أُصَيْلِيّ هذا العصرِ خُذْ مَدِحًا

عَقَّــتْ مَلَاْبِسُــهَا مِــنْ خَــيْرٍ عُقْيَــانِ

٣٤_ عَلَــتْ وَأَشْــرَقَ مَعْناهَــا فَقِيْــلَ لَهَــاْ

مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ نُجُومُ الأُفْقِ جِيْرَانِي

٣٥_ طَـوَّقْتَنِي طَـوْقَ إِفْضَـالٍ وَلَاْ عَجَـبٍ

مِــنَ المُطَــوِّقِ أَنْ يَشْــدُو بِأَلْحَــانِ

٣٦_ صَـلَّى الإِلـهُ عَلَـى أَزْكَـى الأَنَامِ عُـلَاْ

والآلِ والصَّــحْبِ والتَّــالِي بِإِحْسَــانِ

انتهت

كتب أبقاه الله لنشر الفضائل على هامش قوله عقت ملابسها ما صورته عقت أي شقت ومنه العقيقة والعِقْيان بكسر العين وسكون القاف من أسماء الذهب انتهى.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة في شعر يحيى الأصيلي، يتبين لنا عدة نتائج، أهمها:

- إن يحيى الأصيلي، يمثل عصره من خلال أسلوبه الذي اتبعه في نظم شعره، فالسهولة والوضوح وقرب معانيه كانت الصفة الغالبة عليه، وكذلك تنوع أسلوبه بين الخبر والإنشاء، حسب مقتضيات الكلام وما يتفق ويخدم المعنى المراد.
- جاء الغزل والإخوانيات، ومن ثمَّ المديح في مقدمة الأغراض التي كتب فيها الشاعر ووصلنا من شعره.
- كان للمديح النصيب الأكبر من حيث عدد الأبيات، فللشاعر قصيدتان في المديح تمثلان أطول ما وصلنا من شعره.
- استخدم الشاعر طريقة القدماء في المديح، بدأ قصيدته بالغزل، ثم أحسن التخلص إلى المديح.
- نظم الشاعر في عديد من الموضوعات والأغراض الشعرية، كالهجاء، والرثاء والخمرة وغيرها.
- كان للخيال أثره البارز في شعره، حيث استخدمها كوسيلة لنقل المعنى إلى المتلقي، مستمدًا صوره من الطبيعة ومن ثقافته الدينية.
- نظم على عشرة بحور شعرية، وهي بالترتيب الكمي الآتي: البسيط، الكامل، الرمل، الطويل، المتقارب، السريع، الخفيف، المديد، المنسرح، الرجز.
- كان للموسيقا الداخلية إيحاء، ذو جرس، مستعملًا الجناس والمقابلة والطباق وغيرها؛ ليجعل للموسيقا الداخلية النغم الجميل والإيقاع الرنان.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الغزي، شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن(ت١١٦٧هـ)."ديوان الإسلام، وبحاشيته أسماء كتب الأعلام"، تحقيق: سيد كسروي حسن، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٠).

أنيس، لدكتور إبراهيم. "موسيقى الشعر:(ط ٤، دار القلم، بيروت، ١٩٧٢).

الجبوري، الدكتور عبد الله. "المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف". (ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٥).

حسين، أحمد شيخ. "أنواع الزخارف البديعية في العصرين العثماني والمملوكي"، (مجلة كلس، جامعة أراليك، كلية اللاهوت، تركيا، المجلد ٤، عدد ٧، ٢٠١٧).

الحسيني، علي بن أحمد بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)" سُلافة العصر في محاسن اهل العصر". تحقيق: د. محمود خلف البادي (ط ١، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق،٢٠٠٩).

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ)."خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا". تحقيق ودراسة: د. محمد مسعود أركين، اعتنى به: محمد أديب الجادر. (ط ١، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،٢٠١٥).

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ)."ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا". تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو (١٩٦٧). (ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر،١٩٦٧).

خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بكاتب جلبي وبحاجي(ت١٠٦٧هـ)."سلم الوصول إلى طبقات الفحول". إشراف وتقديم: أكمل الدين احسان اوغلي، تحقيق: محمد عبد القادر الأرناؤوط، تدقيق: صالح

سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور (شركة يلدز للنشر والإعلام ش. م، اسطنبول،٢٠١٠).

الخيقاني، محمد علي بن بشارة آل موحي (كان حيًا سنة ١١٦٦هـ)."نشوة السلافة ومحل الإضافة ". تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري، (ط١، الرافد للمطبوعات، بغداد،٢٠١٧).

الدمياطي، بدر الدين. "نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء". حققه وعلق عليه: محمد فؤاد ابو شهدة وعبد الستار فوزي الغنيمي، (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠١١).

"رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب الشرق"، مجلة دعوة الحق الالكترونية (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العددان ٩٨ و٩٩، د.ت).

الزركلي، خير الدين. "الأعلام "، (ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت،٢٠٠٢).

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن." الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، (دار الجيل، بيروت، د.ت).

ضيف، الدكتور شوقي. "تاريخ الأدب العربي، عصر الجول والإمارات مصر". (ط ٢، دار المعارف، القاهرة،١٩٩٠).

ظاظا، زهير."ترتيب الأعلام على الأعوام (الأعلام: لخير الدين الزركلي)". فهرست: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، (دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ودار القلم للطباعة والنشر، بيروت، د.ت).

كحالة، عمر رضا،"معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية"، (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٣).

المحبي، محمد أمين بن فضل الله(ت١١١١هـ)"خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. (ط ١، دار الكتب العلمية،

بيروت،٢٠٠٦).

المدني، علي صدر الدين بن معصوم (ت ١١١٢هـ)."أنوار الربيع في أنواع البديع". حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، (ط ١، مكتبة عرفان، كربلاء، مطبعة النعمان، النجف،١٩٦٨).

المغربي، جمال الدين يوسف بن زكريا (ت١٠١٩هـ)."دفع الإصر عن كلام أهل مصر"، حققه: عبد المحسن محمود جودة، قدم له وراجعه: أ.د. محمد حسن عبد العزيز، (ط ١، مجمع اللغة العربية، القاهرة،٢٠١٤).

مندور، الدكتور محمد، "الأدب وفنونه". (ط ٥، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،٢٠٠٢).

الورقي، السعيد."لغة الشعر العربي الحديث مقوماته الفنية وطاقاته الإبداعية"، (ط ٢، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٣).

يدوس، الدكتور أحمد أحمد. "أسس النقد الأدبي عند العرب"، (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،١٩٩٦).

اليمني، محمد الشلي."السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر "، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، (ط ١، مكتبة الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن،٢٠٠٤م).

Bibliography

al-Qur'ān al-Karīm.

Ibn al-Ghazzī, Shams al-Dīn Abī al-Ma'ālī Muḥammad ibn 'Abd al-Raḥmān. "Dīwān al-Islām, wa-bi-ḥāshiyatihi Asmā' kutub al-A'lām", investigated by: Sayyid Kasrawī Ḥasan, (1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1990).

Anīs, Ibrāhīm. "Mūsīqá al-shi'r", (4th edition, Beirut: Dar Al-Qalam, 1972).

al-Jubūrī, 'Abdullāh. "al-Mustadrak 'alá al-Kashshāf 'an makhṭūṭāt Khazā'in kutub al-Awqāf". (1st edition, Baghdad: Al-Maaref Press, 1965).

Ḥusain, Aḥmad Shaykh. "anwā' al-zakhārf al-Badī'īyah fī al-'aṣrain al-'Uthmānī wa-al-Mamlūkī), Kilis Journal, Aralık University, Faculty of Theology, Türkiye, Volume 4, Issue 7, 2017).

al-Ḥusainī, 'Alī ibn Aḥmad ibn Ma'ṣūm al-madanī. "sulāfah al-'aṣr fī Maḥāsin ahl al-'aṣr". investigated by: Dr. Maḥmūd Khalaf al-Bādī (1st Edition, Damascus: Dar Kinan for Publishing and Distribution, 2009).

al-Khafājī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn 'Umar. "khabāyā al-zawāyā fīmā fī al-rijāl min al-baqāyā". Investigated and studied by: Dr. Muḥammad Mas'ūd Arkīn, supervision of: Muḥammad Adīb al-Jādir. (1st Edition, Damascus: Publications of the Arabic Language Academy, 2015).

al-Khafājī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn 'Umar. "Rayḥānah al-alibbā wa-zahrat al-ḥayāh al-Dunyā". investigated by: 'Abd al-Fattāḥ Muḥammad al-Ḥulw. (1st edition, Egypt: Issa Al-Babi Al-Halabi & Co. Press, 1967).

Khalīfah, Muṣṭafá ibn 'Abdillāh al-Qusṭanṭīnī al-'Uthmānī known as Kātib Jalabī. "Sullam al-wuṣūl ilá Ṭabaqāt al-fuḥūl". Supervised and foreword by: Akmal al-Dīn Iḥsān Ūghlī, investigated by: Muḥammad 'Abd al-Qādir al-Arnā'ūṭ, authenticated by: Ṣāliḥ Sa'dāwī Ṣāliḥ, indexed by: Ṣalāḥ al-Dīn Uwīghūr. (Istanbul: Yildiz Publishing and Media Company S.A., 2010).

Al-Khaiqāni, Muḥammad 'Alī ibn Bishārah Āl Mūḥī. "Nashwah al-Sulāfah wa-maḥal al-iḍāfah". investigated by: Dr. Kāmil Salmān

al-Jubūrī, (1st Edition, Baghdad: Al-Rafid Publications, 2017).
al-Dimyāṭī, Badr al-Dīn. "Nuzhat al-Udabā' wa-tuḥfat al-ẓurafā'". Investigated and commentary: Muḥammad Fu'ād Abū Shuhdah and ʻAbd al-Sattār Fawzī al-Ghunaymī, (1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 2011).
"Risālat al-Manṣūr al-Dhahabī li-aḥad Aqṭāb al-Sharq", Da'wat al-Ḥaqq online journal, (Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Kingdom of Morocco, Issues 98 and 99, n.d.).
al-Ziriklī, Khair al-Dīn. "al-A'lām", (15th edition, Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 2002).
al-Sakhāwī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn ʻAbd al-Raḥmān. "al-ḍaw' al-lāmi' li-ahl al-qarn al-tāsi'", (Beirut: Dar Al-Jeel, , n.d.).
Ḍayf, Shawqī. "Tārīkh al-adab al-'Arabī, 'aṣr al-duwal wa-al-Imārāt Miṣr". (2nd edition, Cairo: Dar Al-Maaref, 1990).
Ẓāẓā, Zuhair. "tartīb al-A'lām 'alá al-a'wām" (al-A'lām: Khair al-Dīn al-Ziriklī). index: Muḥammad Nizār Tamīm and Haitham Nizār Tamīm, (Beirut: Dar al-Arqam ibn Abi al-Arqam for Printing, Publishing and Distribution, and Dar al-Qalam for Printing and Publishing, n.d.).
Kaḥḥālah, ʻUmar Riḍā, "Mu'jam al-mu'allifīn tarājim muṣannifī al-Kutub al-'Arabīyah", (1st edition, Beirut: Al-Risalah Foundation, 1993).
al-Muḥibbī, Muḥammad Amīn ibn Faḍl Allāh. "Khulāṣat al-athar fī a'yān al-qarn al-ḥādī 'ashar". Investigated by: Muḥammad Ḥasan Ismā'īl. (1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 2006).
al-Madanī, 'Alī Ṣadr al-Dīn ibn Ma'ṣūm. "Anwār al-Rabī' fī anwā' al-Badī'". investigated and introduced its poet: Shākir Hādī Shukr, (1st edition, Najaf: Irfan Library, Karbala, Al-Nu'man Press, 1968) .
al-Maghribī, Jamāl al-Dīn Yūsuf ibn Zakarīyā. "Daf' al-'aṣr 'an kalām ahl Miṣr), investigated by: ʻAbd al-Muḥsin Maḥmūd Jawdah, foreword and revised by: prof. Muḥammad Ḥasan ʻAbd al-'Azīz, (1st Edition, Cairo: Arabic Language Academy, 2014).
Mandūr, Muḥammad. "al-adab wa-funūnuh". (5th edition, Cairo: Nahdet Misr for Printing and Publishing, 2002).

al-Waraqī, al-Sa‘īd. "Lughat al-shi‘r al-‘Arabī al-ḥadīth muqawwimātuh al-fannīyah wa-ṭāqātuh al-ibdā‘īyah", (2nd edition, Cairo: Dar Al-Maaref, 1983).

Yadous, Aḥmad Aḥmad. "Usus al-naqd al-Adabī ‘inda al-‘Arab", (Cairo: Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, 1996).

al-Yamanī, Muḥammad al-Shallī. "al-Sanā’ al-bāhir be-takmīl al-Nūr al-sāfir fī Akhbār al-qarn al-‘āshir", investigated by: Ibrāhīm ibn Aḥmad al-Maqḥafī, (1st Edition, Sana'a, Yemen: Al-Irshad Library for Printing, Publishing and Distribution, 2004).

التناظر في قصة يوسف - عليه السلام- عند المستشرقين
دراسة مستنصر مير وجراي رِيندسبورج أنموذجًا

Structural Symmetry in the Story of Prophet Joseph (peace be upon him) in Orientalist Studies: A Case Study of Mustansir Mir and Gary Rendsburg

د. منال بنت صالح الصاعدي

أستاذ مساعد بقسم الأدب والنقد والبلاغة بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: mssaedi@uqu.edu.sa

RCID ID: 0009-0002-3358-7103

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
26/08/2025		24/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-007		

الملخص:

يُعنى هذا البحث بدراسة نموذجين من الدراسات الاستشراقية المعاصرة لبلاغة القصة القرآنية، الأولى: دراسة مستنصر مير (Mustansir Mir) عنوانها: (The Qur'anic Story of Joseph: Plot, Themes and Characters)، والثانية دراسة جراي أ. ريندسبورج (Gary A. Rendsburg) عنوانها:(Literary Structures in the Qur'anic and Biblical Stories of Joseph). تطرَّقت كلتا الدراستين لبنية القصة المتناظرة وقاربتها مقاربة أدبية عند مير، ومُقارِنة عند ريندسبورج. وقد أفضى اختلاف المنهجية إلى اختلاف نتائج البحثين. فيؤكد مير على البنية المحكمة للقصة الفريدة من نوعها في القرآن، ويتوصل ريندسبورج أن بنيتها تقليد للتراث التوراتي تنزه كتاب الله عن ذلك. وتَبرُز أهمية البحث في ندرة الدراسات التي جمعت بين العرض والتحليل النقدي للدراستين معًا، على الرغم من تنامي عناية المستشرقين بدراسة البلاغة القرآنية. ويهدف البحث إلى إجراء دراسة تحليلية نقدية مقارنة للدراستين لبيان كيف عرض كل منهما للقصة والجوانب التي لفتت انتباههم، ودور التناظر في هيكل القصة، ومناقشة النتائج التي توصلت لها كل دراسة. ثم إجراء مقارنة بين الدراستين تُظهر ما بينهما من جوانب الاتفاق، والاختلاف، وتقيس تأثيرهما في حقل الدراسات القرآنية.

وتنتظم الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، يتضمن التمهيد عناية المستشرقين بقصة يوسف – عليه السلام–، وترجمة موجزة للباحثين، فالحديث عن التناظر بوصفه أداة محورية في بنية القصة. يليه المبحث الأول: ويعرض قراءة مستنصر مير لقصة يوسف من ناحية الهيكل العام، وبناء القصة ونتائجها. ثم المبحث الثاني:

ويعرض قراءة جراي ريندسبورج المقارنة لقصة يوسف من ذات النواحي. فالمبحث الثالث: حول نقد وتقويم الدراستين. ويُختم البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج. وقد أثبت البحث تفوق مير في دراسة القصة وإمكان الإفادة من الدراسة الأدبية في القصص القرآني.

الكلمات المفتاحية: التناظر– البنية التقابلية– السرد القرآني– مستنصر مير– جراي ريندسبورج.

Abstract:

This research critically analyzes two seminal contemporary Western studies on the narrative rhetoric of the Qur'anic story of Joseph: Mustansir Mir's The Qur'anic Story of Joseph: Plot, Themes and Characters and Gary A. Rendsburg's Literary Structures in the Qur'anic and Biblical Stories of Joseph. Both scholars addressed the story's symmetrical (chiastic) structure, with Mir adopting a purely literary approach and Rendsburg using an explicitly comparative methodology.

The divergence in methodology led to conflicting conclusions. Mir asserts the Sura's unique and tightly knit structure within the Qur'an, whereas Rendsburg posits that this structure is merely an inheritance of the Biblical narrative tradition, which the Noble Quran is greatly free and purified from. The significance of this study stems from the scarcity of research combining expository and critical analysis of both works, despite the growing academic focus on Qur'anic rhetoric.

The primary objective is to conduct a critical comparative analysis to delineate each scholar's presentation of the narrative, their focus on the role of symmetry in the plot's architecture, and a discussion of their respective findings. The study is structured into a background section and three main chapters: Mir's reading, Rendsburg's comparative reading, and a critical evaluation. The research ultimately establishes the superiority of Mir's analysis and the potential benefit of applying literary studies to the Qur'anic narrative.

Keywords: Symmetry – Chiastic Structure- Qur'anic Narrative- Mustansir Mir-Gary A. Rendsburg.

المقدمة:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه.

يُعنى هذا البحث بتحليل أنموذجين من نماذج الدراسات الاستشراقية المعاصرة التي اهتمت بدراسة بلاغة القصة القرآنية، الدراسة الأولى لمستنصر مير (Mustansir Mir) عنوانها (The Qur'anic Story of Joseph: Plot, Themes and Characters) [(١)] والدراسة الثانية لجراي أ. رِيندسبورج (Gary A. Rendsburg) عنوانها: (Literary Structures in the Quranic and Biblical Stories of Joseph) [(٢)]

وقد اخترت هاتين الدراستين؛ لما بينهما من نقاط تشابه إذ تدرسان البنية التركيبية لقصة يوسف – عليه السلام– وتخلصان إلى أنها مبنية وفق بناء متناظر محكم. ودراسة هذا الأسلوب البنائي معروف في التراث البلاغي العربي، ولم يسبق أن عرض أحد للدراستين المذكورتين بالتحليل والتقويم في حدود الدراسات التي اطلعت عليها.

ويهدف البحث إلى الإجابة عن أسئلة محددة هي:

ما أسباب اختيار الباحثين لقصة يوسف عليه السلام؟

كيف تلقَّى مستنصر مير قصة يوسف؟ وكيف كشف عن التناظر في بنيتها؟

كيف تلقَّى جراي ريندسبورج قصة يوسف؟ وما نتيجة دراسته المقارنة؟

ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين دراستي مير وريندسبورج؟

---

(١) عنوان البحث بالعربية: (قصة يوسف في القرآن: الحبكة الروائية، الموضوعات، الشخصيات). مجلة عالم المسلم، مج ٧٦، ع:١، عام ١٩٨٦م، ص ١–١٥

(٢) عنوان البحث بالعربية: (البنى الأدبية في قصص يوسف القرآنية والكتابية) ، د. جراي أ. ريندسبورج، العالم الإسلامي، مج ٧٨، ع: ٢، أبريل ١٩٨٨، ص ١١٨–١٢٠

ما الفائدة التي تعود على حقل الدراسات القرآنية من الدراستين؟ وهل تعزز مثل هذه الدراسات في بيان إعجاز القرآن الكريم؟

حدود البحث:

يقتصر البحث على وصف وتحليل وتقويم دراستي كل من مستنصر مير وجراي رِيندسبورج، فلا يدخل في نطاق الدراسة استظهار بلاغة القصة القرآنية وبيان جمالياتها، أو إيراد شبهات المستشرقين حولها والرد عليها.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي النقدي المقارن؛ إذ يقوم على قراءةٍ نصيّةٍ تحليليةٍ لدراستي مير ورِيندسبورج كل على حدة ثم نقد وتقويم الدراستين وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

منهجية البحث:

ستُطبّق الباحثة المنهجية الآتية:

أولًا: الاقتصار على محتوى الدراستين حتى عند الحديث عن البناء القصصي، لذا لن تتطرق الباحثة لعناصر القصة الأخرى التي لم تُذكر عند مير أو ريندسبورج.

ثانيًا: إيراد مصطلح (النص) في الدراسة نقلًا عن الباحثين؛ لأنهم يتعاملون مع القرآن بوصفه نصًا أدبيًا –تنزه القرآن عن ذلك– وليس كتابًا مقدسًا.

ثالثًا: ذِكْرُ ألقاب الباحثين في متن الدراسة بالعربية، والاقتصار على ذكر أسمائهم الكاملة بالعربية أو الإنجليزية في ملخص ومقدمة البحث.

رابعاً: تنزيه كتاب الله تبارك وتعالى في كل موضع يُشار فيه لتقليده التوراة المحرفة.

خامسًا: لن تعتمد الباحثة على مساواة المباحث من ناحية عدد الصفحات؛ نظرًا لتفاوت حجم الدراستين.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة تتضمن الآتي:

التمهيد: وفيه عناية المستشرقين بقصة يوسف – عليه السلام–، وترجمة موجزة لمستنصر مير وجراي ريندسبورج، فالحديث عن التناظر.

المبحث الأول: قراءة مستنصر مير لقصة يوسف – عليه السلام–. ويتضمن: هيكل الدراسة ومنهج القراءة–عناصر البناء القصصي في دراسته– نتائج الدراسة.

المبحث الثاني: قراءة جراي أ. رِيندسبورج لقصة يوسف – عليه السلام–. ويتضمن: هيكل الدراسة ومنهج القراءة–عناصر البناء القصصي في دراسته– نتائج الدراسة.

المبحث الثالث: نقد وتقويم دراستي مير وريندسبورج، وفيه: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراستين.

الخاتمة: وتتضمن نتائج الدراسة وتوصيات عامة.

ختامًا أسأل الله التوفيق والسداد والهدي والرشاد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد:

أ. عناية المستشرقين بقصة يوسف – عليه السلام.

تزخر المكتبة العربية والغربية بدراسات مستفيضة حول القصة القرآنية بمختلف جوانبها. وقد حظيت قصة يوسف – عليه السلام– في القرآن الكريم باهتمام المستشرقين باعتبارها نموذجًا فريدًا للسرد القرآني، إذ وردت القصة في كتاب الله مرة واحدة في سورة واحدة ولم تتكرر مثل غيرها من القصص. وقد وُصِفت في كتاب الله بأحسن القصص؛ لتكامل بنائها القصصي واستيفائها لعناصره، ووحدتها الموضوعية، وترابط أحداثها، وتصويرها الفني، بصورة تعكس السرد الإلهي المعجز. وتجمع القصة بين البناء الفني المحكم والرسالة الأخلاقية مما يجعلها نموذجًا مناسبًا لدراسة العلاقة بين الشكل والمعنى.

لقد جذبت هذه المزايا الباحثين المهتمين بالتحليل الأدبي للقرآن الكريم، وكذلك الشغوفين باختبار فرضيات تتصل ببنية السورة، وترابط عناصرها، وهي قضايا محورية في الدراسات الاستشراقية. وتعد دراستا كلٍّ من مستنصر مير (Mustansir Mir) وجراي أ. رِيندسبورج (Gary A. Rendsburg)من أبرز الدراسات التي تناولت جانب البنية المتناظرة في قصة يوسف –عليه السلام.

ب. ترجمة موجزة للباحثين.

مستنصر مير (Mustansir Mir) [1]

باحث من أصول باكستانية، يعمل أستاذًا للدراسات الإسلامية بجامعة يونغستون الأمريكية. يعد أبرز الباحثين المهتمين بالاتجاه الأدبي في الدراسات القرآنية، وله عدة أبحاث في هذا السياق منها: الكتاب الإسلامي: دراسة لمقاطع مختارة من

(١) ينظر السيرة الذاتية للمؤلف: MirCV.pdf و Dr. Mustansir Mir (Retired) - Philosophy at YSU

القرآن (٢٠٠٧م)، بنية القرآن: الديناميكية الداخلية للسور (٢٠٢٠م)، منشورة باللغة الإنجليزية، ومن أبحاثه المترجمة إلى العربية: السورة وحدة نصية، تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين (٢٠١٧م).

جراي أ. رِيندسبورج (Gary A . Rendsburg) [١]

باحث أمريكي، يعمل رئيسًا لكرسي (بلانش وإيرفينغ لوري) لدراسات التاريخ اليهودي بجامعة روتجرز في ولاية نيو جيرسي. ألّف ستة كتب، ونشر ١٧٠مقالًا علميًا تدور حول أدب الكتاب المقدس، والتطور التاريخي للغة العبرية. من مؤلفاته: الدلائل اللغوية في الأصل الشمالي لمزامير مختارة (١٩٩٠م). الكتاب المقدس والشرق الأدنى القديم (١٩٩٧م). كرم سليمان: دراسات أدبية ولغوية في أغنية من الأغاني (٢٠٠٩م).

ج. التناظر أداة بلاغية:

يعد التناظر سمة كونية قبل أن يكون خصيصة تُميز الفنون والعلوم الإنسانية. يدل على حسن ترتيب الكون ودقة نظامه، ويعكس وجهًا من وجوه عظمة الخالق سبحانه وتعالى وجميل صنعه. وقد أثبتت الدراسات القرآنية وجوده بين آيات بعض سور القرآن الكريم كسورة يوسف –عليه السلام.

ومصطلح التناظر حديث نسبيًا لا نجد تعريفًا اصطلاحيًا له في مصنفات القدماء وما هو موجود حوله يدخل ضمن الدراسة المعجمية للجذر اللغوي (نظر). [٢] لكنهم عرفوا ظواهر بلاغية تقارب التناظر وتدور في فلكه فتحدثوا في مصنفاتهم عن التقابل، والتوازي، والمطابقة، والمشاكلة، والمزاوجة، ودرسوها دراسة تطبيقية. ويدرس بعض

(١) ينظر السيرة الذاتية للمؤلف في موقع الجامعة Rendsburg, Gary A. و - Gary Rendsburg Biblical Archaeology Society

(٢) ينظر: حورية جبار، "مصطلح التناظر ومرادفاته في الدراسات المعجمية: قراءة في نماذج من المعاجم العربية والأجنبية". مجلة المنهل. المجلد ٤، العدد ١، (٢٠٢٣م): ٤٤

البلاغيين هذه الأساليب بوصفها مرادفة للتناظر قائمة مقامه في دراساتهم. (١)

ويعد التناظر في البلاغة المعاصرة مبحثًا بلاغيًا يعرّفه سعيد علوش بأنه: "مصطلح اقتبسه غريماس من الفيزياء، وهو مفهوم مركزي في السيميائية ويعني مجموع المقولات التكرارية التي يتضمنها الخطاب".(٢) يبيّن التعريف مصدر المصطلح (الفيزياء) وحداثته لكنه ليس تعريفًا بلاغيًا؛ لعدم اختصاصه بالبلاغة. ومن التعريفات المناسبة للتناظر في القرآن اعتباره: "منهجية قرآنية تؤكد بناء سور القرآن الكريم وآياته على نظام واضح، محدد منضبط، منتظم تتوافق فيه السور القرآنية لتكون كل سورة مناظرة لسورة أخرى، وتتوافق فيه الآيات في السورة الواحدة لتكون كل آية مناظرة لآية أخرى". (٣) يحدد التعريف نوعين للتناظر في القرآن: الأول بين السور، والثاني بين آيات السورة الواحدة، وجاءت سورة يوسف – عليه السلام– على النوع الثاني.

والتناظر عند المستشرقين أداة بناء شائعة في النصوص السامية القديمة تعتمد على التوازي بين جزئي النص فيكون القسم الثاني مناظرًا للأول، مما يعطي النصوص بنية حلقية متماسكة. وقد اهتم بدارسة هذه الظاهرة في النص القرآني أصحاب الاتجاه التزامني "الذي يعد من أهم الاتجاهات المتنامية على ساحة الدرس الاستشراقي المعاصر. ويهتم هذا الاتجاه بقراءة القرآن كنصّ، فيدرس تركيبه ونظامه ويحاول الكشف عن البناء الخاص به على مستوى الموضوعات والأساليب والتراكيب اللغوية والبلاغية" (٤)، ومن

(١) لتفصيل القول في هذه الأنواع وعلاقتها بالتناظر ينظر: جبار، "مصطلح التّناظر ومرادفاته في الدّراسات المعجميّة"، ٥١–٥٥.

(٢) سعيد علوش، "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة". (ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٥هـ)، ٢٢٠

(٣) سليمان الدقور، "التناظر في القرآن الكريم: تأصيل وتطبيق". *مجلة إسلامية المعرفة*، مج٢٤، ع ٩٦، (٢٠١٩م): ٢٢–٢٣

(٤) ريموند فارين، بنية سورة النساء ومركزية قيمة العدل، تر: اسلام أحمد، *مركز تفسير للدراسات*

المستشرقين المهتمين بدراسته ميشيل كويبرس،[١] ريموند فارين،[٢] ومستنصر مير.

اهتمت الدراستان المشار إليها في مقدمة البحث بالتناظر الموجود في البناء القصصي لقصة يوسف – عليه السلام–، حيث يؤكد مير أن السُّور القرآنية ذات بنية أدبية معقَّدة ترتبط الآيات فيها بشكل منطقي متسلسل. وقد عبّر عن التناظر في القصة بمصطلحين الأول: شبهه بالأسلوب البلاغي "اللفّ والنشر المعكوس" involution" "and evolution in reverse[٣] وهو من المحسنات البديعية المعنوية فكرته مقاربة لفكرة التناظر لكن الأخير يأتي فيه ترتيب القسم الثاني عكس الأول فحسب. والثاني: مصطلح (parallelism) [٤] للتعبير عن التوازيات في القصة.

أما رِيندسبورج فعبر عن التناظر بمصطلح (Palistrophe) [٥] وكذا البناء التقابلي (chiastic structure) [٦].

القرآنية، (١٤٤٤هـ): ٣

(١) مستشرق بلجيكي، مهتم بنظم القرآن الكريم، وبالتحليل البلاغي السامي، عمل في عدد من الدول العربية، وله عدة مؤلفات في دراسة القرآن الكريم منها (في نظم سورة المائدة "نظم آي القرآن في، ضوء منهج التحليل البلاغي"). ينظر: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ميشيل كويبرس | Michel Cuypers - Tafsir Center for Quranic Studies - مركز تفسير للدراسات القرآنية، وترجمة مفصلة: Michel Cuypers – Dominican Institute for Oriental Studies

(٢) مستشرق أمريكي، مهتم بدراسة التناسق والانسجام في القرآن الكريم، والأدب العربي، عمل أستاذا للأدب العربي في الجامعة الأمريكية بالكويت. من مؤلفاته: (ثروة من البادية: في الشعر العربي القديم)، و (Structure and Qur'anic Interpretation). ينظر: السيرة الذاتية المفصلة على موقع جامعة الكويت: Raymond Farrin - Curriculum Vitae

(3)Mir, The Qur'anic story of Josef, p 2

(4)Ibid, p 3

(5) Rendsburg, Literary Structures in the Quranic and Biblical Stories of Joseph, p 119

(6) Ibid, p 120

وعلى الرغم من شيوع استعمال مصطلح "parallelism" (التوازي) في الدراسات الاستشراقية، خاصة في وصف الأساليب المتكررة في النصوص التوراتية، إلا أن استعمال مصطلح "التناظر" أدق في وصف الظاهرة الموجودة في القرآن الكريم؛ لأن النظير (القسم الثاني من السورة) تأتي أحداثه على نفس ترتيب القسم الأول أو عكسها ويعبر عنها بالشكلين: (A-B-C -C'-B'-A') أو (A-B-C -A'-B'- C').

المبحث الأول: قراءة مستنصر مير لقصة يوسف -عليه السلام

١. هيكل الدراسة ومنهج القراءة:

بدأ مير البحث بمقدمة موجزة ذكر فيها سبب اختياره للسورة والغاية من دراسة بنيتها فهي تتصف بـ (سهولة القراءة، كما أنه لا مثيل لها في القرآن كله، آيات السرد التي تقل عن مائة آية، تُلخّص سنوات عديدة، وتقدم تنوعاً مذهلاً من المشاهد والشخصيات في حبكة محكمة متماسكة. وتوفر توضيحاً دراماتياً لبعض الموضوعات الأساسية للقرآن.) (١). وقد حدد مير نطاق البحث في السورة بـ (دراسة جوانب مختارة من السورة) (٢). لذا نجده يقتصر على دراسة (الحبكة والموضوعات والشخصيات) فقط من عناصر السرد القصصي.

عالج مير في موضوع الحبكة تصاعد أحداث القصة في ثلاثة عناوين فرعية: التوترات وحلها، والمتوازيات، والعنصر الدرامي. انتقل بعد ذلك للموضوعات وقسمها لموضوعات رئيسة وفرعية وربط بين البنية المتناظرة وتحقيق المقاصد الإلهية والعدالة. ثم انتقل إلى الشخصيات وقسمها كذلك إلى رئيسية وثانوية بناء على دورها في حبكة القصة. وختم البحث بالتوصية بالعناية بهذا الجانب وإجراء مزيد من الأبحاث حوله. كما اقترح إجراء دراسات مقارنة بين القرآن الكريم وغيره من الكتب التي تعد عند أصحابها مقدسة.

ودراسة مير تهتم بالجوانب الأدبية والبنيوية للقصة وهذا المجال حسب وصفه (مهمل بشدة) (٣) في الدراسات القرآنية.

(1) Mir, The Qur'anic story of Josef, p1
(2) see: Ibid, P1
(3) see: Ibid, P1

٢. عناصر البناء القصصي في دراسته

أ. تسلسل الأحداث وتناظر الحبكة

تعد الحبكة عنصرًا رئيسًا من عناصر السرد القصصي، يُقصد به (الأسلوب الذي تبنى به القصة، والطريقة التي تتحرك بها الأحداث متوالية متشابكة تتعقد شيئًا فشيئًا حتى تبلغ الذروة. ومن المهم أن تكون الأحداث مشوقة يرتبط أولها بتاليها لا نحس فيها افتعالًا ولا استطرادًا). (١) والحبكة موجودة في قصص القرآن الكريم تضطلع بدور رئيس في تسيير الأحداث من بدء القصة إلى نهايتها، إلى جانب تحقيقها لرسالة القرآن الإيمانية. وتعد قصة يوسف – عليه السلام– نموذجًا فريدًا للحبكة القرآنية المتقنة فبناء أحداثها بصورة دائرية تكشف عن البناء التناظري المعجز للقصة، وتبرز تتابع الأحداث دون قفزات أو فجوات نصية.

وصف مير بنية سورة يوسف بأنها معقدة، وأحداثها مبنية بطريقة تشبه الأسلوب البديعي "اللفّ والنشر المعكوس". وهذا ملحظ دقيق منه فالمتأمل لترتيب أحداث القصة الذي ذكره في دراسته يظهر له أن الأحداث تتصاعد في القسم الأول (تأخذ شكل أ– ح) وفي القسم الثاني تسير عكس الأول تأخذ شكل (ح، إلى أ)، ويمثل الحرف (ح،) (٢) نقطة التحول العكسي في سياق الأحداث، ويسمي المستشرقون هذا النوع من البناء (التوازي المعكوس أو المرآتي). وهو شكل من أشكال التناظر الرئيسة المعروفة في منهج التحليل البلاغي السامي. وفي الجدول الآتي تقسيم أحداث القصة عند مير: (٣)

---

(١) ينظر: مريا ألفي، "دراسة تحليلية عن العناصر الداخلية في قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم". رسالة *ماجستير*، (٢٠٠٤م): ٢٤–٢٥

(2) Mir, the Qur'anic story of Josef, p 2

(٣) ذكر مير ترتيب الآيات من أ– ح، أما عرض القصة بهذا النمط المتوازي فقد ذكره ريندسبورج

الموضوع	الآيات
أ. حلم يوسف	٤-٥
ب. مكيدة إخوة يوسف له	٧-٢٢
ت. محاولة زوجة الوزير إغواء يوسف -	٢٣-٢٩
ث. محاولة نساء مصر إغواء يوسف -عليه السلام	٣٠-٣٤
ج. سجن يوسف -عليه السلام	٣٥-٤٢
ح. حلم الملك	٤٣-٤٤
ح'. تفسير حلم الملك	٤٥-٤٩
ج'. خروج يوسف - عليه السلام- من السجن	٥٠
ث'. اعتراف النساء بمحاولتهن إغواء يوسف	٥١
ت'. اعتراف زوجة الوزير بالخطأ	٥١-٥٧
ب'. تعلم الإخوة الدرس	٥٨-٩٩
أ'. تحقق حلم يوسف -عليه السلام	١٠٠-١٠١

نلاحظ أن مير استبعد الآيات الأولى والأخيرة من السورة فجعل تركيز القارئ ينصب على الأحداث المتناظرة في بنائها. وقد علل استبعاده الآيات الأخيرة بأنها (تطبيق للقصة على الوضع المكي في زمن محمد ﷺ) [1] وهذا أمر خارج هدف دراسته وحدودها الدقيقة.

تبدأ القصة بسرد يوسف - عليه السلام- رؤياه على والده يعقوب الذي أدرك

(1) Mir, the Qur'anic story of Josef, p1

أن ابنه سيكون له شأن عظيم، وسيحظى بالنبوة. فخشي عليه من كيد إخوته خاصة وقد أظهروا استياءهم من استئثار يوسف بحب والدهم، وهم عصبة. فتآمروا –بدافع الغيرة– على التخلص منه بإلقائه في البئر، وتزييف موته ومن هنا تتصاعد وتيرة الأحداث. تبعه الحب الذي قاد يوسف إلى السجن سبع سنين! يقول مير: (يُلقى يوسف في البئر، ويُسجن في مصر، وفي كلتا الحالتين كان ذلك بسبب جريمة لم يرتكبها. الحادثة الأولى كانت نتيجة كراهية إخوته له، بينما الثانية جاءت بسبب حب زوجة العزيز له. بعد الخروج من البئر، يُباع يوسف كعبد، أما بعد خروجه من السجن، فيصبح الحاكم الفعلي لمصر). (١)

لقد ظهر التناظر واضحًا في تتابع أحداث القصة، وقد رتَّب مير –بصورة مقصودة– الأحداث بحيث تظهر هذه المزية؛ لذا استبعد –من الحبكة– مطلع السورة وخاتمتها فوتيرة الأحداث عنده تبدأ (من الآية الرابعة إلى نهاية الحديث عن حلم الملك في الآية ٤٤، ثم يأتي البناء النظير أو المعكوس من آية ٤٥ التي تتحدث عن تفسير حلم الملك وتنتهي عند الآية ١٠٠ تحقق رؤيا يوسف – عليه السلام–) (٢). تتفق نويفرث مع مير في أن سورة يوسف مبنية وفق بنية حلقية معقدة، حيث تتكرر العناصر والمشاهد بترتيب معكوس حول محور مركزي. وترى أن السورة ليست مجرد سردٍ لقصة نبي، بل هي بناءٌ أدبي محكم يعكس توازنًا داخليًا وتكرارًا مقصودًا للعناصر، مما يعزز من الرسالة الدينية والأخلاقية للسورة .(٣) ومن الملاحظ أن نوع التناظر في السورة عندها يختلف عما حدده مير وريندسبورج؛ إذ ترى التناظر محوريًا، (وأن الآيات من (٣٨– ٤٠) المركز البنيوي للقصة وتسميها: (the crowning keystone in the narrative arch") حجر التاج في السرد ففيها يتحول السرد من المحن إلى النعم). (٤)

(1) Ibid, p3
(2) Ibid, p 2
(3) see: Zur Struktur der Yūsuf-Sure, p124-128
(4) see: Ibid, P139-144

ويَظهر تناظر الأحداث في رؤيا يوسف وتحققها، وفي رؤيا الملك وتفسيرها، وفي موقف الأخوة المتناظر أول السورة وآخرها. وأدى القميص دورًا في الحبكة إذ ارتبط بالتحولات المفصلية في حياة يوسف فارتبط أول القصة بحدث (الفقد)، ووسطها بالخيانة (وقدت قميصه من دبر). واقترن في النهاية بالفرج (ألقوه على وجهه يأت بصيرا).

ويُلْفت مير النظر إلى الانعطافات الحادة في حياة يوسف – عليه السلام–، ويعد حدث (تفسير رؤيا الملك) نقطة التحول/ التغيير في حياته. يقول مير عن ذلك: إن (الانتقالات الحادة في مصير يوسف، من كونه عبدًا إلى أن يصبح حاكمًا، ومن سجين إلى منقذ لشعب مصر، تُعطي القصة تأثيرًا دراميًا قويًا. فالقصة مليئة بالعواطف الإنسانية مثل الحسد، الحب، الغدر، الندم، والمصالحة، مما يجعلها مؤثرة وذات صدى عاطفي قوي لدى الجمهور. هذه العناصر تجعل القصة غنية دراميًا، وتترك أثرًا عميقًا في وجدان القارئ أو المشاهد.) [١]

ب. الشخصيات: بناؤها ووظيفتها البلاغية:

تُعَدّ الشخصية في النقد الأدبي العنصر الحركي في القصة إذ هي (تدير الأحداث، وتتأثر بها. وتعرض القصة نماذج متنوعة من الشخصيات الخيرة والشريرة. وبقدر ما تكون الشخصيات نابضة بالحياة ممثلة لأنماط متنوعة من السلوك والطباع البشرية يكون نجاح القصة). [٢] أما في القصة القرآنية فتكون الشخصية نموذجًا مجسدًا للقيم الفاضلة التي يسعى الإسلام إلى ترسيخها في المجتمع؛ لذا يتجاوز أوصافها الخارجية ويركز على الصفات الأخلاقية والقيم الإيمانية التي تتصف بها. والشخصيات على اختلاف أنواعها ودورها، تؤدي وظيفة بلاغية وتربوية تجعلها صالحة للتلقي والاقتداء في مختلف الأزمنة والأمكنة.

(1)Mir, the Qur'anic story of Josef, p4

(٢) ينظر: ألفي، "دراسة تحليلية عن العناصر الداخلية في قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم"، ٢٣

قسّم مير شخصيات قصة يوسف – عليه السلام– إلى شخصيات رئيسية هي: (يعقوب، يوسف، إخوة يوسف، زوجة العزيز). وثانوية هما: (القافلة، العزيز). وهذا التقسيم شائع في الدراسات الأدبية، لكن مير وضع شخصيات كل قسم بناء على الدور الذي تضطلع به في تسيير أحداث القصة، كما استبعد بعض الشخصيات التي ذُكرت في القصة كالنسوة وصاحبي السجن دون أن يفصح عن السبب.

بدأ بيعقوب – عليه السلام–؛ لأن حبه الشديد ليوسف يعد نقطة انطلاق التغيير في حياة ابنه، إذ دفعت الغيرة منه ومن حب والده له الأخوة الذين وصفهم القرآن (بالعصبة) إلى الرغبة الملحة في إزاحته عن طريقهم. ويعلل مير أن هذا الحب ناتج عن إدراك والده لمواهبه التي عكستها الرؤيا التي رآها يوسف وهو صغير.

وبحسب السرد القصصي تتصف شخصية يعقوب – عليه السلام– بعدة صفات: أولها الفطنة وظهرت عندما أخبره أبناؤه بخبر الذئب الذي أكل يوسف، فأدرك بفطنته أنهم دبروا له مكيدة ما. فالصبر في رضاه بقضاء الله وقدره. ثم التسامح والعفو حين عاد له يوسف فغفر للإخوة ما فعلوه به. كما تجسّدت في شخصيته كذلك صفات إيمانية أصيلة كالرضا بالقضاء والقدر وحسن الظن بالله، وصفات إنسانية كالمشاعر الأبوية الواضحة في القصة. وقد كانت معجزة عودة بصره له بعد أن كفّ حزنًا على فراق ابنه تمثيلًا لحسن العاقبة التي ينالها العبد من ربه.

والشخصية الثانية: يوسف – عليه السلام–. لاحظ مير التغيرات التي طرأت على شخصيته في مسارات حياته المختلفة: اتصف بالأدب والتواضع في طفولته، فالوعي والإيمان والعلم والحكمة في شبابه. وقد مكنته هذه الصفات من الثبات في أشد المواقف فصبر على إغواء زوجة العزيز، وعلى الزجّ به في السجن ظلمًا. ولم تمنع المحن الجسيمة التي حلت به والسجن الذي قضى فيه سبع سنين من أن يظهر ما في نفسه من خير فوُصف في السجن بالصِّديق والمحسن، وتنبهوا لما وهبه الله من قدرة على تعبير الرؤى

كانت السبب في خروجه من السجن بعد أن قضى فيه مدة طويلة.[١]

لقد ركزت حبكة القصة على الانعطافات الحادة في مسار حياته دون أن تُصرّح بمشاعره في أي موقف منها. وقد استنبط مير أن هناك تناظرًا بين مشاعر الذل والخوف والمهانة في أول القصة خاصة حينما كان في البئر، ومشاعر العز والنصر والتمكين في آخرها حينما صار عزيز مصر، وجاء إخوته إليه طالبين العون.

أما إخوة يوسف – عليه السلام– فلم تذكر القصة أسماءهم أو أيًا من صفاتهم، واكتفت بذكر أنهم إخوة يوسف بصيغة الجمع. واستثنت القصة ذكر الأخ الشقيق في حادثة السرقة، والأكبر في رحلة العودة من مصر وتركهم لأخيهم غير الشقيق في مصر.

لقد أدت مشاعر الحسد والغيرة التي جسدتها شخصياتهم إلى بدء الأحداث المفصلية في حياة يوسف – عليه السلام–؛ فإلقاؤه في البئر وتزييف موته السبب في انتقاله إلى مصر وتبني العزيز له. وقد تغيرت هذه المشاعر في نهاية القصة وتحولت إلى ندمٍ وشعور بالذنب فطلبوا من والدهم أن يستغفر لهم، واعترفوا بخطئهم في صورة تعكس تبدل المشاعر البشرية وتكيفها مع الأحداث.

كما عرض القرآن لزوجة العزيز وصوّر شدة افتتانها بيوسف – عليه السلام–، وسيطرة الرغبة عليها حين أغلقت عليهما الأبواب، وحين جمعت النسوة ليُفْتَنوا بجماله. وتُصوِّر القصة توبة زوجة العزيز واعترافها ببراءة يوسف وأن ما حدث كان من تدبيرها.

الشخصيات الثانوية في القصة:

أولا: عزيز مصر: لم تتحدث السورة عنه إلا في موضعين ظهر من خلالها هدوؤه وحكمته، (فحين اشترى يوسف أدرك أنّه ينتسب إلى أسرة كريمة؛ لذا وصّى زوجته أن تُحسن رعايته، بل واقترح أن يتخذوه ولدًا لهم. وعندما عُرضت الأدلة أمامه تبيّن له أنّ

(1)Mir, the Qur'anic story of Josef, p12

محاولة الإغواء صدرت من زوجته)، [١] لكنه لم يوبخها وخشي أن يُضرَّ الموقف بسمعته فوافق على سجن يوسف؛ إخراجًا لهم من هذا المأزق.

ثانيًا: القافلة: ذُكِروا في موضع واحد برز فيه الجشع والطمع، والرغبة في تحقيق مكاسب مادية.

يؤكد مير على أهمية دراسة شخصيات قصة يوسف – عليه السلام–؛ لأنها (دراسة للواقع كما يصوره القرآن، إذ يرسم القرآن تمييزًا واضحًا بين الشخصيات الصالحة والسيئة؛ فالأولى هي نماذج يُقتدى بها، بينما الثانية تمثل أمثلة يجب تجنبها) [٢]. وقد صوّر القرآن الكريم شخصياته بصورة واقعية، فتواجه أحداث الحياة بخيرها وشرها مثل بقية البشر. وتمثِّل سورة يوسف (تجسيدًا دراميًا للرؤية القرآنية للعلاقة بين الشخصية والفعل، فيجب على كل فرد أن يمر بسلسلة من الاختبارات، لكن النجاح أو الفشل في هذه الاختبارات ليس أمرًا حتميًا بمعنى أن الشخصية الصالحة ستنجح بالضرورة، والشخصية الشريرة ستفشل حتمًا، بل إن النجاح أو الفشل في الصراع الأخلاقي يعتمد على القرارات المستقلة التي تُتخذ أثناء التجربة نفسها) [٣].

ومما سبق يظهر أن البناء الفني لقصة يوسف – عليه السلام– قائم على تناظر الشخصيات، حيث تتقابل الأدوار في سياق الحبكة؛ لتُبرِز المعنى، وتعمّق البعد البلاغي. فالتناظر بين يوسف وإخوته ظاهر فهو مثال للصبر والإيمان، وإخوته مثال للمكر والحسد. وتُنَاظِر شخصية يعقوب – عليه السلام– عزيز مصر؛ فهما والدا يوسف يناظر أحدهما الآخر فالأول فقد بصره حزنًا على ولده، والثاني زجّ به في السجن خوفًا على سمعته. أما زوجة العزيز فيناظر سلوكها سلوك يوسف في الفتنة. هذا التناظر لا يقتصر على التقابل بين الخير والشر، بل يبرز التحول في السلوك البشري وفق الموقف، مما يجعل السورة انعكاساً للحياة الإنسانية.

(1)see: p14-15
(2) Mir, the Qur'anic story of Josef, p4
(3) Ibid

ج. موضوعات السورة وعلاقتها بالمغزى الديني والأخلاقي

يرى مير أن الموضوع الرئيسي للسورة (تحقيق المقاصد الإلهية)، ويتصل به أربع صفات إلهية ذكرت في السورة وكان لها دور في ضبط مسارات القصة هي: (الغالب، اللطيف، العليم، الحكيم). [١] ويعد مير أن (الغالب) أهم صفة بينها؛ لأن القصة (تُقدم على أنها تبرير درامي لأطروحة مفادها أن الله هو الغالب وأن مقاصده تتحقق حتماً)[٢]. هذه الصفة المحور الأساسي الذي أظهر سيطرة الله التامة على مسار قصة يوسف وتوجيهها نحو النتيجة التي يريدها الله. (يُوضع يوسف في أحلك الظروف، ينفصل عن عائلته وهو صغير، ويباع عبدًا في بلد لا ينتمي له، ثم يلقى في السجن بتهم لم يرتكبها. وفي ظل الظروف الحالكة تتدخل القدرة الإلهية فجأة فيجد يوسف نفسه في قمة الشهرة والسلطة). [٣] ومن مزايا القصة والعناصر الفريدة فيها ذكر صفة الغالب لله سبحانه وتعالى فـ(على الرغم من أن غلبة الله وسيطرته الكاملة على كل شيء موضوع شائع في القرآن الكريم إلا أن سورة يوسف الوحيدة التي ظهرت فيها هذه الصفة لله وكان لها دور في تطوير موضوعها)[٤].

أما صفة اللطيف فيبرزها مير مناظرة لصفة الغالب حيث تختص الصفة بالأقدار الظاهرة أما اللطيف فتختص بالأقدار الخفية التي يسوقها الله لتحقيق مشيئته. ويعتبر صفتي العليم والحكيم معيارين ضابطين لصفتي الغالب واللطيف؛ فطرق تحقيق المقاصد الإلهية تتسم بالحكمة وشمولية الإحاطة فالله سبحانه لا يقرر أمرًا إلا وقد أحاط به علمًا سبحانه وتعالى.

وإلى جانب هذا الموضوع الرئيس تبرز موضوعات فرعية تتوزع في بنية السورة وتتكامل مع بعضها في نسق متناظر يقول مير: و(مثل بقية القرآن، فإن سورة يوسف

(1)see: Ibid p 5-7
(2)see: Ibid, p 5
(3)Mir, the Qur'anic story of Josef, p 5
(4)see: Ibid

تجمع بين البعدين الإلهي والإنساني. فهي إلى جانب عرضها لصفات الله تبارك وتعالى، توضح كيف ينبغي للإنسان أن يتصرّف تجاه من تتصف ذاته بهذه الصفات. ومن هنا تتفرّع الموضوعات الفرعية في السورة (العمل بانسجام مع مقاصد الله، التوازن بين القدر الإلهي وجهود الإنسان، البلاء، المكافأة، والتوبة)) [١]

ويوضّح مير أن الإنسان يجب عليه أن لا يعارض إرادة الله بل يعمل بانسجام مع مقاصده، ولكي يتحقق ذلك لابد أن يتحلّى الإنسان بثلاث صفات وردت في السورة: العِلم، والتوكّل، والإحسان. وقد اتصف يوسف – عليه السلام– بهذه الصفات.

يرتبط العمل بانسجام مع مقاصد الله بموضوع تحقيق التوازن السليم بين القضاء الإلهي والحرية الإنسانية. يتجلّى ذلك في موقف يعقوب –عليه السلام– فعلى الرغم من امتلاكه ثقة مطلقة بالله سبحانه وتعالى (إلا أنه أدرك بأن عليه الأخذ بالأسباب؛ لذا عندما طلب الإخوة إرسال بنيامين معهم أخذ منهم عهداً، ونصحهم بدخول مصر من أبواب متفرقة. وتصرفه يعد من باب الأخذ بالأسباب، لكنه لن يرد القدر الإلهي الحتمي. تُولَد هذه النظرة من فهم متوازن للعلاقة بين التقدير والتدبير.) [٢]

وتحقق التوازن بين التدبير والتقدير عند يوسف –عليه السلام– حين (فسَّر رؤيا صاحبيه في السجن، طلب من الساقي أن يذكره عند الملك؛ لاعتقاده بأنها طريقة مشروعة لتأمين خروجه من السجن) [٣]، وهكذا يتحقق التناظر بين موقفي الأب والابن في الجمع بين التقدير وحسن التدبير.

والموضوع الفرعي الثالث في السورة يتكون من ثلاثة محاور: الابتلاء، والجزاء، والتوبة. وهي مفاهيم رئيسة في الفكر القرآني. تُبرز قصة يوسف أنّ الابتلاء سنة ماضية تشمل الجميع، فلا أحد بمنأى منه حتى الأنبياء. فقد واجه يعقوب – عليه السلام–

(1)see Ibid, p 7-10
(2)see: Ibid, p 9
(3)Mir, the Qur'anic story of Josef, p 9

سلسلة من المحن، كما اجتاز يوسف – قبل أن يصبح نبيًا – ابتلاءات عدة[١].

وتُظْهِر القصة أن الجزاء يكون في الدنيا والآخرة، فقد نال يوسف تمكينًا في الأرض وسلطانًا نتيجة صبره وإحسانه يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، كما نال وعدًا بالجزاء الأخروي، وبهذا يتناظر الجزاء الدنيوي مع الأخروي.

أما التوبة فهي الوجه المناظر للابتلاء والخطيئة فكما أن الإنسان معرض للخطأ في أي وقت، فالله يقبل توبة الإنسان مما يعكس سعة رحمته ولطفه بعباده. وقد جسدت القصة ذلك في مشهد ندم إخوة يوسف واعترافهم بخطئهم، وطلبهم من أبيهم أن يستغفر لهم.

ويظهر من دراسة مير أن التناظر شمل موضوعات قصة يوسف – عليه السلام–، فالموضوع الرئيس (تحقيق مقاصد الله وصفاته) ينعكس في كل موضوع فرعي، والموضوعات الفرعية نفسها متناظرة ومتوازنة: الابتلاء يناظر الجزاء والتوبة، والتقدير يوازي التدبير، مما يمنح القصة بنية حلَقية متماسكة تجمع بين البُعد الإلهي والبُعد الإنساني.

٣. نتائج الدراسة

توصل مير من خلال دراسة البنية الأدبية للسورة إلى جملة من النتائج أُجملها في النقاط الآتية:

- أثبت أن قصة يوسف في القرآن ذات بنية قصصية محكمة، وُظِّفت فيها الشخصيات والحبكة لتحقيق المقاصد الإلهية.
- أثبت أن التناظر أساس بنية قصة يوسف –عليه السلام.
- أكّد النظم المعجز للقصة من خلال الكشف عن تناظر أحداثها بشكل مثالي، تتناظر فيه المشاهد (مشهد الابتلاء يقابل الفرج، ومشهد المكر يقابل العفو)

(1)Ibid

وهكذا في صورة تعكس التوازن الإلهي في الأحداث والمقاصد.

- افتقار الدرس الغربي لدراسات القرآن دراسة أدبية أو مقارنة لذا دعا إلى تعزيز هذا الجانب البحثي.

ومن خلال دراسته نلحظ صلاحية الدراسة البنيوية والأدبية للتطبيق على القرآن الكريم وفق الطريقة التي اتبعها مير مع مراعاة الحفاظ على قدسية القرآن الكريم ومصدره الإلهي، وهو أمر لم يعتن به مير. وتعدّ هذه الدراسة نواة لمشروع أكبر طالب فيه مير دراسة السورة القرآنية باعتبارها وحدة نصية مكتملة وتجاوز الدراسات الجزئية. يقول في بحث له نشره عام ١٩٩٣م وتُرجم إلى العربية: (لا يمكن أن تدرس بعض السمات الأدبية للقرآن، مثل العنصر الدرامي، بطريقة مثمرة إلا إذا انطلقنا من افتراض أن التركيب القرآني بأكمله أمر مستقر وراسخ، فعلى سبيل المثال إن إيزوتسو يلاحظ أن القرآن يتصف بالكثافة الدرامية الروحية ... ولا يمكننا أن ننتج دراسات تظهر أن القرآن متصف بالكثافة الدرامية إلا إذا انطلقنا من الافتراض السابق أن التركيب القرآني مستقر وراسخ أيضا) [١]

(١) مستنصر مير ، "السورة وحدة نصية، تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين". تر: حازم محيي الدين، *مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث*، (٢٠١٧م): ١٥

المبحث الثاني: قراءة جراي

أ. رِيندسبورج لقصة يوسف –عليه السلام

١. هيكل الدراسة ومنهج القراءة

تعتبر دراسة رِيندسبورج لقصة يوسف في سفر التكوين[١] قصيرة –لا تتجاوز ثلاث صفحات– صرَّح في المقدمة بأنه كتبها استجابة لتوصيات مير في دراسته لبنية قصة يوسف – عليه السلام–. اقتصر الأخير على تحليل البيانات المقدمة من القرآن فاقترح أن يُجري الباحثون دراسة مقارنة مع نظيرتها في التوراة؛ لأن الدراسة: (إذا أُجريت على غرار المنهج المتبع هنا، يمكن أن تلقي ضوءاً جديداً على بعض الجوانب التي لم تُستكشف بالقدر الكافي حتى الآن فيما يتعلق بالعلاقة بين النصين المقدسين[٢]). [٣] يسعى رِيندسبورج من هذه الدراسة لتحقيق هدفين: الأول: كشف العلاقة بين النصين، والثاني: فتح آفاق أرحب للمهتمين للبحث في هذا الموضوع بصورة أعمق. ونظرًا لحجم الدراسة صرّح بأنها (ليست معالجة شاملة للموضوع، كما يتضح من طولها وحده لكن

(١) سفر التكوين هو أول أسفار التوراة (أسفار موسى الخمسة) وأول أسفار التناخ، كما أنه أول أسفار العهد القديم لدى المسيحيين. كتبت فيه جميع الأحداث ابتداء بخلق الله للكون والإنسان ثم كيفية اختيار الله النبي نوح لكي ينذر البشرية من الطوفان، ثم دعوة الله لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أبي الأسباط، وانتهاء بقصة يوسف وبيع إخوته له ووصوله أرض مصر ثم تملكه لها. انظر: موسوعة ويكيبيديا العربية، سفر التكوين، بتصرف.

(٢) كلام مير هنا غير مقبول فلا تعد التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم هي التوراة التي نزلت على موسى بل هي نسخ محرفة لا تنتمي للأصل الإلهي فاعتبارها مقدسة كالقرآن أمر مرفوض. وقد أفاض الدكتور عمر رضوان في الرد على هذه المسألة ينظر: عمر رضوان، "آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره". (ط١، الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤١٣)، ١: ٣٣٨–٣٤٠

(٣) Mir, the Qur'anic story of Josef, p 15

من المأمول أن يكون حتى هذا الإسهام الصغير مفيداً لأولئك الذين يرغبون في استكشاف العلاقة بين سورة يوسف (السورة ١٢) وسفر التكوين (الإصحاحات ٣٧–٥٠) بشكل أعمق). [١]

٢. عناصر البناء القصصي في دراسته:

اعتمد ريندسبورج على المقارنة بين قصة يوسف – عليه السلام– في القرآن وذات القصة في سفر التكوين. بدأ أولًا بالإشادة بالتقسيم الذي ذكره مير للقصة في دراسته. قسّم فيه الآيات من ٤–١٠١ إلى اثني عشر موضوعًا، تتصاعد فيها الأحداث (من أ إلى ح)، ثم تنفرج واحدة بعد أخرى بصورة عكسية موازية للأحداث الأولى؛ لذا قام بوضع نفس الأحرف مرتبة تنازليًا (ح'–أ')، فالقصة تبدأ برؤيا يوسف – عليه السلام– (أ) وتنتهي بتحقق هذه الرؤيا (أ'). ويقترح ريندسبورج أن يضاف لهذا التقسيم (الآيات من ١–٣ مقدمة للحبكة، والآيات من ١٠٢ إلى ١١١ خاتمة لها؛ جريًا على عادة الباحثين في الدراسات القرآنية). [٢] وقد سبق أن قدّم مير تبريرًا مقبولًا لاستبعاده آيات نهاية السورة.

يُصرّح ريندسبورج بأن الأمر اللافت للنظر في البنية المكتشفة للقصة (أن الكاتب الإسرائيلي القديم استخدم نفس التقنية في تأليف قصة يوسف التوراتية) [٣] فهي متناظرة أيضًا. وأورد التركيب الأدبي لها:

(1) Rendsburg, Literary Structures in the Quranic and Biblical Stories of Joseph, p118
(2)Rendsburg, Literary Structures in the Quranic and Biblical Stories of Joseph, p119
(3) Ibid

A. حلم يوسف: يوسف ويعقوب.
B. فترة فاصلة: غياب يوسف.
C. يوسف مذنب، وامرأة العزيز صادقة
D. يوسف منقذ مصر.
E. رحلتان إلى مصر.
F. الاختبار الأخير.
‘F. نهاية الاختبار.
E‘قصتان عن الهجرة إلى مصر.
D‘.يوسف – عليه السلام– بطل مصر.
C‘.الارتداد: الولد الأول أَفْرَايِم والثاني: مَنَسَّى(أبناء يوسف – عليه السلام–).
B‘.فترة فاصلة: يوسف موجود اسميًا.
A‘.تحقق حلم يوسف: جزاء يوسف ويعقوب عليهما السلام.

ويعلق رينسبورج (هناك تشابه ملحوظ بشكل خاص بين القصتين القرآنية والتوراتية في استخدام كلا المؤلفين [١] لرؤيا يوسف وتحققها في الوحدتين أ و أ'). [٢]

وبالنظر لتقسيم القصة الذي اقترحه نلحظ اختلاف تفاصيل قصة يوسف في القرآن عن التوراة فلا تتشابه إلا من ناحية ذكر الرؤيا في أولها وتحققها في النهاية. وذلك أن قصة القرآن تركز على يوسف والأحداث التي أثرت في حياته كمكيدة الأخوة، وإغواء زوجة العزيز والنسوة له، ودخوله السجن ثم خروجه، ودور تفسير حلم الملك في تغير حال يوسف. وقد أغفلت القصة التوراتية هذه الأحداث؛ لأنها تعتمد على السرد التاريخي التفصيلي للأحداث العامة التي مر بها يوسف وعائلته. أما على مستوى البناء فلا نجد تناظرًا بين أحداث قصة يوسف التوراتية كما يدعي رينسبورج بذات الاتقان الذي نجده في قصة القرآن الكريم. وبحسب تقسيمه للأحداث يتناظر أول القصة مع آخرها (الرؤيا وتحققها)، ويتناظر منتصفها (الاختبار ونهايته) أما بقية الأحداث فلا تتناظر مع الحدث الذي وُضِع نظيرًا لها.

يعود رينسبورج فيتحدث عن التشابه يقول: "نظرًا لخطوط الحبكة المتشابهة نسبيًا في سورة يوسف وسفر التكوين ٣٧–٥٠ فبعضها أقرب لبعض من العديد من الأمثلة الأخرى للمتوازيات القرآنية–التوراتية فليس من المستغرب أن يرى بعضهم أن تركيب الرواية العربية تقليد واعٍ لسلفه العبري". [٣]

وكلام رينسبورج غير دقيق فالنظر المتفحص لتقسيم الأحداث في القصتين يظهر للقارئ أنهما لا تتشابهان إلا في موضوع الرؤيا فحسب، ولا تتشابه خطوط حبكة القصتين كما يزعم، بل هما تسيران باتجاهين مختلفين تمامًا، ولهما غايتان مختلفتان تحققها طريقة بناء أحداثهما، وبالتالي هي بعيدة تمامًا عن أن تكون أقرب شبهًا بقصة القرآن الكريم تعالى

(١) القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، ولا يصح أن يُسمى عليه مؤلفا له.

(2) Ibid

(3) Rendsburg, Literary Structures in the Quranic and Biblical Stories of Joseph, p119

كتاب الله عن ذلك علوا كبيرا. هذا الادعاء سمح لريندسبورج أن يمرر دعوى شائعة عند المستشرقين أن القرآن –تنزه عن ذلك– تقليد للتوراة بحكم أسبقيتها في الظهور.

وقوله بأنها (تقليد واعٍ) وصف دقيق منه؛ لأنه يفصح بأن القرآن الكريم عمد بصورة مقصودة لتقليد التوراة التي تسبقه في الوجود. وتجدر الإشارة إلى أن المستشرقين في الجملة مؤمنون بأن اليهودية –ممثلة في التوراة– أحد مصادر القرآن الكريم –تنزه كتاب الله عن ذلك– بسبب وجود تشابه بينهما في القصص. والحقيقة أن التوراة التي بين أيدينا اليوم –كما يؤكد العلماء– ليست هي التوراة التي نزلت على موسى – عليه السلام–، وإنما هي نُسخ مُحرفة لا تصح أن تكون مصدرًا أو حتى قرينًا للقرآن ألبتة؛ لأنها مضطربة سندًا ومتنًا خاصة في القصص(١). أما كتاب الله تعالى فلم يطله التحريف، ولا يجوز مقارنته بكتب محرفة.

يشيد ريندسبورج في آخر البحث بالبنية الأدبية التي اكتشفها مير للقصة القرآنية وفضل السبق له في هذا الباب. لكنه يعود مرة أخرى ليؤكد بأن الباحثين في الكتاب المقدس أدركوا (أنها تقنية شائعة نسبيًا في السرد العبري القديم) (٢). ويتوسع في مدى شيوع هذا الأسلوب في الشرق الأدنى فيقول: "تشهد آداب الشرق أدنى الأخرى على مثل هذه التراكيب أيضاً" (٣)، وتكرار الأمر بهذه العمومية يزيد من تأكيد ادعاء تقليد القرآن للتوراة –تعالى كتاب الله عن ذلك– إذ ليس الأمر محصورًا في الكتاب المقدس، بل هي سمة شائعة في السرد العبري القديم. ويُلَمِّح بذلك إلى أن الشيوع بهذه الصورة يبرر أخذ القرآن منها، ويزيد من مكانة السرد العبري والتوراة على حساب القرآن، وهذا أمر يجافي الحقيقة كما نعلم. كان ريندسبورج حذرًا حينما ذكر أن التقنية (شائعة نسبيًا)؛ لأن عدم تقييد الشيوع يمنحه الغلبة والانتشار، وهذا ينافي الحقائق التاريخية؛ لذا قيده بالنسبية.

(١) ينظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ١: ٣٣٨–٣٤٠

(2)Rendsburg, Literary Structures in the Quranic and Biblical Stories of Joseph, p120

(3) Ibid

٣. نتائج الدراسة:

توصل ريندسبورج من البحث المقارن إلى وجود تشابه بين القصتين سمح له بادعاء تقليد القرآن للتوراة بحكم أسبقيتها عليه– تنزه كتاب الله عن ذلك. ويفترض في الخاتمة أن إجراء مزيد من الأبحاث سيكشف عن أمثلة أخرى في القرآن قد تتشابه مع السرد التوراتي. يقول: "وبغض النظر عن العلاقة الدقيقة بين البنيتين المتناظرتين لقصتي يوسف، قد نرغب في الحديث عن تقليد أدبي شرق أدنى رأى في مثل هذا النمط طريقة فعالة لهيكلة النثر السردي"(١). وهذا يؤكد ما ذكره سابقًا بأن النمط المتناظر شائع في السرد العبري القديم لكنه هنا يوسع نطاقه للشرق الأدنى الذي يرى في التناظر مناسبًا لدراسة النثر السردي.

لقد أكدت سابقًا أن لا علاقة دقيقة –كما يدعي ريندسبورج– بين البنيتين السرديتين لقصتي يوسف فالقصة القرآنية متناظرة بامتياز، أما القصة التوراتية فلا تناظر ظاهر فيها إلا في موضعين.

ويمكن تلخيص نتائج دراسته في النقاط الآتية:

- تشابه قصة يوسف القرآنية والتوراتية في الأحداث والبنية المتناظرة.
- دراسة البنية المتناظرة مناسبة في النثر السردي أيا كان.
- لا تقتصر التشابهات بين القرآن والتوراة على قصة يوسف، بل هناك تشابهات أخرى ستكشفها الدراسات المكثفة.

(1)Rendsburg, Literary Structures in the Quranic and Biblical Stories of Joseph, p120

المبحث الثالث: نقد وتقويم دراستي مير ريندسبورج

أولًا: أوجه الاتفاق بين الدراستين

- تتفق الدراستان في الإقرار بأن سورة يوسف – عليه السلام– فريدة من نوعها بين قصص القرآن الكريم، فهي ذات بناء سردي محكم، تبرز فيه الوحدة الموضوعية من أول القصة إلى آخرها مما يعني أنها صفة أصيلة في القصة، وليست عرضية.
- المبدأ الرئيس الذي بنيت عليه السورة والمحور الجامع لأحداثها والمحرك لإطارها السردي هو التناظر الذي أبرز المعنى الأخلاقي المضمن في القصة.
- تفوق القصة القرآنية من ناحية البنية على القصة التوراتية وإشادة ريندسبورج باكتشاف مير للبناء المتناظر دليل على هذا التفوق؛ لأن مير من خلال تقسيمه للسورة أبرز التناظر بصورة لم يسبق أن تنبه لها ريندسبورج.
- أوصى كلا الباحثين بإجراء مزيد من الدراسات حول التناظر، والقصص، وتفعيل الدراسات المقارنة.
- تركز الدراستان على التناظر وتُغفل الجوانب اللغوية والصوتية في القصة.
- اتفق الباحثان على أن بنية قصة يوسف قائمة على التناظر.

ثانيًا: أوجه الاختلاف بين الدراستين:

- اختلاف هدف الدراستين.
- اختلاف المنهج، فمير يعتمد على دراسة البنية الداخلية للنص، وتوظيف التناظر لتحقيق المقاصد الإلهية. أما ريندسبورج فركز على العلاقات الخارجية بين القصة القرآنية والتوراتية فيقارن بين القصتين من ناحية البناء الخارجي مطوعًا دراسته لخدمة غايته وعقيدته فخلص إلى تشابه قصة القصة القرآنية مع التوراتية –تعالى كتاب ربنا عن ذلك.

- اختلاف أساليب التحليل والتطبيق، فتعد دراسة مير تفصيلية شملت أهم عناصر القصة التي برز فيها التناظر (الحبكة– الشخصيات– الموضوعات) أما دراسة ريندسبورج فمختصرة ركَّز فيها على المقابلة بين القصتين دون أن يقدم أي تحليل بنيوي أو تفصيل يُثري البحث.
- ظُهور تحيُّز ريندسبورج من خلال ادعائه تقليد القرآن للتوراة– تنزه كتاب الله عن ذلك، وأن هذا التقليد شائع في السرد العبري وفي أدب الشرق الأدنى، لكنه أكّد من خلال المقارنة تفوّق القصة القرآنية وتناظر بنائها حين وضعها في مقارنة مع القصة التوراتية.
- أظهر مير البعد الديني في قصة يوسف – عليه السلام– بينما أغفله ريندسبورج.
- تتفوق دراسة مير من ناحية التأثير الأكاديمي؛ إذ بلغ عدد الاقتباسات (بحسب إحصائيات الباحث العلمي) تسعة وثمانين اقتباسًا، بينما بلغت اقتباسات دراسة ريندسبورج سبعة عشر اقتباسًا. ولعل السبب يرجع إلى اختلاف المنهجية وحجم الدراستين.
- تتفوق دراسة مير من الناحية العلمية؛ إذ يتناول الموضوع من جوانب محددة اهتم بإبرازها كلها في بحثه، لكن دراسة ريندسبورج موجزة لا تظهر فيها المعالجة الشاملة للموضوع.
- ينطلق مير من أن التناظر لم يوجد في بنية القصة صدفة، وإنما هو اختيار واع مقصود متناسب مع القصة وكان الخيط الناظم لأحداثها. أما ريندسبورج فينطلق من أنه تقليد مقصود لأسلوب توراتي.
- تتفوق دراسة مير في التطبيق الدقيق والمتقن وكشفها عن تناظر القصة وتوظيفه للآليات التي تعزز التناظر وربطه الشكل بالمعنى الأخلاقي للسورة، وكيف أن الغاية الرئيسة هي تحقيق المقاصد الإلهية.

الخاتمة:

عُني هذا البحث بدراسة قصة يوسف –عليه السلام– عند كل من مير وريندسبورج، بيَّنت فيه سبب اختيارهم للسورة والهدف من دراستها، وفصلت القول في قراءة كل منهما للقصة من جانب الإطار العام لها، والبناء الفني، والنتائج، ثم عقدت مقارنة بين الدراستين كشفت عن جوانب الالتقاء والاختلاف بينهما. وقد توصلت الدراسة لجملة من النتائج أهمها:

١. يعد التناظر أساس بنية قصة يوسف – عليه السلام– وقد أثبت الباحثان ذلك في دراستيهما.
٢. بينت الدراسة المقارنة تفوق قصة القرآن الكريم على القصة التوراتية.
٣. أثبت البحث امتلاك قصة يوسف لمقومات الفن القصصي، وإمكان دراسة قصص القرآن في المجمل دراسة أدبية وفق شروط ضابطة تراعي خصوصية النص القرآني، وتحفظ قدسيته.
٤. تفوقت دراسة مير في تحليلها ونتائجها وتأثيرها على دراسة ريندسبورج.
٥. ظهر أثر العقيدة في توجيه دراسة ريندسبورج المقارنة والتأثير في نتائجها.
٦. تعامل كلا الباحثين مع القرآن الكريم باعتباره نصًا أدبيًا –تعالى كتاب الله عن ذلك.
٧. اتسمت كلتا الدراستين بهدوء العرض والتحليل، فخلت من عبارات السخرية والازدراء، التي لا تليق بمقام كتاب الله، سوى ما سبقت الإشارة إليه من ادعاء تقليد أسلوب القرآن للتوراة.
٨. إمكان الاستفادة من المنهج البنيوي الذي درس به مير قصة يوسف وتطبيقه على قصص أخرى في القرآن الكريم.
٩. لا تصح الدراسات المقارنة بين القرآن والتوراة؛ لأن القرآن نص مقدس ولا ترتقي النصوص المحرفة لتكون نظيرًا له.

١٠. أكدت دراسة مير إعجاز القرآن الكريم وإحكام نظمه، من خلال إثباته لدقة البنية المتناظرة للقصة، بينما ريندسبورج أثبتته بصورة عرضية حين قارن بين الدراستين فظهر تفوق القصة القرآنية على التوراتية.

وتوصي الباحثة بالعناية بالدراسات الاستشراقية المنصفة، وتكثيف الدراسات الأدبية للقرآن الكريم بعد ضبط المنهج والآليات، وتوسيع بحث التناظر ليكون بين السور، وتفعيل الدراسات المقارنة بين البلاغتين العربية والغربية لفتح آفاق جديدة في الدرس البلاغي.

والحمد لله أولًا وآخرًا

المراجع العربية:

ألفي، مريا ."**دراسة تحليلية عن العناصر الداخلية في قصة نوح – عليه السلام– في القرآن الكريم**". رسالة ماجستير. (إندونيسيا، ٢٠٠٤).

جبار، حورية. "**مصطلح التناظر ومرادفاته في الدراسات المعجمية: قراءة في نماذج من المعاجم العربية والأجنبية**". *مجلة المنهل*. المجلد ٤، العدد ١ (٢٠٢٣): ٤٣-٥٧

الدقور، سليمان. "**التناظر في القرآن الكريم: تأصيل وتطبيق**". *مجلة إسلامية المعرفة*، المجلد ٢٤، العدد ٩٦، (٢٠١٩): ١٩-٥٤

رضوان، عمر. "**آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**". (الطبعة الأولى، الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

علوش، سعيد. "**معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**". (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٥هـ) .

فارين، ريموند. "**بنية سورة النساء ومركزية قيمة العدل**". (الطبعة الأولى، السعودية: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ٢٠٢٢).

مير، مستنصر. "**السورة وحدة نصية: تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين**. ترجمة: حازم محيي الدين. (الطبعة الأولى، بيروت: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٧).

Bibliography

Alfi, Maria. "An Analytical Study of the Internal Elements in the Qur'anic Story of Noah (Peace Be upon Him)" (in Arabic). Master's Thesis. (Indonesia, 2004).

Jabbar, Houria. "The Term 'Symmetry' and Its Equivalents in Lexicographical Studies: A Reading in Selected Arabic and Foreign Dictionaries" (in Arabic). *Al-Manhal Journal*. (Algeria, Vol. 4, Issue 1, 2023).

Al-Daqūr, Sulaymān. "Symmetry in the Qur'an: Foundations and Applications" (in Arabic). *Islamiyyat al-Ma'rifah Journal*. (Jordan, Vol. 24, Issue 96, 2019).

Radwan, Omar. "Views of Orientalists on the Qur'an and Its Interpretation" (in Arabic). (1st edition. Riyadh: Dār Ṭayyibah, 1993/1413 AH).

Allush, Saed. "Dictionary of Contemporary Literary Terms" (in Arabic). (1st edition. Beirut: Dār al-Kitāb al-Lubnānī, 1985/1405 AH).

Farrin, Raymond. "The Structure of Sūrat al-Nisā' and the Centrality of the Value of Justice" (in Arabic). (1st edition. Saudi Arabia: Tafsir Center for Qur'anic Studies, 2022).

Mir, Mustansir. "The Sūrah as a Textual Unit: Developments in Qur'anic Exegesis in the Twentieth Century" (in Arabic). Translated by Hazem Mohy al-Din. (1st edition. Rabat: Mominoun Without Borders Foundation, 2017).

المراجع الأجنبية:

Rendsburg, Gary. "Literary Structures in the Qurʾanic and Biblical Stories of Joseph." *The Muslim World* 78 (2) (1988).

Mir, Mustansir. "The Qurʾanic Story of Joseph: Plot, Themes, and Characters." *The Muslim World* 76 (1) (1986).

المواقع الإلكترونية:

Raymond Farrin - Curriculum Vitae

AUK - AMERICAN UNIVERSITY OF KUWAIT - Raymond Farrin MirCV.pdf

Dr. Mustansir Mir (Retired) - Philosophy at YSU

Rendsburg, Gary A. و Gary Rendsburg - Biblical Archaeology Society

مركز | Michel Cuypers - Tafsir Center for Quranic Studies - ميشيل كويبرس تفسير للدراسات القرآنية،

Michel Cuypers – Dominican Institute for Oriental Studies

مظاهر التشظي في ديوان "بلقع" لهند النِّزاري
دراسة سيميائية

The Manifestations of Fragmentation in Hind Al-Nizari's **"Balqa"** A Semiotic Study

خالد بن ناصر الجميحي القحطاني

أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعة الباحة بقسم اللغة العربية

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

البريد الإلكتروني: Dr.k.aas.@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
20/09/2025		06/11/2025

نشر البحث
A Research Publication

شوال ١٤٤٧هـ = April 2026

DOI:10.36046/2356-000-019-008

الملخص

يُعالج البحث مظاهر التشظي في ديوان: "بلقع" للشاعرة السعودية هند النزاري، بهدف الكشف عن الكيفية التي يتحول بها التشظي من مجرد تيمة فكرية إلى آلية جمالية ودلالية تعبّر عن الذات الشعرية في ظل تحولات ما بعد الحداثة، ويستند البحث إلى المنهج السيميائي التحليلي؛ لاستكشاف العلامات والدلالات التي تجسّد انقسام الذات وصراعها الداخلي، سواء في العتبات النصية التي تفتتح الديوان، أو في المتون الشعرية التي تشكل نسيجه العميق، موضحًا كيف توظف الشاعرة التشظي أداة فنية تعكس القلق الوجودي وتعيد بناء العلاقة بين الذات والعالم.

ويتتبع البحث تجليات التشظي في العتبات النصية الخارجية والداخلية، بِعَدِّها خطابًا يعكس صراع الذات مع الآخر، ويمتد التحليل إلى رصد تشظي الرؤية والمعجم والدلالة والصورة الشعرية من خلال تعدد الأصوات وتفكك الهوية والاغتراب الوجودي. ويخلص البحث إلى أن التشظي في ديوان "بلقع" يتجاوز كونه ظاهرة شعورية عابرة ليصبح نسقًا جماليًا، ولغويًا، وبنائيًا، قادرًا على إنتاج بلاغة الانفصال والانشطار، ويحول القلق إلى طاقة إبداعية مولدة للمعنى، مؤكدًا مكانة الشاعرة كصوت شعري بارز في المشهد الشعري السعودي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: هند النزاري، ديوان بلقع، التشظي، السيميائية.

Abstract

This study examines the manifestations of fragmentation in "Balqa", a poetry collection by the Saudi poet Hind Al-Nizari, with the aim of revealing how fragmentation transforms from a mere intellectual theme into an aesthetic and semantic mechanism that expresses the poetic self amid the transformations of postmodernism. The research adopts a semiotic-analytical approach to explore the signs and meanings that embody the division of the self and its inner conflict—whether in the paratextual thresholds that open the collection or in the poetic body that forms its deep texture. It demonstrates how the poet employs fragmentation as an artistic device that reflects existential anxiety and reconstructs the relationship between self and world.

The study traces the manifestations of fragmentation in both external and internal textual thresholds, viewing them as discourses that mirror the self's struggle with the other. The analysis extends to examine the fragmentation of vision, lexicon, meaning, and poetic imagery through multiplicity of voices, identity disintegration, and existential alienation. The research concludes that fragmentation in Balqa', transcends being a transient emotional phenomenon to become an aesthetic, linguistic, and structural pattern capable of producing a rhetoric of separation and division—transforming anxiety into a creative energy that generates meaning. This highlights the poet's status as a distinct poetic voice within the contemporary Saudi literary scene.

Keywords: Hind Al-Nizari, Balqa', fragmentation, semiotics.

المقدمة

دخل النص الشعري السعودي مرحلة جديدة في ظل التحولات الحضارية والاجتماعية التي رافقت مرحلة ما بعد الحداثة، إذ أخذ الشعراء يبدعون قصائدهم وفق سمات نصيّة مفاجئة تتلاءم مع طبيعة المرحلة، وتستجيب لاحتياجاتهم وتطلعاتهم الفنية والوجدانية، ومن أبرز تلك السمات أنّ الشعراء درجوا على البحث عن ذواتهم المبعثرة في عالمٍ مُتَشَظٍّ خلخل الثوابت وانعتق من القيود الموروثة، فغدت القصيدة ساحةً لتجريب اللغة وإعادة تشكيل الوعي الجمالي و"أصبح حاضر الوجود الإنساني في هذا العالم يمتاز بكونه حاضرًا مبعثرًا متشظيًا، وممزق الأوصال، ومشحونًا بالتناقضات والمفارقات"(١).

هذه التناقضات والمفارقات الشعرية التي برزت في الشعر العربي القديم، وشاعت في العصر الحديث، حيث قامت "هذه المقابلات بوظيفة موضوعية تتصل بنموذج الإنسان في الشعر، فطغيان الثنائية على وعي الشاعر أحدث نوعا من الانفصام في شخصيته حيث يتجاذبه قطبان مختلفان وينعكس هذا في بناء الشاعر لنماذجه الإنسانية"(٢).

وامتدادا لهذا الخيط الشعري برز عدد من الشعراء السعوديين في الكتابة عن ذواتهم، متناولين: طبيعتها، ونوازعها، وانقساماتها، وآمالها، وآلامها، عبر لغة شعرية تتجاوز اللغة الشعرية السائدة نحو لغةٍ خاصةٍ تستمد مادتها من الذات وعوالمها الداخلية وغيبياتها. وتتقاطع هذه اللغة مع غمار اللحظة الراهنة في

---

(١) د. ناصر حسن يعقوب، "أشكال التعبير عن دلالات التشظي والغياب في شعر محمود درويش"، (*مجلة جامعة دمشق*، ع١-٢، ٢٠١٣م)، ٤٦٨.

(٢) حسني عبد الجليل، "الشعر الجاهلي: قضايا وفنون نصوص"، (ط١، القاهرة: مؤسسة المختار، ٢٠٠١م)، ٢٧٨.

تفاعلٍ جدلي مع تحديات العالم الآخر الذي شكّل اختبارًا جوهريًا للذات. ومن خلال هذا التفاعل، استطاع الشعراء أن يستنطقوا العوالم الشعورية والشعرية التي تعبّر عن القلق، والخيبة، والانكسار، والبوح، والألم، في سعيٍ جماليّ نحو التغيير والتحوّل من اللحظة الراهنة المفعمة بالتحدي والاضطراب إلى أفقٍ جديد من البحث عن التوازن والوعي بالذات، وكان ممن برز في هذا المستوى الكتابي الشاعرةُ السعودية هند النزاري[١]، التي قدّمت تجربتها الشعرية منطلقةً من عمق مشاعرها وأحاسيسها الوجدانية، في تعبيرٍ صادقٍ عن الذات الأنثوية في مواجهتها للعالم والوجود. وتتجلى في نصوصها حالة من التمزق، والتشتت، والانشطار، والانكسار، بما يعكس اضطراب الوعي الذاتي وقلق الانتماء في ظل واقعٍ متحوّل. وهي حالة يمكن عدَّها سمةً بارزة في كثير من النصوص الشعرية النسوية المعاصرة، حيث تتخذ الشاعرة من اللغة وسيلةً للكشف عن هشاشة الداخل الإنساني، والمحاولة في ترميم الذات عبر فعل الكتابة الإبداعي؛ فـ"من يتابع نص المرأة الشعري في المملكة العربية السعودية يشعر بتلبس الذات الأنثوية لكتابتها، وكلماتها الشعرية، فتجد القلق والتمزق، والنشوة بالدخول في عالم

(١) هند حامد عمر النزاري. شاعرة سعودية، ولدت في الرياض ونشأت في المدينة المنورة. حاصلة على بكالوريوس لغة عربية، وتعمل في المجال التعليمي. حصلت على المركز الأول في مسابقة ملتقى شعراء المدينة لوزارة التعليم، والمركز الثالث في مسابقة الثقفي. أديبة لها إسهامات كتابية متنوعة شعرية ونثرية. شاركت في عدة أمسيات شعرية في السعودية والإمارات. عضو في رواق أدبيات المدينة لها كتاب مطبوع (طلال مداح وأنا)، ومجموعة دواوين شعرية: (أشياء في جعبة بحار)، (بلْقع)، (أردت أن أقول لأمي)، (لا تعتبي)، ومجموعة مقالات غير مطبوعة، ولها منشورات متفرقة على مواقع التواصل والمنتديات الأدبية والثقافية.

البوح، واستشراف الأفق، والبحث عن شكل جديد للكتابة، وارتداد العوائق إلى عالم من المواجهة والتجاوز داخل النص"[١].

وانطلاقًا من هذه الرؤية، يهدف هذا البحث إلى تتبّع مظاهر التشظي في شعر هند النزاري، من خلال ديوانها (بلقع)[٢]، للكشف عن الكيفية التي يتجلّى بها التشظي بوصفه آلية نصّية وجمالية تعبّر عن الذات النسوية في مستوياتها الشعورية والفكرية، كما يهدف البحث أيضا –من خلال ديوان "بلقع" – إلى تقديم نموذج تطبيقي لدراسة الشعر النسوي السعودي عبر مفهوم التشظي، وبيان الإمكانات النصيّة التي تمكّن الشاعرة من تجسيد هذه الظاهرة بوصفها آلية جمالية ودلالية تعبّر عن النفس ودواخلها وعوالمها وآفاقها وتطلعاتها، كما يهدف إلى الكشف عن طبيعة الجدل القائم بين الذات الشاعرة والعالم الآخر في مستويات العالم الموازي وعوالم النص الداخلية، بما يعكس سعي الشعر النسوي السعودي إلى تحقيق خطاب شعري جديد يوازن بين الخصوصية الفردية، والهمّ الإنساني العام.

---

(١) عالي القرشي "أسئلة القصيدة الجديدة"، (ط١، الطائف: النادي الأدبي الثقافي، بيروت: دار الانتشار العربي،٢٠١٣م)، ٨.

(٢) صدر ديوان "بلقع" للشاعرة السعودية هند النزاري عام ٢٠٢٠م عن مؤسسة الانتشار العربي، ويُعد تجربة شعرية بارزة تمثل خصوصية الكتابة النسوية المعاصرة في المملكة العربية السعودية؛ يتكون الديوان من ٣٤٩ صفحة، ويضم ٨٢ قصيدة متباينة في مضامينها وتجلياتها الشعورية والفكرية، يبدأ الديوان بالإهداء، ويليه مجموعة من القصائد التي تحمل عناوين متنوعة. وتتنوع القصائد بين التعبير عن الذات وصراعها مع الآخر، والبوح بالمشاعر والآمال، وصولًا إلى استكشاف القلق والتجارب الإنسانية اليومية، ما يجعل الديوان نموذجًا غنيًا لدراسة التجربة الشعرية النسوية المعاصرة في المملكة العربية السعودية ويعكس عمق التجربة الشعورية والفكرية للشاعرة.

مشكلة البحث وأسئلته:

تتمحور مشكلة البحث في مدى قدرة الشاعرة على التعبير عن ذاتها ووجودها وآمالها عبر التشظي الذي يحقق بلاغة النص فكريًا وجماليًا. وعلى ذلك يتطلع البحث للإجابة عن هذه الأسئلة:

س١/ كيف تجلّت مظاهر صراع الذات مع الآخر في شعر هند النزاري، وما الأساليب الفكرية والجمالية التي وظفتها الشاعرة للتعبير عن هذا الصراع؟

س٢/ كيف وظفت الشاعرة التشظي في العتبات النصية؟ والنصوص الشعرية؟

س٣/ هل كان التشظي هاجسًا أدّى إلى تعميق الرؤية الشعرية في إطار البنية الزمنية؟

س٤/ هل كان التشظي أداة جمالية ساعدت الشاعرة في البوح والتعبير والتواصل مع المتلقي؟

الدراسات السابقة:

لم أجد أيّ دراسات علمية تناولت التجربة الشعرية للشاعرة هند النزاري في جميع دواوينها.

منهج البحث:

يسير البحث وفق المنهج السيميائي من خلال استقراء النصوص الشعرية وتحليل العلامات والدلالات داخل العتبات النصية والنصوص الشعرية. ويعتمد البحث على اختيار النصوص الشعرية التي تتجلّى فيها العلامات الأكثر وضوحًا للتشظي. وقد رُوعي أن تمثّل القصائد المنتقاة مختلف مراحل التجربة الشعرية في الديوان من حيث تطوّر الوعي بالذات وتدرّج الخطاب من الانقسام إلى الاعتراف. واستند البحث إلى معيار الوظيفة العلامية؛ أي قدرة المفردة أو الصورة

أو البنية على توليد معنى الانقسام والتنافر داخل النسق الشعري. فتم استقراء النصوص بناءً على تكرار العلامات التي تُحدث انزياحًا دلاليًا نحو فكرة التعدد، والتوتر بين الأنا والآخر، وبين الوعي واللاوعي.

خطة البحث:

تمثلت خطة البحث في المقدمة: وفيها أهداف البحث، وأهميته، وأسئلته، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وخطة البحث. والتمهيد: في بيان مفهوم التشظي الشعري ودلالاته. ويقسم البحث إلى أربعة مباحث: المبحث الأول: التشظي في العتبات النصية، والمبحث الثاني: التشظي في الرؤية الشعرية، والمبحث الثالث: التشكّل المعجمي والتشظي الدلالي، والمبحث الرابع: التشظي في الصورة الشعرية. بعد ذلك الخاتمة وتشمل أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

مفهوم التشظي تتعدد معانيه وتتحد مبانيه، ففي اللغة: "تَشَظَّى الشيءُ: تفَرَّق وتشَقَّق وتَطاير شَظَايا"(١)، و "الشَّظِيَّةُ: الفِلْقةُ مِنَ الْعَصَا ونحوها، والجمع الشَّظايا، وهو من التَّشَظِّي التَّشَعُّب والتَّشَقُّق"(٢). وبهذا يشير المفهوم اللغوي إلى دلالات التجزئة والتفكك والانقسام والتحول إلى عدم الاستقرار والثبات.

وفي التجربة النقدية يعرف التشظي الدكتور عالي القرشي بـ"ذلك البعد الذي تقرأ فيه قلق الالتئام والتناغم والتوافق مع المستقر والمألوف، الذي يتجسد في مظاهر، منها: التمرد على الشكل، قلق سكون الدلالة، قلق العلاقة بين الذات والعالم، قلق العلاقة بين عوالم القصيدة وعالم الواقع"(٣).

ويتمحور مفهوم التشظي حول القلق الوجودي والشعري ويتأسس على: مخالفة البنى الشكلية التقليدية للقصيدة، والتشكيل البنائي كاستخدام تقنية الحذف، والتشطير، والرسوم التشكيلية، وفي انعدام سكون الدلالة كما يبدو في الصورة الشعرية كاستخدام الثنائيات المتضادة، أو الصور المفارقة. وفي ضبابية الرؤية الشعرية في العلاقة بين الذات الشاعرة والآخر في عوالمها الداخلية والخارجية.

وتنظر الدكتورة نوال السويلم إلى أنَّ التشظي يقوم على التعبير الذاتي تجاه

---

(١) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١٤/ ٤٣٤.

(٢) ابن منظور، "لسان العرب"، ١٤/ ٤٣٤.

(٣) عالي القرشي، "القصيدة الجديدة من خلال التشظي والالتئام- موقف الرمال موقف الجناس لمحمد الثبيتي". *مجلة قوافل بالنادي الأدبي بالرياض*٢١، (٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ): ٢٥.

أمرٍ من أجل التفريق والتمزيق للوصول إلى بلاغة الكلام المتوائمة مع طبيعة التشظي، فتقول هو: "التعبير عن رؤية أو إحساس أو فكرة أو صورة فنية بأسلوب يقوم على تفريقها، وتمزيق وحدتها إلى أجزاء، فتتحقق الشعرية من خلال بلاغة الانفصال والانشطار والتشتيت"(١).

وبذلك يتضح أن مفهوم التشظي في الإبداع الشعري يقوم على خلخلة البناء والرؤية والصورة، وهذا التحول البنائي والرؤيوي قد يثير لدى المتلقي تحديات تأويلية عميقة، إلا أنه لا ينفي القيمة الجمالية للنص، بل يعكس بنية شعورية معقدة، ذلك أنّ التشظي يرمي إلى سمة جمالية وقيمة شعرية تعكس حجم الذات المتألمة، الباحثة عن الاستقرار من خلال تلك المشاعر الخفية المتضاربة، والأحاسيس الوجدانية الملتهبة، التي وجدت القصيدة قالبًا مناسبًا، ومعادلًا روحيًا حيًّا، للبث والبوح والشكوى.

بناءً عليه، يُعد التشظي بنية نصية ودلالية تشير إلى التفكك على المستويات: النفسية، والفكرية، والفنية (الشعورية، المعرفية، والتقنية)، ويشير إلى دلالات: التيه، والضياع، والقلق، والانهزام التي يتحقق من خلالها بيانية النص وشعريته.

والتشظي بهذا المفهوم شاع عند الشعراء في العصر الحديث، حين بدأت مرحلة ما بعد الحداثة تُرسم ملامحها، وتَتضح معالمها، من الناحية الفكرية والمعرفية والمنهجية المتصلة بالآداب والفنون، فقد كانت تدل تلك المرحلة على "مظلة عامة تتشظّى داخل نفسها لتكوّن ذاتها، فتتعدد وتنقسم إلى ما بعد حداثات مختلفة، مجموعها العام يشكّل ما بعد الحداثة العامة، ويكون هذا الانقسام

(١) د. نوال بنت ناصر السويلم، "التشظي في شعر بشرى البستاني– جدل الذات والعالم". *مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو بالجزائر –كلية الآداب واللغات – مخبر تحليل الخطاب* ٢٤ ، (٢٠١٧م): ١١٧.

والتشظي سمتها القارة"[١].

وقد برز عدد من الشعراء في التعبير عن فكرة التشظي: كمحمود درويش، وبشرى البستاني، وعبد الله الوشمي، وعدنان الصائغ، والأخضر بركة، فقد تمحورت قصائد هؤلاء الشعراء حول سمة انشطار الذات والصراع الوجودي، واستكشفت دلالات الموت، والقهر، والغربة النفسية، والمكانية.

والشاعرة هند النزاري في ديوانها "بلقع" من الشاعرات البارزات في التعبير عن التشظي بوصفه قيمة تعبيرية قادرة على ترجمة رؤاها الذاتية ومكوناتها الداخلية في عوالم النص الشعري، حيث يظهر التشظي في تجربة الشاعرة من خلال التكثيف المعجمي لمفردة "التشظي" وحقلها الدلالي، مما يشير إلى هيمنة هذه التيمة على النص، فقد وردت ألفاظ التشظي في أكثر من موضع، مثل: **"أتشظى/ تشظى/ شظية/ الشظايا/ تشظّي الأنا.."**[٢]، ووردت ألفاظ تدور في ذات السياق، كألفاظ: **"شتاتي/شتتها/ الشتات/ يا قديمة الشتات/ أروقة الشتات/ شتات آمال/ أشتاتكم عجمى/ انشق، فانشق/ أضاع/ تشردا/ أهذي هذري/هوجاء/ متمرد/مكسر/زلزل/ شق/ متاهات/ منكسرا/ لوجهي المكسر/ تتكسر فيها ألواح الشوق/ مزقا/ مزقتني/ قطعت/ لأنفس مكسرة/ الحطام / الركام/ الاحتراق.."**[٣]

(١) سعد البازعي، ميجان الرويلي، "دليل الناقد الأدبي"، (ط٣، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م)،٢٣٣.

(٢) هند النزاري، "ديوان بلقع"، (ط١، مكة: النادي الأدبي الثقافي، بيروت: دار الانتشار العربي، ٢٠٢٠م)، ١٠٢، ١٠٣، ١١٦، ١٨٠.

(٣) النزاري "الديوان"، ١٨٠، ٣١، ٥٧، ٣١، ١٣١، ١٤٣، ٢٩٨، ١٤، ٦٢، ٣٤، ١١٦، ١٠١، ١٠٧، ١٣٤.

وتتشكل الرؤية الشعرية وتتطور من خلال توظيف الشاعر للغة؛ فاللغة تمثل المرتكز الأساسي لتحليل النصوص، فالنص الشعري تبنى رؤاه وأخيلته من اللغة، فكلما كانت اللغة دالة على معنى ظاهر، هو نص شعري ينطلق في فضاء واعٍ محكومٍ بنظام معيّن، والشاعر يعتمد في بناء عالمه الشعري على المفردات المعجمية بوصفه مرتكزًا لغويًا يشكل وعيه الشعري وما يرمي إليه، وتكتسب طابع الخصوصية حين تشكل استظهارًا معنويًا يدلف إلى موضوع واحد، وفق قيمة مشتركة، وهذا لا يتم إلا عبر التأكيد على مفردات ذات طابع دلالي يصب في معين واحد.

وبناء على ذلك فقد رسمت الشاعرة ملامح التشظي من اللغة ثم أثثت معمار القصيدة ومحتواها بتوظيف التشظي في العتبات النصية، سواء كانت خارجية متعلقة بالغلاف وما يتصل به، أو داخلية في عناوين القصائد. ثم في النصوص الشعرية، من خلال: الرؤية الشعرية، والتشكّل المعجمي والتشظي الدلالي، والصورة الشعرية.

المبحث الأول: مظاهر التشظي في العتبات النصية

تُعدّ العتبات النصية مدخلاً إجرائيًا رئيسيًا في تحليل الخطاب الشعري؛ إذ تقوم بوظيفة تأطيرية تسبق عملية تلقي النص وتوجهها، لنتعرف عليه ونستكشف معالمه(١)، وقد أسماها جيرار جينيت بالجامع النصي أو المتعاليات النصية تحت مسمى: "المناص"، من خلال مقاربته للإنتاج الأدبي الذي حدده في خمسة مستويات: التناص والمناص والميتناص، والنص اللاحق، والنص الجامع، وكل مفهوم منها يعطي النص قيمته الدلالية والجمالية والتأثيرية(٢).

والمقصود بالعتبات النصية: "مجموع العلامات اللغوية وغير اللغوية التي تحيط بالنص من جميع جوانبه، مشكّلة نظامًا إشاريًا ومعرفيًا مهمًا لا يقلّ أهمية عن النص الذي يحيط به"(٣)؛ مما يعني أن كل ما يتصل بالنص الشعري يتضمن اهتمامًا له دلالاته الإشارية والموضوعية، وربما تكون هذه العتبات مرتكزًا أساسيًا تغني عن اللجوء إلى النص إذا وجدت الشاعر الذي يولي الاهتمام اللازم لها.

والمتأمل في ديوان "بلقع" يرى أن مظاهر التشظي تحددت في صفحة الغلاف وما يشتمل عليه من كتابات لغوية، ورسوم وألوان تشكيلية، وفي عناوين القصائد التي كان منها ما هو دال مباشر على موضوع القصيدة، ومنها ما هو منفصل عن موضوعها عبر تماس يشمل النص في بعض أجزائه

(١) د. عزوز علي إسماعيل، "عتبات النص في الرواية العربية– دراسة سيميولوجية سردية"، (ط.د، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م)، ٢٩.

(٢) ينظر: عبد الحق بلعابد، "عتبات– جيرار جينيت من النص إلى المناص"، (ط١، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م)، ٢٦.

(٣) ينظر: عبد الرزاق بلال، "مدخل إلى عتبات النص"، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق للنشر، ٢٠٠٠م)، ١٦.

أو متوافق مع اللمحات العابرة التي تفهم من قراءة النصوص. وبهذا سيكون البحث مهتمًا بصفحتي الغلاف، وبعناوين القصائد التي تعد اللّبنة الأساسية في قراءة النصوص الشعرية.

١– التشظي في العتبات الخارجية:

يكشف تحليل الغلاف الأول عن تمظهرات التشظي في العنوان البؤري للديوان، بوصفه علامة دلالية مركزية، فالعنوان في التجربة الشعرية الحديثة يكشف عن حفريات دلالية عميقة، وهيمنة على الطاقة السياقية والنسقية للقصيدة، التي تعطي انطباعًا عن القصدية الشعورية والشعرية للشاعر.

ويُلاحظ المتأمل في الصفحة الأولى من غلاف الديوان أنّ ملامح التشظي تتبدّى بوضوح في عنوان الديوان، بوصفه أول علامة دالّة في نسق العتبات النصية، فالعنوان في الشعرية الحديثة لا يؤدي وظيفة سيميائية فحسب، بل يشكّل بنية دلالية مكثّفة تستدعي شبكة من العلاقات الرمزية، وتوجّه القراءة نحو أفق التأويل. ومن خلال هذه العلامة المركزية، تتكشف البنية الشعورية للشاعر وتمظهرات الذات المتشظية، بما يعكس قصديته الجمالية وانشطار تجربته بين التكوين والانكسار.

يكتسب العنوان أهميته من كونه العلامة السيميائية الأولى التي يستقبلها القارئ، والتي تحدد أفق التوقع وتؤطر مضمون النص، والشاعر الذي لديه رؤية استباقية ينتقي أجود العناوين المعبرة عن التجربة الشعرية، التي من خلالها تتمظهر رؤية النص ومعانيه، ويكشف دلالته ورموزه، وما يخفيه عن المتلقي من إيحاءات رمزية.

وعنوان الديوان "بلقع"، يتضح أنّ المفردة ظلت حاكمة على النصوص الشعرية التي أشاعت طبيعة التشظي، وأكّدت ذلك على مستوى البناء والموضوع

وما يدل عليهما، والعنوان عادةً "يؤدي دورًا تفاعليًا في العملية الإبداعية إذ يحرص المبدع على الدقة في اختياره؛ لإدراكه حساسية ارتباطه بالنص، والأهمية التفاعلية بينهما"(١).

ولفهم تمظهرات التشظي في العنوان، يتطلب ذلك تحليلاً لغوياً وصوتياً وتركيبياً للمفردة، ففي دلالتها اللغوية ورد في المعاجم اللغوية أن مفردة "بَلْقَعْ" هي المكان الخالي القفر الذي لا شيء فيه، وهذا المكان يقصد به المنزل والدار والصحراء(٢).

والصحراء القفر وعلاقتها بالديوان تدل على أن القصائد ستكون موئلًا لما تقتضيه طبيعة تلك الأبعاد الجغرافية التي توحي بمعاني التشظي والتيه، وتستدعي وجود الأشباح والخوف والقلق والوحدة والغربة والموت، وهو ما ينبي عن انشطار الذات الإنسانية وفق هذا الخلو المكاني، وهذا بطبيعة الحال يعكس حقيقة عوالم الذات الشاعرة وفضاءات الكون الشعري الذي نما في القصائد وما سنوضحه في عناوين القصائد.

والشاعرة في إحدى قصائدها تكشف دلالة العنوان من داخل النص الشعري، إذ ترى أنّ له أبعادًا مفهومية متعدّدة وصدى دلاليًا مقلقًا، فهو يشير إلى فراغٍ ممتدٍّ بحجم الوجود وفضاءٍ خاوٍ تتردّد فيه أسئلة المعنى والماهية. وتبدو الشاعرة في حالة من التوتر والحيرة الوجودية إزاء هذا المفهوم، كما تجسّد ذلك

(١) هدى الصحناوي، "البنية السردية في الخطاب الشعري– قصيدة عذاب الحلاج للبياتي أنموذجا". *مجلة جامعة دمشق ١*، (٢٠١٣م): ٣٩٠/٢٩.

(٢) ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م)، ١١٨٨/٣.

بقولها:[1]: **"كلمة بلقع في قاموسي/ آلام يمتد مداها/ قالتْ والحيرة تطويها/ صارت أوسع من معناها"**.

إن انفتاح دلالة العنوان يعكس الجدل الأنطولوجي للذات وعدم استقرارها الشعوري، مما يمثل تجسيداً لحالة التشظي؛ كما أن الشاعرة حددت تلك المعاني السابقة قبل أن تختتم قصيدتها بحيرتها في تفسيرها، فقد عبّرت عنها من خلال ستة مقاطع، كل مقطع له دلالته الإشارية، ويعبر بعد ذلك إلى حقيقة ارتباط التشظي بالذات الشاعرة. وسنوضح في الجدول التالي نماذج من المقاطع الشعرية، والكلمة المفتاحية التي ترتبط بحقيقة الذات الإنسانية، والدلالات المستوحاة من ذلك.

(١) النزاري، "الديوان"، ٨٩-٩٥.

رقم المقطع	نموذج من المقطع الشعري	الكلمة المفتاحية	النتيجة الدلالية
١	قلب غادره الأحباب كان لهم وطنا	القلب	الرحيل، الغياب، المواجع، الغربة، الهذيان، الذكرى، الضجيج، الغموض، التحطم، الخراب.
٢	البلقع عين جافاها الدمع وملّت منها الصور	العين	المجافاة، فقدان الرؤية، المتاهة، الخواء، الأمل، الهزيمة.
٣	البلقع حلم يتردى يجثم في قيعان الآتي	الحلم	الحلم الميت، العمر الموؤد، النكسات، الطموح الواهي، البؤس، الأشلاء.
٤	البلقع صدر تُحرقه آه لا يرتد صداها تتمطى فيه وتحفره	الصدر	الحرقة، الشكوى، الفزع، الجحيم.
٥	والبلقع يا أنت فضاء خاوٍ تجفوه نواحيه	الفضاء	الخواء، الجفاء، الجفوة، الخراب، الضياع، الضعف.
٦	هو ليلٌ كالموت مُسجّى أبدا لم يطرقه صباح	الليل	الضياع، التيه، الموت، المعاناة، فقدان الهوية.

والملاحظ أن الكلمات المفتاحية لها دلالة عميقة في استلهام فكرة التشظي بوصفها تجربة إنسانية، ودلالة شعرية. ذلك أنّ العين والقلب والصدر والمكان "الفضاء الخالي"، والزمان "الليل"، والحلم "الحياة الباهتة"، هي الوسيلة الناجعة للتعبير عن شتات الذات وجدلها وصراعها، مما يرشح دلالات: الانفجار، والانقسام، والهزيمة، وفقدان الذات.

والدلالة الصوتية للعنوان يلحظ أن الصيغة اللغوية للكلمة تحددت في أربع أحرف، ساكنان ومتحركان (/٠/٠)، وهي ما تستدعي الحركة والوقوف، موافقة بذلك طبيعة النفس البشرية في تقدمها ووقوفها، وإقدامها وإحجامها؛ وهي صورة صوتية عاكسة ومجسدة لهذا التشظي والتيه وعدم الاستقرار؛ وما يمكن

النظر إليه أن الكلمة عبارة عن كلمتين وفق هذا الصوت الناشئ من بنية الكلمة.

يمكن قراءة البنية الصوتية للكلمة (بَلْ / قَعْ) على أنها توحي ببنية حوارية ضمنية (حرف/فعل أمر)، مما يعكس صراع الذات مع الآخر، وهو ما يتناسب مع حقيقة موضوع التشظي.

والعنوان على مستوى التركيب عُنون بكلمة واحدة، يليه تحديد لأجناسية النوع الأدبي "ديوان شعر". والكلمة في حال تقديرها جملة اسمية، تتكون من خبر لمبتدأ محذوف تقديره "أنا بلقع"، ضمير منفصل عائد للشاعرة، وتتحدد الجملة التركيبية في "أنا بلقع"؛ أي: أنا مكان خالٍ من كل شيء إنسانًا وأنساً وأشياءً. كما أن الجملة الاسمية" غالبًا ما تحمل دلالات الإخبار والإثبات والاستمرارية"[1]؛ أي: أن الشاعرة أرادت الإخبار والقول عما يجول في داخلها من حديث فأتت على جزء من هذا العنوان وحذفت الجزء الآخر، مع ما يتوافق مع الدلالة اللغوية للعنوان التي تقتضي الشتات والقطع والمحو.

ويتجلى البعد السيميائي لغلاف ديوان "بلقع" في العنوان ولونه، إذ إنّ العنوان شُكّل باللون الأحمر، ولون كلّ كلمة يحمل طابعًا دلاليًا خاصًا يتجاوز مفهوم اللون العام إلى معانٍ أكثر كثافة وعمقًا في النص الشعري. فاللون الأحمر من "الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة، وهو من أطول الموجات الضوئية"[2] كما أنّه يرتبط تاريخيًا بالدم والموت والحرب

(١) مكسح دليلة، "البيئة في الشعر الجزائري المعاصر"، (ط١، الجزائر: دار ابن زيد للطباعة والنشر، ٢٠١٦م)، ٥٦.

(٢) أحمد مختار عمر، "اللغة واللون"، (ط٢، القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٧م)، ١١١.

عند العرب قديم[١].

اختيار اللون الأحمر للعنوان لم يكن عشوائيًا، بل جاء بعناية فائقة لتوصيل شعور الانقسام والتوتر النفسي؛ إذ يعكس درجة الانفعال العاطفي والشدة التي تريد الشاعرة إيصالها للقارئ، بهذا، يتوافق اللون الأحمر بصريًا ولغويًا ودلاليًا مع مضمون الديوان، مما يعكس العلاقة الجدلية مع الآخر، المتسمة بالانشطار والانفجار، ويجعل العنوان علامة سيميائية قوية تؤسس للقراءة النفسية والشعرية للنصوص داخل الديوان.

وفي صفحة الغلاف، يُعدّ التوظيف للصورة التشكيلية رؤيةً بصريةً قادرة على التلاحم والاتساق بما يمكن أن يعطي دلالة جامعة وفق طبيعة التشظي، حيث يظهر أنّ هناك "ملامح أخرى تتعلق بما ينطوي عليه العنوان من بنية مجازية مكتظة بالإيحاء والطاقة التشكيلية"[٢].

وإذا نظرنا إلى الصورة التشكيلية المرافقة للديوان، يتضح أن الصورة المرسومة تتشكّل وفق هذا الوصف: نصف امرأة، بنصف رأس، بلا عقل، ملامح شبه معدومة، ابتسامة بألم، شجر حول شَعْرٍ، بلا جسد، أنف دون عينين، اللون الأسود.

---

(١) وفي الموروث الشعري ما يدل عليه في قول عمرو بن كلثوم:

وإنا نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا

عمرو كلثوم، "الديوان"، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل يعقوب، (ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م- ١٤١٦هـ)، ٧١.

(٢) عبد الله الفيفي، "حداثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية- قراءة نقدية في تحوّلات المشهد الإبداعي"، (ط١، الرياض: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ٢٠.



يشير غياب النصف من الجسد، والرأس، والملامح، والشَّعر إلى طبيعة التشظي ويعكس الهوية المنقسمة جسديًا وروحيًا وعقليًا؛ إن هذا الاختيار يهدف إلى تجسيد الانقسام النفسي والجسدي بصريًا، ليتيح للقارئ تجربة بصرية تعكس البُعد الشعوري للنصوص الشعرية، حيث تلاشى النصف وبقي الجزء الآخر.

يتضافر ذلك مع دلالة اللون الأسود الذي طغى على الصورة، فاللون الأسود "في كثير من الثقافات دال على ما يستكره، ويتشاءم به، لهذا عبّر

الشعراء بهذا اللفظ عن المعاناة وكل ما هو سلبي: كالآلام، والعذاب"[١]. وبالتالي، تعكس الصورة في الغلاف الأول –ضمن العتبات الخارجية– معنى الحضور والغياب، الوجود واللاوجود، الائتلاف والانقسام، الصراع والنضال، التشاؤم والسوداوية، وهذا ما يجعل الغلاف نصًا بصريًا قائمًا بذاته، قادرًا على توجيه القارئ نحو التجربة النفسية والشعرية التي يعالجها الديوان.

وأما الغلاف الأخير خلف الديوان، فيظهر صفحة بيضاء يعلوها عنوان الديوان "بلقع"، حيث تُبرز العلاقة بين التجاور المكاني للعنوان والبياض يشير البياض هنا إلى الإقفار والمحو، بما يتناغم مع الدلالة اللغوية للعنوان، ويعكس الفراغ والتلاشي المرتبط بمفهوم التشظي، فـ" إدخال بياض الصفحة في بنية النص لتسجيل سمة من سمات الأداء الشفهي أو تجسيد دلالة الفعل بصريًا"[٢]. وفي ذلك تأكيد على دلالة الفعل البصري مع التوظيف اللغوي.

(١) أحمد عبدالله حمدان، "دلالات الألوان في شعر نزار قباني"، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس– فلسطين، ٢٠/٥/٢٠٠٨م)، ١٠٠.

(٢) د. محمد الصفراني، "التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث"، (ط١، الرياض: النادي الأدبي الثقافي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م)، ١٦١.



وخلاصة القول، يتضح أنّ الشاعرة وظفت العتبات النصية خارج الديوان بما يشير إلى فكرة التشظي والانشطار، كما أنّ ذلك كان بأسلوب جمالي عبر عن هذا المعنى أصدق تعبير من خلال انتقاء عنوان الديوان، واتفاق ذلك مع الصورة التشكيلية والبصرية.

٢– التشظي في العتبات الداخلية:

تشكّل عناوين القصائد المفتاح الدلالي والأيقونة التأويلية التي تفك شفرة النصوص الشعرية، والتي تفتح أفق المتلقي لمعرفة ما خلف العنونة من معان ودلالات وأفكار وصور، فالعنوان للقصيدة "يؤسس في ذهن المتلقي إيحاء ما:

انفعاليًا، أو أسلوبيًا، أو حتى إيدلوجيًا، بحيث لا يبدأ المتلقي في تلقي النص أو في قراءة العمل المبدع من نقطة الصفر، وإنما يبدأ مما يؤسسه العنوان من معرفة أو إيحاء"(١).

ذلك أن الشعراء في العصر العربي الحديث لاسيّما في الشعر السعودي المعاصر وظفوا العنوان في سبيل خدمة النص، وأولوه عنايتهم نظرًا لأهميته، وهذه العناية أتت على أشكال متعددة منها ما يأتي على شكل كلمة أو جملة أو شطر بيت أو بيت كامل، أو معنى ضمني من القصيدة ونحو ذلك.

والمتأمل في العناوين الفرعية لقصائد ديوان "بلقع" يلحظ أنّ ظاهرة التشظي تتبدّى في صيغٍ متنوّعة من التشكيل العنواني، بحيث تغدو كلّ عنونة بمثابة عتبة دالّة تمهّد لِولوج العالم الشعري الداخلي. فالعنوان هنا لا يُعدّ عنصرًا مكمّلًا للنص فحسب، بل يمارس وظيفة سيميائية تكشف عن العلاقات الرمزية الكامنة في جوف القصيدة، وتسهم في بناء المعنى الكلي والقصدية الدالة، وينكشف ذلك عند النظر إلى العنوان في تفاعله مع النصوص الأدبية بوصفه علامة لغوية وبصرية في آنٍ واحد، تؤدي وظائف دلالية وتشكيلية تضيء البنية الجمالية للنص وتوجّه أفق تأويله.

يُعدّ توظيف الخطاب في العنوان أحد أهمّ المفاتيح الدلالية الكاشفة عن الجوهر العميق للنص الشعري؛ إذ يشكّل فضاءً رمزيًا تتكثّف فيه التوترات الوجدانية والوجودية للشاعرة؛ وأبرز ما يُلحظ في عتبات ديوان "بلقع" أنّ خطاب التشظي يتمظهر بوضوح في العناوين الداخلية، التي تمثّل مرتكزًا دلاليًا رئيسًا في الكشف عن الصراع الداخلي والروحي، فالعنوان هنا لا يؤدي وظيفة تسميّةٍ

(١) أ.د. بسام موسى قطوس، "سيمياء العنوان"، (ط١، الأردن– عمان: مطبوعات وزارة الثقافة، ٢٠٠١م)، ٦٠.

فحسب، بل يتحول إلى خطابٍ كاشفٍ عن الانقسام الوجداني للذات الشعرية.

يقوم خطاب التشظي، في المنظور السيميائي، على جدلية الذات والآخر، حيث تسعى الذات إلى تحقيق توازنها الرمزي وسط نزاعٍ وجودي محتدم، يتجسّد في خطاب شعريٍّ يتراوح بين الرغبة في الامتلاء والخوف من الفناء. ومن هنا ينبثق الخطاب الداخلي بوصفه آلية دلالية تعبّر من خلالها الشاعرة عن انقسامها الوجداني في صورة حوارٍ مع الذات، لا بمعناه المسرحي أو الروائي، بل بوصفه تمثيلًا لغويًا للتصدّع الداخلي.

ومن بين هذه العناوين الداخلية التي تنطوي على خطاب التشظي" :"بيني و.....بيني، يا..... آه، لا.....تنهزمي، قولي كلمتك"[١]، وغيرها، وهي عناوين تتّخذ من التقطيع والتشذير وسيلةً دلالية تشير إلى تفتت الذات وتنافر أجزائها. كما أنّ النقاط المتكرّرة توحي بامتداد الصراع واستمراره، وكأنّ الشاعرة تؤجّل القول في انتظار انبثاق صوتٍ مكمّل أو مجيب، وهو ما يعكس طبيعة التشظي الزمني والروحي في تجربتها.

وإذا ما تأملنا العلاقة بين العنوان والنص، نجد أن الخطاب العنواني يتصل بالحوارات الداخلية التي تشكّل تيمة جوهرية في بناء الديوان. ففي قصيدة "بيني و.....بيني"، يتجلّى الخطاب بوصفه مواجهةً بين ذاتين متقابلتين: ذاتٍ متحدثة وذاتٍ مستقبلة، في حوار يكشف وعي الشاعرة بانقسامها الداخلي، تقول الشاعرة[٢]:

"أقولُ لتلك التي خلف وجهي/ تعالي نُقرُّ بأنّا اختلفنا/ ولا يُفسدُ الودُّ أن نختلف/ تعالي نُسوّي حساب المتاهات/ نلقي صراعاتنا/ في مكان

(١) النزاري، "الديوان"، ٦٤– ٩٩– ٣٠٢– ٣١٧.

(٢) النزاري، "الديوان"، ٩٩.

المنتصف/ تعالي/ فقد فات عُمرُ التَّعامي/ ولا بُدَّ/ لا بُدَّ أن نعترف".

في هذا الخطاب تتجسد الذات في صيغةٍ من الانشطار، إذ تتحدث إلى ذاتٍ أخرى كامنة "خلف الوجه"، بما يشي بتعدّد الأصوات داخل الكيان الواحد، فالفعل اللغوي هنا هو تمثيل سيميائي للانقسام الداخلي ومحاولة الاعتراف والصلح مع الذات الأخرى.

وفي خطابٍ عنواني آخر وفي عنوان قصيدة "لا..... تنهزمي"(١). نرى تحوّل الذات من الاعتراف بالانقسام إلى مقاومة التفتت، فالعنوان نفسه ينطوي على أمرٍ موجّه من الذات إلى ذاتها، في رغبةٍ واعيةٍ لتجاوز الهزيمة واستعادة التماسك:

كُوني وحدكِ كُلَّ شهود الظلم/ وكُلَّ رُعاة العدل/ عِيشي الثورة/ عيشي الفعل/ وردَّ الفعل/ أو فلتبقي غُصن سلامٍ/ يَنبتُ من أعماقٍ تَغلي/ منْ يخسر إن فات عليك ربيعٌ/ إن أصبحتِ اسمًا منسيًّا/ وتفاصيل بلا عنوان/ من يأبهُ إن صرتِ بقايا عُمرٍ أكلتُه الأحزانْ/ عِيشي اللحظة لا تنتظري الغيبَ/ فإنَّ العمر الآن/ والأرض عليها ميثاقٌ/ ألّا تقف عن الدوران".

هنا يتحوّل الخطاب العنواني إلى نداءٍ للتماسك، إذ تخلق الشاعرة من خلاله طاقة رمزية تقاوم العدم، وتؤكد حضور الذات بوصفها شاهدةً على الانكسار، وساعيةً إلى استعادة صوتها وسط صمت العالم. فالخطاب لا يكتفي بالإخبار، بل يتحوّل إلى فعلٍ لغويٍّ مقاومٍ للتلاشي.

تتنوّع صيغ الخطاب الداخلي في عناوين "بلقع" بين "من أنت؟، لماذا أتيت؟، أتقول شيئا؟، ابك يا عمران، اجعلني جميلة، قل لي أحبُّكِ"(٢).

وجميعها تؤدي وظيفةً سيميائية واحدة :إظهار الانقسام الداخلي للذات

(١) النزاري، "الديوان"، ٣١٧.

(٢) النزاري، "الديوان"، ١٨١– ١٨٥– ١٥٥– ٢٤٩.

ومحاولتها التواصل مع ما فقدته من توازنٍ واستقرارٍ روحي. فالاستفهام هنا ليس مجرد سؤال بل هو مسبار وجودي يحاول تفكيك الغياب وكشف ما وراء العتمة.

إنّ خطاب التشظي في العناوين الداخلية في ديوان "بلقع" يكشف عن بنية لغوية مشحونة بالتوتر، تلتقي فيها الذات بوصفها فاعلًا لغويًا ومنفعلًا في الوقت نفسه. فالخطاب هنا لا يعبّر عن وحدة الصوت، بل عن تعدد الأصوات داخل الذات الواحدة، مما يجعل العنوان بوصفه عتبةً نصية فضاءً للانقسام ومرآةً للذات الممزقة التي تبحث عن هويتها عبر اللغة.

وفي قصيدة "من أنت" تحاور الشاعرة محاورًا خارجيًا أشبه بالكابوس الذي يوهن عزائمها، ويستقوي على إرادتها، ويبعثر سكونها واستقرارها، فهي بهذا الحوار تجسد خطابًا متشظيًا بين ذاتين، الذات الأولى هي الذات: الخجولة، المرتابة، الجهولة، الطفولية، الشقية، الشفيفة، المهزومة، المنكسرة، والذات الأخرى هي الذات المتلبسة الموسومة باللصوصية، الكامنة في الشر، اللاهثة، المتشدقة، المدسوسة، المخرّبة، المدعية الوعظ والوصاية. وبين عنصريْ الخطاب يكون الصراع والانقسام. فتقول:

"من أنت يا مستقرئًا زماني/ يا عاجمًا رُؤاي يا مستنطقًا بَناني/ يا من تدسُّ الصَّحو في وسائدي/ وتنفث السَّواد في جوانح الأماني/ تَحتلُّ راحتيَّ كُلُّ رجفةٍ/ تمدُّ لي مخالبًا تُحسني وأذرعًا ترابي/ ومِعْولًا يَشجُّ وجه غفوتي/ وينحت المرار في لساني/ يا كامنًا للبوح في خواطري/ تزويه عنّي كُلّما طلبْتُهُ/ يا من زرعت الموت في قصائدي/ ولُذت في كُلّ حرفٍ خائفٍ كَتبْتُهُ/ سرقتَ منّي نبضَهُ وروحه..." (١).

فالشاعرة جعلت من هذا الجدل مثار انقسام واختلاف بين ذات تتلهف

(١) النزاري، "الديوان"، ١٨١

للحياة وتتمسك ببقايا وجود، وبين ذات غائرة في الإجرام تهدي الموت، وتزرع الخوف، وتسرق السعادة، وتبعث الشقاء والكآبة. وقد جسّد هذا الموقف الجدلي من خلال استعمال الشاعرة الأسلوب الخبري والإنشائي، التي أرادت باستعمالهما الإخبار عن حجم التشظي وما تحمله الذات من حجم الأذى الروحي، والإنشائي في أسلوب الاستفهام والنداء، الذي كان بدؤه من عنوان القصيدة، ثم تداعى الاستفهام من خلال المقطع السابق، الذي كانت كل القصيدة إجابة على "من أنت؟". والاستفهام في العنوان كثر استعماله، مثل: (لماذا أتيت، وماذا إذا حزت شاعرة، إلى متى، أي شعر، الآن؟!، مِنْ جديد؟!..."). والاستفهام في التجربة الشعرية يرتبط بالبحث عن الإجابة واستقراء من خلف الغائب في إلحاح واضح عما تشكو منه الذات، ولذلك فهو "مسبار فني يكشف تشظّي الذات والتئامها، وقد استثمر في تشكيل التجربة الشعرية الحديثة وقراءتها؛ لنجاعته في استبطان الذات، واستشفاف فلسفتها الوجودية المؤسسة على الخيال"[(١)].

وأما أسلوب النداء فقد كثر في هذه القصيدة عبر اثني عشر موضعًا، معبرة فيه الشاعرة عن حجم الانقسام مع الذات الأخرى، ومحاولة الهروب من الواقع المتّسم بالتشاؤم، والقابع في السواد، لقد وظفت الشاعرة النداء بكثافة في العناوين لخدمة الوظيفة التعبيرية، وللتأكيد على سعي الذات للبحث عن الاستقرار وتجاوز حالة الانشطار، عن سكون ذاتها وانعتاقها من فضاء الانشطار والتشتيت، ومن تلك العناوين:" **يا عمران، أيها الأمل، يا... آه، يا للشعر**

(١) د. طلال الثقفي، "تجليات التشظي وجمالياته في ديوان (مفردات أوشكت) لعبد الله الوشمي". *مجلة العلوم العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٧٣*، (١٤٤٥هـ)، ٢٥١/٣.

الأبيض، يا سيد الرأي، يا طيبة الحب، يا جنة الحرف، يا رمضان، يا عراق، يا ملاكي، يا بحر"."[١].

وتستخدم الشاعرة بعض الأساليب الإنشائية الأخرى كالأمر والنهي والتعجب (**ابك/اجعلني/ ارحل/ دعوني/ قل/ قم/ قولي/ عودي/ دعها، لا تبكي/ لا تعبث/ لا تنهزمي/ مهم جدًا جدًا!!، الثالث والعشرون!!، مجهدة جدًا**..."[٢]. وكل هذه العناوين تعبّر عن قناة الاتصال بين الذات الشاعرة والذات الأخرى التي تنقسم معها حول الحياة وتفاصيلها.

ومن العناوين الدلة على التشظي التي تشكّل رؤية للعالم الوجود، العناوين المؤسسة على الثنائيات الضدية وهي "بنية لغوية متقاطعة اللفظ والمعنى، متباينة، ظاهرة في النسق، مضمرة، تظهر في تباينها إبداعا وجمالا شعريين، تعتمر نسيجا لغويا يعد ترجمة لنفسية الشاعر ومكنوناته الداخلية"[٣]

نذكر على ذلك مثالًا بعنوان "**ولادة في محراب الموت**"[٤]. فالولادة تشير إلى الحياة والنمو والتجدد، والموت يشير إلى النهاية والرحيل والانقطاع. فالشاعرة جمعت بين الضدين في تركيب واحد، الذي لا يمكن أن يلتقيا في ذات اللحظة. وشكّلت كلمة "محراب" عبر حمولاتها الثقافية ورمزيتها الدينية، التي تعني موضع العبادة، ذلك التشظي بين الحياة والموت، وبين الطفولة والشيخوخة في ظل الصراع الدموي والتاريخ الإنساني المليء بالأحداث والظروف والأزمات مما يشير

(١) النزاري، "الديوان"، ١٥٥

(٢) النزاري، "الديوان"، ٥– ٨.

(٣) د. غيثاء قادرة، "الثنائيات الضدية وأبعادها في نصوص المعلقات"، *مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها* ١٠، (١٣٢١هـ)، ٢٥.

(٤) النزاري، "الديوان"، ٢٢٤.

إلى أن الطفولة إحدى ضحايا هذا الصراع الدموي؛ وبذلك تقول الشاعرة على لسان الطفل: **"لا أنتمي لفصيلة فتقبلوني كيفما شئتم/ أقيموا أيَّ طقسٍ نحو أيّة قبلة/ فملامحي قدسٌ وأنفاسي نذور/ كفني عليّ/ وصفحتي بيضاء ناصعةٌ/ وجثماني طهور"**(١).

فالطفولة هنا، تمثّل الطفولة الإنسانية المجردة، التي لا تتعلق بأي ديانة أو مذهب، وفي المقابل يأتي الموت مهددًا لعالم الطفولة والبراءة، الذي يمثل: القيد، والسجن، والدمار، وعبث الإنسان الرامي إلى القتل والتشريد.

(١) النزاري، "الديوان"، ٢٢٤.

المبحث الثاني: التشظي في الرؤية الشعرية

يتجلّى التشظي في النصوص الشعرية عبر الرؤية الشعرية التي تنظر بها الشاعرة إلى العالم والذات والوجود، إذ تُعدّ هذه الرؤية البؤرة التي تتكثّف فيها مظاهر الانقسام الداخلي والقلق الوجودي والتمزّق الشعوري. كما يتمظهر التشظي في البنية الزمنية من خلال تداخل الأزمنة بين الماضي، والحاضر، والمستقبل، فيغدو الزمن مساحةً للتداعي والاسترجاع واستحضار الذاكرة المتشظّية. ويتبدّى كذلك في الصورة الشعرية بما تحمله من مجازاتٍ وانزياحاتٍ ومفارقاتٍ تُضفي على النص أبعادًا دلالية وجمالية، تعبّر عن اضطراب الذات وتشتتها بين الحلم والواقع، وبين الذاكرة والحضور.

ويتعمّق هذا التشظي عبر بنية الصورة الشعرية التي تقوم على التوتر الجدلي بين عناصرها، إذ يلجأ الشاعر إلى اقتناص تراكيب متعارضة ومفاجئة تُحدث انكسارًا في النسق الإسنادي، فينعكس ذلك تبعثرًا في المشهد الشعري وتشظيًا في الجمل والدلالة، ومن خلال هذا البناء المتكسّر يُعبّر النص عن صدامٍ نفسيٍّ داخلي وصراعاتٍ شعوريةٍ حادّة، مردّها الإحساس بالاغتراب والانكسار بوصفه ردّة فعلٍ على انتكاسات الواقع وتناقضاته. وهكذا تتحوّل اللغة إلى مرآة للانهيار الوجودي الذي تعيشه الذات، فتأتي الجمل الشعرية متصدّعةً في شكلها ومضمونها معًا، حاملةً آثار التمزّق النفسي والتصدّعات الروحية التي تحاصر الشاعرة في علاقتها بالعالم [1].

وانطلاقًا من هذه الرؤية الكلية، يمكن القول: إنّ التشظي في شعر الشاعرة يتخذ أبعادًا متعدّدة تتقاطع فيها الذات بالزمن، والوعي بالوجود، مما يجعل

(١) ينظر: عصام شرتح، ممدوح عدوان: مدونات الفن الشعري ومختارات شعرية، (ط.د، سوريا: دار صفحات للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)، ص١٠٩.

التجربة الشعرية فضاءً مفتوحًا لتجليات الانقسام الداخلي والقلق الأنطولوجي. ومن أبرز هذه الأبعاد التشظي الذاتي الذي يمثّل البنية المركزية في صراع الهوية ومعنى الكينونة، كما يتجلّى فيما يلي:

١– التشظي الذاتي وصراع الهوية الشخصية:

يعود التشظي في أساسه إلى الهوية الشخصية، للذات الشاعرة، وذلك في انقسامها وصراعها الداخلي حول ذاتها، وفي صراعها مع الآخر. والصراع الداخلي تتضح ملامحه في الخطاب النفسي للشاعرة، في فقدانها الإحساس بالذات، وتعدد الأصوات الخارجة عن إرادتها. وفي صراعها الخارجي عبر انفصالها وانعزالها وعدم شعورها بالانتماء إلى من حولها في علاقتها مع الفرد والمجتمع.

والتشظي في صراعها الداخلي، اتضح في عناوين القصائد حين كانت الشاعرة تنطلق من العنوان إلى متن النصوص الشعرية عبر حواراتها الداخلية، وأصواتها النابعة من أعماقها النفسية، والمتشكلة في عوالم الروح، وتشعباتها وانقساماتها حول طبيعة الأشياء.

ويمكن تتبع التشظي في أكثر من قصيدة، وفي قصيدة "يا ...آه"[١] تخاطب الشاعرة ذاتها عبر الآه التي تصدر عن حجم المعاناة النفسية، وكأنَّ نفسًا أخرى خرجت منها، تشبهها وتشتكي لها، صوتًا آخر تتحاور معه ويناجيها، فتقول:

"يا آهُ/ يا سهمًا تشظّى في مدىً يتوجّع/ يا لُجّةً من مبهماتٍ بالأسى تتلفَّعُ/ يا جذوةً لِأُوارِها وهجٌ/ حثيثُ النارِ/ مجنون الخُطى/ ومرارةٌ تُوهِي الضُّلوعَ/ وكبرياء يُستغاثُ لها/ وروحٌ تُنزعُ".

فالشاعرة جعلت من (الآه) معادلًا لصوتها عبر مناداته بحرف النداء، وكأنها

(١) النزاري، "الديوان"، ٦٤– ٦٧.

إنسان تناديه وتحاوره، وتستجدي قربه والحديث معه، وتصفها بأوصاف تحددت في كونه صراعًا وجوديًا، مما يعكس حجم الصراع النفسي، فهي "سهم يتكسّر، لجة مبهمة، جذوة نار مشتعلة، خطى مجنونة، كبرياء يستغيث، مرض قاتل، موت محقق".

ويتحقق التشظي في حقيقة الصراع بين الحياة والموت، فالذات الشاعرة الحياة التي تعود إلى الذات، والآه الموت الذي يلاحقها ويبعثر الشتات ويلاحقها كالموت المحقق، ولذلك تقول: "**يا.. آه منْ أغراك بي/ فلفظتني كشظية خرساء/ تستجدي كرامات الجحيم**"، فالشاعرة عبّرت عن ذاتها كشظية متفجرة، خرساء دون صوت، تستجدي الجحيم، مما يستدعي العبور إلى آفاق الشتات والترامي إلى التمزق والهزيمة والموت.

وأما التشظي في صراع الشاعرة مع الآخر، فقد كان الانقسام والتحدي على مستوى الفرد مع الجنس الآخر/ الرجل، بوصفه جنسًا معاديًا، يهدد كينونتها وحريتها، ويحد من طبيعتها الأنثوية. والتمرد على قيود السلطة الذكورية ظاهر في بعض التجارب الشعرية النسائية، فـ"من يتأمل النص الشعري للمرأة في مشهدنا المحلي يجد حالة من التوتر مع السلطة الذكورية، التي تجد دعمًا لها في التبني الاجتماعي لما تلوح به من قيم وما تفرضه، نتيجة للإرث التاريخي الطويل..."[١].

والآخر/ الرجل وفق رؤية الشاعرة قد جمع بين المتناقضات: الصدق والكذب، الحب واللاحب، الحياة والموت، وهذه الثنائيات الضدية على مستوى الرؤية تزيد من أثر التشظي، ذلك أنّ الشاعرة غير مستقرة في رؤيتها، وهو ما يبعثر أعماقها الروحية، وآفاقها النفسية. وفي إحدى إشارات الشاعرة لهذه

(١) عالي القرشي، "أسئلة القصيدة الجديدة"، ٦٥.

المتناقضات تقول[١]:

فاتل الأكاذيب التي أتقنتها إنّي أحبُ براءة السّفاح

فالشاعرة من رؤيتها ترى الرجل "كاذب، سفّاح"، وفي المقابل "صادق، بريء"، ولا شك أن ذلك يدور في سياق التهكم والسخرية، فإتقان الكذب لا يقود إلى الصدق، والبراءة لا تقود إلى القتل، وانتقاء الشاعرة مفردة "السفّاح"، ما يدل على التقطيع والتجزئة والانقسام الذي يحدثه السفّاح بسكينه، وهو ما يقابل الضرر الناجم من الآخر الرجل وتأثيره تجاه الذات الأنثى.

وأكثر ما يبعث التشظي من الفرد/ الرجل، هو الحب الذي يظل المنزع الرئيس في صراع الشاعرة مع الجنس الآخر، ففي قصيدة "وتحبّ!"[٢] يُنظر إلى الرجل إلى كونه كابوسًا، مفعمًا بالأذى، والتصدي لكل فرح، فهو: الحزن، والقيظ القارص، والشوك في الطرقات، والموت القتّال، وتقول:

"عن أي هوى تحكي عن أيّة أشجان/ يا رجلًا لا يحسن شيئًا إلا تدوير الأحزان/ يا من مد القيظ على خارطة الدنيا/ يا من زرع الشوك على طرقات العفو وأمداء الغفران".

"يعرفك الحزن الساكن أضلاع الدار/ والدمع الآسن في قيعان الأسحار/ يا من تغتال النبضات/ وتحرق أنفاس اللحظات/ فإن هبَّ ربيعُكَ ثانيةً/ جئتَ تلوكُ حروفَ الحبّ وتلوي أعناق الأشعار".

وأما الشق الآخر في الصراع الخارجي، الصراع مع المجتمع المحيط، وهو لا يقل قسوة عن الرجل، فهو القيد والمنفى، والظلم والتجني، وفي قصيدة "لو سئل

(١) النزاري، "الديوان"، ٢٩٧.

(٢) النزاري، "الديوان"، ٢١٤– ٢١٦.

الخوف"[١]، تنظر الشاعرة أنها تعيش في منفى خالٍ من الحياة، ومحدد بالظلم، ومقيّد الخطوات، ومحاط بالإجرام والتهديد، في حال الفقد والغربة والعزلة، وفي قيد الوأد واليتم، ومن ذلك تقول:

"أعرفها منذ انتبذت/ في منفى الظلم/ منذ اعتقدت أن تنفسها دون استئذان/ من أنواع الجرم/ منذ امتزجت بي ومضينا/ كي نحيي ميلاد اليتم".

فالتشظي عبّر عنه بما يشيع القلق الشعري، الذي انعكس على رؤية الشاعرة تجاه عالمها المعادي الذي تراه قد نبذها، ونفاها، وظلمها، وقيد حريتها.

ويأتي الأسلوب الحواري بين الذات الشاعرة والخوف من خلال تقنية التشخيص وهو: "نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة"[٢]، وقد كان الموقف للذات الشاعرة هو موقف الصمت والخوف بصفته الإنسانية في موقف التحدث، وهذه المفارقة في كون الشاعرة أعارت صفتها الإنسانية "التعبير والكلام" إلى شيء معنوي، أعطت انطباعًا إيحائيًا أن صلابة الآخر/ المجتمع، أسداها الوجوم والصمت بوصفه مهددًا حقيقيًا لوجودها. ما يدل على أن ثمة تأجيل للحياة، والصمت الشعري "مظهر من مظاهر التحدث الخفي، يعمد إليه الشاعر لأسباب سياسية واجتماعية ونحو ذلك، وله أشكال متباينة وطرق متعددة"[٣].

وهذا الوجوم والصمت، يعطيها مساحة في التعبير عبر عالمها الحالم،

---

(١) النزاري، "الديوان"، ٣٢٩.

(٢) مجدي وهبة، كامل المهندس، "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب"، (ط٢، لبنان– بيروت: مكتبة لبنان ١٩٨٤م)، ١٠٢

(٣) د. عبد الله بن سليم الرشيد، "ظاهرة الصمت في الشعر الحديث". مجلة *العلوم الإنسانية بجامعة البحرين– كلية الآداب٢٤*، (٢٠١٤م)، ١٢.

ورؤاها المتشظية عن الواقع عن انتباذها من جذورها وتاريخها وهويتها وانتمائها وآلامها، وهذا ما يكون باعثًا للمعاناة الإنسانية، الباحثة عن خلاصها وعجزها وقهرها النفسي، وبذلك تقول(١):

طوى لي طائف الأرواح ليلًا ... عوالمه ببدءٍ وانتهاءٍ
فعدتُ إلى جذوري ثمّ ذابت ... تواريخي وعرقي وانتمائي
وقفتُ هناك واستحضرتُ همّي ... معاناتي وعجزي واهترائي
وقهرًا راسبًا يقتات مني ... وينهلُ من ضجيجي وانطفائي

وخلاصة التشظي في الشخصية مع علاقتها مع الآخر، أنّ الشاعرة تتوقى الخلاص من انقساماتها الروحية، وصراعها مع الآخر المصرّح به/ الرجل، أو غير المصّرح به كالأنثى أو الأسرة أو المجتمع أو من شيء متخيّل لم تشِ به. وهذا ما سيكشف البحث عنه في التشظي الانطولوجي/ الوجودي.

٢– التشظي الوجودي والقلق الأنطولوجي:

تنطلق الشاعرة في التعبير عن التشظي الأنطولوجي/ الوجودي، من خلال الصراع مع الهوية العربية وقضاياه، والهوية الإنسانية العالمية، والرؤية الذاتية تجاه الهوية والوجود والقضايا الإنسانية، يتحقق التشظي حين تنقسم الذات ويصيبها القلق والخوف حيال تقرير الحقيقة والوقوف على رؤية ثابتة "إن البعد الذاتي – الذي لا يخلو منه أي خطاب أدبي– يتخذ لبوسًا فريدًا في التشظي. إنه حضور للذات وهي في حالة رفض أو في حالة بحث عن اليقين، وليس حضورًا للذات التي تمتلك اليقين والرؤية الأحادية الثابتة. إن المنطلق للتشظي هو الشعور بالقلق

(١) النزاري، "الديوان"، ٢٨١.

الوجودي والبحث المستمر عن جدلية الوجود والحياة"[١].

وفي رؤية الشاعرة هند النزاري للهوية العربية، رؤية ينتابها القلق والحيرة والألم تجاه القضايا العربية، كما في قضية فلسطين وبلاد الشام والعراق. وفي العراق على سبيل المثال ترسم الشاعرة لوحة معبرة عن التشظي في كونه بلدًا مظلومًا مكلومًا، فتقول[٢]:

يا جرحنا الغافي على دمه أوجعت قلب البؤس فالتئمِ

فالشاعرة تنظر إلى العراق في ظل رؤية تشخيصية متشكلة في هيئة الإنسان الجريح المثخن بالدماء والنائم على أوجاعه وبؤسه العتيق، وانتقاء الشاعرة لألفاظ "الجرح، الالتئام"، ما يرشح معنى التشظي، الذي يقتضي حدوث الشق والرغبة في الالتئام. وهو ما يفضي إلى أنّ العراق يعيش في دوامة التيه والخراب والدمار[٣]:

وفي العراق إجابات وأسئلة عمياء تركض في دوّامة التيه

تتشكل رؤية الشاعرة للعراق ضمن فضاء الثنائيات المتعارضة (السؤال/الإجابة)، مما يؤسس لمفهوم التيه الوجودي الناتج عن عدم استقرار الحقيقة، وما يستدعي التشظي أن هذه الأسئلة والأجوبة، تنساق في بوابة التيه والعمي الوجودي واللانهاية لتحقيق استقراره وتمكينه في خارطة الوجود العربي. وتقديم الإجابات قبل الأسئلة يؤسس أسئلة بلا إجابة، وإجابات مفتقدة لجدوى السؤال في ظل الركض غير المجدي، المؤدي إلى المستقبل المجهول. وهذا ما

(١) محمد أحمد المسعودي، "قراءة في التشظي– جدل الذات والعالم". *مجلة فكر ونقد بالمغرب* ٤٩–٥٠، (ت.د)، ٤٤.

(٢) النزاري، "الديوان"، ٣٠١.

(٣) النزاري، "الديوان"، ٨٨.

يستدعي الشعور بفقدان الذات أمام عبث العالم العربي والعالمي، وعدم معرفة الوصول إلى الحقيقة، التي تحقق استقرار العراق حول نتيجة موحدة ونهائية.

وأما الوجود الإنساني، يتّضح أن الشاعرة تعيش واقعًا وجوديًا قلقًا، وارتباكًا وضياعًا، في فهمها الذاتي للوجود الإنساني، ولهذا نجدها تخاطب روحها في حقيقة الوجود الإنساني، وفي صراعها مع العالم الإنساني، التي أفاضت في التعبير عن زيف أعماقها ووجودها وخوفها وارتباكها وضياعها في مواجهة الحياة الإنسانية والتي عبّرت عنها(١):

"سافرتُ فيها ألفَ عُمرٍ/ فَتخلَّتْ لحظتي عنِّي/ وعن تاريخِ بُؤسي وصراعي"

وتتحقق قيمة التشظي حين تتحول الذات إلى طبيعة الإنسان التي خلق منها، فالحياة تخلت عنها، وهي في حال بائس متجرّد من الحياة الإنسانية، ومن كينونتها ووجودها، وتلك الحياة هي أشبه بعالم الغاب، المنسلخ من تلك الحياة الطبيعية، القابلة للعيش. ولهذا نجدها في أكثر من موضع تستجدي الخلاص من كينونتها السوداوية، القابعة في مجاهل التيه، واللاحقيقة(٢):

"لا تتركني للقبح الكامن في طيني/ للخيبات المنسوجة في شراييني/ للجزء الفارغ في كأسي/ لسواداتي/ لقتامة فوضى أسئلتي وإجاباتي/ أنت ملاكُ الرحمة فيّ فلا تتركني لشياطيني".

وتعبير الشاعرة عن القتامة والفوضى والخراب والقبح الإنساني، ما يجعلها تتشظى عن طبيعتها الإنسانية، إلى النزوع الإيماني. فقد كانت في بعض قصائدها

(١) النزاري، "الديوان"، ٢٤.

(٢) النزاري، "الديوان"، ٢١- ٢٢.

تنزع إلى الجانب الديني في تطلع إلى لأم صدعها وتمسكها بذاتها الإنسانية، وتوحيدها الروحي، وتجسيد ذلك في إظهار حجم المحبة الربانية التي جلّت عنها هذه القتامة الكونية(١):

"طاف حب الله أعماقي وجلّى لي نعيمي.../ كم أحبُّ الله في آلائه لمَّا توالى/ وتُنادي فيَّ قلبًا شأنُهُ أن يتعالى/ حينَ تأتي رُغمَ عِصيانِ ظُنُوني/ رُغم تلك المدلهمات التي/ قد أوشكتْ شَعواؤها أن تَحتويني/ رُغم رُوحٍ لم تزل مُنذُ الْتَقيْنَا/ تَقْطَعُ الأيامَ خوفًا وضلالًا".

وتطمئن الشاعرة ذاتها بالشعائر الإيمانية في ظل الوجود الذي تراه منعدمًا وجحيمًا، وكالحرائق تسري في لهيب الأرض، وذلك في إيمانية رمضان(٢):

آنستنا يا واحة ورفت	**وجحيمنا في الأرض يستشري**
وحرائق الأرزاء تكنفنا	**والموتُ عبر عروقنا يسري**
تغفو الأماني في محاجرنا	**لتفيق من عُسرٍ إلى عسرِ**
عامٌ أضيف إلى هزائمنا	**أوّاه يا رمضان لو تدري**

فرمضان بوصفه شعيرة إسلامية، جعلت من جحيم الأرض أُنسًا، ومن الحرائق والأرزاء والموت حياة تنتصر على جحيم الوجود الإنساني، الذي أقلق روحها، وهشم وجودها.

على أن الشاعرة تكتب مجموعة من القصائد في صراعها مع العالم الإنساني والوجود، من خلال ثورة الكلمة أمام طوفان الكون، مع إيمانها أنها امرأة عزلاء

(١) النزاري، "الديوان"، ٢٤– ٢٨.

(٢) النزاري، "الديوان"، ٢٧٥.

والأعداء شتى، ولا تمتلك إلا حق الكلمة والقلم والقرطاس، فتقول[١].

"يا امرأة ضاعت في طيّات الآماد/ قولي كلمتك الآن فإن الثورة فجر الميلاد/ هزّي البركان الواجف فيك وأحييه/ ودعيه يَضجّ بمأساةٍ تتلظى بين نواحيه/ حول ضمير الكون غشاءٌ فأزيحيه/ قولي الفرصةَ واحدةٌ والوقت لها بالمرصاد".

وخلاصة القول، إن الشاعرة كانت متشظية في رؤيتها للوجود عبر صراعها مع العالم الآخر من خلال تمسكها بذاتها وبإنسانيتها وبتدينها، غير أن قلق الذات المتجسد في فضاء النصوص الشعرية، هو ما جعلها تعيش في عالم شعري مرتبك، منساق نحو الغربة والعزلة والانتباذ الوجودي.

(١) النزاري، "الديوان"، ٣٠٢.

المبحث الثالث: التشكّل المعجمي والتشظي الدلالي

يمثل التشكّل المعجمي في النصوص الشعرية أحد المحاور الجوهرية لفهم كيفية تجسيد التجربة الذاتية المتشظية وتحويلها إلى بنية لغوية غنية بالرموز والدلالات؛ ففي ديوان الشاعرة –هند النزاري– تتجاوز المفردة حدودها التقليدية بوصفها أداةً للتعبير عن المشاعر أو الأحداث، لتغدو علامة سيميائية متعددة الأبعاد، تنفتح على الزمن والعاطفة والوجود، وتعكس ما يعتمل في الذات من انكسار نفسي وتشتت داخلي، ومن هذا المنظور، يغدو المعجم الشعري مجالًا لتكثيف التجربة الوجدانية، حيث تنسج المفردات شبكة من العلاقات الدلالية والرمزية، تجعل من اللغة ذاتها أداة لإعادة بناء الوعي وتشكيل الصراع الداخلي للذات في صورة فنية.

وتتجلى أهمية هذا البعد التأويلي حين يُنظر إلى النص الشعري بوصفه فضاءً مفتوحًا على المعنى، لا يكتمل إلا بتفاعل القارئ معه "إن اعتماد التأويل على الفعل التخييلي يتعلق بجدلية تعدد المعاني، المسألة التي تبقيها مفتوحة على التدليل أو السيميوزيس عند شارلز ساندرز بيرس، ولتخطي عقبات اختلاف القراءات ينبغي أن تحقق في أقصى تحديد لها المعنى الأولي الذي لا لبس فيه... لذلك فإن عملية التأويل التي يقوم بها القارئ تدخل النص في غمرة المعنى تملأه بالقصدية والماورائية فيتحول القارئ إلى ذات مبدعة والنص إلى إبداع ثان...تأسيسًا على ما سبق، يظهر أن النص يحتاج كثيراً إلى مساعدة القارئ، وإلى تدخله النشيط حتى يتمكن من ملء فراغاته ومناطق لا تحد يده، والخروج من صمته، وتحقيق جماليته ما دام النص آلية بطيئة (اقتصادية) تعيش على فائض قيمة المعنى الذي يدخله فيه المتلق"[1].

(١) د. بن الدين بخولة، النص بين التشظي وفضاء المعنى، (*مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر*، ٢٤، (٢٠١٩م): ٢٠٧.

وبناءً على ما تقدّم من أن التشكّل المعجمي يشكّل آلية دلالية وتأويلية تُعيد من خلالها الشاعرة بناء ذاتها الممزقة عبر اللغة، ليغدو النص فضاءً لتفاعل المعنى بين المبدع والمتلقي، فإن هذا التشكّل يتخذ في ديوانها مساراتٍ رمزية متعدّدة، أبرزها المعجم المائي الذي يغدو وسيلة فنية لتجسيد التشظي النفسي، ففي قصيدة "حدث في مثل هذا الليل"(١)، توظف الشاعرة المفردات المستحدثة والرموز اللغوية لتجسيد التشظي النفسي داخل النص الشعري، حيث تتلاقى الصور المائية والحركة والانكسار لتعكس تفتت الذات واستلابها لموجات التشتت الداخلي، ويتيح هذا النموذج قراءة سيميائية دقيقة لبنية النص على مستوى المفردات والمعاني. تقول الشاعرة مجلية ذلك:

"ناداني/ صوتي القديم/ وأبحرت في لُجّة الظلماتِ شُطآني/ حطّتْ عليَّ هزائمي من كلّ صوبٍ/ فانكفأتُ كموجةٍ/ مهزومةٍ في قاع طوفان".

يعكس النص شعور الذات بالتشتت والانكسار النفسي، ويعتمد في ذلك على مفردات مبتكرة، مثل: "لُجّة الظلمات" التي تدمج بين العمق المائي والظلام لتجسيد حالة الغرق النفسي، و"شُطآني" التي تشير إلى أجزاء متناثرة من الذات، وهو تعبير مباشر عن التشظي الداخلي، كما أن تركيب "هزائمي من كلّ صوبٍ" يعكس الانكسار المنتشر في جميع أبعاد النفس. وتعمل الصور المائية، مثل: "أبحرت"، "موجة"، و"قاع طوفان" كرموز للتشتت والانكسار النفسي، بينما تعبر الأفعال "انكفأتُ" و"مهزومة" عن استسلام الذات لموجات التشتت الداخلي، ويضيف النص بعدًا بصريًا من خلال الانقطاعات بين الكلمات بواسطة الشرطتين "/" لتجسيد التشظي على مستوى البنية النصية نفسها. كما أن تكرار صور الانكسار والماء يخلق وحدة رمزية للنص رغم التفتت الظاهر، ويتيح للنص لغة شعرية

(١) النزاري، "الديوان"، ١٠٩.

غنية بالرمزية والدلالات، بحيث تتحول الانكسارات النفسية إلى تجربة نصية ملموسة، مما يعكس استراتيجية السيمياء اللغوية الحديثة في تشكيل النص الشعري، ويبرز العلاقة الوثيقة بين المفردة والرمز في التعبير عن الذات المتشظية.

وتوظف الشاعرة المعجم الزمني في سبيل التعدد الوجودي للذات، فنجد الشاعرة في قصيدة "بيني....وبيني"(١)، تبين كيفية اشتغالها على مخزونٍ معجميٍّ يقوم بتفكيك زمن الذكرى وإعادة بنائه، حيث تتحول المفردة إلى علامة سيميائية تحمل أبعادًا زمنية وعاطفية، فتستدعي اللغة هنا فعلًا مقاومًا للتشظي لا مجرد وصف له. وتبرز الشاعرة مجلية هذا المعنى في قولها: "**لأجلي وأجلك/ سوف أصالح عمر الشتات.../ لأجلي وأجلك/ سوف أحطم في أضلعي قلعة الذكريات/ تعالي وسوف أزيّف وجهي/ وأصنع من أجلنا ألف ذات**".

في هذا النص، تتضح وظيفة المفردة السيميائية في تجسيد التشظي وتحويله إلى مشروع وجودي؛ فتركيب "عمر الشتات" يعيد تأطير الزمن كمجالٍ للتبعثر لا كسياقٍ خطيّ، بينما استعارة "قلعة الذكريات" تمنح الذاكرة صفة التحصّن والحصانة، ما يستلزم فعلًا هجوميًا (التحطيم) ليصبح التحرر ممكنًا، ويشير تكرار الافتتاحية "لأجلي وأجلك" إلى توزع المسؤولية بين الذات والآخر ويفتح الأفق أمام قراءة تشاركية للهوية؛ أما الأفعال الاستقبالية "سوف أصالح" و"سوف أحطم" و"سوف أزيّف" فتمثل تحوّلاً براغماتيًا في زمن اللسان، إذ لا يكتفي البيان بالتذكار بل يصوغ مستقبلًا بديلًا عبر أفعال أدائية تُعيد تشكيل الذات، كما أن عبارة "أصنع من أجلنا ألف ذات" تكثف الرغبة في التعددية كاستجابة للتشظي؛ ليست إعادةٌ واحدة بل تعددٌ للذات كاستراتيجية للبقاء. بهذا يقف الحقل المعجمي في النص على خطٍّ بين الهدم والبناء، بين الأصالة والتزوير،

(١) النزاري، "الديوان"، ٩٩.

ليؤسس لنمطٍ سيميائيٍّ يظهر الذات المتشظية ككائنٍ قادرٍ على تحويل جراح ذاكرته إلى مواد أولية لصنع هويةٍ جديدة، وبذلك تتحول المفردة من دلالةٍ سلبية إلى أداةٍ عملية لإعادة صياغة الوجود الشعري.

ولنقف على استثمار الشاعرة للمفردات والرموز اللغوية في تجسيد التشظي النفسي والمعرفي للذات، حيث تتحرك اللغة بين الانكسار والتحرر، بين الظل والنور، لتصوير حالة مستمرة من التيه بين اللاوعي والوعي، وتتيح هذه المفردات قراءة سيميائية دقيقة لبنية النص على مستوى الدلالة والمعنى الشعوري. تقول الشاعرة مجلية ذلك:"

دعوني أرتقُ نفسي قليلًا/ فقد مزّقتني عُيونُ الوجل/ وأوجعني الضّوء يأتي ويخبُو/ ليعكس ظِلّ كيانٍ قديمٍ/ تسوّر صومعتي وارتحلْ/ وطاف عليَّ الزمانُ كثيرًا/ وحدّد وجهته وانتقل/ وها أنا في ربقةِ اللّاشعور/ فما من قنوط/ وما من أمل"(١).

في هذا النص تتجلى وظيفة المفردات السيميائية في تصوير التشظي، فتجمع الكلمات بين التجربة الحسية والنفسية لتشكيل فضاء شعوري مزدوج؛ فـ"عُيونُ الوجل" و"أوجعني الضّوء" تعمل كمؤشرات للضغط النفسي المستمر، فيما "ظلّ كيانٍ قديم" يرمز إلى الذات المتكسرة التي تتخللها آثار الماضي، أما "تسوّر صومعتي" و"وطاف عليَّ الزمانُ كثيرًا" فتخلق إحساسًا بالانعزال والزمن المتحرك، وهو ما يعكس حالة التشظي الزمني والوجودي. كما أن الانتقال بين الضدّين "قنوط" و"أمل" يبرز الصراع الداخلي بين اليأس والإمكانية، في حين أن "ربقة اللّاشعور" تعمل كرمز للمكان النفسي غير المحدود الذي تختبر فيه الذات انسجامها مع كسرها، فتتحول المفردة إلى علامة سيميائية تعكس حالة التوتر بين الانكسار والتجدد، وبين الزمن

(١) النزاري، "الديوان"، ١٠٦.

الداخلي والزمن الخارجي، ما يجعل النص تجربة لغوية ووجودية متكاملة تعكس تشظي الذات في أبعادها المعرفية والعاطفية.

ويأتي المعجم الزمني ليبرز التوتر بين الحاضر والمستقبل، فالشاعرة تتداخل في نصوصها الشعرية أبعاد الزمن الحاضر مع الماضي والمستقبل في بنية متشظية تعكس حالة الانقسام الداخلي والتوتر النفسي. فالذات الشاعرة في نزوعها إلى الزمن الماضي، تحاول التحرر من كينونتها الحالية التي تسودها مشاعر الخوف والألم والشتات، وتسعى إلى زمن آخر يُتيح لها فرصة إعادة صياغة وجودها. وفي هذا السياق، يظهر الزمن الحاضر كزمن متسارع، تعيشه الشاعرة وحيدة، متأخرة عن سيرورة الحياة الطبيعية، حيث يصبح يومها بمثابة رحلة مسافر وغدها انتظارًا دائمًا. تقول الشاعرة مجلية ذلك:

"ما زلتُ وحدِي خلفَ نافذةِ النَّهار/ يومي متاعُ مُسافرٍ/ وغدي انتظار/ ومطيّتي رُوحٌ مُلثّمةٌ/ وألفُ هزيمةٍ/ وظلال مستعار"(١).

في هذا النص، تعمل المفردات، مثل: "نافذة النهار"، "متاع مسافر"، و"ألف هزيمة"، و"ظلال مستعار" على بناء شبكة دلالية تعكس التشتت النفسي والوجودي، فيما تُصور الصور الزمنية الحاضر والمستقبل على نحو متداخل ومتشظٍ، يربط بين الخوف من الماضي والتوتر تجاه المستقبل. كما أن استعارة "مطّيتي رُوحٌ مُلثّمة" تمنح الذات قدرة رمزية على التحرك رغم القيود، وتبرز الصراع بين الرغبة في التحرر والواقع المفروض، ما يجعل النص مثالًا حيًا على كيفية استثمار البنية المعجمية لتحقيق التشظي السيميائي، وتحويل الزمن إلى مساحة شعورية تتعدد فيها نقاط الانكسار والتجدد.

يستعرض هذا المقطع كيف يتحقق التشظي في نصوص الشاعرة عبر

(١) النزاري، "الديوان"، ٥٩.

علاقتها بالانتظار والوحدة، حيث تتلبس الذات بالروح المثلمة وخيبات الهزيمة والروح المستعارة، ما يخلق حالة من الانقسام النفسي بين الزمن الحاضر والاستشراف للمستقبل. تقول الشاعرة مجلية ذلك:

"مازلتُ في نفس الدّوار/ فلا شمال ولا جنوب/ أتلمّس الحظّ المعلّق في غيابات الندوب"(١).

يتضح في هذا النص أن الانتظار يصبح أيقونة جوهرية للتشظي، إذ يقف القارئ أمام مسافة متشابكة بين الحاضر والمستقبل الغائب، حيث تحاول الذات الانعتاق من لحظتها إلى مستقبلها، ما يولّد حالة من الحيرة والتردد والانقسام الوجداني بين زمن حارق وزمن يزيد الواقع وجعًا ونارًا، ويؤدي إلى غياب حيوية الحياة ورغبة في الهروب صوب المجهول. تقول الشاعرة مجلية هذا الشعور:

"يا انتظار/ أوقفت عمري بين مد وانحسار/ أنا لم أزل أترقب اللاشيء.../ وأتلو فوق صدر الغيب أوراد الشتات"(٢).

تعمل المفردات، مثل: "دوار"، "الحظ المعلّق"، و"أوراد الشتات" على بناء شبكة دلالية متشابكة تعكس حالة التشتت النفسي والزمني للذات، كما تصوّر البنية الزمنية النص على نحو متشظٍ بين الحاضر والمستقبل، بما يعكس الصراع الداخلي والتمزق النفسي.

ويمكن القول بعد ما سبق إنّ البنية الزمنية تمثل إحدى المظاهر الجوهرية للتشظي في هذا الديوان، إذ يتحول الزمن إلى عنصر فاعل يتحكم في التجربة الشعرية، ويؤثر في تشكيل الهوية الوجدانية للذات، ويبرز الدور المحوري للزمن في قراءة النصوص السيميائية الحديثة.

---

(١) النزاري، "الديوان"، ٥٩.

(٢) النزاري، "الديوان"، ٦١.

المبحث الرابع: التشظي في الصورة الشعرية

الصورة الشعرية من الوسائل التي تعين الشاعر على التعبير عن أفكاره ورؤاه، لإيصال تجربته الشعرية إلى المتلقي. فهي الركن الأساس في التجارب الشعرية، فلا يمكن أن يكون النص نصًّا شعريًا من دون أن تُوظّف الصورة وفق رؤية جمالية خلَّاقة؛ فـ"الصورة لا تنقل الواقع الخارجي كما هو، وإنما تشكله بفعل رؤية الشاعر له، وما يراه فيه من علاقات خاضعة لرؤيته الشعرية"(١).

والصورة الشعرية عند النقاد تختلف باختلاف بيان جهازها المفاهيمي وبرنامجها الاصطلاحي، فمنها الصورة البلاغية، والذهنية، والنفسية، والعضوية، والرمزية، والأسطورية، إلى ما هنالك من تفريعات حول الصورة وأنواعها. وإذا أردنا أخذ مفهوم مجملًا عن الصورة الشعرية فهي" عملية فنية مركبة يشحذ فيها الشاعر كل طاقاته من: ذهنية، ونفسية، وتعبيرية، ثم يستخدم هذه الطاقات في تقديم صورة فنية لمشاعره الثابتة المرتكزة حول موضوع معين، وهذه الصورة نتيجة تأمل عميق وليست نتيجة لفورة إحساس مؤقت"(٢).

والصورة الشعرية المتشظية هي الصورة التي تلامس المشاعر والوجدان وحقائق الأشياء، وتنعكس على النص الشعري بصورة "تتخطى حدود الأشياء، وتكمن في عصب النفس، محاولة القبض الشعري على حقائق الأشياء المستترة، في أعماق النفس بها"(٣).

---

(١) عالي القرشي، "الصورة الشعرية في شعر بشر بن أبي خازم الأسدي"، (ط١، بيروت– لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٦م)، ٢٤.

(٢) د. محمود الربيعي، "في نقد الشعر"، (القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٧٥م)، ٩٥.

(٣) د. رجاء العيد، "دراسة في لغة الشعر"، (ط.د، الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٩م)، ٣٢.

والمتأمل في التجربة الشعرية عند هند النزاري يرى أن الصورة المتشظية تمظهرت في المفارقة التصويرية، والصور الضدية. ففي إطار التعبير عن التشظي هناك مجموعة من "الأدوات الفنية التي تنحو منحى التفكك، ومغايرة التماسك، وتوحي بالانفصال، كتراكم الصور المتنافرة، والثنائيات المتضادة، والمفارقة، والتقطيع أو التشذير"(١).

والمفارقة في الصورة تمنح النص آفاقًا من الرؤية، واتساعًا في التعبير، وتعطي القارئ مساحة من التأويل والوقف على جماليات النص؛ فالمفارقة "قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرًا واحدًا بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيّرة"(٢).

والمفارقة في الدرس النقدي "انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع للتصرف وفق وعيه بحجم المفارقة"(٣). وتُعرف المفارقة في اقترانها مع الصورة الشعرية أنها عبارة عن" تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض"(٤)، ومن خلال هذا التناقض تبرز جماليات النص الدلالية، عبر المعنى الناشئ من هذين المستويين.

يتجلّى التشظي في ضوء المفارقة التصويرية عند هند النزاري من خلال

(١) السويلم، "التشظي في شعر بشرى البستاني- جدل الذات والعالم"، ١١٩.

(٢) دي. سي. ميويك، "موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها"، تحقيق: عبد الواحد لؤلؤة، (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م)، ١٦١.

(٣) ناصر شبانة، المفارقة في الشعر العربي الحديث، (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م)، ٤٦.

(٤) د. علي عشري زايد، "عن بناء القصيدة العربية الحديثة"، (ط٤، القاهرة: مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، ١٣٠.

بنائها للصورة الشعرية على مستويين متوازيين :المفارقة الكلية التي تحكم بنية القصيدة في مجملها، والمفارقة الجزئية التي تتبدى في الصورة الشعرية المفردة داخل السياق النصي.

فالقصيدة تتأسس على صراع دلالي بين الذات الشاعرة والذات المتخيَّلة، وتُنتج من خلال هذا التوتر شبكة من العلامات البصرية واللغوية التي تُشكّل ما يمكن تسميته بـ"المعجم السيميائي للصورة". وتعمل الشاعرة عبره على تشييد فضاء دلالي متنازع بين الانفصال والاتصال، بين الاعتراف والإنكار، وهو ما يشيع في البنية النصية كلّها بوصفه مفارقة كلية تحكم النسق الشعري العام.

أما على مستوى المفارقة الجزئية في الصورة، فتُبرز الشاعرة التناقض الدلالي داخل الوحدات التصويرية الصغرى، وذلك في قولها[1]:

"وأذكرُ أنّي تواريتُ عند انعكاسي عليكِ/ وأنكرتُ أيَّ انتماءٍ/ لتلك التي حدّقت فيَّ من مقلتيكِ/ وأنّي تلوتُ قرارًا هناك/ ينصُّ على البُعد طُول الحياة/ ويحسم أمر الرجوع إليكِ/ ولكنني الآن ألغي قراري/ أمدُّ يدي لِرأب الصّدوعِ وجمع الشظايا/ عسانا بشيء من الحب/ نرفو بقايا البقايا/ لِروح لها في النجوم انعكاسٌ/ وجسمٍ يُلمُّ حُطامَ المرايا/ وقلبٍ يراوغ بين النقيضين/ منصهرٍ في ثقوب الخطايا...".

فهنا تنشأ الصورة من تضادّ بصري ودلالي بين الاختفاء والانعكاس، والانقطاع والوصل، لتتحوّل الأيقونات (المرآة، الصدع، الشظايا، البقايا) إلى علامات سيميائية تُجسّد انقسام الذات وتفتتها، وتعبّر عن الرغبة في استعادة وحدة متخيّلة.

إنّ "رأب الصدوع" و"جمع الشظايا" لا يمثلان حركة ترميم واقعية، بل

(١) النزاري، "الديوان"، ١٠١– ١٠٢.

يشكّلان مفارقة تصويرية؛ إذ إنّ الذات التي "تحاول الجمع" هي نفسها التي تذيبها الثقوب وتحطّمها المرايا، فيتحوّل المعنى من المصالحة الظاهرية إلى انكسار باطني.

وبهذا المعنى، تُقيم هند النزاري بنية الصورة المفارِقة على التوتر بين علامتين مركزيتين: الغياب والحضور، وتنتج من خلالهما سيمياء التشظي في صور، مثل: الصدوع، الشظايا، بقايا البقايا، حطام المرايا، منصهر في الثقوب. هذه العلامات تعمل بوصفها وحدات دلالية متكررة تؤسس المفارقة الكلية للقصيدة، وتكشف عن تفتت الوعي الشعري وانقسام الذات بين قطبيها المتنازعين.

وفي مقطع آخر في القصيدة نفسها، تقول(١):

"تعبتُ أهزُّ المدى يا أنا/ ويمتدُّ رجعُ الصَّدى بيننا/ أجيبي فهذا النداء الأخيرُ/ أجيبي.... إذا كُنتِ أصلًا هُنا!".

تتجلّى المفارقة الكلية في البنية النصية من خلال الانقسام الوجودي بين ذاتين تتنازعان فضاء القصيدة الذات المتكلمة التي تمثل الحضور والصوت، والذات المخاطَبة التي تمثل الغياب والصمت. إن هذا التناوب بين الحضور والغياب يشكّل بنية سيميائية قائمة على جدلية الوجود/اللاوجود، الحياة/الموت، وهي المفارقة التي تمنح النص توتره الدلالي وتشظيه النفسي.

أما على مستوى المفارقة الجزئية في الصورة الشعرية، فإن الشاعرة تبني صورها من تقابل الأفعال والأصوات: فـ"أهزُّ المدى" صورة دينامية تومئ إلى محاولة إحداث أثر في الفراغ، بينما "يمتد رجع الصدى" صورة سكونية تستعيد الفعل في شكل صدى، لا استجابة حقيقية. هذه الثنائية تولّد صورة مفارِقة قوامها الحركة التي تُفضي إلى العدم، والفعل الذي يعود صداه بلا حياة.

وفي النداء "أجيبي... إذا كنتِ أصلًا هنا" تبلغ المفارقة ذروتها، إذ يتحول

(١) النزاري، "الديوان"، ١٠٨.

النداء من وظيفة تواصليّة إلى علامة سيميائية للغياب، فالحذف والفراغ الصوتي بين "أجيبي" و"إذا كنتِ أصلًا هنا" يُجسِّدان صورة بصرية سمعية درامية، تعبّر عن انقطاع الدلالة وتلاشي التواصل.

وتتولّد من هذا التلاشي صورة تشظي الذات، التي تتأرجح بين أن تكون وألا تكون، فتغدو معلّقة في برزخ الوجود؛ بين وعيها بالانقسام ورغبتها في الالتحام.

إنّ هذه الصور المفارِقة، بتناوبها بين الصوت والصمت، والحضور والغياب، تُكوِّن المفارقة الكلية التي تحكم القصيدة في مجملها، حيث تتحول الذات إلى كيان مزدوج يمارس الحوار مع ظله، ويستبطن عبر الصورة الشعرية سيمياء العدم والانقسام بوصفها العلامة الأبرز على التشظي الوجودي واللغوي معًا.

يتجلّى التشظي في الصورة الضديّة عند هند النزاري بوصفه مظهرًا من مظاهر البنية السيميائية القائمة على التناقض والتوتر، إذ تقوم القصيدة على متضادات دلاليّة تولّد إحساسًا بالانقسام والتيه. ففي هذا المستوى تتشكّل المفارقة الكلية من الصراع بين قوى متعاكسة: الحياة والموت، الحضور والغياب، الانبعاث والخمود، وهو ما يمنح النص طابعه التأملي الوجودي القائم على جدلية التضاد بوصفها آلية لتمثيل التشظي الداخلي للذات.

وفي قصيدة «بين مدٍّ وجزر»، تُجسّد الشاعرة هذا الانقسام من خلال صورٍ ضدية تتناوب بين الأنا والخافق، وبين الحركة والسكون، وبين الصمت والهتاف: (١)

يا لآمـالٍ رَعَـاهـا في فَـمـي ... خافقٌ رفَّ وإحســـاسٌ تَعَافَى

خـافقُ تاهــتْ بــهِ أمواجــهُ ... ثمّ ألقــتْ دفَّـةَ النبضِ جُزَافَـا

(١) النزاري، "الديوان"، ٩٧– ٩٨.

نصـفُهُ ضـدّي ونصـفي ضـدُّه والهوى يلهو عُزوفًـا وانجرافًـا
وأنا ألهـثُ في كَـينُـونـتي يعتريني التيهُ صَـمْتًا وهُتَافَا

تعبّر هذه الأسطر عن المفارقة الجزئية في الصورة، إذ يتحول القلب –رمز الحياة والدفء– إلى خصمٍ للذات، فيتوزع الكيان بين خافقٍ يتمرّد وذاتٍ تلهث في مطاردة معناها. وتُشكِّل العبارة "نصفه ضدي ونصفي ضده" صورة سيميائية مفارقة تتجسّد فيها الازدواجية الكيانية التي تنقض وحدة الذات من الداخل، فيتحول الخافق من علامة على الحياة إلى علامة على الانقسام.

أما الصورة الثانية "صمتًا وهتافًا" فتمثّل تضادًا صوتيًا ووجوديًا في آنٍ واحد، إذ يتجاور النقيضان داخل حقل واحد، فتتحول الصورة إلى بنية صوتية متوترة تُمثّل سيمياء التيه. إن اجتماع الصمت والهتاف لا يتحقق واقعيًا، لكنه يتحقق نصّيًا كعلامة تشظي تجمع بين الاستغاثة والانطفاء.

وفي قولها: "وأنا ألهث في كينونتي" تنفتح الصورة على بعدٍ دراميّ، حيث يتحوّل الفعل (ألهث) إلى رمز سيميائي للتعب الداخلي وانقطاع النفس، في مقابل استمرار الحركة الدلالية في الفعل نفسه. وبهذا تتشكّل المفارقة الكلية من توتّر داخلي يجمع بين الإرادة والانكسار، وبين الرغبة في الحياة والإحساس بالفناء، فتصبح الصورة الضدية إطارًا يعبّر عن الانقسام الوجودي للذات الشاعرة، التي تلهث في سبيل الاتساق فلا تجد سوى مزيد من التشظي والانفصال.

في هذا المقطع، تبلغ الصورة الضدية عند هند النزاري ذروتها في الجمع بين المتناقضات داخل فضاء دلالي واحد، وهو ما يمنح الصورة كثافتها السيميائية

وعمقها الفلسفي. تقول الشاعرة: (١):

"يا موت حياتي فاجئني/ واعبر بي لحياة الموت/ كم يرهقني ومض النور/ وينكأ روحي نبض الوقت/ خذني من حرب الكلمات/ وأنقذني من صوت الصوت/ أعتق أوراقي من شعر/ قد شن الحرب على قلمي/ وأبحر في فلسفة الألم/ وتركني أتشظّى تيهًا/ ما بين أغاريد وفمي".

تُؤسِّس الشاعرة هنا المفارقة الكلية على ثنائية الموت/الحياة، حيث لا يمثل الموت نقيضًا للحياة، بل يتحوّل إلى امتدادٍ لها داخل نسقٍ دلالي معكوس، فتتولد من عبارة "يا موت حياتي" علامة مركّبة تتجاوز التضاد المنطقي لتُجسّد تجاور الوجود والفناء في لحظة واحدة؛ إن هذا الانزياح في العلاقة بين الدال والمدلول يُنتج سيمياء المفارقة الوجودية التي تُظهر الذات في صراعها مع معنى الحياة ومع حدود الوعي والكتابة.

وعلى مستوى المفارقة الجزئية في الصورة الشعرية، تَظهر مجموعة من الصور التي تقوم على التوتر الداخلي:

"كم يرهقني ومض النور"، النور، بوصفه رمزًا للهداية، يتحول إلى مصدر إرهاق، فيتحوّل الضوء إلى عتمة معنوية. وقولها "ينكأ روحي نبض الوقت"، المفارقة بين الفعل الإيجابي (النبض) والدلالة السلبية (النكء)، بما يحيل إلى صورة الألم المستمرّ في حركة الزمن. وقولها "أنقذني من صوت الصوت"، صورة صوتية دائرية تُمثّل الفراغ السمعي والجدوى المفقودة، إذ يتحول الصوت إلى صداه، والقول إلى صمت مضاعف.

وتبلغ الصورة ذروتها في قولها: "وتركني أتشظّى تيهًا ما بين أغاريد وفمي"، حيث يتحوّل الفم، أداة النطق، إلى علامة انقطاع، و"الأغاريد" إلى رمز للبهجة

(١) النزاري، "الديوان"، ١٧٩– ١٨٠.

المؤجَّلة، فتنتج من تفاعلهما صورة تشظي صوتي ودلالي تكشف عن انكسار العلاقة بين القول والمعنى، بين الوجود والتعبير.

إنّ تراكم هذه الصور المفارِقة لا يعبّر عن تضادٍ لغوي فحسب، بل يشي بتفكك الوعي واهتزاز النظام المرجعي للذات الشاعرة. فـ"موت الحياة" و"حياة الموت" ليستا حالتين متقابلتين، بل علامتين متداخلتين تشتغلان في النص لتوليد سيمياء التشظي الكياني، حيث تغدو الكتابة نفسها معركة بين الفناء والخلق، بين الحرب والقلم، وبين الألم والبوح.

الخاتمة

يخرج البحث بمجموعة من النتائج بعد تتبع مظاهر التشظي في ديوان "بلقع" للشاعرة هند النِّزاري، ومن تلك النتائج:

١- اعتمد هذا البحث المنهج السيميائي التحليلي لفك شفرة الظواهر النصية والبصرية في ديوان "بلقق" للشاعرة هند النزاري. وقد ساهم هذا المنهج في إبراز التشظي لا كمجرد حالة شعورية عابرة، بل كبنية مهيمنة ومستقرة في النصوص، ترسم الخطوط الكبرى لتجربة الشعر النسوي السعودي المعاصر، وتكشف مستويات التوتر الدلالي والجدلي بين الذات والآخر.

٢- أظهرت الدراسة أن الشاعرة وظفت التشظي بأساليب جمالية متقنة، سواء في العتبات النصية، مثل: الغلاف والعنوان، أو داخل النصوص الشعرية نفسها. ويبرز العنوان كنموذج على قدرة الشاعرة في تحويل الانقسام الجدلي للذات إلى أيقونة بصرية ودلالية، مما يجعل العتبة النصية أكثر من إطار شكلي، بل أداة لإشاعة التوتر الشعوري والجدلي منذ اللحظة الأولى للقراءة.

٣- كشف التحليل أن التشظي مرتبط بجدلية الهوية الأنطولوجية، إذ يتجلى الصراع بين الذات والشخصية المتخيلة أو الآخر، ما يؤدي إلى تشتيت الهوية وانبثاق حالة مستمرة من القلق والتوتر الشعري. وهكذا يتحول التشظي إلى أداة للتعبير عن الانقسام النفسي والوجودي، وليس مجرد وسيلة سردية.

٤- أسهم التشظي في تفكيك البنية الزمنية للقصيدة، بين حاضر ممزق، وماضٍ مؤلم، ومستقبل مجهول، مع إبراز المفارقات والتناقضات في الصور

الشـــعرية. وأدى هذا التفكيك إلى إضـــفاء بعد وظيفي على الصـــورة الشعرية، إذ أصبح التشظي أداة تعبيرية ملموسة تعكس القلق الوجودي وتثري تجربة القراءة والتلقي.

٥- يؤكد البحث أن التشـــظي في ديوان "بلقع "يتجاوز كونه ظاهرة شـــعورية ليصـــبح نســـقًا جماليًا ولغويًا وبنائيًا، قادرًا على إنتاج بلاغة الانفصـــال والانشطار. هذا التوظيف الذكي للتشظي يعزز قدرة الشاعرة على تحويل القلق إلى طاقة إبداعية مولدة للمعنى، ويؤكد مكانتها كصـــوت شـــعري بارز في المشهد النسوي السعودي المعاصر.

٦- يوصي البحث بتوسيع الدراسات التحليلية للتشظي في الشعر النسوي السعودي، وإجراء مقارنات معمقة مع الشعر الذكوري، بهدف الكشف عن أوجه التشـــابه والاختلاف في توظيف هذه الظاهرة ودلالاتها الفنية والاجتماعية.

المصادر والمراجع

إسماعيل، عزوز علي، "عتبات النص في الرواية العربية– دراسة سيميولوجية سردية"، (ط.م، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م).

البازعي، سعد– الرويلي، ميجان، "دليل الناقد الأدبي"، (ط٣، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م).

بلال، عبد الرزاق، "مدخل إلى عتبات النص"، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق للنشر، ٢٠٠٠م).

د. بخولة، بن الدين، النص بين التشظي وفضاء المعنى، (*مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر*، ٢٤، (٢٠١٩م): ٢٠٧.

بلعابد، عبدالحق"عتبات– جيرار جينيت من النص إلى المناص"، (ط١، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

الثقفي، طلال، "تجليات التشظي وجمالياته في ديوان (مفردات أوشكت) لعبد الله الوشمي". *مجلة العلوم العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٧٣*، (١٤٤٥هـ).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م).

الصحناوي، هدى، "البنية السردية في الخطاب الشعري– قصيدة عذاب الحلاج للبياتي أنموذجا". *مجلة جامعة دمشق ١*، (٢٠١٣م).

حمدان، أحمد عبدالله، "دلالات الألوان في شعر نزار قباني"، (رسالة ماجستير

غير منشـــورة، جـامعـة النجـاح الوطنيـة، نابلس- فلســـطين، ٢٠/٥/٢٠٠٨م).

دليلة، مكسح، "البيئة في الشعر الجزائري المعاصر"، (ط١، الجزائر: دار ابن زيد للطباعة والنشر، ٢٠١٦م)، ٥٦.

الربيعي، محمود، "في نقد الشعر"، (ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م).

الرشـيد، عبدالله بن سـليم، "ظاهرة الصـمت في الشـعر الحديث". مجلة *العلوم الإنسانية بجامعة البحرين- كلية الآداب٢٤*، (٢٠١٤م).

زايد، علي عشري، "عن بناء القصيدة العربية الحديثة"، (ط٤، القاهرة: مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).

السويلم، نوال بنت ناصر، "التشظي في شعر بشرى البستاني- جدل الذات والعالم". *مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو بالجزائر -كلية الآداب واللغات - مخبر تحليل الخطاب ٢٤*، (٢٠١٧م).

شـبانة، ناصـر، "المفارقة في الشـعر العربي الحديث"، (ط١، بيروت: المؤسـسـة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م).

شرتح، عصام، ممدوح عدوان: مدونات الفن الشعري ومختارات شعرية، (ط.د، سوريا: دار صفحات للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)، ص١٠٩.

الصـــفراني، محمد، "التشـــكيل البصـــري في الشـــعر العربي الحديث"، (ط١، الرياض: النـادي الأدبي الثقـافي، الـدار البيضـــــاء: المركز الثقـافي العربي، ٢٠٠٨م).

عبد الجليل، حسني "الشعر الجاهلي: قضـايا وفنون نصـوص"، (ط١، القاهرة: مؤسسة المختار، ٢٠٠١م)، ٢٧٨.

عمر، أحمد مختار، "اللغة واللون"، (ط٢، القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر،

١٩٩٧م).

العيد، رجاء، "دراسة في لغة الشعر"، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٩م).

الفيفي، عبد الله، "حداثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية– قراءة نقدية في تحوّلات المشهد الإبداعي"، (ط١، الرياض: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م).

د. قادرة، غيثاء، "الثنائيات الضدية وأبعادها في نصوص المعلقات"، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها١٠، (١٣٢١هـ)، ٢٥.

القرشي، عالي، " أسئلة القصيدة الجديدة"، (ط١، الطائف: النادي الأدبي الثقافي، بيروت: دار الانتشار العربي،٢٠١٣م).

القرشي، عالي، "القصيدة الجديدة من خلال التشظي والالتئام– موقف الرمال موقف الجناس لمحمد الثبيتي". *مجلة قوافل بالنادي الأدبي بالرياض*٢١ ، (٢٠٠٧م– ١٤٢٨هـ).

القرشي، عالي، "الصورة الشعرية في شعر بشر بن أبي خازم الأسدي"، (ط١، بيروت– لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٦م).

قطوس، بسام موسى، "سيمياء العنوان"، (ط١، الأردن– عمان: مطبوعات وزارة الثقافة، ٢٠٠١م).

كلثوم، عمرو، "الديوان"، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل يعقوب، (ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م– ١٤١٦هـ).

النزاري، هند، "ديوان بلقع"، (ط١، مكة: النادي الأدبي الثقافي، بيروت: دار الانتشار العربي، ٢٠٢٠م).

المسعودي، محمد أحمد، "قراءة في التشظي– جدل الذات والعالم". *مجلة فكر*

ونقد بالمغرب ٤٩–٥٠، (ط–م).

ميويك، دي. سي، "موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها"، تحقيق: عبد الواحد لؤلؤة، (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م).

وهبة، مجدي– المهندس، كامل، "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب"، (ط٢، لبنان– بيروت: مكتبة لبنان ١٩٨٤م)، ١٠٢

يعقوب، ناصر حسن، "أشكال التعبير عن دلالات التشظي والغياب في شعر محمود درويش". *مجلة جامعة دمشق*١–٢، (٢٠١٣م).

Bibliography

Ismail, Azzouz Ali. "The Thresholds of the Text in the Arabic Novel: A Semiological Narrative Study", (in Arabic). (Cairo: The Egyptian General Book Authority, 2013).

Al-Bazai, Saad & Al-Ruwaili, Mejan. The Literary Critic's Guide (in Arabic). (3rd ed., Morocco: Arab Cultural Center, 2002).

Bilal, Abdulrazzaq. "An Introduction to the Thresholds of the Text", (in Arabic). (Casablanca: Africa East Publishing, 2000).

Bakhoula, Ben Eddine. "The Text Between Fragmentation and the Space of Meaning", (in Arabic). *Journal of the Faculty of Arts and Languages*, University of Mohamed Khider – Biskra 24 (2019): 207.

Belabed, Abdelhaq. "Thresholds: Gérard Genette from Text to Paratext", (in Arabic). (1st ed., Algeria: Arab Scientific Publishers, 2008 / 1429H).

Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram al-Masri. "Lisan al-Arab". (3rd ed., Beirut: Dar Sader, 1993 / 1414H).

Al-Thaqafi, Talal. "The Manifestations and Aesthetics of Fragmentation in the Poetry Collection "Mufradat Awshakat" by Abdullah Al-Washmi". *Journal of Arabic Sciences*, Imam Muhammad bin Saud Islamic University 73 (1445H).

Al-Jawhari, Ismail ibn Hammad. "Al-Sihah: Tāj al-Lugha wa Sihah al-Arabiya". Investigated by Ahmad Abdul Ghafoor Attar. (4th ed., Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalayin, 1987 / 1407H).

Al-Sahnawi, Huda. "The Narrative Structure in Poetic Discourse: The Poem "The Torment of Al-Hallaj" by Al-Bayati as a Model". *University of Damascus Journal*, 1 (2013).

Hamdan, Ahmad Abdullah. "The Symbolism of Colors in Nizar Qabbani's Poetry", (in Arabic). (Unpublished Master's Thesis, An-Najah National University, Nablus – Palestine, May 20, 2008).

Dalila, Maksah. "The Environment in Contemporary Algerian Poetry", (in Arabic). (1st ed., Algeria: Ibn Zaid Printing & Publishing House, 2016), 56.

Al-Rubaie, Mahmoud. "On the Criticism of Poetry", (in Arabic). (1st ed., Cairo: Dar Al-Maaref, 1975).

Al-Rasheed, Abdullah bin Saleem. "The Phenomenon of Silence in Modern Poetry", (in Arabic). *Journal of Humanities*, University of Bahrain, College of Arts 24 (2014).

Zayed, Ali Ashri. "On the Construction of the Modern Arabic Poem", (in Arabic). (4th ed., Cairo: Ibn Sina Library for Printing and Publishing, 2002 / 1423H).

Al-Suwailim, Nawal bint Nassir. "Fragmentation in the Poetry of Bushra Al-Bustani: The Dialectic of the Self and the World". *Discourse Journal*, University of Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou – Faculty of Arts and Languages, Discourse Analysis Laboratory 24 (2017).

Shabana, Nassir. "Irony in Modern Arabic Poetry", (in Arabic). (1st ed., Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing, 2002).

Shurrah, Issam. "Mamdouh Adwan: Records of Poetic Art and Selected Poems", (in Arabic). (Damascus: Safahat Publishing House, 2014), 109.

Al-Sufrani, Muhammad. "Visual Formation in Modern Arabic Poetry", (in Arabic). (1st ed., Riyadh: The Literary and Cultural Club; Casablanca: The Arab Cultural Center, 2008).

Abdel Jalil, Husni. "Pre-Islamic Poetry: Issues, Arts, and Texts", (in Arabic). (1st ed., Cairo: Al-Mukhtar Foundation, 2001), 278.

Omar, Ahmed Mukhtar. "Language and Color", (in Arabic). (2nd ed., Cairo: Alam Al-Kutub for Printing and Publishing, 1997).

Al-Eid, Raja. "A Study in the Language of Poetry", (in Arabic). (Alexandria: Manshat Al-Maaref, 1979).

Al-Faifi, Abdullah. "The Modernity of the Poetic Text in the Kingdom of Saudi Arabia: A Critical Reading in the Transformations of the Creative Scene", (in Arabic). (1st ed., Riyadh: Literary and Cultural Club, 2005 / 1426H).

Qadira, Ghaitha. "Binary Oppositions and Their Dimensions in the Texts of the Mu‘allaqat. Studies in Arabic Language and Literature", (in Arabic). 10 (1321 AH): 25.

Al-Qurashi, Ali. "Questions of the New Poem", (in Arabic). (1st ed., Taif: Literary and Cultural Club; Beirut: Arab Diffusion Publishers, 2013).

Al-Qurashi, Ali. "The New Poem Through Fragmentation and

Unity: “The Stance of the Sands, the Stance of the Paronomasia” by Muhammad Al-Thubaiti", (in Arabic). *Qawafil Journal*, Riyadh Literary Club 21 (2007 / 1428H).

Al-Qurashi, Ali. "The Poetic Image in the Poetry of Bishr ibn Abi Khazm al-Asadi", (in Arabic). (1st ed., Beirut: Arab Diffusion Foundation, 2016).

Qattous, Bassam Mousa. "The Semiotics of the Title", (in Arabic). (1st ed., Amman, Jordan: Ministry of Culture Publications, 2001).

Kulthum, Amr. "al-Diwān". Investigated and annotated by Emile Yaacoub. (2nd ed., Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1996 / 1416H).

Al-Nazzari, Hind. "Diwān Balqa‘". (1st ed., Mecca: Literary and Cultural Club; Beirut: Arab Diffusion Publishers, 2020).

Al-Mas‘oudi, Muhammad Ahmad. "A Reading in Fragmentation: The Dialectic of Self and World", (in Arabic). *Fikr wa Naqd Journal* (Morocco) 49–50.

Muewick, D. C. "Encyclopedia of Critical Terms: Irony and Its Attributes. Translated by Abdulwahid Louloua", (in Arabic). (1st ed., Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing, 1993).

Wahba, Magdi & Al-Muhandis, Kamel. "Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature", (in Arabic). (2nd ed., Beirut: Lebanon Library, 1984), 102.

Yaqoub, Nassir Hassan. "Forms of Expressing Fragmentation and Absence in Mahmoud Darwish’s Poetry", (in Arabic). University of Damascus Journal 1–2 (2013).

الاستفهام في ديوان "بين الزحام" لعلي رديش
دراسة تداولية

Interrogation in the Poetry Collection "Bayna al-Ziham" by Poet Ali Raddish
A Pragmatic Study

د. حافظ بن محمد عريشي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

البريد الالكتروني: h.alareshi87@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
03/09/2025		06/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-009		

المستخلص

يأتي هذا البحث في إطار الاهتمام بالسياقات اللغوية من خلال استنطاق ظاهرة الاستفهام في ديوان "بين الزحام" للشاعر: علي رديش دغريري تداولياً. حيث وظف الشاعر الاستفهام لمعانٍ مختلفة في سياقات متعددة، وهو ما أثار البحث عن المعاني خارج الألفاظ في تلكم السياقات. ويأتي المنهج التداولي لبيان تنوع المعاني التي جاءت بأسلوب الاستفهام، فقد حضر بدلالة الذاتية، والتأثيرية، وأخرى حجاجية، وحوارية – أيضاً – مما استدعى النظر إلى هذه الدلالات تداولياً وفق مباحث الإشاريات، وأفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والحجاج. وقد نتج عن هذه الدراسة عدة نتائج منها: كون الاستفهام في الديوان لازماً أسلوباً بما يمكن القول معه إنه الأقرب للشاعر، والأجدر للتعبير عن معانيه، اتجه الاستفهام لغير دلالته الحقيقية إذا تبنى الشاعر المعنى الناتج عن جواب الاستفهام، أشار التعبير المكثف في الديوان للاستفهام عن الكفاءة التعبيرية التي وجدها الشاعر فيه.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الاستفهام، الإشاريات، أفعال الكلام، الحجاج.

Abstract

This study falls within the broader interest in linguistic contexts through a pragmatic examination of the phenomenon of interrogation in the poetry collection "Baina al-Zihām" by the poet Ali Radish Daghreeri. The poet employed interrogatives for various meanings across multiple contexts, which prompted an exploration of meanings that extend beyond the mere words within those contexts. The pragmatic approach demonstrates the diversity of meanings presented by the interrogative style. It was present with subjective, affective, argumentative, and dialogical connotations, which necessitated examining these connotations pragmatically according to the topics of deictics, speech acts, dialogical implication, and argumentation. This study attained several findings, among which is that interrogation in the collection functions as a consistent stylistic feature—one that may be considered closest to the poet's voice and most capable of expressing his meanings. The interrogative often departs from its literal function when the poet adopts the implied meaning in the response to the question. The dense use of interrogatives throughout the collection further indicates the expressive efficiency the poet found in this device.

Keywords: pragmatics, interrogation, deictics, speech acts, argumentation.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تتنوع الدلالات بتعدد المعاني بما لا ينحصر عند حدود الألفاظ، حيث تشكل السياقات إحدى مكونات المعنى، ويمثل الاستفهام واحداً من أهم التعابير اللغوية التي لا تحمل دلالتها الأصلية فحسب، وإنما تحيل إلى معان متعددة حسب سياقها ومقاصد المتكلمين، لذا جاءت هذه الدراسة للبحث عن المعاني خارج دلالات الألفاظ.

تحضر أهمية هذه الدراسة في الاهتمام بدراسة الأدباء المغمورين، ومحاولة إبراز أعمالهم الأدبية إلى ميادين الدراسات النقدية، وإظهار محاولاتهم الأدبية بالكشف عن خصوصية تجاربهم الشعرية، ويتمثل ذلك في الاهتمام بدراسة السياق الذي يعد أحد أهم مؤثرات المعنى بالبحث عنه خارج دلالة اللفظ، وانحصرت في الاستفهام في ديوان "بين الزحام" لحضوره البارز، مما أثار تساؤلات البحث، وهو ما أثرى هذه الدراسة لبيان أهميته في تعدد المعاني وتنوعها.

إن الكشف عن شعر أحد الشعراء السعوديين المغمورين هو أحد أهداف الدراسة، ثم ينحصر داخله الهدف الثاني في بيان أشكال التعابير اللغوية المتمثلة في الاستفهام، وأثرها في التعبير عن المعاني المختلفة، فقد زخر الديوان بتوظيف الاستفهام حيث تجاوز وروده (١٠٣) موضعاً، وهذا الكم يكشف خصوصيته الأسلوبية والمعنوية، فقد شكل أسلوباً لغويًا بارزًا في الديوان، بما يؤكد اتكاء الشاعر عليه في التعبير عن معانيه، مما يجعل الإبانة عن أشكال ذلك التوظيف هدفاً وسببًا مباشرًا للدراسة.

اتخذت الدراسة التداولية منهجاً بحثياً للإجابة عن تساؤلات البحث، حيث كان السؤال الأبرز عن سبب بروز الاستفهام في الديوان، وماهي الدلالات التي يمكن أن

يحملها، وللإجابة عنها فإن التداولية هي المنهج الأجدر بذلك، إذ تهتم بدلالات السياق وتعدد المعاني، فيمكن للمتلفظ وفقاً لها أن يعبر عن أي معنى بأي لفظ [١]، وعليه ستتيح التداولية الكشف عن كل معنى عبر عنه الشاعر من خلال الاستفهام، وهو ما اقتضته طبيعة البحث.

يعد الشاعر علي رديش دغريري أحد الشعراء المغمورين الذين لم يأخذوا نصيبهم من الدراسات التي تكشف عن إبداعهم، لذا لم يعثر الباحث على مزيد من الدراسات في أدب الشاعر، وكل ما عثر عليه دراستان، إحداهما بعنوان: شعر علي رديش دغريري دراسة أسلوبية، للباحثة: صالحة بنت علي صهلولي، من منشورات نادي جازان الأدبي عام١٤٤٤هـ، واهتمت بدراسة الأسلوب اللغوي في نتاج الشاعر فعرضت للانزياح اللغوي، والحقول الدلالية، والتناص، والرمز، كما تعرضت للبنية الإيقاعية متمثلة في الوزن والقافية، والإيقاع الداخلي، والتلاؤم الصوتي، ولم تتطرق للمعنى، أو ما يتصل بدلالات الألفاظ، فضلاً عن المعنى المعبر عنه بالاستفهام، وهو ما تبحث عنه هذه الدراسة.

أما الدراسة الثانية فكانت بعنوان: التوازي في ديوان "بين الزحام" للشاعر علي رديش دغريري، المجلة العلمية بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد٤٤، الإصدار٣، عام ١٤٤٧هـ، وهي دراسة انصبت على ظاهرة التوازي وأثرها الجمالي والمعنوي، وقد أبانت عن خصائص هذه الظاهرة، وأشكال استخدامها بإظهار العلاقة بين الظاهرة والمعنى، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي، وبهذا تختلف عن هذه الدراسة، فالسؤال البحثي الذي انطلق منه لا يتقاطع مع أي جزء منها، حيث اقتضى أهدافًا مختلفة، ومنهجًا مغايرًا، وهو ما أظهر نتائج مختلفة في الدراستين.

اقتضت أهداف الدراسة أن تشمل خطة البحث: مقدمة، وتمهيداً يحتوي نبذة

(١) أحمد الودرني، نظرية المعنى (ط١، تونس، مركز النشر الجامعي ٢٠٠٧م) ص ٨١.

عن الشاعر، وأخرى عن التداولية، وأربعة مباحث هي:

المبحث الأول: المعنى الإشاري في الاستفهام.

المبحث الثاني: المعنى الإنجازي في الاستفهام

المبحث الثالث: الاستلزام الحواري في الاستفهام.

المبحث الرابع: المعنى الحجاجي في الاستفهام.

الخاتمة: عرض النتائج.

التمهيد:

أولاً: الشاعر: على رديش دغريري

ولد الشاعر علي رديش دغريري في قرية الدغارير بمحافظة صامطة عام ١٣٨٠هـ، تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط في مدرستي أحد المسارحة وحاكمة الدغارير، ثم الثانوية بالمعهد العلمي في محافظة صامطة عام ١٤٠٠هـ، منهياً مرحلة تعليمه بالحصول على درجة البكالوريوس في تخصص اللغة العربية وآدابها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع أبها عام ١٤٠٤هـ.

عمل معلماً للغة العربية بوزارة التعليم، وأُوفد للتدريس في نيجيريا لمدة أربع سنوات، نشر أعماله في عدد من الصحف والمجلات، وشارك في أمسيات شعرية متعددة، كما عمل عضواً في نادي جازان الأدبي، ونادي أبها الأدبي، وتوج نشاطه الأدبي بإصدار ديوانين شعريين، الأول: ديوان "بين الزحام"، الذي صدر عن النادي الأدبي في جازان عام ١٤٣٠هـ، وقد حوى خمساً وعشرين قصيدة، ثم ديوانه: أمس. وصدر عن نادي جازان الأدبي – أيضاً – عام ١٤٣٨هـ، واشتمل على تسع عشرة قصيدة.

خاض الشاعر علي رديش دغريري تجربة متأنية في كتابة الشعر، ويرجع ذلك إلى ولعه بالشعر والكلمة الشعرية، فقد عاش بداياته متتبعاً ومتذوقاً للشعر دون أن ينظم قصيدة واحدة حتى جاوز سن الثلاثين، حيث كتب أول قصيدة له في العام ١٤١٢هـ، وهي إشارة إلى أنه أدرك أهمية الكتابة الشعرية منذ بداياته، وأنه ينبغي ألا يكتب إلا ما هو جدير بالكتابة، ويفسر هذا قلة نتاجه الأدبي – رغم تفوقه – فلم يصدر له سوى ديوانيين فقط.

تميز شعر علي رديش دغريري بتجربة خاصة، فالمتتبع لشعره في ديوانيه يجده كتب الشعر بتجربتين مختلفتين، فديوان "بين الزحام" انطلق من النظرة التقليدية في البناء الشعري، وهو التجربة الأولى للشاعر، ويلحظ فيه القارئ اللغة الأدبية المستوحاة من

البنية التقليدية للشعر، فهو زاخر بلغة شاعرية زاوجت بين وضوح اللفظة وعمق المعنى، وذلك ما يمكن إدراكه جلياً في قصائد الديوان جميعها، فقد اختفت من اللغة الشعرية أساليب الرمز، والتناص، مع ظهور الأسلوب الحواري في عدد من القصائد، وهو ما يؤكد التأثير التقليدي في هذه التجربة الشعرية.

أما ديوانه (أمس) فقد كشف عن تجربة شعرية مختلفة، حيث أبانت قصائد الديوان عن الاتجاه الحديث في كتابة القصيدة، فظهرت فيه متأثرة بالتناص، والرمز، والمفارقة، وهذا الاختلاف في نهج القصيدة عند علي رديش يكشف عن شاعريته المتطورة بين أشكال الكتابة، كما يؤكد ولعه بالتجديد، وإغناء التجربة الشعرية، ويدل على تعلقه بالشعر، فلم يكن شعره خواطر تراوده فحسب، بل هو لغة عالية تغنيها التجربة ويلهمها الخيال، وعلى ذلك جاء شعره كاشفاً لتجربة خاصة تستحق الدراسة[1].

ثانياً: النظرية التداولية

قدم جون أوستن محاضرة بجامعة هارفارد عن مفهوم "أفعال الكلام" في عام ١٩٥٥م، وفرق بين ثلاثة أنواع من الأفعال: العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول، ثم قام بعد ذلك جون سيرل وبول جرايس على تطوير هذه الأنواع، مما ساهم في تأسيس التداولية كحقل دراسي مستقل يهتم بكيفية توصيل المعاني وفهمها في التواصل اللغوي.

تبحث التداولية عن كيفية تمثيل الكلمات للأشياء. وما الفرق بين دالة من

(١) لم تتوفر ترجمات كافية للشاعر، وكانت هذه النبذة نقلاً عن دراسة بعنوان: شعر علي رديش دغريري (دراسة أسلوبية)، صالحة صهلولي، (ط١، السعودية، مطبوعات نادي جازان الأدبي١٤٤٤هـ) ومن النبذة التعريفية في مقدمة الديوان.

الكلمات وأخرى غير دالة؟ وماذا يعني أن يكون شيء ما صادقاً أو كاذباً؟[١]، حيث يظهر اهتمامها في البحث عن المعنى غير المشار إليه باللفظ، فهي نظرية تدرس اللغة في مقام التواصل، وتهتم بدراسة سياق إنتاج الخطاب، والظروف المصاحبة له.

تدرس التداولية استخدام اللغة في السياقات المختلفة لفهم المعاني المقصودة بين المتكلمين، وهذا ما استلزم الاهتمام بعوامل إنتاج المعنى بالنظر في علاقات النص الواقعة في العلاقة بين النص ومنتجه من جهة، وبين النص ومتلقيه من جهة أخرى، مع مراعاة العناصر المقامية المؤثرة في هذه العلاقات، فكانت أعمال أوستين (أفعال الكلام) هي المهاد الأول لنشأة التداولية، إذ يمكن من خلالها التأثير في القيام بعمل ما لا بالتلفظ به وإنما باستلزامه منه.

تشير أفعال الكلام إلى الصيغ الإنشائية ذات القوى الفعلية، فعلى اقتراح أوستين يمكن التفريق بين ثلاثة أعمال لغوية متعقلة بها هي: العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول، فقول" أعدك بالمجيء" يخبر المتكلم السامع بالمجيء، أما القيام بفعل المجيء فهو عمل متضمن في الوعد، أما التأكيد الحاصل في الوعد من طمأنة المخاطب فهو من قبيل التأثير بالقول[٢]، وهو معنى غير متلفظ به، غير أنه مقصود في المقام الأول من التلفظ بالوعد، بخلاف الجمل الوصيفة التي تبدو متجردة من قوتها التأثيرية.

تهتم التداولية بالمعنى المقصود لا المتلفظ به، وهي المقاصد الخفية للمتكلم التي يجب على السامع إدراكها، في حين أن على المتلفظ مراعاة ظروف المتلقي والتعاون

(١) انظر: أوستين، نظرية الأفعال الكلامية (كيف ننجز الأشياء بالكلام) ترجمة: عبدالقادر قنيني، (د/ط المغرب، دار إفريقيا الشرق١٩٩١م) ص١٨.

(٢) انظر: جيوفري ليتش، مبادئ التداولية ترجمة: عبدالقادر قنيني (ط١، المغرب، دار إفريقيا الشرق، ٢٠١٣م) ص٢٦٠

معه وفقاً لظروف السياق؛ للتوصل إلى المعنى المقصود، ويمكن القول تأسيساً: إن المعنى يولد لحظة التلفظ بحسب التصور التداولي، ولا تنتجه الألفاظ بشكل محدد، وعليه فإن أي لفظ يمكن أن يحيل على أي دلالة شريطة حضور عنصر القصدية(١).

إن التصور الذي تتبناه التداولية في البحث عن المعنى ينصب إلى القصدية لا الدلالة، وفي سبيل هذا الهدف يقع الاهتمام على التلفظ لا على اللفظ ذاته، وهو ما يقع السياق ومقاماته لتأويله وصولاً للمعنى، ومن هذا التصور تفرعت دراسات التداولية سائرة نحو القصد وما يمكن إحداثه في المتلقي بما يريده المتكلم لا بما تشير إليه الألفاظ، فاقتضى ذلك عديداً من المباحث والمبادئ التي تندرج تحت التأثير على قصدية المتكلم، كالاستلزام الحواري، والملاءمة، والحجاج، والإشاريات، فمن شأن تلك أن تُعين على التعرف على القصد دون حصره في اللفظ.

(١) انظر: الودرني، نظرية المعنى، ص٨١.

المبحث الأول: المعنى الإشاري[١] في الاستفهام

ترتبط الإشاريات بالسياق ارتباطاً مباشراً، فليس بمقدرتها منفردة الإحالة إلى معنى محدد، ولا يمكن تحديد إحالاتها إلا بسياق يعيّن مدلولها، لذا فإن إحالتها للمعنى إحالة غير تلازمية، وإنما هي مقامية[٢]، وهي تخالف بذلك الدوال اللغوية الأخرى التي تحيل إلى مدلولاتها المجردة، كما في لفظ (شجرة) في إحالتها على ذات النبات المعروف.

يخرج أسلوب الاستفهام كثيراً عن دلالته الأصلية، وتأتي الدلالة الإشارية واحدة من أهم الدلالات التي يفيدها الاستفهام، فيحيل المعنى إلى ذات معينة، أو زمان محدد، أو مكان معلوم؛ لأنه يرتبط حينها بالسياق وبمقاصد المتلفظ أكثر من ارتباطه بالألفاظ، وهو ما يجعل التفسير التداولي ناجعاً في الوصول إلى المعنى.

حضر أسلوب الاستفهام مكثفاً في ديوان "بين الزحام" لافتاً النظر إلى اتكاء الشاعر عليه إلى الحد الذي يمكن القول معه إنه الأسلوب الأبرز في التعبير عن المعاني المتعددة، ويؤكد هذا خروج دلالته عن المعنى الأصلي له، فلا يمكن حضوره إلى ذلك الحد بدلالة الاستفهام فقط، ويأتي هنا السياق لتحديد دلالته بمعونة المبادئ التداولية.

تعد الإشاريات إحدى المبادئ التداولية التي تشير إلى ملفوظ ذاتي غير منفصل عن التلفظ وسياقه[٣]، وعلى أنها لا تؤدى معنى في ذاتها فهي في الوقت ذاته لا يمكن أن يخلو منها خطاب ما، فهي تحدد علاقة النص بمنتجه، وبالتلفظ، وزمانه، ومكانه،

(١) يطلق مفهوم الإشاريات على التعبيرات اللغوية التي تتوخى التعيين المتعلق بالأشخاص والأماكن والأزمنة بناء على سياق الكلام، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: شخصية، ومكانية، وزمانية. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها (ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة ٢٠١٦م) ص٧٨

(٢) انظر: بندر السلمي، "الإشارات الأنواع والمفهوم، والوظائف". *حولية كلية اللغة العربية بجرجا* (م٢٢)، ع١٣، (٢٠٢١م) (١٣٦٧٥- ١٣٧٠٧).

(٣) انظر: ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص٧٦.

وهذا ما يسعى البحث هنا إلى الإبانة عنه في أسلوب الاستفهام في الديوان.

ارتبط الاستفهام في ديوان "بين الزحام" بدلالة الإشارية في مواطن مختلفة بين شخصية، وزمانية، ومكانية، وهو ما يظهر في الشواهد الآتية حيث يقول:

أنا ما سواكِ؟

مشاعري اقتحمت مدائنها سواك

إذا كنت من زمنٍ

أُحيط القلب أسواراً سماك

حتى انتهكت حماه، وخلواته

فلذّ الانتهاك

أتراك كيف؟(١)

جاء الاستفهام في بداية هذا الشاهد، وهو ما يضع القارئ بين احتمال دلالته حقيقة، وبين غرض آخر، إلا إن البيت الثاني نفى الدلالة الحقيقية حيث كشف الشاعر عن مشاعره التي بدأها بالسؤال، مؤكداً بذلك أنه يريد تقرير معنى آخر، موجهاً البحث إلى صيغته ومعناه.

يحمل الاستفهام الأول أسلوبين إشاريين الأول: الضمير (أنا)، والثاني: كاف المخاطبة، حيث يشير إلى ذات متلفظة، وأخرى مخاطبة، جاعلاً منهما قضية خاصة، وبهذا ينحو السؤال منحى إشارياً تحضر فيه الذاتان الآنفتان حضوراً منفرداً متلبسة بدلالات متفردة لا يبحث عنها الاستفهام بدلالته الحقيقية، لذا فإن الملفوظ الإشاري المتعلق بالشخصية ربط معنى الاستفهام بتلك الذاوات المشار إليها دون أي موضوع آخر.

انطلق الشاعر من ذاته متجهاً إلى المخاطب في الكشف عن حقيقة خاصة

(١) علي رديش دغريري، بين الزحام (ط١، السعودية نادي جازان الأدبي، ١٤٤٠هـ)، ص٢٣.

لا يعرفها غيره، وهذا ما ينفي حقيقة الاستفهام إذ لا يمكن أن يسأل عن شيء لا يعرفه أحد سواه، لذا فإن الموضوع الذي يحمله هذا الاستفهام هو ذاتي ويحيل إلى معنى خاص.

يشير ضمير المتكلم إلى خطابه الخاص، ويرتبط مع ضمير المخاطب في حمل المعنى من الاستفهام إلى المعنى الإشاري الشخصي، وينتقل بذلك المقصد إلى ذات المتلفظ وذات المخاطب لبيان العلاقة بينهما التي تتمثل في سيطرة مشاعر عشق المخاطب على المتلفظ، وهي مشاعر سلبية عبر عنها بألفاظ الاقتحام، والانتهاك، والإحاطة، وكلها تدل على التسلط والسيطرة، وهي بذلك غير متوافقة مع أفق توقع القارئ للسؤال، وهو ما يحمل المعنى الإشاري فيه الذي يؤكد حضور الذات المتلفظة أكثر من حقيقة التساؤل.

يختم الشاعر المقطع بسؤال إشاري شخصي يتوجه فيه للمخاطب مؤكداً به المعنى الإشاري في الاستفهام، وجاعلاً الذات المخاطبة قوة فوقية، وواضعاً ذاته المتلفظة في منطقة تحتية لا تملك إرادتها في مواجهة القوة الفوقية، وحيث جاء هذا الاستفهام بعد تقرير هذه المعاني مسبقاً، فإنه يُخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معناه التعجبي، وهو تعجب من ذات مشار إليها في السؤال، ومن هنا فإن المعنى الإشاري هو المحتوى القضوي في هذا السؤال أكثر من الاستفهام.

أثار ضمير المخاطب (الكاف) انتباه القارئ إلى وجود المعنى خارج النص، فإيقاع الضمير أدى إلى توجهه للبحث عنه، وهو ما يمكن القول معه بأن الإيقاع تضافر مع السياق في التأكيد على أن الاستفهام قد خرج عن حقيقته إلى الذات التي احتضنت المعنى، وهي الكفيلة بالإجابة عنه.

تعددت الإشاريات في الديوان بشكل بارز فإن كان الحديث عن الإشاريات

الشخصية[1] فإن الإشاريات الزمانية هي إحدى المعاني الحاضرة في الاستفهام التي شكل فيها زمن التلفظ محتوى قضويًا ذا أهمية بارزة في بناء المعنى، وهو ما يفصح عنه قول الشاعر:

أماه أين الذي

واعدتِنِيه ضحى

يوم؟ وذات صفاء بيننا جمعا.[2]

يشير هذا المقطع إلى تفجع الشاعر على أمه التي أخذها الموت منه، حيث يشير إلى عدم استعداده لهذا الرحيل، ويأتي الاستفهام الإنكاري لبيان ذلك، وأن هذا الرحيل ليس هو الشيء المنتظر، وإنما كان يأمل بقاءها معه، وهو الشيء الذي منته به في أحاديثها معه.

تنتفي حقيقة الاستفهام بانتفاء الإجابة من جانبين: أنه موجه لأمه المتوفية، وأنه يبحث عن معلوم، فما ما واعدته به أمه يعرفه أكثر من غيره، وهذا السياق وجه السؤال وجهة معنوية أخرى، وهذه الوجهة ناتجة عن قضية تلفظية تحيل القارئ إلى معنى تلفظي.

يحمل الاستفهام ملفوظات زمنية تحيل إلى زمن الوعد المستفهم عنه، وترتبط بزمن التلفظ الذي يضع المعنى في سياق زمني محدد، إذ ينقل القارئ من زمن النص إلى زمن سابق فيضعه بين زمنين: زمن السؤال، وزمن المسؤول عنه، وهو ما يكشف له تراتبية الأحداث التي يبني عليها المعنى الذي يقرره الاستفهام.

يقرر الشاعر في لحظة التلفظ أن المعنى الذي يبحث عنه في زمن سابق هو ضحى اليوم الذي واعدته فيه أمه، وهنا تأتي الإشارية الزمنية التي تضع السؤال في سياقه الزمني،

(١) حصر الباحث أحد عشر موطناً في الإشاريات الشخصية، ولضيق المقام اكتفى بنماذج محددة لبيان ذلك.

(٢) دغريري، بين الزحام، ص٧٧

فلم يكن يبحث عن ماهية الوعد، وإنما يتذكر زمنه، لذا فهو يحدده بوقت معين في اليوم وهو الضحى، وهو الوقت الذي تكون فيه النفس أكثر ارتياحاً، وأوسع انشراحاً، وأحاديثه أشد وضوحاً، وأصفى نقاءً، لذا فإن تحديد زمنية الوعد هي تجلية للمعنى من ناحية زمنية.

أسهم اللفظ الإشاري الزمني في بناء المعنى في هذا الاستفهام، فما أراد الشاعر قوله لم يكن ليتحقق بعيداً عن الإشارة الزمنية وتحديد وقتها، فالوعد الذي آلمه تذكره في لحظة التلفظ لن يحقق قيمته المعنوية إذا لم يرتبط بزمن ووقت وقوعه، فقد أضفت تلك الزمنية على المعنى ثيمة الحزن، كما أحاطته بحنان عاطفي لما يقع في مثل أحاديث ذلك الوقت، لذا فإنه يمكن القول بأن حمولة الزمن في هذا الاستفهام هي الأبرز في بناء المعنى.

وفي الجانب الآخر فإن البنية اللغوية المتمثلة في النداء، والإحالة بالضمير على الوعد تسهم في تحقيق معنى الإنكار في الاستفهام، وهو المعنى الذي خرج منه عن حقيقته، فإن كان استفهامًا غير حقيقيّ فإن النداء قد هيأ ذلك بأنه لم يرد به حقيقة النداء، وكذلك الإحالة التي تبدو إحالة للقريب الذي يحال وروده سياقيًا، وهكذا تآزرت البنية اللغوية مع السياقية في تحديد المعنى التداولي للاستفهام.

أبانت الإشاريات الزمنية عن محتوى تلفظي حامل لقيمة دلالية مؤثرة في معنى الاستفهام، وهي إحدى أنواعها الثلاث، حيث تأتي الإشاريات المكانية بتأثيرها على دلالات الاستفهام، فتحضر القيمة المكانية في بنيته اللفظية، نافية بذلك دلالاته الأصلية، ومؤكدة على أهمية المنحى التلفظي والسياقي في بناء المعنى، وهو ما نجده في النص الآتي:

وماذا هناك تحدق في الشمس

نحو الفضاء البعيد؟

لعل ترى من وراء الغيوب
هنالك ما لا نرى؟(١)

حضر المكان في هذه القصيدة منذ بدايتها، فقد كان موضوعها الأول، حيث يتشكل النص حوارياً لتحديد المكان الذي تنتسب إليه إحدى الشخصيات المتحاورة، وهذا البحث اتسم بالكشف عن علاقات المكان بتلك الشخصية حيث يحمل الحوار دلالات تجذر المكان في صفاتها وأفعالها، ومن هنا فإن المكان هو المعنى الذي يشكل النص.

يبحث الاستفهام منذ مطلع القصيدة عن المكان، ويحاول توجيه النص إلى الإبانة عن القيمة المكانية بإضفاء علامات تحديد المكان، فاستهل الشاعر النص باستفهام كاشف عن مراده في تحديد المكان، وهو استفهام يشير إلى معناه الأصلي حيث يكشف السياق عن استيضاح الشاعر لحقيقة المكان الذي يحدد هوية محاوره في النص، لكنه ليس الأمر الوحيد الذي يبحث عنه، فلمعرفة المكان تداعيات أخرى.

ارتبطت دلالة الاستفهام الحقيقية بأخرى يبحث عنها النص، ففي اللحظة التي يريد الشاعر معرفة مكان الشخصية التي يحاورها يحاول إظهار الأثر المعنوي الذي تركه فيها، فللمكان هنا أهمية يجب أن يكشفها النص؛ ليتعرف على جانب من خصائص الشخصية.

جاء الاستفهام السابق بعد عدة استفهامات أفادت معناها الحقيقي إضافة إلى إشاراتها للبحث عما خلف إجاباتها، لذا فإن النص أجاب عن جميع الإجابات المحتملة التي يتوقعها، وهنا يتأكد البحث علاقات المكان بالمعاني التي يقدمها النص، وهي الإشارات المعنوية التي وجدها الشاعر في الشخصية التي يحاورها.

كونت الإشاريات المكانية دلالات هذا الاستفهام رابطة لحظة التلفظ التي يسائل

(١) دغريري، بين الزحام، ص٥٧.

فيها الشاعر تلك الشخصية بمكان آخر، منطلقاً من مكان التقاء الشخصيتين إلى مكان انطلاق الشخصية المحاورة في النص، ليعيدها إلى المكان الذي بدا ظاهر التأثير فيها، وليتعرف على ملامحه في الفضاء المحيط بها حيث تحدق فيه ناظرة إلى صورة تشابه صورة المكان الذي أتت منه.

عملت الإشاريات المكانية على تكثيف الأثر المعنوي للمكان في الاستفهام داخل النص، وهو أثر نشأ منذ اللحظة الأولى لولادة النص، وامتد إلى التأثير في أساليبه التعبيرية، ففي الشاهد السابق يربط الاستفهام مكان التلفظ بمكان سبق ذكره في النص، ليؤكد على علاقته بدلالته السياقية، فالسؤال عن التحديق البعيد، وعن حقيقية الرؤية هو بحث عن المكان، وعن الأثر الذي يريد أن يحصل عليه، وليس سؤالاً عن الرؤية المدركة واقعياً.

تحققت أهمية المكان في هذا الاستفهام عن طريق الإشارات المكانية، محولة بذلك دلالته من المعنى الأصلي إلى المعنى السياقي، حيث أسهمت أسماء الإشارة المكانية في تعزيز المعنى السياقي، فإحالتها المكانية إلى مشار خارج التلفظ فرضت المكان على الاستفهام بما أحال معناه الأصلي إلى معناه السياقي، فربطت المعنى الخارجي الحاصل خارج الاستفهام به، فأصبح بذلك صورة من صور التعبير اللفظي عنه.

أبانت النماذج السابقة عن المعاني الإشارية بأنواعها الثلاث في الاستفهام، وهي كما ظهر متنوعة التأثير مختلفة الدلالة، إلا أنها تجتمع في مدى تأثيرها على انتقاله من معناه الحقيقي إلى السياقي بما يؤكد حضور المنحى التداولي فيه.

المبحث الثاني: المعنى الإنجازي[1] في الاستفهام

يتعلق المعنى الإنجازي بالتفريق الذي قدمه (أوستن) في نظرية أفعال الكلام بين ثلاثة أنواع هي: فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام، وهي تفرقة ناشئة بين ضروب القصد والدلالة، فإذا كان فعل الكلام يراد به التلفظ وفق صيغة تركيبية معينة، فإن قوة ولازم قوة فعل الكلام هي مقاصد يراد منها القيام بأمر ما، أو التأثير في المخاطب بناء على الأثر الذي تحدثه فيه[2]، وعلى هذا فإن لازم قوة فعل الكلام هو قصد يقع خارج التلفظ بالعبارة، فكل عبارة قد تشير إلى مقصد معين حسب توجيه المتلفظ لها.

يمثل الاستفهام أحد أشكال الأفعال الكلامية إذ يقع تحت أنواع الأساليب الإنشائية التي تتعلق بها النظرية، حيث تتناوله أسلوباً إنشائياً ذا قوة ولازم كلامي، وهنا يحصل التمييز بين نوعين من الاستفهام: ما يطلب به الإجابة الصريحة، وما يطلب به التصور العام[3]، فما يطلب به صريح الإجابة هي نوع من قوة الفعل الكلامي، أما ما يتعلق بتصورات عامة فهي من لوازمه؛ لأن الجواب الصريح هو نوع من طلب إنجاز الفعل، أما التصورات العامة فهي لا تلتزم بنوع معين من الإنجاز، وتتعلق غالباً بالتأثير، وهكذا تحصل قوة ولازم الفعل الكلامي في الاستفهام.

يمكن تتبع معاني الاستفهام الإنجازية في ديوان "بين الزحام" في قصائد متعددة،

(١) يتعلق المعنى الإنجازي بلازم قوة الفعل الكلامي حسب تصنيف أوستين لأصناف الفعل الكلامي.

(٢) انظر: جون. ر سورل، الأعمال اللغوية (بحث في فلسفة اللغة) ترجمة: أميرة غنيم (ط١، تونس، المركز الوطني للترجمة ٢٠١٥م) ص١٣٢.

(٣) انظر: ريبول موشلر، آن جاك، القاموس الموسوعي للتداولية ترجمة: مجموعة باحثين (ط٢، تونس، المركز الوطني للترجمة ٢٠١٠م) ص ٥٤.

فقد زخر بنماذج متنوعة؛ إذ كان هو الأسلوب الأكثر حضوراً، فنجد في النموذج الآتي شاهداً على المعنى الإنجازي:

لا ترمي ورودك للأسى، ما راح راح
لا تحفلي إن جارت الدنيا
بقسوتها، وأثخنت الجراح
من ذا بها لقي الهنا؟
ومن منا بذمتك استراح؟(١)

ورد هذا الشاهد ضمن قصيدة يعبر فيها الشاعر عن مراحل العمر، وعما مضى منها وفات، لذا ظهر الاستفهام في النص بصورة جلية معبراً عن المعاني التداولية أكثر من دلالته الأصلية وإن كانت حاضرة إلا أن المعنى يتجاوزها إلى ما هو أبعد منها.

يتساءل الشاعر في النص السابق عن وجود الهناء والراحة في الدنيا، وهو سؤال جاء في تركيبة الاستفهام الحقيقي حيث جاء بصيغة (مَنْ) الاستفهامية الأصلية، مؤكداً وجود معنى السؤال الحقيقي، فلا يمكن نفي تلك الصيغة لوجود دلالة أخرى، وهنا يأتي السؤال عن أسباب تحول الاستفهام الموجود تركيباً أصلياً إلى معنى آخر؟

تجيب نظرية الأفعال الكلامية عن هذا التساؤل، فالاستفهام هو أحد أشكال العبارات الإنشائية ذات المحتوى الإنجازي، أي أنها تحمل دلالتها وتحيل إلى شيء آخر، فالإحالة هي عمل لغوي "ينجزه المتكلمون من خلال إلقاء الكلمات لا من خلال الكلمات ذاتها" (٢)، وليس بالضرورة أن يكون كل استفهام محيلاً، وما يجعله كذلك من عدمه هو "أن يعيَّن فيها للسامع على نحو غير ملتبس"(٣)، أي بتضافر العوامل

(١) دغريري، بين الزحام، ص٦٢
(٢) سورل، الأعمال اللغوية، ص٥٧
(٣) السابق، ص١٤٥

السياقية والتلفظية التي تؤثر في المخاطب لإحالة الاستفهام على معنى دون الآخر.

تتضافر العوامل السياقية والتلفظية في الاستفهام السابق للإحالة إلى معناه التداولي، فالنص السابق هو من قصيدة ذات بنية حجاجية يحاول فيها الشاعر الخروج من نظرة ضيقة للحياة والتأثير بنظرة أكثر فاعلية، وهذه البنية هي العامل السياقي الأكبر في خروج الاستفهام من قوة الفعل الكلامي إلى لازمه، فجميع دلالات النص تتجه نحو التأثير بنفي التصورات المتعارضة، أو تقرير التصور المراد إحداثه، وهنا يحدث توجيه الدلالات إلى هذا المعنى أياً كان التركيب.

يأتي هذا الاستفهام بعد تقرير المعاني والتصورات السابقة، وبعد عدة استفهامات في القصيدة، وهذا التضافر السياقي للمعنى يفرض خروج الاستفهام إلى غير دلالته الأصلية، وهنا يتشكل السياق الخاص به، فبعد تقرير المعاني التي تؤكد تصور الشاعر لا يتلاءم ورود استفهام حقيقي يطلب جواباً عن معانٍ متحصلة مسبقاً، لذا فإن المعنى المتحصل سياقياً من هذا الاستفهام هو عمل لازم قوته الكلامية الواقعة في التأثير بعدم البحث في الحياة عن معان غير متحققة فيها، وهذا ما يجعلها أكثر فاعلية من التأثير السلبي المتمثل في اليأس أو الحزن.

إضافة إلى العوامل السياقية الآنفة يتأثر الاستفهام بالعوامل التلفظية في إرادة لازم قوته الكلامية، حيث تقع الجملة الاعتراضية (بذمتك) ضمن إشارات المعنى الإنجازي التأثيري، فالطلب الواقع فيها هو تأكيد تلفظي من الشاعر على جواب متحصل مسبقاً، وهذا ما يجعل المعنى الإنجازي مقصوداً، يتأكد بذلك المعنى التداولي دون الدلالة الحقيقية، وهكذا تقع الإحالة اللغوية إلى قصدية الاستفهام لا في معناه.

تعددت المعاني الإنجازية للاستفهام في الديوان مما يؤكد أهمية عرضها والإبانة عن أشكال حضورها، ومن أحد أشكالها ما يظهر في النص الآتي:

يا قاسي القلب

قلبي لست أملكه
فما يزال على عهد الهوى باقي
أيامه الغر شابت
بل ونشوته
ما بين ضيق الرجا ذابت وإخفاقي
إلى متى الناي؟
عاث الشوق في كبدي.(١)

جاء المقطع السابق من قصيدة عاطفية كشف فيها الشاعر عن تجربة عاطفية غير مكتملة، فكان اليأس عنوانها، والتيه طريقها، فلا ظفرٌ بمحبوب، ولا عزاءٌ لفاقد، وهنا يتشكل السياق العام للنص محدداً المعنى الذي ينساق فيه، مؤثراً بذلك في تحويل المعنى إلى لازم قوة الفعل الكلامي المتمثل في الاستفهام.

أبان النص متأثراً بسياقاته عن انعدام الجدوى من الجفاء العاطفي والابتعاد عن الحبيب، وهذا المعنى ظهر بشكل عام في كل سياقات النص، ومن خلال تراكبيه المتنوعة عُبر عنه بأساليب مختلفة، ومنها أسلوب الاستفهام الذي جاء على هذا المعنى.

أسهم المعنى العام للنص في تحديد معنى الاستفهام بوجه خاص، على أن ذلك لا ينفي تفرده بدلالته الخاصة، وإنما هو تحديد للإطار المعنوي العام له، ولذا فإنه يقع تحت هذا الإطار، ويأتي على معناه الذي يؤكد أهميته بوصفه فعلاً كلامياً يقدم معنى إضافياً في النص.

بعد توارد النص على المعنى العام يأتي هذا الاستفهام مبيناً أن خلف ذلك العبث العاطفي بمشاعر المحب أثرا أكبر، وضررا يجب وقفه وقطع طريقه، وهو الأثر الناتج من لازم قوة الاستفهام، فانعدام فائدة ذلك العبث وامتداد التجافي يولد ضياع العمر، وهدر

(١) دغريري، بين الزحام، ص٧٥– ٧٦.

السنيين، وهذا ما يشير إليه لازم قوة الفعل الكلامي، فالجواب المتبادر إلى الذهن من السؤال يوجه المتلقي مباشرة إلى هذا المعنى، وهكذا يقدم الاستفهام معناه الخاص داخل السياق العام في النص.

ومما يعزز لازم قوة الاستفهام إضافة إلى سياقه هو جوابه المتحصل مسبقاً، فالقارئ عندما يصل إلى لحظة الاستفهام كان جوابه متحصلاً، بما يؤكد لازم قوة الفعل الكلامي، فلا معنى لهذا الاستفهام إذا تجرد من ذلك، ولا مكان لقوته الطلبية؛ لأنها لا تؤدي معنى جديداً في النص، وبهذا يتأكد المعنى الإنجازي في هذا الاستفهام.

يظهر في هذا المقطع الإيقاع الصوتي الواقع في المد الذي أسهم في تعزيز الجانب النفسي في المعنى، وهو الجانب المؤثر في خروج الاستفهام عن معناه، فإن كان الشاعر يؤكد في النص على الجانب النفسي فإن الاستفهام عن تحديد زمن النأي ليس المراد، وإنما التأكيد على الأثر النفسي هو المعنى التداولي المقصود، حيث تبدو مهارة الشاعر في شحذ البنية الإيقاعية للكشف عن معانيه خارج الألفاظ.

وفي سياق آخر يكشف الاستفهام عن معناه الإنجازي من خلال لازم قوته الكلامية حيث تنتفي القيمة المعنوية للفعل الكلامي؛ لأنها لا تتساوق مع النص، وهو ما يكشف عنه المقطع الآتي:

لولا هواك
لما على شعري
بقايا من صفاء
يا فتنة المغبون
من قساك؟ علمك الجفاء؟
من صاغ تلك الروح
من صلفٍ

وكانت من حياء؟[١]

يتعجب الشاعر في القصيدة من تحول المحبوب من الصفاء والقرب إلى الجفاء والبعد، وهو تحول مؤذٍ وغير مرغوب فيه، وما أثار انزعاج المحب أنه غير مبرر، وبدا له بأنه تحول مرغوب فيه، لذا يحاول في النص استنطاق حال محبوبه سعياً للوصول إلى حقيقة ما أثار دوافعه نحو تصرفه تجاه محبه.

يمكن وصف سعي الشاعر في البحث عن الحقيقة الغائبة بأنه بحث عن المجهول؛ لأن وجود سبب ظاهر لا يدعو إلى البحث، وبما أنه كذلك فإن انعدام السبب هو المثير الأبرز في النص، وعليه فإن العدم هو السياق الذي يضمه، وهو التساؤل الذي يحاول الشاعر الإجابة عنه.

يأتي الاستفهام في هذا المقطع في سياق القصيدة العام، وهو سؤال يبحث عن المجهول، ويتوقف عند العدم، فاللحظة التي يتساءل فيها الشاعر عن مصدر قساوة المحبوب فإنه يقرر جهله بذلك المصدر، كما أنه يؤكد انعدامه في الوقت ذاته، وهو بذلك يخرج من قوة الفعل الكلامي إلى لازمه، فلا حاجة له بالمعرفة التي سيتحصل عليها من قوة الفعل الكلامي المتمثلة في الطلب؛ لأنها لن تحل أزمته هذه، كما أنها ليست قضيته التي يريد حلها، لذا فإن لازم قوة الفعل الكلامي المتحصل في معنى الإنكار والاستغراب هو المعنى الذي يقدم في النص حالة شعورية جديدة.

إن استغراب الشاعر وإنكاره الواقعين في لازم قوة الفعل الكلامي هما المعنيان التداوليان الأكثر ملاءمة في النص، وهما الإضافة التي تمنحه عمقه العاطفي؛ إذ إنهما تظهران مدى القساوة التي يمارسها المحبوب على محبه دون سبب، إضافة إلى الإيقاع السريع للألفاظ والتراكيب التي توحي بلهفة الشاعر للحصول على جواب لسؤاله المجهول، وهكذا تتمثل لازم قوة الفعل الكلامي في حمل المحب على التوقف عن تلك

(١) دغريري، بين الزحام، ص٥٤

الممارسة الظالمة على محبوبه؛ لأنها غير منطقية.

كانت النماذج السابقة صوراً لحضور المعاني التداولية في الاستفهام من خلال المعاني الإنجازية الواقعة في لازم قوة الفعل الكلامي، وبما أنه أحد أشكال الأفعال الكلامية فقد حضر المعنى الإنجازي فيه بشكل مبرز وهو ما سبق الإبانة عنه بدلالاته المختلفة، مما يؤكد أثر الاستفهام في بناء المعنى التداولي.

المبحث الثالث: الاستلزام الحواري[١] في الاستفهام.

يتأثر الاستفهام بمبادئ الاستلزام الحواري، فقد سبقت الإشارة أنه من أكثر التراكيب اللغوية التي تباين دلالتها الوضعية، وهو ما يجعله متأثراً بالقوانين السياقية، وهذا ما يتحقق في مستوى العلاقة بين المتكلم والمخاطب بما يحكمهما من معارف متبادلة.

يتعلق الاستلزام الحواري بالدلالة غير الطبيعية، وهي المتعلقة بالدلالة غير الوضعية للألفاظ[٢]، مما يجعل الوقوف على المعنى أمراً غير ممكن دون النظر إلى السياق العام، وظروف المتخاطبين، وعلى هذا ينبغي عند دراسة الأثر المتعلق بها الأخذ بما يريد المتحدث تحقيقه مع المخاطب لا بما يقوله، وهذا ما يقع في تراكيب لغوية غير محددة.

يقع الاستفهام داخل إطار المعاني غير الطبيعية المتشكلة في مبادئ الاستلزام الحواري، وهي المعاني المستلزمة من مقاصد المتكلمين وسياق التخاطب، ويقع هذا في أسلوب الاستفهام بشكل مستمر، حيث يمكن الوقوف على دلالات متنوعة واقعة تحت تأثير الاستلزام الحواري في ديوان "بين الزحام"، ومن بين تلك الدلالات ما يبدو في المقطع الآتي:

يا عز نفسك!
كم قاسيت من علل
وكم كتمت
ولا تشكو له عِللك.[٣]

(١) يشير مفهوم الاستلزام الحواري إلى المسالك الخطابية التي يسلكها المتلفظ وتعين المخاطب في تحديد مقاصده. انظر: ريمة كعبش "الاستلزام الحواري المبادئ والمفهوم".، *مجلة الخليل في علوم اللسان*، جامعة ٢٠أوت سكيكدة، الجزائر (م١)، ع١، (٢٠٢١م) (٦٠ – ٧٠)

(٢) انظر: موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٢٦٨.

(٣) دغريري، بين الزحام، ص١٣.

يحاور الشاعر الذات المحبة في هذه القصيدة مبيناً أنها لم تجد سوى اليأس والخذلان، وهو بذلك يقيم قاعدة تخاطبية بين ذاتين: ذات خارجية متمثلة في الشاعر، وذات واقعة في الحب لا تبرح مشاعر الألم، وقد كانت وظيفة الذات الخارجية تأكيد المعاني المشوهة لصورة الحب، وهي دلالات مدركة بين الذاتين.

كون الاستفهام بناءً على الدلالات المدركة معاني يستلزمها الإدراك المتبادل بين الذاتين المتخاطبتين في النص، وهو ما يفهمه القارئ من سياق الحوار بينهما، حيث يشير إلى أن الشاعر ناظر بعين جلية إلى الحال الواقع فيها المحب، وإلى المشاعر التي أورثه مستوى متدنٍ من العيش والاستمتاع بالحياة، وهذا ما يحول الاستفهام السابق جوابه المتحقق في تلك المعاني، فإن كان الشاعر يسأل عن حجم المعاناة فإنه لا يريد معرفة وقوعها من عدمه، وإنما المراد هو التأكيد على وقوعها، والتي بها ينهى ذات المحب عن الاستمرار في هذه المشاعر القاتلة؛ لأنه يدرك تماماً نتائج ذلك الاستمرار، وهنا يتأكد تشارك المتخاطبين قدراً كافياً من المعلومات التي تجعلهما قادرين على صياغة خطابهما الخاص.

تنص مبادئ الاستلزام الحواري على أهمية مبدأ التعاون الذي ينص على "أنه من المفروض أن يكون كل مشارك في المحادثة متعاوناً في عملية التبادل القولي"[(١)] ويتشكل هذا المبدأ في قواعد متعددة هي: قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة العلاقة، وقاعدة النوع[(٢)]، ومن هذه القواعد يمكن الحكم بالمعنى بمؤازرة مبادئ الاستلزام الحواري.

يمكن استظهار إحدى هذه القواعد للإبانة عن شكل من أشكال الاستلزام

(١) القاموس موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢٦٦.

(٢) السابق، نفسه.

الحواري في الخطاب، وبالنظر في المقطع السابق من خلال قاعدة العلاقة[١] يمكن التحقق من مناسبة إسهام المتكلم بالاستفهام في مطابقة الهدف المرجو من الكلام مع تحققه، وهذا ما أشار إليه غرايس في مسلمة الملاءمة[٢] فإذا اتضح أن المتحدث يريد إظهار المعاني المشوهة للحب ومنها إلى توقف المحب عن نزف الآمه فإن إسهامه بالاستفهام هي ملاءمة لتحقيق الهدف.

يقدم الاستفهام تقرير المعاني بطريقة تقابلية، حيث يكشف عن المعنى ومقابله من خلال السياق وذلك في حال كشف تلك المعاني مسبقاً، وهذا ما وقع في المقطع السابق، فالسؤال عن حال المحب مع الحب يقع بين حالين: أحدهما هو المعنى المتقرر مسبقاً الذي يؤكده السياق، والذي ينفي الحال الأخرى المتمثلة في معنى السؤال حقيقة، وعلى هذا فإن إسهام المتحدث في توقف المخاطب عن الإسراف في مشاعره بالاستفهام هو إسهام ملائم من حيث التأكيد على أن المعنى المقصود هو المعنى الصحيح الذي ينبغي الاعتبار به؛ لأنه يؤكد خطأ المعنى المقابل، فهو الأنسب مع الهدف الذي يرسمه المتحدث؛ لأن هدفه هو تقرير أحد معنيين واقعين في الاستفهام يتعارض وقوعهما معاً، ويتحقق في أحدهما معنى مخالف للآخر، وهذا ما يحققه المعنى التداولي بمراعاة مبدأ التعاون وفق مسلمة الملاءمة.

تؤكد مسلمات مبدأ التعاون على مراعاة المتكلم للمعاني السياقية والتي تؤكد على أهمية المعاني التداولية التي يقصدها، فكلما أظهر مراعاته لتلك المسلمات أبان عن مقاصده غير اللفظية، وهو ما يجعل تلمس أشكال تلك المراعاة من المعاني التداولية التي يسعى إليها بالالتزام بالمبادئ التي تعينه على مقاصده، وإن ظهر ذلك في مسلمة العلاقة

(١) تنص قاعدة العلاقة على أن يعمل المتكلم على أن تكون مساهمته مناسبة. السابق، الصفحة نفسها.

(٢) انظر: كعبش، "الاستلزام الحواري المبادئ والمفهوم"، (٦٠-٧٠)

فإنه يمكن تعزيز ذلك الحضور في مسلمة الكيف[1]، إذ تؤكد على قصدية المتكلم لمعانيه التي يشكلها من خلال السياق لا من ألفاظه، وهو ما يظهر في المقطع الآتي:

أمن خطأٍ خصامك؟

ما أمرَّ إذا مخاصمك الحبيب!

فهب أن الخطا مني

ولم تصفح

فمن منا المصيب؟[2]

يرفض النص السابق إيراد المخاطب على تخطئة المتكلم في التعامل مع أخطائه محاولاً إثبات الصورة الصحيحة للتعامل معه، وهذا يتطلب منه إيراد مقاصده بشكل واضح مع تجنب الغموض واللبس، فمن شأنه الوصول إلى قضية صدقية يجب أن يوصل المخاطب إليها دون ملابسة أو تضليل.

يظهر مراعاة المتلفظ لمبدأ الكيف في عرض الحقائق التي تجنبه الوقوع في الخطأ، حيث يبدو عرضه للموضوع منذ الوهلة الأولى فيبدأ بالاستفهام عن الخصام بين المتكلم والمخاطب هل خطأ أم صواب، وحقيقة هذا التساؤل التسلسل المنطقي للقضية في صورتها الأولى، من أجل عرضها عرضاً تتجلى معه دون ملابسة، وما يؤكد محاولته في عرضها عرضاً واضحاً تقصي الصورة الكاملة لها في قوله: هب أن الخطأ مني، فهي إشارة من نظرة أخرى إلى الوجه الآخر لها، لتأمين جوانب اللبس في المعنى المراد.

يختم المقطع السابق بالاستفهام المؤكد لمعنى أهمية الصفح أكثر من الخصام، فليس المراد إقرار الطرف الآخر بالخطأ وإنما هو الأخذ بالعفو، وهذا المعنى المراد

(١) يقصد بمسلمة الكيف: إسهام المتكلم في المحادثة بطريقة منظمة وأن يتجنب اللبس والإبهام والغموض. موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢٦٦.

(٢) دغريري، بين الزحام، ص٩١

يتأكد بعد استيفاء مظاهر اكتمال تصوره، وبهذا يكون مبدأ الكيف وسيلة المتكلم في تحقيق ذلك المقصد بأن أمَّنَ جميع الملابسات التي قد تخل بذلك، مما يستلزم وضوح المعنى وتحقيق المقاصد.

تسهم مبادئ الاستلزام الحواري في تحقيق مقاصد المتكلم بمراعاة حال المتخاطبين لئلا يتشعب المعنى باعتبارات متعددة، حيث تؤكد أن كلاً من المتكلم والمخاطب عليه أن يلتزم بقدر معين من الالتزامات التي تعينه على تأدية مراده، أو فهم ما يقال له(١) فإن أبان مبدأ التعاون من خلال مسلماته الأربع عن جانب من الالتزامات فلا يتوقف الأمر على ذلك، فهناك من المبادئ مالا يقل أهمية عنه، وهو مبدأ التأدب(٢).

يتشكل مبدأ التأدب في مجموعة من القواعد والمسلمات حيث بدأت عند لاكوف باعتبار العوامل الاجتماعية بين المتحاورين، والتلطف في الحوار، واضعة ذلك في مبدأين هما: الوضوح، والتأدب، ثم جاء بعد ذلك براون ولفنس بمفهوم الوجه ويقع في نوعين: سلبي وإيجابي، يتعلق الأول بالخصوصية الذاتية، والثاني بالصورة الخارجية التي يبينها الشخص في محيطه الخارجي، ثم ليتش الذي ذهب إلى مبدأ اللياقة وأهميته في تحقيق الربح وتقليل الخسارة(٣).

يظهر مبدأ التأدب في أسلوب الاستفهام بشكل بارز، وذلك لتعدد معانيه خارج

(١) انظر: موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢١٤.

(٢) يشير مفهوم التأدب إلى مراعاة العوامل الشخصية الواقعة خارج الخطاب والتي تبنى على قاعدة تقليل الجهد وزيادة الفائدة، حيث تسهم في تحقيق الهدف من الخطاب بإظهار جوانب الملاطفة والتودد للوصول إليه بسرع طريقة. انظر: ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص١٠٧ – ١١٤.

(٣) السابق، ص١٠٧، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان ترجمة: صابر الحباشة (ط١ سوريا، دار الحوار ٢٠٠٧م)، ص٨٩، جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي (ط١، لبنان، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م) ص٩٧، ليتش، مبادئ التداولية، ص١٤٣.

دلالته الأصلية، ولأنه أحد أشكال الأفعال الكلامية التي يطلب بها إنجاز فعل، أو التأثير من خلاله، وهذا ما يمكن استظهاره في عديد من المواطن في ديوان "بين الزحام"، ومنها قوله:

صوفية الكلمات
ماذا السحر
يهمي من سماك؟
هل هذه الأضواء حولي
من حروفك؟ أم ضياك؟
لكأنما امتزجت بروح من تقى
بل من ملاك.(١)

يشير مبدأ اللياقة إلى حسن الأدب والتخلق، وتتعلق بأفعال الكلام من صنف الإباحة كما صنفها سيرل، ويهتم بتحقيق أقصى درجات المعنى عن طريق الأسلوب غير المباشر للفعل الكلامي، حيث يجد المخاطب نفسه أمام خيارات متنوعة يشعر فيها بأنه غير ملزم بصورة أمرية للقيام بعمل محدد، وهذا ما يجعل تعاونه مع المتكلم أكثر فاعلية(٢).

تحقق مبدأ اللياقة في المقطع السابق بدرجة عالية، فالمتكلم لا يريد تحديد زاوية الإعجاب بالمخاطب، وإنما يريد ذكرها كلها، كما لا يسعى إلى تفضيل إحداها على الأخرى، فمن شأن ذلك حصر جماله في جزء معين وهذا ما يمكن أن يؤدي إلى الإخلال بأهم أهداف النص وهي إظهار الإعجاب غير المتناهي الذي يقوي ثقة المخاطب، وقد أسهم ضمير المخاطب (ك) في ذلك بالتأكيد على حضور صورة

(١) دغريري، بين الزحام، ص٢٤.
(٢) انظر: ليتش، مبادئ التداولية، ص١٤٣.

الآخر في كل لفظة، وهو حضور موسيقي، ودلالي، حيث يشعر القارئ بتكرار الكاف موسيقيا بما يجعله يتناغم مع تكرار المخاطب ذاته دلالياً دون الإحساس بثقل إيراد ذكره.

تظهر الدلالات السابقة في المقطع السابق عن طريق الاستفهام، ففي اللحظة التي أراد الشاعر ذكر خصال الجمال السحري الذي لم يستطع مقاومته لم يحصر ذلك في معنى واحد، بالرغم من أن المعنى يمكن أن يؤدي بذلك، إلا أنه وفق قاعدة اللياقة، ووفق مبدأ التأدب أراد أن يبين أن ذلك أمر غير محصور، وأن ذلك الجمال ليس محدد المعالم والأركان، وهذا ما يحقق أقصى درجات الربح لدى المخاطب بلفت انتباهه إلى إدراك الشاعر لعناصر جماله المتعددة.

إن الصورة غير المتناهية التي رسمها الشاعر لا تقف عند حدود معينة، فبين صوفية الكلمات، والسحر، والسماء والضياء، وروح التقى، كل ذلك يجعل السؤال أكثر حيرة في الإجابة عنه، وهذا ما يريده الشاعر، فالجواب تائه أكثر من السؤال، فإن كانت الصورة تتجاوز الحدود فإن الاستفهام لا يبحث عن حقيقة معينة، وإنما تأكيد عن دلالات الصورة.

بهذا يكشف مبدأ اللياقة والتأدب عن تحقيق أقصى درجات المعنى، ويمثل الاستفهام أحد الأشكال اللغوية التي يتحقق فيها ذلك؛ إذ يتيح للمتكلم وضع جميع خياراته التي تكشف للمخاطب لطفه وحسن لياقته اللغوية التي تجعله أكثر استجابة وتعاوناً معه.

المبحث الرابع: المعنى الحجاجي[1] في الاستفهام

أثار مبحث الحجاج كثيراً من الدراسات اللغوية التي اهتمت بالأثر الإبلاغي والإقناعي في مختلف أشكال الخطابات، ويأتي الاهتمام به ضمن مباحث التداولية؛ لأنه لا يبحث القضايا من حيث صدقها، وإنما يهتم بالمسالك التي يتخذها المتلفظ بناءً على حال مخاطبه، ونوع التأثير فيه، ومن هنا فإنه يتعلق بقضايا سياقية تتأثر بعوامل التلقي، كما أنه يتقاطع مع الأفعال الكلامية من حيث التأثير بلازم المعنى لا المعنى نفسه[2].

يتخذ الحجاج مراتب ومسالك مختلفة منها: البرهاني، الخطابي، الجدلي[3]، وهي مسالك تتأثر بطبيعة الخطاب، والهدف منه، وحال المخاطب، وتتشكل في أشكال تعبيرية متنوعة: أمرية، وتوجيهية، وإثباتية، واستفهامية[4]، ويظهر هنا الأثر التداولي لأفعال الكلام في تحقيق المسالك الحجاجية.

مثل الاستفهام أحد أهم أشكال التعبير الحجاجي، فكما سبقت الإشارة إلى أنه أكثر الأساليب التعبيرية التي تخرج عن معانيها الأصلية، فإن المقصد الحجاجي هو أحد تلكم المعاني التي تحضر فيه، ويتحقق به في أساليب متعددة بدءاً من الحجج المنطقية،

(١) الحجاج هو: درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم. عبدالله صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) (ط١، تونس، دار مسكلياني ٢٠١١م) ص١٣.

(٢) انظر: روقاب هني، جميلة محمد حاج "التداخل المعرفي بين التداولية والحجاج (حدود التقارب ومجالات التفاعل)". *مجلة أمارات، كلية الآداب والفنون*، جامعة حسينه بن بوعلي، م٢، (ع٢) الجزائر، (٢٠١٨م) (١٠١ – ١١٢)

(٣) انظر: صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ص١٩.

(٤) انظر: السابق، ص٣٨

ثم شبه المنطقية، إلى الحجج المبنية على الواقع.

انطوى الاستفهام في ديوان "بين الزحام" على مقاصد حجاجية بطرائق مختلفة، وهو ما يمكن الإبانة عنه في المقطع الآتي:

وكم عزلت
خيوط الليل
ضقت به
حتى الظلام
على أوهامه غزلك
عطشى لياليك
ماذا في قواحلها؟(١)

يأتي هذا المقطع في نص بعنوان (صحوة الحب) ومنذ اللحظة الأولى يحاول الشاعر التأثير في المتلقي بتغير تصوراته ثم تغيير حالة البؤس الواقع فيها، لذا يظهر البناء الحجاجي في أولى لحظاته إلى آخرها.

كان الأسلوب الاستفهامي أحد التعبيرات الحجاجية في هذا النص، وهو ما يكشف عنه المقطع السابق في آخره، فيشير الاستفهام إلى لفت انتباه المخاطب إلى النتائج السلبية التي أوقعه فيها الحب، لذا فإن عليه إدراك ذلك، والتوقف عنه، والتحول إلى الحالة الإيجابية الأكثر تجاوباً مع الحياة الهناء.

وظف النص الاستفهام لغرض حجاجي بعرض الوقائع التي يدرك حقيقتها المخاطب فلا مجال لإنكارها، وتظهر في التأكيد الكمي على الليالي التي أثقلها الحب عليه، وفي انعكاسها السلبي على أفعاله وتصرفاته، لذا فمن المهم عرض هذه الحقائق قبل تقرير الحكم بناء عليها، والمحاجَّة بنتائجها المؤكدة.

(١) دغريري، بين الزحام، ص١٦– ١٧.

يسعى هذا الحجاج للفصل بين مفهومين (الواقع/الحقيقة) لبيان التناقض بينها، وإيقاظ الذهن مما يظنه صحيحاً، وبناء قاعدة صحيحة للمفاهيم(١)، حيث قدم أولاً الحد الواقعي المتمثل في الممارسات التي تشكل واقع المخاطب، وهو ما يسعى المتكلم إلى كشف حدوده المضللة، ومن ثم الإبانة عن الحد الثاني المقيم للقاعدة الصحيحة التي يمكن بها التمييز بين القيم الحقيقية والوهمية؛ لإقناع المخاطب بالانفصال عن الواقع الموشوم.

أقام الاستفهام في المقطع السابق الحد الثاني والمقابل للقيم السلبية التي كشفها النص، فأبان للمخاطب عن الحدين في آن واحد، فإذا كان الجواب المباشر يشير إلى النفي بما يؤكد عدم جدوى واقع المخاطب، فإن المقصد السياقي يشير إلى جدوى المعنى الآخر الذي يقع في التخلص من الواقع السلبي بإثبات الحقيقة، وهكذا تقع المحاجَّة بالانفصال عن طريق إقامة المعنى ومقابله لإثبات الأنفع فيهما، وهو ما تم في الاستفهام، وبه حصل المعنى التداولي الحجاجي فيه.

يؤكد الاستفهام في الديوان على المعاني غير الاستفهامية أكثر، فغالباً ما يتحصل الجواب قبل إيراد السؤال، وهذا ما يجعل حمل المخاطب إلى الإقرار بفحواه أمراً مستتبَعَاً لما هو ناتج عن ذلك الإقرار، مما يلزم المخاطب القيام به، لذا فإن أهميته تستوجب بيان أشكال هذا الحضور، حيث يكشف النص الآتي عن جانب من ذلك:

فوق هذي الأرض
من صحرائها
أمة ثارت، ومجد وثبا
والعلا قامت
على كثبانها

(١) انظر: صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ص٦٢.

والندى حل عليها وأبى
يا لأرض
حملت روح النبي
هل كهذا المجد مجد وهبا؟[١]

يؤكد النص السابق على قيمة الأرض التي يسكنها الشاعر، ويتغنى بأمجاد ساكنيها، ساعياً إلى بيان خصوصيتها، شاحذاً دلالات النص إلى ذلك، وعندما يؤكد عليه يأتي بالدليل القاطع بأنها الأرض التي حملت روح النبي ﷺ، وهذا أمر لا ينازع فيه، فمن خصوصية هذه الأرض بعثته عليه السلام فيها.

لا يقدم الاستفهام بمعناه الأصلي إضافة جديدة للنص، فما قد أبانه عنه مسبقاً لا يدع مجالاً للسؤال، وهنا يأتي المعنى الحجاجي في حمل المخاطب على الإقرار بصحة الادعاء، فلا مجد لأرض أكثر من مجد النبوّة، وإن تأكد ذلك فإنه لا مجال أمام المخاطب سوى التأكيد على مجد هذه الأرض الذي تكوَّن من عدة جوانب.

إن طريق هذا الحجاج هو الاتصال القائم على الحجج شبه المنطقية، وهي حجج قائمة على تأسيس الأحكام التي يدعيها المتكلم بربطها بأحكام مسلم بها[٢]، فجميع الأحكام التي قدمها الشاعر هي من نوع شبه المنطقية، فالمجد المرتبط بالأرض هو ادعاء قد لا يثبت أمام الادعاءات المشابهة، لكن حملها للنبوّة هو الحكم المسلم به الذي يؤسس لإثبات ذلك، وهذا المعنى الحجاجي تآزر بالاستفهام الذي أقام حجاجية أقوى في تأكيد الجواب المسلم به مسبقاً، وذلك بأن حمل المخاطب عليه حمل إذعان وتسليم، وإنهاء الجدل المتوقع، فكان حجاجاً بلاغياً داعماً للإثبات بقطع جميع الاحتمالات الجدلية، وهنا تبرز أهمية الاستفهام حجاجياً.

(١) دغريري، بين الزحام، ص٣٤
(٢) انظر: صولة، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ص٤٩

أثارت اللغة التي ورد فيها الاستفهام الصورة الكاملة لمعنى ارتباط الإنسان بالأرض، فحروف الجر، والظروف المكانية شكلت التصور التفصيلي لقيمة الأرض والانتماء لها، وهو ما عزز خروج الاستفهام عن حقيقته، فإن كانت كل تلك الصورة مدركة فإن السؤال عن وجود الأهمية أمر غير وارد.

وفي صورة أخرى لتوظيف الاستفهام حجاجياً يبدو الحجاج الانفصالي واحداً من الطرائق الموظفة في الديوان، وتبيان ذلك في المقطع الآتي:

وعمَّا حين
وافاها، رآها
تلف بثوبها جسداً نحيلا
فهامسها
ألا زمن كريم
يعود
فنشتكي زمناً بخيلا
فقالت وهي تعتصر المآسي:
كفى ألماً
أتطلب مستحيلا؟(١)

يحكي هذا النص حوار الماضي والحاضر ويقارن بين واقعين: مرغوب، ومرفوض، من خلال إقامة الجوانب السلبية للحاضر، ساعياً إلى إقامة التواصل مع الماضي المرغوب فيه، لكن هذا السعي هو طلب للمحال؛ لأنه لا يمكن العودة إليه، فالزمن لا يرجع.

إن مساعي المتلفظ في النص هي من النوع الحجاجي؛ إذ يحاول التأثير بتغير حال مخاطبه إلى الحال السابقة، إلا أنه لم ينجح في ذلك، فالمخاطب يعي تماماً الحقيقة أكثر

(١) دغريري، بين الزحام، ص٣٠– ٣١.

منه، لذا فشل التأثير فيه، بالتأكيد على أن محاولة الاتصال تلك محاولة غير صحيحة، وعلى المتلفظ التوقف عن طلبها.

يقطع المتكلم حجاجية الاتصال ببناء الحجاج الانفصالي ذي التأثير الأقوى بربط سلبية الاتصال من جانبين: الألم، والاستحالة، وهما ما يجعل الانفصال هو الأجدى والأنفع، حيث حمل الاستفهامُ على التيقن من واقعية الانفصال، والتنبيه على اتباع المسار الأنفع؛ إذ إن دلالة التقرير الواقعة في الاستفهام قطعت مساعي الاتصال بشكل صارم، لتؤكد على الانفصال.

ومما سبق يؤكد الاستفهام على تبني المعنى الحجاجي ذي المنحى التداولي، وهو المرتبط بسياقات الكلام، وحال المخاطب، حيث يعد وسيلة ذات تأثير بارز، مما يجعل المتلفظ يسلك أسلوب الاستفهام بشكل بارز في حجاجه، فهو يسائل المخاطب من خلال حاله ليؤثر فيه بواقعه بما لا يسع له فرصة التفكير والمجادلة.

النتائج

شكل الاستفهام في الديوان أسلوباً تعبيرياً لمعانٍ متعددة بما يمكن القول معه إنه الأسلوب الأقرب للشاعر، والأجدر للتعبير عن معانيه.

حصر الباحث ما يزيد عن ثلاثة ومئة (١٠٣) استفهام في الديوان، وهو إشارة إلى الكفاءة التعبيرية التي وجدها الشاعر فيه، فقد أغنى دلالاته في مواقف متعددة.

إن جميع المواطن الاستفهامية المشار إليها آنفاً لم يقصد بها دلالة الاستفهام حقيقة وإن كانت متحصلة فإنه غالباً ما يتبنى الشاعر معنى تداولياً ناتجاً عن جواب الاستفهام.

كانت المعاني التداولية المشار إليها في البحث جزءاً من أشكال خروج الاستفهام إلى بعض المعاني التداولية، فقد ظهر في مواطن أخرى معانٍ مختلفة في مثل الملاءمة التداولية التي تشير إلى تحقيق نتائج أكثر دقة بتوجيه المخاطب نحو المقاصد السياقية المطلوبة.

وقع المعنى الإشاري في الاستفهام عن طريق الإشارات الزمنية والمكانية بربط لحظة التلفظ بزمن أو مكان الحدث، وهو ما يجعله ذا معنى بارتباطه بزمن أو مكان معين، مما يؤكد انتفاءه بانتفائهما.

أبان الاستفهام عن لازم قوته الكلامية بصورة صارمة في الديوان، فإن كان جميع الاستفهامات تؤدي معانيها خارج دلالتها الأصلية فإن ذلك يحصل بلازم قوته الكلامية، بما يؤكد قوته الأسلوبية في التعبير عن أشكال متعددة من المعاني.

أدى الاستفهام مبادئ الاستلزام الحواري في أفضل صورها وفق مبدأ اللباقة وحسن الأدب، فقد برز حسن تلطف المتلفظ عن طريقه في جذب المخاطب لإيصال

فحواه دون ممارسة سلطوية أو تضليل.

أثر الاستفهام في المعنى الحجاجي تأثيراً قاطعاً، فقد أبان الحجاج بالاستفهام قطع الاحتمالات التي يمكن تواردها إلى ذهن المخاطب مما يجعل التأثير فيه سواءً إيجاباً أم سلباً بالغاً، وقاطعاً للحجة أمامه.

المراجع

أوستين، نظرية الأفعال الكلامية (كيف ننجز الأشياء بالكلام) ترجمة: عبدا لقادر قنيني (د/ط، المغرب، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩١م).

بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة (ط١، سوريا، دار الحوار، ٢٠٠٧م).

ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها (ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة) ٢٠١٦م).

دغريري، علي رديش "بين الزحام" (ديوان شعر) ط١، السعودية نادي جازان الأدبي، ١٤٤٠هـ).

السلمي، بندر "الإشاريات الأنواع المفهوم"، *حولية كلية اللغة العربية بجرجا*، م٢٢، ع١٣ (١٣٦٧٥- ١٣٧٠٧) (٢٠٢١م).

سورل، جون.ر الأعمال اللغوية (بحث في فلسفة اللغة)، ترجمة: أميرة غنيم (ط١، تونس، المركز الوطني للترجمة ٢٠١٥م).

صهلولي، صالحة شعر علي رديش دغريري دراسة أسلوبية (ط١، السعودية نادي جازان الأدبي، ١٤٤٤هـ)

صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) (ط١، المغرب، دار مسكلياني، ٢٠١١م).

كعبش، ريمة، "الاستلزام الحواري المبادئ والمفهوم" *مجلة الخليل في علوم اللسان*، م١، ع١ (٦٠- ٧٠) (٢٠٢١م).

ليتش، جيوفري مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني (ط١، المغرب، دار إفريقيا الشرق، ٢٠١٣م).

موشلر، ريبول، جاك، آن، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة باحثين (ط٢، تونس، المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٠م)

هني، روقاب، محمد حاج، جميلة "التداخل المعرفي بين التداولية والحجاج (حدود التقارب ومجالات التفاعل)". *مجلة أمارات*، كلية الآداب والفنون، جامعة حسينه بن بوعلي، م٢، (ع٢) (١٠١- ١١٢) (٢٠١٨م).

الودرني، أحمد نظرية المعنى (ط١، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٧م).

يول، جورج التداولية، ترجمة: قصي العتابي (ط١، لبنان، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م).

Bibliography

Austin, J. L., "How to Do Things with Words", trans. Abdelkader Qannini, (Morocco: Dar Afriqiya al-Sharq, 1991).

Blanchet, Philippe, "Pragmatics from Austin to Goffman", trans. Saber Al-Habbasha, (Syria: Dar Al-Hiwar, 2007).

Khitam, Jawad, "Pragmatics: Its Origins and Directions", (in Arabic). (Jordan: Dar Kunuz Al-Ma'rifa, 2016).

Daghreeri, Ali Radish, "Bayna al-Ziham (Poetry Collection)", (in Arabic). (Saudi Arabia: Jazan Literary Club, 1440 AH).

Al-Sulami, Bandar, "Deixis: Types and Concept", (in Arabic). *Annals of the Faculty of Arabic Language in Girga***,** vol.22, issue 13, (pp. 13675–13707), (2021).

Searle, John R., "Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language", trans. Amira Ghanem, (Tunisia: National Center for Translation, 2015).

Sahlouli, Salha, "The Poetry of Ali Radish Daghreeri: A Stylistic Study", (in Arabic). (Saudi Arabia: Jazan Literary Club, 1444 AH).

Sula, Abdullah, "On Argumentation Theory (Studies and Applications)", (in Arabic). (Morocco: Maskiliani Publishing, 2011).

Kaabash, Rima, "Conversational Implicature: Principles and Concept", (in Arabic). *Al-Khalil Journal of Linguistic Sciences*, vol.1, issue 1, (pp. 60–70), (2021).

Leech, Geoffrey, "Principles of Pragmatics", trans. Abdelkader Qannini, (Morocco: Dar Afriqiya al-Sharq, 2013).

Moeschler, Jacques, and Anne Reboul, "The Encyclopedic Dictionary of Pragmatics", trans. Collective of Researchers, (Tunisia: National Center for Translation, 2010).

Henni, Rouqab, Mohammed Haj, and Jamila, "Cognitive Overlap Between Pragmatics and Argumentation: Limits of Convergence and Fields of Interaction", *Emarat Journal*, Faculty of Arts and Letters, Hassiba Ben Bouali University, vol.2, issue 2, (pp. 101–112), (2018).

Al-Wadhrani, Ahmed, "The Theory of Meaning", (in Arabic). (Tunisia: University Publishing Center, 2007).

Yule, George, "Pragmatics", trans. Qusay Al-Atabi, (Lebanon: Arab Scientific Publishers, 2010).

فاعلية برنامج قائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

The Effectiveness of a Roundhouse Strategy-Based Program on Developing Rhetorical Concepts among Learners of Arabic as a Foreign Language

د. رابح بن عبد الله بن عباس العوفي

أستاذ مساعد بقسم إعداد وتدريب المعلمين

بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: rabehalhersani@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
13/09/2025		09/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-010		

المستخلص:

هدف البحث إلى التحقق من فاعلية برنامج قائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؛ ولتحقيق هذا الهدف قام الباحث ببناء إستراتيجية تعليمية تعتمد على شكل البيت الدائري في تعليم المفاهيم البلاغية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الرابع (المتقدّم) ببرنامج الإعداد اللغوي في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأعد اختبارًا لقياس تحصيل المفاهيم البلاغية، واستخدم المنهج التجريبي ذو التصميم شبه التجريبي القائم على المجموعة الواحدة؛ للتحقق من فاعلية هذا البرنامج (المتغير المستقل) في تنمية المفاهيم البلاغية (المتغير التابع) من خلال مقارنة نتائج مجموعة البحث في التطبيقين: القبلي والبعدي لاختبار تحصيل المفاهيم البلاغية.

وتكونت عيّنة البحث من (٢٨) متعلمًا من طلاب المستوى المتقدّم، وأظهرت النتائج فروقًا ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠١) بين متوسطات درجات مجموعة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار تحصيل المفاهيم البلاغية لصالح القياس البعدي تُعزَى إلى استخدام إستراتيجية البيت الدائري في تعليم هذه المفاهيم، وفي ضوء هذه النتائج قدّم الباحث مجموعة من التوصيات أهمها تضمين إستراتيجية البيت الدائري ضمن طرائق التدريس المستخدمة في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ نظرًا لفاعليتها في تنمية المفاهيم البلاغية، واقترح إجراء مجموعة من

الدراسات البحثية أبرزها دراسات مشابهة لتوظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية مهارات لغوية أخرى مثل الكتابة أو المحادثة أو الاستماع لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى.

الكلمات المفتاحية: إستراتيجية البيت الدائري، المفاهيم البلاغية، متعلمو اللغة العربية الناطقون بلغات أخرى.

Abstract:

The study aimed to examine the effectiveness of the Roundhouse Strategy-based program in developing rhetorical concepts among learners of Arabic as a foreign language. To achieve this objective, the researcher designed an instructional strategy utilizing the Roundhouse model for teaching rhetorical concepts to advanced-level students (Level Four) in the Linguistic Preparation Program at the Institute of Teaching Arabic to Non-Native Speakers, Islamic University of Madinah. A test was developed to measure the acquisition of rhetorical concepts, and the one-group design-based quasi-experimental method was employed to verify the effectiveness of the program (independent variable) in developing rhetorical concepts (dependent variable) by comparing the results of the research group in the pre- and post-applications of the test.

The research sample consisted of 28 advanced-level students. The findings revealed statistically significant differences at 0.01 level between the mean scores of the research group in the pre- and post-test of rhetorical concepts in favor of the post-test, attributable to the use of the Roundhouse Strategy in teaching these concepts. In light of the findings, the researcher presented several recommendations, most notably the integration of the Roundhouse Strategy into teaching methods used in programs of teaching Arabic to non-native speakers due to its effectiveness in developing rhetorical concepts. The researcher further proposed conducting additional studies, particularly those that employ the Roundhouse Strategy to develop other language skills such as writing, speaking, and listening among learners of Arabic as a foreign language.

Keywords: Round house strategy, Rhetorical concepts, Arabic language learners who speak other languages.

مقدمة البحث:

يُعنى علم البلاغة بدراسة استخدام اللغة بطريقة فنية وجمالية واضحة ومؤثرة، فالبلاغة مهارة لغوية أساسية ينبغي أن يتقنها المتحدثون باللغة العربية؛ كونها تعزز فهم المعنى، وتساعد على توضيح الدلالات والأفكار والمفاهيم، وتجعلها أكثر دقّة ووضوحًا ومطابقةً لما يقتضيه حال السامعين.

وتُعَدُّ البلاغة أحد المكونات الجوهرية التي تُسهم في تنمية الكفاءة اللغوية والثقافية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؛ حيث تمكّنهم من فهم النصوص الأدبية وتذوقها، وتتيح لهم تفسير معاني القرآن الكريم، وفهم الأحاديث النبوية؛ مما يعزز تواصلهم مع اللغة العربية وتراثها وثقافتها.(١)

وتسهم البلاغة في تمكين متعلمي اللغة من التعبير بطريقة صحيحة فنية وجذابة؛ مما يؤدي إلى تحسين أساليبهم اللغوية وجعلها أكثر تأثيرًا ووضوحًا لدى القارئ أو المستمع؛ فهي وسيلة فعالة لتنمية مهاراتهم اللغوية بمساعدتها إياهم على اختيار الألفاظ المناسبة، وصياغة الجمل بأسلوب دقيق ومحكم.(٢)

فالبلاغةُ تنمّي مهارتي الاستقبال بتوضيحها المعاني، وتنمي مهارتي الإنتاج بعنايتها بتجويد الأسلوب وجمال النص؛ وذلك من خلال فروعها الثلاثة: علم البيان الذي يهتم بإبراز الصورة الفنية للمعنى، وعلم البديع الذي يُضيف إلى النص جمالًا وزخرفة لفظية ومعنوية من خلال المحسّنات، وعلم المعاني الذي يُعنى بدراسة الأساليب

(١) سام عمار، "اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية". (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م): ٢١٩.

(٢) محمود أحمد الناقة، "البلاغة العربية وأثرها في تنمية مهارات اللغة". (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥م): ١١٣.

اللغوية التي تُستخدم لنقل المعنى بدقة بحسب السياق.

وتندرج تحت كل فرع من فروع البلاغة مجموعة من المفاهيم يلزم تقديمها لمتعلمي اللغة وتنميتها لديهم، كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية، والجناس، والطباق، والمقابلة، والمبالغة. والأسلوب الخبري والإنشائي والقصر والاستفهام الإنكاري وغيرها؛ ليتمكّنوا من إدراك الفروق الدقيقة في المعنى، والتعبير بأساليب بليغة ومؤثرة، مما يزيد من تفاعلهم مع اللغة العربية في مستوياتها المتقدمة.(١)

ومن المعلوم أنّ متعلّمي اللغة العربية من الناطقين بلغات أخرى يمتلكون خصائص لغوية وثقافية قد تُشكّل عائقًا أمام استيعابهم للمفاهيم البلاغية؛ ويُعزى ذلك – في الغالب – إلى ضعف خلفياتهم الثقافية، ومحدودية حصيلتهم اللغوية؛ مما يؤدي إلى صعوبات في الربط بين المعاني والسياقات؛ وبناءً عليه تبرز الحاجة إلى توظيف إستراتيجيات تعليمية ملائمة تسهم في تنمية الكفاية البلاغية لديهم.

فقد يدرك العربي الصور والتراكيب البلاغية بسهولة؛ وذلك بحكم خلفيته الثقافية، في حين يواجه متعلمو العربية من غير الناطقين بها صعوبة في استيعابها؛ لافتقارهم إلى الرصيد اللغوي والإطار الثقافي الذي يشكل عائقًا أمام فهم ما تحمله اللغة من رموز ودلالات، وكذلك اختلاف طرائق التعبير بين اللغات.

وكشفت دراسة الحديبي(٢)التي سعت إلى تقويم أثر إستراتيجية تربوية حديثة في معالجة ضعف المفاهيم البلاغية عن وجود قصور في امتلاك المتعلمين للمفاهيم البلاغية

(١) حسن كاظم الموسوي، "البلاغة العربية: المفاهيم والأسس والتطبيقات". (عمّان: دار صفاء، ٢٠١٩م): ٥٦.

(٢) علي بن عبد المحسن الحديبي، "فاعلية إستراتيجيات التفكير المتشعب في تنمية المفاهيم البلاغية والاتجاه نحو البلاغة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *مجلة العربية للناطقين بغيرها بجامعة إفريقيا العالمية* ١٤، (٢٠١٢م): ٤.

عند اتباع الطرائق التقليدية، وأوصت بضرورة توظيف إستراتيجيات تدريسية تفعّل دور المتعلم، وتربط البلاغة بالمواقف التواصلية الحقيقية.

ودعت دراسة عبد الغني[١] إلى تنويع أساليب تدريس الأساليب البلاغية اللازمة لطلاب المستوى المتقدّم من الناطقين بغير العربية، كالمناقشة الجماعية، والأنشطة الإبداعية، وأشارت دراسة أحمد[٢] إلى وجود صعوبات في تدريس البلاغة للناطقين بغير العربية نتيجة لضعف التطبيقات العملية واعتماد الأسلوب التلقيني، وأوصت بتوظيف إستراتيجيات حديثة.

وأظهرت دراسة الزيادات[٣] مدى التعقيد الذي يعانيه المتعلمون في استيعاب المفاهيم البلاغية نتيجة لضعف خلفيتهم اللغوية، واعتماد أساليب تدريس تقليدية تفتقر إلى التفاعل والتطبيق، ونبّهت دراسة صدّيق[٤] إلى حاجة تدريس البلاغة للناطقين بغير العربية إلى طرائق خاصة تُبرز خصائصها الجمالية والفكرية، منتقدةً اقتصار الكتب على الطابع النظري وافتقارها للتدرج والتطبيقات العملية.

---

(١) محمد عبد الغني، "الأساليب البلاغية اللازمة لطلاب المستوى المتقدم من الناطقين بغير العربية: الواقع والمأمول". *مركز الشيخ زايد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها*، (٢٠١٣م). "استرجعت بتاريخ ١٤٤٧/٢/٢٤هـ" من موقع: https://azhar-ali.com/go/

(٢) إسماعيل حسنين أحمد، "إستراتيجيات تدريس البلاغة للناطقين بغير العربية بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا كلية التربية أنموذجًا". مجلة *التجديد بالجامعة الإسلامية العالمية* ٣٦، (٢٠١٤م): ١٧٥.

(٣) تيسير محمد الزيادات، "صعوبات تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها: جامعة شرناق تركيا أنموذجًا". *مجلة القسم العربي* ٢٣، (٢٠١٦م): ٢٠٩-٢٣٢.

(٤) عبد العزيز صدّيق، "تدريس الأساليب البلاغية لطلاب معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة: آراء ومقترحات". *مجلة القراءة والمعرفة* ١٩٩، (٢٠١٨م): ٢٣.

وتناولت دراسة أبي مصطفى[١] أبرز التحديات التي تواجه تعليم البلاغة للناطقين بغير العربية، واقترحت حلولًا تقنية وتربوية لمعالجة تلك الصعوبات، وأكدت الحاجة إلى تجديد طرائق تدريس البلاغة، ودعت دراسة عبد الحليم[٢] إلى تجاوز الطابع التجريدي في عرض المفاهيم البلاغية، وأكدت على أهمية البعد التطبيقي في تعليم البلاغة، وأظهرت دراسة شوشة وآخرين[٣] ضعف الاهتمام بالجانب التطبيقي في تدريس البلاغة، وأشارت إلى ندرة الوسائل التعليمية المصممة خصيصًا للناطقين بغير العربية.

ودعت دراسة سلام[٤] إلى استخدام طرائق تعليمية حسّية وتفاعلية ضمن بيئة تعليمية منسقة، وتنظيم منهج لتعليم البلاغة يشمل أهدافًا معرفية ومهارية وتذوّقية، وكشفت دراسة السناني[٥] عن ضعف توظيف الأساليب البلاغية في الكتابات الطلابية، وأوصت ببرامج تعليمية تراعي الممارسة الفعلية، وأوصت دراسة الباش[٦]

---

(١) أيمن أبو مصطفى، "تعليم البلاغة العربية لغير الناطقين بالعربية: مشكلات وحلول". مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية١، (٢٠٢٠م). "استرجعت بتاريخ ١٤٤٧/٢/١٩هـ" من موقع: https://madjalate-almayadine.com/

(٢)عبد الله محمد عبد الحليم، "تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها: معالم للتأليف البلاغي للناطقين بغير العربية". *مجلة العربية* ٢ ، (٢٠٢٠م):٩٠-١١٢.

(٣) حسام موسى محمد شوشة وآخرون، "البلاغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة في الإشكالات والحلول والوسائل، بعض الجامعات الماليزية أنموذجًا". *مجلة الرسالة* ٢ ، (٢٠٢١م): ١٧.

(٤) محمد محمد عبد الله سلام، "تدريس الأدب العربي للناطقين بغير العربية: رؤية تكاملية". *المجلة العلمية* ٤٢ ، (٢٠٢٣م): ١٥٥٦-١٦٢٩.

(٥) ماجد بن سالم بن جابر السناني، "مدى توظيف الأساليب البلاغية في كتابات متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *مجلة العلوم التربوية والاجتماعية* ٣٦ ، (٢٠٢٤م): ٥٥.

(٦) ولاء الباش، "توظيف الأساليب البلاغية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها". مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية١٢، (٢٠٢٤م): ٤٦.

باعتماد أساليب تدريس تفاعلية عند تقديم المفاهيم البلاغية لمتعلمي اللغة.

وبذلك تؤكد الدراسات السابقة مجتمعةً الحاجة إلى طرائق تدريس حديثة تراعي متعلمي العربية وتستجيب لحاجاتهم، وأفادت في تشخيص مشكلات تعليم الأساليب البلاغية، وتحديد متطلبات المعالجة، مثل: التدرج، والتطبيق العملي، والتفاعل، واستخدام الوسائط البصرية؛ ومن هنا اعتمد هذا البحث إستراتيجية البيت الدائري كمدخل بصري تفاعلي ينظّم المفاهيم البلاغية، ويربطها بالسياق، وييسّر فهمها وتطبيقها.

وتعرف إستراتيجية البيت الدائري بأنها أداة بصرية إبداعية تهدف إلى معالجة المعلومات بطريقة تساعد المتعلّم على بناء المعرفة بشكل مترابط ومتكامل، من خلال إعداد مخططات للأفكار والرموز يتم تنظيمها بطريقة منطقية متسلسلة، مما يُيسّر عملية حفظ المعلومات واستيعابها. (١)

وتقوم فلسفتها على رسم دائرة مركزية يُدوَّن فيها المفهوم الرئيس، تُحيط بها دائرة خارجية تُقسّم عادة إلى سبعة أقسام تقريبًا تمثّل المفاهيم الفرعية المرتبطة به. وتُنفّذ الإستراتيجية من خلال ثلاث مراحل أساسية: التخطيط لتحديد المفاهيم، ثم التصميم والرسم لتمثيل العلاقات، وأخيرًا التأمل والتحليل لربط المفاهيم وفهم بنيتها العميقة.

وتساعد هذه الإستراتيجية المتعلم على الانتقال من العام إلى الخاص، ومن الكلي إلى الجزئي، مما يرسّخ الفهم البنائي ويعزز القدرة على التفسير والتوضيح. كما تظهر في بعض التطبيقات التربوية كقالب تعليمي يربط بين الحقائق والمفاهيم بطريقة تراعي تنظيم المحتوى وتسلسله، وتسهم في تطوير مهارات التفكير التحليلي لدى المتعلمين.(٢)

---

(١) Ward, R. E., and Lee, W. D. "Understanding the Periodic Table of Elements via Iconic Mapping and Sequential Diagramming: The Roundhouse Strategy". *Science Activities 42*, (2006): 11–19.

(٢) كوثر الحراحشة، وطفا الفواعرة، "أثر إستراتيجية البيت الدائري في تحصيل المفاهيم العلمية =

ومن هذا المنطلق، سعت الدراسة الحالية إلى استكشاف أثر توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؛ من خلال تقديم برنامج تعليمي يعتمد على التمثيل البصري المنظَّم للمفاهيم، ويستند إلى مراحل معرفية وتطبيقية تُراعي الخصائص اللغوية والثقافية للمتعلمين.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث في ضعف مستوى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في استيعاب المفاهيم البلاغية، وندرة استعمالها في أحاديثهم وكتاباتهم، وهذا ما أكدته ملاحظة الباحث الميدانية أثناء تدريسه مقرر مهارات تحليل النصوص الأدبية، إضافة إلى افتقار مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى إلى استخدام إستراتيجيات حديثة لتنمية المفاهيم البلاغية.

وأظهرت نتائج دراسة الشميمري[١] فاعلية إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم الفقهية لدى الناطقين بغير العربية، من خلال التمثيل البصري المنظَّم. وانطلق هذا البحث من الفرضية ذاتها، مطبّقًا الإستراتيجية في مجال المفاهيم البلاغية؛ لما تتطلبه من أدوات تفاعلية تسهّل إدراكها واستخدامها لغويًا.

وبيّنت دراسة البدري [٢]أنّ إستراتيجية البيت الدائري تُسهم بفعالية في تنمية

=

وتنمية عمليات العلم لدى طالبات الصف الخامس الأساسي في محافظة المفرق". *مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس* ٣ ، (٢٠٢١م): ١٧٨.

(١) محمد بن عبد الله الشميمري، "أثر استخدام إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم الفقهية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *بحث ماجستير بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة*، (١٠١٨م).

(٢) أبو الدهب البدري، "توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية الفهم القرائي والاتجاه نحو تعليم القراءة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *المجلة الدولية للعلوم التربوية* =

مهارات تفسير النصوص القرائية وفهمها، وتلخيصها، وإعادة بنائها. وتكتسب هذه المهارات أهميةً خاصةً عند تدريس المفاهيم البلاغية ذات الطابع التجريدي، في ظل الحاجة لأدوات تعليمية تُيسّر فهم العلاقات المعنوية والأسلوبية، خصوصًا في سياقات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

ولمعالجة مشكلة البحث حاول الباحث الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: **ما فاعلية استخدام إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟** وتفرعت عنه الأسئلة الآتية:

١. ما المفاهيم البلاغية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟
٢. ما مكونات البرنامج القائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟
٣. ما فاعلية البرنامج القائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

أهداف البحث:

سعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تحديد المفاهيم البلاغية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
٢. إعداد برنامج قائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
٣. قياس فاعلية البرنامج القائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

=

والنفسية ٢٣ ، (٢٠١٩م): ٢٠٠.

أهمية البحث:

يمكن أن يقدّم البحث إسهامات في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، تفيد:

١. متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ حيث يمكن أن يسهم البحث الحالي في تنمية تحصيلهم للمفاهيم البلاغية وتطبيقها.

٢. معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ فهذا البحث يقدّم لهم دليلا إجرائيا لتنمية المفاهيم البلاغية لدى طلابهم باستخدام إستراتيجية البيت الدائري.

٣. مسؤولي إعداد مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ من خلال توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تعليم المفاهيم البلاغية في مناهجهم.

٤. الباحثين في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ بتمهيده لدراسات قادمة تُعنى باستخدام إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم اللغوية الأخرى.

مصطلحات البحث:

البيت الدائري:

يُعرّف البيت الدائري إجرائيًا بأنه: إستراتيجية تعلم يقوم بها طلاب المستوى الرابع في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها تركّز على رسم أشكال دائرية للمفاهيم البلاغية المتضمنة في مقرر مهارات تحليل النصوص الأدبية، ويحتوي مركز الدائرة على المفهوم البلاغي المراد تنميته، أما الأجزاء الخارجية فتمثل بقيّة مكونات ذلك المفهوم.

المفاهيم البلاغية:

تُعرّف المفاهيم البلاغية إجرائيًا بأنها التصورات العقلية والمعرفية التي يكونها

متعلمو اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى –المستوى الرابع– عن مجموعة من الصفات والخصائص المرتبطة بما يحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال والزمان والأشخاص، وتتكون من اسم ودلالة لفظية، وتقاس إجرائيًا بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في الاختبار المعد لهذا الغرض.

حدود البحث:

اقتصر البحث على الحدود التالية:

١. مجموعة من متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى –المستوى الرابع– في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٢. الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي (١٤٤٦هـ) لتطبيق تجربة البحث.
٣. المفاهيم البلاغية التي توصل إليها الباحث، وحازت نسبة اتفاق ٩٠٪ فأكثر بين آراء المحكمين.

الإطار النظري للبحث:

أولا: البلاغة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

تُعَدّ البلاغة أحد أهم أدوات التعبير والتأثير في اللغة العربية، وتمثل بُعدًا جوهريًا في تحقيق الكفاءة الاتصالية والجمالية، كما أنها تمكّن المتعلم من فهم البنية العميقة للنصوص، والتمييز بين معانيها الظاهرة والخفية، وتقدير الجانب الجمالي في التراكيب والأساليب.

وتعمل البلاغة على تنمية الملكة التعبيرية والتذوّقية لدى المتعلم، وتُعِدّه للتعامل مع النصوص الأدبية والشرعية بطريقة وظيفية، كما أنها ليست علمًا نظريًا فحسب، بل مهارة فنية تتطلب ممارسة وتطبيقًا.(١)

(١) سام عمار، "اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية". (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م): ٢١٩.

وهذا ما يجعل تدريسها للناطقين بغير العربية ضرورةً تربوية؛ لأنها تفتح أمامهم آفاقًا أوسع لفهم النصوص والتفاعل معها، وتوظيفها في مواقف تواصلية واقعية، فهي تساعد على تجاوز الفهم السطحي للنصوص نحو تأويلها وتأملها بما ينسجم مع السياقات الثقافية والدينية والاجتماعية التي تحملها.

والمفاهيم البلاغية هي تصورات ذهنية لغوية تُستخدم لفهم النصوص وتحليلها وتفسيرها بأساليب غير مباشرة. وهي تشمل على سبيل المثال لا الحصر: التشبيه، الاستعارة، الكناية، القصر، التقديم والتأخير، الطباق، والمقابلة.

ويُشير عبد المجيد[١] إلى أن البلاغة تمثّل تحديًا للمتعلمين غير الناطقين بالعربية، نظرًا لطابعها التجريدي واعتمادها على المعاني المجازية والتلميحية. بينما يراها صدّيق[٢] بوابة لفهم الحس الجمالي والثقافي للنص العربي، مشيرًا إلى أن إدراكها يحتاج إلى خلفية لغوية وثقافية مناسبة.

وتتميّز المفاهيم البلاغية بالتجريد؛ كونها لا تعتمد على المعنى المباشر فقط، بل تنتقل إلى مستويات من الرمزية، وبالسياقية؛ فيتغير تفسيرها بحسب النص والبيئة الثقافية، وبالترابطية؛ فتتداخل فيما بينها في تحليل النصوص، وهذا ما يجعلها صعبة التناول بالطرق التقليدية، لا سيما في بيئة تعليمية موجهة لغير الناطقين بالعربية.[٣]

وتتوزّع المفاهيم البلاغية على فروع البلاغة العربية الثلاثة، وهي: علم البيان الذي

(١) نبيل عبد المجيد، "تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها: رؤى معاصرة". مجلة دراسات لغوية ٢، (٢٠١٥م): ٢.

(٢) صدّيق، "تدريس الأساليب البلاغية لطلاب معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية: آراء ومقترحات": ٥٣.

(٣) أبو مصطفى، "تعليم البلاغة العربية لغير الناطقين بالعربية: مشكلات وحلول"، موقع مجلة الميادين.

يركّز على إبراز الصورة الفنية في التعبير عن المعنى، ويشمل: التشبيه: وهو الربط بين شيئين باستخدام أداة أو بدونها. والاستعارة: وهي استخدام اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة مع قرينة. والكناية: وهي التعبير عن المعنى بلفظ غير مباشر. وهذه المفاهيم تتطلب تمثيلًا بصريًا واضحًا لشرحها، خاصة مع طلاب ليست العربية لغتهم الأم.

والفرع الثاني هو علم المعاني الذي يتناول تطويع الأسلوب ليناسب السياق، ومن أهم مفاهيمه: الأسلوب الخبري والإنشائي. القصر، التقديم والتأخير. ومراعاة مقتضى الحال. وهو يرتبط مباشرة بالبعد التداولي، مما يُسهّل تدريسه عبر مواقف حوارية وتمثيلية. ثم يأتي علم البديع الذي يعنى بتحسين الكلام من الناحية اللفظية أو المعنوية، ومن أبرز مفاهيمه: الطباق، المقابلة، الجناس. حسن التعليل، المبالغة.(١)

ثانيًا: التحديات التعليمية في تدريس البلاغة للناطقين بغيرها:

يواجه تدريس البلاغة للناطقين بغير العربية مجموعة من التحديات التعليمية، من بينها الطابع المجرد للمفاهيم؛ فصعوبة إدراك المعنى المجازي والاستعارات المعنوية تجعل المتعلم يحتاج إلى مرجع ثقافي يفسر له الرموز البلاغية. وكذلك ضعف الوسائط التعليمية؛ فأغلب الكتب والمقررات تقدم المفاهيم البلاغية بأسلوب جاف يعتمد على التلقين، دون دعم بصري أو أنشطة تفاعلية.(٢)

ويعد غياب البُعد الثقافي من أبرز تحديات تدريس البلاغة للناطقين بغير العربية؛ ففهم بلاغة اللغة العربية يتطلب التعرف على الرموز القرآنية والأدبية والثقافية،

(١) حسن كاظم الموسوي، "البلاغة العربية: المفاهيم والأسس والتطبيقات". (عمّان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م): ٥٦.

(٢) عبد الله بن أحمد العطاس، "دراسة البلاغة العربية في ضوء النص الأدبي للناطقين بغير العربية". *مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها* ٢٦، (٢٠٠٣م): ص٧٨٦.

وهو أمر يحتاج إلى إستراتيجية تعليمية تراعي الخصوصية الثقافية للمتعلم، ومحدودية الخلفية اللغوية؛ فقلة المفردات وسوء الفهم التركيبي تؤدي إلى عدم استيعاب العلاقة بين التركيب البلاغي والمعنى المستهدف.

ثالثا: توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية:

يُعرف البيت الدائري بأنه إستراتيجية تعليمية تعتمد على تمثيل المفاهيم داخل دائرة مركزية بحيث يُوضَع المفهوم الرئيس في وسط الدائرة وتُوزّع المفاهيم المرتبطة به أو أمثلته في القطاعات حوله، وهي مشتقة من نموذج (Wandersee) الذي يدعو إلى تنظيم المفاهيم في شكل بصري يُسهّل استيعابها.(١)

وتستند إستراتيجية البيت الدائري إلى عدد من الأسس النظرية، من أبرزها نظرية الترميز المزدوج التي تؤكد أن الدمج بين الصورة والكلمة يُعزز الفهم، ونظرية الحمل المعرفي التي ترى أن التنظيم البصري يقلل العبء الذهني عند معالجة المعلومات المجردة، والنظرية البنائية التي تذهب إلى أن المتعلم يبني المفهوم بنفسه عبر التفاعل وربط المعلومات بخبراته السابقة.(٢)

وترتكز الإستراتيجية على مجموعة من المبادئ التربوية، من أبرزها: المبدأ البصري الرمزي، الذي يقوم على تمثيل المفاهيم في صورة مخطط يوضح العلاقات بينها بشكل ملموس، ومبدأ البناء الذاتي للمعرفة، حيث يشارك المتعلم بفاعلية في تكوين خريطة المفهوم بنفسه. كما تقوم على مبدأ التسلسل المنطقي الذي يقتضي ترتيب المعلومات بطريقة دائرية متتابعة تربط بين السابق واللاحق، ومبدأ التكامل المعرفي القائم على

(1) Wandersee, J. H. "The Vee map and the roundhouse diagram: Heuristic tools for learning science". *Journal of College Science Teaching, 24(1)*, (1994): 38–42.

(2) Paivio, A., Imagery and Verbal Processes. (New York: Holt, Rinehart & Winston, 1971)؛ Sweller, J., "Cognitive Load during Problem Solving: Effects on Learning." Cognitive Science 12, no. 2 (1988): 257–285؛ Vygotsky, L. S., Mind in Society: The Development of Higher Psychological Processes. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1978).

الانتقال من الكلي إلى الجزئي ومن العام إلى الخاص مع ربط المفاهيم بخبرات المتعلم، وأخيرًا مبدأ التعدد الوسائطي الذي يجمع بين النصوص والرسوم والأشكال والعلاقات البصرية، مما يعزز عمق الفهم.(١)

وتتميّز إستراتيجية البيت الدائري بعدد من المزايا التعليمية، من أبرزها: تبسيط المفاهيم البلاغية المجردة مثل: الاستعارة والمجاز وجعلها أكثر وضوحًا وقربًا للفهم، وتنمية مهارات التحليل والتذوق من خلال إبراز العلاقات بين المفاهيم وتنظيمها في شكل بصري، وكذلك تحفيز المتعلم بالاعتماد على النشاط البصري وتعدد الأنماط الإدراكية، إلى جانب تعزيز التعلم التعاوني عبر بناء المخطط بشكل جماعي بين المتعلمين، وتشير الدراسات التطبيقية إلى أن استخدام الوسائط البصرية في التعليم يُسهم في رفع مستوى التحصيل الأكاديمي ويزيد من التفاعل داخل الصف.(٢)

وتجسد إستراتيجية البيت الدائري العلاقات بين المفاهيم البلاغية وتربطها بسياقاتها القرآنية والأدبية، مما يعزز الفهم البصري والثقافي، ويحوّل الطابع التجريدي للبلاغة إلى خبرة عملية قابلة للتطبيق، وبذلك تحقق التوازن بين الجانب النظري والمهاري في تعليم البلاغة للناطقين بغير العربية.

(1) Ward, R. E., and Lee, W. D., "Understanding the Periodic Table of Elements via Iconic Mapping and Sequential Diagramming: The Roundhouse Strategy." Science Activities 42, no. 4 (2006): 11–19؛ Ward, R., and Wandersee, J. H., "Students' Perceptions of Roundhouse Diagramming: A Middle School Viewpoint." International Journal of Science Education 24, no. 2 (2002): 205–225.

(٢) البدري، "توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية الفهم القرائي والاتجاه نحو تعليم القراءة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى": ١٧٨.

إجراءات البحث وأدواته:

منهج البحث:

أُستخدم المنهج التجريبي ذو التصميم شبه التجريبي القائم على المجموعة الواحدة؛ للتحقق من فاعلية البرنامج القائم على إستراتيجية البيت الدائري (المتغير المستقل) في تنمية المفاهيم البلاغية (المتغير التابع) من خلال مقارنة نتائج مجموعة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار تحصيل المفاهيم البلاغية.

مجتمع البحث:

تمثل مجتمع البحث في جميع طلاب المستوى الرابع في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي (١٤٤٦هـ) والبالغ عددهم (٢٣٠) طالبًا.

عينة البحث:

بلغت عينة البحث (٢٨) طالبًا، أُختيرت بطريقة قصدية من الفصول التي درّسها الباحث، وهي شعبة (٥٥٤١).

أدوات البحث:

تمت إجراءات البحث وفق الخطوات الآتية:

أولا: إعداد قائمة المفاهيم البلاغية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى:

للإجابة عن السؤال الأول من أسئلة البحث ونصه: ما المفاهيم البلاغية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟ أعدّ الباحث قائمة بالمفاهيم البلاغية التي تناسب طلاب المستوى الرابع وفقًا للخطوات التالية:

(أ) الهدف من القائمة:

هدف إعداد هذه القائمة إلى تحديد المفاهيم البلاغية اللازمة لطلاب المستوى الرابع؛ بحيث يُستنَد عليها في إعداد اختبار يقيس مدى استيعابهم لهذه المفاهيم، إلى جانب تنميتها لديهم من خلال توظيف إستراتيجية البيت الدائري.

(ب) مصادر بناء القائمة:

استُمدّت هذه القائمة من الأدبيات والبحوث السابقة في مجال تعليم المفاهيم البلاغية لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها، مثل: دراسة الحديبي (٢٠١٢)، ودراسة السناني (٢٠٢٤)، إضافة إلى المفاهيم البلاغية المضمّنة في مقرر مهارات تحليل النصوص (المستوى الرابع).

(ت) الصورة المبدئية للقائمة:

تكوّنت قائمة المفاهيم البلاغية في صورتها المبدئية من اثني عشر مفهومًا بلاغيًا، هي: التشبيه، الاستعارة، المجاز المرسل، الكناية، القصر، الطباق، المقابلة، المبالغة، ذكر العام بعد الخاص، الاستفهام الإنكاري، الأسلوب الخبري، والأسلوب الإنشائي.

(ث) صدق القائمتين:

للتأكد من صدق القائمة والحكم على مناسبة هذه المفاهيم لطلاب المستوى الرابع، أعدّ الباحثُ استبانة، ثم عرضها على سبعة من المحكمين المختصين في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

ولضبط القائمة إحصائيًا حُسبت التكرارات والنسب المئوية للاتّفاق بين الآراء على درجة مناسبة المفاهيم البلاغية المتضمنة، وتراوحت قيم الوزن النسبي لمناسبة هذه المفاهيم بين (٩٠,٠٠ ٪ – ١٠٠,٠٠ ٪)، وحُدِّدَت نسبة اتفاق ٩٠٪ فأكثر لقبول هذه المفاهيم، وبالتالي لم يُحذف أي مفهوم من القائمة.

(ج) الصورة النهائية للقائمة:

اقتصرَت ملاحظات المحكّمين على إعادة توزيع المفاهيم البلاغية وفق علوم البلاغة الثلاثة، فتوصّل الباحث إلى الصورة النهائية لقائمة المفاهيم البلاغية المعدّة لطلبة المستوى الرابع، وبذلك أجاب عن السؤال الأول من أسئلة البحث. واشتملت القائمة النهائية على (١٢) مفهومًا بلاغيًا، موزعة توزيعًا منهجيًا على علوم البلاغة الثلاثة: البيان، والمعاني، والبديع، كما في الجدول (١).

جدول (١)

نسب اتفاق المحكمين على مناسبة المفاهيم البلاغية المضمنة في القائمة قائمة المفاهيم البلاغية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

م	المحور الذي ينتمي إليه المفهوم	المفهوم	نسبة مناسبته للطلاب
١	علم البيان	التشبيه	١٠٠٪
٢		المجاز المرسل	١٠٠٪
٣		الاستعارة	١٠٠٪
٤		الكناية	١٠٠٪
٥		الأسلوب الخبري	١٠٠٪
٦		الأسلوب الإنشائي	١٠٠٪

٧	علم المعاني	القصر	٪٩٠
٨		الاستفهام الإنكاري	٪١٠٠
٩		ذكر العام بعد الخاص	٪٩٠
١٠	علم البديع	الطباق	٪١٠٠
١١		المقابلة	٪١٠٠
١٢		المبالغة	٪١٠٠

ثانيا: البرنامج القائم على توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى:

للإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة البحث والذي نصه: ما مكونات البرنامج القائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟ قام الباحث ببناء برنامج تعليمي قائم على توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تعليم المفاهيم البلاغية لطلاب المستوى الرابع، وتكوّن البرنامج من جزأين رئيسين :كتاب الطالب، ودليل المعلم، وقد تم إعداد هذا البرنامج وفقًا للمراحل التالية:

١.مرحلة الإعداد لبناء البرنامج: وتمثلت هذه المرحلة في الاطلاع على البحوث

والدراسات العلمية التي استهدفت تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وأهمها: دراسة عبد الغني، ودراسة أحمد، ودراسة الزيادات، ودراسة الحديبي، ودراسة صدّيق، ودراسة أبو مصطفى، ودراسة عبد الحليم، ودراسة شوشة وآخرين، ودراسة سلام، ودراسة السناني، ودراسة الباش. كما تمت مراجعة الأدبيات ذات الصلة بتوظيف إستراتيجية البيت الدائري في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ لتعرّف فلسفتها، ومبادئها، وآلية عملها، وكيفية توظيفها، وأهمها: دراسة الشميمري، ودراسة البدري.

٢. **مرحلة بناء البرنامج:** مر بناء برنامج تنمية المفاهيم البلاغية من خلال توظيف إستراتيجية البيت الدائري بالخطوات الآتية:

(١) **تحديد أهداف البرنامج:** وتتمثل الأهداف العامة لهذا البرنامج في تنمية المفاهيم البلاغية لدى طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) **اختيار وتنظيم محتوى البرنامج:** قام الباحث بإعداد اثني عشر موضوعا مستمدًّا من كتاب مهارات تحليل النصوص الأدبية المقرر على طلاب المستوى الرابع في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بما يتناسب مع إستراتيجية البيت الدائري، بحيث يُمثّل كلُّ موضوعٍ مفهومًا من المفاهيم البلاغية، ونظّم المحتوى في اثني عشر لقاءً زمن كل لقاء ساعة واحدة، على أن يتم تدريسه بمعدل أربعة لقاءات أسبوعيًّا.

(٣) **ضبط البرنامج:** بعد الانتهاء من إعداد البرنامج عُرِض على محكمين متخصصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ بهدف التأكد من مدى مناسبة إستراتيجية التدريس المقترحة وأوراق العمل ومصادر التعليم

والتعلم وأساليب التقويم لعينة الدراسة، ومدى مناسبة البرنامج لتنمية المفاهيم البلاغية لدى عينة البحث وفقًا لإستراتيجية البيت الدائري.

وبعد إجراء ما أشار إليه المحكمون من تعديلات أصبح البرنامج في صورته النهائية صالحا للتطبيق، وبهذا يكون الباحث قد أجاب عن السؤال الثاني من أسئلة البحث. وتتكون الصورة النهائية للبرنامج من كتاب للطالب ودليل للمعلم في تنمية المفاهيم البلاغية باستخدام إستراتيجية البيت الدائري. وفيما يلي توضيح ذلك:

– **كتاب الطالب**: وهو كتاب معد بهدف تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الرابع، يستخدمه الطلاب تحت إشراف المعلم وتوجيهه بصورة جماعية عند ممارسة أوراق العمل، أو بصورة فردية عند الإجابة عن أسئلة التقويم المتضمنة.

وتضمن هذا الكتاب تعريفًا للبلاغة وعلومها، وتعريفا للبيت الدائري وشكله مع نماذج تطبيقية خاصة به، ثم الأهداف العامة فالإجرائية، ثم المحتوى المستخدم في لقاءات البرنامج، ويتكون كل لقاء من هذه اللقاءات من عنوان الدرس، ونواتج التعلم، ونماذج من المفهوم البلاغي في القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم أنشطة البيت الدائري في صورة مجموعة من أوراق العمل المختلفة، ثم التقويم للوقوف على مدى تحقق نواتج التعلم.

– **دليل المعلم**: وقد أُعدّ لتدريس المفاهيم البلاغية المتضمنة بكتاب الطالب باستخدام إستراتيجية البيت الدائري بهدف توجيه المعلم إلى تنمية هذه المفاهيم لدى المتعلمين، وتضمن الدليل ما يلي:

(١) **مقدمة**: توضح للمعلم فكرة الدراسة وأهمية دوره في تصميم دروس تعليم المفاهيم البلاغية لتلبية اهتمامات كل طالب واحتياجاته ونقاط قوته، والإجراءات المطلوبة لمراعاة التباين بين المتعلمين، والأهداف العامة والإجرائية

لبرنامج الدراسة، وخلفية نظرية عن المفاهيم البلاغية في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وكيفية استخدام إستراتيجية البيت الدائري في تنميتها.

(٢) **خطوات السير في كتاب الطالب:** وتضمن هذا الجزء عنوان الدرس، ونواتج التعلم، والمفاهيم البلاغية، وطريقة السير في أنشطة اللقاء بدءا من التهيئة والتمهيد، مرورا بأوراق عمل إستراتيجية البيت الدائري، ثم التقويم الختامي لموضوع الدرس، وطريقة غلق موضوع الدرس بصورة منطقية.

ثالثا: اختبار تحصيل المفاهيم البلاغية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى:

للإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة البحث والذي نصه: ما فاعلية البرنامج القائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟ قام الباحث ببناء اختبار تحصيل المفاهيم البلاغية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

١. **الهدف من الاختبار:** استهدف الاختبار قياس مدى تمكن طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المفاهيم البلاغية التي تم التوصل إليها.

٢. **مكونات الاختبار:** تكون اختبار المفاهيم البلاغية من (٢٤) مفردة من أسئلة الاختيار من متعدد تغطي كل مفهوم من المفاهيم البلاغية المدروسة بسؤالين أحدهما تعريفي والآخر تطبيقي، ووُضِعَت لكل سؤال أربعة بدائل للإجابة، وحُدِّدَت درجة واحدة لكل مفردة، وبالتالي كانت النتيجة الأعلى للاختبار (٢٤) درجة.

٣. **تعليمات الاختبار:** سُبِقَت الأسئلة بتعليمات الاختبار مصاغة بصياغة ملائمة للمتعلمين ومستواهم اللغوي، وموضحة لهدف الاختبار ومكوناته،

وطريقة الإجابة عن أسئلته في ورقة الإجابة المعدة لذلك.

٤. **التحقق من صدق الاختبار:** عُرض الاختبار في صورته المبدئية على مجموعة من متخصصي تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ لمعرفة آرائهم في وضوح تعليماته، وقياسه للهدف الذي وضع من أجله، ومناسبة مفرداته لعينة البحث، وبعد إجراء بعض التعديلات المقترحة من المحكمين أصبح الاختبار صادقًا ظاهريًا في قياس تحصيل المفاهيم البلاغية لدى عينة البحث.

٥. **حساب ثبات الاختبار:** حُسب معامل ثبات الاختبار عن طريق إعادة تطبيقه (Test- Retest)، فطُبق استطلاعيًا على (٢٥) طالبًا من طلاب المستوى الرابع من غير عينة البحث، ثم أعيد تطبيقه بعد أسبوع على نفس الطلاب، وبلغ معامل الارتباط بين مرتي تطبيقه: (.٨٧) وهو معامل ثبات مرتفع ودال إحصائيًا.

وللتحقق من صدق الاتساق الداخلي للاختبار حُسب معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل مفردة والدرجة الكلية للاختبار، وأوضحت النتائج أن قيمة (ر) للارتباط بين درجات المفردات والدرجة الكلية للاختبار الأول تتراوح بين (.٤٦) و (.٦٨) وكلها قيم دالة عند مستوى (٠,٠٥) و(٠,٠١)، ممَّا يدل على أن المفردات تقيس ما تقيسه الدرجة الكلية، وبالتالي هناك اتساق داخلي يُعدُّ مؤشرًا جيدًا لصدق الاختبار.(١)

وتراوحت قيم معاملات الصعوبة والسهولة لمفردات الاختبار بين (.٢٥) و (.٨٣) وكلها مقبولة، كما تراوحت قيم معاملات التمييز للمفردات بين (.٢٩) و(.٧٨) وهي قيم تقع في المدى المقبول لمعاملات تمييز مفردات

(١) Robinson, J. P., Shaver, P. R., and Wrightsman, L. S. *Measures of Personality and Social Psychological Attitudes*. (San Diego, CA: Academic Press, 1991).

الاختبار.[١]

٦. **تحديد زمن الاختبار**: حُدّد زمن الاختبار عن طريق حساب متوسط الزمن الذي استغرقه أول طالب وآخر طالب في الإجابة عن أسئلة الاختبار؛ حيث كان زمن الطالب الأول (٣٣) دقيقة، وزمن الطالب الثاني (٥٠) دقيقة؛ وبالتالي يكون زمن الاختبار (٤٥) دقيقة بعد إضافة (٣) دقائق ونصف لكتابة الاسم وقراءة التعليمات.

وبعد التأكد من صدق الاختبار وحساب ثباته وزمن تطبيقه أصبح -في صورته النهائية- صالحًا للتطبيق على العينة الأساسية للبحث.

رابعًا: إجراءات التطبيق الميداني لتجربة البحث:

تم تنفيذ تجربة البحث وفقا للخطوات الآتية:

١. اختيار عينة الدارسة وهم طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، شعبة (٥٥٤١) التي درّسها الباحث مقرر مهارات تحليل النصوص الأدبية، وبلغ عددهم (٢٨) طالبًا.

٢. تطبيق اختبار تحصيل المفاهيم البلاغية قبليًا يوم الأربعاء ١١ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ على مجموعة الدراسة.

٣. تنفيذ تجربة الدراسة حيث قام الباحث بتدريس لقاءات البرنامج لمجموعة الدراسة خلال الفصل الأول للعام الجامعي ١٤٤٦هـ، وذلك في الفترة من الأحد ١٥ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ حتى الثلاثاء ١ جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ، بمعدل أربعة لقاءات كل أسبوع، زمن كل لقاء ساعة.

٤. تطبيق اختبار تحصيل المفاهيم البلاغية بعديًا يوم الأربعاء ٢ جمادى الآخرة

---

(١) فاروق السيد عثمان، وعبد الهادي السيد عبده، "*الإحصاء التربوي والقياس النفسي*". (ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥م):٢٥١.

١٤٤٦هـ على مجموعة الدراسة.

٥. تحليل البيانات، واستخلاص النتائج، وتفسيرها.

خامسًا: الأساليب الإحصائية المستخدمة:

تم التحقق من شرط اعتدالية توزيع الدرجات باستخدام اختبار كولموجروف–سميرنوف (Kolmogorov– Smirnov Test) وذلك تمهيدًا لحساب الفروق بين متوسطي درجات عينة البحث في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية. وقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التوزيع الاعتدالي وتوزيع درجات المتعلمين في محور المعاني، بينما وُجدت فروق دالة في كلٍّ من محور البيان ومحور البديع والمحور الكلي والدرجة الكلية للاختبار، مما يشير إلى عدم اعتدالية التوزيع في هذه المحاور.

وبناءً على ذلك، تم استخدام اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon Test) لحساب الفروق في المحاور التي لم يتحقق فيها شرط الاعتدالية، في حين استُخدم اختبار (ت) للعينات المرتبطة (Paired Samples t-Test) في محور المعاني الذي تحقق فيه شرط الاعتدالية، كما هو موضح في جدول (٢).

جدول (٢)

دلالة الفرق بين توزيع الدرجات، والتوزيع الاعتدالي لعينة البحث (ن= ٢٨ طالبا) في القياسين القبلي والبعدي للاختبار التحصيلي للمفاهيم البلاغية

البيانات / المستوى المعرفي	القياس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيم Z المحسوبة	مستوى الدلالة
البيان	قبلي	٤,٣٥	١,٦١	٠,١٣١	٠,٢
	بعدي	٦,٢١	١,٢٨	٠,١٩٤	٠,٠٠٩
المعاني	قبلي	٣,٦٨	١,٨٨	٠,١٤	٠,١٨
	بعدي	٧,١	١,٩١	٠,١٣	٠,٢
البديع	قبلي	١,٧٥	٠,٩٣	٠,٢٤٩	٠,٠٠ *
	بعدي	٤,٨٢	١,٤١	٠,٢٦٤	٠,٠٠ *
الكلي	قبلي	٩,٧٨	٢,٨٢	٠,٢٤	٠,٠٠
	بعدي	١٨,١٤	٣,٦٩	٠,١	٠,٢

١. اختبار صحة الفرض الأول:

للتحقق من صحة الفرض الأول من فروض البحث والذي ينص على أنه: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطات درجات مجموعة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي في المفاهيم البلاغية (البيان) لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى" ونظرا لعدم تحقق شرط اعتدالية التوزيع تم استخدم اختبار ويلكوكسون لحساب دلالة هذا الفرق، وذلك كما هو موضح في جدول (٣).

جدول (٣)

دلالة الفرق بين متوسطي درجات عينة البحث (ن= ٢٨ طالبًا)

في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية (محور البيان)

اختبار المفاهيم البلاغية	الرتب	ن	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة Z	مستوى الدلالة	قيمة r	حجم التأثير
البيان	السالبة	٢١	١٣,٧٦	٢٨٩	٣,٤٣	دالة عند ٠,٠٠١	٠,٦٥	كبير
	الموجبة	٤	٩	٣٦				
	المتساوية	٣	–	–				
	المجموع	٢٨	–	–				

يتضح وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) في محور البيان لاختبار المفاهيم البلاغية؛ حيث كان متوسط درجات المتعلمين في القياس القبلي (٤,٣٥) وبانحراف معياري مقداره (١,٦١)، في حين كان في القياس البعدي (٦,٢١) وبانحراف معياري مقداره (١,٢٨). ومن ذلك يتبين أن الفرق بين متوسطي درجات عينة البحث في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية في محور البيان دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠١) لصالح القياس البعدي، ويرجع هذا الفارق إلى المعاملة التجريبية المتمثلة في البرنامج التدريبي القائم على إستراتيجية البيت الدائري، والذي أسهم في تنمية المفاهيم البلاغية لدى أفراد مجموعة الدراسة.

ولحساب حجم التأثير تم استخدام قيمة (ر) وفق المعادلة :قيمة ÷ (Z) الجذر التربيعي لعدد العينة، حيث بلغت القيمة (٠,٦٥)، وهي تمثل حجم تأثير كبير بحسب

مقياس كوهين. وهذا يعكس قوة تأثير المعاملة التجريبية. وبناءً على ذلك، يُرفض الفرض الصفري القائل بعدم وجود فرق دال إحصائيًا بين متوسطي درجات متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها (عينة البحث) في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية في محور البيان، ويُقبل الفرض البديل.

٢. اختبار صحة الفرض الثاني:

للتحقق من صحة الفرض الثاني من فروض البحث، والذي ينص على" :لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات مجموعة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية (محور المعاني) لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، وبالنظر إلى تحقق شرط اعتدالية التوزيع، فقد تم استخدام اختبار (ت) للعينات المرتبطة (Paired Samples t-Test) لحساب دلالة هذا الفرق، كما هو موضح في جدول (٤).

جدول (٤)

دلالة الفرق بين متوسطي درجات عينة البحث (ن= ٢٨ طالبًا)

في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية (محور المعاني)

المحور	القياس	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى دلالة ت	قيمة d
المعاني	قبلي	٣,٦٨	١,٨٨	٨,٣٧	٠,٠٠	١,٥
	بعدى	٧,١	١,٩١			

يتضح من الجدول السابق وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) في محور المعاني لاختبار المفاهيم البلاغية؛ حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة (٨,٣٧). وكان متوسط درجات المتعلمين في القياس القبلي (٣,٦٨) بانحراف معياري (١,٨٨)، في حين بلغ في القياس البعدي (٧,١٠) بانحراف معياري (١,٩١). ومن ثم يتبين أن الفرق بين متوسطي درجات عينة البحث في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية في محور المعاني دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠١) لصالح القياس البعدي. ويُعزى هذا الفارق إلى المعاملة التجريبية المتمثلة في البرنامج التدريبي القائم على إستراتيجية البيت الدائري، والذي أسهم في تنمية المفاهيم البلاغية لدى مجموعة البحث.

ولحساب حجم التأثير تم حساب قيمة (d) لكوهين باستخدام المعادلة : قيمة (t) ÷ الجذر التربيعي لعدد العينة، حيث بلغت القيمة (١,٥)، وهي أكبر من (٠,٨) مما يشير إلى حجم تأثير كبير وفقًا لمقياس كوهين. وهذا يدل على قوة تأثير المعاملة التجريبية. وبناءً على ذلك، يُرفض الفرض الصفري القائل بعدم وجود فرق دال إحصائيًا بين متوسطي درجات متعلمي اللغة العربية الناطقين

بغيرها (عينة البحث) في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية في محور المعاني، ويُقبل الفرض البديل.

٣. اختبار صحة الفرض الثالث:

للتحقق من صحة الفرض الثالث من فروض البحث، والذي ينص على: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطات درجات مجموعة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية (محور البديع) لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، ونظرًا لعدم تحقق شرط اعتدالية التوزيع، فقد تم استخدام اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon Signed-Rank Test) لحساب دلالة هذا الفرق، وذلك كما هو موضح في جدول (٥).

جدول (٥)

دلالة الفرق بين متوسطي درجات عينة البحث (ن= ٢٨ طالبًا)

في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية (محور البديع)

اختبار المفاهيم البلاغية	الرتب	ن	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة Z	مستوى الدلالة	قيمة r	حجم التأثير
البديع	السالبة	٢٥	١٣	٣٢٥	٤,٤٢	دالة عند ٠,٠٠١	٠,٨٣	كبير
	الموجبة	٠	٠	٠				
	المتساوية	٣	–	–				
	المجموع	٢٨	–	–				

من الجدول السابق يتضح وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) في محور البديع لاختبار المفاهيم البلاغية؛ حيث بلغت قيمة الاختبار (٤,٤٢). وكان متوسط درجات المتعلمين في القياس القبلي (١,٧٥) بانحراف معياري (٠,٩٣)، في حين بلغ في القياس البعدي (٤,٨٢) بانحراف معياري (١,٤١). ومن ذلك يتبين أن الفرق بين متوسطي درجات عينة البحث في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية في محور البديع دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠١) لصالح القياس البعدي، ويُعزى هذا الفارق إلى المعاملة التجريبية المتمثلة في البرنامج التدريبي القائم على إستراتيجية البيت الدائري، والذي أسهم في تنمية المفاهيم البلاغية لدى مجموعة البحث.

ولحساب حجم التأثير تم استخدام قيمة (ر) وفق المعادلة :قيمة ÷ (Z) الجذر التربيعي لعدد العينة، حيث بلغت القيمة (٠,٨٣)، وهي تمثل حجم تأثير كبير بحسب

مقياس كوهين، مما يدل على قوة تأثير المعاملة التجريبية. وبناءً على ذلك، يُرفض الفرض الصفري القائل بعدم وجود فرق دال إحصائيًا بين متوسطي درجات متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها (عينة البحث) في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية في محور البديع، ويُقبل الفرض البديل.

٤. اختبار صحة الفرض الرابع:

تحقق شرط اعتدالية التوزيع، فقد تم استخدام اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon Signed-Rank Test) لحساب دلالة هذا الفرق، وذلك كما هو موضح في جدول (٦).

جدول (٦)

دلالة الفرق بين متوسطي درجات عينة البحث (ن= ٢٨ طالبًا) في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية

اختبار المفاهيم البلاغية	الرتب	ن	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة Z	مستوى الدلالة	قيمة r	حجم التأثير
المفاهيم البلاغية	السالبة	٢٨	١٤,٥	٤٠٦	٤,٦٢	دالة عند ٠,٠٠١	٠,٨٧	كبير
	الموجبة	٠	٠	٠				
	المتساوية	٠	–	–				
	المجموع	٢٨	–	–				

من الجدول السابق يتضح وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) في الدرجة الكلية لاختبار المفاهيم البلاغية؛ حيث بلغت قيمة الاختبار (٤,٦٢). وكان متوسط درجات المتعلمين في القياس القبلي (٩,٧٨) بانحراف معياري (٢,٨٢)،

في حين بلغ في القياس البعدي (١٨,١٤) بانحراف معياري (٣,٦٩). ومن ثم يتبين أن الفرق بين متوسطي درجات عينة البحث في القياسين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم البلاغية دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠١) لصالح القياس البعدي، ويُعزى هذا الفارق إلى المعاملة التجريبية المتمثلة في البرنامج التدريبي القائم على إستراتيجية البيت الدائري، والذي أسهم في تنمية المفاهيم البلاغية لدى مجموعة البحث.

لحساب حجم هذا التأثير تم استخدام قيمة (ر) وفق المعادلة :قيمة ÷ (Z) الجذر التربيعي لعدد العينة، حيث بلغت القيمة (٠,٨٧)، وهي تمثل حجم تأثير كبير وفقًا لمقياس كوهين، مما يدل على قوة تأثير المعاملة التجريبية. وبناءً على ذلك، يُرفض الفرض الصفري القائل بعدم وجود فرق دال إحصائيًا بين متوسطي درجات متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها (عينة البحث) في القياسين القبلي والبعدي للدرجة الكلية لاختبار المفاهيم البلاغية، ويُقبل الفرض البديل.

نتائج البحث ومناقشتها:

توصّل البحث إلى قائمة تتكون من اثني عشر مفهومًا بلاغيًّا يتضمنها مقرر "مهارات تحليل النصوص الأدبية" هي: التشبيه، الاستعارة، المجاز المرسل، الكناية، القصر، الطباق، المقابلة، المبالغة، ذكر العام بعد الخاص، الاستفهام الإنكاري، الأسلوب الخبري، الأسلوب الإنشائي.

وتمثّل هذه المفاهيم علوم البلاغة الثلاثة، على النحو التالي: علم البيان ويشمل (التشبيه، المجاز المرسل، الاستعارة، الكناية)، علم المعاني ويشمل (الأسلوب الخبري، الأسلوب الإنشائي، القصر، الاستفهام الإنكاري، ذكر العام بعد الخاص)، علم البديع ويشمل (الطباق، المقابلة، المبالغة).

ودلّت نتائج البحث على فاعلية البرنامج القائم على إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في

المستوى المتقدم بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

كما اتضح أن توظيف هذه الإستراتيجية في تعليم المفاهيم البلاغية أسهم في تبسيطها وإزالة ما يكتنفها من غموض، الأمر الذي مكّن المتعلمين من استيعابها وتثبيتها في أذهانهم. وقد انعكس ذلك إيجابًا على قدرتهم في توظيف هذه المفاهيم أثناء التعلم، فضلًا عن زيادة دافعيتهم ورغبتهم في دراستها؛ استمتاعًا باستخدامها في ممارساتهم اللغوية وأحاديثهم.

إضافة إلى ما سبق، فسّرت مجموعة من الأسباب التقدّم الملحوظ في تحصيل المفاهيم البلاغية لدى عينة البحث نتيجة استخدام إستراتيجية البيت الدائري، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١. جِدّة الإستراتيجية في برنامج الإعداد اللغوي بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية؛ إذ كان لها دور بارز في تحفيز المتعلمين على ممارسة الأنشطة بفاعلية، مما أدى إلى فهم أعمق للمفاهيم البلاغية وتوظيف أوراق العمل الخاصة بالبرنامج بنجاح.
٢. اعتماد الإستراتيجية على الصور والأشكال والرموز لتبسيط المفاهيم وتقريبها إلى أذهان المتعلمين؛ الأمر الذي شجعهم على دراسة كل مفهوم وفكّ غموضه وتحديد دلالته بدقة.
٣. تركيز الإستراتيجية على الأساسيات المعرفية لكل مفهوم، وتقسيمه إلى عناصر توضّح خصائصه؛ مما ساعد المتعلمين على الفهم والتطبيق بسهولة ويسر.
٤. تغيير التصوّر السلبي السابق لدى المتعلمين بأن المفاهيم البلاغية مجردة ومتقاربة، إلى تصور إيجابي يوضح أنها مفاهيم مميزة يسهل فهمها والتمييز بينها.
٥. العمل في مجموعات تعاونية ضمن أنشطة البرنامج؛ وهو ما بث روح التنافس بينهم وزاد من حرصهم على تعلم المفاهيم البلاغية وإتقانها.
٦. تهيئة بيئة تعليمية محفّزة من خلال توظيف الإستراتيجية، الأمر الذي عزز

دافعيتهم واتجاهاتهم نحو تعلّم المفاهيم البلاغية.

٧. إكساب المتعلمين الثقة بقدراتهم عبر إدراكهم لما يتعلمونه من مفاهيم بلاغية، وزيادة قدرتهم على إتقانها وتطبيقها.

٨. تعميق رؤيتهم للمفاهيم البلاغية من خلال الأنشطة التطبيقية، مما مكنهم من توظيفها في أحاديثهم وكتاباتهم داخل الصف.

٩. استمتاعهم بالبلاغة بعد إدراك العلاقة بين المفاهيم والموضوعات البلاغية، الأمر الذي ولّد لديهم شغفًا لاكتساب المزيد منها.

١٠. ارتباط محتوى البرنامج بحاجاتهم اللغوية واهتماماتهم، وهو ما زاد من إقبالهم على التفاعل مع أنشطته، وأسهم في رفع مستوى تحصيلهم للمفاهيم البلاغية.

وجاءت نتائج البحث –بشكل عام– متسقة مع ما تم عرضه في خلفيته النظرية؛ بأن إستراتيجية البيت الدائري تركز على تعزيز تفاعل الطلاب من خلال أنشطة التعلم الجماعية والمشاركات التعاونية التي تشجع التحليل الجماعي والتفكير النقدي، ثم تستجيب لكل ذلك في العملية التعليمية. وتتسق هذه النتائج مع ما دعت إليه الدراسات السابقة من ضرورة توظيف إستراتيجيات حديثة في تعليم المفاهيم البلاغية.

وتميّزت الإستراتيجية بجعلها المتعلم محور العملية التعليمية، فأصبح أكثر نشاطًا وسعيًا للحصول على المعرفة بما يخدم تعلمه، كما علّمَتْه كيف يفكر ويستثمر طاقاته الكامنة، ووضَّحَت الإستراتيجية أنّ الطلاب يتعلمون بصورة أفضل عندما يمارسون أنشطة تعلّمهم من خلال تنظيم المعلومات الجديدة ومواءمتها مع خبراتهم.[١]

(١) محمود عبد الحليم منسي، "التعلم الذاتي". (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٣م):٣٨؛ حسن حسين زيتون، "تكنولوجيا التعليم: النظرية والتطبيق". (القاهرة، عالم الكتب، =

واتفقت نتائج البحث الحالي جميعها مع ما توصلت إليه الدراستان السابقتان اللتان أكدتا فاعلية استخدام إستراتيجية البيت الدائري في تنمية الفهم القرائي والاتجاه نحو تعلم القراءة، وكذلك في تنمية المفاهيم الفقهية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وهما: دراسة البدري[١] ودراسة الشميمري.[٢]

ودلّت نتائج البحث على ضعف متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المفاهيم البلاغية على اختلاف علومها. وبذلك تتفق مع ما توصلت إليه دراسة الزيادات، ودراسة أبو مصطفى، ودراسة شوشة وآخرين، ودراسة السناني، ويعزو البحث ذلك إلى عدة أسباب، من أبرزها: قِصر الوقت المخصَّص لتعليم البلاغة؛ حيث تُدرَّس في المستوى الرابع فقط، وقلة المفاهيم البلاغية المستهدفة في كتاب مهارات تحليل النصوص ولا سيما في علم البديع، وبذلك تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة الحديبي[٣].

توصيات البحث:

في ضوء نتائج البحث، يوصي الباحث بما يلي:

١. تضمين إستراتيجية البيت الدائري ضمن طرائق التدريس المستخدمة في برامج

=

٢٠٠٣م):٢٩.

(١) البدري، "توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية الفهم القرائي والاتجاه نحو تعليم القراءة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى": ١٦٣.

(٢) الشميمري، "استخدام إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم الفقهية لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى": ٢٦.

(٣) الحديبي، "فاعلية إستراتيجيات التفكير المتشعب في تنمية المفاهيم البلاغية والاتجاه نحو البلاغة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى": ٨٧.

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ نظرًا لفاعليتها في تنمية المفاهيم البلاغية.

٢. زيادة الوقت المخصّص لتدريس ما يخصّ البلاغة في برامج الإعداد اللغوي، وعدم قصرها على مستوى واحد، بما يتيح للمتعلمين فرصًا أوسع للفهم والتطبيق.

٣. توسيع محتوى مقرر مهارات تحليل النصوص الأدبية ليشمل عددًا أكبر من المفاهيم البلاغية، وخاصة في علم البديع.

٤. إعداد برامج تدريبية للمعلمين حول كيفية توظيف إستراتيجية البيت الدائري بفاعلية في قاعات الدرس.

٥. التركيز على الأنشطة العملية والتعاونية عند تدريس المفاهيم البلاغية؛ لما أثبتته الدراسة من أثر إيجابي في رفع دافعية المتعلمين وإقبالهم على تعلمها.

مقترحات البحث:

استنادًا إلى نتائج البحث، يقترح الباحث إجراء ما يلي:

١. دراسات مشابهة لتوظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية مهارات لغوية أخرى مثل الكتابة أو المحادثة أو الاستماع لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى.

٢. دراسات تستهدف مستويات مختلفة من المتعلمين (المبتدئ والمتوسط)؛ للتحقق من أثر الإستراتيجية في كل مستوى.

٣. دراسات مقارنة بين إستراتيجية البيت الدائري وإستراتيجيات تدريسية أخرى (مثل خرائط المفاهيم أو التعلم التعاوني) في مجال تنمية المفاهيم البلاغية.

٤. دراسات تجريبية على عينات أكبر وأكثر تنوعًا من حيث الجنسيات والثقافات؛ لقياس عمومية النتائج وإمكانية تعميمها.

٥. دراسات نوعية تستقصي اتجاهات المتعلمين ومشاعرهم نحو تعلم البلاغة من خلال إستراتيجية البيت الدائري.

المراجع

أولا: المراجع العربية:

أبو مصطفى، أيمن. "تعليم البلاغة العربية لغير الناطقين بالعربية: مشكلات وحلول". *مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية ١*، المؤتمر الدولي الافتراضي لمقررات اللغة العربية في التعليم الجامعي، (٢٠٢٠م).

أحمد، إسماعيل حسنين. "إستراتيجيات تدريس البلاغة للناطقين بغير العربية بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا كلية التربية أنموذجًا". *مجلة التجديد بالجامعة الإسلامية العالمية* ٣٦، (٢٠١٤م).

الباش، ولاء. "توظيف الأساليب البلاغية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها". *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية* ١٢ . (٢٠٢٤م).

البدري، أبوالدهب. "توظيف إستراتيجية البيت الدائري في تنمية الفهم القرائي والاتجاه نحو تعليم القراءة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *المجلة الدولية للعلوم التربوية والنفسية* ٢٣ ، (٢٠١٩م).

الحديبي، علي بن عبد المحسن. "فاعلية إستراتيجيات التفكير المتشعب في تنمية المفاهيم البلاغية والاتجاه نحو البلاغة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *مجلة العربية للناطقين بغيرها بجامعة إفريقيا العالمية* ١٤ ، (٢٠١٢م).

الحراحشة، كوثر، والفواعرة، وطفا. "أثر إستراتيجية البيت الدائري في تحصيل المفاهيم العلمية وتنمية عمليات العلم لدى طالبات الصف الخامس الأساسي في محافظة المفرق". *مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس* ٣ ، (٢٠٢١م).

الزيادات، تيسير محمد. "صعوبات تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها: جامعة شرناق تركيا أنموذجًا". *مجلة القسم العربي* ٢٣ ، (٢٠١٦م).

زيتون، حسن حسين. "تكنولوجيا التعليم: النظرية والتطبيق". (ط١، القاهرة: عالم

الكتب، ٢٠٠٣م).

سلام، محمد محمد عبد الله. "تدريس الأدب العربي للناطقين بغير العربية: رؤية تكاملية". *المجلة العلمية* ٤٢، (٢٠٢٣م).

صدّيق، عبد العزيز. "تدريس الأساليب البلاغية لطلاب معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة: آراء ومقترحات". *مجلة القراءة والمعرفة* ١٩٩، (٢٠١٨م).

السناني، ماجد بن سالم بن جابر. "مدى توظيف الأساليب البلاغية في كتابات متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *مجلة العلوم التربوية والاجتماعية* ٣٦، (٢٠٢٤م).

السيد، محمد سالم؛ عوض، رجب إبراهيم أحمد؛ شوشة، حسام موسى محمد. "البلاغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة في الإشكالات والحلول والوسائل، بعض الجامعات الماليزية أنموذجًا". *مجلة الرسالة بكلية المعرفة الإسلامية والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا* ٢، (٢٠٢١م).

الشميمري، محمد بن عبد الله بن صالح. "أثر استخدام إستراتيجية البيت الدائري في تنمية المفاهيم الفقهية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *بحث ماجستير بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة*، (١٠١٨م).

عبد الحليم، عبد الله محمد. "تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها: معالم للتأليف البلاغي للناطقين بغير العربية". *مجلة العربية* ٢، (٢٠٢٠م).

عبد الغني، محمد. "الأساليب البلاغية اللازمة لطلاب المستوى المتقدم من الناطقين بغير العربية: الواقع والمأمول". *مركز الشيخ زايد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها*، (٢٠١٣م). "استرجعت بتاريخ ١٤٤٧/٢/٢٤هـ" من موقع: https://azhar-ali.com/go/

عبد المجيد، نبيل. "تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها: رؤى معاصرة". مجلة دراسات

لغوية٢، (٢٠١٥م): ٢.

عثمان، فاروق السيد، وعبده، عبد الهادي السيد. "الإحصاء التربوي والقياس النفسي". (ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥م).

العطاس، عبد الله بن أحمد. "دراسة البلاغة العربية في ضوء النص الأدبي للناطقين بغير العربية". مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ٢٦، (٢٠٠٣م).

عمار، سام. "اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية". (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م):٢١٩.

منسي، محمود عبد الحليم. "التعلم الذاتي". (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٣م).

الموسوي، حسن كاظم. "البلاغة العربية: المفاهيم والأسس والتطبيقات". (عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ص٥٦، ٢٠١٩م).

الناقة، محمود أحمد. "البلاغة العربية وأثرها في تنمية مهارات اللغة". (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥م).

يحيى، حياتي نصار. "استخدام حجم الأثر لفحص الدلالة العلمية للنتائج في الدراسة الكمية". مجلة العلوم التربوية والنفسية٢، (٢٠٠٦م).

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Johnson, D. W., and Johnson, R. T. "An Educational Psychology Success Story: Social Interdependence Theory and Cooperative Learning". Educational Researcher, 38(5), (2009).

Paivio, A. "Imagery and verbal processes". (New York: Holt, Rinehart & Winston, 1971).

Robinson, J. P., Shaver, P. R., and Wrightsman, L. S. "Measures of personality and social psychological attitudes". (San Diego, CA: Academic Press, 1991).

Sweller, J. "Cognitive load during problem solving: Effects on learning". Cognitive Science, 12(2), (1988).

https://doi.org/10.1207/s15516709cog1202_4
Vygotsky, L. S. "Mind in society: The development of higher psychological processes". (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1978).
Wandersee, J. H. "The Vee map and the roundhouse diagram: Heuristic tools for learning science". Journal of College Science Teaching, 24(1), (1994).
Ward, R. E., and Lee, W. D. "Understanding the Periodic Table of Elements via Iconic Mapping and Sequential Diagramming: The Roundhouse Strategy". Science Activities, 42(4), (2006).
Ward, R., and Wandersee, J. H. "Student's perceptions of Roundhouse diagramming: A middle school viewpoint". International Journal of Science Education, 24(2), (2002).

Bibliography

Abo Mustafa, Ayman. "Taelim al-Balagha al-Arabiya li-Ghayr al-Natiqin bil-Arabiya: Mushkilat wa-Hulul." *Majallat al-Mayadin lil-Dirasat fi al-Ulum al-Insaniya*, al-Adad al-Khas al-Awwal, al-Mu'tamar al-Duwali al-Iftiradi li-Muqarrarat al-Lugha al-Arabiya fi al-Taalim al-Jamii, (2020).

Ahmad, Ismail Hassanein. "Istratijiyyat Tadris al-Balagha lil-Natiqin bi-Ghayr al-Arabiya bil-Jamia al-Islamiyya al-Alamiya Maliziya Kulliyat al-Tarbiya Namudhajan." *Al-Tajdid*, al-Jamia al-Islamiyya al-Alamiya, 18, no. 36 (2014).

Al-Bash, Wala. "Tawzif al-Asalib al-Balaghiya fi Taelim al-Lugha al-Arabiya lil-Natiqin bi-Ghayriha." *Majallat al-Ulum al-Insaniya wal-Tabiiyya*, (2024).

Al-Badri, Abu al-Dahab. "Tawzif Istratijiyyat al-Bayt al-Dairi fi Tanmiyat al-Fahm al-Qira'i wal-Ittijah Nahwa Taalim al-Qira'a lada Mutaallimi al-Lugha al-Arabiya al-Natiqin bi-Lughat Ukhra." *Al-Majalla al-Duwaliya lil-Ulum al-Tarbawiyya wal-Nafsiyya*, 23 (2019).

Al-Hudaibi, Ali bin Abd al-Muhsin bin Abd al-Tawwab. "Faa'iliyyat Istratijiyyat al-Tafkir al-Mutashaib fi Tanmiyat al-Mafahim al-Balaghiya wal-Ittijah Nahwa al-Balagha lada Mutaallimi al-Lugha al-Arabiya al-Natiqin bi-Lughat Ukhra." *Majallat al-Arabiya lil-Natiqin bi-Ghayriha*, Jamia Ifriqiya al-Alamiya – Ma'had al-Lugha al-Arabiya, 14 (2012).

Al-Harahisha, Kawthar, and Watfa al-Fawaera. "Athar Istratijiyyat al-Bayt al-Dairi fi Tahsil al-Mafahim al-Ilmiya wa-Tanmiyat Amaliyyat al-Ilm lada Talibat al-Saff al-Khamis al-Asasi fi Muhafazat al-Mafraq." *Majallat Ittihad al-Jamiat al-Arabiya lil-Tarbiya wa-Ilm al-Nafs*, (2021).

Zaytun, Hasan Husayn. "Taqniyat al-Taalim: al-Nazariya wal-Tatbiq." Cairo: Alam al-Kutub, (2003).

Mansi, Hamud Abd al-Halim. "Al-Taalum al-Dhati." Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, (2003).

Al-Zayyadat, Taysir Muhammad. "Suubat Taalim al-Balagha al-Arabiya lil-Natiqin bi-Ghayriha: Jamia Sharnaq Turkiya Namudhajan." *Majallat al-Qism al-Arabi*, no. 23 (2016).

Salam, Muhammad Muhammad Abd Allah. "Tadris al-Adab al-Arabi lil-Natiqin bi-Ghayr al-Arabiya: Ru'ya Takamuliyya." *Al-Majalla al-Ilmiya*, Kulliyat al-Lugha al-Arabiya bi-Asyut – Jamia al-

Azhar, no. 42 (October 2023).

Sulayman, Abd al-Aziz Sidiq Abd Allah. "Tadris al-Asalib al-Balaghiya li-Tullab Ma'had Taalim al-Lugha al-Arabiya bil-Jamia al-Islamiyya fi al-Madina al-Munawwara: Araa wa-Muqtarahat." *Majallat al-Qira'a wal-Maarifa*, Jamia Ayn Shams – Kulliyat al-Tarbiya – al-Jamiyya al-Misriya lil-Qira'a wal-Maarifa, no. 199 (2018).

Al-Sanani, Majid bin Salim bin Jabir. "Madda Tawzif al-Asalib al-Balaghiya fi Kitabat Mutaallimi al-Lugha al-Arabiya al-Natiqin bi-Lughat Ukhra." *Majallat al-Ulum al-Tarbawiyya wal-Ijtimaiyya*, al-Jamia al-Islamiyya bil-Madina, (2024).

Al-Sayyid, Muhammad Salim, Rajab Ibrahim Ahmad Awad, and Hussam Musa Muhammad Shusha. "Al-Balagha al-Arabiya lil-Natiqin bi-Ghayriha: Dirasa fi al-Ishkalat wal-Hulul wal-Wasail, Ba'd al-Jamiat al-Maliziyya Namudhajan." *Majallat al-Risala*, Kulliyat al-Maarifa al-Islamiyya wal-Ulum al-Insaniya, al-Jamia al-Islamiyya al-Alamiya – Maliziya, 5, no. 2 (2021).

Al-Shumaymri, Muhammad bin Abd Allah bin Salih. "Athar Isti'mal Istratijiyyat al-Bayt al-Dairi fi Tanmiyat al-Mafahim al-Fiqhiya lada Mutaallimi al-Lugha al-Arabiya al-Natiqin bi-Lughat Ukhra." Al-Jamia al-Islamiyya, al-Madina al-Munawwara, (2018).

Abd al-Halim, Abd Allah Muhammad. "Taalim al-Balagha al-Arabiya lil-Natiqin bi-Ghayriha." *Majallat al-Arabiya*, 7 (2020).

Abd al-Ghani, Muhammad. "Al-Asalib al-Balaghiya al-Lazima li-Tullab al-Mustawa al-Mutaqaddim min al-Natiqin bi-Ghayr al-Arabiya: al-Waqi wal-Ma'mul." Markaz al-Shaykh Zayd li-Taalim al-Lugha al-Arabiya li-Ghayr al-Natiqin Biha, (2013).

Abd al-Majid, Nabil. "Taalim al-Balagha al-Arabiya lil-Natiqin bi-Ghayriha: Ru'a Mua'sira." *Majallat Dirasat Lughawiyya*, 7, no. 2 (2015).

Uthman, Faruq al-Sayyid, and Abduh, Abd al-Hadi al-Sayyid. "Al-Ihsa al-Tarbawi wal-Qiyas al-Nafsi." Cairo: Dar al-Maarif, (1995).

Al-Attas, Abd Allah bin Ahmad. "Dirasat al-Balagha al-Arabiya fi Daw al-Nass al-Adabi lil-Natiqin bi-Ghayr al-Arabiya." *Majallat Umm al-Qura li-Ulum al-Sharia wal-Lugha al-Arabiya wa-Adabiha*, 15, no. 26 (2003).

Ammar, Sam. "Ittijahat Haditha fi Tadris al-Lugha al-Arabiya."

Beirut: Mu’assasat al-Risala, (2002).

Al-Musawi, Hasan Kazim. "Al-Balagha al-Arabiya: al-Mafahim wal-Asas wal-Tatbiqat." Amman: Dar Safa lil-Nashr wal-Tawzi, (2019).

Al-Naqa, Mahmud Ahmad. "Al-Balagha al-Arabiya wa-Atharuha fi Tanmiyat Maharat al-Lugha." Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, (1985).

Yahya, Hayati Nassar. "Isti’mal Hajm al-Athar li-Fahs al-Dalala al-Ilmiya lil-Nataij fi al-Dirasa al-Kammiya." *Majallat al-Ulum al-Tarbawiyya wal-Nafsiyya*, Kulliyat al-Tarbiya, Jamia al-Bahrain, 7, no. 2 (2006).


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨
١٩٦

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE PART 1

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

Part 1

Issue: 19
January - March 2026

مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها

مجلة علميّة دوريّة محكمة

الجزء ٢

العدد :١٩
يناير - مارس ٢٠٢٦م

مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها الجزء ٢


١٣٨
١٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عياد بن عيد الثبيتي
أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. منصور بن محمد الغامدي
أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب

أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب
أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر

أ.د. حسن دربر
أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب

أ.د. عزالدين محمد المجدوب
أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية

أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي
أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	الأثرُ الْفَلْسَفِيُّ والْمَنْطِقِيُّ فِي شَرْحِ ابْنِ يَعِيشٍ عَلَى الْمُفَصَّلِ دراسة في تداخل الفكر الفلسفي والتحليل النحوي **د. عواض محمد عطيان القارحي**	٩
٢)	الاستراتيجية الحجاجية في الأبواب التأسيسية من كتاب الأصول لابن السراج **د. عائشة قاسم علي شماخي**	٦٣
٣)	وصف الحيوان في الشعر الجاهلي –دراسة بيئية **د. عادل بن علي الغامدي**	١١٣
٤)	أسرار التجاور في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم **د. علي بن محمد آل نومة القحطاني**	١٦٥
٥)	الهُويَّة في رواية ما بعد الكارثة –دراسةً نقديَّةً مقارنةً في فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي والطَّريق لكورماك مكارثي **د. محمد بن لافي اللويش**	٢٣٧

م	البحث	الصفحة
٦)	الاستلزامُ الحواريّ في خِطاب السِّيرة الذاتية السُّعودية دِراسة تداولية في سِير غازي القصيبي أنموذجًا **د. مريم معيبد عبيد الرشيد**	٢٨٣
٧)	نبرُ الكلمةِ وتدفّق الدلالةِ في الخطابِ دراسةٌ في الديناميّةِ التواصليّةِ "تنظير وإنجاز" **د. نجلاء علي مطري**	٣٣٥
٨)	خطاب الحبّ في كتاب (الزهرة) لأبي بكر الأصفهاني **د. منى بنت سعود آل تويم**	٣٧٧
٩)	تقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة (LLMs) في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية **د. خليوي سامر خليوي العياضي**	٤٢٩
١٠)	مصفوفة مقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك **د. علي بن محمد الغامدي**	٤٧٧

الأثرُ الْفَلْسَفِيُّ والْمَنْطِقِيُّ فِي شَرْحِ ابْنِ يَعِيشٍ عَلَى الْمُفَصَّلِ
دراسة في تداخل الفكر الفلسفي والتحليل النحوي

The Philosophical and Logical Influence in Ibn Ya'ish's Commentary on Al-Mufaṣṣal
A Study on the Interrelation of Philosophical Thought and Syntactic Analysis

د. عواض محمد عطيان القارحي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب الإنسانية

بجامعة طيبة

البريد الإلكتروني: aqarhi@taibahu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
02/11/2025		17/12/2025

نشر البحث
A Research Publication

شوال ١٤٤٧هـ = April 2026

DOI:10.36046/2356-000-019-011

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة الأثر الفلسفي والمنطقي في شرح ابن يعيش على المفصل، وتحليل مظاهر تداخل الفكر العقلي بالتحليل النحوي فيه، بوصفه نموذجًا متفردًا لتفاعل الفلسفة مع النحو في التراث العربي. ويعتمد البحث منهجا وصفيا تحليليا استقرائيا يقوم على تتبّع المفاهيم الفلسفية والمنطقية وتطبيقاتها في بناء القاعدة النحوية واستنباط العلل والأحكام؛ ويعالج الفصل الأول فيه الأبعاد الفلسفية والمنطقية في الشرح إذ يبرز المبحث الأول توظيفَ ابنِ يعيش لمفاهيم الجوهر والعرض، والكلي والجزئي، والحد والرسم، والعلة، في تفسير الظواهر النحوية وتعليلها، في حين يتناول المبحث الثاني ملامح المنهج المنطقي من خلال اعتماد أدوات القياس والاستقراء، وإبراز العلاقة بين المقدّمات والنتائج، بما يعكس نزعةً عقليةً منظمة تتحكم في بنية التحليل.؛ أما الفصل الثاني، فيتناول مظاهر التداخل بين الفكر الفلسفي والتحليل النحوي، مبينًا كيف نظر ابن يعيش إلى اللغة بوصفها نظامًا عقليًا، وكيف أسهم المنطق الأرسطي في صياغة رؤيته القاعدية وتفسيره للمستويات الإعرابية؛ وتخلص الدراسة إلى أن ابن يعيش لم يكن ناقلًا للفكر الفلسفي، بل موائمًا بينه وبين أصول النحو العربي، فحقق توازنًا دقيقًا بين المنهج السمعي والمنهج العقلي، مما يجعل شرحه للمفصل شاهدًا على نضج الفكر النحوي واتساع أفقه الفلسفي.

الكلمات المفتاحية: ابن يعيش، المفصل، الفلسفة، المنطق، التحليل النحوي.

Abstract:

This study aims to examine the philosophical and logical influence in Ibn Yaish's *al-Mufaṣṣal*، and to analyze the ways in which rational thought intersects with syntactic analysis therein, viewing it as a unique model of the interaction between philosophy and syntax in the Arabic intellectual tradition. The study adopts a descriptive, analytical, and inductive approach, based on tracing philosophical and logical concepts and examining their applications in the formulation of syntactical rules and in the derivation of syntactic causes and rulings. The first chapter addresses the philosophical and logical dimensions of the commentary: the first section highlights Ibn Yaish's employment of the concepts of substance and accident, the general and the specific, definition, diagram and causality in interpreting and justifying syntactic phenomena; the second chapter examines features of the logical method through the tools of syllogism and induction, and the relationship between premise and conclusion, reflecting a systematic rational tendency in the analytical structure. The second chapter explores the manifestations of the interplay between philosophical thought and syntactic analysis, showing how Ibn Yaish viewed language as a rational system and how Aristotelian logic contributed to shaping his rule-based vision and his interpretation of syntactic levels. The study concludes that Ibn Yaish was not merely a transmitter of philosophical thought but rather reconciled it with the principles of Arabic syntactic, achieving a precise balance between the auditory and rational approaches, making his commentary on *al-Mufaṣṣal* a testimony to the maturity of syntactic thought and the breadth of its philosophical horizon.

Keywords: Ibn Yaish - *al-Mufaṣṣal* – philosophy – logic-grammatical analysis.

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ التراث النحويّ العربيّ يُمثلُ أحد أبرز مظاهر تجليات العقلية العربية الإسلامية في تعاملها مع الظاهرة اللغوية، لا بوصف اللغة مجرد أداة للتواصل، بل باعتبارها نسقًا فكريًا منظمًا يقوم على منطق داخلي يقتضي الضبط والتحقيق والتأصيل، وقد تكوّن هذا النظام النحوي في أحضان بيئة فكرية ثرية تتفاعل مع علوم متعددة، كالفقه، والبلاغة، والمنطق، والفلسفة، وضمن هذا السياق المعرفي المتكامل، برزت نصوص نحوية استثمرت المعارف الفلسفية والمنطقية بوصفها أدوات تحليل وتأصيل، كما هو الشأن في (شرح ابن يعيش للمفصل) للزمخشري، حيث تتجلّى معالم تداخل الفكر الفلسفي والمنهج النحوي المتأثر بالمنطق الأرسطي بوضوح.

لقد كان علماء العربية، منذ نشأة الدرس النحوي، يتعاملون مع اللغة باعتبارها تجليًا لنظام معرفي محكم، وكان من الطبعي أن ينفتح هذا النظام على المعارف العقلية الأخرى، وعلى رأسها الفلسفة والمنطق، لاسيما بعد حركة الترجمة الواسعة للتراث اليوناني في العصر العباسي، وهو ما أوجد تداخلاً وتفاعلاً معرفيًا بين النحو والفلسفة والمنطق. وفي هذا السياق برز ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في شرحه لكتاب "المفصل"، بمنهجه القائم على إدخال أنساق تحليلية مستمدة من المنطق الأرسطي، ومفاهيم فلسفية مثل الجوهر والعرض، والكلي والجزئي، والحد والرسم، بوصفها أدوات تفسيرية لما تناوله من قضايا نحوية ومسائل تحليلية.

ويأتي هذا البحث ليكشف عن مدى تجلّي المفاهيم الفلسفية والمنطقية في شرح ابن يعيش، وطبيعة تفاعلها مع التحليل النحوي، وآليات توظيفها ودمجها في بنية

القواعد النحوية، ومرجعياتها الفلسفية، وحدود مشروعها التأويلي، وهو بذلك يهدف إلى تقديم قراءة معمّقة لشرح "المفصل"، تضعه في إطار أرحب يتجاوز حدود البنية اللغوية إلى البنية الفكرية والفلسفية التي حكمت تصوّره للعلاقة بين اللغة والعقل.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تأتي أهمية هذا البحث من سعيه إلى إعادة قراءة العلاقة بين الفكر الفلسفي والتحليل النحوي في التراث العربي من خلال شرح ابن يعيش للمفصل، الذي يمثل مرحلةً متقدمة في تداخل علوم اللغة وعلوم العقل، فالتحليل النحوي عند ابن يعيش لا يقومُ على الوصف وحده، بل يرتكز على رؤية استدلالية تجعل من النحو علمًا برهانيًا يقومُ على مبادئ المنطق والتفكير الفلسفي، ومن ثمَّ فإنَّ الدراسة تكشف عن عمق البنية الذهنية التي شكّلت تصورات النحاة، وتبرز كيف تسربت المفاهيم الميتافيزيقية والمنطقية ـ كالجوهر والعرض، والحد والرسم، والكلي والجزئي ـ إلى المنظومة النحوية، فصاغت كثيرًا من عللها ومفاهيمها الأساسية. وبهذا تسهم الدراسة في سدّ فجوةٍ بحثية ظلّت قائمة بين النظر الفلسفي والتقعيد اللغوي، وتقدم نموذجًا لتكامل العقل واللغة في الفكر العربي الوسيط.

أسباب اختيار الموضوع:

أما أسباب اختيار الموضوع فترجع إلى عدة أسبابٍ أهمها ما يأتي:

١. كثافة الحضور الفلسفي والمنطقي حيث يتميز شرح ابن يعيش بكثرة توظيفه للمصطلحات والمفاهيم المنطقية، مما يجعله نصًّا مثاليًا لدراسة التفاعل بين الفلسفة والنحو على نحو تطبيقي عميق.
٢. صرامة المنهج ودقة التحليل، فلقد اتَّسم ابن يعيش بقدرة عالية على بناء العلل وتقعيد القواعد وفق منطق يجمع بين السماع والعقل، وهو ما يكشف عن طبيعة التفكير النحوي في أرقى مراحله.

٣. مكانة النص وأثره العلمي؛ إذ يُعد شرح المفصل من أهم الشروح النحوية التي أثرت في المدارس اللغوية اللاحقة، ودراسته من منظور فلسفي تضيء الجذور الفكرية التي أسست للنحو العقلي.

٤. منهج التوفيق بين العقل والنقل فيجمع ابن يعيش بين احترام النص اللغوي والانفتاح على المنهج العقلي، مما يجعله نموذجًا للنحوي الذي يستخدم الفلسفة أداةً للفهم لا غايةً في ذاتها.

الدراسات السابقة:

تناولت دراسات سابقة الصلة بين الفكر المنطقي والنحو العربي من زوايا متعددة، ويمكن إجمال أبرزها كما يلي:

١. **حسين نصار، النحو العربي ومناهجه في التفكير**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.

درس نصار بعض أعلام النحو كالزمخشري وابن هشام، محللًا مناهجهم من زاوية منطقية، وأوضح أثر الفكر العقلي في طرائقهم في التعليل والتقعيد. غير أنه لم يتناول ابن يعيش، رغم مكانته البارزة في المدرسة النحوية العقلية.

٢. **علي الجندي، المنطق ومناهج البحث العلمي**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٢.

خصّص الجندي مبحثًا حول البناء الذهني للغة وعلاقته بالمنطق، مبرزًا أثر التفكير العقلي في صياغة التعبير اللغوي، لكنه اقتصر على الجانب الفلسفي العام دون التعمق في التطبيقات النحوية أو نصوص التراث.

٣. **حسن موسى الشايب، "المنطق والنحو في الفكر العربي"**، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مجلد ٤١، ١٩٨٤.

قدم الشايب دراسة موجزة في أثر المنطق على النحو العربي، مشيرًا إلى تشابه آليات الاستدلال بين المجالين، غير أنه اكتفى بالإطار النظري العام دون تحليل نصي معمّق.

٤. **علي الوردي، منطق ابن خلدون**، بيروت: دار القلم، ١٩٨١. تناول الوردي ما أسماه "منطق النحاة"، موجّهًا نقدًا لما رآه جمودًا نظريًا في تفكيرهم، حيث حولوا النحو من أداة لفهم اللغة إلى نسق مغلق من القواعد الشكلية، مع التركيز على الجانب الاجتماعي والنفسي أكثر من التحليل العلمي أو البنية المعرفية للنحو.

٥. **عبد العزيز حمودة، المرايا المقعّرة: نحو نظرية نقدية عربية**، القاهرة: المركز القومي، ١٩٩٨. عالج حمودة طابع الجدل النظري في التراث النحوي، وكيف تحوّل البحث اللغوي إلى مجال للتفكير الفلسفي والنقدي، لكنه انطلق من منظور ثقافي ونقدي عام دون التوجه للتحليل التفصيلي للمفاهيم النحوية ذات الطابع الفلسفي.

٦. **مدخل إلى النحو العقلي عند ابن يعيش**، مجلة مجمع اللغة العربية الجزائري، العدد ٢١، ١٩٩١م.

ركزت الدراسة على منهج ابن يعيش في النحو العقلي، وبيّنت كيف وظّف المفاهيم المنطقية والفلسفية في بناء القواعد النحوية.

٧. **محمد خريبش، الأسس المعرفية والمرجعيات الفلسفية للخطاب النحوي عند ابن يعيش**، المدونة، مجلد ٩، عدد ٢، نوفمبر ٢٠٢٢م. تناولت الدراسة الخلفية الفلسفية والمنطقية للخطاب النحوي عند ابن يعيش، مبرزًا العلاقة بين الفكر الفلسفي والنحوي من منظور تحليلي.

٨. **محمد خريبش، أثر المنطق الأرسطي في صياغة الحد النحوي عند ابن يعيش: دراسة تطبيقية في كتابه شرح المفصل**، التواصلية، عدد ١٠. ركزت هذه الدراسة على التطبيقات العملية للمنطق الأرسطي في بناء القواعد النحوية عند ابن يعيش، مع أمثلة تطبيقية من كتابه شرح المفصل.

أوجه الاتفاق والاختلاف

أوجه الاتفاق: تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة على وجود صلة وثيقة بين النحو العربي والفكر المنطقي، وعلى أن الفكر النحوي العربي تأثر بطرائق الاستدلال الفلسفي واشتغل على مفاهيم عقلية واضحة. كما تشترك معها في الإيمان بأهمية الكشف عن البعد الفكري للنحو وارتباطه بطرائق التفكير.

أوجه الاختلاف: تتجاوز الدراسة الحالية الطابع النظري العام الذي سادت به تلك الأعمال إلى **تحليل نصي دقيق لشرح ابن يعيش للمفصل**، بوصفه نموذجًا لتفاعل الفلسفة مع النحو. فهي لا تكتفي بإثبات التأثر، بل تسعى إلى **تحليل آليات التداخل بين المفاهيم المنطقية** (كالجوهر والعرض، والحد والعلة) وبين بناء القاعدة النحوية، لتكشف طبيعة الفكر النحوي بوصفه فكرًا استدلاليًا لا وصفيًا فحسب. كما تتميز الدراسة بمنهج تحليلي تأويلي يجمع بين الدرس النحوي الدقيق والنظر الفلسفي العميق، مما يمنحها أصالة وإضافة نوعية إلى ميدان البحث في أثر الفلسفة والمنطق في التحليل النحوي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة التفاعل بين النحو العربي والفكر الفلسفي والمنطقي من خلال تحليل شرح ابن يعيش للمفصل، وذلك بالكشف عن المفاهيم العقلية التي استند إليها في بناء التصور النحوي، وبيان أثرها البنيوي في صياغة القواعد وتعليلها، مع تقويم هذا الأثر من حيث إيجابياته وحدوده المنهجية والنظرية، إلى جانب

الإسـهام في بلورة رؤية متجددة تُبرز مكانة النحو العربي ضـمن منظومة العلوم العقلية وتؤكد طابعه الاستدلالي والمعرفي.

تساؤلات البحث

وانطلاقًا من هذه الأهداف، يسعى البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما أبرز المفاهيم الفلسفية والمنطقية التي وظّفها ابن يعيش في شرحه للمفصل؟

٢. كيف أسهمت هذه المفاهيم في بناء القواعد النحوية وصياغة التعليل النحوي عنده؟

٣. إلى أي مدى كان الأثر البنيوي لهذه المفاهيم فاعلًا في تطوير الدرس النحوي، وما حدود هذا الأثر منهجيًا ونظريًا؟

٤. كيف يمكن الإفـادة من تجربـة ابن يعيش في إعـادة النظر في علاقـة النحو العربي بالعلوم العقلية ضمن منظور معاصر؟

منهج البحث:

اعتمد البحث منهجًا وصفيًا تحليليًا استقرائيًا، من خلال تتبع المفاهيم الفلسفية والمنطقية في نصوص ابن يعيش وتحليل كيفية توظيفها في بناء القواعد النحوية في شرح المفصل، ودراسة سياقاتها ووظائفها بدقة، وربطها بأصولها النظرية في المنطق والفلسفة، كما يُسـتثمر المنهج المقارن في الموازنة بين اسـتخدام ابن يعيش للمفاهيم العقلية، ومواقف نحويين آخرين من هذا التداخل، كابن هشـام، وابن مضـاء، وابن السـراج، بهدف الوصـول إلى رؤية نقدية تقوّم تجربة ابن يعيش ضـمن المشـهد النحوي العربي. وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن هذا البحث لا يسعى فقط إلى الكشف عن الأثر الفلسـفي في النحو عند ابن يعيش، بل يهدف إلى بناء وعي أعمق بطبيعة العلاقة

التفاعلية بين اللغة والعقل، بوصفها علاقة قائمة على الإبداع والتحليل المتكاملين، لا انفصام فيها بين الشكل والمضمون، وبين الظاهر اللغوي والباطن الفلسفي.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث في مقدمة اشتملت على بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والأسئلة التي يسعى إلى الإجابة عنها، مع عرض موجز للدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الأثر الفلسفي والمنطقي في النحو وبيان ما أضافه هذا البحث إليها، كما تناولت المقدمة المنهج المعتمد في الدراسة، وخُتمت بعرض الخطة العامة للبحث ومباحثه.

التمهيد وفيه: الإطار التاريخي والنظري للبحث، موضحًا العلاقة بين الفلسفة والنحو؛ السياق التاريخي لتداخل الفلسفة والمنطق مع النحو العربي؛ وأخيرًا مفهوم التحليل النحوي عند ابن يعيش.

الفصل الأول– الأثر الفلسفي والمنطقي في شرح ابن يعيش، ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول– المفاهيم الفلسفية في التحليل النحوي، ويضم العناصر الآتية:

الأول: مفهوم الجوهر والعرض وتطبيقهما في تفسير الظواهر النحوية.

الثاني: الكلي والجزئي وأثرهما في بناء القاعدة النحوية.

الثالث: الحد والرسم والعلة: حضور المفهوم الفلسفي في التعليل النحوي.

المبحث الثاني– المنهج المنطقي في الاستدلال والتحليل ويضم العناصر الآتية:

الأول: ملامح القياس والاستقراء في بناء القاعدة.

الثاني: العلاقة بين المقدمة والنتيجة في التعليل النحوي.

الثالث: أمثلة تطبيقية من شرح المفصل تبرز المنزع العقلي والمنطقي.

الفصل الثاني: التداخل المعرفي والتقويم، ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول– مظاهر التداخل بين الفكر الفلسفي والتحليل النحوي، ويضم:

١. اللغة بوصفها نظامًا عقليًا عند ابن يعيش.
٢. أثر المنطق الأرسطي في تنظيم التفكير النحوي.
٣. خصوصية التفاعل بين الفلسفة والنحو في تجربته.

المبحث الثاني– تقييم الأثر الفلسفي والمنطقي في النحو عند ابن يعيش

أولاً: إيجابيات هذا التأثير

ثانيًا: الانتقادات والحدود

ثالثًا: خلاصة مركّزة – الفلسفة والمنطق أدوات لا بدائل

الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: الإطار التاريخي والنظري

أولًا- الإطار النظري للبحث: الفلسفة والنحو – تقاطع أم انفصال؟

ظل الجدل قائمًا بين الباحثين حول العلاقة بين النحو والفلسفة: هل الفلسفة دخيلة على النحو؟ أم إنَّ النحو، بوصفه نظامًا عقليًا، يقتضي التفاعل مع المفاهيم الفلسفية والمنطقية؟ وقد مثّل ابن خلدون أحد من أنكر هذا التداخل، حين اعتبر أنَّ إدخال الفلسفة في النحو أدى إلى تعقيده وخروجه عن مقصوده التعليمي، بينما رأى آخرون، كابن السراج، والفارسي، وابن يعيش، أن المنطق لا يناقض السماع، بل يضبطه ويقننه، وهو بذلك ضرورة لفهم الظاهرة النحوية بعمق(١).

ومن هذا المنظور، يتعامل البحث مع الفلسفة والمنطق لا بوصفهما قوالب جاهزة أُسقِطت على النحو العربي، بل باعتبارهما ممارسات تحليلية انبثقت من داخل العمل النحوي ذاته، وسعت إلى التحديد والتقعيد والتعليل، وهي مقاصد مشتركة مع التفكير الفلسفي. وبناءً على ذلك، فإن العلاقة بين النحو والمنطق ـــ كما تتجلى في شرح ابن يعيش ـــ لا تمثل إقحامًا أو استعارة سطحية، وإنما علاقة بنيوية أسهمت في تشييد جهاز نحوي عقلاني متماسك.

ثانيًا- السياق التاريخي لتداخل الفلسفة والمنطق مع النحو العربي

لم يكن علم النحو علمًا معزولًا عن سائر العلوم العقلية في الثقافة الإسلامية، بل

(١) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤)، ٥٧٣؛ وانظر: أبو بكر محمد بن السري ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٤)، ١: ١٢–١٦؛ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، ط٥ (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ٤٥–٧٨؛ موفق الدين يحيى بن يعيش، شرح المفصل، تحقيق إميل بديع يعقوب، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ١: ٧–١٠.

كان نتاج بيئة فكرية نشطة احتضنت جملة من المعارف، على رأسها المنطق والفلسفة. وقد بدأ هذا التداخل يظهر بشكل بارز منذ القرن الثالث الهجري، حينما نشطت حركة الترجمة عن اليونانية والسريانية، ولا سيما في عهد المأمون، الذي أسّس "بيت الحكمة" ووجّه العناية نحو ترجمة كتب المنطق والفلسفة لأرسطو وأفلاطون وغيرهم(١).

ومع التسليم بأنَّ المفاهيم النحوية الأساسية والمصطلحات الكبرى قد عرفت قدرًا من النضج والوضوح في مراحل مبكرة من نشأة النحو العربي، وأنَّ أصولها تشكَّلت في سياق عربيٍّ خالص، فإنَّ الترجمات الفلسفية والمنطقية ــ ولا سيما المنطق الأرسطي ـ أسهمت في تدقيق أدوات النظر والتحليل، وأسهمت في إعادة تنظيم تلك المفاهيم وضبطها منهجيًّا. وقد أفاد النحويون من هذه الأدوات في توضيح المصطلحات، وترتيب القواعد، وتعزيز مسالك الاستدلال، خاصة في ظل تعدد المذاهب النحوية وتباين الآراء في المسائل الخلافية. ومن هنا بدأ يتبلور ما يمكن تسميته بـــ العقل النحوي المنظم، الذي يوظف المقدمات والنتائج والعلل والأقيسة بوصفها وسائل إجرائية لإحكام البناء القاعدي للنحو، لا بوصفها عناصر دخيلة أو ترفًا ذهنيًّا.

وقد برزت هذه النزعة منذ الجيل الأول بعد الخليل ــ لا سيما ـ عند سيبويه في (الكتاب)، وإن كان حضورها لا يزال مستترًا، وقد تنبّه بعض المعاصرين إلى هذا الأثر، فرأى عبد السلام هارون، مثلًا، أن "الميل إلى العقلنة في النحو نشأ من الاحتكاك بالمنطق، لكنه سرعان ما صار جزءًا من طبيعة الدرس النحوي ذاته"(٢). وهو ما يؤكده أيضًا عبد الرحمن حاج صالح حين يرى أن "تاريخ النحو العربي هو في

(١) انظر: جورج صليبا، دور العلماء العرب في تطور العلوم الطبيعية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨)، ٨٥.

(٢) عبد السلام هارون، تحقيقات ونصوص (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٧)، ١٢٥.

جزء كبير منه تاريخ التفاعل مع المنطق"[١].

ثالثًا- مفهوم التحليل النحوي عند ابن يعيش:

في ضوء هذا الإطار، يتضح موقع ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في مسار النحو العربي في كونه نحوياً جسّد التكامل بين التفسير اللغوي والتحليل المنطقي .ويُعد شرحه لكتاب المفصل للزمخشري نموذجًا بارزًا لهذا الاتجاه العقلي، الذي يتجاوز حدود الشرح اللغوي ليشمل التأصيل الفلسفي والمنهجي للمسائل النحوية. فالشرح لا يقتصر على عرض أقوال النحاة أو توجيه العبارات، بل يسعى إلى بناء نسق تحليلي يُظهر "العلل" و"المقدمات" و"المقاصد"، في نهج يقترب أكثر من مناهج المناطقة منه إلى أساليب المحققين التقليديين.

وقد أدرك بعض الباحثين المعاصرين خصوصية منهج ابن يعيش، فاعتبره تمام حسان "مثالًا على التفاعل العميق بين النحو والمنطق"، مؤكدًا أنه "لم يكن شارحًا فقط، بل بنى نصًا ثانيًا داخل النص، يستند إلى خلفية فلسفية واضحة".

يتميّز التحليل النحوي عند ابن يعيش بنزعةٍ واضحة إلى بناء تصورٍ معرفيٍّ وظيفيٍّ للنحو، لا يقف عند حدود الوصف الاستعمالي، بل يتجاوزه إلى الكشف عن البنية العقلية التي تحكم نظام اللغة. فهو لا يتعامل مع الجملة على أنها مجرد تركيبٍ لفظيّ، وإنما ينظر إليها بوصفها بنية دلالية متكاملة، يتداخل فيها المنطقي باللغوي، ويُبنى على هذا التداخل إصدارُ الأحكام القاعدية. وتتجلى هذه النزعة في تعريفاته للمرفوعات، وفي تفصيله لعمل الأدوات، وحرصه على تعليل مواقع الجمل، وهو ما ستُعالج مظاهره بشيءٍ من التفصيل في المباحث اللاحقة.

(١) عبد الرحمن حاج صالح، "حول العلاقة بين النحو والمنطق"، مجلة مجمع اللغة العربية الجزائري ١٨ (١٩٨٨): ٤٣.

الفصل الأول: الأثر الفلسفي والمنطقي في شرح ابن يعيش

المبحث الأول: المفاهيم الفلسفية في التحليل النحوي

العنصر الأول: مفهوم الجوهر والعرض وتطبيقهما عند ابن يعيش في تفسير الظواهر النحوية

يُعدّ من أبرز مداخل الفلسفة إلى التحليل النحوي عند ابن يعيش هو إدماج المفاهيم الفلسفية داخل الجهاز الاصطلاحي المستخدم. فقد استدعى ابن يعيش بوضوح مصطلحات أرسطية مثل: الجوهر، العرض، الكلّي، الجزئي، العلة، الحد، الرسم وغيرها، ولم تُدرج هذه المصطلحات عرضًا، بل كانت جزءًا أساسًا من الشرح تؤدي دورًا تفسيريًا ووظيفيًا.

ويطلق الجوهر عند الفلاسفة على معان: منها الموجود القائم بنفسه حادثا كان أو قديما، ويقابله العرض. ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها. ومنها الماهية التي إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع. ومنها الموجود الغني عن محل يحل فيه [(١)]، قال ابن سينا: " الجوهر.. هو كل ما وجد ذاته ليس في موضوع، أي في محل قريب قد قام بنفسه دونه لا بتقويمه "[(٢)]

والعرض ضد الجوهر؛ لأن الجوهر هو ما يقوم بذاته ولا يفتقر الى غيره ليقوم به. على حين أنَّ العرض هو الذي يفتقر إلى غيره ليقوم به، فالجسم جوهر يقوم بذاته، اما اللون فهو عرض؛ لأنه لا قيام له الا بالجسم. وكل ما يعرض في الجوهر من لون،

(١) ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ١: ٤٢٤.

(٢) الحسين بن عبد الله ابن سينا، النجاة، تحقيق محمد فريد وجدي (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦١)، ١٢٦.

وطعم، وذوق، ولمس، وغيره، فهو عرض لاستحالة قيامه بذاته [١].

ويظهر ذلك جليًا في استخدام ابن يعيش لمفهومي "الجوهر" و"العرض" لتفسير البنية اللغوية وتحليل عناصرها، من ذلك ما يأتي:

ـ عند حديثه عن المرفوعات، يفرّق بين ما يدل على شخص مفرد مثل: "غلام زيد"، و"صاحب عمرو"، وما لا يدل على شخص مفرد مثل: سام أَبْرَصَ"، و"أبي الحُصَيْن، يقول ابن يعيش: " فأمّا ما دل على شخص مفرد، فنحو: "غلامُ زيد"، و"صاحبُ عمرو"، وأمّا ما لا يدل على شخص مفرد، فنحو: "سام أَبْرَصَ"، و"أبي الحُصَيْن". فأمَّا الثاني: وهو ما لا يدل على شخص مفرد، فلا يجوز الإخبارُ عنه؛ لأنه لا يتخصص بالإضافة، وأما الأوّل –وهو ما يدل على شخص مفرد– فإنه يجوز الإخبارُ عن المضاف مفردًا، وعن المضاف إليه مفردًا، ولا يجوز الإخبارُ عنهما معًا؛ لأنّ المضمر لا يدل على أكثرَ من واحد "[٢].

نلاحظ في هذا النص أنَّ ابن يعيش يبين أن المضاف مفردًا يجوز الإخبار عنه، وكذلك المضاف إليه، لكن لا يجوز الإخبار عنهما معًا؛ لأن الضمير لا يدل على أكثر من واحد. كما يوضح طريقة الإخبار عن الفعل، فتارة يكون بالإزالة ووضع الضمير المناسب مكان الاسم المخبر عنه، مثل قولك: "ضربت زيدًا"، حيث يمكن أن تقول: "الذي ضرب زيدًا أنا فينزع ضمير المتكلم من الفعل، ويحل محله الاسم الموصول "الذي"، ليكون الضمير المرفوع المنفصل "أنا" خبرًا للمبتدأ، وهو ـــ أيضًا ـــ يصفُ الوظائف النحوية (كالفاعلية أو الخبرية) بأنها عوارض تلحق الألفاظ، بما يعكس التصور الفلسفي الذي يفرق بين الجوهر والعرض؛ فالجوهر هو ما يقوم بذاته، والعرض لا يقوم إلا في غيره. وبالتالي، تصبح الكلمة جوهرًا لغويًا، وتلحق بها عوارض نحوية

(١) ينظر: صليبا، المعجم الفلسفي، ٢: ٦٩.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢: ٣٩٩.

بحسب موقعها في السياق. هذا التصور يجعل النحو نظامًا تصنيفيًا شبيهًا بعلم المقولات الأرسطية، حيث تُقسم الموجودات بحسب خصائصها ووظائفها(١).

ويُلاحظ أن ابن يعيش لا يستخدم هذه المفاهيم كمصطلحات فحسب، بل يربط بينها وبين التصور النحوي العربي القديم، الذي ميّز بين اللفظ والمعنى والحكم، فنجد في شرحِهِ محاولةً للربط بين هذه الأبعاد وفق المنظور الفلسفي، فاللفظ هو الجوهر، والمعنى هو العرض، والحكم هو العلاقة التي تنتج من اقتران أحدهما بالآخر في سياقٍ دلالي.

ويعزّز هذا المنحى في معرض تفسيره لمفهوم "الصفة" في باب النعت: " والصفةُ لفظٌ يتبع الموصوفَ في إعرابه تَحْلِيَةً وتخصيصًا له بذِكْرِ معنًى في الموصوف، أو في شيء من سَبَبه، وذلك المعنى عَرَضٌ للذات لازمٌ له "(٢)، ويقول: "الصفة تُزيل الاشتراكَ الجِنْسيَّ، نحوَ: "رجل"، و"فرس"، والاشتراكَ العارضَ في المعارف "(٣).

فهو هنا لا يفسّر النعت مجرد تابع لفظي، بل يفهمه بوصفه "وصفًا" قائماً على "اتصال المعنى"، تمامًا كما تقوم الصفات العرضية على الجواهر عند المناطقة. وهذا الاستدعاء الدقيق لمنظور "الصفة العرضية" يوضح الخلفية الفلسفية التي تحكم منطق التحليل النحوي عنده.

العنصر الثاني: الكلّي والجزئي وأثرهما في بناء القاعدة النحوية

يطلق مفهوم الكلي على ما هو موضوع حقيقة لكل فرد من أفراد الجنس في الخارج على وجه التشريك مثل الأسد، وهو لا يخرج عن المعنى الذي ذكره المناطقة للكلي بأنه:

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢: ٤٠٠.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢: ٢٣٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢: ٢٣٣.

ما لا يمنع نفس تصوره من صدقه على كثيرين[١]، فلفظ أسد يشترك فيه كثيرون.

ويُطلق مفهوم الجزئي بالوضع على فرد من الأفراد الخارجية، نحو هذا أسامة مقبلاً، ويعرف المناطقة الجزئي بأنه: ما يمنع نفس تصوره من صدقه على كثيرين[٢]، وفي مثال الرضي هذا أسامة مقبلاً، فإن الإشارة قد حددته لواحد فقط فلا يصدق على كثيرين. [٣]

ومن المفاهيم التي ذكرها ابن يعيش في توظيفه الفلسفي والمنطقي: مصطلحا الكلي والجزئي، وقد استعاره من المنطق لتفسير سلوك الألفاظ بحسب شمولها وخصوصها في الخطاب، يقول: " اعلم أن الأعلام وُضعت على الأشخاص، ليتميّز بعضُها من بعض "[٤].

فالاسم يكون تارةً جزئيًا يدل على فرد، وتارة كليًا يدل على نوع، وهذا الاعتبار معتبرٌ في علل النحاة عند تعميم الحكم أو تخصيصه.

إن هذه الأمثلة وغيرها تجعلنا نجزم بأن المفاهيم الفلسفية لم تكن أدوات تزيينية

(١) ينظر: أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، تحقيق سليمان دنيا (القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٩هـ)، ٧٣؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، ط١ (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ١٩١؛ علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصرنا الحاضر (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠)، ١٢١.

(٢) ينظر: رشدي عزيز محمد، توضيح المفاهيم في المنطق القديم، ط٢ ([د.م]: [د.ن]، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٥٣؛ السيوطي، معجم مقاليد العلوم، ١٩١؛ علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي (القاهرة: دار الفضيلة، [د.ت])، ١٥٦.

(٣) ينظر: رضي الدين محمد بن الحسن الإسترآباذي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر (بنغازي: جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ١: ٢٤٥.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ١٠٩.

في شرح ابن يعيش، بل كانت مقولات بنيوية تساعده على صياغة التحليل النحوي بمنطق علمي صارم، يستند إلى التصنيف، والعلة، والمقدمة، والاستنتاج.

العنصر الثالث: الحد، والرسم، والعلة – حضور المفهوم الفلسفي عند ابن يعيش في التحليل النحوي

هناك بعض المصطلحات تُطلق على الحد لبعض التعاريف أو التعريفات النحوية، وهو ما يقال على الشيء لإفادة تصوره، إما بالكُنْهِ (الحقيقة) كما في الحد التام، وذلك كتعريف الإنسان بأنه (حيوان ناطق) فهذا تعريف له بكنهه وحقيقته، وإما بوجه يميزه عن جميع ما عداه، كما في الحد الناقص والرسم بنوعيه، ومثاله للرسم تعريف الإنسان بأنه (حيوان ضاحك) (١). وهناك نوع ثالث من أنواع التعريف هو (التعريف باللفظ)، ويعني تعريف اللفظ بلفظ آخر أوضح منه في الدلالة على المعنى المراد، وذلك كتعريف البر بالقمح (٢). والعلة: هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجًا مؤثرًا فيه (٣).

ومن بين أبرز أوجه التأثر الفلسفي في شرح ابن يعيش، وأكثرها تعقيدًا وعمقًا، هو إدماجه المنطق الأرسطي في بنية التحليل النحوي. إذ إنَّ القارئ للنص يجد أن ابن يعيش يستخدم مفاهيم المنطق مثل "الحد"، و"الرسم"، و"القياس"، و"القضية"، و"النتيجة"، بوصفها أدوات إجرائية لفهم العلاقات بين الكلمات والمركّبات.

ففي باب التعاريف النحوية، مثل تعريف الاسم أو الجملة أو النعت، يحرص ابن يعيش على تطبيق المعايير المنطقية التي تميّز بين الحد التام (المعرف بالجنس والفصل)

(١) ينظر: جعفر آل ياسين، المنطق السينوي: عرض ودراسة لنظرية المنطق عند ابن سينا (بيروت: دار الآفاق الجديدة، [د.ت])، ٢٨–٢٩؛ النشار، المنطق الصوري، ٢٠٣.

(٢) ينظر: محمد، توضيح المفاهيم في المنطق القديم، ٨٥.

(٣) ينظر: الجرجاني، معجم التعريفات، ١٥٤.

والرسم (المعرّف بالخواص واللوازم). فهو يقول مفسرًا حدَّ الاسم عند صاحب المفصل فيقول: "الاسم هو ما دلّ على معنى في نفسه دلالةً مجرَّدة عن الاقتران "[١].. وقوله: "دلالةً مجرَّدةً عن الاقتران" فصلٌ ثانٍ، احترز به عن الفعل، لأنّ الفعل يدلّ على معنًى مقترنٍ بزمان. وحاصلُ هذا الحدّ راجع إلى الأوّل، وهو ما دلّ على معنى مفرد. ويُرَدّ على هذا الحدّ المصادرُ، وسائرُ الأحداثِ؛ لأنّها تدلّ على معنًى وزمانٍ، وذلك أنّ أكثر النحويين يضيف إلى ذلك الزمانَ المحصَّلَ؛ لأنّ زمن المصادر مبهم "[٢]. وهذا تعريف رسمي لا حدّي؛ لأن الزمان من عوارض الفعل، لا من فصوله الذاتية.

وهو هنا يُفرّق بدقة منطقية بين ما هو جوهري في تعريف الاسم، وما هو عرضي، ويحدد طبيعة التعريف نفسه: هل هو حدٌّ أو رسم؟ وهذا مما يدلّ على رسوخ الخلفية المنطقية في ذهنه.

ويظهر أثر المنطق كذلك في تفسير ابن يعيش لطبيعة الاستدلال النحوي، خاصة في المسائل المتعلقة بتوجيه الخلافات أو تبرير القواعد. فهو كثيرًا ما يعرض المسألة على هيئة مقدمة كبرى + مقدمة صغرى = نتيجة .ففي تعليله لعدم جواز تقديم خبر أو اسم الحروف الناسخة مثل (إنّ وأخواتها) على بعضها، يوضح أن هذه الحروف تختلف عن كان وأخواتها؛ لأنها حروف وليست أفعالًا، فتصرفها النحوي مختلف. فيقول: "ولا يجوز تقديم خبرها ولا اسمها عليها، ويجوز ذلك في المبتدأ، وذلك لعدم تصرّف هذه الحروف، وكَوْنها فروعًا على الأفعال في العمل، فانحطت عن درجة الأفعال، فجاز التقديم في الأفعال، نحو: 'قائمًا كان زيدٌ' و'كان قائمًا زيدٌ'، ولم يجز ذلك في هذه الحروف"[٣].

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٨١.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٨٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٥٦.

فهذا نموذج للاستدلال القياسي الأرسطي الذي يعتمد على المقدمات لبلوغ نتيجة، ولا شك أنَّ هذا الانزياح نحو المنطق يعكس رغبةً دفينة في تحويل النحو إلى علم معياري، لا يكتفي برصد الظواهر، بل يعللها ويقننها وفق أسس عقلية.

وقد أشار الدكتور فاضل السامرائي إلى هذا الطابع المنهجي في ابن يعيش، فقال: "يمثل شرح المفصل عند ابن يعيش بناءً عقلانيًا متماسكًا، استثمر أدوات المنطق دون أن يذيب النحو فيه، فظل للنحو خصوصيته، وللعقل سلطانه"[١].

وهو ما يجعلنا نقرر أن شرح ابن يعيش، وإن تأثر بالفلسفة والمنطق، إلا أنه لم يتخلَّ عن جذوره النحوية، بل حاول إعادة تفسيرها على ضوء منطقٍ عقلاني يحاكي علوم عصره، ويقدّم للنحو العربي أفقًا تحليليًا يتجاوز الوصف إلى الفهم البنيوي والتعليل المنهجي.

(١) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو (بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٣)، ١: ٢٢٤.

المبحث الثاني: المنهج المنطقي في الاستدلال والتحليل

أولاً– ملامح القياس والاستقراء في بناء القاعدة عند ابن يعيش

القياس عند المنطقيين: قول مؤلَّف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر، كقولنا: العالم متغير، وكل متغير حادث؛ فإنه قول مركب من قضيتين إذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما: العالم حادث(١).

والاستقراء هو: تتبع حالات جزئية للوصول إلى قانون كلي يصدق عليها وعلى ما يشابهها من الحالات الأخرى، أو هو انتقال الذهن من حكم خاص إلى حكم عام بواسطة (٢)، إلا أن هذا التعريف يمكن اعتباره تعريفاً شكلياً، وكان الاستقراء بوصفه الشكلي هذا موجوداً عند أرسطو(٣).

وتمثّل صياغة القواعد النحوية في شرح المفصل ابن يعيش مظهرًا جليًا من مظاهر تغلغل المنطق الأرسطي في آليات التفكير النحوي. فقد سعى ابن يعيش إلى بناء القاعدة النحوية على أساسٍ استدلالي تعليلي، يُراعي فيه العلاقات العقلية بين الألفاظ والدلالات، بدل الاكتفاء بالوصف أو التلقي المجرّد. وهذا ما يتوافق مع طريقة المناطقة في استنباط الأحكام من مقدمات كلية.

ومن النماذج على اعتماده على الاستقراء في باب رفع الفاعل، فإنه لا يكتفي بإثبات الحكم السائد، بل يسعى إلى إقامة البرهان العقلي عليه، يقوله في تعريف

(١) ينظر: الجرجاني، معجم التعريفات، ١٨١.

(٢) ينظر: أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، ط٢ (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦)، ٣٣.

(٣) ينظر: محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٠)، ١١٩؛ محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، ط٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠)، ٥٥.

الفاعل: " يقول صاحب الكتاب: هو ما كان المسند إليه، من فعل أو شبهه مقدمًا عليه أبداً؛ كقولك: "ضرب زيدٌ"، و"زيدٌ ضاربٌ غلامه" و"حسنٌ وجهه". وحقه الرفع، ورافعه ما أسند إليه"(١).

هنا نجد منطقًا إسناديًا يحاكي بنية القضية المنطقية:

- الإسناد مسند إلى الفاعل (مقدمة أولى).
- الفاعل هو المسند إليه (مقدمة ثانية).
- إذن يجب أن يدل عليه بالرفع (نتيجة).

وهو استدلال مستبطن لبنية القياس المنطقي التي تأثرت بها كتب النحو منذ ابن السراج، لكنها بلغت نضجها في شرح ابن يعيش.

ويلاحظ أن هذه الطريقة ليست اجتهادًا لغويًا صرفًا، بل تقوم على تصورات عقلية كلية حول طبيعة العلاقة بين "المسند" و"المسند إليه"، وبين "العامل" و"المعمول"، وهي تصورات تنتمي صراحة إلى بنية المنطق.

بل إن ابن يعيش في أحيان كثيرة يُقارب الظواهر النحوية على هيئة قضايا منطقية، كما في قوله عن تقديم المفعول به: وإذا كان الفاعل كالجزء من الفعل، وجب أن يترتّب بعده. ولهذا المعنى لا يجوز أن يتقدّم عليه، كما لا يجوز تقديمُ حرفٍ من حروفِ الكلمة على أوّلها "(٢).

وهذا الطرح يعكس قاعدة منطقية رئيسة تقول: "لا يُعدل عن الأصل إلا بدليل أرجح"، وهو ما يُعرف في أصول الفقه بالاستصحاب، وفي المنطق بـ"لزوم إقامة العلة عند الانتقال من القاعدة."

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٠٠.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٠٣.

وقد لاحظ عبد الرحمن حاج صالح هذه السمة فقال: "يمثل ابن يعيش أحد أقطاب المدرسة النحوية العقلانية، التي ربطت القواعد النحوية بالمبادئ العقلية العامة، بحيث لم يعد النحو عنده مجرد فن بل علم ذو قوانين"(١).

ثانيًا– العلاقة بين المقدمة والنتيجة في التعليل النحوي

إن استثمار ابن يعيش للمنطق لا يتوقف عند صياغة القواعد، بل يمتد إلى إثباتها، والدفاع عنها أمام احتمالات النقض والخلاف، عبر نماذج من الاستدلال العقلي المبني على القياس المنطقي.

وتتجلى هذه الطريقة في نقاشه لمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، إذ غالبًا ما يعرض الرأيين، ثم يعمد إلى بناء صورة من القياس المنطقي تدعم الرأي الذي يرجّحه. كما في مناقشته لمسألة "إعمال (ما) الحجازية":

"قال الكوفيون: تعمل مطلقًا، ورد عليهم البصريون بأن إعمالها دون خبر غير مقيس، ونحن نقول: إنّ كلّ عامل يحتاج إلى معمولين؛ فإذا فُقد أحدهما اختل التركيب، فوجب منع الإعمال"(٢).

فابن يعيش هنا يُخضع المسألة لقانون منطقي عام: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن ثمّ يُسقط هذا القانون على (ما) ليحكم بعدم جواز الإعمال دون خبر.

ويقول في مسألة (العامل في المبتدأ والخبر): " فذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبرَ، والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان، قالوا: وإنما قلنا: ذلك؛ لأنّا وجدنا المبتدأ لا بدّ له من خبرٍ، والخبرَ لا بدّ له من مبتدأ، فلمّا كان كلُّ واحد منهما لا ينفَك من الآخر، ويقتضي صاحبَه، عمِل كل واحد منهما في صاحبه، مِثْلَ عَمَلِ

(١) عبد الرحمن حاج صالح، "مدخل إلى النحو العقلي عند ابن يعيش"، مجلة مجمع اللغة العربية الجزائري ٢١ (١٩٩١): ٥٤.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣: ١٠٢.

صاحبه فيه" [١].

وهذا الشكل من القياس النظري الكلي لا يتأسس على الوقائع اللغوية وحدها، بل على مبادئ عقلية مجردة، تُمنح سلطة تفسيرية، وتُستخدم لتقويم الروايات والسماع. وهو ما دعا ابن مضاء القرطبي إلى نقد هذا الاتجاه لاحقًا، معتبرًا أن النحاة قد غَلّبوا المعايير العقلية على النقل والسماع[٢].

ويُمكن إجمال الآليات التي اعتمدها ابن يعيش في الاستدلال النحوي بما يلي:

١. القياس الكلي: قاعدة عامة تُسقط على الجزئيات (كما في تبرير عمل الحروف)، يقول في تبرير عمل (إنَّ وأخواتها): "اعلم أنّ هذه الحروِف، وهي "إنَّ" وأخواتُها وهي ستّةٌ: "إنَّ"، و"أنَّ"، و"لَكِنَّ"، و"لَيْتَ"، و"لَعَلَّ"، و"كَأَنَّ" من العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر، فتنصِب ما كان مبتدأً وترفع ما كان خبرًا، وإنما عمِلتْ لشَبَهها بالأفعال.."[٣].

٢. الاستقراء: جمع شواهد متعددة وتعميم الحكم (كما في إثبات رفع الفاعل)، و(اختصاص الاسم بالجر) يقول: "ومن خواصّ الاسم الجرّ، وذلك أنّه لا يكون في الفعل، ولا الحرفِ؛ أمّا الحروف؛ فلأنّها مبنيّةٌ لا يدخلها الجرُّ، ولا شيءٌ من أنواع الإعراب، ولا ينعقد منها كلام مع غيرها فتحكم على محلّها بإعراب ذلك الموضع؛ وأمّا الفعل فَمِنْهُ ما هو مُعْرَبٌ، وهو المضارعُ، إلّا أنّه لا يدخله الجرُّ "[٤].

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٢٢.

(٢) محمد بن محمد ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٢)، ٤٨.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٥٤.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٨٨.

٣. التمثيل: القياس على نظير (كما في إثبات النعت السببي بقياسه على الحقيقي)، يقول: "قال صاحب الكتاب: وقد نزلوا نعت الشيء بحال ما هو سببه منزلة نعته بحاله هو، نحو قولك: "مررت برجلٍ كثيرٍ عدوه، وقليل من لا سبب بينه وبينه"(١).

٤. الاستبعاد العقلي: نقض الرأي المخالف بنقض لوازمه (كما في رفض جواز تقديم خبر "إنّ"). يقول: "ولا يجوز تقديمُ خبرها ولا اسمِها عليها، ولا تقديمُ الخبر فيها على الاسم. ويجوز ذلك في المبتدأ؛ وذلك لعدمِ تصرُّفِ هذه الحروف، وكَوْنِها فُرُوعًا على الأفعال في العمل، فانحطتْ عن درجةِ الأفعال، فجاز التقديمُ في الأفعال، نحوُ: "قائمًا كان زيدٌ"، و"كان قائمًا زيدٌ"، ولم يجز ذلك في هذه الحروف "(٢).

وقد عبّر فخر الدين الرازي عن هذا الأسلوب في مؤلفات معاصرة لابن يعيش، حين قال:

"النحو أشبه بالفروع الفقهية، وهو مبني على علل وظواهر تُستنبط بالعقل، ما لم يصادمها نص"(٣).

وهو توصيف يؤكّد أن النحو – في حقبة النضج – لم يكن مجرد انعكاس للسماع، بل مجالًا لاجتهاد عقلاني قائم على بناء نظري، يُسهم فيه المنطق بوصفه منهجًا لا غاية.

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢: ٢٤٣.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٥٦.

(٣) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المحصول في أصول الفقه، تحقيق طه جابر العلواني (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠)، ٢: ٣٨٩.

ثالثًا– موقف ابن يعيش من الجدل بين القياس العقلي والسماع

ظل الجدل قائمًا في التراث النحوي حول حدود التوفيق بين القياس العقلي والسماع اللغوي. وقد اتخذ النحويون مواقف متباينة، بين من يُقدّم العقل والمنطق، وبين من يتمسك بالمنقول المحض، كما هو شأن ابن مضاء الأندلسي، الذي رفض العلل النحوية، وهاجم المنهج التعليلي بأكمله(١).

أما ابن يعيش، فكان من أنصار التوازن بين العقل والنقل، فالقياس مقبول ما لم يصادم نقلاً صحيحًا، فإن خالفه وجب التوقف؛ لأن العربية سماع، والعلل إنما تُستأنس بها.

يقول: " إذا قلت: "يا ابن أخي"، و"يا غُلامَ غلامِي"، فالقياسُ في هذه الياءات ألا تُحذف؛ لأنّ النداء لم يقع على "الأخ" ولا على "الغلام" الثاني، فهما بمنزلةِ غيرهما في غير النداء، ألا تراك تقول في الخبر: "جاء غلامُ أخي"؟ فكما أنّ "الأخ" ليس له حَظٌّ في المجيء، فكذلك إذا قلت: "يا غلامَ أخي" ليس للأخ حظٌّ في النداء، والياءُ إنّما تُحذف إذا وقعتْ موقعًا يُحذف فيه التنوين، وهو أن تتّصل بالاسم المنادى، هذا هو القياس، إلَّا أنّه قد ورد عنهم في قولهم: "يا ابنَ أُمّي"، و"يا ابنَ عَمّي"، على الخُصوص أربعةُ أوجهٍ مسموعةٍ من العرب حكاها الخليلُ ويونسُ "(٢).

فهنا يُقر بمشروعية القياس العقلي، لكنه لا يمنحه سلطة مطلقة، بل يجعله تابعًا لما تقرره الأدلة السماعية، وهذا المنهج الوسيط هو ما جعل شرحه يجمع بين العمق التحليلي والانضباط التراثي، فلم يقع في التعقيد المنطقي المجرد، ولا في الجمود النقلي البحت.

أمَّا إذا خالف القياس الاستعمال فالاستعمال هو الراجح عنده، يقول في نصب الاسم الواقع بعد (أيّ) على رأي المازني في قولنا: يا أيها الرجل:" وقد أجاز

(١) ابن مضاء، الرد على النحاة، ٦٠.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٣٥٥.

المازني نصبَ ذلك حَمْلاً على الموضع قياسًا على غيرِ المبهم، والصوابُ ما ذكرنا للمانع المذكور "[1].

رابعا– أمثلة تطبيقية من شرح المفصل تبرز المنزع العقلي والمنطقي

لقد اتسم منهج ابن يعيش النحوي بتوازن فريد بين النقل الموثوق والعقل المدبّر، بحيث لم يكن شرحه للمفصل مجرّد إعادة صياغة للتراث النحوي، بل كان إعادة بناء تعليلي تبرز فيه أدوات الفقيه، ومنطق الفيلسوف، وفطنة النحوي. وهو منهج لا يقتصر على الشرح الظاهري لقواعد النحو، بل ينفذ إلى عمقها عبر ربطها بمقدمات عقلية، واستنباطات تعليلية تنزع إلى بناء نسق داخلي مُحكم يُحاكي في ترتيبه وقوانينه ما يُعرف في الفلسفة بـ"منطق الماهية والعلّة".

ومن أبلغ ما يُظهر هذا التوازن بين العقل والنقل في مشروعه التحليلي، ما نلمسه من توظيفه لآلية الاستدلال بالأولى، وهي آلية لا تقوم على السماع وحده، بل ترتكز على ترتيب العقل للنتائج بحسب معيار الأولوية، بما يقربها من شكل القياس الخطابي في المنطق الأرسطي (rhetorical syllogism)، حيث يُعطى الأسبق أو الأقوى أسبقية في الثبوت على الأضعف. وقد خصص الدكتور سامح الصباغ دراسة مستفيضة لهذا النوع من الاستدلال، مبرزًا كيف يوظّفه ابن يعيش بصورة منهجية في ثلاثة سياقات رئيسة:

– دعم رأي نحوي يراه أرجح، كقوله: "وتقول في الواحدة المؤنّثة: "هي"، بفتح الياء، كأنّهم قوّوها بالحركة، إذ كان الضميرُ المنفصل عندهم يجري مجرى الظاهر. وأقَلُّ ما يكون عليه الظاهرُ ثلاثةُ أحرف، ولما كان "هُوَ"، و"هِيَ" على حرفَيْن، قُوّيا بالحركة، وكانت الفتحة أَوْلى لخفّتها. وذهب الكوفيون إلى أن الاسم الهاء وحدها، كما

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٣٢٩.

ذكرنا في "هُوَ" الذي للمذكّر، واحتجّوا لذلك بحذفِ الياء في نحو قوله [١]:

دِيارُ سُعْدَى إذهِ من هَواكَا

وليس في ذلك حجّةٌ؛ لأنّ ذلك من ضروراتِ الشعر "[٢].

– تفنيد قول مخالف يخالف المعقول، كقوله في حذف الفاعل ألبتة: "وأمّا حذفُ الفاعل ألبتّة، وإخلاء الفعل عنه، فغيرُ معروف في شيء من كلامهم. فكان ما قلناه، وهو الحملُ على الإضمار بشرط التفسير أوْلَى؛ إذ كان له نظيرٌ من كلام العرب، فكان أقَل مخالفة "[٣].

– تأصيل استعمال لغوي يُحتج له بالقياس العقلي متى ما غاب السماع، كقوله:" وأمّا وزن الفعل فهو من الأسباب المانعة للصرف. وهو فرعٌ؛ لأنّ البناء للفعل؛ إذ كان يخُصّه، أو يغلب عليه، فكان أوْلى به "[٤].

ويقوم هذا النوع من الاستدلال على فرضية ضمنية مفادها: إذا ثبت الحكم في موضع ضعيف العلة، فثبوته في موضع أقوى أولى وأحرى. فعلى سبيل المثال، إذا ثبت جواز رفع الاسم بعد 'إنّ' المسبوقة بـ'من'، وكان الموضع واضحًا وغير ملتبس، فإن المواضع التي تخلو من الحرف أو كانت أدعى للفهم أولى بالجواز؛ لأن العلة باقية والمانع مرتفع. وهذا ما يُظهر أن ابن يعيش لا يتعامل مع اللغة بمنطق التلقي السلبي، بل

(١) من الرجز، وهو بلا نسبة في: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ([د.م]: المكتبة العلمية، [د.ت])، ١: ٨٩؛ عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، [د.ت])، ٢: ٥، ٨.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢: ٣٠٩، ٣١٠.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٠٧.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ١٦٩.

بمنطق العقل الموازن بين الظاهر والأنسب، ويدير المفاهيم النحوية ضمن منظومة استدلالية محكومة بتراتبية علّية عقلية(١).

وتتوافق هذه النزعة العقلانية مع ما عرضه هذا البحث في المباحث السابقة من حضور للمفاهيم الفلسفية في تحليل ابن يعيش النحوي؛ فكما استثمر مفاهيم الجوهر والعرض، والحد والرسم، والكل والجزء لتفسير العلاقات التركيبية، فقد انفتح كذلك على أدوات المنطق الاستدلالي: كالقياس، والتمثيل، والاستقراء، ليجعل منها رافدًا حقيقيًا في بناء نظريته النحوية، دون أن يُقحمها إقحامًا تجريديًا، بل يُعيد صياغتها داخل النسق النحوي بوظيفية عالية.

وعليه فإنَّ الاستدلال بالأولى يُعدّ في هذا السياق امتدادًا تطبيقيًا لمفهوم "العقل النحوي"، الذي شكّل لدى ابن يعيش ركيزة في توليد الأحكام وترجيح الأوجه؛ إذ كثيرًا ما نلمح في عباراته ألفاظًا كـ "أولى"، "أقيس"، "أنسب"، "أدل على المعنى"، من ذلك قوله: " الشرط لا يكون إلّا فعلًا ولا يَلِيه مبتدأٌ وخبرٌ. فلا تقول: "إنْ زيدٌ قائمٌ أَقُمْ"(٢).

فقد لاحظ ابن يعيش أن الشرط لا يكون إلا فعلًا، ولا يقع بعد أداة الشرط مبتدأ وخبر، ثم يقرر القاعدة العقلية التالية: الشرط لا يكون إلا فعلًا.

وهذا الاستدلال ينهض على ترتيب عقلاني للأحكام النحوية، وهو ما يقرّبه من صورة القياس الخطابي (rhetorical syllogism) في المنطق الأرسطي، حيث يُحكم للأقوى بما ثبت للأضعف. وبذلك يؤسس ابن يعيش توجيهه على قاعدة عقلية برهانية، لا تخالف النقل، لكنها تضيف إليه ترتيبًا منطقيًا وتصنيفًا مراتبِيًّا

(١) سامح إبراهيم الصباغ، "الاستدلال بالأولى عند ابن يعيش: دراسة نحوية في شرحه على المفصل"، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود ٣٥ (٢٠٢٣): ٥٠٨–٥١٨.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٤١٥.

لأوجه اللغة[١].

وهذه الوظائف، وإن بدت في ظاهرها نحوية، إلا أنها من حيث الجوهر تُحاكي الوظائف الفلسفية التي أسندها ابن يعيش إلى مفاهيمه الميتافيزيقية، مما يعزز الرؤية التي نطرحها في هذا البحث، والتي ترى في شـــرحه نحوًا عقليًا قائمًا على البرهان، ومبنيًا على تعالق متين بين اللغة والمنطق، والظاهر والباطن، والنقل والعقل.

(١) حول مفهوم القياس الخطابي في المنطق الأرسطي، انظر: أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط١ (القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٦٠)، ٢١٢–٢١٥.

الفصل الثاني- التداخل المعرفي والتقويم

المبحث الأول: مظاهر التداخل بين الفكر الفلسفي والتحليل النحوي في تجربة ابن يعيش

شهد التراث النحوي العربي، خاصةً منذ العصر العباسي، تداخلاً عميقاً بين قواعد اللغة وأصول الفكر الفلسفي والمنطقي، ولا يخفى على أحدٍ أنَّ العلاقة بين النحو والمنطق تبدأ من عمق العقلية الإنسانية حين تفكر وتعبر وتتواصل، يقول د. عبد الرحمن بدوي: "ويغلب على الظن أن نشأة المنطق نفسه مرتبطة بالنحو، فقد بدأت البذور الأولى للمنطق عند اليونان في أبحاث السفسطائية الخاصة باللغة والخطابة والنحو بوجه أخص"(١).

وكان العلامة موفق الدين ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) أحد أبرز ممثلي المدرسة الذين عمّقوا هذا التداخل في مؤلفه العظيم "شرح المفصل للزمخشري ."وقد تجلت مظاهر هذا التلاقح في ثلاثة أبعاد رئيسة هي: نظرته إلى اللغة كنظام عقلي، وتوظيفه للمنطق الأرسطي في تنظيم النحو، وتفرد تجربته في المواءمة بينهما، وسوف نتحدث عن كلٍّ واحدةٍ منها بشيءٍ من التفصيل:

أولاً– اللغة بوصفها نظامًا عقليًا عند ابن يعيش

تبنّى ابن يعيش، كسائر نحاة المدرسة المنهجية المتأخرة، رؤية ترى في اللغة العربية نظامًا محكومًا بقوانين عقلية، لا مجرد ظواهر سماعية. فهو يعتبر أن الأحكام الإعرابية، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف ليست اعتباطية، بل نتاج قصد المتكلم وغرضه العقلي. ومن هنا، يصبح النحو عنده عملية استدلال عقلية تهدف إلى الكشف عن القوانين الكامنة وراء الاستعمال اللغوي، مع إعطاء العامل المعنوي الأولوية في تفسير

(١) عبد الرحمن بدوي، المنطق الصوري والرياضي، ط٤ (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٧)، ٣٣.

الظواهر النحوية، بما يعكس طبيعة اللغة العربية كنسق متكامل يحكمه العقل والغاية في آنٍ واحد.

القياس والتعليل: اعتمد ابن يعيش على التعليل (الأسباب النحوية) والقياس المنطقي لتفسير الظواهر. فما يتميز به أسلوبه هو تتبعه الدقيق لـ"العلل" و"الحكم" و"الغاية"، وهو ما ينقل الدرس النحوي من مجرد الوصف إلى مجال التفسير والتنظير. على سبيل المثال، تفسيره لحركة الإعراب، أو لزوم بعض ألفاظ البناء غالباً ما يعود إلى علة منطقية تتعلق بثقل اللفظ أو خفته، أو معناه الأصلي وافتقاره، كما في قوله:" وخصّوا الاسمَ بالقلب للفرق؛ لأنّ الاسم أخفُّ من الصفة، والصفةُ أثقلُ؛ لأنّها في معنى الفعل، والأفعالُ أثقلُ من الأسماء، والواو أثقل من الياء، فجعلوها في الاسم الذي هو خفيف، ولم تُجعل في الصفة، لئلاّ تزداد ثقلًا" (١)، وهذا يدل على أن ابن يعيش يرى أن العقل هو المنظم الأساسي لأبواب اللغة.

القصد النحوي: تُعدّ فكرة قصد المتكلم الفلسفية الأساس الذي يبني عليه ابن يعيش كثيرًا من اختياراته النحوية؛ فالعلاقات الإعرابية عنده لا تنشأ من تلقاء ذاتها، بل تُمنح لغرضٍ قصده المتكلم، من ذلك قوله في باب ظن وأخواتها:" والاعتمادُ بهذه الأفعال على المفعول الثاني الذي كان خبرًا للمبتدأ، وذلك أنك إذا قلت: "علمت زيدًا منطلقًا"، فإنما وقع علمُك بانطلاقه إذ كنت عالماً به من قبلُ، فالمخاطَبَ والمخاطِب في المفعول الأول سواءٌ، وإنما الفائدة في المفعول الثاني كما كان في المبتدأ والخبر الفائدة في الخبر لا في المبتدأ "(٢).

وهذا يبيّن أن اللغة عنده تجسيدٌ خارجي لنظامٍ ذهنيٍّ داخليٍّ، وأن القصد هو المحرك الأساس للعلامة اللغوية.

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٥: ٤٧٥.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤: ٣١٨.

ثانيًا– أثر المنطق الأرسطي في تنظيم التفكير النحوي

أولاً، يظهر أثر المنطق الأرسطي، الذي شاع في الثقافة الإسلامية، في تفكير ابن يعيش من خلال أمرين أساسيين: التعريفات وآلية الاستدلال. وسوف نتناول كل واحدٍ منهما بما يوضح المراد ويحقق الغرض من هذه الدراسة، دون الدخول في تفاصيل موسّعة في هذا الموضع.

(١) التعريفات المنطقية (الحد والرسم): والمراد بالحد عند النحويين هو الدال على حقيقة الشيء [١]، وهو الكاشف عن حقيقة المحدود[٢]، وما يُميز الشيء عما عداه ولا يكون كذلك إلا ما كان جامعًا مانعًا[٣]، ويجتمع النحاة في حد الحد بما ميَّز الشيء وفصله من أقرب الأشياء بحيث منع من مخالطة غيره له، والحدُّ والمعرَّفُ في عُرف النحاة والفقهاء والأصوليين اسمان لمسمى واحد [٤].

ومن أمثلة ذلك عند ابن يعيش: قوله في تعريف الفاعل" :هو ما كان المسند إليه، من فعل أو شبهه، مقدمًا عليه أبدًا"[٥]، ويقول: "واعلم أن الفاعل في عُرْف النحويّين: كل اسم ذكرتَه بعد فعلٍ، وأسندتَ ونسبت ذلك الفعلَ إلى ذلك الاسم "[٦].

نلاحظ في هذه التعريفات أنها ذو طابع منطقي واضح يجمع بين الجنس والفصل.

(١) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ٤٦.

(٢) محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري، مسائل خلافية في النحو، تحقيق محمد خير الحلواني، ط١ (بيروت: دار الشرق العربي، ١٤١٢هـ)، ١: ٤٧.

(٣) محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق غازي طليمات، ط١ (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥)، ١: ٤٥.

(٤) عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري، ط٢ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ١٧، ٤٢.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٠٠.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٠٠.

وقد أسهم هذا المنهج في إضفاء صبغةٍ علميةٍ صارمةٍ على النحو، اتّسمت بالابتعاد عن العبارات الوصفية الغامضة، والاقتراب من العبارات الدقيقة المحدّدة.

(٢) التنظيم الهيكلي والاستدلال القياسي: ويتجلّى عند ابن يعيش في طريقته الدقيقة في تحليل الظواهر النحوية، إذ يستعير من المنطق منهج القياس بوصفه وسيلة للبرهنة والاستدلال. فالقياس عنده يقوم على إلحاق فرعٍ بأصلٍ في الحكم ويظهر هذا المنهج القياسي بوضوح في تناوله لقضايا الأبواب النحوية، كما في شرحه لمسألة تذكير العدد وتأنيثه، إذ قال: "اعلم أن عدد المؤنّث من ثلاثة إلى عشرة بغير هاء، كقولك: "ثلاثُ نِسْوةٍ"، و"أربعُ جوارٍ"، و"عشرُ لَيالٍ"، وعددَ المذكّر بالهاء، نحو: "خمسة أبياتٍ"، و"سبعة دراهم"، و"عشرة دنانيرَ". وهذا عكس القاعدة؛ لأنّ القاعدة إثباتُ العلامة مع المؤنّث، وحذفُها مع المذكّر. وإنما كان الأمر في العدد على ما ذكر للفرق بين المذكّر والمؤنّث. وإنّما اختصّ المذكّرُ بالتاء؛ لأنّ أصل العدد قبل تعليقه على معدوده أن يكون مؤنّثًا بالتاء من نحو "ثلاثة"، و"أربعة"، ونحوهما من أسماء العدد، فإذا أردت تعليقَه على معدود هو أصلٌ وفرعٌ؛ جُعل الأصل للأصل، فأُثبتت العلامة؛ والفرعُ للفرع، فأُسقطت العلامة. (١)"

يتّضح من هذا التحليل أن ابن يعيش لا يكتفي بوصف الظاهرة اللغوية، بل يسعى إلى تفسيرها تفسيرًا عقليًا استدلاليًا قائمًا على مبدأ العلّة والمعلول. فهو يربط بين الأصل والفرع ربطًا منطقيًا، يجعل القاعدة النحوية نتيجة استنباطية لعلاقة عقلية لا مجرد سماعية. وقد أسهم هذا المنهج في تنظيم المعرفة النحوية وتقسيمها إلى أصول وفروع، وضبط عملية توليد الأحكام، فانتقل النحو بفضل هذا الاتجاه من مجرد جمعٍ للأمثلة إلى علم استدلالي منظم يسير وفق ترتيب منطقي، من العام إلى الخاص، ومن الأصل إلى الفرع.

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤: ٦.

ثالثًا– خصوصية التفاعل بين الفلسفة والنحو في تجربته

تجلّت خصوصية التفاعل بين الفلسفة والنحو في تجربة ابن يعيش في كونه نحويًّا منطقيًّا عمليًّا، لم يكن غرضه الانخراط في الجدل الفلسفي النظري، بل جعل من الفلسفة والمنطق وسيلتين لخدمة اللغة وتفسير ظواهرها وتعليل أحكامها. فعلى الرغم من توظيفه للمفاهيم المنطقية في شرحه، ظلّ ابن يعيش ملتزمًا بشاهد اللغة العربية ـــ نقلًا وسماعًا ـ بوصفه المرجع الأعلى الذي لا يجوز تجاوزه. وإذا تعارضت قاعدة منطقية مع الاستعمال العربي الثابت، قدّم النحو على المنطق، مؤكدًا أن العقل المنطقي أداة لفهم اللغة لا حكمًا مطلقًا على ما نصّت عليه اللغة العربية.

يتضح من هذا أن ابن يعيش كان ينظر إلى المنطق على أنه منظِّم للفكر النحوي ومفسّر له، لا مشرّع للأحكام اللغوية. فموقع المنطق عنده موقع الوسيلة لا الغاية، والوظيفة التفسيرية لا الإنشائية.

وقد أسهم هذا المنهج في إثراء الجانب التعليمي في شرحه، إذ قدّم مادة شرح المفصل بأسلوب منهجي واضح، يربط بين العلل والأحكام، ويقرب المسائل إلى ذهن المتعلم من خلال تسلسل منطقي يسير من الكلي إلى الجزئي، ومن العلة إلى المعلول. وهكذا استطاع ابن يعيش أن يجمع في تجربته بين أصالة التحليل اللغوي ودقة التنظيم الفلسفي، فجاء شرحه ذروةً في التفاعل الإيجابي بين الفكر النحوي والمنطقي، دون أن يفقد النحو طبيعته الأصيلة القائمة على السماع والقياس العربي.

المبحث الثاني: تقييم الأثر الفلسفي والمنطقي في النحو عند ابن يعيش

أولاً– إيجابيات هذا التأثير

يمكن النظر إلى إدماج ابن يعيش للفلسفة والمنطق في شرحه للمفصل على أنه تجربة علمية ناضجة سعت إلى بناء نحو عربي يتجاوز الوصف الظاهري إلى التحليل العميق، وقد ساعده على هذا الفكر ما وصل إليه الفكر النحوي في القرن السابع الهجري من تطور في التفكير أدى إلى تطور في العلوم وذلك من خلال التأثر والتأثير فيها، ولا شكَّ أن اللغة بنت السماع، ولكن العلماء قدَّروا أن متحدث اللغة لن يسمع كل ما يحتاج أن يتكلّم به، فالمتحدث لابُدَّ أن يقيس بعض ما يستعمله في خطابه على ما سمعه وأتقنه في حياته، وكذلك فإن التقعيد النحوي استدعى استقراء اللغة ليتأسس على اللغة نفسها وواقعها، وليحولها إلى علم، ومن هنا لجأ النحاة إلى الأدلة العقلية[١] في قياس ما لم يُسمع على ما سُمع فرأينا المصطلحات العقلية كالقياس، والاستقراء، واستصحاب الأصل وغيرها من الأدلة.

ويمكن هُنا ذكر أهم الأسس التي ارتكز عليها وتأثر بها في شرحه للمفصل للزمخشري من استخدام هذه الأدلة:

(١) تعزيز النزعة التحليلية في النحو

لقد منح التفاعل مع المنطق عند ابن يعيش أدوات جديدة لفهم القواعد وتفكيك بنيتها، وخصوصًا من خلال استعمال المفاهيم الفلسفية (الجوهر،

(١) محمد بن عبد الرحمن السبيهين، اعتراض النحويين للدليل العقلي (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ٣٢.

العرض، الكلي، الجزئي...) آلياتٍ تفسيريةٍ قادرةٍ على كشف العلاقات المعنوية بين عناصر الجملة. وهذا ما جعله يقدّم تعريفات دقيقة، ويفرق بين ما هو ذاتي وما هو عرضي، ويُبيّن مرتبة كل عنصر لغوي في سلم التحليل، معتمدًا على العقل والمنطق وسيلتين لفهم اللغة العربية، دون أن يتجاوز النقل والسماع في كونهما نقطة انطلاق للضبط اللغوي.

(٢) إثراء المنظومة الاصطلاحية.

أسهمت المفاهيم الفلسفية في إثراء المصطلح النحوي، فبدلاً من الاكتفاء بالتقسيمات الوظيفية (فاعل، مفعول...)، أصبح المصطلح النحوي متفاعلًا مع مفاهيم معرفية أكثر شمولًا، كالعلة، والسببية، والمقدمات والنتائج، وهو ما فتح للنحو بابًا نحو التصنيف العلمي والنسق المفاهيمي الواضح، في مقابل التقريرات المدرسية السطحية، فتراه يُعلل للأحكام النحوية بعد تقرير القاعدة لزيادة ترسيخها في ذهن الطالب أو المتعلم، يقول في علة عدم تعدد الفاعل في الجملة الفعلية: "وقوله: "والفاعلُ واحدٌ ليس إلّا"؛ يريد: أنّ كلّ فعل، متعدّيًا كان أو غيرَ متعدّ، لا يكون له إلَّا فاعلٌ واحدٌ. والعلّةُ في ذلك أن الفعل حديثٌ، وخبرٌ، فلا بدّ له من مُحَدَّثٍ عنه، يُسْنَد ذلك الحديث إليه، ويُنْسَب إليه، وإلّا عدِمتْ فائدتُه" (١).

(٣) رفع مستوى التبرير القاعدي

لم يعد الحكم النحوي عند ابن يعيش صادرًا عن مجرد استقراء أو استظهار، بل أصبح مقرونًا بدليل عقلي يُركن إليه في إثبات القاعدة. وبهذا أصبح النحو في شرحه علمًا مُمَنهجًا، تظهر فيه الحُجج، ويُعاد فيه تنظيم المسائل وفق مبادئ كلية، مما جعله

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ١٩٩.

قريبًا في منهجيته من أصـــول الفقه والبلاغة والمنطق، إذ يعتمد على العقل والمنطق أســاســاً في بناء الأحكام وتفسـير الظواهر اللغوية، دون أن يغفل النقل والسـماع في كونهما مرجعية عليا للضبط اللغوي.

(٤) الجمع بين النقل والعقل

امتازت تجربة ابن يعيش بقدرتها على استيعاب الأثر الفلسـفي دون الانفصـال عن التراث النحوي، فهي لا تقطع مع الموروث، بل تُعيد تأويله على ضـــوء منطق جديد. وبهذا قدّم نموذجًا لما يمكن تسميته "النحو العقلي المنضبط"، وهو نموذج يُراعي الترجيح بين الأقوال، ليس فقط على أساس كثرة الشواهد، بل أيضًا وفق البنية الذهنية التي تحكم كل قاعدة.

من ذلك قوله في قول ذي الرمة [١]:

وقَفْنَا وقُلْنَا إِيهِ عن أُم سالِمٍ وما بالُ تَكْلِيمِ الدِّيار البَلاقِعِ

"لما أراد المعرفةَ، لم يأتِ فيه بالتنوين، وكان الأصـــمعيّ يُخطّئ ذا الرمّة في هذا البيت، ويزعم أن العرب لا تقول إلَّا "إِيهٍ" بالتنوين. وجميعُ البصـريين صـوبوا ذا الرمّة، وقسـموا "إيه" إلى معرفة ونكرة، فالمعرفة: "إيهِ" بلا تنوين، والنكرةُ: "إيهٍ" منوّنا، وقالوا: خَفِيَ هذا الموضعُ على من عابه. والقولُ فيه أن الأصمعي أنكره من جهة الاستعمال،

(١) البيت من الطويل، لذي الرمة في: غيلان بن عقبة ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ط٢ (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٤هـ)، ٧٧٨؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ٦: ٢٠١؛ البغدادي، خزانة الأدب، ١٠: ١١٣، ١١٤.

والنحويّون أجازوه قياسًا، ولا خلافَ بينهم في قلةِ استعماله "[١].

وقد علّق الأستاذ محمود فهمي حجازي على هذه النزعة بقوله: "تمثّل شروح القرن السابع، وخصوصًا شرح ابن يعيش، حالة من الوعي الكامل بالحاجة إلى إعادة بناء النحو على أسس عقلية، من دون التفريط في الأسس العربية الأصيلة، وهذا ما يجعلنا نعدّه من المجددين الحقيقيين في منهج النحو"[٢].

ثانيًا– الانتقادات والحدود

على الرغم من القيمة العلمية التي أضافها ابن يعيش لمنهج التحليل النحوي، فإن توظيفه للمفاهيم الفلسفية والمنطقية لم يخلُ من ملاحظات نقدية يمكن إجمالها في النقاط التالية:

(١) الغموض الاصطلاحي

أدى التوسع في استعمال المصطلحات الفلسفية إلى نوع من الغموض الدلالي، إذ لم تكن بعض هذه المصطلحات مستقرة داخل الدرس النحوي، مما جعلها أحيانًا غريبة على المتلقي، وأفضى إلى إبهام التحليل في مواضع تحتاج إلى تبسيط. فمثلًا، وصف النعت بأنه "عرض للذات لازم له"، يقول:" والصفةُ لفظٌ يتبع الموصوفَ في إعرابه تَحْلِيَةً وتخصيصًا له بذِكْرِ معنًى في الموصوف، أو في شيء من سَبَبه، وذلك المعنى عَرَضٌ للذات لازمٌ له"[٣]، ويقول في بناء (فَعِل، وفعيل) للمبالغة أنهما " بناءان

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣: ٨٠.

(٢) محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية بين التراث والمناهج الحديثة (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١)، ١٨٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢: ٢٣٢.

موضوعان للذات والهيئة.." [١].

وهذه المصطلحات فيها من الغموض ما يجعل متعلم النحو في حيرةٍ من أمرِهِ في تفسيرها، كما أنها لا تخدم المتعلم قدر ما تخدم الباحث المتخصص، مما يباعد بين النحو والتعليم.

(٢) الخلط بين التصور النحوي والتصور الفلسفي.

في بعض المواضع، يبدو أن ابن يعيش يُدخل التصوّر الفلسفي بطريقة لا تنسجم دائمًا مع طبيعة الظاهرة اللغوية. فالنحو علم قائم على الاستعمال والسماع، وقد تؤدي محاولة تأويله تأويلًا فلسفيًا إلى طمس خصوصيته اللغوية. وقد انتقد ابن مضاء هذا التوسع، معتبرًا أن تحميل النحو العلل والمنطق بما لا يحتمل قد يثقل الدراسة النحوية ويعقد فهم الظواهر[٢]، وانظر إلى أسلوبه في أول كتابه وهو يفتتحه بألفاظٍ منطقية يصعب على المتعلم فهمها والوقوف على معانيها، مازجًا بين الحد النحوي والحد المنطقي للأشياء، يقول:" اعلم أنّهم إذا أرادوا الدلالة على حقيقة شيءٍ وتمييزه من غيره تمييزًا ذاتيًّا حدّوه بحدّ يُحصِّل لهم الغرضَ المطلوبَ، وقد حدّ صاحب الكتاب الكلمة بما ذكر، وهذه طريقةُ الحدود أن يُؤْتَى بالجنس القريب، ثمّ يُقْرَن به جميع الفُصول، فالجنسُ يدلّ على جَوْهَر المحدود دلالةً عامّةً، والقريبُ منه أدَلُّ على حقيقة المحدود؛ لأنّه يتضمّن ما فوقَه من الذاتيّات العامّة؛ والفصلُ يدلّ على جوهر المحدود دلالةً خاصّةً "[٣].

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤: ٩١.

(٢) ابن مضاء، الرد على النحاة، ٥٥–٥٦.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٧٠.

(٣) الانزلاق نحو التجريد.

تسبّب اعتماد ابن يعيش على المنطق في نزعة تجريدية أخرجت النحو من مجاله التطبيقي. فالأمثلة تُساق لتبرير القواعد، لا لاستحضار الاستعمال اللغوي الحي، والنقاشات تصبح أقرب إلى السجالات العقلية منها إلى شرح اللغة في بنيتها الطبيعية، مما جعل بعض فصول الشرح تميل إلى التجريد الفلسفي بدل البساطة التربوية، وانظر إلى عرضه لمذهب البصريين في العامل في المبتدأ وهو رفعه بالابتداء، يقول: "وذهب البصريون إلى أنّ المبتدأ يرتفع بالابتداء، وهو معنى ثمّ اختلفوا فيه؛ فذهب بعضُهم إلى أنّ ذلك المعنى هو التَّعَرِّي من العوامل اللفظيّة. وقال الآخرون: هو التعرّي، وإسنادُ الخبر إليه، وهو الظاهرُ من كلامِ صاحب هذا الكتاب. والقول على ذلك أنّ التعرّي لا يصِحّ أن يكون سَبَبًا، ولا جزءًا من السبب؛ وذلك أنّ العوامل توجِب عمَلًا، والعدمَ لا يوجِب عمَلًا،"[١].

(٤) انقسام الموقف داخل الوسط العلمي

لم يكن هذا التوجه مقبولًا على إطلاقه، إذ عبّر بعض علماء القرون التالية عن نفورهم من النزعة الفلسفية في النحو. فقد انتقد الشاطبي في الموافقات وابن خلدون في المقدمة هذا المسار، معتبرين أن المبالغة في إدخال الفلسفة والمنطق أفسدت النحو وأبعدته عن غايته التعليمية. وقد ذهب ابن خلدون إلى حدّ اتهام بعض النحاة بأنهم "تكلّفوا في صناعتهم، فجعلوها من الفلسفة، وهو غلط"[٢].

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٢٢٣.

(٢) ينظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤)، ١: ٤٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ٥٧٤.

والذي أراه: تأثر النحو العربي بالمنطق والفلسفة اللذين ذاع صيتهما وانتشرت كتبهما المترجمة، خاصة في العصر العباسي، مما أتاح للنحاة توظيف أدوات ومفاهيم جديدة في تحليل الظواهر اللغوية وبيان القواعد. مما شجَّع حركة الترجمة فظهرت الكثير من كتب الفلسفة والمنطق في هذا العصر، والتي مزجت الثقافات العربية في مختلف العلوم والفنون بها، وقد أولع العلماء به وسارعوا إلى مدارسته؛ لأن ظروف الفكر الإسلامي كانت داعية إليه لتتخذ منه ركيزة عقليةً تُجَابِهُ أفكار الإلحاد التي بدأت تتسلل إلى ميدان الفكر الإسلامي(١).

ثالثًا– خلاصة مركّزة – الفلسفة والمنطق أدوات لا بدائل

إنّ الموازنة المنهجية في تجربة ابن يعيش تؤكّد أن الفلسفة والمنطق لم يكونا بديلين عن النحو، بل أداتين مساعدتين لفهمه وتقنينه. فقد قدّم لنا ابن يعيش نموذجًا نادرًا لعالم نحوي متمكّن من أدواته، استعمل المعارف العقلية لتقوية التحليل، دون أن يتنكّر للموروث، أو ينزلق إلى التنظير المجرد الخالص، وانظر إليه وهو يبين علة منع (سلمان) من الصرف، وصرف (عطشان) وقد خُتم كلاهما بالألف والنون، يقول:" وليس المانعُ من الصرف كونه على زنةِ "فَعْلَان"، ألا ترى أنّ "عُثْمان"، و"دُبْيان"، و"سُفْيان" حكمها حكم "عَدْنان "، و"غَيْلان". فإن قيل: فأنت تقول: "سَلْمان"، و"سَلْمَى"، فهلّا كان كـ "عَطْشان"، و"عطْشى" قيل: ليس "سلمان، وسلمى"، من قبيل "عطشان، وعطشى"؛ إنّما ذلك من قبيلِ تَلاقِي اللغة، وأمرٌ حصل بحكم الاتّفاق، لا

(١) سناء يوسف فتح الباب، المعارضة والترجيح في النحو العربي: دراسة تأصيلية تطبيقية تقويمية (القاهرة: دار غريب، ٢٠١٦)، ٢٤.

أنه كان مقصـــودًا. وقد كثرت زيادة الألف والنون آخرًا على هذا الحدّ..."[1]. فأنت تراه يبن بناء الاستعمال على السماع عن العرب أولًا ويحترم المسموع، ويمزج كل ذلك بأسلوب فلسفي جذاب في افتراض يفترضه على المسألة ويُجيب عنه مبينًا ما يصح فيه المنع، وما لا يصح والعلة في كل منهما.

أحســـن ابن يعيش توظيف المنطق، ليس ليُفرض عليه نماذج جاهزة من الخارج، بل ليُنظّم به الدرس النحوي ويعيد بناءه من خلال مفاهيم دقيقة تســـاعد على الفهم دون تشويش؛ وهذا يُعدّ درسًا منهجيًا مهمًا في التعامل مع المعارف: فالعبرة ليست في استيراد المناهج فحسب، بل في كيفية تفعيلها داخل النسق الخاص بالموضوع.

وبذلك، فإننا نعدّ منهج ابن يعيش حلقة اتصـــال بين العقل النحوي العربي والفكر المنطقي الأرســـطي، وهو جهدٌ يتطلب اليوم دراســـةً معمقة تربط تراث النحو العربي بسياق الفكر الفلسفي في الحضارة الإسلامية، وتُبرز مدى نضج النحو العربي بوصفه علماً استدلالياً لا يقل صرامةً عن أي علم من علوم العقل.

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ١٨٧.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فقد تم البحث بعون الله وتوفيقه، وقد توصلتُ فيه إلى النتائج التي يُمكن إبرازها على النحو التالي:

- أثبت البحث أن تجربة ابن يعيش في شرح "المفصل" تمثل نموذجًا فريدًا للتفاعل البنّاء بين النحو والفلسفة والمنطق. فقد اتسم منهجه بالقدرة على استثمار المفاهيم الفلسفية ــ كالجوهر والعرض، وكلّ وجزء، وحد ورسم ــ لتفسير الظواهر النحوية وتوضيح العلاقات الداخلية بين مكونات اللغة. هذه المفاهيم لم تكن مجرد إضافات نظرية، بل أدوات وظيفية مكنته من بناء نسق تحليلي يوازن بين ما هو سماعي ومرجعي، وما هو عقلاني واستدلالي، بما يتيح فهم الظاهرة اللغوية بعمق ودقة كبرى.
- أثبت البحث أن اعتماد ابن يعيش على المنطق الأرسطي لم يكن هدفًا بحد ذاته، بل وسيلة لتنظيم التفكير النحوي وصياغة القواعد وفق أسس عقلية دقيقة ترتكز على القياس والاستقراء والاستدلال بالأولى، وربط المقدّمات بالنتائج. ومن خلال هذا الأسلوب، طور ابن يعيش منهجًا يُمكن تسميته "النحو العقلي"، حيث تصبح القواعد ليست مجرد ثوابت استقرائية، بل نتائج منطقية متسقة تعكس بنية اللغة الداخلية وعقلية المتكلم، مع التأكيد على أن هذا المنهج يمثل تفعيلًا فريدًا للأدوات المنطقية داخل الدرس النحوي، دون المطالبة بالتفرد المطلق في التاريخ النحوي.

– كما أن الدراسة أظهرت حدود هذا التوجه، إذ أدى توظيف المفاهيم الفلسفية والمنطقية أحيانًا إلى زيادة التجريد أو الغموض الاصطلاحي، وإلى صعوبة في التوفيق الكامل بين التفسير العقلي والاستعمال اللغوي الحي. ورغم هذه الانتقادات، فإن التوازن الذي حققه ابن يعيش بين العقل والنقل يجعل منه نموذجًا متقدمًا في تاريخ النحو العربي، قادرًا على الجمع بين الأصالة اللغوية والحداثة الفكرية في التحليل المنهجي.

– أثبت البحث أن ابن يعيش وإن كان يحترم القياس ويأخذ به إلا أنه لا يقدمه على السماع.

– أثبت البحث أن شرح المفصل لابن يعيش لم يكن مجرد شرحٍ يهتم ببيان النص المشروح وتوضيح غامضه، بل كان له منهج خاص يمزج فيه بين السماع والقياس للاستعمال العربي حسب المسموع الوارد عن العرب قلةً وكثرة.

– ويمكن القول أخيرًا إن فلسفة اللغة عند ابن يعيش لم تكن بديلًا للنحو، بل إطارًا معرفيًا أتاح تطويره وتحقيق فهم أعمق لآليات اللغة. وهي بذلك تبرز دور الفلسفة والمنطق كأدوات تقوية وتحليل، تساعد النحوي على استنباط القواعد، وفهم العلاقات الداخلية بين المفردات، وضبط الظواهر اللغوية ضمن نسق عقلاني واضح، دون أن تُحلّ محل المرجعية النحوية أو النصوص السمعية.

توصيات وآفاق بحثية مستقبلية

في ضوء ما سبق، فإن البحث يُوصي بتوسيع أفق الدراسات النحوية وفق التوجّهات الآتية:

- إجراء دراسات مقارنة بين ابن يعيش ونحويين عقلانيين آخرين كابن السراج،

وابن الحاجب، وابن هشام، والرضي، من حيث استعمال المفاهيم الفلسفية.

- دراسة الأثر المعرفي لشرح ابن يعيش في المدارس النحوية اللاحقة، ومدى تأثر النحويين به في العصور المتأخرة.
- فتح حوار مع المناهج اللسانية الحديثة حول إمكانية استثمار المفاهيم الفلسفية التراثية في صياغة نحو عربي معاصر.

بهذا يُختتم هذا البحث، وليس يُختتم الموضوع، إذ إنّ ما قدمه ابن يعيش من رؤية مركبة، جامعة بين عقلانية الفلاسفة، وعمق النحاة، يظلّ جديرًا بأن يُقرأ في ضوء التراكم المعرفي الذي يربط بين الماضي والمستقبل، ويُعيد للدرس اللغوي العربي مكانته العقلية والتفسيرية.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر التراثية

أرسطو. "الخطابة". ترجمة عبد الرحمن بدوي. (ط١. القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٦٠).

البغدادي، عبد القادر بن عمر. "**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (القاهرة: مكتبة الخانجي، [د.ت]).

الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. "**معجم التعريفات**". تحقيق محمد صديق المنشاوي. (القاهرة: دار الفضيلة، [د.ت]).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "**الخصائص**". تحقيق محمد علي النجار. [د.م]: المكتبة العلمية، [د.ت]).

ابن خلدون، عبد الرحمن. "**المقدمة**". تحقيق علي عبد الواحد وافي. (القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤).

ذو الرمة، غيلان بن عقبة. "**ديوان ذي الرمة**". (ط٢. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٤هـ).

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. "**المحصول في أصول الفقه**". تحقيق طه جابر العلواني. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠).

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق. "**الإيضاح في علل النحو**". تحقيق مازن المبارك. (ط٥. بيروت: دار النفائس، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

الزمخشري، محمود بن عمر. "**المفصل في علم العربية**". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨).

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري. "**الأصول في النحو**". تحقيق عبد الحسين الفتلي. (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٤).

الإسترآباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. **"شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"**. تحقيق يوسف حسن عمر. (بنغازي: جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. **"الأشباه والنظائر في النحو"**. (ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

ـــــ. **"معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم"**. تحقيق محمد إبراهيم عبادة. (ط١. القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

ابن سينا، الحسين بن عبد الله. **"النجاة"**. تحقيق محمد فريد وجدي. (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦١).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى. **"الموافقات في أصول الشريعة"**. تحقيق عبد الله دراز. (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤).

العكبري، محب الدين عبد الله بن الحسين. **"اللباب في علل البناء والإعراب"**. (تحقيق غازي طليمات. ط١. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥).

ـــــ. **"مسائل خلافية في النحو"**. تحقيق محمد خير الحلواني. (ط١. بيروت: دار الشرق العربي، ١٤١٢هـ).

الغزالي، أبو حامد. **"معيار العلم في فن المنطق"**. تحقيق سليمان دنيا. (القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٩هـ).

الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد. **"الألفاظ المستعملة في المنطق"**. تحقيق محسن مهدي. (ط٢. بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦).

الفاكهي، عبد الله بن أحمد. **"شرح كتاب الحدود في النحو"**. (تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري. ط٢. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

ابن مضاء القرطبي، محمد بن محمد. **"الرد على النحاة"**. (تحقيق شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٢).

ابن يعيش، موفق الدين يحيى. **"شرح المفصل"**. (تحقيق إميل بديع يعقوب. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

ثانيًا: المصادر الحديثة والدراسات المعاصرة

بدوي، عبد الرحمن. **"المنطق الصوري والرياضي"**. (ط٤. الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٧).

حاج صالح، عبد الرحمن. **"حول العلاقة بين النحو والمنطق"**. (**"مجلة مجمع اللغة العربية الجزائري"**، ع ١٨ (١٩٨٨)).

ـــــ. **"مدخل إلى النحو العقلي عند ابن يعيش"**. (**"مجلة مجمع اللغة العربية الجزائري"**، ع ٢١ (١٩٩١)).

حجازي، محمود فهمي. **"علم اللغة العربية بين التراث والمناهج الحديثة"**. (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١).

حسان، تمام. **"الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"**. (القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

ـــــ. **"اللغة العربية: معناها ومبناها"**. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥).

السامرائي، فاضل صالح. **"معاني النحو"**. (بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٣).

السبيهين، محمد بن عبد الرحمن. **"اعتراض النحويين للدليل العقلي"**. (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

الشنيطي، محمد فتحي. **"أسس المنطق والمنهج العلمي"**. (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٠).

الصباغ، سامح إبراهيم. **"الاستدلال بالأولى عند ابن يعيش: دراسة نحوية في شرحه للمفصل"**. (**"مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود"**، ع ٣٥ (٢٠٢٣)).

صليبا، جميل. **"المعجم الفلسفي"**. (بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٤هـ/

١٩٩٤م).

صليبا، جورج. **"دور العلماء العرب في تطور العلوم الطبيعية"**. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨).

علي، محمود محمد. **"النحو العربي وعلاقته بالمنطق"**. (ط١. الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠١٦).

فتح الباب، سناء يوسف. **"المعارضة والترجيح في النحو العربي: دراسة تأصيلية تطبيقية تقويمية"**. (القاهرة: دار غريب، ٢٠١٦).

قاسم، محمود. **"المنطق الحديث ومناهج البحث"**. (ط٦. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠).

محمد، رشدي عزيز. **"توضيح المفاهيم في المنطق القديم"**. (ط٢. [د.م]: [د.ن]، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

النشار، علي سامي. **"المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصرنا الحاضر"**. (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠).

هارون، عبد السلام. **"تحقيقات ونصوص"**. (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٧).

الوردي، علي. **"منطق ابن خلدون"**. (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٠).

آل ياسين، جعفر. **"المنطق السينوي: عرض ودراسة لنظرية المنطق عند ابن سينا"**. (بيروت: دار الآفاق الجديدة، [د.ت]).

Bibliography

al-‘Ukbarī, Muḥibb al-Dīn ‘Abdullāh ibn al-Ḥusain. **"al-Lubāb fī ‘ilal al-binā’ wa-al-i‘rāb"**. Investigated by Ghāzī Ṭulaymāt. (1st ed. Damascus: Dār al-Fikr, 1995).

———. **"Masā’il khilāfīyah fī al-naḥw"**. Investigated by Muḥammad Khayr al-Ḥalwānī. (1st ed. Beirut: Dār al-Sharq al-‘Arabī, 1412 AH).

Aristotle. **"al-Khaṭābah"**. Translated by ‘Abd al-Raḥmān Badawī. (1st ed. Cairo: Dār al-Nahḍah al-Miṣrīyah, 1960).

al-Baghdādī, ‘Abd al-Qādir ibn ‘Umar. **"Khizānat al-adab wa-lubb lubāb lisān al-‘Arab"**. Investigated by ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. (Cairo: Maktabat al-Khānjī, n.d).

Dhū al-**Rummah**, Ghaylān ibn ‘Uqbah. **"Dīwān Dhī al-Rummah"**. (2nd ed. Damascus: al-Maktab al-Islāmī, 1384 AH).

al-Fārābī, Abū Naṣr Muḥammad ibn Muḥammad. **"al-Alfāẓ al-**mustaʿmalah **fī al-manṭiq"**. Investigated by: Muḥsin Mahdī. (2nd ed., Beirut: Dār al-Mashriq, 1986. Fully attested).

al-Fākihī, ‘Abdullāh ibn Aḥmad. **"Sharḥ Kitāb al-ḥudūd fī al-naḥw"**. Investigated by: al-Mutawallī Ramaḍān Aḥmad al-Dimīrī. (2nd ed. Cairo: Maktabat Wahbah, 1414 AH/1993).

al-Ghazālī, Abū Ḥāmid. **"Mi‘yār al-‘ilm fī fann al-manṭiq"**. Investigated by Sulaymān Dunyā. (Cairo: Dār al-Ma‘ārif, 1379 AH).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ‘Uthmān. **"al-Khaṣā’iṣ"**. Investigated by Muḥammad ‘Alī al-Najjār. (al-Maktabah al-‘Ilmīyah, n.d).

al-Jurjānī, ‘Alī ibn Muḥammad al-Sayyid al-Sharīf. **"Mu‘jam al-ta‘rīfāt"**. Investigated by Muḥammad Ṣadīq al-Minshāwī. (Cairo: Dār al-Faḍīlah, n.d).

Ibn Khaldūn, ‘Abd al-**Raḥmān**. **"al-Muqaddimah"**. Investigated by ‘Alī ‘Abd al-Wāḥid Wāfī. (Cairo: Dār Nahḍat Egypt: 2004).

Ibn Maḍā’ al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Muḥammad. **"al-Radd ‘alā al-nuḥāh"**. **Investigated** by Shawqī Ḍayf. (Cairo: Dār al-Ma‘ārif, 1952).

Fakhr al-Dīn al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar. **"al-Maḥṣūl fī uṣūl al-fiqh"**. Investigated by Ṭāhā Jābir al-‘Alwānī. (Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1980).

Ibn al-Sarrāj, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Sarī. **"al-Uṣūl fī al-naḥw"**. Investigated **by**‘Abd al-Ḥusain al-Fatlī. (Baghdad: Maṭba‘at al-Irshād, 1974).

al-Shāṭibī, **Ibrāhīm** ibn Mūsā. **"al-Muwāfaqāt fī uṣūl al-sharī‘ah"**. Investigated by ‘Abdullāh Dirāz. (Beirut: Dār al-Ma‘rifah, 2004).

Ibn Sīnā, al-Husain ibn ‘**Abdillāh**. **"al-Najāh"**. Investigated by Muḥammad Farīd Wajdī. (Cairo: Dār al-Ma‘rifah, 1961).

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. **"al-Ashbāh wa-al-naẓā’ir fī al-naḥw"**. (1st ed. **Beirut**: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1411 AH/1990).

———. **"Mu‘jam maqālīd al-‘ulūm fī al-ḥudūd wa-al-rusūm"**. Investigated by Muḥammad Ibrāhīm ‘Ibādah. (1st ed. **Cairo**: Maktabat al-Ādāb, 1424 AH/2004).

Ibn Ya‘īsh, Muwaffaq al-Dīn Yaḥyā. **"Sharḥ al-Mufaṣṣal"**. **Investigated** by Imīl Badī‘ Ya‘qūb. (1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1422 AH/2001).

al-Istirābādhī, Raḍī al-Dīn Muḥammad ibn al-Ḥasan. **"Sharḥ al-Raḍī ʿalá Kāfiyat Ibn al-Ḥājib"**. Investigated by: Yūsuf Ḥasan ʿUmar. (**Benghazi**: Jāmiʿat Qāryūnis, 1398 AH/1978. Fully attested).

al-Zajjājī, Abū al-Qāsim ‘Abd al-Raḥmān ibn Isḥāq. **"al-Īḍāḥ fī ‘ilal al-naḥw"**. Investigated by Māzin al-Mubārak. (5th ed. Beirut: Dār al-**Nafā’is**, 1406 AH/1986).

al-**Zamakhsharī**, Maḥmūd ibn ‘Umar. **"al-Mufaṣṣal fī ‘ilm al-‘Arabīyah"**. (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1998).

2. Modern Sources.

‘Alī, Maḥmūd Muḥammad. **"al-Naḥw al-‘Arabī wa-‘alāqatuhu bi-al-manṭiq"**. (1st ed. Alexandria: Dār al-Wafā’, 2016).

Āl Yāsīn, Ja‘far. **"al-Manṭiq al-Sīnāwī: ‘arḍ wa-dirāsah li-naẓarīyat al-manṭiq ‘inda Ibn Sīnā"**. (Beirut: Dār al-Āfāq al-Jadīdah, n.d).

Badawī, ʿAbd al-Raḥmān. **"al-Manṭiq al-ṣūrī wa-al-riyāḍī"**, (4th ed., Kuwait: Wakālat al-Maṭbūʿāt, 1977. Fully attested).

Fatḥ al-Bāb, Sanā’ Yūsuf. **"al-Mu‘āraḍah wa-al-tarjīḥ fī al-naḥw al-‘Arabī: dirāsah ta’ṣīlīyah taṭbīqīyah taqwīmīyah"**. (Cairo: Dār Gharīb, 2016).

Ḥājj Ṣāliḥ, ‘Abd al-Raḥmān. “Ḥawla al-‘alāqah baina al-naḥw wa-al-manṭiq.” **The Journal of the Algerian Academy of the Arabic Language**, issue 18 (1988).

———. “Madkhal ilā al-naḥw al-‘aqlī ‘inda Ibn Ya‘īsh.” **The Journal of the Algerian Academy of the Arabic Language**, issue 21 (1991).

Hārūn, ‘Abd al-Salām. **"Taḥqīqāt wa-nuṣūṣ"**. (Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1977).

Ḥassān, Tammām. **"al-Lughah al-‘Arabīyah: ma‘nāhā wa-mabnāhā"**. (Cairo: al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1985).

———. **"al-Uṣūl: dirāsah ibistīmūlūjīyah lil-fikr al-lughawī ‘inda al-‘Arab"**. (Cairo: ‘Ālam al-Kutub, 1420 AH/2000).

Ḥijāzī, Maḥmūd Fahmī. **"‘Ilm al-lughah al-‘Arabīyah bayna al-turāth wa-al-manāhij al-ḥadīthah"**. (Cairo: Dār al-Shurūq, 1991).

Muḥammad, Rushdī ‘Azīz. **"Tawḍīḥ al-mafāhīm fī al-manṭiq al-qadīm"**. (2nd ed., 1401 AH/1981).

al-Nashshār, ‘Alī Sāmī. **"al-Manṭiq al-ṣūrī mundhu Arisṭū ḥattā ‘aṣrinā al-ḥāḍir"**. (Alexandria: Dār al-Ma‘rifah al-Jāmi‘īyah, 2000).

Qāsim, Maḥmūd. **"al-Manṭiq al-ḥadīth wa-manāhij al-baḥth"**. (6th ed. Cairo: Dār al-Ma‘ārif, 1970).

al-Ṣabbāgh, Sāmiḥ Ibrāhīm. “al-Istidlāl bi-al-awlā ‘inda Ibn Ya‘īsh: dirāsah naḥwīyah fī sharḥihi ‘alā al-Mufaṣṣal.” **"Majallat Kullīyat al-Lughah al-‘Arabīyah bi-Ītāy al-Bārūd"** , issue 35 (2023).

Ṣalībā, George. **"Dawr al-‘ulamā’ al-‘Arab fī taṭawwur al-‘ulūm al-ṭabī‘īyah"**. (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-‘Arabīyah, 1998).

Ṣalībā, Jamīl. **"al-Mu‘jam al-falsafī"**. (Beirut: al-Sharikah al-‘Ālamīyah lil-Kitāb, 1414 AH/1994).

al-Sāmurā’ī, Fāḍil Ṣāliḥ. **"Ma‘ānī al-naḥw"**. (Beirut: Dār Ibn Kathīr, 2003).

al-Shanīṭī, Muḥammad Fatḥī. **"Usus al-manṭiq wa-al-manhaj al-‘ilmī"**. (Beirut: Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, 1970).

al-Sibayhīn, Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān. **"I‘tirāḍ al-nuḥāh lil-dalīl al-‘aqlī"**. (Riyadh: Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmīyah, 1426 AH/2005).

al-Wardī, ‘Alī. **"Manṭiq Ibn Khaldūn"**. (Beirut: Dār al-Fikr, 1970).

الإستراتيجية الحجاجية في الأبواب التأسيسية من كتاب الأصول لابن السرّاج (ت. ٣١٦هـ)

The Argumentative Strategy in the Foundational Sections of Ibn al-Sarraj's Al-Usul (d. 316 AH)

د. عائشة قاسم علي شماخي

أستاذ النحو والصرف المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الفنون والعلوم الإنسانية بجامعة جازان

البريد الإلكتروني: aas-822@hotmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
01/11/2025		06/12/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-012		

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الإستراتيجية الحجاجية العامة في الأبواب التأسيسية من كتاب الأصول لابن السرّاج، وتحليل آليات الإقناع التي اعتمدها المؤلف في بناء خطابه النحوي. وتشمل هذه الآليات أسس الاستدلال الكبرى مثل: الاستشهاد، والقياس، والتقسيم، والتعريف، والتعليل؛ إضافةً إلى الأدوات اللغوية الصغرى ذات الوظيفة الحجاجية، كالروابط الحجاجية، والأفعال الكلامية (مثل الأمر، والاستفهام، والتوكيد، والشرط)، التي يوظّفها ابن السرّاج بوصفها آليات توجيهية تسهم في تعزيز القوة الإقناعية للحجاج، وتفعيل غايته المتمثلة في ترجيح رأي أو تثبيت موقف.

تنبثق أهمية الدراسة من أنها تطبّق منهجًا حجاجيًا نقديًا حديثًا على الأبواب التأسيسية لأحد أهم المصنفات النحوية، مقدمةً قراءة جديدة لكتاب الأصول تتجاوز النظر إليه بوصفه مصنفًا جامعًا للقواعد، إلى اعتباره خطابًا إقناعيًا ممنهجًا يكشف عن حضور الحجاج في أصل الصناعة النحوية عند ابن السرّاج، لا في مواضع الرد والخصومة فحسب. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء الظواهر الحجاجية في النص، ثم وصفها وتحليلها في ضوء مفاهيم نظرية الحجاج اللغوي كما بلورها (ديكرو وأنسكومبر).

وتوصلت الدراسة إلى نتائج أبرزها هيمنة الذهنية الحجاجية على البناء الفكري لابن السرّاج حتى في الأبواب النظرية، بما يؤكد أن الحجاج عنصر تأسيسي في منهجه النحوي. كما بيّنت أن أقوى مرتكزات الحجاج لديه هو توظيف الحجة الجاهزة ذات المصدر السلطوي—كالقرآن والشعر—لما تمنحه من قوة إلزامية تُعزِّز فاعلية الإقناع وترسّخ سلطته الحجاجية داخل النص.

الكلمات المفتاحية: الإستراتيجية الحجاجية، الإقناع، الاستشهاد، القياس، الروابط الحجاجية، أفعال الكلام.

Abstract

This study aims to uncover the overall argumentative strategy in the foundational sections of Ibn al-Sarrāj's book Al-Usul and to analyze the persuasive mechanisms employed by the author in constructing his syntactical discourse. These mechanisms include major bases of inference—such as citation, analogy, division, definition, and reasoning—as well as minor linguistic tools with argumentative functions, including argumentative connectors and speech acts (e.g., imperatives, interrogatives, emphasis, and conditionals), which serve as directive mechanisms enhancing the persuasive force of the argument.

The significance of this study lies in applying a modern critical argumentative methodology to the foundational chapters of a seminal syntactical work, offering a fresh reading of Al-Usul that goes beyond viewing it as a compendium of syntactical rules. Instead, it is approached as a systematically structured persuasive discourse, revealing the deep-rooted presence of argumentation in the very foundations of Ibn al-Sarrāj's syntactical theory. The study employs a descriptive-analytical approach based on the inductive examination of argumentative phenomena and analyzes them through the theoretical lens of linguistic argumentation as articulated by Ducrot and Anscombre.

The findings demonstrate the dominance of an argumentative mindset in Ibn al-Sarrāj's thinking, even within theoretical sections, confirming that argumentation forms an essential foundation of his syntactical methodology—not merely a tool for refutation. The study further shows that his strongest argumentative pillar is the deployment of authoritative, ready-made proofs from sources such as the Qur'an and poetry, which provide binding force and enhance the efficacy of persuasion in his discourse.

Keywords: Argumentative Strategy, Persuasion, Citation, Analogy, Argumentative Connectors, Speech Acts.

المقدمة

يتبوأ كتاب الأصول لأبي بكر بن السرّاج (ت ٣١٦هـ) منزلةً مهمة في تاريخ الدرس النحوي العربي؛ فهو ليس مجرد امتداد لما قبله ولا وسيطًا ناقلًا فحسب، بل يمثل نقطة انعطاف منهجي في بناء علم النحو؛ إذ انتقل به ابن السرّاج من أنساقٍ متداخلة عند سيبويه إلى أول هيكلة منهجية تُحكم ترتيب الأبواب ومنطق التقعيد. غير أنَّ قيمة الأصول أعمق من مجرد التنظيم؛ فهو ـ في جوهره ـ خطاب إقناعي مُؤسَّس يُدار فيه النحو بوصفه مجالًا للمنازعة والاستدلال، لا مادةً جاهزة تُتلقّى على جهة التسليم. ومن ثمَّ لا تُقرأ بنية الكتاب قراءة وافية إلا من خلال إستراتيجيته الحجاجية التي تَسري في بنائه من أوله إلى آخره، فتنقله من عرض وصفي إلى بناء برهاني متكامل.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

انطلاقًا مما سبق، تتمثل مشكلة هذه الدراسة في غياب المقاربة الحجاجية عن أغلب من تناول الأصول؛ إذ انشغلت الدراسات إما بترتيبه أو بمسائله الجزئية دون أن تفرد النظر لطبيعة الحجاج الذي يحكم منطقه الداخلي.

لذا تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة المحورية الآتية:

١. ما الإستراتيجيات الحجاجية التي اعتمدها ابن السرّاج في بناء خطابه النحوي؟
٢. كيف وظَّف أسس الاستدلال بنوعيها (النقل السلطوي، والعقل المنطقي القائم على القياس) لخدمة هذه الإستراتيجيات؟
٣. ما أبرز الأدوات اللغوية التي شكَّلت البنية الصغرى لخطابه الحجاجي؟

أهداف الدراسة وأهميتها:

١. الكشف عن الإستراتيجية الحجاجية العامة في كتاب الأصول.
٢. تحليل وتصنيف آليات الإقناع التي استعملها ابن السرّاج من أسس الاستدلال الكبرى إلى الأدوات اللغوية الصغرى.

٣. إبراز بعض السمات المميزة في حجاجه كالحجاج بالغاية والفائدة، والحجاج ذي الوظيفة التعليمية.

منهج الدراسة وحدودها:

لتحقيق هذه الأهداف، تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء الظواهر الحجاجية في النص، ثم وصفها وتحليلها في ضوء مفاهيم نظرية الحجاج اللغوي، حيث أمدَّت الباحثة بالأدوات والآليات التي تسهم في الكشف عن الطاقة الحجاجية في كتاب الأصول، وذلك من خلال استعمال الأدلة اللغوية في الخطاب، وتوظيف مفاهيم القياس الحجاجي، والروابط الحجاجية، كما لم تهمل الدراسة آراء (أوستن وسيرل) فيما يخص الأفعال الكلامية، وتقسيمات (بيرلمان) في كتاب رسالة في الحجاج من خلال تحديد بعض الحجج المنطقية وشبه المنطقية: كحجة التقسيم والتعريف والتعليل وغيرها. وقد استعانت الباحثة بهذه النظريات والآراء مجتمعة؛ كونها تتداخل بعضها مع بعض إجرائيًا؛ من أجل إضفاء رؤية متكاملة، والإحاطة بمعظم المظاهر الحجاجية في الكتاب.

ونظرًا لضخامة كتاب الأصول، ومتطلبات النشر في المجلات العلمية التي تقتضي العمق والتركيز، فقد وقع الاختيار على مجموعة الأبواب التأسيسية التي استهل بها ابن السرّاج كتابه كـ (أنموذج تطبيقي). ويأتي اختيار هذه الأبواب تحديدًا لأسباب جوهرية، أبرزها أنها تمثل الأصول النظرية التي بنى عليها ابن السرّاج منهجه، وتتجلى فيها بوضوح إستراتيجياته الحجاجية في أبسط عمليات الفكر النحوي كالتعريف والتقسيم، ويمكن أن تمنحنا مؤشرات عامة عن طبيعة تفكيره الحجاجي في بقية الأبواب.

الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة على دراسة مستقلة تناولت الحجاج عند ابن السرّاج في كتابه الأصول بوصفه موضوعًا قائمًا بذاته، غير أن بعض الدراسات قاربت هذا الاتجاه من

حيث تحليل الحجاج في مصنفات نحوية أخرى، ومن أبرزها:

- ناصر الدين أبو خضير، الحجاج في اعتراضات سيبويه على النحويين: دراسة تحليلية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، م١٤، ع٢، ٢٠١٧م.
- مياسة وليد طه، الحجاج في كتاب النحو العربي لإبراهيم السامرائي، مجلة الآداب، ع١٤٠، آذار ٢٠٢٢م.
- محمد عبد الله المزَّاح، الحجاج عند ابن مالك في شرح التسهيل: دراسة وصفية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز – الآداب والعلوم الإنسانية، م٣٢، ع٢، ٢٠٢٤م. ومع كثرة الدراسات التي تناولت الحجاج في مصنفات النحاة، فإنها لم تتناول ــ في معظمها ــ كتاب الأصول لابن السرّاج بوصفه موضوعًا مستقلاً للتحليل الحجاجي؛ غير أن ذلك لا يعني غياب الاهتمام بابن السرّاج أو كتابه؛ إذ إن الدراسات التي تناولته كثيرة ومتنوعة، غير أنها انصرفت إلى جوانب أخرى من جهوده النحوية. ومن ذلك ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ما يلي:
- وليد غانم محمد، الشاهد الشعري في المسائل النحوية في كتاب الأصول لابن السرّاج، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٦م.
- عبد الواحد بن محمد الحربي، ملامح التداولية في الكتب النحوية (الأصول لابن السرّاج أنموذجًا)، مجلة القلم، ع٢٤، أبريل–يونيو ٢٠٢١م.

وحتمًا استفادت الباحثة من هذه الدراسات وغيرها بما يخدم الدراسة.

واقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يتضمن: مقدمة، وتمهيدًا، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن نبذة عن الموضوع وأهميته ومشكلته وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته.

التمهيد، يشمل:

المطلب الأول: مفهوم إستراتيجية الحجاج في الدراسات اللغوية.

المطلب الثاني: ابن السرّاج وكتاب الأصول: من "عقلنة النحو" إلى بناء "الخطاب النحوي الحجاجي".

المبحث الأول: أسس الاستدلال الحجاجي: بين سلطة النقل ومنطق العقل.

المطلب الأول: حجاجية الاستدلال بالنقل (السماع).

المطلب الثاني: حجاجية الاستدلال العقلي (القياس).

المبحث الثاني: إستراتيجيات الإقناع وبناء الخطاب الحجاجي.

المطلب الأول: إستراتيجية الحوار الجدلي.

المطلب الثاني: إستراتيجية التوجيه التعليمي.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها الدراسة.

التمهيد:

المطلب الأول: مفهوم إستراتيجية الحجاج في الدراسات اللغوية

أ- مفهوم الإستراتيجية:

يعدُّ لفظ إستراتيجية مرادفًا لمعنى كلمة خطة، ويشير إلى "كل عمل يتم القيام به بصفة مسبقة لبلوغ هدفٍ ما"(١)، وتتعدد الإستراتيجيات بتعدد وتنوع السياقات المختلفة؛ ذلك أن المنتِج "لا ينتج خطابه غُفْلًا من اعتبار السياق، وهذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابًا مخططًا له بصفة مستمرة وشعورية"(٢)، وورد في كتاب معجم اللغة العربية المعاصرة أن الإستراتيجية "فن وعلم وضع خُطط الحرب، وإدارة العمليات الحربية، وهي خطة شاملة في أي مجال من المجالات"(٣)، يتضح مما سبق أن الإستراتيجية عمل تخطيطي إجرائي، يهدف للوصول إلى غاية محددة، وتتحدد الخطة عبر مستويين، أحدهما ذهني، يبدأ في ذهن المتكلم أو المرسِل، والآخر مادي، يستقر في الواقع، ويتجسد في الأفعال والآراء المطروحة التي يتبناها المتكلم.

ب- مفهوم الحجاج:

الحجاج لغة: تحيل الصيغة الصرفية للجذر اللغوي ح.ج.ج إلى المشاركة: كالمنازعة، والمجادلة، والمدافعة، والمغالبة.

وجاء في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس (ت٣٩٥هـ): "المَحَجَّة: وهي جادة الطريق، وممكن أن يكون الحُجَّة مشتقة من هذا؛ لأنها تُقصَد، أو بها يُقصَد الحق

(١) باتريك شارودو، دومينيك منغنو، "معجم تحليل الخطاب". ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، (تونس: منشورات دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م)، ٥٣٢.

(٢) عبد الهادي بن ظافر الشهري، "إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية". (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م)، ٥٧.

(٣) أحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (ط١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ١: ٩٠.

المطلوب. يقال: حاججت فلانًا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج، والمصدر الحجاج"(١).

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ): "الحجة هي ما دوفع به الخصم، حاججته أحاجّه حجاجًا ومحاجّةً حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... وحاجّه محاجّة وحجاجًا نازعه الحجّة، والحجّة الدليل والبرهان، وهو رجل محجاج أي جدل[(٢)]، وحد الجدل عنده (مقابلة الحجة بالحجة)[(٣)]، مشيرًا إلى قول الأزهري (ت٣٧٠هـ): "الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل، وحجه يحجه حجًا: غلبه على حجته، وفي الحديث: فحج آدم موسى؛ أي غلبه بالحجة، واحتج بالشيء: اتخذه حُجةً، وإنما سُميت حجة؛ لأنها تُحَجُّ أي تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها، وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك"(٤).

وهو مصدر للفعل حاجَّ وحاجج، مأخوذ في اللغة من المحجة؛ وهي الدليل الواضحة(٥).

ويظهر من التعريفات المعجمية للكلمة أنها تدور في فلك المنازعة والغلبة والمجادلة، فلا تكون إلا بين طرفين أو فريقين؛ إذ يحتاج الموقف الجدلي إلى إقناع كل فريق لخصمه

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، "مقاييس اللغة". تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ٣٠، مادة:(ح ج).

(٢) محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت٧١١هـ)، "لسان العرب". تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م)، ٧٧٩، مادة :(ح ج ج).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ٥٧١، مادة (ج د ل).

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٧٧٩، مادة :(ح ج ج).

(٥) عبد الملك الجويني، "الكافية في الجدل". تحقيق: فوقية حسين محمود، (ط١، القاهرة: دار البابي الحلبي، ١٩٧٩م)، ٤٨.

أو مقابله بأدلته وبراهينه[١].

الحجاج اصطلاحًا: يُعرَّف الحجاج بأنه: "كل منطوق به موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها"[٢].

ويتمحور الحجاج حول "إنتاج مجموعة من الحجج مرتبة بطريقة ما؛ قصد إثبات أو تفنيد قضية من القضايا، وقد تعني المحاجة بتوسيع دلالتها كل وسائل الإقناع باستثناء العنف والضغط والإكراه"[٣].

يقول صابر حباشة: "ليس الحجاج علمًا/ فنًا يوازي البلاغة، إنما ترسانة من الأساليب والأدوات، يتم اقتراضها من البلاغة ومن غيرها كالمنطق واللغة العادية"[٤].

ويذهب أبو بكر العزاوي إلى القول بأن نظرية الحجاج اللغوي انبثقت من داخل نظرية الأفعال اللغوية، إذ يتضمن الفعل الكلامي وظيفة حجاجية في التخاطب مع الآخر؛ بهدف الإقناع والتأثير فيه[٥]. وتشير نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها (أوستن) وطورها (سيرل) إلى ربط اللغة بالاستعمال أو الإنجاز (الكلام

(١) مصطفى عباس، "الحجاج وآلياته في الدراسات اللغوية". المجلة الوظيفية، ١٠، (١)، (٢٠٢٣م): ٥ (بتصرف).

(٢) طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي". (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م)، ٢٢٦.

(٣) مليكة غبار، وحمد مزيل، ومحمد رويض، وعلى أعمود، "الحجاج في درس الفلسفة". (ط١، المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م)، ٣٩.

(٤) صابر الحباشة، "التداولية والحجاج: مداخل ونصوص". (الإصدار الأول، دمشق" صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م)، ٥٠.

(٥) أبو بكر العزاوي، "اللغة والحجاج". (ط١، الدار البيضاء: دار العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م)، ١٦.

بالفعل)[١]، ومعنى هذا أن الكلام يتضمن فعلاً حجاجياً ناتجاً عن العلاقة التلازمية الاقتضائية بين أفعال الكلام، فالفعل الأول فعل الكلام، والثاني قوة فعل الكلام الذي يتبع الأول؛ ولكنه يكتسب قوته من الإثباتات التي يحتويها القول، والتي تعتبر حجة، والثالث لازم فعل الكلام وهو الأثر الناتج عن المراحل السابقة[٢]، والذي يظهر في السلوك عن طريق الإنجاز، بحيث يعدُّ نتيجة منطقية للفعلين السابقين، ويتحقق من خلاله الغرض التداولي من الكلام وهو التأثير، وعليه فالكلام يمر بخطوات حجاجية تُبنى عليها الخطابات الحجاجية المختلفة التي تندرج في صميم نظرية الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية وأبنية أقوالها.

ومن الأدوات اللغوية للتوجيه الأفعال الكلامية، والفعل الكلامي كما يرى صحراوي "كل ملفوظ كلامي ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وعلاوة على ذلك يعد نشاطًا ماديًا نحويًا، يتوسل بأفعال قولية؛ لتحقيق أغراض إنجازية ك (الطلب والأمر والوعد والوعيد ...الخ) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي ك (الرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلًا تأثيريًا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب"[٣]، ثم تطورت النظرية –بعد ذلك– بفضل جهود (ديكرو وأنسكومبر) التي توجهت إلى دراسة استعمال الأدلة اللغوية في الخطاب، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطًا معينًا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير

(١) جون لانكشو أوستن، "نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء". ترجمة: عبد القادر قينيني، (ط٢، المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨م)، ١٦.

(٢) جون لانكشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، ١٢٦،١٢٥،١٢٤،١٢٣.

(٣) مسعود صحراوي، "في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر". في كتاب: التداوليات: علم استعمال اللغة، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، (ط٢، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤م)، ٥١-٥٣.

فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما، هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره.[١] وعليه فالحجاج عند (ديكرو) قائم على اللغة وكامن فيها؛ أي إنه حجاج تداولي لساني، جاء من حقل الأفعال الكلامية، ومحاولة ربط اللغة بالاستعمال أو الإنجاز (الكلام بالفعل)[٢].

وعرَّفه طه عبد الرحمن بأنه: "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخبارية، وتوجيهات ظرفية .....، وهو أيضًا جدلي؛ لأن هدفه إقناعي، قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى عن البنيات البرهانية الضيقة"[٣]، فمعنى الحجة عنده فعل لغوي تكلمي مؤلَّف من أفعال تكلمية موجهة؛ إما لإثبات دعوى أو إبطالها[٤].

ويذهب (بيرلمان) وزميلته (تيتكاه) إلى أنه مجموعة من: "تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[٥]. وعليه فالحجاج نص خطابي –فاللغة هي الوسيلة التواصلية بين أفراد المجتمع–[٦] يُبنى على فرضية جدلية، يقدم فيها المخاطِب حججه ومبرراته بوسائل

(١) العزاوي، اللغة والحجاج، ١٦.

(٢) جون لانكشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، ١٦.

(٣) طه عبد الرحمن، "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام". (ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م)، ٦٥.

(٤) عبد الرحمن، في أصول الحوار، ٢٦٢.

(٥) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، "الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر". (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م)، ١٠٧.

(٦) إبراهيم عبد العزيز متولي عيسى، "الحجاج وآلياته في نثر أبي بكر الصديق". *مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية*، ٣٩، (د.ت)، ٢٥٥٦.

وآليات؛ بقصد التأثير في المخاطَب، وإقناعه بتلك القضية[١].

والآليات الحجاجية في مجملها سواءً أكانت منطقية أم لغوية أم بلاغية تهدف إلى تهيئة المتلقي لتقبل نتائج الحجاج، مما يسهم في تحقيق الإقناع وفقًا لتلك الآليات والإستراتيجيات.

المطلب الثاني: ابن السرّاج وكتاب الأصول: من عقلنة النحو إلى بناء الخطاب النحوي الحجاجي:

يعدُّ أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي من العلماء الموثوقين، وأئمة النحو المشهورين، نشأ في بغداد، وأخذ النحو عن أبي العباس المبرد، وهو من علماء البصرة المبرزين الذين خلطوا بين المذهب البصري والكوفي[٢]، وإن كان للبصري أميل، فهو يقول بآراء البصريين، ويعتمد الأسس البصرية، ويستعمل مصطلحاتهم[٣]، وهو من علماء العربية المجمع على علمه وفضله[٤]، ويعدُّ من العلماء الذين أحدثوا علامة فارقة

(١) محمد العبد، "النص والخطاب والاتصال". (ط١، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م)، ١٤٧(بتصرف).

(٢) إبراهيم عبد الله رفيدة، "النحو وكتب التفسير". (طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ٦٦.

(٣) أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج، "الأصول". تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، مقدمة المحقق، ٢٠؛ ازدهار عبد الرحمن السيد إبراهيم أبو الغيث، منهج ابن السراج ومذهبه النحوي من خلال كتابه (الأصول)". (رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠١٠م)، ٩٠.

(٤) الحسن بن عبد الله السيرافي، "أخبار النحويين البصريين". تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م)، ٨٢؛ محمد بن الحسن الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢، القاهرة: دار المعارف، =

في تطور النحو، وذلك بتأليفه كتاب (الأصول)[١]، فأسهم في تطوير معنى الأصول النحوية، ووضوح مفهومها[٢]، هذا الكتاب الذي أشاد به العلماء، قال عنه الزبيدي: "منها كتاب في أصول النحو، هو غاية من الشرف والفائدة"[٣]، وقال عنه ياقوت الحموي: "ويقال: ما زال النحو مجنونًا حتى عقَّله ابن السرّاج بأصوله"[٤]. ونال هذه المكانة لما قام به مؤلفه من تنظيم لمسائل سيبويه، وحسن التبويب، والتعويل على مسائل الأخفش والكوفيين، وخالف البصريين في بعض المسائل، وجمع أصول العربية ومقاييسها[٥]، والذي يطالع كتاب الأصول يجد أن ابن السرّاج كان يعتمد منهجًا مغايرًا لما هو مألوف في كتب النحو التقليدية من حيث التقنين والتقعيد؛ إذ استخرج الأصول النحوية، والتزم الدقة في التبويب غير المتداخل، وقلة الاستطراد. وقد تأثر بمن سبقه من النحاة الذين ذكرهم في مواضع عديدة في كتابه، ومنهم: ابن أبي إسحاق (١١٧هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٤هـ)، وأبي العباس المبرد (٢٨٥هـ)، وغيرهم. وقد تفرَّد بعددٍ من المسائل التي تمثلت في آرائه الكثيرة المبثوثة في كتب النحاة الذين جاءوا بعده، فقد ذهب ابن السرّاج إلى أن: اسم الإشارة أعرف المعارف يليه المضمر والعلم، خلافاً لما ذهب إليه النحاة من أن العلم هو أعرف المعارف

١٩٤٨م)، ١١٢: ١١٣؛ ياقوت الحموي، "معجم الأدباء". تحقيق: إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م)، ٦: ٢٥٣٥؛ علي بن يوسف القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م)، ٣: ١٤٥.

(١) رفيدة، النحو وكتب التفسير، ٦٦.

(٢) رفيدة، النحو وكتب التفسير، ٦٦.

(٣) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ١١٢.

(٤) الحموي، معجم الأدباء، ٦: ٢٥٣٥.

(٥) الحموي، معجم الأدباء، ٦: ٢٥٣٥؛ أبو الغيث، منهج ابن السراج ومذهبه النحوي، ٨٦.

يليه المضمر، واحتج بأن اسم الإشارة يتعرف بشيئين: بالعين والقلب، وغيره يتعرف بالقلب لا غير؛ لأن الإشارة ملازمة للتعريف بخلاف العلم، وتعريفها حسي وعقلي، وتعريفه حسي فقط، وأنها تُقدَم عليه عند الاجتماع نحو: هذا زيد[١]. وغيرها من المسائل التي لا يكتفي بنقلها عن شيوخه، بل يناقشهم فيها، ويبدي رأيه ولو كان ذلك مخالفًا لآراء من نقل عنهم، وهذا يجعل كتابه كتابًا حجاجيًا في المقام الأول.

(١) يعيش بن علي بن يعيش، "شرح المفصل للزمخشري". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م)، ٥: ٨٧.

المبحث الأول: أسس الاستدلال الحجاجي بين سلطة النقل ومنطق العقل

المطلب الأول: حجاجية الاستدلال بالنقل (السماع)

يعدُّ السماع الأصل الأول من أصول النحو المعتبرة عند النحاة؛ إذ اعتمدوا عليه في بناء قواعدهم ومحاوراتهم وبيان آرائهم، وابن السرّاج واحد منهم، والمراد بالسماع كل ما ثبت في كلام العرب ممن يوثق بفصاحته، ويأتي في مقدمتها القرآن الكريم، ثم كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده إلى أن فسدت الألسنة، نظمًا ونثرًا من مسلم أو كافر(١).

والسماع آلية حجاجية(٢)؛ إذ يؤدي الاستشهاد بالقرآن والسنة والشعر وظيفةً مهمةً للغاية في دعم الموقف الحجاجي، وتأكيد صحة الحجة ومنطقيتها، الأمر الذي من شأنه أن يسهم بتحقيق التسليم والاقتناع، حيث "يؤتى به من أجل تقوية درجة التصديق بقاعدة معينة ومعروفة مسبقًا"(٣)، ودوره الأساسي هو التوضيح، وتقوية الحجة، فالحجة المتوسلة بالاستشهاد تأتي لدعم القول؛ فيلجأ المحتج إلى تضمين حديثه، أو الاستشهاد ببعض الاستشهادات التي تكون محفزة لكلامه؛ لكي يقتنع المتلقي بها(٤)؛ ذلك أن الخطاب يجعل من الشاهد أو الدليل حجة على النتيجة التي يتوصل إليها.

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، "الاقتراح في أصول النحو وجدله". تحقيق: محمود فجال، (ط١، دمشق: دار القلم، دمشق، ١٩٨٩م)، ٣٦.

(٢) لم تتطرق الباحثة للسماع في الحديث الشريف وأمثال العرب لقلتها في كتاب الأصول، وركزت على الأصول السمعية من القرآن الكريم والأبيات الشعرية لكثرة ورودها.

(٣) شايم بيرلمان ولويس أولبرشت-تيتيكاه، "رسالة في الحجاج، الخطابة الجديدة". (ليون: المطابع الجامعية، ١٩٨١م)، ٤٨١.

(٤) محمد الولي، "الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية". الرباط: منشورات دار الأمان، مطبعة الكرامة، ٢٠٠٥م)، ٤٠٣.

وقد يعمد المتكلم إلى القرآن الكريم "ليضفي على الثاني شيئًا من قداسة الأول، ويمنحه بعض قوته ... فيأتي بالتركيب من القرآن أو الحديث، ويدخله في كلامه على نحو محكمٍ دقيق، فيلوّن ذاك التركيب ما حوله، ويشيع فيه من القوة ما يرفد طاقة الحجاج برمته، ويوجه المتلقي إلى غايته"(١)، وبما أن القرآن الكريم في مقدمة السماع فهو حجة معتبرة، تكتسب قوتها من مصدرها، ولذا فابن السرّاج لم يغفل عن هذه الإستراتيجية، إذ استثمرها في توضيح قاعدته، أو بيان وجهة نظره في مسألة ما، أو تأييد لرأي على آخر، ومن ذلك:

استدلاله بقوله تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ (الحَج: ٧٢)، على حذف المبتدأ إذا تقدم ما يعلمه السامع، والتقدير: هي النار أو هو النار(٢)، فحذف المبتدأ (هي أو هو)، كأن هناك قائلاً يستفهم، فيقول: وقال ما هو؟ قال: النار، أي: نار جهنم(٣). وابن السرّاج أكدَّ هذه القاعدة بالاستدلال بالآية القرآنية؛ ليقوي القاعدة، فقال: "الأولى: حذف المبتدأ وإضماره إذا تقدم من ذكره ما يعلمه السامع، فمن ذلك أن ترى جماعة يتوقعون الهلال فيقول القائل: الهلال والله، أي: هذا الهلال، فيحذف هذا، وكذلك لو كنت منتظرًا رجلًا فقيل: عمرو، جاز على ما وصفت لك، ومن ذلك:

(١) سامية الدريدي، "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه". (ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧م)، ١١٨.

(٢) أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، "إعراب القرآن". تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، ٣: ٧٤؛ عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، "حجة القراءات". تحقيق: سعيد الأفغاني، (بيروت: دار الرسالة، ١٩٩٧م)، ٦١٤.

(٣) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، "البحر المحيط في التفسير". (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ٧: ٥٣٦.

مررت برجل زيد؛ لأنك لما قلت: مررت برجل، أردت أن تبين من هو، فكأنك قلت هو زيد، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ "[1]، وعليه فقد توسل بالسماع في هذا الموضع، واستشهد بالآية بوصفها إستراتيجية حجاجية لتأكيد قاعدة حذف المبتدأ إذا سبقه ما يدل عليه.

واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ (الأَعْرَاف: ١٠٢)، وبقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ (مَرْيَم: ٩٨)، على دخول (من) الجارة الزائدة على الفاعل والمفعول مع النفي والاستفهام إذا وليها اسم نكرة كما تدخل على المبتدأ، فدخلت في هاتين الآيتين على المفعول به (عهد، أحد)[2]، وأتى بهما حجة على دخولها عليهما كما تدخل على المبتدأ، فقال: "(من) تزاد توكيدًا مع حرف النفي وحرف الاستفهام إذا وليهما نكرة، وقد أدخلوها على الفاعل والمفعول أيضًا كما أدخلوها على المبتدأ، فقالوا: ما أتاني من رجل، في موضع: ما أتاني رجل، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ و ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ ، وكذلك قولك: هل من طعام، وإنما هو: هل طعام، فموضع (من طعام) رُفع بالابتداء"[3].

واحتج بقوله تعالى:﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة :١٣٢) على مجيء الفاعل لغير الفعل الذي جُعلت له؛ ليكون احتجاجاً لهذا النوع من الأفعال، فقال: "والضرب الثالث: أفعال منقولة يراد بها غير الفاعل الذي جُعلت له نحو قولك:

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٦٨.

(٢) النحَّاس، "إعراب القرآن"، ٢: ٦٤؛ المنتجب الهمذاني، "الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد". تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، (ط١، المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م)، ٣: ٩٨؛ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، "إعراب القرآن وبيانه". (ط٤، حمص: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، دمشق: دار اليمامة، ١٤١٥هـ)، ٦: ١٥٨.

(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٦٨.

لا أرينك ههنا، فالنهي إنما هو للمتكلم كأنه ينهي نفسه في اللفظ، وهو للمخاطب في المعنى، وتأويله: لا تكونن ههنا، ومثله قوله تعالى:﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لم ينههم عن الموت في وقت؛ لأن ذلك ليس المهم تقديمه وتأخيره، ولكن معناه: كونوا على الإسلام، فإن الموت لا بد منه، فمتى صادفكم صادفكم عليه، وهذا تفسير أبي العباس رحمه الله"(١)، ويشير هنا إلى تأثره بتفسير أبي العباس المبرد، وتأييده لما ذهب إليه. فيبدو من النماذج السالفة ظهور حجية الآيات القرآنية عنده؛ لتكون استدلالًا على قاعدة، كما في النموذج الأول، أو نقل رأي من الآراء كما في النموذج الثاني، أو قياس قاعدة على قاعدة تدعمها الآية القرآنية كما في النموذج الثالث. وبذلك تبرز سلطة النص الديني ليدحض أي حجاج مضاد، ذلك أن هذا النص الديني في هذا المقام، لم يُذكر على سبيل الاستشهاد فقط، إنما يُعدُّ حجة نافذة في ذاته، تجعل المتلقي يقتنع بهذا القول، ويطمئن إليه، ولا يحتاج المحتج حينذاك إلى أدلة أو براهين أخرى ليؤكد بها كلامه، ويفند به الآراء المعارضة؛ لأن رأيه خاضع لسلطة النص المقدس.

وقد يحتج المتكلم بالشعر؛ ليضيف إلى الكفاءة اللغوية كفاءة ثقافية بتوظيف الأبيات الشعرية، والمتفاعلات النصية، وذلك بالإشارة إلى قضايا أدبية لها أبعاد تاريخية. وليس أدل على ذلك من مجيء الحجة بمعنى الشاهد، كالشاهد النحوي الذي يصطلح عليه النحاة في الاحتجاج بالشعر، أي: "الاستشهاد به على صحة المذهب"(٢).

ومن ذلك، احتجاجه لاستعمال (أحد) بمعنى (واحد) بقول الشاعر:

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٧٤.

(٢) محمد حسن جبل، "الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلالته". (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ٥.

حتى ظهرت فما تخفى على أحدٍ إلا على أحدٍ لا يعرف القمرا[١]

ونقل تفسير البيت، وبيَّن مجيئه بهذا المعنى، وخرج بقواعد، وساق الأمثلة المناظرة لهذا البيت، وهذه كلها تقوي حجته في العرض، وتقرب المعنى المراد للمتلقي، فقال: "فقد فُسِّر هذا البيت على ضربين: أحدهما: أن يكون (أحد) في معنى واحد كأنه قال: إلا على واحد لا يعرف القمرا، فأحد هذه هي التي تقع في قولك: أحد وعشرون، وتكون على قولك (أحد) التي تقع في النفي فتجريه في هذا الموضع على الحكاية لتقديم ذكره إياه، ونظير ذلك أن يقول القائل: أما في الدار أحد، فتقول مجيبًا بلى، وأحد، إنما هو حكاية للفظ ورد عليه، وتقول: ما كان رجل صالح مشبه زيدًا في الدار، إذا جعلت في الدار خبرًا، ومعنى هذا الكلام أن زيدًا صالح فمشبهه مثله"[٢].

واستدل بقول الشاعر:

مَنْ يكُ ذا بَتٍّ فهذا بَتِّي مُقَيِّظ "مُصَيِّف" مُشَتِّي[٣]

على تعدد الخبر لمبتدأ واحد بلا عطف عند البصريين[٤]، بينما الكوفيون يرفعون

---

(١) البيت من البسيط، وهو لذي الرمة، غيلان بن عقبة ذو الرمة، "ديوان ذي الرمة: شرح أحمد بن حاتم الباهلي، رواية: أبي العباس ثعلب". تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، (ط١، جدة: مؤسسة الإيمان، ١٩٨٢م)، ١: ١١٦٣.

(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٨٥.

(٣) يُنسَب هذا البيت لرؤبة بن العجاج، لكنه غير موجود في ديوانه، يُنظر: على بن محمد بن عيسى نور الدين الأشموني، "شرح الأشموني على ألفية ابن مالك". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م)، ١: ٢١٣.

(٤) عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ١: ١٥٨؛ الحسن بن عبد الله السيرافي، "شرح كتاب سيبويه". تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، =

على الاستئناف[١]، قال: "واعلم: أن (ذلك) مثل (هذا) تقول: إن ذلك الرجل عالم، كما تقول: إن هذا الرجل عالم. وإن ذلك الرجل أخوك، كما تقول: إن هذا الرجل أخوك. والكوفيون يقولون: هذا عبد الله أفضل رجل وأي رجل، فيستحسنون رفع ما كان فيه مدح أو ذم، ورفعه عندهم على الاستئناف، وعلى ذلك يتأولون قول الشاعر:

مَنْ يكُ ذا بَتٍّ فهذا بَتِّي مُقَيِّظ "مُصَيِّف" مُشَتِّي

وهذا عند البصريين: من باب حلو حامض، أي: قد جمع أنه مقيظ وأنه مصيف مشتي، ففيه هذه الخلال"[٢].

واحتج بقول الشاعر:

كأنَّ سلافةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مزاجَهَا عَسلٌ

على مجيء المبتدأ نكرة والخبر معرفة، ولكن الأمر ليس على إطلاقه، بل يكون مع النواسخ التي تعمل في المبتدأ والخبر، فأتى به ليكون دليلًا على وروده في اللسان العربي، وإن كان خروجًا عن القاعدة النحوية، التي تقضي بأن يكون المبتدأ معرفة، فالسماع حجة مقدمة على القياس، فقال: "أن يكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة، وهذا قلب ما وضع عليه الكلام، وإنما جاء مع الأشياء التي تدخل على المبتدأ والخبر فتعمل لضرورة الشاعر، نحو قوله:

٢٠٠٨م)، ١: ١١، ٢: ٤١٠–٤١١؛ ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٢٤٩؛ عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني (ابن عقيل)، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ودار مصر للطباعة، ١٩٨٠م)، ١: ٢٥٧.

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ١٥٤.

(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ١٥٤.

(٣) يُنسب هذا البيت لحسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، شرح وتقديم: عبدأ مهنا، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ١٨.

كأنَّ سلافةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مزاجَهَا عَسلٌ ومَاءُ

فجعل اسم (كان) عسل وهو نكرة، وجعل (مزاجها) الخبر وهو معرفة، بالإضافة إلى الضمير، ومع ذلك فإنما حسن هذا عند قائله أن عسلًا وماءً نوعان، وليسا كسائر النكرات التي تنفصل بالخلقة والعدد نحو: تمرة وجوزة، والضمير الذي في (مزاجها) راجع إلى نكرة، وهو قوله: سلافة، فهو مثل قولك: خمرة ممزوجة بماء"(١).

فهذه النماذج تلقي الضوء على توظيف ابن السرّاج للشاهد الشعري بوصفه آلية حجاجية؛ لتعضيد رأيه، أو بيان اختلاف النحويين في توجيه البيت، أو تقديمه على القواعد النحوية.

المطلب الثاني: حجاجية الاستدلال العقلي (القياس):

يعدُّ القياس إحدى إستراتيجيات الخطاب في الحجاج، فهو "آلية منطقية للوصول إلى نتيجة أو غرض يشبه ما يسمى بالتعويض"(٢).

والقياس أهم الوسائل المنطقية التي تربط محتوى النتيجة بمحتوى المقدمات؛ أي تربط النتيجة بالعلة، فهو "قول مؤلف من أقوال، إذا وُضعت لزم عنها لذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها اضطرارًا"(٣).

ويعدُّ ابن السرّاج من نحاة البصرة المتشددين في القياس، فلا يقيس على النادر ولا القليل، وقد اعتنى بقياس المسائل عناية واضحة (٤). ومن أقيسته في الأصول:

---

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٦٧.

(٢) محمد العبد، النص الحجاجي العربي، *دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول للنقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد٦٠، مصر، ٢٠٠٢م، ٥٩.*

(٣) عمار بن زيوش، وعدناني عبد القادر، "الفلسفة". (الإصدار ٢، الجزائر: المعهد التربوي الوطني، ٢٠١٤م)، ٤٨.

(٤) مقدمة تحقيق الأصول: ١/ ٢٠

- قياس الفعل المضارع على الاسم في الإعراب؛ لأنه شابه الاسم من عدة وجوه، فقال: "ولما وجدوا هذا الفعل الذي في أوائله الزوائد الأربع يعم شيئين: المستقبل والحاضر كما يعم قولك: "رجل" زيدًا وعمرًا، فإذا قلت: سيفعل أو سوف يفعل خص المستقبل دون الحاضر، فأشبه الرجل إذا أدخلت الألف واللام عليه، فخصصت به واحدًا ممن له هذا الاسم، فحينئذ يعلم المخاطب من تريد؛ لأنك لا تقول: "الرجل" إلا وقد علم من تريد منهم"(١). والملاحظ أنه استعمل القياس هنا أداةً حجاجيةً لإقناع القارئ؛ إذ بنى حجته في هذا الموضع على تشابه الأشياء أو الظواهر للوصول إلى نتيجة بناءً على أوجه الشبه بينها.

ومن ذلك أيضًا:

- قياس أدوات الاستقبال (السين وسوف) الداخلة على الفعل المضارع في عدم العمل على (ال) التعريف الداخلة على الاسم، قال: "فقصتهما قصة الألف واللام في الاسم"(٢).
- قياسه تصغير فعل التعجب على تصغير الاسم، قال: "فإن قال قائل: فما بال هذه الأفعال تصغَّر نحو: ما أُميلحه وأُحيسنه، والفعل لا يصغَّر؟ فالجواب في ذلك: أن هذه الأفعال لما لزمت موضعًا واحدًا ولم تتصرف ضارعت الأسماء التي لا تزول إلى "يفعل" وغيره من الأمثلة فصغِّرت كما تصغَّر"(٣).

والملاحظ أن قياسات ابن السرّاج قُدمت بأسلوب مترابط ومنسجم، يهدف إلى إقناع القارئ من خلال التدرج في بناء الخطوات التي تنتهي به إلى النتيجة المعلومة. وقد حُللت آراء ابن السرّاج في عدة مواضع وفقًا لمبدأ القياس، حيث وظَّف هذه الآلية

(١) ابن السراج، الأصول، ١: ٣٩-٤٠.
(٢) ابن السراج، الأصول، ١: ٥٦.
(٣) ابن السراج، الأصول، ١: ١٠٠.

بكثرة؛ للدلالة على أن القياس هو نتيجة لقول معروف بالضرورة سابق.

من الحجج التي كثر دورانها في كتاب الأصول **حجة التعليل**، فعندما تقف على التعليل عنده تجده حاضرًا بشكل جلي؛ لإدراكه أنه ركن من أركان القياس، ويحيل التعليل بطبيعته إلى استدلال عقلي؛ لأنه "احتجاج بالصلة القائمة أو المفترضة بين حدثين، أحدهما سبب للآخر، أو نتيجة له، أو غاية من غاياته"(١). ومن ذلك:

- تعليله لتسمية المصادر بأن الأفعال تصدر عنها، وذلك عند حديثه عن اشتقاق الأفعال، فقال: "وإنما لقب النحويون هذه الأحداث مصادر؛ لأن الأفعال كأنها صدرت عنها"(٢). وبذلك يكون قد ضمَّن حجته التعليلية سببًا مقنعًا لتسمية المصادر بهذا الاسم، فاستبعد بذلك أي احتمالات تعليلية أخرى يمكن أن تحضر في ذهن المتلقي.
- ويعلل ابن السرّاج مسألة عدم تغير الحروف كما تتغير الأسماء والأفعال عند الحديث عما يدخل الكلام من التغير بحجة تعليلية مقنعة، لا يتسلل إليها شك، وذلك حين يقرُّ بأنها أدوات تُغير ولا تتغير، فيقول: "اعلم: أنه إنما وقع التغيير من هذه الثلاثة في الاسم والفعل دون الحرف؛ لأن الحروف أدوات تُغير ولا تتغير، فالتغيير الواقع فيهما على ضربين: أحدهما تغيير الاسم والفعل في ذاتهما وبنائهما، فيلحقهما من التصاريف ما يُزيل الاسم والفعل ونضد حروف الهجاء التي فيهما عن حاله"(٣). وما كان لهذا التعليل أن يكون ناجعًا دون أن تثيره وتثريه **حجة المقارنة** بين الأصناف الثلاثة (الأسماء/ الأفعال/ الحروف)

(١) حسين ثائر، "الشامل في مهارات التفكير". (ط٢، عَمَّان: دار ديبونو للنشر والتوزيع، عَمَّان، ٢٠٠٩م)، ٧٦.

(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٠.

(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٣.

فالمقارنة هي الأداة الكاشفة لطبيعة كل نوع منهما وخصائصه، وبالتالي أسهمت في نجاعة التعليل، وإكسابه طاقة حجاجية عالية.

وما ذُكر من نماذج من قبيل التعليل الصريح، في مقابله يأتي التعليل لفائدة وغاية، وهو أسلوب قوي جدًا عنده، حيث يربط صحة القاعدة النحوية بتحقق الفائدة للمتكلم والمستمع، ويقدم الفائدة على تعدد المذاهب؛ لأن أصل الكلام موضوع للفائدة، ومن ذلك:

- احتج لامتناع الإخبار بظرف الزمان عن الجثث بعلة عدم الفائدة، فقال: "واعلم: أنه لا يجوز أن تقول: زيد يوم الخميس، ولا عمرو في شهر كذا؛ لأن ظروف الزمان لا تتضمن الجثث، وعلة ذلك أنك لو قلت: زيد اليوم، لم تكن فيه فائدة"(١). وهي حجة تعليلية مقنعة، مدارها على امتناع الإخبار بظرف الزمان عن الجثث؛ لعدم تحقق الفائدة.
- واعترض على مجيء المبتدأ والخبر معرفتين، واحتج بعدم استفادة المخاطب من الكلام وإن اجتمعت المعرفتان، فقال: "فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة فإنما الفائدة في مجموعهما، فأما أن يكون يعرفهما مجتمعين وإن هذا هذا، فذا كلام لا فائدة فيه"(٢).

فهذه النماذج وغيرها تدل على اهتمامه بالقياس، بل بالركن الأساسي منه وهو العلل، فقد اتكأ عليه بصورة لافتة، مما ينبئ عن عنايته بالمخاطب، وحرصه على إفهامه ثم إقناعه، والتعليل من الآليات الحجاجية التي تحقق هذا الغرض.

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٦٣.

(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٦٦

المبحث الثاني: إستراتيجيات الإقناع وبناء الخطاب الحجاجي

المطلب الأول: إستراتيجية الحوار الجدلي

إن حد الجدل عند القدماء يتقارب على اختلاف الصيغ والعبارات بينهم، فهو عند الباجي"تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه"(١)، وهو عند الجويني "مساواة للخصم في مقصده على نقيض مراده"(٢). وبما أن الحجاج يستعمل اللغة، ويتوسل بالحوار، ويوظف عناصر وروابط لغوية ضمن علاقة تواصل بين طرفين، فإنه بهذه الصورة يتسم بالتفاعل، وتسمى هذه العملية التي تكتنف هذا النوع من الحجاج بـ (الحوار الضمني)، وغايته درء الاعتراضات المتوقعة والمحتملة من المرسل إليه، حيث يضعها المرسِل في الحسبان، ويقوم بتمحيصها وتفنيدها أثناء بناء خطابه الحجاجي(٣). ونجد ابن السرّاج في أصوله يعتمد على الحوار والمجادلة مع خصم افتراضي أو حقيقي؛ بهدف إقناع خصمه، ودعم رأيه، وترجيح مذهبه، ولعل الفرق بين الجدل الافتراضي والجدل الحقيقي في هذا الموضع يكمن في أن الجدل الافتراضي يتوجه به مخاطبًا ذاته، مفترضًا بعض المسائل، بينما الجدل الحقيقي يتوجه به إلى غيره من النحاة، ويظهر ذلك في الأساليب التالية:

الجدل الافتراضي: وهو السمة البارزة في حواره الجدلي في المسائل والقضايا التي طرحها؛ ولهذا بدأت الدراسة به قبل الجدل الحقيقي، فقد تردد عنده: فإن قيل، فإن قال قائل، فالجواب، قلت، قلنا، وهكذا، ومن ذلك:

- عند تمييزه بين الاسم الدال على الزمن والفعل قال: "فإن قلت: إن في الأسماء

(١) أبو الوليد الباجي، "المنهاج في ترتيب الحجاج"، تحقيق: عبد المجيد التركي، (ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م)، ١١.

(٢) عبد الملك الجويني، "الكافية في الجدل"، ١٤٢.

(٣) بيرلمان وتيتيكاه، "رسالة في الحجاج"، ٢٠٨-٢٠٩.

مثل اليوم والليلة والساعة، وهذه أزمنة، فما الفرق بينها وبين الفعل؟ قلنا: الفرق أن الفعل ليس هو زمان فقط، كما أن اليوم زمان فقط"[١].

- واحتج لعدم عمل (لام التعريف) بقوله: "فإن قال قائل: ما بال لام المعرفة لم تعمل في الاسم، وهي لا تدخل إلا على الاسم، ولا يجوز أن تدخل هذه اللام على الفعل، قيل: هذه اللام قد صارت من نفس الاسم"[٢].

وغيرها كثير من النماذج تظهر مقدار عنايته بالحوار بوصفه آلية حجاجية، وظَّفها للإفهام ثم الإقناع. ولا يقتصر على الجدل الافتراضي، فهناك جدل حقيقي، يتمثل في الرد على النحاة، من خلال الإتيان بالأدلة التي تدعم رأيه، وتقوي حججه، منها:

- رده قول سيبويه بأن اسم (لات) مضمر قياسًا على ليس، وأظهر لنا حوارًا جدليًا علميًا، معتمدًا على القياس كدليل لتقوية حجته، فقال: "والذي قال سيبويه: أنه يضمر في (لات) إن كان يريد أن يضمر فيها كما يضمر في الأفعال فلا يجوز؛ لأنها حرف من الحروف، والحروف لا يضمر فيها، وإن كان يريد أنه حذف الاسم بعدها، وأضمره المتكلم كما فعل في قوله في (ما) ما منهما مات أراد (أحدًا) فحذف وهو يريده فجائز"[٣].

- ومنع ما ذهب إليه الكسائي بجواز إضمار الاسم المخصوص في: نعم الرجل يقوم، وقام عندك[٤]، "وهذا عندي لا يجوز من قبل أن الفعل لا يجوز أن يقوم مقام الاسم، وإنما تقيم من الصفات مقام الأسماء، الصفات التي هي أسماء صفات،

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٧.
(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٥٦.
(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٩٧.
(٤) ابن السراج، "الأصول"، ١: ١١٨.

يدخل عليها ما يدخل على الأسماء[1]"، وحجته مبنية على التعليل الذي هو ركن من أركان القياس، مما يدل على موضوعيته في الحوار والمناقشة. ويتضح من استقراء هذه الدلالات أن الحجاج يرتكز على التفاعل والمحاورة ضمن علاقة تخاطبية بين طرفين حول قضية خلافية، يسعى فيها الطرفان إلى استمالة وإقناع الآخر. فهذه النماذج وغيرها تبين مدى توظيفه لهذه الآلية بتفريعاتها المختلفة، وقدرته على توظيف الآليات الحجاجية على نحو يخدم رأيه في القضايا التي يطرحها، ولا شك أن هذه القواعد الحوارية والتفاعلات الكلامية تسهم في نجاح الحجاج بشكل ملحوظ.

المطلب الثاني: إستراتيجية التوجيه التعليمي:

بالنظر في كتاب الأصول، لاحظنا حضورًا كثيفًا للحجاج التعليمي، وهي سمة طاغية على معظم النصوص؛ ذلك أن ابن السرّاج لا يكتب للعالم فقط، بل يضع المتعلم نصب عينيه، كما صرَّح بذلك. وتحقق هذا في منهجه الذي تجلى في: التعريفات والتقسيمات، وفي المصطلحات الشارحة، والتعليل، والتفصيل بعد الإجمال، فيقسم الموضوع الذي يدرسه إلى أقسام؛ ليسهل فهمه، فيقول مثلاً: على ضربين، خمسة أصناف، أربعة أقسام، وهكذا، وهذا التقسيم حجة على وضوح المنهج عنده.

شكَّلت **حجج التقسيم** حضورًا لافتًا في كتاب الأصول لابن السرّاج، وهي من الحجج الكبرى التي حددها (بيرلمان)، وأكدَّ حجيتها (**تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له**)، وتقوم حجاجية هذا النوع على رؤية كمية، تعتمد على تقسيم الكل إلى أجزائه، مع إشارة للتعارض القائم بينها؛ ذلك أن الاحتجاج بهذا الصنف يكون بـ "ذِكر المرسل حجته كليًا في أول الأمر، ثم يعود إلى تعداد أجزائها، فكل جزء منها بمثابة دليل على

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ١١٨.

دعواه"[١]، وتتلخص في إعطاء حكم الجزء للكل، والنوع للأصل، من خلال مبدأ التعميم، ذلك أن الكل هو في أساسه مجموعة من الأجزاء المتحدة "يمكن تسميتها حجج التقسيم أو التوزيع كقولنا: الكلام اسم وفعل وحرف"[٢]، ويشترط في هذا النوع الحجاجي أن يكون شامل الأجزاء؛ لأن المخاطب لا ينكر الخبر عامًا، فمن المعلوم أن الأسماء لها أحكام، والحروف لها أقسام، ولا يحتاج النحوي إلى برهنة لتأكيد ذلك؛ إنما يستعمل مبدأ التقسيم لإبراز الأشياء الحاضرة وتقوية حجيتها.

وقد استعمل ابن السرّاج هذه الحجة في عددٍ من المواضع، إذ يتدرج من المجمل إلى المفصل، فيبدأ بقاعدة عامة ثم يشرح، مثل: تقسيم الكلمة[٣]، تقسيم الحرف[٤]، والأسماء التي تعمل عمل الفعل[٥]، تقسيم الأسماء المنصوبة[٦]، وهكذا، ومن ذلك قوله: "الأسماء التي ترتفع خمسة أصناف"[٧]، و"الحروف تنقسم إلى ثلاثة أقسام"[٨]، باب الأسماء التي أعملت عمل الفعل: وهي تنقسم أربعة أقسام"[٩]، "واعتلالات النحويين على ضربين"[١٠]، وهكذا. فابن السرّاج عندما يعرض أقسام الحروف يقوم بتجزئتها،

(١) الشهري، "إستراتيجيات الخطاب"، ٤٩٤.
(٢) عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات". (تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠١١م)، ٤٨.
(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٦.
(٤) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٥.
(٥) ابن السراج، "الأصول"، ١: ١٢٢.
(٦) ابن السراج، "الأصول"، ١: ١٥٩.
(٧) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٥٨.
(٨) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٥٤.
(٩) ابن السراج، "الأصول"، ١: ١٢٢.
(١٠) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٥.

ويحدد أحكام كل قسم منها، بحيث يكون كل قسم منها حجة قائمة بذاتها، تخدم القضية الأساسية التي حددها مسبقًا، وتنص على أن للحروف ثلاثة أقسام. فهي حجة مبنية على مبدأ التقسيم، وبهذا التقسيم لأنواع الحروف، أو أصناف الأسماء المرفوعة، أو الأسماء التي أعملت عمل الفعل، تتضح الصورة أكثر، وتثبت في ذهن المتلقي، ويقتنع بها، ذلك أن غاية هذا النوع من الحجج هو إبراز حضور الأشياء وثباتها، بتأكيد حضور أجزائها المكونة لها.

ويتفرع عن حجة تقسيم الكل إلى أجزائه أسلوب آخر، يعتمد على مبدأ التقسيم والتفريع ذاته، وهي حجة **إدماج الجزء في الكل**، وتسمى حجة الاشتمال (التضمن)، يقوم هذا النوع من الحجج على الاستقراء التام، وعلى مبدأ رياضي "هو أن ما ينسحب على الكل ينسحب على الجزء من هذا الكل"(١)، فالكل يشتمل على الجزء، والجزء يدخل في إطار الكل، فما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، وعليه فالأمر يستوجب أن ما ينسحب من حكم على المرفوعات بشكل عام، ينسحب على الأصناف الخمسة من الأسماء المرفوعة التي حددها بالضرورة، وما الفاعل إلا واحد من هذه المرفوعات؛ لذا فإن ما يجري على غيره من الأسماء المرفوعة يجري عليه، وهذا يزيد من الطاقة الحجاجية لإقناع المتلقي بذلك، وبهذا يتوصل ابن السرّاج إلى تحقيق غرضه من خلال توظيفه للعلاقة الرياضية، التي تعدُّ من المسلمات الرياضية المنطقية القائمة على مبدأ الكم، وإيضاح العلاقة بين الجزء والكل، بحيث يقبلها العقل، ولا يدحضها بحجة مضادة، فالعقل لا يرفض ما هو منطقي، والكل –بالضرورة– يشمل الجزء؛ وبهذا أكسب الكلام قوته وحجيته، وكان أكثر إقناعًا للقارئ.

ومن الحجج التي توسل بها ابن السرّاج في كتابه ما يُعرف بحجة **الحد والتعريف (التماثل)**؛ "ذلك لأن التعريف يحرك العملية الاستدلالية، ويقدم اختيارات دون أخرى،

(١) ليونال بلّنجي، "الحجاج مبادئه وطرقه". (ط٢، باريس: (د.ن)، باريس، ١٩٨٤م)، ٢٥.

كما يُشكِّل حكمًا على الأشياء أو تقويمًا لها"[١].

إن المحتج بهذا النوع من الحجج يقوم بضبط الحدود والمفاهيم، ويُعرِّف الأشياء، ويسميها بمسمياتها، ومثل هذا التماثل نجده في أصول ابن السرّاج، فقد عمد إلى تعريف المفاهيم والحدود؛ بهدف إيصال مفهومها وحدّها إلى ذهن القارئ، ومن النماذج على ذلك قوله: "وأعني بالتمكن ما لم يشبه الحرف قبل التثنية والجمع الذي على حد التثنية، ويكون بحركات ثلاث: ضم وفتح وكسر"[٢]، وقوله: "والمبتدأ يبتدأ فيه بالاسم المحدث عنه قبل الحديث، وكذلك حكم كل مخبر"[٣]، وقوله: "وأعني بالمحصل الماضي والحاضر والمستقبل"[٤]. وقوله عند تعريفه النحو: "وهو علم استخرجه المتقدمون، فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة"[٥].ولا شك أن الحجج التي تستند إلى التعريف لها دور كبير في تحقيق الإقناع؛ لأن غايتها تعريف المفاهيم وتحديد دلالاتها، وضبط ماهية الأشياء بتعيين حدودها، ثم إقناع المتلقي بها، فالفهم طريق الإقناع؛ ذلك أن الإفهام والبلوغ من الركائز الأساسية في حدوث الإقناع، فلا يمكن أن يحدث الإقناع دون فهم دلالات الخطاب، فالخطاب القائم على فهم المصطلحات، ومعرفة دلالاتها، وبلوغها ذهن المتلقي، ينتج عنه اقتناع راسخ، وكتاب الأصول من الكتب النحوية التي اهتمت بهذا الجانب، وأولاها مؤلفه عناية خاصة قاصدًا به الإقناع كما تقدَّم.

(١) عبد اللطيف عادل، "خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي: مقاربة لآليات بلاغة الإقناع". (رسالة دكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، ٢٠٠٤م)، ٧٨.

(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٥.

(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٥٨.

(٤) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٧.

(٥) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٥.

وأما التعليل بوصفه إستراتيجية حجاجية توجيهية ذات أثر تعليمي فكان له حضور بارز، لا سيما وهو ركن من أركان القياس، وتقدم ذكره مع نماذجه عند الحديث عن القياس في المطلب الثاني من المبحث الأول.

وفي سياق إستراتيجيات التوجيه التعليمي لديه، برزت عناية ابن السرّاج بتوظيف الأدوات اللغوية ذات الطابع الحجاجي، ولا سيما الروابط التي تُنظِّم بناء الجملة وتشكِّل جسورًا بين المقدمات والنتائج، بما يجعل الحجاج متماسكًا وقابلًا للتلقي.

وتأتي هذه الروابط بوصفها آليات تخدم الإقناع عبر ضبط الانتقال بين الأقوال وتوجيه القارئ في مسار الاستدلال.

– الروابط الحجاجية عند ابن السرّاج:

تعدُّ الروابط الحجاجية مؤشرًا لغويًا مهمًا، وقد وظف ابن السرّاج الروابط الحجاجية في عددٍ من المواضع، مما أسهم في جعل فصول الكتاب تتسم بسمة التفاعل والتواصل والترابط، وكان لها دورها الفعال في تحقيق الاستمالة والإقناع.

وتضطلع الروابط الحجاجية بدور حجاجي من خلال "الربط بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججًا في الخطاب"[١]، ولأن اللغة ذات طبيعة حجاجية، وتحليل هذه اللغة يكون من خلال تحليل أدواتها وروابطها، فقد كان من المهم الوقوف عليها بالشرح والتحليل.

ومن الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن، لاسيما...)، والروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، بالتالي...). وتقوم بالربط بين قولين فأكثر، ضمن هدف إقناعي واحد. وتعد (بل، لكن، مع ذلك...) من روابط التعارض الحجاجي، كما تعد (حتى، لا سيما...) من روابط التساوق الحجاجي[٢].

(١) الشهري، "إستراتيجيات الخطاب"، ٥٠٨.

(٢) العزاوي، "اللغة والحجاج"، ٦٥-٦٦.

ومن ذلك:

- (لكن): من حروف الاستدراك التي تثبت لما بعدها حكمًا مخالفًا لحكم ما قبلها، فهي تعبر عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها[١]، استعمل ابن السرّاج هذه المفردة عند حمل المستثنى على النصب تشبيهًا بالمفعول، فقال: "المستثنى يشبه المفعول إذا أتي به بعد استغناء الفعل بالفاعل، وبعد تمام الكلام. تقول: جاءني القوم إلا زيدًا، فجاءني القوم: كلام تام وهو فعل وفاعل، فلو جاز أن تذكر (زيدًا) بعد هذا الكلام بغير حرف الاستثناء ما كان إلا نصبًا، لكن لا معنى لذلك إلا بتوسط شيء آخر، فلما توسطت (إلا) حدت معنى الاستثناء، ووصل الفعل إلى ما بعد (إلا)"[٢]، استعمل أداة الربط (لكن) للاستدراك والتعارض بين الحجة الأولى والحجة التي تلتها، فالاستدراك بـ(لكن) يمنح الحجة التي جاءت بعده قوة أكبر.
- (إنما): وهي من أكثر الروابط استعمالاً عند ابن السرّاج، جاء بها لشرح التعريفات، ولتوضيح قاعدة نحوية، ومن ذلك: استعماله لها عند حديثه عن تعريف النحو، والاسم، وغيرهما، فقال عند تعريفه النحو: "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلمُ إذا تعلَّمه كلامَ العرب"[٣]، "والاسم إنما هو لمعنى مجرد من هذه الأوقات، أو لوقت مجرد من هذه الأحداث والأفعال"[٤]، واستعملها للاحتجاج لقاعدة نحوية عند حديثه عن الإعراب إذ قال إن: "الإعراب عندهم

(١) العزاوي، "اللغة والحجاج"، ٦٠.
(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٢٨١.
(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٥.
(٤) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٩.

إنما حقه أن يكون للأسماء دون الأفعال والحروف"[١].

- (بل) ويظهر المعنى الوظيفي للأداة (بل) من خلال "الإضراب عن الأول، والإثبات للثاني"[٢]. ومن ذلك قوله: "وتقول: ما زيد قائمًا، بل قاعدٌ لا غير؛ لأن النفي نصبه، ومن أجل النفي شبهت "ما" بليس، فلا يكون بعد التحقيق إلا رفعًا"[٣]، فرفع (قاعد)؛ لأنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو قاعدٌ.
- (لأن): وهي من أكثر أدوات الربط استعمالاً عنده؛ لأنها أداة تعليلة ورابط حجاجي مهم[٤]، تُستعمل لتبرير المواقف ووجهات النظر، ومن ذلك حديثه عن تسمية المعرب، وبدء النحاة به في كتبهم: "فسموا هذا الصنف الثاني من التغيير الذي يقع لفروق ومعانٍ تحدث (إعرابًا)، وبدؤوا بذكره في كتبهم؛ لأن حاجة الناس إليه أكثر"[٥].

(إنَّ): المؤكدة، وهي من أدوات الربط الحجاجي التي تفيد التأكيد والتعليل، ومن المؤكد أن الهدف من التأكيد هو إزالة اللبس والشكوك، وابن السرّاج لم يغفل عن هذه الأداة، لاسيما وهو ينشد الإفهام، ومن ذلك: احتجاجه بها لبيان علامات الفعل المضارع المعتل الآخر: "فإن الإعراب يمتنع من الدخول عليه إلا النصب، فإنه يدخل

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٥٠.

(٢) أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، "الكامل في اللغة والأدب". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٣، القاهرة: دار الفكر العربي، ١١٩٩٧م)، ١: ٥.

(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٩١.

(٤) محمد عبد الله المزَّاح، "الحجاج عند ابن مالك في شرح التسهيل (دراسة وصفية)". *مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية*، ٣٢ (٢)، (٢٠٢٤م): ١٢٢.

(٥) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٤، وسبقت الإشارة إلى نماذج له في أثناء عرض القياس في المطلب الثاني من المبحث الأول.

على ما لامه واو أو ياء خاصة دون الألف"[١]، أي لا تظهر إلا في حالة النصب في الفعل المعتل اللام بالياء والواو، فأدت (إنَّ) وظيفتها الحجاجية بتأكيد القاعدة في هذا الموضع بما لا يدع مجالاً للشك في النفس.

(حتى): رابط حجاجي "تكمن حجاجيتها في إفادتها انتهاء الغاية، والدلالة على أن ما قبلها علة وسبب فيما بعدها"[٢]، وقد أدرك ابن السرّاج وظيفة هذه الأداة، سواءً أكانت تعليلية أم لانتهاء الغاية، متخذًا منها وسيلة للإقناع والتصديق، فاحتج بها في بيان تعريفاته، وشرح أمثلته، وبيان قواعده، فترددت في مواضع عدة من كتابه منها: عند تعريفه النحو "وهو علم استخرجه المتقدمون، فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة"[٣]. يُفهم معنى (حتى) الوظيفي من السياق الذي وردت فيه، حيث ربط ما قام به المتقدمون من استقراء كلام العرب بنتيجة هذا الاستقراء، وهو معرفة الغرض من قصد العربي من الكلام، وهذا الربط استدعى توظيف أداة الربط (حتى) لتربط الحجة الأولى بالنتيجة المؤكدة لدى ابن السرّاج.

وقال في عدم تجويزه عمل اسم الفاعل الواقع مبتدأ من غير معتمد "لا يجوز أن تعمله عمل الفعل حتى يكون محمولًا على غيره"[٤]، فما بعد (حتى) حجة قوية دعمت ما ذهب إليه من عدم الإعمال إلى أن يتحقق شرط الحمل والاعتماد على غيره.

وصفوة القول أن ابن السرّاج أحسن توظيف هذه الروابط، موظفًا إياها في بيان قاعدة أو تأييد رأي أو مخالفته، ومن خلال تنوع استعمالها ظهرت القيمة الحجاجية

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٨.
(٢) عباس حسن، "النحو الوافي". (ط٣، القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ٢: ٤٨٢.
(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٥.
(٤) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٩.

التي أدتها هذه الروابط.

– الأفعال الكلامية:

حدد (أوستن وسيرل) مفهوم الفعل الكلامي بأنه: التصرف الإرادي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، كالأمر، والنهي، والاستفهام، والتهنئة .....الخ[1]. وتأسيسًا على ما تقدم يتبين أن الأفعال الكلامية أساليب حجاجية بالدرجة الأولى، وعند مطالعتنا لأصول ابن السرّاج نجده مدركًا لها لإيصال مقصوده للقارئ بغية إقناعه، ومنها:

- **أسلوب الأمر**: يؤدي الأمر دورًا مهمًا كونه يتسم بنزعة سلطوية إقناعية، ويحفز القارئ على الإذعان والاقتناع دون الحاجة إلى استعمال الدلائل والبراهين، وقد ورد فعل الأمر بصيغته المتكررة وهي (اعلم)؛ لأنه وضع كتابه للمعلم والمتعلم، ولحرصه على الإفهام والإقناع أتى بفعل الأمر ليكون فعلًا حجاجيًا أبلغ في تحقيق مراده، ففي حديثه عن (أقسام الكلم العربي) قال عمَّا يدخل هذه الأقسام من التغيير: "اعلم أنه إنما وقع التغيير من هذه الثلاثة في الاسم والفعل دون الحرف"[2]، ويقل توظيف الأمر في أصول ابن السرّاج؛ لكون الأمر تحكمه ضوابط الإجبار والإلزام وقيودهما، وهذا يتنافى مع طبيعة الحجاج الذي لا يكون بالإكراه والإلزام؛ إنما بالحرية والاختيار، وعليه فالأمر الذي ورد في كتاب الأصول أمر خرج عن غرضه الأساسي الدال على الطلب إلى التوجيه والإرشاد والحث على التماس المعرفة.
- **الاستفهام**: كان لأسلوب الاستفهام وأدواته حضور كثيف في أصول ابن السرّاج، فتراه يستعمله بصورة ملحوظة، ومن ذلك ورود اسما الاستفهام (كيف وأين) في معرض حديثه عن تقديم الخبر على المبتدأ، فقال: "فأما قولك: كيف أنت؟ وأين

(١) المزّاح، "الحجاج عند ابن مالك في شرح التسهيل"، ١٢٣.

(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٣.

زيد؟ وما أشبههما مما يستفهم به من الأسماء فـ (أنت وزيد) مرتفعان بالابتداء، و(كيف وأين) خبران"[١]، وجاء أيضًا عند الحديث عن حذف الخبر عند اتصال الكلام في قوله: "وكذلك إذا قال: عبد الله أخوك، فقلت: من أخوك؟ قال: عبد الله"[٢]. فنلحظ من الأمثلة المتقدمة عنايته بأسلوب الاستفهام بوصفه أسلوبًا حجاجيًا وظفه لبيان قواعده، وللتعليل، وللرد على ما يرد من مسائل، فظهر بذلك قوة أسلوب الاستفهام بوصفها أداة حجاجية تعليمية.

- **التوكيد**: لا شك أن المتكلم عندما يتخير تراكيب معينة دون غيرها كالشرط والتوكيد فإنه يقصد من ذلك استمالة المتلقي؛ لأن هذه التراكيب تعمل على إكساب النص طاقة حجاجية عالية بما توفره من علاقات بين المقدمات والنتائج، ويؤدّي التوكيد دورًا مهمًا في تأديته الوظيفة التأثيرية التي تسهم في نجاعة الحجاج، فهو يلفت انتباه المتلقي للخطاب، ويقوي المعنى، الأمر الذي يرسخ الحجة في ذهنه فيقبلها، فالتوكيد: "أحد الأساليب الحجاجية البارزة في التعبير والاستعمال والتأثير والتكثيف في استعماله، يهدف إلى لفت انتباه المتلقي للوضع، واستمالته عند تقديم الحجج، ومنحها مزيدًا من التوثيق والتبلغ"[٣]، ومن المواضع التي استعمل فيها ابن السرّاج التوكيد أسلوبًا حجاجيًا مبتغيًا من ورائه إقناع القارئ بصدق ما قاله؛ لأن الغرض منه هو إقرار المؤكد وما علق به في نفس السامع، وتمكنه في قلبه، وإماطة شبهة ربما خالجته، أو

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٦٠.

(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٦٩.

(٣) زهية محمدي، "البنية الحجاجية في المناظرة بين العلم والجهل لمحمد بن عبد الرحمن الديسي". (رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠١٩م)، ٧٤.

توهم غفلة وذهابًا عما أنت بصدده فأزلته[١]. ومن ذلك استعماله لـ (إن) التوكيدية، إذ وردت عند ذكر علامات إعراب الفعل المعتل: "فإنه يدخل على ما لامه واو أو ياء خاصة دون الألف"[٢]، وقال في علة عدم تثنية اسم الفاعل في قولك: (الزيدان قائم أبواهما) "فإن قلت: الزيدان قائم أبواهما، لم يجز أن تثني (قائمًا)؛ لأنه في موضع (يقوم أبواهما) إلا في قول من قال: أكلوني البراغيث، فإنه يجوز على قياسه مررت برجل قائمين أبواه"[٣].

- **الشرط**: الشرط عند النحاة ترتيب أمر وتعليق حصوله على أمر آخر بأداة من أدوات الشرط، والشرط "وقوع الشيء لوقوع غيره"[٤]. وتتحقق بأسلوب الشرط "علاقة الاقتضاء ذات الطاقة الحجاجية العالية، فهي لا تصل الحجة بالنتيجة المرصودة للخطاب فحسب، وإنما تتميز بأنها تجعل الحجة تقتضي تلك النتيجة اقتضاءً، بحيث تغدو العلاقة ضربًا من التلازم بين الحجة والنتيجة، وإضفاء نوع من الحتمية على العلاقة بين الحجة والنتيجة بشكل يوحي بأن الأولى تقتضي الثانية، والثانية تستدعي الأولى"[٥]؛ وقد اعتنى به ابن السرّاج للتعبير عن مقاصده، فاستعمل (إن) الشرطية بكثرة، ومنها: قال في باب الاسم: "فإن قلت: إن في الأسماء مثل اليوم والليلة والساعة، وهذه أزمنة، فما

(١) جار الله محمود بن عمرو الزمخشري، "المفصل في صنعة الإعراب". تحقيق: علي بو ملحم، (ط١، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م)، ٤؛ ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٤٠؛ فاضل السامرائي، "معاني النحو". (ط١، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م)، ٤: ١٣١.

(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٨.

(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ١٣٦.

(٤) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٧: ٤١.

(٥) الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ٣٣٥.

الفرق بينها وبين الفعل؟ قلنا:..."[١]، وكذلك "فإن كانت الحركات ملازمة سُمي الاسم مبنيًّا"[٢]، واستعمل الأداة (إذا) كثيرًا، ومنها: "إذا كان اسمًا من أسماء الفاعلين، وكان المبتدأ هو الفاعل في المعنى، وكان جاريًا عليه إلى جنبه، أضمر فيه ما يرجع إليه وانستر الضمير نحو قولك: عمرو قائم وأنت منطلق، فأنت وعمرو الفاعلان في المعنى"[٣]، واستعمل (لو) كثيراً في حجاجه، ومن ذلك: "وكذلك لو قلت: غلام لزيد، لم يدر أي غلام هو"[٤]. والملاحظ أن قيام الكلام على رابط الشرط مرهون باحتمالات فعل الشرط، وما يترتب عليه من نتيجة في الجواب، وعليه فهو أسلوب حجاجي بامتياز.

(١) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٣٦.
(٢) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٤٥.
(٣) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٧٠.
(٤) ابن السراج، "الأصول"، ١: ٥٣.

النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج

برهنت هذه الدراسة على أن كتاب الأصول لابن السرّاج لا يُقرأ بوصفه متنًا جامعًا للقواعد فحسب، بل يمكن قراءته أيضًا بوصفه نسقًا حجاجيًا مُؤسَّسًا تُدار فيه المسائل وفق منطق الإثبات والنفي، والموازنة بين الأدلة، وتسخير الأدوات اللغوية لخدمة الغاية الإقناعية. وقد تبيّن أن الحجاج يشكّل البنية التي يعمل من خلالها النص لا مجرد أداة طارئة، وأن ابن السرّاج جمع بين الحجج العليا ذات المصدر السلطوي (النص القرآني والشعر) وبين الأدوات اللغوية الصغرى الموظَّفة حجاجيًا (الأمر، الاستفهام، التوكيد، الشرط)، مما جعل كتابه حقلًا تطبيقيًا لآليات الحجاج في التراث النحوي، ودليلًا على تجذّر الفكر الحجاجي في بنية العلوم العربية لا طارئًا وافدًا عليها.

أسفرت الدراسة عن جملةٍ من النتائج التي تلقي ضوءًا كاشفًا على البنية الحجاجية في الأصول لابن السرّاج، ويمكن إبرازها في الآتي:

أولًا- تبيّن أنّ العقلية الحجاجية تُشكِّل الإطار الناظم لفكر ابن السرّاج؛ إذ لم يقتصر حضور الحجاج في نصوصه على مواضع الردّ أو الجدل، بل تغلغل حتى في صميم الأبواب النظرية، بما يؤكد أنَّ الحجاج جزءٌ أصيل من بنية الصناعة النحوية عنده، لا مجرَّد آلية طارئة تُستخدم عند الحاجة.

ثانيًا- كشفت الدراسة أنَّ الإستراتيجيات الحجاجية التي مارسها ابن السرّاج تنقسم إلى طائفتين متكاملتين:

- آليات حجاجية منطقية وشبه منطقية، تجلّت في توظيف النص القرآني والشعر بوصفهما حججًا سلطوية، وفي القياس، والتقسيم، والحدّ، والتعليل، وكلّها أدوات تشكّل الهيكل البرهاني الذي يُسنِد الرأي ويُحكم بنية الاستدلال.
- آليات حجاجية لغوية، اعتمد فيها على الروابط الحجاجية وعلى الأفعال

الكلامية ذات الوظيفة الإقناعية _ مثل الأمر، والاستفهام، والتوكيد، والشرط _ وهي أدوات تُوجّه المتلقي وتضبط مسار الحجاج وتخلق تفاعلًا حيًا داخل الخطاب.

ثالثًا– اتَّضح أن أقوى مرتكزات الحجاج في منهج ابن السرّاج تتمثَّل في توظيف الحجة الجاهزة ذات المصدر السلطوي _ وفي مقدمتها القرآن الكريم والشعر _ نظرًا إلى ما تتمتع به من قوة إلزامية ورمزية تُعزِّز فرص الاستمالة، وترفع من درجة القبول الحجاجي عند المتلقي، وتمنح رأي المؤلف مشروعية معرفية ومنهجية متينة.

ثانيًا: التوصيات

بناء على تلك النتائج، توصي الدراسة بما يأتي:

١. النهوض بدراسات حجاجية تُعنى بتحليل الحجاج في المصنفات النحوية القديمة والحديثة، سواء من جهة النظرية أم من جهة أدوات الحجاج وروابطه.

٢. توجيه طلبة الدراسات العليا إلى دراسات مقارنة للمناهج الحجاجية عند النحاة؛ لفحص وجوه الائتلاف والاختلاف، وتكوين رؤية أشمل عن حضور الحجاج في بنية الفكر النحوي العربي.

المراجع:

الأشموني، علي بن محمد بن عيسى نور الدين. "شرح الأشموني على ألفية ابن مالك". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

أوستن، جون لانكشو. "نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام". ترجمة عبد القادر قينيني. (ط٢، المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨م).

بلنجي، ليونال. "الحجاج مبادئه وطرقه". (ط٢، باريس: د.ن، ١٩٨٤م).

بيرلمان، شايم، ولويس أولبرشت-تيتيكاه. "رسالة في الحجاج: الخطابة الجديدة". (ليون: المطابع الجامعية، ١٩٨١م).

ثائر، حسين. "الشامل في مهارات التفكير". (ط٢، عمّان: دار ديبونو للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م).

ثابت، حسان، "ديوان حسان بن ثابت"، شرحه وقدمه: عبدأ مهنا، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

جبل، محمد حسن. "الاحتجاج بالشعر في اللغة: الواقع ودلالته". (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).

الجويني، عبد الملك. "الكافية في الجدل". تحقيق فوقية حسين محمود. (ط١، القاهرة: دار البابي الحلبي، ١٩٧٩م).

الحباشة، صابر. "التداولية والحجاج: مداخل ونصوص". (الإصدار الأول، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م).

حسن، عباس. "النحو الوافي". (ط٣، مصر: دار المعارف، د.ت).

الحموي، ياقوت. "معجم الأدباء". تحقيق إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". (بيروت: دار الفكر،

٢٠٠٠م).

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. "إعراب القرآن وبيانه". (ط٤، حمص: دار الإرشاد للشؤون الجامعية؛ دمشق: دار اليمامة، ١٤١٥هـ).

الدريدي، سامية. "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه". (ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧م).

ذو الرمة، غيلان بن عقبة. "ديوان ذي الرمة. شرح أحمد بن حاتم الباهلي، رواية أبي العباس ثعلب". تحقيق عبد القدوس أبو صالح. (ط١، جدة: مؤسسة الإيمان، ١٩٨٢م).

رفيدة، إبراهيم عبد الله. "النحو وكتب التفسير". (طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م).

الزبيدي، محمد بن الحسن. "طبقات النحويين واللغويين". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط٢، القاهرة: دار المعارف، د.ت).

الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو. "المفصل في صنعة الإعراب". تحقيق علي بو ملحم. (ط١، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م).

زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. "حجة القراءات". تحقيق سعيد الأفغاني. (بيروت: دار الرسالة، د.ت).

زيوش، عمار، وعبد القادر عدناني. "الفلسفة". (الإصدار الأول، الجزائر: المعهد التربوي الوطني، ٢٠١٤م).

السامرائي، فاضل. "معاني النحو". (ط١، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م).

ابن السرّاج، أبو بكر محمد بن سهل. "الأصول". تحقيق عبد الحسين الفتلي. (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت).

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. "الكتاب". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م).

السيرافي، الحسن بن عبد الله. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

"أخبار النحويين البصريين". تحقيق طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي. (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. "الاقتراح في أصول النحو وجدله". تحقيق محمود فجال. (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٨٩م).

شارودو، باتريك، ودومينيك منغنو. "معجم تحليل الخطاب". ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود. (تونس: منشورات دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م).

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. "إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية". (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م).

صحراوي، مسعود. "في الجهاز المفاهمي للدرس التداولي المعاصر". في التداوليات: علم استعمال اللغة، تنسيق حافظ إسماعيلي علوي. (ط٢، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤م).

صولة، عبد الله. "في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات". (تونس: مسكيلياني للنشر، ٢٠١١م).

الطلبة، محمد سالم محمد الأمين. "الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر". (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م).

عادل، عبد اللطيف. "خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي: مقاربة لآليات بلاغة الإقناع". (رسالة دكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، ٢٠٠٤م).

عباس، مصطفى. "الحجاج وآلياته في الدراسات اللغوية". *المجلة الوظيفية*". ١٠، (١)، (٢٠٢٣م): ٥-٢٠.

عبد الرحمن، طه. "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام". (ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م).

"اللسان والميزان أو التكوثر العقلي". (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م).

العبد، محمد. "النص والخطاب والاتصال". (ط١، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م).

"النص الحجاجي العربي". دراسة في وسائل الإقناع، *(مجلة فصول للنقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد٦٠، مصر، ٢٠٠٢م).*

العزاوي، أبو بكر. "اللغة والحجاج". (ط١، الدار البيضاء: دار العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني. "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: (ط٢٠، دار التراث؛ دار مصر للطباعة، ١٩٨٠م).

عمر، أحمد مختار، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (ط١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

عيسى، إبراهيم عبد العزيز متولي. "الحجاج وآلياته في نثر أبي بكر الصديق". *مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية*، ٣٩: ٢٥٤٠-٢٥٧٠.

غبار، مليكة، مزيل، حمد، رويض، محمد، أعمود، علي. "الحجاج في درس الفلسفة". (المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م).

أبو الغيث، ازدهار عبد الرحمن السيد إبراهيم. "منهج ابن السرّاج ومذهبه النحوي من خلال كتابه (الأصول)". (رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠١٠م).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. "مقاييس اللغة". تحقيق وضبط عبد

السلام محمد هارون. (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م).

القفطي، علي بن يوسف. "إنباه الرواة على أنباه النحاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م).

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. "الكامل في اللغة والأدب". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط٣، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).

محمدي، زهية. "البنية الحجاجية في المناظرة بين العلم والجهل لمحمد بن عبد الرحمن الديسي". (رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠١٩م).

المزَّاح، محمد عبد الله. "الحجاج عند ابن مالك في شرح التسهيل (دراسة وصفية)". *مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية* ٣٢، (٢)، (٢٠٢٤م).

المنتجب الهمذاني. "الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد". تحقيق محمد نظام الدين الفتيح. (ط١، المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م).

النحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. "إعراب القرآن". تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم. (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).

أبو الوليد الباجي، "المنهاج في ترتيب الحجاج"، تحقيق: عبد المجيد التركي، (ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م).

الولي، محمد. "الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية". (الرباط: منشورات دار الأمان، مطبعة الكرامة، ٢٠٠٥م).

ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي. "شرح المفصل للزمخشري". ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

Bibliography

Al-Ashmuni, Ali Bin Muhammad Bin Isa Nur Al-Din. "Sharh Al-Ashmuni 'Ala Alfiyyat Ibn Malik". (1st edition. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1998).

Austin, John Langshaw. "The General Theory of Speech Acts: How We Do Things with Words". Translated by 'Abd Al-Qadir Qaynini. (2nd edition. Al-Maghrib: Ifriqiya Al-Sharq, 2008).

Blinji, Lionel. "Argumentation: its principles and methods", (in Arabic). (2nd edition. Paris: n.p., 1984).

Perelman, Chaim, and Lucie Olbrechts-Tyteca. "A Treatise on Argumentation: The New Rhetoric", (in Arabic). (Lyon: Al-Matabi' Al-Jami'iyyah, 1981).

Tha'ir, Husain. "Al-Shāmil Fi Mahārāt Al-Tafkir". (2nd edition. 'Amman: Dar De Bono Lil-Nashr Wa Al-Tawzi', 2009).

Thabit, Hassan. "Diwan Hassan Bin Thabit". Investigated by 'Abduh Muhanna. (2nd edition. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1994).

Jabal, Muhammad Hasan. "Using Poetry as Evidence in Language: Its Reality and Significance", (in Arabic). (1st edition. Cairo: Dar Al-Fikr Al-'Arabi, n.d.).

Al-Juwaini, 'Abd Al-Malik. "Al-Kāfiyah Fi Al-Jadal". Investigated by Fawqiyyah Husayn Mahmud. (1st edition. Cairo: Dar Al-Babi Al-Halabi, 1979).

Al-Habashah, Sabir. "Pragmatics and Argumentation: Approaches and Texts" (in Arabic). (1st edition. Dimashq: Safahat Lil-Dirasat Wa Al-Nashr, 2008).

Hasan, 'Abbas. "Al-Nahw Al-Wāfi". (3rd edition. Egypt: Dar Al-Ma'arif, n.d.).

Al-Hamawi, Yaqout. "Mu'jam Al-Udaba'". Investigated by Ihsan 'Abbas. (1st edition. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, 1993).

Abu Hayyan Al-Andalusi, Muhammad Bin Yusuf. "Al-Bahr Al-Muhit Fi Al-Tafsir". (Beirut: Dar Al-Fikr, 2000).

Darwish, Muhyi Al-Din Bin Ahmad Mustafa. "I'rāb Al-Qur'an Wa Bayānuh". (4th edition. Homs: Al-Irshad House for University Affairs; Damascus: Al-Yamama Publishing House, 1415 AH).

Al-Duraidi, Samiya. "Argumentation in Ancient Arabic Poetry from the Pre-Islamic Era to the Second Islamic Century: Its Structure and Methods" (in Arabic). (1st edition. Irbid: 'Alam Al-Kutub Al-Hadith, 2007).

Dhu Al-Rummah, Ghailān Bin 'Uqbah. "Diwān Dhu Al-Rummah". Investigated by 'Abd Al-Quddus Abu Salih. (1st edition. Jeddah: Mu'assasat Al-Iman, 1982).

Rufaidah, Ibrahim 'Abdullah. "Al-Nahw Wa Kutub Al-Tafsir". (Tripoli: Al-Dar Al-Jamahiriyyah, 1998).

Al-Zubaidi, Muhammad Bin Al-Hasan. "Tabaqāt Al-Nahwiyyin Wa Al-Lughawiyyin". Investigated by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. (2nd edition. Cairo: Dar Al-Ma'arif, n.d.).

Al-Zamakhshari, Jar Allah Mahmud Bin 'Amr. "Al-Mufassal Fi San'at Al-I'rab". Investigated by Ali Bu Mulhim. (1st edition. Beirut: Maktabat Al-Hilal, 1993).

Zanjalah, 'Abd Al-Rahman Bin Muhammad. "Hujjat Al-Qira'at". Investigated by Sa'id Al-Afghani. (Beirut: Dar Al-Risalah, n.d.).

Ziyush, 'Ammar, and 'Abd Al-Qadir 'Adnani. "Al-Falsafah". (1st edition. Algeria: Al-Ma'had Al-Tarbawi Al-Watani, 2014).

Al-Samarra'i, Fadil. "Ma'āni Al-Nahw". (1st edition. Al-Urdun: Dar Al-Fikr Lil-Tiba'ah Wa Al-Nashr, 2000).

Ibn Al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad Bin Sahl. "Al-Usul". Investigated by 'Abd Al-Husayn Al-Fatli. (Beirut: Mu'assasat Al-Risalah, n.d.).

Sibawaih, 'Amr Bin 'Uthman Bin Qunbur. "Al-Kitāb". Investigated by 'Abd Al-Salam Muhammad Harun. (3rd edition. Cairo: Maktabat Al-Khanji, 1988).

Al-Sirafi, Al-Hasan bin 'Abdillah. "Sharh Kitāb Sibawaih". Investigated by Ahmad Hasan Mahdali and 'Ali Sayyid 'Ali. (1st edition. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 2008).

"Akhbār Al-Nahwiyyin Al-Basriyyin". Investigated by Taha Muhammad Al-Zayni and Muhammad 'Abd Al-Mun'im Khafaji. (Cairo: Mustafa Al-Babi Al-Halabi, 1966).

Al-Suyouti, 'Abd Al-Rahman Bin Abi Bakr Jalal Al-Din. "Al-Iqtirah Fi Usoul Al-Nahw Wa Jadalih". Investigated by Mahmud Fajjal. (1st edition. Dimashq: Dar Al-Qalam, 1989).

Charaudeau, Patrick, and Dominique Maingueneau. "Dictionary of Discourse Analysis". Translated by 'Abd Al-Qadir Al-Mahiri and Hammadi Sammud. (Tunisia: Publications Dar Sinatra, Al-Markaz Al-Watani Lil-Tarjamah, 2008).

Al-Shahri, 'Abd Al-Hādi Bin Zafir. "Discourse Strategies: A Linguistic–Pragmatic Approach", (in Arabic). (1st edition. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadid, 2004).

Sahrawi, Mas'oud. "Within the Conceptual Apparatus of Contemporary

Pragmatic Studies" (in Arabic). Coordinated by Hafiz Isma'ili 'Alawi. (2nd edition. Irbid: 'Alam Al-Kutub Al-Hadith, 2014).

Sulah, 'Abdullah. "In Argumentation Theory: Studies and Applications", (in Arabic). (Tunisia: Miskilyani, 2011).

Al-Talabah, Muhammad Salim Muhammad Al-Amin. "Argumentation in Contemporary Rhetoric: A Study in the Rhetoric of Contemporary Criticism", (in Arabic). (1st edition. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Muttahidah, 2008).

'Adil, 'Abd Al-Latif. "Debate Discourse in the Arab-Islamic Heritage: An Approach to the Mechanisms of the Rhetoric of Persuasion", (in Arabic). Doctoral Dissertation, Cadi Ayyad University, Faculty of Arts and Human Sciences in Marrakech, 2004.

'Abbas, Mustafa. "Argumentation and Its Mechanisms in Linguistic Studies", (in Arabic). 10 (1) (2023): 5–20.

'Abd Al-Rahman, Taha. "Fi Usoul Al-Hiwār Wa Tajdid 'Ilm Al-Kalām". (2nd edition. Casablanca: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-'Arabi, 2000).

"The Tongue and the Balance, or Intellectual Multiplicity", (in Arabic). (Casablanca: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-'Arabi, 1997).

Al-'Abd, Muhammad. "Al-Nass Wa Al-Khitab Wa Al-Ittisal". (1st edition. Al-Qahirah: Al-Akademiyyah Al-Hadithah Lil-Kitab Al-Jami'i, 2005).

"Text, Discourse, and Communication", (in Arabic). (Egypt: Al-Hay'ah Al-Misriyyah Al-'Ammah Lil-Kitab, 2002).

Al-'Azzawi, Abu Bakr. "Al-Lughah Wa Al-Hijaj". (1st edition. Casablanca: Dar Al-'Umdah Fi Al-Tab', 2006).

Ibn 'Aqil, 'Abdullah Bin 'Abd Al-Rahman Al-'Aqili Al-Hamdani. "Sharh Ibn 'Aqil 'Ala Alfiyyat Ibn Malik". Investigated by Muhammad Muhyi Al-Din 'Abd Al-Hamid. (20th edition. Cairo: Dar Al-Turath; Dar Misr, 1980).

'Umar, Ahmad Mukhtar. "Mu'jam Al-Lughah Al-'Arabiyyah Al-Mu'asirah". (1st edition. 'Alam Al-Kutub, 2008).

'Isa, Ibrahim 'Abd Al-'Aziz Mutawalli. "Argumentation and Its Mechanisms in the Prose of Abu Bakr al-Siddiq". Journal of the Faculty of Islamic Studies in Alexandria, 39: 2540–2570.

Ghubar, Malika, Hamad Muzail, Muhammad Ruwayd, and Ali A'mud. "Argumentation in the Teaching of Philosophy", (in Arabic). (Morocco: Ifriqiya Al-Sharq, 2006).

Abu Al-Ghaith, Izdihar 'Abd Al-Rahman Al-Sayyid Ibrahim. "Manhaj Ibn Al-Sarrāj Wa Madhhabuh Al-Nahwi Min Khilal Kitabih (Al-

Usoul)". Doctoral Dissertation, Omdurman Islamic University, 2010.

Ibn Faris, Abu Al-Husain Ahmad Bin Faris Bin Zakariyya. "Maqāyis Al-Lughah". Investigated by 'Abd Al-Salam Muhammad Harun. (1st edition. Beirut: Dar Al-Jil, 1991).

Al-Qafti, Ali Bin Yousuf. "Inbāh Al-Ruwah 'Ala Anbāh Al-Nuhah". Investigated by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. (1st edition. Cairo: Dar Al-Fikr Al-'Arabi, 1982).

Al-Mubarrid, Abu Al-'Abbas Muhammad Bin Yazid. "Al-Kāmil Fi Al-Lughah Wa Al-Adab". Investigated by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. (3rd edition. Al-Qahirah: Dar Al-Fikr Al-'Arabi, 1997).

Muhammadi, Zuhayyah. "The Argumentative Structure in The Debate Between Knowledge and Ignorance by Muhammad ibn ʿAbd al-Raḥmān al-Dīsī", (in Arabic). (Master's Thesis, University of Mohamed Boudiaf – M'Sila, 2019).

Al-Mazzah, Muhammad 'Abdullah. "Al-Hijaj 'Inda Ibn Malik Fi Sharh Al-Tashil (Dirasah Wasfiyyah)". King Abdulaziz University Journal: Arts and Humanities, 32 (2) (2024).

Al-Muntajab Al-Hamadhani. "Al-Kitāb Al-Farid Fi I'rāb Al-Qur'an Al-Majid". Investigated by Muhammad Nizam Al-Din Al-Futayh. (1st edition. Al-Madinah Al-Munawwarah: Dar Al-Zaman, 2006).

Ibn Manzour, Muhammad Bin Mukarram Bin Ali. "Lisān Al-'Arab". Investigated by 'Abdullah Ali Al-Kabir, Muhammad Ahmad Hasab Allah, and Hashim Muhammad Al-Shadhili. (Cairo: Dar Al-Ma'arif, 1980).

Al-Nahhas, Ahmad Bin Muhammad Bin Isma'il. "I'rāb Al-Qur'an". Investigated by 'Abd Al-Mun'im Khalil Ibrahim. (1st edition. Beirut: Manshurat Muhammad Ali Baydun; Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1421H).

Al-Baji, Abu Al-Walid. "Al-Minhaj Fi Tartib Al-Hijaj". Investigated by 'Abd Al-Majid Al-Turki. (3rd edition. Beirut–Lebanon: Dar Al-Gharb Al-Islami, 2000).

Al-Wali, Muhammad. "Al-Isti'arah Fi Mahattat Younaniyyah Wa 'Arabiyyah Wa Gharbiyyah". (Rabat: Dar Al-Aman pubications; Matba'at Al-Karamah, 2005).

Ibn Ya'ish, Ya'ish Bin Ali Bin Ya'ish. "Sharh Al-Mufassal Lil-Zamakhshari". (1st edition. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 2001).

وصف الحيوان في الشعر الجاهلي
دراسة بيئية

Animal Description in Pre-Islamic Era Poetry
An Environmental Study

د. عادل بن علي الغامدي

الأستاذ المشارك بقسم الأدب والبلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: adelalig11@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
09/09/2025		24/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-013		

مستخلص:

تُعنى هذه الدراسة بمقاربة وصف الحيوان في الشعر الجاهلي، بواسطة معطيات النقد البيئي، وهو مسار نقدي ما زال حديثا في مشاغل الدرس العربي ودراساته، ويتأسس منطقه في تلك المساحة التي يتلاقى فيها الإنسان مع بيئته، وما يتصل بذلك من قضايا واهتمامات.

إن الناظر في مدونة الشعر الجاهلي يجد ذلك الارتباط الكبير بين الإنسان ومكونات بيئته، وقد نطقت تلك القصائد الجاهلية المختلفة بكثير من مشاغل الدرس البيئي الحديث، وهذه دراسة تهدف إلى فحص مدونة وصف الحيوان في الشعر الجاهلي من خلال بعض مقولات الدرس البيئي؛ نحو: فهم ظواهر الانتماء لعوالم الحيوان من خلال استظهار الإحساس بأنواع منها في المدونة الشعرية، والحديث معها، والاستماع لرغباتها وحاجاتها، وكأنها في منزلة الصديق المحاور لصديقه. كما تناولت هذه الدراسة الاستدامة وما يتصل بها من طرق في محافظة الإنسان الجاهلي على حيواناته بمدح صفاتها وأحوالها معجبا بها داعيا للاحتفاظ بها والمفاخرة بأنواع منها، وفي المبحث الأخير فحصت الدراسة سعة المكون العلمي بالحيوانات، وحاولت تعقّب مجموعة من الظواهر السلوكية والإضافات العلمية الخاصة بالحيوان المتناثرة في أبواب الشعر الجاهلي.

الكلمات الدالة: النقد البيئي، الحيوان، وصف، الشعر، الجاهلي.

Abstract:

This study focuses on animal descriptions in pre-Islamic era poetry through the lens of environmental criticism, a critical approach that is still relatively new in the concerns and studies of Arabic scholarship. Its logic is grounded in the space where humans intersect with their environment and the related issues and concerns.

A reader of pre-Islamic era poetry finds a profound connection between humans and the components of their environment. These various pre-Islamic era poems articulated many of the concerns of modern environmental scholarship. This study aims to examine the corpus of animal descriptions in pre-Islamic era poetry through some environmental scholarship themes. Towards: Understanding the phenomena of belonging to the animal world by evoking a sense of various species in the poetic corpus, conversing with them, and listening to their desires and needs, as if they were in the position of a friend conversing with his friend. This study also addressed sustainability and related methods in pre-Islamic man's preservation of his animals by praising their qualities and conditions, admiring them, calling for their preservation, and boasting about various species. In the final section, the study examined the breadth of the scientific component of animals and attempted to track a group of behavioral phenomena and scientific additions specific to animals scattered throughout the chapters of pre-Islamic era poetry.

Keywords: Environmental criticism, animals, description, poetry, pre-Islamic era.

مقدمة

ما زالت مدونة الشعر الجاهلي تغرينا للعبور من خلالها إلى جوانب طريفة وموضوعات جديدة؛ لإنجاز اكتشافات ثقافية مختلفة ومتنوعة. إن الناظر في موضوع وصف الحيوان في ديوان الشعر الجاهلي سيلحظ دون عناء ذلك الثراء وتلك المساحات الواسعة والموضوعات المتنوعة؛ فقد تعلّق الجاهلي بحيوانات بيئته وتحدّث عنها حديثا مختلفا عن غيره، وقد أحس بها وعايشها وأعجب بعوالمها وألحّ على فهم دواخلها، فأنتج ذلك أدبا غنيا بشواهد الوصف والاهتمام والتعلّق، وقد أغرت كثرة هذه الشواهد الدارسين؛ لينجزوا فيها دراسات من جوانب مختلفة، لكن حظ الدرس البيئي منها يكاد يكون ضعيفا أو معدوما. والدرس البيئي درس حديث في دراستنا النقدية العربية، وقد اكتسب زخما واهتماما في السنوات الأخيرة وهو يرتكز على وجهة نظر تهتم بقضايا البيئة وعناصرها وبتلك المساحة التي يتفاعل فيها الإنسان مع بيئته سلبا أو إيجابا.

إن هذه الدراسة تحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

كيف شعر الإنسان الجاهلي بحيوانات بيئته؟ ما القيم البيئية التي نفهمها من شواهد وصف الحيوان؟ كيف ظهرت قيمة الاستدامة في شواهد وصف الحيوان في الشعر الجاهلي؟ وجاءت أهداف هذا العمل متعلقة بالبحث عن ظواهر انتماء الإنسان الجاهلي لهذه العوالم البيئية والتنقيب عن مجموعة من القيم البيئية المفهومة خلف أشعارهم، ولتحقيق هذه الغايات قامت الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

الأول: الانتماء لها، والثاني: الاستدامة، والثالث: سعة المكون المعرفي بها، تعقبها خاتمة ومسرد بقائمة المصادر والمراجع، وكان منهج هذه الدراسة مستمدا من مقولات الدرس البيئي ووجهة نظره المخصوصة تجاه قضايا الإنسان مع بيئته.

التمهيد

النقد البيئي: يشار إلى النقد البيئي بعدة مصطلحات أشهرها (النقد الإيكولوجي) أو (الدراسات الثقافية الخضراء) أو (النقد البيئي الأدبي) [١]، وقد يكون بينها بعض الاختلافات الاصطلاحية الناشئة من تعدد المدارس والتدرج التاريخي المتوقع في بناء مثل هذه الحقول العلمية، فقد فضلّت " غلو تفلتي " مثلا مصطلح " النقد الإيكولوجي " على " النقد البيئي "، بينما تحيّز " بويل " في كتبه لمصطلح " النقد البيئي " [٢]، لكن المصطلحين يشيران إلى مفهوم واحد ووجهة نظر تكاد تكون متطابقة.

وقد ظهرت بوادر هذا الاتجاه في حقبة السبعينات الميلادية، عندما تراكم اهتمام مجموعة من التيارات الفلسفية والنقدية بدرس العلاقات بين الأدب والبيئة، ولعل أول من استخدم مصطلح "النقد البيئي " هو: وليام روكيت [٣]، ثم تكاثرت هذه الدراسات حتى غدت مسارا نقديا معروفا له مشاغله واهتماماته ووجهة نظره المخصوصة [٤].

أما عن تعريف هذا المصطلح وضبط حدوده؛ فقد عرّفته تشريل غلوتفلتي

---

(١) انظر: لورنس بويل وآخرون، " النقد البيئي بين التنظير والتطبيق، دراسات مترجمة ". إعداد وترجمة وتحقيق: معتز سلامة، (ط١، طنطا، دار النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠٢٣م)، ٦١؛ و، أبو المعاطي الرمادي ومعجب العدواني وآخرون، " النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات، " ط١، الشارقة، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٢٢م)، ٦٦.

(٢) انظر: أبو المعاطي ومعجب العدواني وآخرون، " النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات "، ٦٧-٦٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١٣.

(٤) انظر: المرجع السابق، ١٦.

بقولها: "النقد البيئي هو دراسة العلاقات بين الأدب والبيئة المادية كما أن النسوية تستكشف اللغة والأدب من منظور وعي الجنوسة ... فإن النقد البيئي يتخذ من الأرض مركزا لمقاربته في الدراسات الأدبية " [١]، وتعرّف أيضا بأنها " العلم الذي يدرس العلاقات التبادلية بين الكائنات الحية والبيئة التي نعيش فيها، ويتخذ موضوعا لها المنظومات البيئية"[٢]. وهو بهذا يهتم بمركز الطبيعة ومكوناتها في الأدب، وموقف المبدع منها، كما أنه يمتد ليحلل الجوانب الثقافية والأدبية المؤثرة في رواية الكاتب، ويهتم بالكشف عن الوظيفة البيئية المتوارية خلف الصفة الجمالية [٣].

ولا ريب أن وصف الحيوان والحديث عن عوالمه في الشعر الجاهلي يغرينا بالنظر من خلاله إلى موقف الإنسان الجاهلي، وطريقة تصوره لهذه العوالم، وفهمه المبني على قراره، وفهمه لهذه العناصر البيئية التي تحيط به وتشاركه وجوده.

(١) نجاح الجبيلي، " النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات "، (ط١، البصرة، دار شهريار، ٢٠٢١م)، ٢٤.

(٢) مايكل برانش، " النقد الإيكولوجي "، ترجمة: معين رومية، (نوافذ، النادي الأدبي بجدة، عدد ٣٦، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ، مايو ٢٠٠٧م)، ٢٧.

(٣) انظر: هاني علي سعيد محمد، "النقد الأدبي البيئي: قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة رأيت النخل "لرضوى عاشور"، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، جامعة كفر الشيخ، عدد ٢٦، (يناير ٢٠٢٢م)، ٤٦٢.

المبحث الأول: الانتماء لها

ينظر إلى الانتماء بأنه من المفاهيم الأساسية لوحدة المجتمعات وتماسكها، بل إنه يغدو معيارا في الدراسات الحديثة لقياس قوة المجتمع وترابطه؛ فالانتماء إحساس وشعور ورغبة لدى الفرد تجاه جماعة بالاتحاد معها أو القبول بين أفرادها أو الاتصال بها، وهو قبل ذلك كله حاجة إنسانية ورغبة غريزية تدفع الفرد لتوثيق علاقاته بمن حوله؛ بحثا عن الأمن والطمأنينة والثقة.

إن الانتماء الذي نقصده هنا هو إحساس الإنسان الجاهلي باتصاله مع الكائنات الحية في بيئته، وتحديدا تلك الحيوانات التي أحاطت به ورافقته وشاركته بيئته ووقته؛ فقد تعامل معها وتحدّث عنها وأحس بها كما يفعل مع أفراد من أسرة كبيرة، وهو ما دفعه للاقتراب منها والإلحاح على فهم منطقها والافتخار بخصائصها وطباعها والحديث معها والحزن عليها.

أولا: الإحساس بها

يغدو الإحساس بالحيوان معلما شعوريا بارزا في الأدب الجاهلي ؛ فقد التصق الإنسان الجاهلي قديما بحيوانه وأحس به بطريقة إنسانية؛ فهو يراه نفسا تتأوه وتبكي وتفرح وتحنّ مثله تماما، بل قد لا نبالغ إذا قلنا أن إحساسه ببعض الحيوانات فاق إحساسه بأهله وأبنائه ولا غرو؛ فقد شاركته سفره ولياليه الطويلة وحربه وأوقاته الصعبة، وقد سامرها وسامرته وأحس بها وأحست به، وخاصة تلك القريبة منه مثل ناقته وفرسه والثور الوحشي والذئب؛ فقد اقترب منها وأطال تأملها ومراقبة أدق تفاصيل حياتها، فأورث ذلك التصاقا بها وتمازجا معها، والناظر في أدب تلك المرحلة يذهل من تلك المساحات الكبيرة التي تناولت وصفها وتعقّب أحوالها المختلفة.

وفي مدونة الشعر الجاهلي نجد أصداء واسعة، وأمثلة متعددة لشواهد

تظهر إحساس الشاعر بحيوانه، وكيف اهتم وراقب أحاسيس هذه الكائنات؛ وهو بذلك متصل بها واعٍ بهذه البيئة التي تشملها وتشمله؛ فقد أحس بجزعها في مواطن مختلفة، نحو قول المتلمّس يصف جزع ناقته:

وتكاد من جزع يطير فؤادها إن صاح مكاء الضحى متنكس(١)

فهو يحس بجزع ناقته الشديد الذي يكاد يطير بقلبها، والأمثلة في هذا الباب كثيرة، وقد تحول ذلك إلى شكل جاهز ومألوف يدل على حنين الشاعر ويصف مشاعره (٢)، وقد اعتاد الدارسون ترديد مقولة: أن الشاعر يسقط على ناقته ما يحسه من مشاعر، وهذا قول يقودنا إلى الفهم نفسه؛ فالجاهلي يحس بناقته ويراها جزءا خاصا من ذاته، وهذا يدل على القرب الشديد إلى درجة التماهي معها، وهو إحساس بيئي سابق للمعرفة البيئية الحديثة؛ لأنه يمتح من الجوهر نفسه ويصيب المقاصد الكبرى ذاتها.

وفي مواطن أخرى يصف لنا الشاعر الجاهلي إحساسه بالذئب في جوعه الشديد وهو في رحلته يتهادى بحثا عما يسدّ رمقه، يقول الشنفرى في لاميته:

وأغدو على القوت الزهيد كما أزلّ تهاداه التنائف نحّلُ

غدا طاويا يعارض الريح هافيا يخوت بأذناب الشعاب ويعسل (٣)

(١) المتلمس، " ديوان شعر"، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي (دط – القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م)، ١٨٤.

(٢) انظر: بسمة الشاوش، "وصف الحيوان في الشعر الجاهلي "، (دط، تونس، جامعة تونس، ٢٠٠٩ م)، ٩٧.

(٣) الشنفرى،" ديوانه "، جمعه وحققه وشرحه: أميل يعقوب (ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م) ٥٨.

وفي موطن آخر نقرأ وصفا دقيقا لأحاسيس الثور الوحشي في ديوان المثقب العبدي؛ فهو يترقب صوت الصياد ويصيخ لنبأته متحسسا صوته مثل إصاخة الناشد للمنشد، وهي حال تدل على حدّة الاستماع وقوته عند الثور الوحشي؛ فالناشد هو من يطلب ضالته والمنشد هو المعرّف الذي يدّله عليها، وانظر إلى حال إصاغة الناشد للمنشد حتى تفهم تلك الصورة الشعورية التي يبنيها المثقب العبدي لهذا الثور الوحشي، يقول:

يصـــيخ لـلـنـبـأة أسمـاعـه ... إصـــاخة الناشـــد للمنشـــد

ضـــمّ صـــمـاخيـه لنكرّيـة ... من خشـــية القانص والموســـد

وانتصـــب القلب لتقســـيمه ... أمـرا فـريـقـين ولم يـبـلـد[1]

إنّ هذا الاقتراب النفسي والحسيّ من الثور الوحشي جعل الشاعر ينفذ إلى أدق تفاصيل هذا الحيوان؛ ليصف لنا شعوره ويحاول أن يتماهى مع أحاسيسه ليصل ذلك بمراقبة سلوكه الظاهري المنشدّ إلى خوفه وترقبه لمصيبة الصياد التي قد تنهي حياته ؛ فالثور الوحشي يضمّ أذنيه بحثا عن أدق الأصوات وقد سمع ما ينكره ويخشاه ويفزع منه وهو صوت (القانص) الصياد وكلابه التي تطارد الطريدة، ثم يصف الفزع الذي أصاب قلب الثور الوحشي ؛ فقد تردت أحشاؤه المنهارة من الفزع واضطربت اضطراب العصافير الأمر الذي جعله ينطلق هربا مسرعا بعد أن تردد وأصبح قلبه على رأيين وفريقين : الإقبال والإدبار، إنه اتصال حسي ونفسي يفهم منه نوع من التماهي والتداخل بين الإنسان وبيئته.

وقد أكثر الشعراء الجاهليون من وصف أحاسيس الخوف والفزع من

(١) المثقب العبدي، "ديوانه"، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي (د.ط، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧١م)، ٤٦.

الصياد وبالغوا في تعقّب تلك التفاصيل الدقيقة في سلوك الحيوانات وكيف تترقب وتحذر ثم تفزع وتهرب في مشاهد تكاد أن تكون مكرورة لكنها غنية بتفاصيل شعورية تنبأ بذلك الاهتمام بمراقبة هذه الحيوانات ومحاولة التسلل إلى دواخلها وفهم أحاسيسها، يقول النابغة الذبياني في المشهد نفسه:

فـارتاع من صـــوت كلاّب طوع الشـوامت من خوف ومن صـرد

فهو يقضي ليلته خائفا لا يكاد يهدأ يقول الأصمعي: " فبات له ما أطاع شوامته مما فيه من الخوف، قال أبو عبيدة: المعنى فبات له ما يسر من الشوامت"(٢)، ويصف امرؤ القيس الأتن وقد ارتعدت فرائصها خوفا وهلعا من نبأ الصيّاد فهي تشرب أنفاسا من الماء، يقول:

فيشـربن أنفاسـا وهن خوائف وترعـد منهن الكلى والفريص

ولعل الخوف هو الشعور الأكثر بروزا في وصف الشاعر الجاهلي، وهو الإحساس الذي نال مساحة من عينه الواصفة؛ ففي مرثية أبي ذؤيب الهذلي في أبنائه التي يبنيها على مشاهد في وصف الحيوان؛ يصف خوف الأتن التي تجمّعت على الماء بعد رحلة بحث طويلة، وقد أحسّت بما تنكره من فجاءة الصياد وكمائنه، ففزعت ونفرت في كل اتجاه، يقول:

(١) النابغة الذبياني،" ديوانه " تحقيق وشرح: كرم البستاني، (دط، بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٣م)، ٣٢.

(٢) ابن قتيبة، "الشعر والشعراء ". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (دط، القاهرة، دار المعارف، دت)، ١: ٧٤، ٧٥.

(٣) امرؤ القيس،" شرح ديوانه "، جمعه وحققه وشرحه: حسن السندوبي، (ط١، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٩٠م)، ١٤٣.

فشـــربن ثم سمعن حســـا دونه شرف الحجاب وريب قرع يقرع
ونميمـــة من قـــانص متلبـــب في كفّـــه جشء أجش وأقطع
فَنَكِرْنَه فَنَفَرن وامْترســـت به عَوْجَاء هَادية وهَاد جرشـــع[١]

وفي مواطن أخرى نقرأ حديثا عن أحاسيس مختلفة، نحو الفرح والابتهاج في مثل قول لبيد في وصف الثور الوحشي:

يمتـل موفورا ويمشـــي جـانبـا ربذا يُسَلّي حاجة الخشْيَان [٢]

وذلك بعد أن خرج من صراعه مع الكلاب منتصرا موفور الصحة يهتز في عدوه فرحا.

ومثل ذلك نجده في وصف الأعشى؛ فالثور عنده مثل المرزبان وهو الشجاع المقدام، وهو في حال من الحبور والفرح بعد أن خرج من معركته منتصرا، يقول:

ثم اســـتمر يُبَاري ظِلّه جذلا كـأنـه مُرزبان فـاز محبور [٣]

أن مشاعر الفرح للحمار الوحشي أو للأتان أو للثور الوحشي عواطف مكبوتة لا ترتبط عادة بمظهر واضح، ورغم ذلك يلحّ الشاعر الجاهلي في الاقتراب من حيوانه ومحاولة فهم ما يحس به وربط أحواله الدقيقة بهذه المشاعر، وما كان

(١) أبو ذؤيب الهذلي،" ديوانه "، تحقيق وتخريج: د. أحمد خليل الشال، (ط١، بور سعيد، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ٢٠١٤ م)، ٥٢.

(٢) لبيد بن ربيعة،" ديوانه "، تحقيق: إحسان عباس، (ط٢، الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٨٤م)، ١٣٢.

(٣) الأعشى،" ديوان الأعشى الكبير "، شرح وتعليق: محمد حسين، (دط، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، دت)، ٢٤٥.

له أن يصل إلى هذا الفهم إلا بهذه الأنفس ومداومة مراقبتها، الأمر الذي أورثه فهما لشعورها والإحساس بها.

كما نقرأ مشاعر أخرى في نصوص الشاعر الجاهلي؛ نحو وصف ظمئه وعطشه في مثل قول أوس بن حجر يصف الحمار الوحشي:

فأضحى بقارات السِتار كأنه ربيئة جيش فهو ظمآن خائف [1]

فهو إلى جانب خوفه وترقبه لهجمة الصياد عليه وتلك الأخطار المحدقة به فإنه ظمآن قد بلغ به العطش كل مأخذ.

وفي أمثلة أخرى نقرأ وصفا لأحاسيس الحيرة والشك، نحو قول الشماخ الذي يصوّر حمارا وحشيا:

فظلّ سراة اليوم يقسم أمره مُشِتٌ عليه الأمر أين يروم

وأقلقه همٌّ دخيل ينوبه وهاجرةٌ جرَّت عليه صدوم[2]

والذئب أيضا يشكو ويتصبر، وقد بلغ به الجهد والتعب كل مأخذ، فلا يجد سوى التحمّل ومشاركة هذا الهم مع أصحابه الذئاب، كما في قول الشنفرى:

شَكَا وَشَكَتْ ثم ارعوى بعد وللصبر أن لم ينفع الشكو أجمل [3]

إن فهم هذه الأحاسيس وإذاعتها والحفر في دقائقها يشي بهذا الوعي

(١) أوس بن حجر،" ديوانه "، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، (دط، بيروت، دار بيروت، ١٩٨٠م)، ٦٨.

(٢) الشماخ الذبياني،" ديوانه "، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، (دط، القاهرة، دار المعارف، دت)، ٣٠٠.

(٣) الشنفرى، " ديوانه "، ٥٨. الصادق قسومة،" الحوار في الخطاب القصصي "، (ط٢، تونس، دار مسكيلياني، ٢٠٠٢م)، ٣٦.

البيئي المستقر في ثقافة الشاعر.

ثانيا: الحديث معها

يتحدث الشاعر الجاهلي مع حيواناته في قطع حوارية شغلت مساحات مهمة من القصيد الجاهلي، وهو تطور اهتم به النقاد ورأوه شكلا من أشكال التجديد في القوالب الشعرية القديمة، ودرسوه تحت مصطلح الحوار، وهو عنصر قصصي ينتمي إلى عوالم السرد ومشاغله، فهو عندهم: التواصل القوليّ بين الشخصيات، أو هو " جملة من الكلمات تتبادلها الشخصيات " (١)، أو هو في شكله البسيط حديث يدور بين اثنين على الأقل أو كلام يقع بين الأديب ونفسه أو من ينزله مقام نفسه (٢). لكن ذلك وإن كان سمة فنية جديرة بالرصد والملاحظة إلا أنه في جانب آخر يعدّ تطورا طبيعيا لعلاقة الإنسان القديم مع هذه الحيوانات، فهي كائنات حية لازمته ولازمها فمن الطبيعي أن يحدثها ويحاورها ويتخذها صاحبا ورفيقا، خاصة إذا استحضرنا مظاهر الوحدة والانفراد في تلك البيئة القاسية ؛ فكثير منهم سكنوا في قبائل من عاداتها التّرحل وطلب الكلأ والمرعى الخصب ومن عاداتهم السفر الطويل طلبا للتجارة أو لدواعي الحرب أو السلم، وهذه أحوال يكثر فيها الانفراد ويعزّ فيها الصاحب الأنيس، فخاطبوا حيواناتهم وهي الأقرب إليهم . وهذا مظهر على مشاعر الانتماء والامتزاج بين الإنسان الجاهلي وحيواناته، كما أن الحوار سلوك تفاعلي ينتشل الإنسان من غربة أفكاره وصمته وهمومه إلى صوت يسمعه ويتفاعل معه ويأنس به، ولا ريب أن هذا الأسلوب يمتلك كثيرا من الفعالية الإقناعية التي تجعله يحظى

(١) الصادق قسومة،" الحوار في الخطاب القصصي "، ٣٦.

(٢)جبور عبد النور،"المعجم الأدبي "، (ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)، ١٠٠.

باهتمام الشعراء والنقاد، وقد أفاض الدارسون في هذه الجوانب الفنية وخاصة تلك التي تشدّ القصيد تجاه المنطق القصصي وصوره السردية.

وإذا عدنا إلى دواوين الشعراء الجاهليين وجدنا مواطن متنوعة يخاطب فيها الشاعر ناقته وفرسه والذئب؛ فقد تحدّث حسان بن ثابت مع ناقته واستمع على شكواها، يقول:

أحقّ بها من فتية وركائب يقطّع عنها الليل عوجٌ ضوامر
تقول وتذري الدمع عن حرّ لعلّك نفسي قبل نفسك باكر

فالشاعر يحدثها أو يستمع إليها وهي تشكو وتذري دمعها من تلك الأهوال التي كابدتها للوصول إلى مقصد الشاعر، وقد اختار أن ينطقها ويسمعنا صوتها وهي تحاوره وتشتكي له، إن الحديث مع الناقة في رحلة طويلة حيث لا أنيس ولا صاحب ينبئ بتلك العلاقة المميزة بينهما؛ فالشاعر لا يراها مجرد راحلة بل هي صديق ينتمي له ويشاركه همومه ويحس بشكواه ويستمع جيدا إلى صوته.

وفي موطن آخر يرد الشاعر هذه الشكوى مهدّئا من روعها داعيا إياها إلى التجلّد والاصطبار، يقول الأعشى:

فلا تشتكن إلى الوجى وطول السرى واجعليه اصطبارا
رواح العشيّ وسير الغدو يد الدهر حتى تلاقي الخيارا [٢]

ويراها المثقب العبدي في أبيات له تتأوه وتشتكي مثل الرجل الحزين يقول:

(١) حسان بن ثابت،" ديوانه "، شرحه وكتب هوامشه: عبدأ مهنا، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ١٣٠.

(٢) المصدر السابق، ٩٥.

تقول إذا درأت لها وضـــيني أهــذا ديــنــه أبــدا وديــني

أكــلّ الــدهر حــلّ وارتحــالٌ أمــا يبقى عليّ ومــا يقيني[١]

فهو يصف حالها حين يرحل بناقته في هذه القفار الواسعة، وقد أزال عنها الحزام الذي يكون على الناقة؛ لشدّ الرحال عليها، بأنها تشتكي وتتأوه من هذه الحال المستمرة في السفر والارتحال، وكأنه سيهلكها ويهلك نفسه في هذا السفر الدائم.

وقد يخاطبها زاجرا لها فلا ترد عليه وتستعجم عن جوابه وتكتفي بالعبرات تتتابع عليها، يقول سبيع بن الخطيم:

فاســـتعجمت وتتابعت عبراتها إن الـكـريم لمـا ألم عـروف[٢]

فهي في مقام المحاور والمجيب لخطاب الشاعر وزجره وكأنها الرفيق التابع له، لكنها لا تجيب والاستعجام هو السكوت وعدم الرد.

وقد يحاور الشاعر فرسه وهي من أقرب الحيوانات إليه إلى جانب الناقة، وهي رفيقته في حربه وقتاله، وأبرز من حاورها عنترة بن شدّاد يقول:

وقُلـت لمهري والقَنَـا يقرع القنـا تنبّـه وكن مســـتيقظـا غير ناعس

فجـاوبني مهري الكريم وقـال لي أنا من جياد الخيل كن أنت فارسي[٣]

(١) المثقب العبدي،" ديوانه "، ١٩٨.

(٢) سبيع بن الخطيم،" شعره "، جمع وشرح: إسلم بن سبتي، (دط، مجلة آفاق التراث والثقافة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة ٢٤، العدد ٩٦، ربيع الأول ١٤٣٨هـ) .

(٣) الخطيب التبريزي،" شرح ديوان عنترة "، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طرّاد

إنها علاقة مميزة وفريدة تلك التي تربط الفارس بفرسه؛ فهو يحاورها كأنما يحاور نفسه وقد اختلطت السيوف ببعضها في موقف الحرب والقتال، إن الشاعر يراها جزءا أثيرا من ذاته ووجوده ويعلن انتماءه لها أو انتماءها لعالمه ووجوده، وهذا الإحساس يتكرر في مواطن أخرى من شعر عنترة وأبياته الشهيرة التي صوّرت موقفا مشابها في حواره مع فرسه:

فـازورّ من وقَعِ القَنَـا بِلبـانـه وشَـــكـا إليّ بـعـبرة وتحـمـم

لو كـان يـدري مـا المحـاورة ولـكـان لـو عـلـم الـكـلام

وإن كانت أكثر الدراسات تتحدث عن هذه المحاورة بأنها من قبيل الإسقاط النفسي والمعادل الموضوعي؛ إذ يخاطب عنترة فيها فرسه بما يقصد به نفسه إلا أن ذلك يثبت في الوقت عينه تلك العلاقة المتداخلة بين الإنسان الجاهلي وفرسه، حتى أنه قد خلع عليها صفات إنسانية مثل البكاء والشكوى فغدت علاقة إنسانية مبنية على الودّ والرحمة، وهذا انتماء إلى وجود واحد. وقد فهم عنترة في هذه اللوحة الشعرية ذلك الخط الفاصل بين طبيعة الحيوان وتلك الصورة الإنسانية التي يخاطبها فيه، فهي صاحبه الذي يملك الألم بين جنبيه من وقنع القنا وحرّ القتال، ولكنه الحيوان الذي لا يستطيع البوح ولا يحسن الكلام.

ويتحدّث الشاعر الجاهلي مع الذئب، ومساحته في القصيدة الجاهلية تتجاوز مساحات الحديث مع أي حيوان آخر، ولعل ذلك يعود إلى تلك الهيبة التي يسبغها الإنسان الجاهلي على الذئب فهو يهابه ويخشى غاراته ؛ فهو ليس الصديق الأليف المسخر لخدمته مثل فرسه وناقته بل هو في قائمة أعدائه الذين

(ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م)، ٨٨.

(١) المصدر السابق، ١٨٢-١٨٣.

يخشاهم ويهابهم، ولكنه مع ذلك أكثر من حواره وكأنه يخاطب خوفه في داخله، كما أن الذئب يلازمه في سفره، فهو الخوف الذي يتذكره المسافر دائما في تلك المفازات، وهو رمز من رموز الليل، وعواؤه متصل بتلقّي الليل وسكونه، والهدأة فيه، يقول امرئ القيس في قطعة حوارية مع الذئب:

فقلت له يا ذئب هل في أخ يواســـي بلا أثرى عليـك ولا نجـل
فقـال هـداك الله إنـك إنمـا دعـوت لمـا لم يأتـه ســـبع قبـلـي
فلســـت بآتيه ولا أســـتطيعه ولاك أســـقني إن كان ماؤك ذا فضـــل
فقلت عليك الحوض إني تركته وفي صفوه فضل القلوصي من السجل[١]

إن الحوار مع الذئب غني بملحوظات فنية وجوانب نفسية لكنه يفهمنا بشكل لا لبس فيه تلك العاطفة تجاه هذا الحيوان؛ فهو يبحث فيه عن شكل إنساني وحاجات إنسانية ويقيمه مقام الإنسان المسكين الذي يطلب الماء ليروي عطشه وليبلغ به أصحابه من الذئاب. لقد بحث الشاعر عن شكل حواري مليء بالرحمة والمودة والمواساة، فهو يطلب أخوّته ويعرض عليه المساعدة، وهذا نوع من القبول والانتماء والامتزاج مع حيوانات بيئته وليس رفضا أو قعما أو غربة كما نجد في أشكال أخرى.

ويبدو هذا الاحتواء والانتماء حتى مع السباع والذئاب في مقطوعة حوارية أخرى صاحبها الصعلوك تأبط شرا، إذ يقول:

فَقُلْتُ له لما عوى إنَّ شَـــأننا قليـل الغنى إن كنـت لمـا تمّول

(١) امرؤ القيس،" ديوانه "، ١٥٤.

كلانا إذا مَا نَال شـــيئا أفاته ومنْ يحترث حَرثي وحرثك يهزل[1]

ونجد حديثا أيضا مع الحمامة في شعر (صخر النعيّ) أحد الشعراء الهذليين، يقول:

وما إن صـــوت نائحة بليل بســـبلل لا تنام مع الهجود

تجهنا غـاديين فســـاءلتني بواحدها وأســـأل عن تليدي

فقلت لها فأما ســـاق حر فبـان مع الأوائـل من ثمود

وقـالـت لن ترى أبـدا تليـدا بعينك آخر الدهر الجديد[2]

فهو يرثي ابنه تليدا وقد سمع صوت حمامة تنوح في هدوء الليل في مكان (سبلل) وهي تبكي فرخها وقد منعها النوم؛ فهو يرى هذا التماثل مع الحمامة وهما ينتميان للبيئة نفسها وتحكمهما قوانين الوجود ذاته.

(١) تأبط شرا،" ديوانه "، إعداد وتقديم: طلال حرب، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م)، ٨١. وتنسب هذه الأبيات لامرئ القيس.

(٢) أبو سعيد السكري،" شرح أشعار الهذليين"، حققه: عبد الستار أحمد فرّاج، راجعه: محمود شاكر، (دط، القاهرة، مكتبة العروبة، دت)، ١ / ٢٩٣.

المبحث الثاني: الاستدامة

الاستدامة مصطلح بيئي وله مساحة في الدراسات البيئية الحديثة، وهو يتصل بطريقتنا في المحافظة على البيئة ومكوناتها، وهو يعرّف اصطلاحا بأنه كل ما "يصف كيفية بقاء النظم الحيوية متنوعة ومنتجة مع مرور الوقت، والاستدامة بالنسبة للبشر هي القدرة على حفظ نوعية الحياة التي نعيشها على المدى الطويل، وهذا يعتمد بدوره على حفظ العالم الطبيعي، والاستخدام الصحيح للموارد"(١). ولا ريب أن الوعي البيئي بمفهومه الحديث وأبعاده المختلفة لا يحضر في مثل مدونات الشعر الجاهلي، ولكنه يفهم من ذلك الإحساس الفطري الذي تقدمه مجموعة مختلفة من الشواهد الشعرية في وصف الحيوان، فالإنسان الجاهلي أحس بحيوانه جزءا منه وهذا يقربنا نحو مصطلحات التمركز مثل (التمركز البيولوجي) الذي يقصد به : "منظومة من المعتقدات التي تعتبر شؤون المحيط الإحيائي ككل تأخذ الأسبقية من تلك التي للأنواع الفردية، بضمنها الإنسان وأن جميع الأنواع لديها قيمة متأصلة "(٢)، صحيح أن الوعي بمثل هذه القضايا واستحضار قيم البيئة وما يتصل بها من موضوعات غائب عن الفكر الجاهلي، ولكن مجرد الإحساس بأننا جزء من منظومة أكبر وأننا متساوون في منظومة واحدة، وأن ما يهدد تلك الحيوانات خاصة القريبة الأهلية منها يهدد إنسانها أيضا وما يجعلها قوية في أحسن أشكالها يجعله قويا متعافيا.

إن الاستدامة التي نبحث عنها هنا هي في ذلك الشعور الإيجابي الذي ينتج عن مدح الحيوانات أو الافتخار بها أو مدح أفعالها ووظائفها، فإن ذلك

(١) نجاح الجبيلي، " النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات "، ٣٢٣.

(٢) نجاح الجبيلي، " النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات "، ٣٢٤.

يدفع المتلقي أو المخاطب إلى الإعجاب بتلك الحيوانات والإحساس بها بشكل إيجابي والإبقاء عليها والفخر بوجودها، وهذا ولا ريب يحافظ على نوعية الحياة التي نعيشها بحماية عناصرها واستيعاب أهميتها وأهمية ما تقوم به، وسنقرأ مجموعة من الشواهد في مدونة الشعر الجاهلي بحثا عن مظاهر ذلك الإعجاب وسيكون ذلك تحت عنوانين:

أولا: مدح صفاتها وأجسامها

إن شواهد الإعجاب بحيوانات العصر الجاهلي كثيرة جدا وأكثرها ما يتعلق بالناقة والفرس، وقد دُرست هذه المساحات الوصفية في الشعر الجاهلي تحت عنوانات مختلفة لكن همّنا هنا تعقّب شواهد الإعجاب وما نتوقعه من أثر إيجابي تجاه تلك الحيوانات. فقد أعجب الجاهليون قديما بالناقة ورأوها كائنا عظيما، بل تروي الأخبار أن قبيلة تميم أقبلت في حربها ضد بكر بن وائل ببعيرين مجلّلين مقيدين وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين وقالوا لا نفرّ حتى يفرّ هذان البعيران [1]، والأخبار في تعظيم الناقة متواترة، والشواهد الشعرية في ذلك كثيرة ويكفي أن نقرأ معلقة طرفة بن العبد للنظر إلى المساحة الكبيرة التي خصصها للإعجاب بناقته وبكل أجزائها وتفاصيل جسدها يقول فيها:

تريع إلى صـــوت المهيب وتتقي بذي خصـــل روعات أكلف ملبد

كَأَنّ جَناحي مَضـــرحي تكنّفا حفافين شكّا في العسيب بمسرد[2]

(١) ابن منظور، " لسان العرب "، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، (ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م)، ٦ / ١١٣.

(٢) طرفة بن العبد،" ديوانه "، شرحه وقدّم له: مهدي محمد ناصر الدين، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ٢٠ – ٢٣.

إلى آخر أبيات هذه اللوحة في معلقته الشهيرة، وقد استقصى طرفة كثيرا من تفاصيل جسد الناقة وهو في ذلك يصدر عن عاطفة إعجاب ومدح، وكأنه يصف كائنا مثاليا فلا يختار إلا أفضل الصفات(١). إن هذا الوصف يصدر عن إعجاب وهو إعجاب مستقر في العقل الجمعيّ الجاهلي والأثر الناتج عن هذه العاطفة المكرورة في القصيد الجاهلي إعلاء من مكانة الناقة وزيادة في تقديرها الأمر الذي يحفظ نوعها ويشجّع على الاهتمام بها وتهيئة الظروف الملائمة لرعايتها.

وفي مواطن أخرى يعجب الشاعر بكرامة الإبل ولحمها وعمرها كما في قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر:

الواهبَ المئةَ المعكاء زيّنها سعدان توضح في أوبارها اللبد(٢)

فالنعمان كريم جواد لا يهب إلا الإبل الكريمة السمينة الغزيرة اللبن الطيبة اللحم؛ لأنها ترعى نبات السعدان. وفي مدح لحمها أيضا نقرأ قول أعشى باهلة:

وراحت الشول مغبرا مناكبها شعثا تغيّر منها النيّ والوبر (٣)

فلحمها كرم للمحتاجين وهي من وجوه الثروة التي ينفقها الكرماء في سبيل الفقراء وأصحاب الحاجة.

واقرأ أيضا قول مليح بن الحكم القردي عندما شبهها بالسفن وهي

(١) انظر: عبد العزيز الفيصل، " المعلقات العشر " (ط١، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٢٣هـ)، ١ / ١٦٢.

(٢) النابغة البياني،" ديوانه "، تحقيق وشرح: كرم البستاني، (دط، بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٣م)، ٣٤.

(٣) أبو زيد القرشي،" جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام "، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، (دط، القاهرة، نهضة مصر، دت)، ٥٧٠.

مصطفة، وذلك في قوله:

مصـطفة كاصـطفاف الفلك لا تحت السـياط ولا مشـغوفة شـرد

كـأن مـا فوقهـا ممـا علين بـه دماء أجواف بدن لونها جسـد[1]

والحديث عن الإعجاب بشمائل الناقة وتفاصيل خلقها طويل جدا، وشواهده كثيرة، وقلّ أن تقرأ قصيدة جاهلية طويلة ليس فيها حديث عن الإبل، فهي رفيقة الإنسان الجاهلي وراحلته التي لا يستغني عنها.

وإذا انتقلنا إلى مواطن الإعجاب بالفرس في هيئته وصفاته وجدنا شواهد أيضا كثيرة، والعربي القديم يرى الفرس جزءاً كريما منه؛ فهو عونه في الحروب والقتال ودفع العدو وهي مواطن فخر واعتزاز.

فساعدة بن جؤبة يراها مثالية الصفات؛ فهي (عبل) القوائم، طويلة سريعة حتى كأنها تنهب العدو انتهابا، ثم هي ممتلئة اللحم ومجدولة الخَلْق وملتفّة الأعضاء وذات بناء كبير وضخم، وقد بلغ من شدتها أن حوافرها قوية التحمل حتى كأنها استبدلت بحجارة صلبة، وفوق ذلك فإن فرسه يهتز لرشاقته وخفته:

من كـل فج يسـتقيم طمرّةٌ شُـوْهَـاء أو عبل الجزارة منهـب

خاظي البضـيع له زوافر عبلةٌ عوجٌ ومتنٌ كـالجـديلـة سـلهـب

وحـوافـر تـقـع الـبراح كـأنمـا ألف الزّماع بها سـلام صـلّب

يهتز في طرف العنـان كـأنـه جذع إذا فرع النخيل مشـذّب[2]

والحصان في موضع آخر يرفل ويختال مثل السكران من شدة اعتداده

(١) أبو سعيد السكّري،" شرح أشعار الهذليين "، ٣ / ١٠١٣.

(٢) المصدر السابق، ٣ / ١١١٦.

بقوته؛ فهو يهتزّ بذيله اختيالا إذا دخل الحي مع فارسه الصنديد، يقول شريح بن الأحوص:

أقبل يختال على ظلّه كأنما يعلو على فدفد

يضرب عطفيه إلى شأوه يذهب في الأقرب والأبعد

كأنه سكران أو عابثٌ أو ابن ربٍّ حدث المولد[١]

وفي موضع آخر نقرأ إعجابا ومدحا بصهيل الفرس، يقول النابغة الجعدي:

ويصهل في مثل جوف الطوى صهيلا يُبيّن للمُعْرب[٢]

فنوع صهيله يبين نسبه وأنه من الخيول الأصيلة. ومدحوا أيضا أنساب الخيل وأعجبوا بأنواع من سلالاتها المعروفة وتفاخروا بصراحة نسب الخيل وحفظوا أسماءها وأنسابها وعنوا بذلك عناية كبيرة، وقد أورد الجاحظ خبرا يدل على هذا وفيه: أن عياش بن الزبرقان بن بدر أرسل "إلى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا، فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع آبائه وأمهاته، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر. فقال عبد الملك بن مروان: عجبي من اختلاف أيمانه أشد من عجبي من معرفته أنساب الخيل" [٣].

(١) أبو تمام،" الوحشيات "، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، (ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٠م)، ٩٩.

(٢) النابغة الجعدي،" ديوانه "، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م)، ٣٨.

(٣) الجاحظ،" البيان والتبيين "، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، (دط، بيروت، دار الجيل، دت)، ٣٠٥.

ومن شواهد إعجابهم قول طفيل الغنوي:

وخيل كأمثال السراح مصونة ذخائر ما أبقى الغراب ومذهب

ومن بطن ذي عاج رعال كأنها جراد تباري وجهة الريح مطنب

أبوهن مكتومٌ وأعوج تفتلي ورادا وحوّا ليس فيهن مغرب(١)

فالغراب ومذهب وذو عاج ومكتوم وأعواج أسماء فحول معروفة في سلالات الخيل وأنسابها.

والقارئ لأشعار الجاهليين يجد إعجابا ومدحا لحيوانات أخرى نحو: الثور الوحشي في قوته وصلابة قرينه كما في قول أبي ذؤيب الهذلي:

فنحا لها بمذلّقين كأنما بها من النضح المجدّح أبدع

فكان سفّودين لما يقترا عجلا له بشواء شرب ينزع(٢)

كما مدحوا حدّة نظر الصقر وسرعته وذكاء الذئب وسرعة عدو الظليم في سياقات مختلفة ضمنوها لوحات وصفية متنوعة زخرت بها دواوينهم الشعرية.

ثانيا: الإعجاب بوظائفها وما تقوم به

تظهر مواطن أخرى في دواوين الشعراء الجاهليين إعجابا بالحيوان في وظائفه وما يقوم به، وهو إعجاب متصل بما سبق، ولعل الإعجاب بالوظيفة هو الأساس الذي بنوا عليه إعجابهم بالحيوان نفسه، فالناقة ممدوحة أولا لما تقوم

(١) طفيل الغنوي،" ديوانه "، شرح: الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)، ٥٨-٥٩.

(٢) أبو ذؤيب،" ديوانه "، ٥٥.

به من وظائف جليلة، وهذا ما جعلها أثيرة في عين صاحبها وكذلك الفرس، وهذا الإعجاب يذكرنا بأهمية هذه الحيوانات في حياتنا، وهو دفع إيجابي نحو الاستدامة والحفاظ على هذا التنوع البيولوجي، فالناقة ممدوحة في ارتحالها وسفرها الطويل وتحمّلها الهائل وليس هناك من يتفوّق عليها في هذه الوظيفة، والجاهلي سفره دائم وارتحاله بين هذه الفلوات مشهد يتكرر كثيرا في حياته، فلا أثمن إذن من ناقة قوية تحمله وتتحمله بلا تعب أو كلل، يقول أبو ذؤيب :

تزوّدها من أهل بُصْـــرَى وغزّة على جسرة مرفوعة الذيل والكفل
فوافى بها عســـفان ثم أتى بها مجنة تصـــفو في الكلال ولا تغلي
وراح بها من ذي المجاز عشـــية يبادر أولى السابقات إلى الحبل[١]

إن وصف قوافل الإبل ووصف مشيها والمؤونة التي تحملها مشاهد وصفية لا تخلو من إعجاب ومدح بهذه الكفاءة المدهشة لهذا الحيوان، وقد كثر عندهم وصف مشهد القوافل ورحلتها، يقول مليح بن الحكم القردي:

فالعير تحمل أشـــواقا مضـــعفة والعين يكحل فيها الصاب والرمد[٢]

إنها رحلة طويلة وشاقة ففرص الهلاك فيها كثيرة والأخطار والمخاوف تحيط بها، ويغدو البلاغ والوصول للوجهة المقصودة هبة عزيزة، يقول المرقش الأكبر في السياق نفسه بعد أن أثنى على ناقته تساءل قائلا:

(١) أبو سعيد السّكري،" شرح أشعار الهذليين "، ١ / ٩٣.
(٢) المصدر السابق، ٣ / ١٠١٣.

فهل تبلغني دار قومي جسـرة خنوف علندى جلعد غير شارف[١]

إن خيريتها وفضلها مشروط بإنجاز هذه المهمة الجليلة، لكن الأمر ليس محل تساؤل عند النابغة الذبياني في معلقته الشهيرة، يقول:

فتلك تبلغني النعمان إن له فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد[٢]

لقد ارتبطت الناقة بالارتحال ومفارقة الديار، وهذا ما جعل هذه الوظيفة تتحول إلى وظائف نفسية تتصل بذات الشاعر؛ فالناقة تحمله ليس لإيصاله لغايته وحسب بل لتسليته وطرد الهموم عنه، يقول بشر بن أبي خازم:

لولا تسلّى الهم عنك بجسرة عيرانة مثل الفنيق المكدم[٣]

لقد ألف الجاهلي ناقته وألفته وأصبح الارتحال بها عملا محببا لنفسه بعد أن كان تعبا ومشقة وتحوّل المشهد إلى سبب للابتهاج وطردٍ للأحزان، وهذا ما جعل عبارات التسلية المقرونة بالناقة تتكاثر في أشعار الجاهليين؛ فهذا المثقف العبدي يقول:

فسل الهمّ عنك بذات لوت عذافرة كمطرقة القيون[٤]

وفي ديوان بشر بن أبي خازم:

فسل طلابها وتعزّ عنها بناجية تخيل بالرداق [٥]

(١) المفضل الضبي،" المفضليات" ،٢٣٣.

(٢) النابغة الذبياني، "ديوانه "، ٣٣.

(٣) المصدر السابق، ٣٤٦.

(٤) المثقب العبدي،" ديوانه "، ٦٠.

(٥) بشر بن أبي خازم،" ديوانه"، قدّم له وشرحه: مجيد طراد (ط١، بيروت، دار الكتاب

بل إن هذه الوظيفة قد تداخلت مع وظيفة خطابية داخل القصيدة؛ وهي التحول من موضوع إلى آخر أو ما يعرف بحسن التخلّص وذلك بعبارات مسكوكة في تقاليد القصيدة الجاهلية، وأعني بذلك عبارات (دع ذا) و (تعزّ عنها) وما يشبهها، نحو قول كعب بن زهير:

دعها وســـل طلابها بجلالة إذ حان منك ترحل وخفوف [١]

ومثلها كثير؛ فالارتحال بالناقة ومفارقة الديار عمل ينسي الشاعر همومه وما يشغله حتى وإن كان هذا الشاغل النسيب أو التغزل بالنساء، وكأن حاله الجديدة مع ناقته بداية لحياة جديدة وموضوعات جديدة.

والأمر عينه في باب الفرس؛ فهو الحيوان الأثير عند العرب. وقد مدحوا وظائفه وأعجبوا بتلك المهام الخطيرة التي لا يقوم بها سواه وأكثرها يتصل بالحرب والقتال؛ فحياة العربي حياة صراع وتنازع مستمر، يقول طفيل الغنوي:

وللخيل أيام فمن يصـــطبر لها ويعرف لها أيامها الخير تعقب [٢]

فأيام الخيل أيام النصر في ساحات اللقاء وتصادم الكماة، وهي أوقات تظهر فيها الشجاعة الحقة ولا شك أن الخيل جزأ مهم لا غنى عنه من شجاعة الفارس وتمكّنه، والذي لا يملك الخيل مهزوم مخذول، يقول دريد بن الصمة هاجيا:

العربي، ١٩٩٤م)، ١٠٥.

(١) كعب بن زهير،" ديوانه "، حققه وشرحه وقدّم له: علي فاعور، (دط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ٥٠ .

(٢) طفيل الغنوي،" ديوانه "، ٤٩.

لعمرو بني شـــهاب ما أقاموا صدور الخيل والأسل النياعا [١]

إن الخيل الكريمة وقاية من عوادي الدهر وأمانا بعد الله عز وجل من الأخطار والإغارة والعدوان، يقول أمية بن أبي الصلت:

وأرصـــدنا لريب الدهر جردا لهاميما وماذيّا حصـــينا [٢]

وعلى ظهورها تدرك الثارات وتتحقق الانتصارات، يقول طفيل الغنوي:

وكنا إذا ما اغتفت الخيل غفّة تجرّد طلاب الترات مطلّب [٣]

فأي شيء أثمن من الخيل الأصلية ليورثوها لأبنائهم، إن تجهيز الخيل وتدريبها واقتناء السلالات المعروفة منها أفعال يحثون عليها ويمدحون من يفعلها؛ وهو من الاستعداد للحرب وإظهار للقوة؛ لردع المعتدي وزرع المهابة في نفسه. كما قربوا الخيل المعدّة للغزو واعتنوا بتجهيزها لأي طارئ وقد سمّوا تلك الخيل بالمقربات، يقول عامر بن الطفيل:

للمقربات غدو حين نحضـــرها وغارة تســـتثير النقع في رهج

فمـا يفـارقني المزنوق محتملا رحالة شـدها المضـمار بالثبج

إن الحياة القلقة التي تستدعي الخوف الدائم والترقب مما تحمله الأيام يجعل

(١) دريد بن الصمّة،" ديوانه"، حققه وجمعه: محمد خير البقاعي، (دط، دمشق، دار قتيبة، ١٩٨١م)، ٩٢ .

(٢) أمية بن الصلت،" ديوانه "، حققه وجمعه: سجيع جميل الجبيلي، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م)، ١٧٣.

(٣) طفيل الغنوي،" ديوانه "، ٦٩.

(٤) عامر بن الطفيل،" ديوانه "، (دط، بيروت، دار صادر، ١٩٧٩م)، ٣٥-٣٦.

الإنسان الجاهلي يلتصق بفرسه الجاهزة للعدو والقتال، تقول الخنساء في رثاء أخيها صخرا:

ورب ثغر مهول خضت غمرته بالمقربات عليها الفتية الصيد[١]

فحفظ الحياة مطلب وجودي في هذه البيئة والمقربات أسلحة الجاهلي الوحيدة في مثل هذه الظروف، يقول عبيد بن الأبرص:

مالنا فيها حصـــون غير ما الـ مقربات الجرد تردي بالرجـال

إن مشهد غزو الفرسان على ظهور خيلهم في بدايات الصباح مشهد يثير الرعب ويزلزل القلوب، يقول قيس بن الخطيم:

صبحناهم شـهباء يبرق بيضـها تبين خلاخيل النسـاء الهواربِ [٣]

إن تفاصيل المعركة والحرب النفسية وأصوات جلبة الخيل وكثرتها وتمكنها من فنون الحرب كلها أمور تحسم المعارك وتستجلب النصر، يقول خداش بن زهير:

وجردا في الأعنـة مصـــغيـات حـداد الطرف يعلكن الحـديـدا

جلبن الخيـل ســـــاهمـة إليهم عوابس يـدّرعن النقع قودا [٤]

(١) الخنساء،" ديوانها"، تحقيق: كرم البستاني، (دط، بيروت، دار صادر، دت)، ٤١.

(٢) عبيد بن الأبرص،" ديوانه "، (دط، بيروت، دار صادر، دت)، ١٢٢.

(٣) قيس بن الخطيم،" ديوانه "، تحقيق: ناصر الدين الأسد، (دط، بيروت، دار صادر، دت)، ٩١.

(٤) يحيى الجبوري،" شعر خداش بن زهير "، (دط، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دت)، ٤٣.

والشواهد في هذا الباب كثيرة جدا؛ فقد مدحوا الخيل في وظائفها المتصلة بالحروب وأطنبوا في ذلك حتى أصبحت الخيل عنصرا مكرورا وشبه ثابت في لوحات فخرهم بأنفسهم.

وقد أعجبوا كذلك بحيوانات أخرى مثل الثور الوحشي والصقر والأسد ومدحوا أفعالها وما تقوم به، لكنها ليست بكثرة مواضع الإعجاب بالناقة والفرس كما أشرت سابقا، فمن القليل مدح الصقر وسرعته في اصطياد فريسته يقول أبو خراش:

فأهوى لها في الجو فاختل قلبها صيود لحبات القلوب قتول [1]

(١)" ديوان الهذليين "، (ط١، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م)، ١٢٣/٢.

المبحث الثالث: سعة المكون المعرفي بالحيوانات

عايش الإنسان الجاهلي الحيوانات في بيئته واختلط به اختلاطا كبيرا فنشأ عن ذلك معرفة علمية بأحوالها وخصائصها وطريقة عيشها وسلوكها، وأصبحت هذه المعرفة سمة واضحة من سمات الأدب الجاهلي الذي يعكس تلك المعرفة الشائعة والمنتشرة بين أفراد العصر الجاهلي وفي أخبارهم، الأمر الذي يشير إلى هذا المستوى العالي من المعرفة خاصة تلك الحيوانات الأهلية القريبة منهم وكان العرب يعرفون الإبل ويعرفون خلقها وأسرار حياتها، وفي أخبار طرفة بن العبد القصة المشهورة عندما انتقد المسيب بن علس في قوله:

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم [١]

فقال له طرفة: "استنوق الجمل"[٢] وقد عدّت تلك المعرفة معيارا لحذق الشاعر وتمكّنه وعلو كعبه، فقد عابوا على أبي ذؤيب الهذلي وصفه للفرس بقوله:

قصر الصبوح بها فشرّج لحمها بالنيّ فهي تثوخ فيها الأصبع

قال الأصمعي: "هذا من أخبث ما نعتت به الخيل؛ لأن هذه لو عدت ساعة لانقطعت لكثرة شحمها، وإنما توصف الخيل بصلابة اللحم"[٣].

والمتأمل في تلك المساحات الكبيرة التي خصّوا بها وصف الحيوان وتتبع سلوكه وخصائصه يجد فيضا من المعلومات العلمية التي تضارع بعض الجهود

(١) طرفة بن العبد،" ديوانه "، ٥.

(٢) المصدر السابق، ٥.

(٣) محمد أبو حمدة،" في التذوق الجمالي لعينية أبي ذؤيب الهذلي "، (دط، عمّان، دار عمّار، ١٩٩٥م)، ٨٧.

الحديثة بآلاتها المتطورة في فهم حياة الحيوان وتوصيف سلوكه وهذه الملحوظات غدت أساسا لمؤلفات في علوم الحيوان كتبت في عصور التدوين الإسلامي، نحو كتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب حياة الحيوان للدميري، وكتاب نعت الحيوان، وكتاب الإبل للأصمعي، وغيرها.

أولا: المعرفة بسلوكها وصفاتها

أودع الإنسان الجاهلي بعينه البصيرة كثيرا من الملحوظات العلمية في قصائده ومقطوعاته الشعرية، وكانت تلك الملحوظات دليلا على المعرفة العليمة المنتشرة في البيئة الجاهلية، فقد راقبوا سلوكها وتتبعوا تفاصيل حياتها، فمن ذلك طريقة الاستكشاف؛ فالحيوانات المفترسة تعتمد كثيرا على حاسة الشم لتعرف الكثير عن الطريدة، وهذا ما جعل الذئب مثلا يعارض الريح؛ ليتتبع روائح الطرائد، يقول كعب بن زهير في صفة الذئب:

إذا مَا عَوَى مُسْتقبل الريح مَسامعه فاه على الزاد معول [1]

ويقول زهير بن أبي سلمى واصفا مشهد الثور وهو مستقبل الريح؛ بحثا عن علامة خطر؛ ليأخذ بعدها حذره ويتأهب للدفاع عن نفسه:

مولى الريح روقيه وجبهته حتى دنا مرزم الجوزاء أو خفقا
ليلته كلها حتى إذا احسرت عنه النجوم أضاء الصبح فانطلقا [2]

وحمار الوحش أيضا يستخدم الشمّ ليس للصيد وإنما لاستكشاف الأرض ورصد موقعه؛ بحثا عن المكان الآمن والبعيد عن المخاطر، يقول كعب

(١) كعب بن زهير،" ديوانه "، ٦٩.

(٢) زهير بن أبي سلمى،" ديوانه "، شرحه وقدّمه: علي فاعور، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م)، ٧٥.

بن زهير:

فصـدّ فأضـحى بالسـليل كأنه سـليب رجال فوق علياء قائم

يقلّب للأصـوات والريح هاديا تميم النّضـيّ برّصـته المقادم [١]

كما وصـفوا حواس أخرى، ولكنها تأتي بعد الشـم عند الحيوانات؛ فمن ذلك حدّة السمع لدى الناقة في قول طرفة:

وصـادقتا سمع التوجس في لجرس خفيّ أو لصـوت مندّد [٢]

ومدحوا دقة السـمع عند الخيل، وهي من الصـفات التي تعلي من أهميته وخطره خاصة في الغزو، يقول الشاعر:

يرى طـامح العينين يرنو كـأنـه مؤانس ذعر فهو بالإذن خاتل

ونعتوا أيضـا دقة البصـر عند الغراب والصـقر، يقول كعب بن زهير في الغراب:

وحمش بصـير المقلتين كأنه إذا ما مشـى مسـتكره الريح أقزل

يكاد يرى مالا ترى عين واحدٍ يثير لـه مـا غيّـب الترب معولُ

فهو يرى ما تحت التراب من حدّة بصـره. وتظهر لنا مواطن أخرى في دواوين الشـعر الجاهلي فيضـا من المعلومات العلمية المختلفة المتعلقة بسـلوكه

(١) كعب بن زهير،" ديوانه "، ٨٦.

(٢) عبد العزيز الفيصل،" المعلقات العشر "، ١ / ١٦٢.

(٣) البيت لمزرد بن ضرار، انظر: صدر الدين البصري،" الحماسة البصرية "، تحقيق: عادل سليمان جمال، (ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م)، ١٤٨١.

(٤) كعب بن زهير،" ديوانه "، ٧٠.

وطريقة حياته، نحو ولع الإبل وخاصة المسنّة منها بأكل العظام النخرة البالية، يقول لبيد بن ربيعة:

والذيب إن تعتر مني رمّة خلقا بعد الممات فإني كنت أثئد [1]

ولعل اختصاص هذا السلوك بالإبل المسنّة راجع إلى ضعفها الذي يقصر بها عن بلوغ المراعي القصية ذات العشب وطيب النبات، ولذا صارت تقنع بأي شيء يقع قريبا منها فتلقيه في جوفها ولو كان عظما باليا.

وتقدّم لنا الشواهد أيضا معلومات علمية أخرى؛ نحو الحديث عن سلوك النعام في غذائه؛ فهو يأكل ما لا يأكله غيره من الحيوانات، يقول ابن قتيبة في ذلك: " والظليم يغتذي المرو والصخر فتذيبه قانصته بطبعها حتى يصير كالماء، والظليم يبتلع الحجارة ... وربما ابتلع أوزان الحديد"[2]، ومن ذلك قول عنترة هاجيا أعداءه:

قد أوعدوني بأرماح معلّبة سودٍ لقطن من الحومان أخلاقِ

لم يسلبوها ولم يعطوا بها ثمنا أيدي النعام فلا أسقاهم الساقي [3]

ومن الإضافات العلمية أيضا اختصاص الضباع بأكل الجثث؛ فهو مولع بها يتتبع رائحتها، وقد أفاض الجاهليون في تصوير مشهد الجثث وقد تزاحمت عليها الضباع، ووظفوا ذلك في سياقات مختلفة كرثاء النفس، نحو قول تأبط شرا:

(١) لبيد بن ربيعة،" ديوانه " ،٦٣.

(٢) ابن قتيبة، " عيون الأخبار "، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م)، ٢/ ٨٥-٨٦.

(٣) الخطيب التبريزي،" شرح ديوان عنترة "، ١٠٧.

ولقد علمت لتغدون عليّ شيم كالحسائل
يأكلف أوصالا ولحما كالشكاعي غير جادل [١]

ومن الإضافات العلمية ما يحدث للكلاب في وقت الشتاء وقسوة البرد والزمهرير، يقول الشاعر:

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة من العشاء ولا تسري أفاعيها [٢]

وهذا في سياق المدح؛ فممدوحه كريم في الوقت الذي يتحول فيه نباح الكلاب إلى هرير من شدة البرد.

كما قدّمت شواهد أخرى وصفا لطائر القطا وهو يهتدي للماء ويعرف مسالكه، وقد عرف القطا باهتدائه للماء حتى في الأمثال العربية القديمة فقيل: " أهدى من قطاة " و " أدل من قطاة "، يقول الشنفرى في لاميته:

وتشرب أسارى القطا الكدر سرت قربا أحناؤها تتصلصل
توافين من شتّى غليه وضمّها كما ضمّ أذواد الأصاريم منهل [٣]

كما فهمنا من وصف الذئب وغاراته سلوك التخفي والمخاتلة، وهي تفاصيل قدمتها الشواهد الشعرية، يقول أعرابي في وصف غارة ذئب على غنمه:

كأنما الذئب إذ يعدو على في الصبح طالب وتر كان فاتأرا

(١) تأبط شرا،" ديوانه "، ١٩٥.
(٢) البيت لأعشى باهلة، انظر: الأصمعي،" الأصمعيات "، ٨٩.
(٣) الشنفرى،" ديوانه "، ٥٨.

أعتامها اعتامها شـــثن براثنه من الضواري اللواتي تقصم القصرا [١]

يعلق الجاحظ على هذه الأبيات في كتابه الحيوان بقوله: " في هذا الشعر دليل أن الذئب إنما يعدو عليها مع الصـــبح عند فتور الكلب عن النباح؛ لأنه بات ليلته كلها دائبا يقظان يحرس، فلما جاء الصـــبح جاء وقت نوم الكلاب وما يعتريها من النعاس ".

وتعرف الذئاب بمخاتلتها لفريستها وبحثها عن الحيلة وتجنب المواجهة بحثا عن الصيد السهل؛ فهي لا تملك قوة السباع المفترسة ولذلك تبحث عن طرق أخرى، يقول لبيد بن ربيعة متحدثا عن مشهد صيد لابن بقرة وحشية:

خنســاء ضـيعت الفرير فلم يرم عُرضَ الشـقائق طوفها وبُغَامها

لمعفّر قهـــد تنـــازع شِـــلْوه غُبْسٌ كواســـبُ لا يمنّ طعامها

صـــادفن منها غِرة فأصـــبْنها إن المنايا لا تطيش ســـهامها[٢]

إن الشعر الجاهلي غني بمعلومات علمية عن الحيوانات التي عاشت في البيئة الجاهلية، فقد تحدّث الشـــعراء الجاهليين عن كل الحيوانات التي رأوها، ووصـــفوا أحوالها وحياتها وسـلوكها وطريقة عيشـها وضـمنوا ذلك في تشـبيهاتهم وصـورهم الفنية، واستخلصوا من ذلك أحكاما قيمية بثّوها في آدابهم وأمثالهم، وما أوردته في الصفحات السابقة أمثلة قليلة جدا ويكفي أن تقرأ كتاب الحيوان للجاحظ بأجزائه المختلفة لتنظر لتلك المعرفة العلمية التي جاءت في الآداب الجاهلية.

(١) الجاحظ،" الحيوان "، تحقيق: عبد السلام هارون، (دط، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٦م)، ٢ / ٢٠٣ – ٢٧٧.

(٢) لبيد بن ربيعة،" ديوانه"، ٣٠٨.

ثانيا: المعرفة بمجتمعاتها

راقب الإنسان الجاهلي حيواناته وانتبه للمجتمعات التي تكونها، وكيف ينتظم أفرادها وأحوال اجتماعها، والفروق بين أجناسها في اختلاف أنظمتها؛ فمنها ما يعيش في جماعات قليلة العدد كالأسود والذئاب والضباع، ومنها ما يكوّن جماعات كبيرة كالبقر والظباء والحمر الوحشية [١]، وقد اغتنت الدواوين الشعرية بتسجيل كثير من هذه الأحوال، وقدمت معلومات علمية جديرة بالملاحظة والانتباه.

فمن ذلك تلك الإشارات الكثيرة إلى سلوك التجمّع؛ فهناك أجناس من الحيوانات لا تأتي إلا في أسراب أو جماعات؛ نحو الطيور والبقر والحمر الوحشية، وهو سلوك دائم من هذه الحيوانات وما يشبهها؛ لأنه يجعلها آمنة مطمئنة فقوتها في اجتماعها، يقول امرئ القيس:

فعنّ لنا سربٌ كأن نعاجه عذارى دوار في الملاء المذيل

فأدبرن كالجزع المفصّل بينه بجيد معمّ في العشيرة مخول [٢]

واستقرت صورة الطير في أسراب وجماعات حتى أصبحت شكلا ثابتا يستخدم في سياقات مختلفة، نحو تشبيه الجيش به:

وخيل كأسراب القطا قد لها سبل فيه المنية تلمع [٣]

(١) انظر: سعد العريفي، " سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي "، (ط١، دمشق، دار المجد للطباعة والنشر، ١٤٢٨هـ)، ٥١.

(٢) امرئ القيس،" ديوانه "، ٢٢.

(٣) البيت لمجمع بن هلال، انظر: المرزوقي " شرح ديوان الحماسة "، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م)، ٧١٥.

ويقول عنترة:

كـأن الســـرايا بين قوٍّ وقـارة عصـائب طير ينتحين لمشـرب [1]

وفي دواوين الجاهليين لوحات شعرية لوصف الأسرة الحيوانية أو ما يكون في جماعة حيوانية من علاقات وتفاصـيل شـعورية؛ فقد راقبوا سـلوكها وحاولوا فهم ما يكون بينها فأنتج ذلك بعض القطع الشعرية الجميلة، فمن ذلك مشهد البقرة الوحشية مع ابنها في معلقة لبيد بن ربيعة، وهو مشهد مألوف في الذاكرة الشعرية القديمة، يقول الشماخ بن ضرار:

فبعثـت هلواع الرواح كـأنهـا خنســـــاء تتبع نائيـا مخراقـا

إلى قوله:

وغدا ينفض متنه من ســـاعة كالســـحل أغرب لونه إلهاقا[2]

وهو مشـهد بيئي بامتياز؛ فقد سـجل لنا الشـاعر مشـاعر البقرة الوحشية وقد دهمها الخوف والهلع على ابنها من الصياد وكلابه، وقد ألجأهما المطر والريح إلى شجر الأرطى يحتميان بها، حتى إذا أصبحا وقد رتع الجؤذر مع أمه في ذلك الربيع الخصـب، إذ بدآ يتوجسـان من صـوت صـياد قريب مع كلابه، وتنتهي اللوحة بوصـف الجؤذر وقد نجا فغدا ينفض عن ظهره الخمول فهو نشـيط. إن مثل هذه اللوحات الشـعرية تقدم لنا فيضـا من الجوانب العلمية المتعلقة بتلك المجتمعات الحيوانية؛ فعين الشـاعر هنا آلة بارعة في التقاط تلك الجوانب التي لا ينتبه لها الكثير.

ونجد قطعة أخرى شـبيهة بها في ديوان زهير بن أبي سـلمى، وذلك في

(١) عنترة بن شداد،" ديوانه "، ٢٧٨.

(٢) الشماخ،" ديوانه "، ٨٢–٨٤.

قوله:

كخنساء سفعاء الملاطم حمرة ... مسافرة مزؤودة أم فرقد

غدت بسلاح مثله يتقى به ... ويؤمن جأش الخائف المتوحد

وسامعتين تعرف العتق فيهما ... إلى جذر مدلوك الكعوب محدد

وناظرتين تطحران قذاهما ... كأنهما مكحولتان بإثمد[١]

وفيها يصف زهير بقرة سفعاء الخدود مسافرة من أرض إلى أخرى وهي مذعورة على ضياع ولدها، ومن صفتها أنها تملك قرنين يحميانها ولها أذنان فيهما من شيم الكرم والعتق، وقد دعاها البحث عن الغذاء إلى أن تغفل عن ولدها وتظل تبحث عنه وهي خائفة عليه من رماة قبيلة طيء، وما تلبث أن يفاجئها الرماة فتخوض معهم ومع كلابهم معركة ضارية.

ونقرأ قطعا أخرى لحمار الوحش مع أتنه تصف سلوكه معها وكيف يقودها إلى المرعى أو الماء، فمنه قول كعب بن زهير:

يُعَضْعضهن عضيض الثقا ... ف بالسمهرية حتى تلينا

ويُكَدم أكفالها عابسا ... فبالشد من شرّه يتقينا[٢]

ويصوّر الأعشى شرّ حمار الوحش وعنفه مع أتنه وقد اختارها على ما يحب ويشتهي واتخذها حلائل لم يعزم فيها مهرا ولا مالا، يقول:

عنيف وإن كان ذا شرّة ... بجمع الضرائر شلالها [٣]

(١) زهير بن أبي سلمى،" ديوانه "، ٣٢-٣٣.

(٢) كعب بن زهير،" ديوانه "، ٩٥.

(٣) الأعشى،" ديوانه "، ١٦٥.

ويصف فيها حمار وحشيا يقود أتنه إلى الماء بعد أن أنهكها العطش في صيف حارق، وينتهي الأمر بظهور الصياد القانص المتلبب الذي لا تخطئ سهامه الحادة أحدا من القطيع.

ومن المشاهد البيئية تلك القطع الشعرية التي تصوّر ذكر النعام مع أنثاه، وهي قطع وصفية جاءت بتفاصيل علمية وفنية غنية، وكأنك تقرأ لوحات درامية لمشاهد إنسانية بين زوج وزوجته، فقد تحدّثوا عن العلاقات العاطفية بين الظليم وأنثاه، ومشاعر الأبوة وعطف الأم الحانية على صغارها. يقول كعب بن زهير وقد رآهما زوجين من البشر:

أفتلك أم ربداء عارية النسا ... زجّاء صادقة الرواح نسوف

ظلّت تراعي زوجها وطباها ... جزعٌ قد أمرع سربه مصيوف

وكأنها نوبية وكأنه ... زوج لها من قومها مشعوف[1]

وقد رآهما لبيد في أبيات له في غاية الحب والوفاق فالذكر (كلف) بأنثاه لا يكاد يفارقها، يقول:

أفذاك أم صعل كأن عفاءه ... أوزاع ألقاء على أغصان

كلف بعارية الوظيف شملّة ... يمشي خلال الشري في خيطان [2]

ونقرأ عند الأعشى وصفا آخر لهذه العلاقة؛ فهما – الظليم وأنثاه – يسرعان إلى عشهما إذا حلّ الظلام، يقول:

وكأنها ذو جُدة غِبّ السُّرى ... أو قارحٌ يتلو نخائص جُدّدا

(١) كعب بن زهير،" ديوانه"، ٥١.

(٢) لبيد بن ربيعة،" ديوانه "، ١٤٧.

أو صـــعلةٌ بالقـارتين تروّحـتْ ربـداءُ تـتبع الـظـليم الأربـدا

يتجاريان ويحســـبان إضـــاعةً مُكْث العشاء وإن يغيما يُفقدا[١]

ونجد في شـعر ثعلبة بن صـعير المازني حديثا عن عاطفتي الأبوة والأمومة عند الظليم وأنثاه، بعد أن أنســـاهما طلب العيش فراخهما، لتتذكر الأنثى فراخها فتعود سريعا تملؤها اللهفة، حتى إذا وصلت عشها وجدت صغيرها قد غدا فرخا قد تحرر من قيده وهو يصـيح بحثا عن والديه، لتسـارع الأم بحضـن البيض المتبقي وتكسوه بريشها:

فَـتَـذَكّـرَتْ ثـقـلا رثـيـدا بـعـدمـا ألقَـتْ ذكـاء يمينهـا في كـافر

طرفـت مراودهـا وغرّد ســـقبهـا بآلاء والحـدج الـرواء الحـادر

فتروّحـا أُصُـــلا بشـــدّ مُهـذبٍ ثرّ كشـــؤبوب العشـــيّ المـاطر

فبنـت عليـه مع الظلام خبـاءهـا كالأحمسيّة في النصيف الحاسر[٢]

إنها لوحة غنية بمشـاعر الأمومة في عالم الحيوانات وهي نافذة علمية على تلك الأحوال والهيئات أمدتنا بكثير من الملحوظات والتفاصـيل المدهشـة عن حيوانات تلك الفترة وعاداتها وسلوك اجتماعها.

(١) الأعشى،" ديوانه "، ٢٦٥.

(٢) المفضل الضبي،" المفضليات"، ١٣٠.

الخاتمة:

قامت هذه الدراسة على مقاربة المنجز الشعري في موضوع وصف الحيوان في العصر الجاهلي حسب المنطق البيئي الذي يهتم بدراسة التفاعلات البشرية مع الطبيعة، وقد جهدت هذه المقاربة في تتبع تلك التفاعلات والبحث عن المركزية البيئية من خلال وجهة نظر بيئية، وقد أنتج هذا الجهد إظهار مجموعة من القيم البيئية، فقد بحثت هذه الدراسة في موضوع الانتماء وفتّشت عن الوصف الشعوري للحيوان الذي صدر من شاعر جاهلي يريد الاقتراب من حيوانه المشارك له في بيئته وموطنه؛ فوصف بكاءها وحزنها وشكواها وخوفها وهلعها وفرحها وابتهاجها. لقد فهمنا من هذه الشواهد وما يماثلها أن إنسان ذلك العصر أحس بحيواناته كما يحس بنفسه وأهله؛ فقد رآها جزءا منه وعنصرا لا غني عنه من عناصر وجوده في هذه الأرض.

إن هذا التماهي وهذا التداخل بين الإنسان والحيوان يظهر فهما عميقا ومستقرا داخل العقل الجمعي الجاهلي تجاه هذه العناصر الحية التي تمثل قطعا متساوية لوجود واحد، فحزن فرسه هو حزنه وجوع الذئب جوعه وفرح البقرة الوحشية فرحه ومصدر سعادته. ويتجلى الانتماء بشكل أكبر في تلك القطع الحوارية التي حاول الشاعر الجاهلي فيها أن يستنطق حيوانه ليسمع صوته ويصغي لشكواه وألمه وهي في أغلبها مواقف حزينة تتصل بالألم والشكوى.

وتحت عنوان الاستدامة وجدنا الشعور بالإعجاب الذي كان يصدر من الشاعر الجاهلي لحيواناته المشاركة له في بيئته؛ فقد مدحها وافتخر بها، وتحول مدح أحوالها في أنواع منها إلى معايير للفخر والشرف والسؤدد نحو الفخر بكثرة الإبل أو بأنواع منها، واستقر مدح بعضها في خطابات الانتصار والتحفيز للقتال نحو الفخر بالخيول وعددها وسرعتها.

وهذا الإعجاب ولّد الاستدامة وحب المحافظة على هذه الكائنات ورعايتها والاهتمام بها، لقد أبانت مجموعة كبيرة من الشواهد الشعرية عن تلك المكانة الكبيرة التي أولاها الإنسان الجاهلي لحيواناته الأهلية القريبة منه وبخاصة ناقته وفرسه؛ الأول في سلمه وإقامته وترحاله والآخر في حربه وصيده وتنقلاته، وهي مواطن مهمة وحاجات أساسية في حياة الإنسان الجاهلي وعالمه.

وتحت عنوان سعة المكون المعرفي بها، تتبعنا مجموعة من الشواهد الشعرية؛ لفهم البعد المعرفي بها، ووجدنا فيضا من المعلومات التي تصف الحيوان في سكونه وحركته ومظهره وكثير من عاداته، كما قرأنا مجموعة أخرى من الشواهد تصف اجتماع الحيوانات وأسرها وما يكون بينها من علاقات وعادات؛ فرأينا كيف يصفون علاقة البقرة الوحشية بابنها وعلاقة الظليم بأنثاه وعلاقة الحمار الوحشي بأتنه وكيف يقودهم إلى الماء ويحمي اجتماعهم.

لقد خلق هذا التطواف نتيجة واضحة وهي مركزية الحيوان في الشعر الجاهلي؛ فهو ليس عنصرا هامشيا على أطراف الخطاب الشعري وإنما هو أساس من أساسات الخطاب يمتح منه العقل الجاهلي كثيرا من أحكامه وتصوراته، لقد استشعر الجاهلي وجوده من خلال الكائنات الحية المشاركة له فرآها شريكة له تقاسمه مظاهر حياته وليست تابعة له أو عناصر قابلة للاستغناء كما رأينا بعد ذلك في خطابات المدينة وعوالمها، وهذا ولاريب يقع في جوهر وجهة النظر البيئية ومقولاتها.

المصادر والمراجع:

الأبرص، عبيد،" ديوانه "، (د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت).

الأصمعي،" الأصمعيات "، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون (ط٣، القاهرة، دار المعارف، د.ت).

الأعشى،" ديوان الأعشى الكبير "، شرح وتعليق: محمد حسين، (د.ط، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، د.ت).

أوس بن حجر،" ديوانه "، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، (د.ط، بيروت، دار بيروت، ١٩٨٠م).

امرؤ القيس،" شرح ديوانه "، جمعه وحققه وشرحه: حسن السندوبي، (ط١، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٩٠م).

برانش، مايكل، " النقد الإيكولوجي "، ترجمة: معين رومية، (نوافذ، النادي الأدبي بجدة، عدد ٣٦، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ، مايو ٢٠٠٧م).

البصري، صدر الدين،" الحماسة البصرية "، تحقيق: عادل سليمان جمال، (ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م).

بويل، لورنس وآخرون، " النقد البيئي بين التنظير والتطبيق، دراسات مترجمة ". إعداد وترجمة وتحقيق: معتز سلامة، (ط١، طنطا، دار النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠٢٣م).

تأبط شرا،" ديوانه "، إعداد وتقديم: طلال حرب، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م).

التبريزي، الخطيب،" شرح ديوان عنترة "، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طرّاد (ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م).

أبو تمام،" الوحشيات "، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، (ط٣،

القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٠م).
الجاحظ،" البيان والتبيين "، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، (د.ط، بيروت، دار الجيل، د.ت).
الجاحظ،" الحيوان "، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٦م).
الجبوري، يحيى،" شعر خداش بن زهير "، (د.ط، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ت).
الجبيلي، نجاح، " النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات "، (ط١، البصرة، دار شهريار، ٢٠٢١م).
الجعدي، النابغة،" ديوانه "، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م).
حسان بن ثابت،" ديوانه "، شرحه وكتب هوامشه: عبدأ مهنا، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).
أبو حمدة، محمد،" في التذوق الجمالي لعينية أبي ذؤيب الهذلي "، (د.ط، عمّان، دار عمّار، ١٩٩٥م).
أبي خازم، بشر،" ديوانه"، قدّم له وشرحه: مجيد طراد (ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م).
الخطيم، سبيع،" شعره "، جمع وشرح: إسلم بن سبتي، (د.ط، مجلة آفاق التراث والثقافة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة ٢٤، العدد ٩٦، ربيع الأول ١٤٣٨هـ).
الخطيم، قيس،" ديوانه "، تحقيق: ناصر الدين الأسد، (د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت).

الخنساء،" ديوانها"، تحقيق: كرم البستاني، (د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت).
" ديوان الهذليين "، (ط١، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م).
الدينوري، ابن قتيبة، " عيون الأخبار "، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م).
الذبياني، الشماخ،" ديوانه "، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، (د.ط، القاهرة، دار المعارف، د.ت).
الذبياني، النابغة،" ديوانه " تحقيق وشرح: كرم البستاني، (د.ط، بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٣م).
زهير، كعب،" ديوانه "، حققه وشرحه وقدّم له: علي فاعور، (د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).
الرمادي، أبو المعاطي والعدواني معجب وآخرون، " النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات، " ط١، الشارقة، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٢٢م).
السكري، أبو سعيد،" شرح أشعار الهذليين"، حققه: عبد الستار أحمد فرّاج، راجعه: محمود شاكر، (د.ط، القاهرة، مكتبة العروبة، د.ت).
أبي سلمى، زهير،" ديوانه "، شرحه وقدّمه: علي فاعور، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).
الشاوش، بسمة، "وصف الحيوان في الشعر الجاهلي "، (د.ط، تونس، جامعة تونس، ٢٠٠٩ م).
الشنفرى،" ديوانه "، جمعه وحققه وشرحه: أميل يعقوب (ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م).
الصلت، أمية،" ديوانه "، حققه وجمعه: سجيع جميل الجبيلي، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م).

الصمّة، دريد،" ديوانه"، حققه وجمعه: محمد خير البقاعي، (د.ط، دمشق، دار قتيبة، ١٩٨١م).

الضبي، المفضل،" المفضليات "، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، (ط٦، القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٢م).

الطفيل، عامر، "ديوانه "، (د.ط، بيروت، دار صادر، ١٩٧٩م).

عبد النور، جبور، "المعجم الأدبي"، (ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م).

العبد، طرفة،" ديوانه "، شرحه وقدّم له: مهدي محمد ناصر الدين، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م).

العبدي، المثقب،" ديوانه "، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي (د.ط، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧١م).

العريفي، سعد، " سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي "، (ط١، دمشق، دار المجد للطباعة والنشر، ١٤٢٨هـ).

العود، جران،" ديوانه "، رواية: أبي سعيد السكري، (ط٣، القاهرة، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠م).

الغنوي، طفيل،" ديوانه "، شرح: الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م).

الفيصل، عبد العزيز، " المعلقات العشر " (ط١، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٢٣هـ).

ابن قتيبة، "الشعر والشعراء ". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط، القاهرة، دار المعارف، د.ت).

القرشي، أبو زيد،" جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام "، حققه وضبطه

وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، (د.ط، القاهرة، نهضة مصر، د.ت).
قسومة، الصادق،" الحوار في الخطاب القصصي "، (ط٢، تونس، دار مسكيلياني، ٢٠٠٢م).
المتلمس،" ديوان شعر"، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي (د.ط – القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م).
محمد، هاني علي سعيد، " النقد الأدبي البيئي: قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة رأيت النخل" لرضوى عاشور "، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية عدد ٢٦، (جامعة كفر الشيخ، يناير ٢٠٢٢م).
المرزوقي " شرح ديوان الحماسة "، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م).
ابن منظور، " لسان العرب "، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، (ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م).
لبيد بن ربيعة،" ديوانه "، تحقيق: إحسان عباس، (ط٢، الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٨٤م).
الهذلي، أبو ذؤيب،" ديوانه "، تحقيق وتخريج: د. أحمد خليل الشال، (ط١، بور سعيد، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ٢٠١٤ م).

Bibliography

Al-Abrash, Ubaid, "His Diwan", (1st ed., Beirut, Dar Sadir, no date).

Al-Asma'i, "Al-Asma'iyyat", investigated and annotated by: Ahmad Muhammad Shakir and Abd al-Salam Harun (3rd ed., Cairo, Dar al-Ma'arif, no date).

Al-A'sha, "Diwan Al-A'shā al-Kabir", annotated and commented by: Muhammad Husain (1st ed., Cairo, Maktabat al-Adab in al-Jamamiz, no date).

Aws ibn Hajar, "His Diwan", investigated and annotated by: Muhammad Yousuf Najm (1st ed., Beirut, Dar Beirut, 1980).

Imru' al-Qais, "Explanation of His Diwan", compiled, investigated, and annotated by: Hasan al-Sandoubi (1st ed., Beirut, Dar Ihya' al-'Uloum, 1990).

Al-Basri, Sadr al-Din, "Al-Hamāsa al-Basriyyah", investigated by: Adel Sulayman Jamal (1st ed., Cairo, Maktabat al-Khanji, 1999).

Ta'abbat Sharra, "His Diwan," prepared and introduced by Talal Harb, (1st ed., Beirut: Dar Sader, 1996).

Al-Tabrizi, Al-Khatib, "Sharh Diwan 'Antarah," foreword, annotated, and indexed by Majid Tarrad (1st ed., Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1992).

Abu Tammam, "Al-Wahshiyyāt," commented on and investigated by Abd Al-Aziz Al-Maymani Al-Rajkoti, (3rd ed., Cairo, Dar Al-Ma'arif, 1940).

Al-Jahiz, "Al-Bayan wa Al-Tabyin," investigated and explained by Abd Al-Salam Haroun, (1st ed., Beirut, Dar Al-Jeel, n.d.).

Al-Jahiz, "Al-Hayawān", investigated by Abd Al-Salam Haroun, (1st ed., Beirut, Dar Al-Jeel, n.d.).

Al-Jabouri, Yahya, "She'rr Khaddash ibn Zuhair" (1st ed., Damascus, Publications of the Arabic Language Academy, n.d.).

Al-Ja'di, Al-Nabigha, "His Diwan" (Collection), compiled, investigated, and annotated by: Wadih Al-Samad (1st ed., Beirut: Dar Sadir, 1998).

Hassan ibn Thabit, "His Diwan" (Collection), annotated and marginalized by: Abd A. Mahna (2nd ed., Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1994).

Abu Hamda, Muhammad, " fī al-tadhawwuq al-jamālī li-ʿAyniyyat Abī Dhuʾayb al-Hudhalī". (1st ed., Amman, Dar Ammar, 1995).

Abu Khazim, Bishr, "His Diwan" (Collection), foreword and annotated by: Majeed Trad (1st ed., Beirut, Dar Al-Kutub Al-Arabi, 1994).

Al-Khatim, Subai', "His Poetry," compiled and annotated by: Aslam ibn Sabti, (first edition, Afaq al-Turath wal-Thaqafa Journal, Juma al-Majid Center for Culture and Heritage, 24th year, issue. 96, Rabi' al-Awwal 1438 AH).

Al-Khatim, Qais, "His Diwan," investigated by: Nasir al-Din al-Asad, (first edition, Beirut, Dar Sadir, no date).

Al-Khansa', "Her Diwan," investigated by: Karam al-Bustani, (first edition, Beirut, Dar Sadir, no date).

"Diwan al-Hudhaliyyin," (1st edition, Cairo, Dar al-Kutub al-Masriya Press, 1945).

Al-Dinawarri, Ibn Qutaibah, "Uyoun al-Akhbār," (2nd edition, Cairo, Dar al-Kutub al-Masriya, 1996).

Al-Dhubyāni, al-Shamakh, "His Diwan," investigated and annotated by: Salah al-Din al-Hadi, (first edition, Cairo, Dar al-Ma'arif, no date).

Al-Dhubyāni, Al-Nabigha, "His Diwan", investigated and explained by Karam Al-Bustani, (1st ed., Beirut, Dar Sadir, Beirut, 1963).

Zuhair, Ka'b, "His Diwan", investigated, explained, and introduced by Ali Faour, (1st ed., Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1997).

Al-Sukari, Abu Sa'id, "Sharh As'ārr al-Hudhayliyin", investigated by Abdul Sattar Ahmad Farraj, reviewed by Mahmoud Shaker, (1st ed., Cairo, Maktaba Al-Uruba, n.d.).

Abu Salma, Zuhair, "His Diwan," explained and introduced by Ali Faour, (1st ed., Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1988).

Al-Shawish, Basma, "Description of Animals in Pre-Islamic Poetry," (1st ed., Tunis, University of Tunis, 2009). - Al-Shanfari, "His Diwan," compiled, investigated, and annotated by: Emile Yaqub (2nd ed., Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1996).

Al-Salt, Umayya, "His Diwan," investigated and compiled by:

Saji' Jamil Al-Jubaili (1st ed., Beirut, Dar Sadir, 1998).
Al-Samma, Duraid, "His Diwan," investigated and compiled by: Muhammad Khair Al-Baqa'i (1st ed., Damascus, Dar Qutaiba, 1981).
Al-Dhabi, Al-Mufaddal, "Al-Mufaddaliyāt," investigated and annotated by: Ahmad Muhammad Shakir and Abd Al-Salam Harun (6th ed., Cairo, Dar Al-Ma'arif, 1942).
Al-Tufail, 'Amir, "His Diwan", (1st ed., Beirut, Dar Sadir, 1979).
Abdul Nour, Jabour, "al-Mu'jam al-Adabi", (2nd ed., Beirut, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 1984).
Al-'Abd, Tarrfa, "His Diwan", explained and introduced by Mahdi Muhammad Nasir al-Din, (2nd ed., Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 2002).
Al-Abdi, Al-Muthaqqab, "His Diwan", investigated, explained, and commented on by Hasan Kamil Al-Sairafi (1st ed., Cairo, Institute of Arabic Manuscripts, 1971).
Al-'Arifi, Saad, "Animal Behavior in Pre-Islamic Poetry", (in Arabic). (1st ed., Damascus: Dar Al-Majd for Printing and Publishing, 1428 AH).
Al-'Oud, Gran, "His Diwan", narrated by Abu Sa'id Al-Sukari, (3rd ed., Cairo, Dar Al-Kutub Al-Masryah, 2000).
Al-Ghanawi, Tufail, "Diwan", commentary: Al-Asma'i, investigated by Hassan Falah Oghli, (1st ed., Beirut, Dar Sadir, 1997).
Al-Faisal, Abdul Aziz, "Mu'allaqāt al-'Asharr". (1st ed., Riyadh, Al-Farazdaq Press, 1423 AH).
Ibn Qutaibah, "al-She'rr wa al-Shu'arā". Investigated by Ahmed Muhammad Shaker, (1st ed., Cairo, Dar Al-Maaref, n.d.).
Al-Qurashi, Abu Zaid, " Jamhārat Ashʿār al-ʿArab fī al-Jāhiliyyah wa-al-Islām", investigated, punctuated, and expanded by Ali Muhammad Al-Bajawi, (1st ed., Cairo, Nahdat Misr, n.d.).
Qasouma, Al-Sadiq, "Dialogue in Narrative Discourse", (in Arabic). (2nd ed., Tunis, Dar Maskiliani, 2002).
Al-Mutalammis, "Diwān al-She'rr", investigated, annotated, and commented on by Hassan Kamel Al-Sairafi (first edition, Cairo: Institute of Arab Manuscripts, 1970).
Al-Marzouqi, "Sharh Diwān Al-Hamāsa", investigated by Ahmed Amin and Abdel Salam Haroun, (1st ed., Beirut, Dar Al-Jeel, 1991).

A group of authors, "Environmental Criticism", (in Arabic). Investigated and translated by Najah Al-Jubaili, (1st ed., Iraq, Dar Shahrayar, 2020).

Labid bin Rabi'ah, "His Collection of Poetry," investigated by Ihsan Abbas, (2nd ed., Kuwait, Ministry of Information, 1984).

أسرار التجاور
في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم

The Secrets of Juxtaposition in the Verses of Usury and Spending in the Noble Qur'an

د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: amam9408@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
06/10/2025		24/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-014		

المستخلص

هذا البحث الموسوم بـ(أسرار التجاور في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم) يهدف إلى دراسة التجاور في آيات الإنفاق والربا وأثره في السياق وتوجيه الدلالة من خلال الدراسة الصوتية، والتركيبية، والتناسب بين الآيات.

ولما كان ترتيب الآيات في القرآن العظيم أمراً توقيفيّاً: كان التوجه لمحاولة فهم العلاقة الترتيبية لآيات الربا مع آيات الإنفاق بهذا النسق المحكم المنظم، ومحاولة استجلاء المعاني الدلالية في ترتيبها وتركيبها وتناسبها، وما توحي به من توجيهات تشريعية انطوى عليها النظم القرآني برصفه الفريد.

وللوصول إلى تلك الغاية اتخذ البحث منهج التحليل البياني الذي يتوجه إلى تحليل النص بدءاً من المفردة وأثرها، وتثنيةً بالتراكيب وأبعادها، وانتهاء بالعلائق التناسبية النصية بين الآيات، وأثر ذلك في الدلالة المستفادة من الخطاب.

وقد انتهى البحث إلى نتائج عدة، من أهمها: أن مصطلح (التجاور) وجد في كتب البلاغيين القدماء بجانب مصطلحات أخرى تدور حول ترابط النص وتماسكه، وجودة ترتيبه، وحسن تنسيقه وأثر ذلك على المتلقي. ومنها: أن التجاور في آيات الإنفاق والربا شكّل صورة واضحةً في حسن الإنفاق وبركته مع أنه بذلٌ وإعطاء، وفي قبح الربا وحرمته ومهلكته مع أنه أخذٌ واجتناء؛ فظهرت حكمة الله البالغة وتجلت في أحسن كلام وأبلغ بيان، وزادت من وضوح المعنى الأصلي المراد وتأكيده، وهو تحريم الربا والحث على ما هو خير منه، وهو الإنفاق في سبيل الله وإعطاء الزكاة للمستحقين، والحذر من عاقبة حرب الله ورسوله.

الكلمات المفتاحية: التجاور– الربا – الإنفاق — الزكاة – الدلالة – التناسب.

Abstract

This research, entitled "The Secrets of Juxtaposition in the Verses of Usury and Spending in the Noble Qur'an," aims to examine the juxtaposition found in the verses on spending and usury, and its effect on context and the guidance of meaning, through phonetic analysis, syntactic study, and the examination of the coherence between the verses.

Since the order of verses in the Noble Qur'an is divinely ordered, the study seeks to understand the sequential relationship between the verses on usury and those on spending, as arranged in this precise and coherent manner. It, further, explores the semantic implications of this arrangement, structure, and harmony, as well as the legislative directives implied within the Qur'anic discourse, and its unique composition.

To achieve this goal, the study adopts the method of rhetorical-semantic analysis, which approaches the text by examining it at successive levels: beginning with the individual word and its effect, then moving to the structures and their dimensions, and finally to the textual relations of coherence between the verses, and how all of this influences the meaning derived from the discourse.

The research has led to several findings, most notably: that the concept of "juxtaposition" is present in the works of classical rhetoricians, alongside other terms related to textual cohesion, coherence, eloquent arrangement, and their impact on the recipient. Furthermore, the juxtaposition of the verses on spending and usury provides a vivid contrast: the beauty, virtue, and blessing of spending—though it entails giving—versus the ugliness, prohibition, and destructive nature of usury—though it involves taking. This contrast reveals Allah's profound wisdom, manifested in the most eloquent expression, which clarifies and emphasizes the central message: the prohibition of usury and the encouragement of what is better—spending in the manner Allah stated, and giving zakat to those entitled to it—while warning against the grave consequence of waging war against Allah and His Messenger.

Keywords: Juxtaposition, Usury, Spending, Zakat, Meaning, Coherence.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن اللغة العربية تتميز بجمال حروفها وتناغم أصواتها، وثراء مفرداتها، وبلاغة تراكيبها، وامتازت هذه اللغة حتى بلغت ريادة لم ينلها غيرها حين نزل بها القرآن العظيم؛ ذلك الكتاب الخالد الذي عجز البشر عن الإتيان بمثل فصاحته وبلاغته ونظمه، وهيمن على الكتب بمعجزاته وحقائقه، وما كان لهذا النظم الرباني إلا أن يصطفي ألفاظاً تتميز عن غيرها بجلال معانيها، وجمال وقعها، وتعدد دلالتها، وحسن اتساقها في نظمها وتراكيبها.

ومن إعجاز القرآن ترتيب ألفاظه وآياته بحكمة بالغة، تتجاور فيها الحروف والكلمات والأساليب على اختلافها وتنوعها، كما يأتي التجاور في التراكيب أصلاً من أصول الخطاب القرآني، ويستدعي الناظر أن يبحثَ في سرِّ هذا التجاور وأسبابه، ويغوصَ فيه ليستخرج من أسراره العميقة ودرره الكامنة، ويستجلي الحقائق واللطائف البلاغية الغائرة؛ ومن هنا كان التوجه إلى دراسة التجاور في الآيات، ووقع الاختيار على آيات الإنفاق والربا للكشف عما بينهما من علائق، فجاء عنوان البحث: **(أسرار التجاور في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم)**.

وتأتي أهمية هذا الموضوع من جهة محاولة فهم العلاقة بين تجاور الأساليب الصوتية والتركيبية الدلالية في آيات الإنفاق والربا، والعمل على المقارنة بين المعنيين وبيان الفجوة بين العاقبتين، وفهم الأثر النفسي في المتلقي الذي يميز الغاية من وراء الخطاب القرآني، فيميل إلى التوجيه القرآني للبذل والإنفاق بدلًا من الربا الذي له آثار سيئة على الفرد والمجتمع في دينه ودنياه، كما يبين التدرج الأسلوبي الذي يتخذ من التجاور هيئة للبناء المؤثر في المتلقي، **ولأهمية هذا النوع من الدراسة**

وقلة التوجه إليه كان اختياره ميداناً للبحث والتحليل، ويسعى البحث إلى تحقيق أهدافه، المتمثلة في:

١- الكشف عن الوشائج العلائقية في تركيب الألفاظ وتأليف الجمل والسياق الخطابي بين آيات الإنفاق والربا.

٢- بحث المفردات القرآنية وأهميتها الصوتية، والدلالية، والتوظيفية الإعجازية في موضعها، وتناغم هذه الدلالة مع الدلالة التركيبية.

٣- البحث في المتلقي واستقباله لهذا الخطاب، وأثر التجاور في الآيات على نفسه، وفهمه للتأويل ومقصدية الخطاب.

وقد اتخذ البحث من أجل الكشف عن أهدافه منهج التحليل البياني الذي يقوم على تحليل المفردة القرآنية صوتيًّا، ودلاليًّا، ومناسبتها ما جاورها من حروف وألفاظ مقارنة لها، ثم البحث عن التراكيب، والتي قصرها البحث على علم المعاني، واستحضار أغراض النظم وجمالياته، ثم البحث عن المناسبة بين الآيات والتي تظهر المجاورة وأثرها في المعنى، على أنَّ مِن منهجية البحث عدم استقصاء كل المفردات الواردة في الآيات، وكذا التعرض لكل التراكيب بالتفصيل نظرًا لضيق البحث عن ذلك.

وتتمثل مشكلة البحث في فرادة الموضوع وقلة طَرْقه عند الباحثين؛ فهذا البحث المتوجه لفهم علاقة التجاور في آيات الإنفاق والربا لم أجد من تعرض له بالدراسة، وهو بحث تطبيقي يتجه للبحث في أسلوبٍ عليٍّ يعجز عن طاقته البشر، وهذا يكلف أمانةً وجهداً في البحث والتقصي والاجتهاد في توجيه تلك المعاني وبيان أسرارها من جهة التجاور في النظم العزيز المُبهر، كما أنه يتطلب البحث في كلام المتقدمين والمحدثين من أهل النظر البلاغي، واللساني أيضاً.

ولتحقيق ذلك فقد انطلق البحث من عدة فرضيات وتساؤلات، أهمها:

١- كيف تناول البلاغيون القدماء التجاور؟ وما دور التجاور في السياق النصي؟

٢- ما أهمية التجاور في آيات الإنفاق والربا؟

٣- لماذا جاءت هذه الآيات في سياق متجاور ولم ينزل تحريم الربا منفصلًا بعيدًا عن آيات الحث على الإنفاق؟

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

- **المقدمة:** حوت المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهجه، ومشكلته وأهدافه، وخطته.
- **التمهيد:** وفيه الحديث عن مفهوم التجاور في اللغة، وعند البلاغيين، وثبت بالآيات موضع الدراسة.
- **المبحث الأول: التجاور الصوتي.**
- **المبحث الثاني: التجاور التركيبي.**
- **المبحث الثالث: التناسب وعلاقة الآيات بعضها ببعض.**
- **الخاتمة:** وقد حوت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ثم التوصيات، ثم ثبت المراجع والمصادر.

وبعد فأرجو أن أكون وفقت فيما نهض إليه هذا البحث من أهداف، وأن ألفت الانتباه إلى نظرة بلاغية جديدة للنص القرآني تبحث عن الوشائج العلائقية في التجاور في الآيات، فقد كان البلاغيون سبَّاقين دائمًا للغرف من بحار أنوار الكتاب العزيز وبيان أوجه نظمه المتفرد وإعجازه المبهر.

تمهيد

مفهوم التجاور في اللغة:

جاءت لفظة المجاورة والتجاور في المعاجم العربية دالةً على عدة معانٍ، أهمها: الملاصقة والقرب من الجار، ففي "العين": "والجارُ: مجاورك في المسكن. والذي استجارك في الذِّمة تجيرهُ وتمنعه. والجِوار مصدر من المجاورة. والجِوارُ: الاسم. والجميع: الأجوار. والجيرانُ: جماعةُ كلِّ ذلك، أي: الجيرة والأجوار"(١).

وفي "اللسان": "والجِوارُ: المجاورة والجار الذِي يُجاورك. وجاور الرجلَ مُجاورةً وجِواراً وجُواراً، والكسر أَفصح: ساكَنَهُ. وإنه لحسَنُ الجيرَة: لحالٍ من الجِوار وضَرْبٍ منه. وجاوَرَ بني فلانٍ وفيهم مُجاورةً وجواراً: تَحَرَّمَ بجوارهم وهو من ذلك، والاسمُ الجِوارُ والجُوارُ... وجارُك: الذي يُجاورك، والجمع أجوارٌ وجيرةٌ وجيرانٌ... وتَجاورُوا واجْتَورُوا بمعنَى واحدٍ: جاوَرَ بعضهم بعضاً"(٢).

ولا شك أن التجاور من عادته التأثر والتأثير؛ فالتجاور بين الأشخاص ينقل العادات ويشكل تقاربًا بين المتجاورين، وهو ما نريد الإلماح إليه في الأسلوب البلاغي، فإن المجاورة بين الأساليب في الحديث عن شيئين متغايرين تُحدث تقاربًا في الأسلوب البلاغي والخطابي.

مفهوم المجاورة عند البلاغيين:

بالنظر في كتب البلاغة العربية نجد أن (التجاور) ورد مبثوثا بجانب مصطلحات

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين"، تحقيق: د. مهدي المخزومي– د. إبراهيم السامرائي، (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ٦: ١٧٦.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ٤: ١٥٣.

أخرى تدور حول ترابط النص وتماسكه، وجودة ترتيبه، وحسن تنسيقه، حتى يبدو نسيجًا متلاحمًا يعلن آخرُه عن أوَّله، ويُسلِم أولُه إلى آخره؛ وعليه يكون التأثير في المتلقي أبلغ، ووقعه عليه أشد؛ ولذا نجد من جماليات النص حسنَ السبك وجودتَه؛ يقول أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ): "ينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقًا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافُه، ولا تتنافر أطرارُه، وتكون الكلمة منه موضوعةً مع أختها، ومقرونةً بلِفقها"(١).

ويقول الجاحظ (٢٥٥هـ) في سياق حديثه عن شروط البلاغة: " ومن شروط البلاغة: متانةُ العبارة التي تعني ربطَ ألفاظ الجملة ببعضها ربطًا محكمًا لا هلهلةَ فيه ولا خلل، فأجودُ الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهلَ المخارج؛ فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغًا وسُبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان"(٢).

وهذا في الشعر العربي وبيان العربي، فكيف بالقرآن الكريم الذي فاق بيانهم حسناً وإحكاماً؛ حتى كان معجزاً ببيانه وحسن سبكه ورصفه، وترابط أجزائه ترابطًا محكماً، وعَجَز عن مثله أهل البيان حتى انقطعوا، مع أنه من جنس بيانهم وما يجري به لسانهم.

وتحدث ابن قتيبة (٢٧٦هـ) عن أقسام الشعر؛ ميزاته وعيوبه، فقال: "وتتبيّن التكلّف في الشعر أيضًا بأن ترى البيت فيه مقرونًا بغير جاره، ومضمومًا إلى غير لِفقه"(٣).

ويعني بذلك أن التجاور له أهمية كبرى في تقبّل الشعر لدى المتلقي وتأثيره فيه،

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، "الصناعتين"، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ): ١٤١، ١٤٢.

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان والتبيين"، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١: ١٨.

(٣) عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، (د.ط، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ)، ١: ٩٠.

كما أن له أهمية في فهم الدلالة والمناسبة لهذا التجاور؛ فإذا ضُم البيت لغير مجاوره الذي يفيد المعنى ويزيد في الدلالة، ويعمل على ترابط الأفكار واتصالها: فهو من الشعر الرديء المتكلف.

أما ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ)، فقد انتقل من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق؛ إذ ركّز على فكرة التجاور التي تزيد في السبك والحبك للنص، وتعطيه تسلسلًا طبعيًّا للأفكار التي لا تنتقل من البعيد إلى الأبعد في شتات، وإنما ترتكز على فهم الدلالة من التجاور الصحيح، فيقول: "وينبغي للشاعر أن يتأملَ تأليفَ شعرِه، وتنسيقَ أبياتِه، ويقفَ على حُسن تجاورها أو قبحه؛ فيلائم بينها؛ لتنتظم له معانيها ويتصل كلامُه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفَه وبين تمامه فضلًا من حشوٍ ليس من جنس ما هو فيه؛ فيَنسي السامع المعنى الذي يسوق القول إليه. كما أنه يَحترز من ذلك في كل بيت فلا يُباعد كلمةً عن أختها، ولا يَحجز بينها وبين تمامها بحشوٍ يشينها، ويتفقد كلَّ مصراعٍ هل يشاكل ما قبلَه؟ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراعَ كلِّ واحدٍ منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دقَّ نظرُه ولطُف فهمُه"(١).

فهذا الحديث من ابن طباطبا عن حسن التجاور، وأن تركه يؤدي إلى القبح: قد سبق به مَن بعده، ولم يكتف بالتنظير؛ بل عمد إلى بعض أبيات الشعر عند فحول الشعراء فأراد تبديل مصراعيها مطبّقًا لهذا الفهم الجديد الذي به يؤدي حُسن التجاور إلى فهم الدلالة، أفضل وأسرع من إزالة الحشو الذي اعترضها؛ فجاء ببيتين لامرئ القيس، ثم بيتين لابن هَرمة، وبيتين للفرزدق؛ فقال عن بيتي امرئ القيس: إن الواجب أن يكونا هكذا حتى يكونا أشكل في استواء نسيجيهما، وهو يؤسس ذلك على فكرة التجاور، قال: "ولو وضع مصراع كلِّ واحد منها في موضع الآخر كان أشكلَ وأدخلَ

(١) محمد بن أحمد ابن طباطبا، "عيار الشعر". تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، (د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت)، ٢٠٩.

في استواء النسج، فكان يُروى:

كـأنيَ لم أركـب جوادًا ولم أَقُـل لخيليَ: كري كرةً بعـد إجفـالي

ولـم أسبأِ الـزّقَّ الـرويَّ للـذةٍ ولم أتبطّن كاعبًا ذاتَ خلخالِ"[1]

فابن طباطبا ينتقل بهذا العمل من التنظير إلى التطبيق على الأبيات لأهمية التجاور في فهم الدلالة، وجودة السبك، والارتقاء بالأسلوب.

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني أن ما أعجز العرب في النظم القرآني هو حسن التجاور والانسجام، وإنْ عبَّر عنه بألفاظ أخرى (كالنظام والالتئام)، فيقول: "وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانُها، ولفظة يُنكرُ شانُها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقًا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظامًا والتئامًا، وإتقانًا وإحكامًا، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع، حتى خرست الألسنُ عن أن تدعي وتقول، وخَذيت القُرُوم فلم تملكْ أن تَصول"[2].

فالبلاغيون والنقاد قد عرفوا التجاور وإن استعملوا مصطلحاتٍ متقاربة تدور حول فهم الغاية نفسها من الإحكام والتلاحم في بيان القرآن الكريم.

---

(١) المرجع السابق: ٢١٠. والرواية الصحيحة للبيتين من المعلقة:

كـأنيَ لم أركـب جـواداً لـلـذةٍ ولم أتبطن كـاعبـاً ذاتَ خلخـالِ

ولم أسـبـأ الزّقَّ الرويَّ ولم أقـل لخيليَ: كري كَرةً بعـد إجفـالِ

امرؤ القيس. "ديوان امرئ القيس". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٥، القاهرة: دار المعارف): ٣٥.

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م): ٣٩.

والحق أن آلية التجاور تعمل على رصد الغاية من وراء الخطاب، وكشف المقصدية، والوحدة الدلالية للسياق، ومن خلال التحليل الصوتي والبلاغي للمفردات والتراكيب، والتناسب بين الآيات يحاول البحث الوقوف على هذه الغاية من وراء الخطاب القرآني.

ولقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على الإنفاق في سبيل الله بشتى أنواعه، سواء الصدقات أم الزكوات أم الإنفاق المطلق في سبيل الله، وليس هدف البحث دراسة أساليب آيات الإنفاق بأنواعه، لكن مما يلفت النظر تجاور آيات الإنفاق الذي حث عليه القرآن الكريم بآيات الربا الذي حذّر منه القرآن ومن فاعله، فكما جاء الأمر في كتاب الله بالإنفاق من طيب الكسب جاء التحذير الشديد من أكل أخبث الكسب وهو الربا، وقد جاء هذا التقابل في أربعة مواضع في القرآن الكريم:

- **الموضع الأول**: في سورة البقرة، في عشر آيات متتابعة، وهي من الآية (٢٧٠) إلى الآية (٢٨٠).
- **الموضع الثاني**: في سورة آل عمران، في أربع آيات متتابعة، وهي من الآية (١٣٠) إلى الآية (١٣٤).
- **الموضع الثالث**: في سورة النساء، وهي في آيتين متتابعتين، وهما من الآية (١٦٠) إلى الآية (١٦٢).
- **الموضع الرابع**: في سورة الروم، في أربع آيات متتابعة، وهي من الآية (٣٦) إلى الآية (٣٩).

المبحث الأول: التجاور الصوتي

الصوت في اللغة هو الجَرس[1]، ولأهمية الصوت صار علمًا مستقلًا من علوم اللغة، يدرس فيه تأثير الأصوات المختلفة على آلة السمع، وقد عرف القدماء الصوت وبرعوا في تحليله، بداية من الخليل بن أحمد، ومرورًا بالعلامة ابن جني الذي أبدع في هذا المجال.

والصوت كما يقول الجاحظ: "هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً أو منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"[2].

والجاحظ هنا يضع أيدينا على أهمية النطق بالكلام، ووضوح الأصوات في السمع، مما يجعل المتلقي متمثلًا للمعاني، كما يفجر الطاقة الصوتية في اللفظ الذي نفهم معناه حين نطقه بطريقة معينة من الارتفاع أو الانخفاض، ونستشعر الدلالة عبر النبر والتنغيم، والجرس والإيحاء، وما يفشو به الصوت ويشيع من معانٍ توحي بها تلك الأصوات.

إن دراسة المستوى الصوتي للغة يفيد الدارس التمييز بين الأصوات الضعيفة والأصوات القوية؛ فكل لغة تتميز بهذين النوعين من الأصوات: أصوات واضحة قوية، وأصوات ضعيفة، وقد اتجه العلماء إلى تقسيم الأصوات الكلامية إلى قسمين: (صوامت، وصوائت)، وهذا التقسيم قائم على الناحية الفيزيائية لإنتاجية الصوت؛ فالهواء يندفع عبر الجهاز النطقي فيحتك بأعضائه في مناطق معينة يحدث لنا من خلال ذلك أصواتًا مفهومة، هذه الأصوات هي ما قسمها العلماء إلى الصوامت (Consonants)، والصوائت (Vowels)، ويتناول المستوى الصوتي دراسة مخارج

(١) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٦: ٥١.

(٢) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١: ١٢.

الحروف وتناسبها مع بعضها، وأهميتها في إنتاج الدلالة وإيحاءاتها[١].

ثم الدلالة التي هي محل البحث البلاغي ليست هي الدلالة الأولى التي يتجه إليها الدرس اللغوي، وإنما هي الدلالة الثانوية الإضافية لتلك الأصوات، وهي تدخل أصالةً في إطار ما عرف بعدُ بالبلاغة الصوتية.

وقد اهتم المتقدمون من البلاغيين والنقاد واللغويين بظاهرة البلاغة الصوتية؛ فليست هي بالعلم المستحدث تناولاً؛ بل تمتد جذورها في عمق التأليف؛ فقد حوم حولها اللغويون والأدباء والبلاغيون والنقاد ولم يخف عليهم وهم يطلقون أوصافاً معينة على الألفاظ مدى ارتباط اللفظ بالمعنى؛ فلم يكن اهتمامهم بالصوت إلا من أجل مدلوله؛ فالجاحظ يعرف الصوت بأنه آلة اللفظ – كما سلف – وقد كانت له رؤية شاملة لبلاغة الصوت وإن لم تأت مرتبة؛ فله حديث عن الحروف والألفاظ والعبارة جاء موزعاً خلال موضوعات أدبية شتى، فعن الحروف نراه يسجل نظام اجتماعها في الكلمة العربية، كما يشير إلى أهمية مشاكلة اللفظ للمعنى جرسا وإيحاء[٢]، وفي كلامه عن الألفاظ مشكّلة في الجملة والعبارة ينبه إلى أهمية حسن الموقع؛ لأنه جماع البلاغة، وكان وقوف الجاحظ على أهمية مشاكلة اللفظ للمعنى إشارة إلى ضرورة مطابقة الصوت واللفظ لحال المستمعين وأقدارهم: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما"[٣]. ويتميز القاضي الجرجاني بملاحظته الارتباط القوي بين صفة الصوت والنغم والجرس، وبين طبائع الناس ونفسياتهم، وقيمة ذلك

(١) ينظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية – النظام الصوتي للغة العربية، دار الفلاح– عمّان، الأردن، ط ١، ١٩٩٠م.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر. "البيان والتبيين". (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١: ٦١.

(٣) المرجع السابق، ١: ١٣١

ليس في ربطه بين رقة الشـــعر وبين طبائع الشـــعراء وظروفهم النفســـية، ولكن لأنه يكشف عن جوانب في بلاغة الصوت [١].

ويأتي اهتمام ابن جنى بمحاكاة اللفظ للمعنى لما يســـتتبع ذلك من قوة الدلالة، ويعقد باباً في "إمســاس الألفاظ أشـباه المعاني" وآخر في "تصـاقب الألفاظ لتصـاقب المعاني"، ويقول: "فكلما ازدادت العبارة شَبَهًا بالمعنى، كانت أدلَّ عليه وأشهد بالغرض فيه"[٢]، وهذا يُدرس في صـــميم البلاغة الصـــوتية التي تلتقي مع موضـــوعات – علم البيان أيضاً – في غرض أصيل هو قوة الدلالة ووضوحها. في حين يمسّ الرماني بلاغة الصـــوت من خلال حديثه عن سمة التلاؤم في القرآن الكريم[٣]، ويهتم ابن ســـنان في "سر الفصاحة" بالناحية الصوتية بوصفها مقدمةً للحديث عن الفصاحة[٤].

أما عبد القاهر الجرجاني فإن لم يصـرح بالاهتمام بالبلاغة الصـوتية؛ فلأن شـغله كان قضـــية النظم والعلاقات؛ إلا أنه ربط بين فصـــاحة اللفظة وبين انتظامها في التركيب ربطا صريحا حين يقول: " وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصـــولة بغيرها ومعلقاً معناها بمعنى ما يليها"[٥].

(١) محمد إبراهيم شادي، "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم". (ط١، القاهرة: شركة الرسالة-الدقي: ١٥.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٧٧هـ)، ٢: ١٥٤.

(٣) الرماني، علي بن عيسى، "النكت في إعجاز القرآن"، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، (ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م): ٩٥.

(٤) عبد الله بن سنان الخفاجي، "سر الفصاحة"، (ط١، مصر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ):٢١.

(٥) الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٣٦٧.

ثم يأتي بعده ابن الأثير مهتماً بالأصـــوات من الوجهة الجمالية، ويعوّل على الحس الفني والسـمعي تعويلاً كبيراً عند الحكم على الأصـوات بالحُسـن أو القبح، كما أنه جعل الجزالة والرقّة مرتبطة ببلاغة الصوت، يقول: "ولست أعني بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشـــيا متوعراً ... بل أعنى بالجزل أن يكون متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السـمع، وكذلك لسـت أعني بالرقيق أن يكون ركيكاً سـفسـفاً، وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس"(١).

وقد استفاد المتأخرون من ذلك، من أمثال العلوي وابن أبي الإصبع(٢)؛ ففصلوا القول فيه ورتبوا وأفادوا منه في بحثهم عن وجه تميز القرآن عن غيره من الكلام؛ ليأتي بعدهم المحدثون ويستثمروا هذا العلم ويصرحوا بتسمية هذا النوع من البلاغة "بالبلاغة الصـوتية" كما فعل الرافعي(٣)، وتلمسـوه في بحثهم عن وجه إعجاز القرآن كما فعل عبدالله دراز وغيره مما طرق باب الإعجاز وتجلى بصـــورة ظاهرة في الدرس البلاغي الحديث من حيث الاهتمام بالجرس والإيحاء والقيم الصـوتية وغير ذلك مما يجلي أهمية هذا الجانب في بلاغة النظم العلي والعالي(٤).

وخصّ محمد إبراهيم شـادي هذا النوع من الدراسـة بكتابه "البلاغة الصـوتية في القرآن الكريم"، وحدد جوانبها في قيمٍ صـــوتيةٍ ثلاث، هي: الجرس والإيحاء ثم التأليف

(١) ضياء الدين بن محمد ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة، (ط٢، القاهرة: دار نهضة مصر): ١٠٠.

(٢) يحيى بن حمزة العلوي، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، (ط١، بيروت: المكتبة العنصرية،١٤٢٣هـ)، ٣: ٢١٥-٢٢٦، وعبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع، "بديع القرآن". تحقيق: حنفي شرف، (ط١، القاهرة: دار النهضة): ١٩٣.

(٣) مصطفى صادق الرافعي، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ): ٢٤٥.

(٤) ينظر: شادي، "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم": ص ١٢ فما بعدها.

الذي يتناول الإيقاع، ولا بد أن تكون متشـــابكةً متداخلةً تتآزر وتتناغم لتعطي الأسلوب صورته الصوتية اللافتة المؤثرة، وإن كان تناولها مجزّأةً يعطي قيماً صوتية ينبغي أن يهتم بها الدرس البلاغي. وعرّف البلاغة الصوتية: "بأنها كل وسيلة صوتية يتحقق فيها مفهوم البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين، فلا بد من ملاحظة أمرين:

الأول: أن تتجاوز الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه، وإيقاعه واعتداله، إلى ما يحدثه من إبراز المعنى وتأكيده، وتسلسله، وانتظامه.

الثاني: أن يتحقق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال"(١).

وهذا النوع من الدراسة دقيق المسلك جداً، وجديرٌ بالاهتمام ولفت الانتباه، وإن كان محفوفاً بشيء من الحذر عند تناوله في القرآن الكريم؛ لما فيه من الخفاء، وما يحتاج من الأدوات المتضافرة للكشف عن جلال المعاني الخفية فيه، وجمال الإيقاع والتوازن الصوتي في الأساليب، وما يحتاج إليه من الحذر وتوقي التكلّف فيه، وقد لفت إليه محمد أبو موسى بقوله: "وأنا لا أبحث عن التشابه في المطلعين، وما وراءه من تشابه في المقصودين؛ لأن هذا سهل، ولا أبحث عن أسرار هذا التلاؤم الصوتي؛ لأني لم أقرأ فيه كلاماً يعين على فهمه، وإنما أتَسَاءل لماذا السكوت هذا الزمن الطويل عن البحث في أسرار هذا التلاؤم الصوتي؟ مع أن الرماني قال في القرن الرابع: هو وجه من وجوه إعجاز القرآن، ولكنه لم يتكلم كلمة واحدة في سرٍّ واحد من أسراره، والذي أعتقد أن لهذا التلاؤم دلالات على معانٍ، وأن مما يدل على ذلك أننا نجد هذا التلاؤم أو هذا النغم يتغيّر في السورة بتغير المعاني، اقرأ سورة العاديات. وراجع الحاء في (صُبحاً، وقَدحاً) ثم توقفت الحاء، وجاءت العين في (نقعاً وجَمعاً)، ثم توقفت العين، وجاء الدال مع تغيّر المعنى، ولا يمكن أن نقبل أنه ليس هناك مناسبة في الفواصل التي جاءت فيها بين المعنى وهذه الحاء، وإلا لماذا غابت الحاء وجاءت العين، ولا يمكن أن

(١) المرجع السابق: ١١.

تجِيء العين بدل الحاء إلا وهناك مناسبة بين المعنى الجديد وهذه العين وهكذا، اقرأ ما شئت من سور القرآن، وتوقف عند انتقال الفواصل في سر ارتباط هذا التغير في الفواصل بالتغيير في المعنى، ولا شك أننا نقدِّر تهيّب العلماء من الدخول في بحث هذه الأسرار في القرآن؛ لأن القرآن بيان لمراد الحق من الخلق، فلا يصح فيه إلا المعاني الواضحة والتي تدل عليها اللغة دلالة قاطعة، وكان يمكن أن تكون دراسة هذه الملاءمات الصوتية في الشعر وكلام كبار الكتاب عوناً ومعيناً ومساعداً للحديث عنها في الكتاب العزيز، وقد تعودنا على أن نحفظ الغُنَّة والمد والنغمة في القرآن، ونقرؤه أحياناً ببكائية، والبكائية صوت ونغم، ولكننا نتهيب الكلام في المعاني، ونعوّل في المعاني على الذي في كتب التفسير والمروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه"[(١)].

دراسة التجاور الصوتي في آيات الدراسة

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

– **جاءت لفظة:** {تُبْدُواْ} في هذه الآية مكونة من (التاء+ الباء+ الدال + الضمير المتصل واو الجماعة)، فالتاء تخرج من طرف اللسان والثنايا العليا، وهي مشتركة في مخرجها مع عدة أحرف جعلت العلماء يقسمونها إلى مجموعات، والذي يميز كل حرف منها هو الصفة المميزة له عن غيره، فقد ذكر الخليل" الطاء، والدال، والتاء، وجعلهما في حيز واحد وهي نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار، وفي رواية

(١) محمد محمد أبو موسى، "ثلاثة من كرامنا يتحدثون إلينا – الجاحظ– أبو هلال – ابن الأثير"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٢٥م).

الأخفش ثم الطاء، والدال، والتاء، من طرف اللسان، وأطراف الثانايا"[١].

ويرى إبراهيم أنيس أن الصفة التي تجمع بين هذه الأصوات هي الشدة، فعند النطق بها ينحبس الهواء عند المخرج، فإذا انفصل العضوان المكونان للصوت سمع ما يشبه الانفجار [٢].

أما الباء فهي من الحروف الشفوية كما قال الخليل: "مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء، من الحُرُوف الصِّحاح إلَّا في هذه الأحرف الثلاثة فقط"[٣]، ويتكون هذا الصوت باندفاع الهواء وإغلاق الفم والأنف حتى يوقف مجرى الهواء وقفًا تامًّا ليحدث صوتًا انفجاريًّا هو صوت الباء[٤].

ويرى المحدثون أنه صوت "مجهور شديد. يشبه شكله في السريانية صورة البيت. يقول عنه العلايلي: إنه (لبلوغ المعنى، وللقوام الصلب بالتفعل). ويقول عنه الأرسوزي: إنه (يوحي بالانبثاق والظهور). تعريف الأرسوزي أدق، ولكنه قاصر.

وعلى الرغم من بساطة صوت هذا الحرف، فهو متعدد الوظائف والخصائص الصوتية. بعضها إيمائي تمثيليّ، وبعضها الآخر إيحائي"[٥].

أما الدال فيشترك في مخرجه مع التاء –كما سبق– "وهو صوت شديد مجهور، يتكون بأن يندفع الهواء مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فينحبس هناك فترة قصيرة جدًّا لالتقاء طرف

(١) أحمد محمد قدور، "مبادئ اللسانيات"، (ط٣، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨م): ٩٧، ٩٨.

(٢) ينظر: إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية"، (ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م): ٤٨.

(٣) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ٥١.

(٤) ينظر: محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، (ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م): ١١٨، ١٦٦.

(٥) حسن عباس، "خصائص الحروف العربية ومعانيها"، (د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م): ٩٩.

اللسان بأصول الثنايا التقاء محكما، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري نسميه الدال"[١].

يتضح لنا من خلال ذلك: أن هذه الأحرف الثلاثة تتصف بالشدة، وهو ما يحدث التناغم بين أصوات الكلمة، ويتصف الباء بأنه انفجاري يوحي بشدة الفعل وظهوره، والحث عليه. وأصل لفظة (بدا) (بدو)؛ إذ الألف منقلبة عن الواو وهي أصل يدل على الظهور، يقول ابن فارس: " الباء والدال والواو أصل واحد، وهو ظهور الشيء. يقال: بدا الشيء يبدو: إذا ظهر، فهو بادٍ"[٢].

وللبحث عن سر اختيار هذه اللفظة وفضلها على كلمة (تُظهروا) التي تتناسب مع الظهور نجد أن الكلمة الأولى جاءت بنيتها سهلة متناغمة مع الأصوات ومخارج الحروف فيها، حتى غدت لينة سهلة في التلاوة، كما أنها تشير إلى أن الإخفاء أولى بما تحمله من ذلك، وتوحي أيضًا بالحث على الإنفاق من خلال الحروف الدالة على الشدة؛ أما (تظهروا) ففيها تباعد في المخارج يظهر عدم التناغم بين حروفها، ولذا عدل القرآن عنها إلى لفظة (تبدوا).

– **ولفظة {ٱلصَّدَقَٰتِ}** في الآية السابقة تتكون من (الصاد + الدال + القاف)، ومخرج الصاد من طرف اللسان وفويق الثنايا[٣]، وهو من الحروف الصفيرية التي لها وقع في السمع ندي، "ولقد منحته هذه الخصائص الصوتية شخصية فذة طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها، ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وزكاء معنى، ومن صلابته شدة وقوة فاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٤٨.

(٢) أحمد بن فارس بن زكرياء، "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.ط، دار الفكر، ١٩٧٩م)، ١: ٢١٢.

(٣) قدور، "مبادئ اللسانيات": ١٠٣.

نقية"(١).

أما الدال فيشترك في مخرجه مع التاء كما تقدم بيانه"(٢).

أما القاف فهي قرينة الكاف، وقد وصفها القدماء بأنها صوت مجهور، تخرج " من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك"(٣)، والصاد صوت مهموس من حروف الصفير والاستعلاء، والدال صوت شديد مجهور، والمجاورة بين الأصوات الشديدة والمجهورة أعطت الكلمة خفة في النطق، وتناغمًا في الأصوات عبر الصفير الذي يخفف من حدة الصوت، والجذر اللغوي يدل على الوضوح والبيان، صدقه يصدقه صدقًا، وسميت الصدقات بذلك؛ لأنها دليل على صدق إيمان صاحبها، وعدول القرآن عن المفرد (الصدقة) إلى الجمع يوحي بالكثرة والمداومة على فعلها.

– **وجاءت لفظة ﴿فَنِعِمَّا﴾** حروفها مكونة من: (الفاء+ النون+ العين+ الميم+ الميم+ الألف).

والفاء هنا ليست من أصول الكلمة، وإنما دخلت عليها والتصقت بها، وهو حرف شفوي يخرج من "بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا"(٤).

أما النون فتخرج من ذلق اللسان، وتشترك مع اللام والراء في المخرج "وأما وجه الشبه بين هذه الأحرف فهو أنها مع قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، وهي ليست شديدة أي لا يسمع معها

(١) عباس، "خصائص الحروف ومعانيها": ١٤٩.

(٢) ينظر البحث: ١٦

(٣) عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني، "التحديد في الإتقان والتجويد"، تحقيق: غانم قدوري حمد. (ط١، بغداد: مكتبة دار الأنبار، ١٩٨٨م): ١٠٤.

(٤) رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م): ٣٢.

انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة، ولذلك عدَّها القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة"[١].

وأما العين فهو حرف حلقي يخرج من وسط الحلق، ويشترك معه الحاء في مخرجه، وهو صوت مجهور متوسط بين الرخاوة والشدة، من الأصوات المستعلية فينتج عنه تفخيم الحرف [٢].

وأما الميم، فهو حرف شفوي يشترك مع غيره في المخرج، يقول سيبويه: "ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو"[٣]، ويلاحظ أن انطباق الشفتين مع الميم أقل من انطباقها مع الباء، ولذا جاء الإدغام في هذا الحرف وهو ميم ساكنة بعد الميم المتحركة يجعل الشفتين أكثر انطباقا ويعطي جرسًا موسيقيًّا جماليًّا للمتلقي.

وهذه الأصوات التي اجتمعت في كلمة ﴿فَنِعِمَّا﴾ زادت من جمالها وحسن موقعها في السمع، وأوحت بالمعنى وهو جمال الفعل الذي هو الصدقة في العلن، وهذه اللفظة مكونة من (نعم) التي وضعت للمدح و(ما)، ثم أدغمت إحدى الميمين في الأخرى، وقد اعترض بعض النحاة على ذلك بدعوى أن هذا الإدغام يؤدي إلى الجمع بين ساكنين، وهو غير جائز إلا أن يكون الحرفَ الأوَّلَ مدٌّ أو لينٌ [٤].

و(نِعم) فيها ثلاث لغات (نِعْمَ، نَعِمَ، ونِعِمَ) بفتح النون وكسرها، وكسر العين

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٦٣، ٦٤.

(٢) صفوت محمود سالم، "فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد"، (ط٢، جدة: دار نور المكتبات، ١٤٢٤هـ)، ١: ٤١.

(٣) عمرو بن عثمان سيبويه، "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ٤: ٤٣٣.

(٤) محمد بن عمر الرازي، "مفاتيح الغيب"، (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٧: ٦١. وقد يرده ما ورد عن العرب في الشعر وسعة الكلام.

وسكونها، وقد قرئ بهذه اللغات جميعها، وجاءت شواهد من الشعر والنثر على هذه اللغات؛ فقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش وعاصم في رواية حفص ﴿فَنِعِمَّا﴾ بكسر النون والعين، فأخذت العين حركة النون المجاورة لها ليسير اللسان على وتيرة واحدة؛ وذلك للتخفيف، وهي لغة هذيل كما نسبها إليهم سيبويه [١].

أما باقي القراء فقرأوا ﴿فَنِعِمَّا﴾ بفتح النون وكسر العين، وفيه أيضا أخذت النون حركة الحرف المجاور السابق لها، "ومن قرأ بهذه القراءة، فقد أتى بهذه الكلمة على أصلها وهي (نَعِم) قال طرفة: نَعِمَ السَّاعون فِي الأَمْرِ المبِرّ"[٢]، وفي "اللسان": "جاؤوا بِهِ عَلَى الأَصل وَلَمْ يَكْثُرِ اسْتِعْمَالُهُ عَلَيْهِ"[٣].

أما (ما) فأوّلَها الزجاج بمعنى شيء، أي نعم الشيء هو، و(ما) عنده نكرة[٤]، "والدليل على أن ما نكرة ههنا أنها لو كانت معرفة فلا بد لها من الصلة، وليس هاهنا ما يوصل به؛ لأن الموجود بعد ما هو هي، وكلمة (هي) مفردة والمفرد لا يكون صلة لـ(ما) وإذا بطل هذا القول فنقول: (ما) نصب على التمييز، والتقدير: نعم شيئا هي إبداء الصدقات، فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه"[٥].

والدلالة هنا تفيد أن الأمر بالإخفاء أفضل في حالي الزكاة وصدقة التطوع على السواء، "قال ابن عباس: هذا في صدقة التطوع؛ فأما الفرض فإظهاره أفضل؛ لئلا

(١) سيبويه، "الكتاب"،٣: ٣٤٠.

(٢) المرجع السابق، ٧: ٦٢. والبيت منسوب لطرفة بن العبد في "الخزانة"، ٩: ٣٧٦، و"أمالي ابن الشجري"، ٢: ٢٦٤.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، ١٢: ٥٨٧.

(٤) إبراهيم بن السري الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م)، ١: ١٧٣.

(٥) الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٧: ٦٢.

يُتّهم، وقال الحسن وقتادة: إخفاء جميعه أفضل"[١].

– **ولفظة:** ﴿تُخْفُوهَا﴾: تتكون هذه اللفظة من (الخاء+ الفاء+ حرف اللين) إضافة إلى الملصقات الداخلة عليها وهي (التاء+ الها+ الألف اللينة).

أما الخاء فهو صوت حلقي يخرج من أدنى الحلق، "وتشترك الخاء مع الغين في كل شيء، غير أن الغين صوت مجهور نظيره المهموس هو الخاء، وكل منهما صوت رخو"[٢].

والفاء – قد سبق الكلام عليه – وهو صوت شفوي، والواو منقلبة عن الياء؛ لأن (خفا) أصلها: خفي، يقال: "خفي الشيء يخفى ; وأخفيته، وهو في خفية وخفاء، إذا سترته"[٣]، وأما اللواصق فتقدم الحديث عنها.

وقد تناغمت هذه اللفظة في أصواتها بما حوته من أصوات اللين والأصوات الشفوية وتجاور الشدة مع الرخاوة، مما جعلها سهلة سلسة على اللسان، واللفظة تحمل في أصلها اللغوي تضاد المعنى؛ فهي تعني الستر والخفاء، كما تعني الظهور والإبداء، وهذا ما يفسر اختلاف المفسرين في أفضلية إخفاء الصدقة وإظهارها، وتوسط بعضهم في جعل الإخفاء خاصاً بالتطوع، والإبداء خاصاً بالفرض، ونرى من خلال الدراسة الصوتية الدالة على اليسر والسهولة أنها توجه إلى الإخفاء في الحالين؛ ولذا أتبعها بقوله: {فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} و(خير) هنا بمعنى (أخير) من أفعل التفضيل، فالظواهر كلها تفيد بأن إخفاء الصدقة في الحالين أولى من إظهارها؛ لكن يحمل الإظهار على الجواز؛ لصراحة الآية في ذلك، ويحمل الإخفاء على الاستحباب، إلا

(١) الحسين بن محمد الأصفهاني، "تفسير الراغب الأصفهاني". تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، (ط١، مصر: كلية الآداب– جامعة طنطا، ١٩٩٩م)، ١: ٥٦٩.

(٢) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٨٨.

(٣) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ٢٠٢.

أن يحتف بالإظهار معنى خارجي كالدعوة إلى الصدقة بالفعل ممن يُقتدى به؛ فيصدق عليه أنه ممن سنّ سنّة حسنة كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في سياق حثه على الصدقة للقوم الذين جاؤوه حفاةً عراةً مجتابي النمار عامّتهم بل كلّهم من مضر؛ فلمّا رآهم قام فخطب وحث الناس على الصدقة؛ فقام رجلان فتصدقا بالدينار والدرهم؛ فتتابع الناس على ذلك؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ) الحديث[1].

وقد يكون الإظهار لغرض صحيح غير ذلك؛ كأن يكون لقصد دفع إساءة الظن، أو نحو ذلك[2].

والمقصود أن استحباب الإظهار في هذه الحال يُستخرج من معنى خارج النص، لا من الدلالة الصوتية الدالة على أصل الفعل وأصل الحكم.

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٣].

– **لفظة:** ﴿أُحْصِرُوا﴾ [سورة البقرة:٢٧٣] تتكون أصولها من (الحاء+ الصاد+ الراء)، ودخل عليها لواصق سابقة ولاحقة وهي (الهمزة + ضمير الجمع)، أما الحاء فمخرجها من وسط الحلق وهو "صوت مهموس يناظر العين، فمخرجهما واحد

(١) أخرجه مسلم، برقم (١٠١٧).

(٢) قال الزجاج: "كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن، فأما اليوم فالناس مسيئو الظن فإظهارها أفضل". وسيأتي في المبحث الثاني من البحث.

إلا أن الحاء صوت مهموس والعين مجهور"[١].

وأما الصاد فيخرج من طرف اللسان وفويق الثنايا[٢]، وهو صوت مهموس من حروف الاستعلاء وهو من حروف الصفير أيضًا.

والراء تخرج من مخرج طرف اللسان وتشترك مع اللام والنون، فهي "من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، غير أنه أدخل من النون في ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام"[٣].

وكلمة (حصر) ببنيتها الثلاثية تدل في أصل وضعها اللغوي على الحبس والمنع[٤]، فالمادة اللغوية توحي بالحبس والمنع إما طواعية أو إكراها؛ لأن اللغويين أوردوا (حَصَرَ) و(أُحْصِرَ) بمعنى واحد، قال ابن سيده: "والحُصُرُ: احتباس الْبَطن. وَقد حُصِرَ غائطه وأُحْصِرَ"[٥]؛ ولذا دار التأويل في هذه المفردة القرآنية حول الفقراء الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله، ولم يكن لهم شيء، أو أحصرهم المرض أي حبسهم، سواء كانوا زمنى أو أصابتهم جراحات في الجهاد مع النبي ﷺ أو حبسهم الغزو في سبيل الله.

وللبحث عن سر العدول عن لفظ (حُصروا) إلى ﴿أُحْصِرُواْ﴾ – وإن كان

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٨٨.

(٢) قدور، "مبادئ اللسانيات": ١٠٣.

(٣) أبو عمرو الداني، "التحديد في الإتقان والتجويد": ١٠٥.

(٤) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ٧٢.

(٥) علي بن إسماعيل ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٣: ١٤٤.

أهل اللغة لا يفرقون بين المعنيين – يمكن أن يقال: إنه لا بد من زيادة في المعنى حين يزيد مبنى الصوت؛ فالمعنى بهذا التشكيل الصوتي للحروف والحركات يدل على أنهم محبوسون عن السؤال كرهًا منهم، إما لعرض ظاهر كما ذكر المفسرون، وإما لشيء باطني لم يتنبه له كل أحد لكن أفاده السياق القرآني وهو رفعة أخلاقهم التي جعلت نفوسهم عزيزة فلا يذلون أنفسهم بالسؤال؛ ولذا حسن إتباع ذلك بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [سورة البقرة:٢٧٣].

– **ولفظة:** ﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾ تتكون من (التاء + الفاء + الفاء + الفاء)، أما التاء فقد مر ذكرها، وهي تخرج من طرف اللسان مع الثنايا العليا، وهي حرف شديد عند النطق به، وأما الفاء فهو من الحروف الشفوية، وتخرج الفاء " من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا"(١)، وهو من الحروف الرخوة الذي يجري فيه الصوت، وقد تكرر ثلاث مرات في الكلمة، وهو يوحي بشدة ما هم فيه من الفقر والحاجة ودوام ذلك الأمر عليهم وهذا ما يوحي به استطالة الصوت وجريان الهواء في حرف الفاء.

– **ولفظة** ﴿إِلْحَافًا﴾: تتكون من (الهمزة + اللام + الحاء + الفاء)، أما الهمزة فحرف حلقي يخرج من أقصى الحلق، وهو صوت "شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن فتحة المزمار تغلق معها إغلاقًا تامًّا، فلا تسمح لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك

(١) أبو عمرو الداني، "التحديد في الإتقان والتجويد": ١٠٥.

الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة"[١].

ولذا ناسب هذا الحرف في شدته وصعوبة نطقه أن يتبعه حرف لين سهل في نطقه وهو اللام، فاللام من الحروف الذلقية نسبة إلى مخرجه من ذلق اللسان، وهي صفة تكسب الكلام سهولة في النطق، وهذا الحرف من أكثر الحروف تداولا في الكلام العربي، وتساعد في التلاؤم الصوتي بين المفردات والتراكيب، ويخرج هذا الصوت "بأن يتصل طرف اللسان باللثة ويرتفع الطبق، فيسد المجرى الأنفي، عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق، هذا مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية"[٢].

وبقية الحروف قد تقدم ذكرها سابقًا، وقد تضافرت كلها للمساعدة في فهم المعنى من اللفظة وتقريبه؛ إذ إن السؤال المجحف فيه أذية للناس مع عدم حاجة الشخص، في حين أن المحتاج لا يفعل ذلك.

ومعنى الإلحاف: الإلحاح واللجاج[٣]، وهو مأخوذ في الأصل من الشملة التي يلتحف بها الشخص؛ فكأن الشخص الذي يسأل الناس ويلح عليهم وهو غير محتاج يأخذ أموالهم فيلتحفها؛ فهي زائدة عن حاجته؛ أما هؤلاء الفقراء المحتاجون فلا يفعلون ذلك وليس عندهم ما يسدون به الرمق فضلاً عن الالتحاف به، وقد عدل بلفظة (إلحافًا) عن لفظ (إلحاحًا)؛ للتعريض بمن يسألون الناس وهم غير محتاجين، في

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٩٠.

(٢) عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي": ٤٧.

(٣) الحسين بن مسعود البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، (ط٤، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ١: ٣٣٨.

حين أن هناك من لا يسأل وهو مستحق للنفقة عليه؛ ولذا حثَّ القرآن على البحث عنهم وإعطائهم، وهو من دلالة الاختيار والتخيير التي يبحثها البلاغيون.

۞ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٥-٢٧٨].

– **لفظة** {ٱلرِّبَوٰاْ} تتكون من (الراء + الباء + حرف اللين)، وهذه الأحرف قد سبق الحديث عنها، فالراء تخرج من مخرج طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، ويتصف بالشدة، والتكرير، يقول سيبويه: " والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة"(١)، وهذا ما يتناسب مع فعل الربا، فإن الصوت اللغوي يوحي بشدة الفعل من الآخذ للربا، وشدة وطأته على المدين، وتكرار الزيادة مرة بعد مرة حين التأجيل، أما الباء وحرف اللين فيدلان على سهولة الربح للمقرِض، وبهذا يكون الربا سهلاً على صاحب المال غزير الربح دون جهد منه، ويسبب المشقة والعنت على المدين.

وقد جاء في الحديث أيضاً تسميته (الرَّمَا)؛ قال صلى الله عليه وسلم (لَا

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ١٣٦.

تَبيعُوا الدِّرهمَ بِالدَّرهَمينِ فإنّي أخافُ عَليكم الرّمَا)[١]. وقد تكون هذه اللفظة مما يعرفه العرب قبل شيوع الاسم الشرعي الذي هو الربا، وإن كان الاسم الشرعي (الربا) مبنياً على كلام العرب أنفسهم بلفظه ومعناه؛ فقد كان الرجل يكون له الدَّينُ على صاحبه، فيقول لصاحبه إذا حلّ الأجل "إما أن تقضي وإما أن تربي، فإن وفاه وإلا زاد"[٢]، وهو كذلك مبني على معنى الزيادة في لغة العرب، ثم نقل إلى المعنى الشرعي كما انتقلت سائر الألفاظ الشرعية الأخرى، مثل: الصلاة والزكاة والصيام وغيرها، التي انتقلت من معانيها اللغوية إلى معانيها الشرعية، محتفظةً بأصل المعنى اللغوي الذي لا تنفك عنه.

۞ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ...﴾ [سورة البقرة:٢٧٧].

– **لفظة** {ٱلزَّكَوٰةَ} تتكون من (الزاي + الكاف + الحرف المعتل)، فالزاي من حروف الصفير، وهو حرف لثوي "وهو صوت رخو مجهور يناظر صوت السين غير أنه مجهور، وعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه من الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو التقاء أول اللسان بالثنايا السفلى أو العليا"[٣].

والكاف صوت يخرج من أقصى الحنك، وهو "صوت شديد، يتكون باندفاع

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (٥٨٨٥).

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ١: ٤٠٥.

(٣) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٧٦.

الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولًا، فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباسًا كاملًا، لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى فلا يسمح بمرور الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالًا مفاجئًا انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثًا صوتًا انفجاريًّا هو صوت الكاف"(١).

أما حرف العلة فمنقلب عن الواو وأصله (زكا يزكو) قلبت الواو ألفا؛ لتطرفها، وهو تطور صوتي حدث لهذا الاسم، ويرى الخليل أن أصلها ياء متطرفة "زَكّى يُزَكّي تزكيةً... زكو: الزَّكَوات: جمع الزّكاة"(٢)، ويرى الدكتور أنيس أن الاختلاف هنا في مثل هذه المفردات يعود إلى أن البدو يحبون النبر، فيقفون على آخر الكلمة بالهمزة لشدتها وقوة وقعها على السمع، فيقولون: الزكاء، أما أهل الحضر فيميلون إلى الخفة فيقولون: الزكاة.

وأيًّا ما كان الأمر فإن الجذر اللغوي للكلمة يدل على النماء والزيادة، هذه الزيادة إما أن تعود على صاحب المال بنماء ماله وزيادته، وإما أن تعود على الثواب المترتب عليه في الآخرة، وإما أن تعود على الفقير فتزيد ماله وتنمي حاله، ويصلح أن تكون تلك المعاني كلها مجتمعة ولا تتعارض.

ويلاحظ أن الربا أيضاً يدل على الزيادة كما تقدم؛ لكن زيادته للآخذ وقد منعها الشرع دفعاً للظلم والجشع، وأما الزكاة فزيادتها للمعطي وأمر بها الشرع بركةً له وحثاً على مبدأ العطاء التكافلي.

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٨٣، ٨٤.

(٢) الفراهيدي: الخليل بن أحمد،"كتاب العين"، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي (ط١، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨م)، ٥: ٣٩٤.

المبحث الثاني: التجاور التركيبي

قرّر البلاغيون المتقدمون أهمية التركيب وما ينتج عنه من دلالات متغايرة، وقد أكد عبد القاهر أن دلالة الألفاظ وجمالها لا يظهر إلا من خلال التراكيب فقال: "ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارًا وأمرًا ونهيًا واستخبارًا وتعجبًا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة"(١).

وهذا يدلنا على أهمية التراكيب والسياق، وكلمة السياق عبَّر عنها القدماء بفكرة (المقام) و(مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، ولها دلالة مهمة في معرفة انزياح التراكيب أو ما يعرف بـ(العدول اللغوي)؛ فإن خروج الكلام على مقتضى الظاهر أو على غير مقتضاه مع مراعاة المقام والحال: قد حدا باللغويين إلى فهم الدلالة التركيبية الناشئة من هذا السياق، وقد أشاد تمام حسان بفكرة البلاغيين، فقال: "ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة (المقام) متقدمين ألف سنة تقريبًا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي (المقام والمقال) باعتبارهما أساسين مميزين من أسس تحليل المعنى: يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة، وفكرة (المقام) هذه هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه التي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقال)"(٢).

ومن هنا ندرك أن دلالة الألفاظ تختلف عن دلالة التراكيب أو السياق، فدلالة

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١: ٤٤.

(٢) تمام حسان، "اللغة العربية معناها ومبناها"، (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م): ٣٣٧.

اللفظة تحدد من خلال الدلالة اللغوية أو المعجمية، أما دلالة السياق فتُدرس من خلال علم الدلالة الوصفية الحديث، وثمة فرق بين المعنيين، وهذا ما يؤكده (بيرو جيرو) و (دي سوسير) مع فارق يسير بينهما في تحديد أهمية السياق والمعنى المفهوم منه(١).

والبلاغيون قسموا الجمل إلى قسمين: خبرية، وإنشائية، وهذا التقسيم قائم على مطابقة الكلام للواقع أو عدم المطابقة فهي الجملة الخبرية، أو أن الجملة لا تحتمل ذلك باعتبار منطوقها فهي إنشائية، فالكلام "إما أن يحتمل – لذاته لا لمقتضيات أخرى – أن يقال فيه هو مطابق للواقع أو غير مطابق للواقع، فهو الخبر، وإما ألا يحتمل أن يقال فيه ذلك باعتبار منطوقة، لا باعتبار دلالاته اللزومية، فهو إنشاء"(٢).

والفرق بين الجملة الخبرية والإنشائية هو الفهم الدلالي للجملتين، "فالجملة الخبرية، هي الجملة التي اشتملت على خبر ما، فمضمونها إخبار عن أمر ما، إيجابًا أو سلبًا، والقصد منها الإعلام بأن الحكم الذي اشتملت عليه له واقع خارج العبارة الكلامية مطابق له. أما الجملة الإنشائية فهي الجملة التي لم تشتمل على خبر، وإنما أنشأ النطق بها حدثًا ما، كإنشاء طلب الفعل، فليس القصد من الجملة الإنشائية الإعلام بنسبة حكمية تحققت أو لم تتحقق في الواقع، وإن كان يلزم عقلًا من إيراد الجملة الإنشائية فهم قضايا وجمل خبرية أخرى لا تدل عليها الجملة الإنشائية بمنطوقها دلالة مباشرة، بل تدل عليها باللزوم الذهني"(٣).

(١) ينظر: الطيب جبايلي،" التحليل الأسلوبي في ظل نظرية السياق"، مجلة ياقات اللغة والدراسات البينية، م٥، ع١، ابريل ٢٠٢٠م.

(٢) عبد الرحمن بن حسن حبنكة، "البلاغة العربية"، (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٦م)، ١: ١٦٦.

(٣) حبنكة، "البلاغة العربية"، ١: ١٦٦، ١٦٧.

والجمل الإنشـــائية الطلبية أكثر إثارة من الجمل الخبرية ولذا أكثر البلاغيون من الحديث عنها، وهو ما حدا البحث للبدء بها.

الأساليب الإنشائية:

ينقسم الأسلوب الإنشائي إلى قسمين: طلبي، وغير طلبي، ولم يهتم البلاغيون سوى بالقسم الأول، لما ينطوي عليه من معانٍ ويتحمّل من دلالات، وقد جعلوا له أساليب محددة(١)، ومن هذه الأساليب:

١–الأمر:

ويعرف الأمر بأنه: صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء أو جهة العلو(٢).

وقد جاء الأمر في الآيات التي تتحدث عن الإنفاق والربا، واقترن الأمر فيها بتقوى الله تعالى وترك الربا، زيادة في التنفير منه وإعلامًا بحرمته، يقول تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة:٢٧٨]، فالأمر في الآية جاء للوجوب، فاللفظ أمر معناه الوجوب، ومن تمام التقوى الواجبة ترك الربا المنهي عنه " قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: " تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ الْعَبْدُ حَتَّى يَتَّقِيَهُ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، حَتَّى يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ لِلْعِبَادِ الَّذِي يُصَيِّرُهُمْ إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾} [سورة الزلزلة:٧–٨] فَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ أَنْ تَتَّقِيَهُ،

(١) محمد بن عبد الرحمن القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣، بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ)، ١: ٥٥.

(٢) يحيى بن حمزة الطالبي، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ)، ٣: ١٥٥.

وَلَا شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ أَنْ تَفْعَلَهُ"[1]، وهذا أدعى إلى المسارعة لتنفيذ أمره ﷻ بترك الربا والكف عنه، وهو حثٌّ على امتثال أمره في هذا، وقد وردت الآيات الكثيرة التي تبين منزلة أهل التقوى عند الله، وهو ﷻ أهل التقوى وأهل المغفرة، ووردت الأحاديث التي تفيد أن أكثر ما يدخل الناس الجنة هي تقوى الله الكاملة؛ ولذا حسن في هذا الموضع أن يكون الخطاب موجهًا لتعلق القلوب بما عند الله تعالى، والنظر إلى يوم القيامة وما فيه من عواقب، فيتركون الزائل القليل؛ ليشتروا الدائم الكثير.

وقد جاء الأمر في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [سورة البقرة: ٢٨١]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [سورة آل عمران: ١٣١]، فجاء الأمر في الآيتين مفيداً التهديد، حتى يرتدعوا عن أخذ الربا، وينتهوا عن المعاملة به، والتهديد "يكون باستعمال صيغة الأمر من جانب المتكلم في مقام عدم الرضا منه بقيام المخاطب بفعل ما أمر به تخويفًا وتحذيرًا له، ويسميه ابن فارس: الوعيد"[2]، والتهديد والوعيد يكونان عند رغبة السيد في إنزال العقوبة بعبده المخالف لأمره بعد تحذيره له[3]، والمخاطبون بهذا عرب فصحاء يفهمون دلالة الخطاب ومقاصده؛ وعليه فالخطاب هنا يكون أشد ردعًا، وأكثر زجرًا لهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٩] فإن

(١) عبد الله ابن المبارك. "الزهد والرقائق". تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٢: ١٩.

(٢) عبد العزيز عتيق، "علم المعاني"، (ط١، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م: ٨٠، ٨١.

(٣) بسيوني عبد الفتاح فيود، "علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني"، (ط٤، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م): ٣٥٩.

الأمر جاء فيه للتهديد والوعيد الذي لا يقوى عليه أحد من البشـــر، "وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يدىْ لنا بحرب الله ورسوله"(١).

وقولـه تعـالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [سـورة آل عمران:١٣٢]، الأمر فيـه للوجوب؛ فـاللفظ أمر ومعنـاه الوجوب، وهو يختلف عن الأمر الأول في زيادة الترغيب هنا بقوله: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، يقول الزمخشـــري: " وقد أمدّ ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسـوله. ومن تأمّل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسـه بالأطماع الفارغة والتمني على الله تعالى، وفي ذكره تعالى «لعلّ» و «عسى» في نحو هذه المواضع– وإن قال الناس ما قالوا– ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى، وصعوبة إصابة رضا الله، وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه"(٢).

ويقول البيضـــاوي: "أتبع الوعيد بالوعد ترهيبًا عن المخالفة وترغيبًا في الطاعة، ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبرًا له"(٣).

۞ قولـه تعـالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [سـورة آل عمران:١٣٣]، جـاء الأمر في قولـه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ خارجاً عن معناه الحقيقي إلى الندب والنصـح؛ إذ النصـيحة لا تكون على وجه الإلزام، وإنما هو حثٌّ على طلب ما رغبهم فيه وهو الجنة التي ذكر صـفتها وعرضـها، "وخص العرض؛ لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، ووصـفها بالسـعة

(١) محمود بن عمرو الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ١: ٣٢٢.

(٢) الزمخشري، "الكشاف"، ١: ٤١٤.

(٣) عبد الله بن عمر البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ٢: ٣٨.

والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه"[١].

۞ **قولـه تعـالى:** ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨﴾ [سورة الروم:٣٨]، والأمر في الآية للوجوب؛ لكونه حقاً مستحقاً لذي القربى والمسكين وابن السبيل، وفيه ترغيب لامتثال الأمر؛ لأنه خير للذين يريدون ثواب الله وفضله وهم المفلحون في الدنيا والآخرة.

والآية هنا تحث على الإنفاق والبذل في سبيل الله، وهي تجاور آية الربا التي بعدها، وتخصيص هؤلاء الثلاثة دون غيرهم من الأصناف الثمانية المستحقة للزكاة "؛ لأن المقصود هاهنا الشفقة العامة، وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم وإن لم يكن للمحسن مال زائد"[٢]، فالقريب يجب على المسلم النفقة عليه، والمسكين الذي لا يجد كامل كفايته هو محتاج ينتظر الزكاة في نهاية الحول، وابن السبيل أدت به الظروف إلى الاحتياج فيجب إعانته، وقد جعل الله ذلك كله تقربًا من المسلم لله حتى يكون من المفلحين في الدنيا والآخرة.

٢-النهي:

من أنواع الأساليب الإنشائية "وهو: طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء أو العلو"[٣].

وقد جاء النهي في قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ [سورة آل عمران:١٣٠]، والنهي في الآية للتهديد، وهو يأتي عندما يقصد المتكلم تخويفَ من هو دونه قدرًا ومنزلة عاقبةَ القيام بفعلٍ لا يرضى عنه المتكلم[٤]، وقد نهاهم الله

(١) الزمخشري، "الكشاف، ١: ٤١٥.
(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب"، (١٠٢/٢٥).
(٣) عتيق، "علم المعاني": ٨٣.
(٤) عتيق، "علم المعاني": ٨٨.

تعالى عن الربا قليله وكثيره، والتضعيف هنا هو ما كانوا يفعلونه من تأخير الوقت وزيادة الدين فنهاهم الله عن ذلك، وأتى بلفظة ﴿مُّضَٰعَفَةً﴾ على سبيل التأكيد، أو جاء على مغايرة المفاهيم وعكس المتوقع؛ فالمتوقع أن يزيد المال بالتأخير، فأتى "بـ(مضاعفة)، من الضَّعْف لا من الضِّعف، ومعناه ما تعدونه ضِعْفا هو ضَعْف، أي: نقص"(١).

٣–النداء:

"هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء يحل الفعل المضارع أنادي –أو أدعو– المنقول من الخبر إلى الإنشاء محله"(٢)، والنداء يتضمن معنى الطلب، "ودلالته عليه دلالة التزامية تضمنية... والغاية منه أن يصغي من تناديه لأمر ذي بال، ولذا غلب أن يلي النداء أمر، أو نهي، أو استفهام، أو إخبار بحكم شرعي"(٣).

وقد نظر البلاغيون إلى تعدد أساليب النداء من جهة استخدام أدوات النداء(٤). من المتكلم، والجانب الآخر وهو المخاطب وما يليق به من الخطاب، وخروج الأسلوب إلى دقائق بلاغية يقف عليها الأديب البارع في استخراج المكنونات، ولذا قسموا أدوات النداء للقريب والبعيد، وجعلوا البلاغة في تنزيل القريب منزلة البعيد والعكس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٨]، فالنداء هنا جاء بأداة النداء (يا) وهي

(١) الراغب الأصفهاني، "تفسير الراغب الأصفهاني"، ٣: ٨٥١.
(٢) يوسف مسلم أبو العدوس، "مدخل إلى البلاغة العربية"، (ط٣، دار المسيرة، ٢٠١٣م): ٨٤.
(٣) فيود، "علم المعاني": ٤١٠.
(٤) القزويني: "الإيضاح في علوم البلاغة": ٤٤.

تستعمل لنداء البعيد، والمنادى عليهم ليسوا بعيدين من الله تعالى، ولكن الأمر هنا لغرض بلاغي هو التنبيه على عظم المدعو له، مع غفلة المنادَى عن هذا الأمر الذي يحتاج لليقظة والتنبه، وقد أتبع النداء بأمر عظيم هو تقوى الله تعالى وترك الربا.

ولعل إنزال القريب منزلة البعيد في هذا النداء عائد إلى أحد أمرين:

الأول: أن يكون الخطاب موجهاً للذين آمنوا بألسنتهم فقط، فأمرهم أن يتقوا الله بقلوبهم ويتركوا الربا من أعمالهم، ويكون النداء هنا لغفلتهم ودنو منزلتهم، وفيه إغراء لهم وحثهم على إخلاص الإيمان وتصديقه بالعمل بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومنها أكل الربا.

الثاني: أن يكون الخطاب للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بقلوبهم، فأمرهم أن يتقوا الله في أفعالهم بترك الربا، ويكون النداء هنا لرفعة منزلتهم وعلو مكانتهم عند الله[1].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٠]، وقد أتبع النداء هنا بالنهي، ثم الأمر، مما يوحي بعظم الأمر المطروح على المخاطبين.

وجاءت الجمل الواقعة بعد النداء من الأمر أو النهي تقوي الأساليب وتوجه المخاطب لفهم المراد من الخطاب؛ إذ السياق هو ما يحدد القيمة البلاغية التي تستنبط من الخطاب.

الأساليب الخبرية:

ينظر البلاغيون إلى الكلام من حيث الإسناد، فالكلام المتصل هو ما يحمل غرض المتكلم ويفهم منه المتلقي المقصدية من الخطاب، وهذا الكلام لا بد وأن يكون مسندًا حتى تكون للكلام فائدة، وتدور دراسة البلاغيين للأساليب الخبرية حول عدة

(١) ينظر: علي بن محمد الماوردي، "النكت والعيون"، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ١: ٣٥١.

مسائل أوصلها القزويني إلى ثماني مسائل[١]، ولا يستطيع البحث على قصره أن يتعرض لهذه المسائل كلها، وإنما يتعرض لما يتفق مع أغراض البحث، ومنها:

الفصل والوصل:

الفصل والوصل باب عظيم من أبواب البلاغة أطنب في مدحه البلغاء، حتى عدّوه رأس البلاغة وأساسها، يقول العلوي: "هو دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، ولقد سئل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة، فحدّها بمعرفة الفصل، والوصل، وجعل ما سواه تبعا له، ومفتقرا إليه"[٢].

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه"[٣].

فالوصل هو عطف الجمل على بعض، وخص البلاغيون الجمل التي لا محل لها من الإعراب دون المفردات؛ لأنها يتحقق منها فائدة الكلام ومقصوديته؛ كما تقدم.

وخصوا العطف بـ(الواو)؛ لأنها لمطلق العطف وتفيد إشراك ما بعدها لما قبلها في الحكم، أما ما سواها من أحرف العطف فلها معانٍ زائدة على العطف، وشرطوا لعطف الجمل على بعضها أن يكون بينها جامع يحسن له العطف، كالموافقة، أو التضاد، كما هو متقرر في جل كتب علم البلاغة.

والمتأمل في آيات الربا في المواضع الأربعة المذكورة يجد الوصل فيها ظاهرًا؛ وذلك لاتصال الكلام وتتابعه، وحسن ما بين كل الجمل الموصولة من الموافقة أو التضاد، أو غير ذلك من الدلالة التي تربط المعنى، وهو ما سيتبين مع العرض والتحليل.

(١) القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ١: ٥٥.

(٢) الطراز (٢/٢٠).

(٣) ينظر القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ٣: ٩٧.

۞ **ففي قوله تعالى:** ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧١]، جاءت جملة ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، موصولة بالعطف على ما قبلها وهي جملة ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾، والوصل هنا أفاد تناسب الجملتين في الإطلاق، والمعنى على هذا أن إظهار الصدقات أو إخفاؤها كلاهما صحيح وإن كان الإخفاء أفضل لدلالة {خَيْرٌ} التي بمعنى التفضيل على ذلك، "قال قتادة: كلاهما وإخفاؤه أفضل. وقال الزجاج: كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن، فأما اليوم فالناس مسيئو الظن فإظهارها أفضل. وقال ابن العربي: ليس في تفضيل صدقة السر على العلانية، ولا صدقة العلانية على صدقة السر حديث صحيح"(١).

ووصل جملة ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾، على جملة {فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}، والجملتان متحدتان في الخبرية، والسر في الوصل هنا هو دفع التوهم والالتباس، فجاء الوصل بين الجملتين ليؤكد لنا أنَّ إظهار الصدقة أو إخفاءها هو خير في الحالين وسبب لتكفير السيئات، وجاء الاختلاف في أن الجملة الأولى اسمية تفيد الثبوت، والثانية فعلية تفيد التجدد والاستمرار، ولذا حسن الوصل بين الجملتين.

۞ **قوله تعالى:** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢].

جملة {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} معطوفة على ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦٨٩.

[سورة البقرة:٢٧٢]، وجاء الوصل بين الجملتين مع اختلاف الجملتين، فالأولى فعلية والثانية المعطوفة اسمية، وإنما وجب الوصل هنا؛ لوجود اشتراك في المسند وهو الهداية، يقول الجرجاني عن الوصل: " وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى... فيكون حقها العطف"(١).

فقد اشتركت الجملتان في الهداية، فكان الإطلاق في أحدهما وهو الهداية المطلقة لله تعالى هداية التوفيق، والتقييد في الأخرى وهي هداية النبي ﷺ لهم هداية الدعوة والبيان، ولذا حسن المجيء بـــ(لكن)، وفيه تسلية للنبي ﷺ حتى لا يحزن على عدم هدايتهم.

وجملة ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾، وإنما حسن الوصل هنا للتناسب في المعنى، فما تنفقوا إلا لأنفسكم وهو خير تقدمونه لها، وتوفون أجره كاملًا، وفيه " قطع عذرهم في عدم الإنفاق"(٢)، وقد اتحدت الجملتان في الخبر والمعنى؛ فحسن الوصل بينهما.

۞ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٤].

جاءت جملة {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } معطوفة على ما قبلها، جاءت الجملتان خبريتين في المعنى، ولكن الأولى اسمية أفادت الثبوت، والثانية فعلية أفادت التجدد والاستمرار، وكأنه نفى عنهم الخوف مطلقًا؛ لأن الخوف أشد من الحزن، ثم جاء بالحزن في صورة المضارع لنفيه عنهم حتى وإن ظنوا أنه يحدث في المستقبل لشيء عارض.

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١: ٢٤٣.

(٢) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦٩٦.

۞ **قوله تعالى:** ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٦].

ففي قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سورة البقرة:٢٧٦] عطفت جملة {يُرْبِي} على جملة ﴿يَمْحَقُ﴾، وحسن الوصل هنا للتضاد بين المعنيين، مع تناسب الجملتين في الخبرية، ولو ترك الوصل لتوهم أنه عاد عن محق الربا، ولكنه ﷻ أراد أن يوضح لعباده أنه هو الذي يجازي على الأعمال فينقص الربا شيئًا بعد شيء، ويزيد الصدقات ويبارك فيها وينميها، وهذا فيه حثٌّ على الإنفاق والصدقة وترك الربا.

۞ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٧].

جاءت جملة {وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ} معطوفة على ما قبلها، وجاء الوصل بين الجمل الثلاث لوجود مناسبة بينهما وهي العمل الصالح، والصلاة والزكاة جزء من العمل الصالح، ولكن حسن العطف والذكر لهما في هذا الموضع لبيان شرفهما وأهميتهما في حياة المسلم، كما أن ذكر الزكاة يتناسب مع التنفير من الربا والحث على الزكاة، والزكاة والصلاة من أصول أعمال الإيمان، أحدهما عمل بدني والآخر عمل مالي.

۞ **قوله تعالى:** ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٩].

وهنا عطفت جملة ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ على جملة {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ}، وكذا جملة

{تَظْلِمُونَ} معطوفة على {تَظْلِمُونَ}، وإنما ساغ الوصل في الموضعين للتضاد في المعنى والمغايرة التي تحصل للحال؛ فالأولى إن رفضتم الامتناع عن الربا فاعلموا أنكم تحاربون الله ورسوله، وقد "روي: أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يد لنا بحرب الله ورسوله"(١)، وإن تبتم عن الربا فلكم رؤوس أموالكم؛ فحسن الوصل لتضاد المعنى.

وأما الجملة الثانية فهي أيضًا على التضاد، والمعنى: لكم رؤوس أموالكم "لاَ تَظْلِمُونَ بأخذ الزيادة. وَلا تُظْلَمُونَ بالمطل والنقصان"(٢).

ويدخل في ذلك الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٠]؛ لأنها معطوفة على ما قبلها، وقد حسن الوصل هنا؛ لأن الكلام متتابع والرابط بينهما معنوي وهو (الدَّين)، فإن الحديث عن الربا في الدين يقتضي في أصل أمره أن يكون هناك مدين، وصاحب مال يطالبه، فإن تاب صاحب المال عن أخذ الزيادة الممحوقة وعفا عنها، فمن باب أولى أن يمد الأجل لمن عليه الدين حتى يستطيع السداد، وهذا من مكارم الأخلاق التي دعا لها دين الإسلام.

وقيل: "إن الإنظار بالعسرة واجب في دَيْن الربا خاصّة، قاله ابن عباس، وشريح. والثاني: أنه عام يجب إنظاره بالعسرة في كل دَيْن، لظاهر الآية، وهو قول عطاء، والضحاك، وقيل: إن الإنظار بالعسرة في دَيْن الربا بالنص، وفي غيره من الديون بالقياس"(٣).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

(١) البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، ١: ١٦٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الماوردي، "النكت والعيون"، ١: ٣٥٣.

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٠-١٣٣].

جاءت الجمل كلها موصولة؛ لأن المعنى متصل فلا يحسن الفصل بينها، وجملتا: {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾، حسن الوصل بينهما حيث اتفقتا في الإنشائية لفظًا ومعنى، وكذلك ما بعدها من الأمر بطاعة الله والرسول، والمسارعة إلى مغفرته في قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾، فهذه الجمل كلها بينها جامع يربط بينها، وهي متفقة في الأسلوب الإنشائي فوجب الوصل بينها جميعًا.

أما في الآية التالية فقد جاء الفصل فيها لكمال الاتصال، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٤]، وقد جاء الفصل هنا؛ لأن الآية بيان لجملة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٣] ويكون إعرابها على إضمار أعني[(١)]، والتأويل: المتقون الذين أعدت لهم الجنة الموصوفة هم الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، وهذا بيان وتفصيل.

وللبحث عن سر البداءة بالإنفاق وتقديمه على غيره من صفات المتقين، يجيب الرازي على ذلك بأنه ﷻ بدأ بهذه الصفة؛ لأنها أشق الطاعات، وأشرفها في ذلك الوقت؛ إذ حاجة المسلمين للمال من أجل الجهاد ودفع العدو أشد من غيرها، مع مواساة الفقراء والضعفاء من المسلمين[(٢)].

(١) أحمد بن محمد النحاس، "إعراب القرآن". (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، ١: ١٨٠.

(٢) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٩: ٣٦٦.

وهذا ما ينير طريق البحث ويسلمنا للسؤال عن سر التجاور بين هذه الآية وآية الربا السابقة؟

والجواب أنّا نجد التجاور بين الآيات بهذا الإتقان قد أظهر صورتين؛ الأولى: صورة الاستغلال السيء، وجشع بعض الناس واستغلالهم لحاجة إخوانهم، وهي الصورة التي ذمها الله تعالى ونهى عنها في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [سورة آل عمران: ١٣٠].

أما الصورة الثانية: فهي صورة الإنفاق والتراحم في المجتمع وذلك بالحث على البذل والصدقة في مختلف الأحوال في الرخاء والشدة، والسر أو العلن؛ فالمجاورة أوضحت الهدف من تجاور الصورتين وأثرهما على المجتمع، فليست مهمة الفرد المسلم أن يعيش لنفسه، ولكن يتكفل أيضًا بأهل الحاجة ويرعاهم، وهذا هو المجتمع الإيماني الذي من أجله حرَّم الله الربا، وحث على الإنفاق والصدقة والزكاة.

قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٠-١٦١].

جاءت الجمل ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، معطوفة على الجملة السابقة ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾، وحسن الوصل هنا لتتابع الحديث عن أهل الكتاب وبيان مصيرهم حين استحلوا ما حرم الله عليهم، فكان جزاؤهم أن حرَّم الله عليهم الطيبات التي ذكرها في آيات سابقة، وذلك بسبب صدهم عن دين الله، وأخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، والوصل هنا أفادت نكتة بلاغية وهي التنفير من أخذ الربا؛ لأنه قرين الصد عن دين الله أي الكفر –والعياذ بالله–، والجملتين المعطوفتين اتحدا في الخبرية لفظًا ومعنى.

ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة النساء:١٦٢].

وهذه الآية حسن الفصل بينها وبين سابقتها؛ لما فيها من كمال الانقطاع؛ إذ التباين واضح بين المعنيين، فالآيات الأولى تذم الكافرين من أهل الكتاب الذين تعدوا أوامر الله فظلموا أنفسهم واستوجبوا العقاب من الله بتحريم الكثير من الطيبات عليهم، فكان ذلك عقابًا لهم في الدنيا، ثم توعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة.

وهذه الآية تبين أن ثمة صنفاً منهم من الراسخين في العلم والمؤمنين، مغايرين لهم في الصفات ومباينين لهم في الإيمان، فحسن الفصل حتى لا يختلط المعنى، والاستدراك بـــ(لكن) جاء مستأنفًا لإزالة الإطلاق السابق على الذين هادوا، ففيهم قلة راسخون أي: ثابتون لم تزغهم الأهواء عن الحق؛ ولذلك آمنوا بالنبي الحق حين جاءهم، وقد ذكر المفسرون أنها فيمن آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه.

ومن صفات هؤلاء أنهم راسخون في العلم لبيان فضل العلم وعلو شأنه، يؤمنون بكتابهم، وبما أنزل الله من القرآن العظيم، ويقيمون الصلاة؛ لأنها أفضل العبادة البدنية، ويؤتون الزكاة؛ لأنها أفضل الطاعات المادية، ويؤمنون بالله واليوم الآخر، وهذه الصفات تجاورت مع الصفات المذمومة لكفار أهل الكتاب التي أبرزها الصدُّ عن سبيل الله، وأكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وبيان العاقبة للطائفتين يبين سر التجاور، ويدعو للحث على الإنفاق والصدقة.

۞ **قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سورة الروم:٣٧]، جاء الوصل بين {يَقْدِر} المعطوفة على {يَبْسُطُ} لقصد إشراكها في الحكم الإعرابي؛ إذ وقعت جملة {يَبْسُطُ} في محل رفع خبر (أنّ)، وجاءت جملة {يَقْدِر} معطوفة عليها، والتقدير: وأنّ الله يقْدِر، والتناسب بين الجملتين أن المسند إليه واحد وهو لفظ

الجلالة، وبين الجملتين تضاد فالبسط مضاد للقَدْرِ وهو التضييق، وسرُّ بلاغة الوصل هنا أن الآية تبين عظمة الخالق في الجمع بين الأضداد، وكمال قدرته وحكمته، ببيان أنه وحده المختص بالأرزاق يقسمها بين عباده كما يشاء، ولذا حسن ختام الآية بقوله: {لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾}.

الحذف:

عدَّ البلاغيون الحذف من مظاهر البلاغة التي يلجأ إليها المخاطِب لإيصال غرضه من الخطاب للمتلقين الذين يفهمون الدلالة الخفية من وراء الخطاب، ويتعلق ذلك الحذف والفهم "بقرائن الحال، أو قرائن المقال، أو باللوازم الفكرية الجلية، أو باللوازم الفكرية الخفية وبالإشارات التي تدرك بالذكاء اللماح، ومن المعلوم أن الأذكياء يكفيهم الإلماح؛ لأنهم يدركون المقاصد باللمح"(١).

وطفق البلاغيون ينهلون من كتاب الله ويبحثون عن لطائف الحذف ودقائقه، وما يُستخرج من معان بلاغية لا تستفاد بالذكر في موضع الحذف، يقول عبد القاهر: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"(٢).

والمتأمل في آيات الإنفاق والربا يجد أن الحذف في هذه الآيات جاء للاتساع، بمعنى أن الحذف أضاف دلالات متعددة لم تكن لتظهر لو ذكر المحذوف، فقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١]، على قراءة حفص بإثبات الياء في قوله: {يُكَفِّرُ} حذف المسند إليه للعلم به وهو الله تعالى، والمعنى

(١) حبنكة، "البلاغة العربية"، ١: ٣٢٩.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١: ١٤٦.

ويكفر الله عنكم، "وقيل: يعود على الصرف، أي صرف الصدقات، ويحتمل أن يعول على الإخفاء أي: ويكفر إخفاء الصدقات، ونسب التكفير إليه على سبيل المجاز؛ لأنه سبب التكفير"(١).

۞ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥].

فقوله سبحانه: ﴿**لَا يَقُومُونَ**﴾ حذف متعلقه هنا؛ فأدى لزيادة الدلالات والمعاني؛ فآكلو الربا الذي ينفر الله تعالى منهم بهذه الصورة، لا يقومون إلا كما يقوم من به مس من الشيطان، ولكنه شوق المتلقي لمعرفة زمن قيامه هل هو في الدنيا أو في الآخرة؟ فقال المفسرون: "معناه لا يقومون من قبورهم في البعث يوم القيامة إلا كالمجانين، عقوبة لهم وتمقيتاً عند جمع المحشر، ويكون ذلك سيما لهم يعرفون بها، ويقوي بهذا التأويل قراءة عبد الله: لا يقومون يوم القيامة. وقال بعضهم: يجعل معه شيطان يخنقه كأنه يخبط في المعاملات في الدنيا، فجوزي في الآخرة بمثل فعله"(٢).

وأورد ابن عطية في "تفسيره"، رأيًا لبعض المفسرين يؤيد أن هذا القيام يكون في الدنيا، وهو تفسير يعتمد على فهم الحالة النفسية لآكل الربا وجشعه الشديد وطمعه في جمع المال، يقول: " قال القاضي أبو محمد: وأما ألفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون؛ لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه، وهذا كما تقول لمسرع في مشيه، مخلط في هيئة حركاته، إما من فزع أو غيره، قد جن هذا، وقد شبه الأعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله:

(١) أبو حيان، "البحر المحيط" ،٢: ٦٩٢.

(٢) محمد بن سليمان ابن النقيب، "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"، (ط١، د.ن، د.ت)، ٢: ٧٠٥.

وتصـــبح من غبّ السّـــرى وكأنّما ألم بهـا من طـائف الجنّ أولق"[١]

فالحذف هنا جعل الدلالة أوسع في الفهم، وجعل احتمال القيام في الزمنين قائماً.

قولـه تعـالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سـورة البقرة:٢٧٦]، فيـه حذف يدل على ما يسمى بحبك النص، وذلك بالتقابل والتجاور بين الربا والصدقات مع الحذف، والتقدير: يمحق الله الربا ويعاقب عليه فاعله، ويربي الصـــدقات ويبارك لصاحبها ويزيد ثوابه.

القصر:

القصر لغة: "التخصيص، يقال: قصر الشيء على كذا، إذا خصصه به.

واصـطلاحًا: تخصـيص شـيء بشـيء بعبارة كلامية تدل عليه، أو: جعل شـيء مقصورا على شيء آخر بواحد من طرق مخصوصة من طرق القول المفيد للقصر"[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [سـورة البقرة:٢٧٢]، والقصر هنا هو قصر صفة (الإنفاق) على موصوف هو (الله)، وأداته النفي والاستثناء.

وفي الآية اختصـــاص؛ لأن ذكر الوجه يرفع الإيهام أنه له ولغيره، فالإضـــافة محققة لإزالة إيهام الشركة، وأن الإنفاق يكون لله وحده.

وفيه أيضًـــا أن ذكر الوجه أبلغ من حذفه؛ لأنك "إذا قلت: فعلته لوجه زيد. كان أشرف في الذكر من: فعلته له؛ لأن وجه الشيء في الأصل أشرف ما فيه، ثم كثر حتى صار يدل على أشرف الذكر من غير تحقيق وجه"[٣].

(١) عبد الحق بن غالب ابن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ١: ٣٧٢.

(٢) حبنكة، "البلاغة العربية"، ١: ٥٢٣.

(٣) علي بن أحمد الواحدي، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد". تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ١: ٣٨٨.

وقوله تعالى إخباراً عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]، والقصر هنا قصر إضافي وأداته (إنما)، وفي تقديم الربا على البيع نكت بلاغية ذكرها المفسرون، منها:

– **المبالغة**، وفيه أنهم قصدوا إلحاق الربا بالبيع، واختلط ذلك في أذهانهم بسبب أن التجارة فيها ربح، والربا أيضًا فيه ربح، فأرادوا المبالغة بقولهم هذا.

يقول الزمخشري: " فإن قلت: هلا قيل: إنما الربا مثل البيع؛ لأنّ الكلام في الربا لا في البيع، فوجب أن يقال: إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه... قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلًا وقانونًا في الحل حتى شبهوا به البيع"(١)، ويفهم من هذا أن التشبيه هنا مقلوب.

– ومنها: **التعريض**: حيث جعلوا الإسلام في تحريمه الربا أصلًا، واستخدموا قياس العكس؛ فلماذا أحل الإسلام البيع مع ما فيه من ربح، وحرَّم الربا؟ وهو أسلوب يوحي بالتهكم لسوء فهم صاحبه واختلاط العواقب في ذهنه، فهم لا ينظرون إلا إلى صورة الربح فقط، ولا ينظرون إلى ما يسببه الربا من عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع(٢).

۞ **وقوله تعالى:** ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الروم:٣٩]، ذكر الضمير المنفصل (هم) أفاد القصر الادعائي، والغرض منه المبالغة في عدم اعتداد الإضعاف للمال أو الثواب لغير هؤلاء الذين يؤتون الزكاة يريدون بها وجه الله.

وأفادت الآية عبر المجاورة السياقية المقارنة بين حال المرابين وحال المؤدين للزكاة

(١) الزمخشري، "الكشاف"، ١: ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) ابن النقيب، "التحرير والتحبير"، ٣: ٨٣.

وذلك في قوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الروم:٣٩]، فالمجاورة أظهرت المعنى وبينته، سواء قيل بأن الربا في الآية على المعنى اللغوي أم على المعنى الشرعي؛ فالزيادتان متغايرتان في معناهما كما تقدم.

۞ وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٧٤]، نجد تقديم الليل على النهار، والسر على العلانية يدل على تلك الأفضلية، والليل مظنة صدقة السر، فقدم الوقت الذي كانت الصدقة فيه أفضل، والحال التي كانت فيها أفضل"[(١)].

(١) المرجع السابق، ٤٢: ٧٠١.

المبحث الثالث: التناسب وعلاقة الآيات بعضها ببعض

أدرك فصحاء العرب وبلغاؤهم تناسب القرآن الكريم منذ أمد طويل، ومما يدل على ذلك قول الوليد بن المغيرة بعد سماعه القرآن الكريم من الرسول صلى الله عليه وسلم: "والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليُحطّم فاتحته..." (١).

ومن ذلك استدلال أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قتال مانعي الزكاة بسبب اقترانها بالصلاة في كتاب الله تعالى(٢)، وهذا وجه من أوجه التجاور والتناسب في الذكر الحكيم.

وقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا سأل أحدُكم صاحبَه كيف يقرأُ آيةَ كذا وكذا؛ فليسأل عمّا قبلها»(٣).

وفي هذه الأخبار دلالة واضحة على أثر التناسب في إحكام الأسلوب وبلاغته، وبيان معانيه ومكنوناته، وفي سلاسته وترابطه، واستيلائه على الألباب، وتأثيره في النفوس، وأنه مظهر من مظاهر تفوقه المبهر وبيانه المعجز، الذي أدركته العرب الأوائل، وفيها دلالة على أن الالتفات إلى هذا الباب كان قديماً جداً، منذ تنزل القرآن الكريم وانبهار أرباب البلاغة والبيان بجلاله وجماله، وإن لم يظهر مصطلح (المناسبة) إلا متأخراً، شأنه شأن المصطلحات العلمية الأخرى التي نظرت إلى المضامين الثابتة

(١) الحاكم، "المستدرك على الصحيحين"، ٢: ٥٠٦، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٤: ٤٤٣.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٧٢٨٤)، مسلم، برقم (٢٠).

(٣) عبد الرزاق، "المصنف"، برقم (٥٩٨٨).

فأطلقت عليها المصطلحات الملائمة[١].

والذي نعتقده هو ثبوت علم المناسبة وتطبيقاته في القرآن الكريم بين الآيات والسور، وارتباط مبانيها ومعانيها، وأنه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في بلاغته ونظمه؛ فالقرآن متصل بعضه ببعض، دقيق السرد، محكم النسج والسبك، والبحث في التناسب يخرج لنا لطائف الحِكم من وراء النص، وجلال المعنى المفهوم وجماله.

ومن أوائل من دعا إليه أبو بكر النيسابوري، وكان متفقهاً في الشريعة والأدب، وكان يلقي باللائمة على علماء بغداد؛ لإهمالهم علم المناسبات[٢]، واهتم كثير من المفسرين بعلم التناسب وتطبيقاته على آيات القرآن الكريم وسوره، ومن أشهر التفاسير التي اختصت بالبحث فيه: تفسير البقاعي "الدرر في تناسب الآيات والسور"، ومن قوله: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة ؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم

(١) وينظر: عقيد خالد العزاوي. "البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم"، (ط١، دار الماجد والعصماء، ١٤٣٦هـ): ٢٨٦.

(٢) إبراهيم بن عمر البقاعي، " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (ط١، الرياض: مكتبة المعارف الإسلامي، ١٤٠٨هـ): ١: ١٤٢.

وأبو بكر النيسابوري قال الذهبي في التعريف به في "سير أعلام النبلاء"، ١٥: ٦٥: "هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري، مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، الأموي الحافظ الشافعي، صاحب التصانيف ... قال أبو عبد الله الحاكم: (كان إمام الشافعيين في عصره بالعراق، ومن أحفظ الناس للفقهيات واختلاف الصحابة . سمع بنيسابور، والعراق، ومصر، والشام، والحجاز) مات في شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة عن بضع وثمانين سنة".

البيان من النحو"[1].

ومن المهم التنبه؛ لأن التكلف من بعض المتعاطين لهذا العلم وغيره لا يستقيم دليلاً على رده ومنع إثباته في القرآن الكريم؛ فالممارسات الفردية ليست معياراً حاكماً في باب العلم ثبوتاً وانتفاءً.

وهذا المبحث يتجه إلى الكشف عن علاقة الآيات محل الدراسة بعضها ببعض، واستخراج ما أمكن من المعاني اللطيفة، والخفايا الدقيقة من خلال التناسب بين الآيات.

الناظر في آيات الدراسة [البقرة٢٧١-٢٨١] يجد أن الآيات قبلها جاءت حاثة على النفقة، وذلك من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦٧-٢٧٠].

فأطنب القرآن الكريم في الحث على الإنفاق والبذل في سبيل الله، ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠]، تذييلا للحديث السابق عن الإنفاق وبيان صفاته

(١) البقاعي، "نظم الدرر"، ١: ٢٨.

المقبولة، حتى بدأت الآيات محل الدراسة من قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧١]، لتتناسب مع الآية التي قبلها، فهي استئناف بياني ناشئ عن قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠] الآية، والتعميم في قوله: ﴿مِّن نَّفَقَةٍ﴾ يثير السؤال في نفس المتلقي هل إبداء الصدقة أفضل أم إخفاؤها؟ فجاءت الآية لتجيب عن هذا السؤال الخفي في نفسه، لتؤكد أن كلا الحالين خير، وإن كان إخفاؤها أفضل للفقير حتى لا ينزل قدره عند الناس، وأبعد لصاحبها من الرياء، وقد جاء في الحديث الصحيح تفسيرٌ لهذه الآية من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ"(١)، وقد سلفت الإشارة إلى شيء من ذلك في مبحث الدراسة الصوتية، ونقل كلام أهل العلم في أفضلية الإظهار والإخفاء بحسب الحال والزمان.

۞ **قوله تعالى:** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢]، هذه الآية استئناف معترض بين الآية السابقة والآية اللاحقة بعدها.

۞ **قوله تعالى:** ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٣]، متعلق بالآية السابقة، وبيان لوجه الإنفاق أنه

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٤٢٠).

للفقراء، وقد ذكرهم مع أن الصدقة أو الزكاة لا تكون إلا لهم فهم أحد الأصناف المستحقة للزكاة؛ للحث على المداومة على الإنفاق عليهم، ثم خصص نوعًا منهم وهم المحصورون في سبيل الله، والمعروفون بعلامة الفقر وضيق الحال، وترفّعهم عن سؤال الناس حياء وتعففًا.

۞ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [سورة البقرة:٢٧٤]، جملة مستأنفة أفادت التعميم والتفصيل في أحوال الإنفاق، فالإنفاق يكون سرّا أو علانية، ليلًا أو نهارًا، وهو جمْع بين الأحوال الزمانية، والأحوال النفسية للمعطي.

۞ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]، تناسبت هذه الآية مع ما قبلها تناسبًا سياقيًّا بديعاً، فقد نظم القرآن أهم أصول حفظ مال الأمة في سلك هاته الآيات؛ فبعد أن ابتدأ بأعظم تلك الأصول وهو تأسيس مال للأمة به قوام أمرها، يؤخذ من أهل الأموال أخذاً عدلاً مما كان فضلاً عن الغنى؛ فيرد على فقرائهم؛ فأطنب في الحث عليه، والترغيب في ثوابه، والتحذير من إمساكه، ما كان فيه موعظة لمن اتعظ، عطف الكلام إلى إبطال وسيلة كانت من أسباب أخذ الأغنياء أموالَ المحتاجين إليهم، وهي المعاملة بالربا الذي لقبه النبي ﷺ ربا الجاهلية"(١)، وقد بينت هذه الآية سوء عاقبة آكل الربا في الآخرة بأنه من أصحاب النار الخالدين فيها وبئس المصير.

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٧٨، ٧٩.

۞ **قوله تعالى**: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٦]، وهذه الآية – أيضاً – بيان واستئناف لما قبلها؛ فإنه بعد أن بيَّن سوء عاقبة آكل الربا في الآخرة –وقدمها؛ لأنها الأهم– بيَّن سوء عاقبة آكل الربا في الدنيا والفرق بينهما في الجزاء؛ بأن الله يتلف مال الربا وينزع منه البركة، ويبارك في الصدقات ويزيد في مال أصحابها وثوابهم؛ فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة(١).

وختمت الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ وهو تذييل يفيد أن أعمال الربا من عمل الكفار الآثمين، الذين استوجبوا سخط الله وطردهم من محبته؛ فلا يليق بالمسلم أن يواقعه أو يستحله فيلحق بهم، وجاءت {كُلَّ} بالنصب، وسبقها نفي، وقد جرى الخلاف بين البلاغيين في إفادتها العموم حال نصبها ونفيها؛ فذهب عبد القاهر إلى أن (كلّ) إذا جاءت في سياق النفي وكانت منصوبة؛ لا تفيد العموم والشمول، واستشهد في ذلك بقول أبي النجم العجلي(٢):

قدْ أصبَحَتْ أُمُّ الخيارِ تدَّعي عليَّ ذَنْبًا كُلُّه لَمْ أصْنَعِ

ثم قال: " قد حمله الجميع على أنه أدخل نفسه من رفع "كلٌّ" في شيء إنما يجوز عند الضرورة، من غير أن كانت به إليه ضرورة. قالوا: لأنه ليس في نصب "كل" ما يكسر له وزناً، أو يمنعه من معنى أراده، وإذا تأملت وجدته لم يرتكبه ولم يحمل نفسه عليه إلا لحاجة له إلى ذلك، وإلا لأنه رأى النصب يمنعه ما يريد؛ وذاك أنه أراد أنها تدعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئا البتة، لا قليلا ولا كثيرا ولا بعضاً ولا كلًّا، والنصب يمنع من هذا المعنى، ويقتضي أن يكون قد أتى من الذنب الذي ادعته بعضه؛ وذلك

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٥: ١٠١.

(٢) البيت من شواهد سيبويه في "الكتاب"، ١: ٨٥.

أنا إذا تأملنا وجدنا إعمال الفعل في "كل" والفعل منفي، لا يصلح أن يكون إلا حيث يراد بعضاً كان وبعضاً لم يكن؛ تقول: "لم ألق كل القوم"، و "لم آخذ كلَّ الدراهم"؛ فيكون المعنى أنك لقيت بعضاً من القوم ولم تلق الجميع، وأخذت بعضاً من الدراهم وتركت الباقي، ولا يكون أن تريد أنك لم تلق واحداً من القوم، ولم تأخذ شيئاً من الدراهم. وتعرف ذلك بأن تنظر إلى "كل" في الإثبات وتتعرف فائدته فيه، وإذا نظرت وجدته قد اجتلب لأن يفيد الشمول في الفعل الذي تسنده إلى الجملة أو توقعه بها"[1].

وخلاصة كلامه أن النصب في (كل) لا يستغرق جميع المنع خلاف الرفع الذي يستغرق جميع أفراد المذكور، سواء في ذلك الإثبات أو النفي، والاستشهاد بالبيت على أن الشاعر لو نصب (كل) لم يخل بالوزن، لكنه عمد إلى الرفع لمقصدية أرادها.

ولم يرتض بعض شراح التلخيص ما ذهب إليه عبد القاهر، فقد تتبع القزويني كلام عبد القاهر في تقديم (كل) وأنها تفيد النفي على العموم، وناقشه مبينًا أنها إذا كانت مقدمة أو منفية فإنها لا يشذ عنها شيء في النفي، فقال بعد أن أورد كلام عبد القاهر، وبيت أبي النجم العجلي: "وعلة ذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه، وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي ألا يشذ شيء عن النفي، فاعرفه"[2].

كما فصل التفتازاني الحديث عن (كل) في الإثبات والنفي، وناقش عبد القاهر، فقال: "وقال الشيخ: إذا تأملنا وجدنا إدخال كل في حيز النفي لا يصلح إلا حيث يراد أن بعضًا كان، وبعضًا لم يكن؛ وفيه نظر؛ لأنا نجده حيث لا يصلح أن يتعلق

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١: ٢٧٨.

(٢) القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ٢: ٧٨.

الفعل ببعض كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾"[١].

وعلى هذا تكون (كل) في الآية المسبوقة بنفي تفيد عموم كل كفارٍ آكلٍ للربا أو غير الآكلين، الآثمين منهم، وغير الآثمين.

ولمَّا تقدم ذكر الربا وأن الله يمحقه ويزيله من يدي صاحبه، ويُحرم بركته، على غير ما كان يتوقع، واستوعده بالخلود في النار، ونفَّر من صورته يوم البعث حين يقوم متخبطًا كالمصروع من الجن، مدح الله عز وجل عباده المؤمنين الذين يتسابقون لإرضائه بعمل الصالحات، ومنها إقام الصلاة، والبذل والإنفاق بإيتاء الزكاة في سبيل الله، ووعدهم بالأمن والأمان، ونفي الخوف عنهم والأحزان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٧]، فهذه الآية اعترضت آيات الربا لتفيد الموازنة بين الذم والمدح؛ فتوسطت الآيات لتفيد بأن عمل الربا وصاحبه مذموم، في حين أن عمل الصالحات – ومنها إيتاء الزكاة – هو المنوط به الأجر عند الله، ومجاورة هذه الآية في عرض سياق الحديث عن الربا أفادت وضوح المعنى بين الأمرين، كما نوعت بين الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، يقول الرازي: "إن عادة الله في القرآن مطردة بأنه تعالى مهما ذكر وعيداً ذكر بعده وعداً؛ فلما بالغ هاهنا في وعيد المرابي أتبعه بهذا الوعد"[٢].

والتجاور هنا يجلّي الفرق بين صورتين لفريقين متضادين؛ الفريق الأول: الذين يأكلون الربا؛ فالأثر النفسي عليهم من أكل الربا جعلهم متخبطين كالوحوش الضارية التي تفترس

(١) مسعود بن عمر التفتازاني، "المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ)، ص ٣٧٩.

(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب"، (٨١/٧).

ما يقع تحتها، وأما الأثر على المجتمع فهو جعله متفككًا متعادياً؛ فكان العقاب في الآخرة بمثل هذه الحالة النفسية في الدنيا بأن يقوم من قبره متخبطًا كالذي مسّته الجن، وأن يكونوا فرادى يوم القيامة معلَّمين بهذه الصفة فيعلمهم الناس في المحشر.

والفريق الثاني: هو فريق المؤمنين الذين صدق إيمانهم القولي والعملي، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، ولا شك أن الأثر النفسي عليهم جعلهم يشعرون بالطمأنينة والسعادة في الدنيا، والأثر على المجتمع بأنه مترابط متناسج؛ فالصلاة توحد الصفوف، والزكاة تزيل الأضغان من القلوب؛ ولذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس ذلك، فالأثر النفسي أنهم آمنون في الآخرة سعداء لا يحزنون، والأثر المجتمعي أنهم جماعة يعرفون بهذه السيما في الآخرة، سيما الأمن وعدم الحزن.

۞ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٨]، ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن الله تعالى لما هيأ النفوس للنفور من الربا، ووضح لهم أنه أحل لهم البيع بدلًا من ذلك وحرم عليهم الربا: كان الخطاب يحتاج إلى تفصيل للمتلقي الذي التبس عليه الأمر؛ فإن ظن أن الواو عطفٌ في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فهو إكمال لمقولهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؛ فهذه الآية على التحريم المطلق، وردٌّ على هذا الالتباس، فهو تشريع صريح لا لبس فيه.

وإن كانت الواو استئنافاً فهم أن قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، هو كلام الله تعالى لا كلام الذين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؛ فقد علم أن هذا تشريع من الله تعالى، وتكون هذه الآية تأكيداً للمعنى وحثّاً على امتثال الأمر وترك الربا قليله وكثيره.

وقدم ﷻ الأمر بالتقوى قبل الأمر بترك الربا والامتناع عنه؛ لأن تقوى الله هي الأصل الدافع للعمل؛ إذ هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومن جملتها ترك الربا

والتعامل به.

۞ **قوله تعالى:** ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾، هذه الآية متعلقة بنهاية الآية السابقة وهي قوله تعالى: {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾}، يقول الزجاج: "واعلم أنَّ مَن كان مؤْمنًا قَبلَ عن الله أمرَه، ومن أبى فهو حرْبٌ"(١).

۞ **قوله تعالى:** ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨٠]، تتعلق هذه الآية بما قبلها بطريق العطف، يقول ابن عاشور: "عطف على قوله: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٧٩]؛ لأن ظاهر الجواب أنهم يسترجعونها معجلة، إذ العقود قد فسخت. فعطف عليه حالة أخرى، والمعطوف عليه حالة مقدرة مفهومة؛ لأن الجزاء يدل على التسبب، والأصل حصول المشروط عند الشرط. والمعنى وإن حصل ذو عسرة، أي غريم معسر"(٢).

۞ **قوله تعالى:** ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨١]، مناسبة هذه الآية لما قبلها أنها جاءت تذييلاً للخطاب السابق المطنب في الحديث عنه من آيات الإنفاق والترغيب فيها، وآيات الربا وتحريمه والتحذير من التعامل به على أي حال؛ فجاءت هذه الآية ختاماً لخطاب المؤمنين، ترهيباً لهم من فعل المنهي عنه، وترغيباً في حصول الأجر والثواب في هذا اليوم العظيم؛ لتتعلق القلوب بالآخرة وتتخلص من طمع الدنيا وتربّعها في القلوب.

(١) "معاني القرآن"، ١: ٣٥٩.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٩٥.

الخاتمة

من خلال العرض لهذه الآيات الكريمة، نجد أن التجاور السياقي بين آيات الإنفاق والربا قد أظهر دلالات معنوية عميقة، وأشاع آثاراً نفسية بالغة على المتلقي للمزج التجاوري بين الترهيب والترغيب، والإطناب والإيجاز، وتنوع الأساليب العلية البديعة، ونجدها قد جاءت متناسبة مترابطة في داخلها أولاً، وفيما بينها ثانياً، على أرفع وأسمى وجوه السبك والحبك والتماسك، والتتابع للمعاني، والتغاير بين الأساليب الخبرية والإنشائية لتصوير جمالية الإيحاء، وتأكيد عمق الدلالة وتعددها.

وقد توصل البحث إلى نتائج عدة؛ لعل من أهمها وأبرزها:

١- أن مصطلح (التجاور) وجد مبثوثا في كتب البلاغيين القدماء بجانب مصطلحات أخرى تدور حول ترابط النص وتماسكه، وجودة ترتيبه، وحسن تنسيقه وأثر ذلك على المتلقي.

٢- أن دراسة المفردة القرآنية في الآيات محل الدراسة كشفت عن التفرد الصوتي لها الذي يتناغم مع حروفها، وأنها مقصودة لذاتها لا تصلح مفردة أخرى مكانها، ولا تنوب عنها في خاص معناها، وقد حققت بلاغتها من مطابقتها للمعنى.

٣- أن الدراسة الصوتية للمفردات حققت معادلة صعبة في فهم الدلالة من المفردة القرآنية عن طريق دراسة الصوت وفهم تنوع الأصوات اللينة والأصوات الشديدة، وتناسبها مع السياق في توجيه الدلالة المرادة.

٤- تفرد النظم القرآني في التراكيب المستعملة سواء كانت خبرية أم إنشائية، وقد دار القدماء حول هذا الأمر مؤكدين أن دلالة الألفاظ وجمالها لا تظهر إلا من خلال التراكيب، غير أن السياق بمفهوم التجاور التوقيفي للآيات يحدث دلالة جديدة إما أن تكون مغايرة أو مؤكدة لمسار السياق الخطابي.

٥- أن التراكيب القرآنية لا تتوقف دلالتها عند التقسيمات القاعدية في البلاغة

التعليمية، وإنما تتعداها لدلالات أكثر لا تفهم إلا من خلال الدراسة المتكاملة للنص، وقد كانت التقسيمات والقواعد هادية للنظرة الشمولية التحليلية وأساساً معرفياً مهماً في استدرار الذوق ولفت الانتباه.

٦- أن النظر في التناسب بين آيات القرآن الكريم وسوره ثابت من عهد تنزل القرآن الكريم، واقتصر البحث على التناسب بين الآيات محل الدراسة، وأن ثمة تناسباً بين الآيات يربطها برباط واضح يجعلها كالحبات المنظومة في عقد ثمين لا يستطيع أحد انتزاع إحدى حبات عقده من مكانها.

٧- أن التجاور في آيات الإنفاق والربا شكّل صورة واضحةً في حسن الإنفاق وبركته مع أنه بذلٌ وإعطاء، وفي قبح الربا وحرمته ومهلكته مع أنه أخذٌ واجتناء؛ فظهرت حكمة الله البالغة وتجلت، في أحسن كلام وأبلغ بيان، وزاد ذلك من وضوح المعنى الأصلي المراد وتأكيده، وهو تحريم الربا والحث على ما هو خير منه، وهو الإنفاق في سبيل الله وإعطاء الزكاة للمستحقين، والحذر من عاقبة حرب الله ورسوله.

ويمكن الخروج ببعض التوصيات التي نرى أهمية العناية بها، ومنها:

أهمية التوجه إلى دراسة الآيات الموضوعية المقترنة في كتاب الله تعالى، دراسة متكاملة تتكئ على علاقة التجاور في الآيات والموضوعات؛ لإبراز الصورة الكلية للمعنى.

والله الموفق والهادي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أبو حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط". تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

أبو العدوس، يوسف مسلم. "مدخل إلى البلاغة العربية". (ط٣، دار المسيرة، ٢٠١٣م).

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد. "التحديد في الإتقان والتجويد". تحقيق: غانم قدوري حمد. (ط١، بغداد: مكتبة دار الأنبار، ١٩٨٨م).

أبو موسى، محمد محمد، "ثلاثة من كرامنا يتحدثون إلينا — الجاحظ- أبوهلال — ابن الأثير"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٢٥م).

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله. "الصناعتين". تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ).

ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد "بديع القرآن" تحقيق: حنفي شرف، (ط١، القاهرة: دار النهضة).

ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة، (ط٢، القاهرة: دار نهضة مصر).

الأصفهاني، الحسين بن محمد. "تفسير الراغب الأصفهاني". تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، (ط١، مصر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ١٩٩٩م).

أنيس، إبراهيم. "الأصوات اللغوية". (ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م).

امرؤ القيس. "ديوان امرئ القيس". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٥، القاهرة: دار المعارف).

البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش. (ط٤، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. (ط١، الرياض: مكتبة المعارف الإسلامي، ١٤٠٨هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

البيضاوي، عبد الله بن عمر. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

التفتازاني، مسعود بن عمر. "المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر. "البيان والتبيين". (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).

جبايلي، الطيب. "التحليل الأسلوبي في ظل نظرية السياق". مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، م٥، ع١، أبريل ٢٠٢٠م.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٧٧هـ).

حبنكة، عبد الرحمن بن حسن. "البلاغة العربية". (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٦م).

حسان، تمام. "اللغة العربية معناها ومبناها". (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م).

الخفاجي، عبد الله بن سنان. "سر الفصاحة". (ط١، مصر: دار الكتب العلمية،

١٤٠٢هـ).

الرازي، محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الرافعي، مصطفى صادق، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ).

الرماني، علي بن عيسى، "النكت في إعجاز القرآن"، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، (ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م).

الزجاج، إبراهيم بن السري. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م).

الزمخشري، محمود بن عمرو. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

سالم، صفوت محمود "فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد"، (ط٢، جدة: دار نور المكتبات، ١٤٢٤هـ).

السعران، محمود. "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي". (ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م).

ابن سيده، علي بن إسماعيل. "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

شادي، محمد إبراهيم. "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم". (ط١، القاهرة: شركة الرسالة، ١٩٨٨م).

الطالبي، يحيى بن حمزة، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، (ط١،

بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ).
ابن طباطبا، محمد بن أحمد. "عيار الشعر" تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع. (د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت).
ابن عاشور، محمد الطاهر. "التحرير والتنوير". (د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
عباس، حسن. "خصائص الحروف العربية ومعانيها". (د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م).
عبد التواب، رمضان. "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي". (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).
العزاوي، عقيد خالد. "البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم". (ط١، دار الماجد والعصماء، ١٤٣٦هـ).
عتيق، عبد العزيز. "علم المعاني". (ط١، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م).
ابن عطية، عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
العلوي، يحيى بن حمزة. "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز". (ط١، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٣هـ).
ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د.ط، دار الفكر، ١٩٧٩م).
الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "كتاب العين". تحقيق: د. مهدي المخزومي– د. إبراهيم السامرائي. (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
فيود، بسيوني عبد الفتاح. "علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني". (ط٤،

القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).
قدور، أحمد محمد. "مبادئ اللسانيات". (ط٣، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨م).
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. "الشعر والشعراء". (د.ط، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ).
القزويني، محمد بن عبد الرحمن. "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (ط٣، بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ).
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
الماوردي، علي بن محمد. "النكت والعيون". تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله. "الزهد والرقائق". تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
النحاس، أحمد بن محمد، "إعراب القرآن". (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
ابن النقيب، محمد بن سليمان، "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"، (ط١، د.ن، د.ت).
الواحدي، علي بن أحمد. "الوسيط في تفسير القرآن المجيد". تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

Bibliography

The Noble Qur'an.

ʻAbbās, Ḥasan. "Khaṣā'iṣ al-ḥurūf al-ʻArabīyah wa-maʻānīhā". (n.ed., Manshūrāt Ittiḥād al-Kitāb al-ʻArab, 1998).

ʻAbd al-Tawwāb, Ramaḍān. "al-Madkhal ilá ʻilm al-lughah wa-manāhij al-Baḥth al-lughawī". (3rd ed, Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1997).

Abū al-ʻAdūs, Yūsuf Muslim. "madkhal ilá al-balāghah al-ʻArabīyah". (3rd ed, Dār al-Masīrah, 2013).

Abū ʻAmr al-Dānī, ʻUthmān ibn Saʻīd. "al-Taḥdīd fī al-Itqān wa-al-tajwīd". Investigated by: Ghānim Qaddūrī Ḥamad. (1st ed, Baghdad: Maktabat Dār al-Anbār, 1988).

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf. "al-Baḥr al-Muḥīṭ". Investigated by: Ṣidqī Muḥammad Jamīl. (n.ed., Beirut: Dār al-Fikr, 1420).

Abū Hilāl al-ʻAskarī, al-Ḥasan ibn ʻAbdillāh. "al-ṣināʻatayn". Investigated by: ʻAlī Muḥammad al-Bajāwī and Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (n.ed., Beirut: al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 1419).

Abū Mūsá, Muḥammad Muḥammad, "thalāthat min krāmnā yataḥaddathūn Ilīnā – aljāḥẓ-abwhlāl – Ibn al-Athīr", (1st ed., Cairo: Maktabat Wahbah, 2025).

Al-ʻAlawī, Yaḥyá ibn Ḥamzah. "al-Ṭirāz li-asrār al-balāghah wa-ʻulūm ḥaqā'iq al-iʻjāz". (1st ed., Beirut: Al-Maktabah al-ʻunṣurīyah, 1423).

Al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad. "Tafsīr al-Rāghib al-Aṣfahānī". Investigated by: Muḥammad ʻAbd al-ʻAzīz Basyūnī, (1st ed., Egypt: Kullīyat al'ādāb-Jāmiʻat Ṭanṭā, 1999).

Al-ʻAzzāwī, ʻAqīd Khālid. "al-Bayān fī al-iʻjāz wāltnāsb fī al-Qur'ān al-Karīm". (1st ed., Dār al-Mājid wāl'ṣmā', 1436).

Al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Masʻūd. "Maʻālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur'ān". Investigated by: Muḥammad ʻAbd Allāh al-Nimr-ʻUthmān Jumʻah Ḍumayrīyah-Sulaymān Muslim al-Ḥarsh. (4th ed, Riyadh: Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 1997).

Al-Baiḍāwī, ʻAbdullāh ibn ʻUmar. "Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl". Investigated by: Muḥammad ʻAbd al-Raḥmān al-Marʻashlī. (1st ed, Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 1418).

Al-Biqāʻī, Ibrāhīm ibn ʻUmar. "Maṣāʻid al-naẓar lil-ishrāf ʻalá Maqāṣid al-suwar". (1st ed, Riyaḍh: Maktabat al-Maʻārif al-Islāmī, 1408).

Al-Biqāʻī, Ibrāhīm ibn ʻUmar. "Naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar". (n.ed., Cairo: Dār al-Kitāb al-Islāmī, n.d).

Al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad. "Kitāb al-‘Ain". Investigated by: Mahdī al-Makhzoumy- Ibrāhīm al-Sāmurrā’ī. (n.ed., Cairo: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, n.d).

Al-Jāḥiẓ, ‘Amr ibn Baḥr. "al-Bayān wa-Tabyin". (Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 1423).

Al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir ibn ‘Abd al-Raḥmān. "Dalā’il al-i‘jāz". Investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir. (3rd ed, Cairo: Maṭba‘at al-madanī, 1992).

Al-Khafājī, ‘Abdullāh ibn Sinān. "Sirr al-Faṣāḥah". (1st ed., Egypt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1402).

Al-Māwardī, ‘Alī ibn Muḥammad. "al-Nukat wa-al-‘Uyūn". Investigated by: al-Sayyid Ibn ‘Abd al-Maqṣūd ibn ‘Abd al-Raḥīm. (n.ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, n.d).

Al-Naḥḥās, Aḥmad ibn Muḥammad, "I‘rāb al-Qur’ān". (1st ed., Beirut: Manshūrāt Muḥammad ‘Alī Bayḍūn, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1421).

Al-Qazwīnī, Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān. "al-Īḍāḥ fī ‘ulūm al-balāghah". Investigated by: Muḥammad ‘Abd al-Mun‘im Khafājī. (3rd ed., Beirut: Dār al-Jīl, 1414).

Al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar. "Mafātīḥ al-Ghaib". (3rd ed, Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1420).

Al-Rāfi‘ī, Muṣṭafá Ṣādiq, "I‘jāz al-Qur’ān wa-al-balāghah al-Nabawīyah", (8th ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1425).

Al-Rummānī, ‘Alī ibn ‘Īsá, "al-Nukat fī I‘jāz al-Qur’ān", Investigated by: Muḥammad Khalaf Allāh, Muḥammad Zaghlūl Sallām, (3rd ed., Egypt: Dār al-Ma‘ārif, 1976).

Al-Sa‘rān, Maḥmūd. "‘Ilm al-lughah muqaddimah llqār’ al-‘Arabī". (2nd ed., Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1997).

Al-Ṭālibī, Yaḥyá ibn Ḥamzah, "al-Ṭirāz li-asrār al-balāghah wa-‘ulūm ḥaqā’iq al-i‘jāz", (1st ed., Beirut: Al-Maktabah Al-‘Aṣrīyah, 1423).

Al-Taftāzānī, Mas‘ūd ibn ‘Umar. "al-Muṭawwal sharḥ Talkhīṣ Miftāḥ al-‘Ulūm". Investigated by: ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī. (3rd ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1434).

Al-Wāḥidī, ‘Alī ibn Aḥmad. "al-Wasīṭ fī tafsīr al-Qur’ān al-Majīd". Investigated by: ‘Ādil Aḥmad ‘Abd al-Mawjūd wa-ākharūn. (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1994).

Al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-sirrī. "ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh". Investigated by: ‘Abd al-Jalīl ‘Abduh Shalabī. (1st ed, Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1988).

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʻAmr. "al-Kashshāf ʻan ḥaqāʼiq ghawāmiḍ al-tanzīl". (3rd ed, Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1407).
Anīs, Ibrāhīm. "al-aṣwāt al-lughawīyah". (5th ed., Cairo: Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah, 1975).
ʻAtīq, ʻAbd al-ʻAzīz. "ʻilm al-maʻānī". (1st ed., Beirut: Dār al-Nahḍah al-ʻArabīyah lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 2009).
Emruʼu al-Qais, Ibn Ḥajar. "Dīwān amriʼ al-Qais". Investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibraheem. (1st ed., Beirut: Dār al-Maʻrifah, 1425-2004).
Fayyoud, Basyūnī ʻAbd al-Fattāḥ. "ʻilm al-maʻānī dirāsah balāghīyah wa-naqdīyah li-masāʼil al-maʻānī". (4th ed., Cairo: Muʼassasat al-Mukhtār, 2015).
Ḥabannakah, ʻAbd al-Raḥmān ibn Ḥasan. "al-balāghah al-ʻArabīyah". (1st ed, Damascus: Dār al-Qalam, 1996).
Ḥassān, Tammām. "al-lughah al-ʻArabīyah maʻnāhā wa-mabnāhā". (5th ed, Cairo: ʻĀlam al-Kutub, 2006).
Ibn Abī al-Iṣbaʻ, ʻAbdul-ʻAẓīm ibn al-Wāḥid "Badīʻ al-Qurʼān". Investigated by: Ḥanafī Sharaf. (1st ed., Cairo: Dār al-Nahḍah).
Ibn al-Athīr, Ḍiyāʼ al-Dīn ibn Muḥammad, "al-mathal al-sāʼir fī adab al-Kātib wa-al-shāʻir", Investigated by: Aḥmad al-Ḥūfī-Badawī Ṭabānah, (2nd ed., Cairo: Dār Nahḍat Miṣr).
Ibn al-Mubārak, Abū ʻAbd al-Raḥmān ʻAbd Allāh. "al-Zuhd wa-al-raqāʼiq". Investigated by: Ḥabīb al-Raḥmān al-Aʻẓamī. (n.ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, .n.d).
Ibn al-Naqīb, Muḥammad ibn Sulaymān, "Al-Taḥrīr wa-al-Taḥbīr li-aqwāl aʼimmat al-tafsīr fī maʻānī kalām al-Samīʻ al-Baṣīr", (1st ed., n.p., n.d).
Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. "al-Taḥrīr wa-al-tanwīr".(n.ed., Tunisia: al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, 1984).
Ibn ʻAṭīyah, ʻAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib. "al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz". Investigated by: ʻAbd al-Salām ʻAbd al-Shāfī Muḥammad. (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1422).
Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʻUthmān, "al-Khaṣāʼiṣ", Investigated by: Muḥammad ʻAlī al-Najjār, (Cairo: al-Hayʼah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, 1377).
Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyāʼ. "Maqāyīs al-lughah". Investigated by: ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. (n.ed., Dār al-Fikr, 1979).
Ibn Kathīr, Ismāʻīl ibn ʻUmar, "tafsīr al-Qurʼān al-ʻAẓīm", Investigated

by: Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1419).

Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. "Lisān al-‘Arab". (3rd ed, Beirut: Dār Ṣādir, 1414).

Ibn Qutaybah, ‘Abdullāh ibn Muslim. "al-shi‘r wa-al-shu‘arā’". (n.ed., Cairo: Dār al-ḥadīth, 1423).

Ibn Seedah, ‘Alī ibn Ismā‘īl. "al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-A‘ẓam". Investigated by: ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī. (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2000).

Ibn Ṭabāṭabā, Muḥammad ibn Aḥmad. "‘Iyār al-shi‘r". Investigated by: ‘Abd al-‘Azīz ibn Nāṣir al-Māni‘. (n.ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, n.d).

Jbāyly, al-Ṭayyib. "al-Taḥlīl al-uslūbī fī ẓill Naẓarīyat al-siyāq". Journal of Language Contexts and Interdisciplinary Studies, Vol. 5, issue. 1, April 2020.

Qaddūr, Aḥmad Muḥammad. "Mabādi’ al-lisānīyāt". (3rd ed., Damascus: Dār al-Fikr, 2008).

Sālim, Ṣafwat Maḥmūd "Fatḥ Rabb al-barīyah sharḥ al-muqaddimah al-Jazarīyah fī ‘ilm al-tajwīd", (2nd ed., Jiddah: Dār Nūr al-Maktabāt, 1424).

Shādī, Muḥammad Ibrāhīm. "al-balāghah al-ṣawtīyah fī al-Qur’ān al-Karīm". (1st ed., Cairo: Sharikat al-Risālah, 1988).

Sībawaih, ‘Amr ibn ‘Uthmān. "al-Kitāb". Investigated by: ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. (3rd ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1988).

الـهُويَّة فـي رواية ما بعد الكارثة
دراسةً نقديَّـةً مقارنةً فـي "فرانكشتاين فـي بغداد" لأحمد سعداوي و"الطَّريق" لكورماك مكارثي

The Identity in Post-Apocalyptic Novel
A Critical Comparative Study of Ahmed Saadawi's Frankenstein in Baghdad and Cormac McCarthy's the Road

د. محمد بن لافي اللويش

أستاذ الأدب المقارن المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب بجامعة الجوف

البريد الإلكتروني: mlshammari@ju.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
13/09/2025		16/11/2025

نشر البحث
A Research Publication

شوال ١٤٤٧هـ = April 2026

DOI:10.36046/2356-000-019-015

الملخَّص:

ناقش هذا البحث تمثيلات الهويَّة في رواية ما بعد الكارثة من خلال قراءة نقديَّة مقارنة لروايتي: (فرانكشتاين في بغداد)؛ لأحمد سعداويّ، و(الطَّريق)؛ لكورماك مكارثي، إذ طرحت فرضيَّة ركَّزت على أنَّ الكارثة تُفضي إلى زعزعة المرجعيَّات الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة، ومن ثَمَّ يسعى الأدب إلى إعادة طرح سؤال الهويَّة ضمن سياق وجوديّ وأخلاقيّ. ومن هُنا كشف البحث أنَّ رواية (فرانكشتاين في بغداد) تُقدِّم تصوُّرًا لهويَّة جماعيَّة متشظِّية؛ بسبب سرديَّات أيدولوجيَّة متصارعة، في حين رواية (الطَّريق) قدَّمت تصوُّرًا لهويَّة فرديَّة تتشكَّل بالفعل الأخلاقيّ. من خلال منهج التحليل المقارن استفادت هذه الدّراسة من مدراس نقديَّة ما بعد حداثية في تحليل الهويَّة، مستعينةً بأدوات فلسفيَّة وتأويليَّة لتفكيك البنية السَّرديَّة في أدب ما بعد الكارثة؛ ونتيجةً لذلك كشفت الدّراسة عن أثر غياب الزَّمن الخطِّيّ، وتحوُّل اللُّغة من وسيلة بلاغيَّة جماليَّة إلى أداة وظيفيَّة؛ ممَّا جعل الهويَّة الشَّخصيَّة داخل النَّصّ مُتشظِّية. توصَّلت الدّراسة إلى أنَّ رواية ما بعد الكارثة لا تكتفي بوصف انهيار الحضارة البشريَّة، إنَّما تكشف عن رؤية سرديَّة تأويليَّة للذَّات الإنسانيَّة عندما تواجه العدم. بالتَّالي أصبحت الهويَّة فعلًا مُؤقَّتًا، وموقفًا أخلاقيًّا يتجدَّد مع كُلّ تحدٍّ، ولكنَّها تفتقد الانتماء بكافَّة أشكاله، وتفتقر للوعي المُتجذِّر بالسّياق الحضاريّ.

الكلمات المفتاحيَّة: رواية ما بعد الكارثة، الهويَّة، الرّواية العربيَّة، الرّواية الأمريكيَّة، التَّشظِّي

Abstract:

This study examines the representation of identity in post-apocalyptic novel through a comparative analysis of Ahmed Saadawi's *Frankenstein in Baghdad* and Cormac McCarthy's *The Road*. It argues that catastrophic collapse destabilizes moral and social reference points, compelling literary writings to reimagine identity through existential and ethical frameworks. In *Frankenstein in Baghdad*, identity is depicted as a fractured collective construct, shaped by conflicting ideological narratives. In contrast, *The Road* portrays an individual identity formed through acts of moral perseverance.

Drawing on postmodern approaches, the study explores how these narratives disrupt linear temporality and reconfigure language from a rhetorical characteristic into a functional, existential medium. This stylistic and structural transformation reflects a deeper fragmentation of selfhood. Ultimately, the study contends that post-apocalyptic fiction does more than depict the end of civilization; it offers a philosophical inquiry into the nature of the human self. In such contexts, identity becomes a contingent, ethically sustained process—unanchored from fixed cultural or communal roots and continuously renegotiated in response to a destabilized world.

Keywords: Post-apocalyptic Fiction, Identity, Arabic Novel, American Novel, Fragmentation.

المُقدِّمة:

تُكرِّس الآداب العالميَّة أجناسها الأدبيَّة لقضاياها الإنسانيَّة؛ الأمر الَّذي جعل المذاهب الأدبيَّة تتنوَّع في كيفيَّة مُناقشة تلك القضايا وتصويرها، ضمن رؤًى أدبيَّة لإصلاح النُّظم الأخلاقيَّة والعلاقات البشريَّة، ولكن نجد بعض الأدباء يتحدَّثون عن انهيار النُّظم والقِيَم الإنسانيَّة؛ ومن هنا يظهر خطاب أدبيّ ضمن أجناس أدبيَّة مختلفة؛ يُركِّز على دور الأدب في إعادة صياغة مفهوم الإنسانيَّة عندما تحلُّ الكارثة، ويبتعد البشر عن المنظومة الأخلاقيَّة؛ ممَّا يجعلهم يعيشون أزمة الهويَّة، في ظلّ غيابٍ للثَّوابت والمرجعيَّات الأخلاقيَّة والثَّقافيَّة. ضمن هذا الخطاب الأدبيّ ظهرت رواية ما بعد الكارثة وهي سردية تُكتب من داخل عالم مدمَّر أخلاقيًا واجتماعيًا، لا تكتفي بتخييل انهيار شامل بل تتعامل مع الحاضر نفسه بوصفه أثرًا مستمرًا لكارثة لم تُستوعب بعد؛ عالم تسوده الصدمات الجماعية، فقدان الذاكرة. هذا النوع الروائي يتعامل مع البقاء لا كفعل جسدي فقط، وإنما ممارسة وجودية وأخلاقية لإعادة تعريف ما يبقى من الإنسان بعد انهيار البنى الداعمة للمعنى، عبر محاولة التعبير عمّا يفترض أنه غير قابل للتعبير أصلاً[1]. رواية مابعد الكارثة استطاعت طرح إعادة تعريف الهويَّة الإنسانيَّة، عندما تغيب السّياقات الحضاريَّة والمعرفيَّة للقِيَم الإنسانيَّة.

للهُويَّة الإنسانيَّة مُحدِّدات ومُكوِّنات تنتمي إلى سياقات حضاريَّة ومعرفيَّة مُختلفة باختلاف المُجتمعات البشريَّة؛ بالتَّالي تعتمد الهُويَّة على مفاهيم واسعة منها: الدين، واللغة، والانتماء الاجتماعيّ، والثَّقافة، والنُّظم الأخلاقيَّة. أنَّ الهويَّة الإنسانيَّة تتعرَّض لأزمةٍ عندما تحدث الكوارث الكبرى؛ وبناءً على ذلك تُعاني

(1) Berger, James Andrew. "After the End: Representations of Post-Apocalypse." University of Virginia,) 1994): 11.

الهويَّة أزمة وجوديَّة يسعى الإنسان إلى البقاء الأخلاقيّ؛ ولذا تأتي الأعمال الأدبيَّة – لا سيَّما رواية ما بعد الكارثة – بطرح أزمة الهويَّة ليس باعتبارها انتماء إلى أمر ماضٍ، وإنَّما تصبح الهويَّة الإنسانيَّة انتماء إلى قراراتٍ مُستقبليَّة قائمة على الصِّراع؛ من أجل البقاء الأخلاقيّ.

فرضيَّة البحث:

غالبًا ما تطرح رواية ما بعد الكارثة (The post-apocalyptic novel) قضايا تتعلَّق بالإنسانيَّة، وأزمة الهويَّة. هذا البحث يطرح فرضيَّة مفادها أنَّ رواية (فرانكشتاين في بغداد)(١)؛ لأحمد سعداويّ تُعنى بأزمة الهويَّة الجماعيَّة المتشظية الَّتي تبلورت نتيجة انهيار القِيَم الإنسانيَّة، في حين ركَّزت رواية (الطَّريق)(٢)؛ لكورماك مكارثي على الهويَّة الفرديَّة والسَّعي للبقاء الأخلاقيّ بمفهومه الإنسانيّ الواسع، وعليه فالرِّوايتان تطرحان مفهوم الهويَّة وكيفيَّة إعادة تمثيله ضمن ظروف الكارثة، وهو ما يجعل الهويَّة غير ثابتة؛ بسبب غياب المرجعيَّات الأخلاقيَّة والثَّقافيَّة المُستقرَّة الَّتي تضمن استمراريَّة القِيَم الإنسانيَّة.

المنهج، وأجزاء البحث

إن البحثُ يعتمد منهجًا وصفيًّا–تحليليًّا مقارنًا قائمًا على مبدأ التكافؤ الإجرائي؛ إذ تُحلَّل الروايتين بناء على أبرز الموضوعات (الثيمات) التي تكشف تمثيل الهوية في سرد مابعد الكارثة، وتحليل المحاور يتطلب إجراءات تطبيقية –أولًا– تمثلت في سبر أغوار الراوي ومنظور الرؤية لرصد انتقال المعنى بين تمثيلٍ جمعيٍّ مُتشظٍّ للهويّة

(١) أحمد سعداوي، "فرانكشتاين في بغداد". (ط١، بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٣م)،
(٢) كورماك مكارثي، "الطريق". ترجمة هيثم نشواتي ومعين الإمام، (ط٢، الرياض: العبيكان، ٢٠١٠م)

في فرانكشتاين في بغداد وتمثيلٍ فرديٍّ أخلاقيٍّ للهويّة في الطريق. ثانيًا: دراسة بناء الزمن؛ من أجل كشف تعطل الخط الزمني وكيفية إعادته عبر تشكيل الذاكرة والهوية في زمن الكارثة. ثالثًا: تحليل الفضاء وتمثيلاته بوصفه وسيطًا دلاليًّا يُجسّد أثر الانهيار على الجماعات والأفراد. رابعًا: كشف بنية الشخصيّة وتحولاتها الأخلاقية/الوجوديّة بين رمزية العنف والجسد وأخلاقيات البقاء والأمل. هذا التحليل الوصفي المقارن لا يغفل أسئلة الكارثة والديستوبيا والغروتسك بوصفها محدِّدات توصيفيّة لتمثيلات الهويّة، ومن غير تأسيسٍ نظريٍّ جديد؛ إذا يختم البحث بخاتمة تقدم نتائج لقراءةٍ متوازنةٍ لتمثّلات الهويّة بعد الكارثة. وتوزَّعت تلك الموضوعات في مبحثين رئيسين: المبحث الأول: البناء السردي للهُويّة في رواية ما بعد الكارثة، والمبحث الثاني: الأخلاق الوجودية وتمثيلات الجسد في رواية ما بعد الكارثة.

أسئلة البحث:

عندما تحدث الكارثة تخضع القِيَم الإنسانيَّة وسؤال الهويَّة لإعادة تقييم؛ بسبب فقدان منظومة الأخلاق الثَّابتة المُستقرَّة، ثُمَّ يصبح الاختبار لممارسات الإنسان وإعادة التَّموضع لهويَّته تحت ظروف الدَّمار والانهيار الاجتماعيّ مطلبًا وجوديًّا، وهذا ما ظهر في رواية (فرانكشتاين في بغداد)؛ إذ يتكوَّن (الشَسْمَه) من أشلاء بشريَّة لضحايا أعمال عنف وقتل؛ السَّبب الَّذي جعله رمزًا لأزمة هويَّة جماعيَّة، بمجتمعٍ فَقَدَ منظومةً أخلاقيَّةً مُستقرَّة. في حين أنَّ رواية (الطَّريق) يسعى الأب في رحلته مع الابن إلى تجاوز العقبات بشكلٍ يُوميّ؛ من خلال التَّمسُّك بالأخلاق، ولكنَّ الظُّروف لا تضمن استمراريَّتها. تُطرح الأسئلة الآتية: هل يُمكن اعتبار الهويَّة في رواية (فرانكشتاين في بغداد)، ورواية (الطَّريق) عمليَّة ديناميكيَّة تتشكَّل وفق التَّحدِّيات الَّتي تُواجهها الشَّخصيَّات؟ وكيف تُعيد الكارثة إعادة تموضع الذَّات الإنسانيَّة والهويَّة في كلا النَّصّين؟ وكيف تُسهم البنية السَّرديَّة للرّوايتين في تمثيل الهويَّة بعد حدوث إعادة تموضع الذَّات؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى مُناقشة التَّحوُّلات الجوهريَّة في مفهوم الهويَّة ضمن سياق رواية ما بعد الكارثة؛ لأنَّ الكارثة أصبحت عاملًا يفرض ظروفًا تتطلَّب إعادة صياغة إدراك الإنسان لنفسه، وإعادة تموضع هويَّته في العالم من حوله. من خلال دراسة رواية (فرانكشتاين في بغداد)، ورواية (الطَّريق) يهدف البحث – أيضًا – إلى أنَّ غياب المرجعيَّات الأخلاقيَّة يُؤدِّي إلى خلق هويَّة عائمة وغير مُستقرَّة.)، فيسعى البحث إلى تحليل مدى استقرار الهويَّة في الرّوايتين. كما أنَّ هذا البحث لا يقصر أهدافه على تقديم دراسة نقديَّة مقارنة بين الرّوايتين، بل يطمح إلى المساهمة في فهم أوسع لكيفيَّة تعامل الأدب – بكافَّة أجناسه – مع الأزمات الكبرى، وكيف يمكن للرّواية – على وجه الخصوص– أن تُساهم في إعادة طرح سؤال الهويَّة عندما تحدث ظروف صعبة تختلُّ بها المنظومة الأخلاقيَّة الإنسانيَّة.

أهـمِّيَّة البحث:

تنبع أهـمِّيَّة البحث من جوهر أسئلة الهويَّة الَّتي تمسُّ حقيقة وجود الفرد داخل المجتمع البشريّ. هذه الأسئلة الجوهريَّة كانت محلّ اهتمام حقول معرفيَّة وفلسفيَّة في الوقت المعاصر؛ ممَّا جعل الكثير من النُّقَّاد يتناولون تمثيلات الهويَّة في الخطابات المُتعدِّدة. والأدب من أهمّ تلك الخطابات الَّتي احتضنت تمثيل الهويَّة. وعندما تربط الهويَّة بالوجود تبرز أهـمِّيَّة الموضوع؛ ولذا تتطلَّب الدّراسة توظيف منجزات الحركة الفلسفيَّة الإنسانيَّة المعاصرة، وبما أنَّ البحث يعتمد في منهجيَّته المقارنة على حقول معرفيَّة وفلسفيَّة مُتعدِّدة؛ تبرز أهـمِّيَّته لِمَا يطرحه من رُؤًى نقديَّة للكشف عن أثر غياب المرجعيَّات الأخلاقيَّة على تشظِّي الهويَّة الَّتي

تُصوِّرها رواية (فرانكشتاين في بغداد)، ورواية (الطَّريق)؛ من خلال تمثيل إعادة تموضع الذَّات داخل سياق الكارثة، وإنتاج الهويَّة من خلال سياق أخلاقيَّات الكارثة. كما تبرز أهـمِّيَّة البحث باعتماده على حقول معرفيَّة مُتعدِّدة التَّخصُّصات لسبر أغوار البنية السَّرديَّة: اللُّغة، والزَّمن، والشَّخصيَّات وغيرها للكشف عن عمق تمثيل البنية السَّرديَّة لجوهر الهويَّة ذاتها.

الدّراسات السَّابقة:

رواية (فرانكشتاين في بغداد)، ورواية (الطَّريق) من الأعمال السَّرديَّة الَّتي حظيت باهتمام نقديّ واسع، وقد تناولهما الباحثون من زوايا مُتعدِّدة، تعكس تنوُّع المقاربات النَّقديَّة. وبما أنَّ هذه الدّراسة تُعنى بتحليل أثر تمثيل الكارثة في زعزعة المرجعيَّات الأخلاقيَّة، وانعكاس ذلك على بنية الهويَّة في الرّوايتين، فإنَّه من المهمّ الوقوف على أبرز الدّراسات السَّابقة ذات الصِّلة؛ من أجل توضيح ما سوف تُسهم به هذه الدّراسة من قراءة تحليليَّة جديدة.

دراسة محسن الشَّيبانيّ بعنوان: (أنماط الشَّخصيَّة الغروتسكيَّة في رواية فرانكشتاين في بغداد) من الدّراسات النَّقديَّة العربيَّة الَّتي حاولت تفكيك البنية السَّرديَّة من زاوية جماليَّة ونفسيَّة. وتُمثّل هذه الدّراسة نموذجًا لتحليل الشَّخصيَّة الرّوائيَّة عبر مفهوم (الغروتسك)[1] بوصفه تشويهًا دلاليًّا للشَّكل والهويَّة، في ظلّ أزمات العنف والتَّفكُّك الاجتماعيّ. وعلى الرَّغم من أهـمِّيَّة هذه الدّراسة في دراسة البُعد التَّشويهيّ للشَّخصيَّة ضمن سرديَّات العنف، إلَّا أنَّها ركَّزت على البُعد

(١) الغروتسك، الديستوبيا، أدب مابعد الكارثة، وغيرها من المفاهيم المحورية في هذه الدراسة سيعرفها الباحث في التمهيد.

الجماليّ والشَّكليّ، في حين تسعى هذه الدّراسة الحاليَّة إلى تجاوز ذلك عبر تحليل تمثيلات الهويَّة في سياق ما بعد الكارثة، من خلال منهج مقارن وفلسفيّ يستعين بأُطرٍ تأويليَّة وتفكيكيَّة معاصرة، ويُركِّز على العلاقة بين الفعل الأخلاقيّ، واللُّغة، والزَّمن، وتفكُّك الذَّات. ومن الدّراسات العربيَّة الأكاديميَّة رسالة ماجستير بعنوان: (رواية فرانكشتاين في بغداد: البنية والإحالات)؛ لمُحمَّد عمَّار إبراهيم عزَّت، الَّتي ركَّزت في الفصل الأوَّل على سرد الهويَّة من خلال تحليل بنية الهويَّة بوصفها شبكة من العلاقات والإحالات للسّياقات ومرجعيَّات ميثولوجيَّة، دينيَّة، تاريخيَّة؛ إلَّا أنَّها لم تتجاوز ذلك إلى سبر العمق الوجوديّ والأخلاقيّ لبنية الهويَّة في سياق الكارثة، الَّذي يفتقد تلك المرجعيَّات كلّها. ومن الدّراسات النَّقديَّة الَّتي تناولت رواية (فرانكشتاين في بغداد) من منظور أدب الدّيستوبيا، دراسة شيماء مزهر عبدالرّضا السَّاعدي الموسومة بعنوان: (الواقع الديستوبي في رواية فرانكشتاين في بغداد؛ لأحمد سعداوي)[1]. بالرَّغم من أنَّ الدّراسة ركَّزت على تمثيل الواقع الكارثيّ بوصفه هويَّة جماعيَّة في سياق العنف، أنَّها لم تتناول أثر ذلك التَّمثيل الكارثيّ على الهويَّة من خلال مقاربة فلسفيَّة وجوديَّة أخلاقيَّة، وإنَّما ناقشت من خلال زاوية تقريريَّة واقعيَّة.

إنَّ الدّراسات النَّقديَّة الَّتي تناولت رواية (الطَّريق) عديدة ولا يمكن حصرها، وإنَّما سوف تُركِّز هذه الدّراسة على أبرزها الَّتي تناولت مفهوم الهويَّة وكيفيَّة تمثيله في زمن الكارثة في رواية (الطَّريق)، ومن الدّراسات الَّتي تناولت هذه الرّواية ما كتبه

(1) Alsaedi, Shaima Muzher Abid Alreda. "Dystopian Reality in Frankenstein in Baghdad a novel by Ahmed Saadawi." Al-Adab Journal 133 (2020): 7-22.

(مُحمَّد مُحمَّد فاروق) في دراسته النَّقديَّة الموسومة[١]: (تمثُّلات الكارثة وما بعدها في رواية (الطَّريق)؛ لكورماك مكارثي)، والَّتي ناقشت البنية السَّرديَّة والرَّمزيَّة للكارثة في الرّواية؛ حيث كشف الباحث قدرة (مكارثي) على تصوير عالم ما بعد الحضارة؛ من خلال تقنيات السَّرد واللُّغة وتفكُّك الزَّمن. كما أنَّ (مُحمَّد فاروق) سلَّط الضَّوء على مركزيَّة العلاقة بين الأب والابن باعتبارها القِيَمة الرّئيسة للمعنى الإنسانيّ في عالمٍ فَقَدَ القِيَم والقوانين. ومع ما قدَّمته دراسة (مُحمَّد فاروق) من عُمقٍ نقديّ، إلَّا أنَّها لم تتجاوز قضايا تمثيل الكارثة دون سبر أغوار جدليَّة الهويَّة واللُّغة والزَّمن في ضوء تأويلات فلسفيَّة؛ ممَّا جعل هذه الدّراسة تسعى لمناقشة قضايا الكارثة وأثرها على تموضع الهويَّة في سياقها الأخلاقيّ الوجوديّ. كما تناولت الأطروحة العلميَّة الموسومة بعنوان: (استدامة البقاء في عالم ما بعد الكارثة: رواية (الطَّريق)؛ لكورماك مكارثي)[٢] موضوع البقاء في زمن الكارثة من منظور ثقافيّ أنثربولوجيّ؛ لتكشف أنَّ العلاقة بين الأب والابن تحمل رمزيَّة الصُّمود أمام العدميَّة المطلقة، ومع أنَّ الباحثة تناولت أزمة سقوط الأخلاق، إلَّا أنَّها لم تناقش بنية الهويَّة المتشظِّية الَّتي جاءت بسبب غياب المرجعيَّات الأخلاقيَّة. ومن الدّراسات الَّتي تناولت رواية (الطَّريق) (ديفيد بول)، و(جي آلان) في دراستهما الموسومة: (الشَّخصيَّات العصابيَّة، والصّراعات اللاواعيَّة، والمشاعر المكبوتة:

(١) محمد محمد فاروق عبد التواب،" Apocalyptic and Post-apocalyptic Representations in Cormac McCarthy's The Road." مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم ١٥,٢، (٢٠٢٣م): ١٠٨٦-١١٢٤.

(2) Boutaina, Boukhalfa, "Sustaining Survival in a Post-Apocalyptic World: Cormac McCarthy's The Road." dissertation ،Ministry of Higher Education ،(2017).

دراسة نفسيَّة لحالة ما بعد الكارثة في رواية مكارثي الطَّريق)[١]. ناقش الباحثان علاقة الأب بالابن من زاوية نفسيَّة؛ ليكشفا عن ثنائيَّة الحياة والموت في سياق الكارثة، وكيفيَّة تأثير تلك الثُّنائيَّة على إعادة إنتاج الهويَّة الأبويَّة، في ظلّ غياب المرجعيَّات الأخلاقيَّة. إنَّ دراستهما المهمَّة ركَّزت على الجانب الشَّخصيّ في إعادة تموضوع الهويَّة، وأغفلت سياقاتها الوجوديَّة والأخلاقيَّة؛ ولذا فإنَّ هذه الدّراسة سوف تُركِّز على أنَّ إعادة التَّموضع ليس بسبب اضطرابٍ نفسيّ، وإنَّما بسبب غياب مرجعيَّاتٍ أخلاقيَّة افقدت المعنى الوجوديّ للهويَّة.

(1) David Paul, and G. Alan, "Neurotic Personalities, Unconscious Conflicts, and Repressed Emotions: A Positive Psychoanalytic Study of the Post-Apocalyptic Condition in Cormac McCarthy's The Road."

التمهيد

تنهض هذه الدراسة على مدوّنةٍ سردية تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين، وهذه المدونة تتضمن الرواية العربية الموسومة "فرانكشتاين في بغداد" للروائي العراقي أحمد سعداوي المنشورة عام (٢٠١٣). تجري أحداث رواية "فرانكشتاين في بغداد" في بغداد التي تعاني يوميًا التفجيرات والخوف والغياب المروّع للمعنى. في هذا المشهد الفوضوي يظهر هادي العتّاك – جامع الخردة– ليلتقط أشلاء البشر الممزّقة في الشوارع بعد التفجيرات، ويضمّها بعضها إلى بعض جسدًا كاملًا؛ من أجل أن يُدفن بكرامة، ولا أن يُترك متناثرًا كما أراد له العنف. إن ما بدأ بوصفه فعلًا إنسانيًّالضحايا مجهولين، ينقلب إلى حدث غريب خارق للعادة؛ إذ تدبّ الحياة في هذا الجسد المرقّع، ويخرج إلى الوجود كائنٌ لا اسم له (الشَسْمَه) الذي لا يعيش لنفسه، وإنما تحرّكه فكرة العدالة الدموية؛ مما يجعله يشعر بواجب الثأر لكلّ ضحية أسهمت بجزء منها في تكوينه. يبدأ بمطاردة القتلة واحدًا واحدًا، فيبدو كأنّه المنفّذ الوحيد للعدالة في مدينة فقدت سلطتها على العنف. لكنّ العدالة هنا ليست نقية لأن كل ما يثأر الشَسْمَه لجزءٍ من جسده حتى يبدأ ذلك الجزء بالتعفّن، لأنّ مهمّته قد اكتملت. ولئلا ينهار الجسد، يضطرّ الكائن إلى القتل من جديد بحثًا عن أشلاء بشرية بديلة، فيدخل في حلقة مغلقة من العنف. هكذا يتحوّل إلى مرآة قاتمة لبغداد نفسها؛ مدينةٍ لا تستطيع أن تتوقف عن إنتاج موتٍ جديد.

بينما الرواية الثانية للروائي الأمريكي كورماك مكارثي بعنوان "الطريق" المنشورة (٢٠٠٦). تدور أحداث الرواية في عالمٍ يكسوه للرماد، فالسماءٌ رمادية لا تُميَّز من الأرض، وريحٌ باردة تذرّ آثار الحرائق على الطرق. في هذا الخراب يمضي أبٌ وطفله،

يدفعان عربةً بما بقي من مؤن، ويتّجهان جنوبًا علّ الدفء هناك أقل قسوة. الطريق لا يمنح وعدًا حيث بيوتٌ مهجورة، ومخازن تُفتح على عفنٍ ونفايات، وجثثٌ صامتة تجعل البنية السردية توحي بأن النجاة مجرد تأجيل. يواجه الأب والابن أشرار. يحمل الأب مسدسًا أخيرًا كأنّه بقايا قانون، ويعلّم ابنه أن عليهما أن يكونا من الناس الطيبين، وأنهما معًا يحملان النار—نارًا لا تُرى لكنها تُبقي المعنى حيًّا. يشتد المرض على الأب، وعندما تقترب رحلتهما من الشاطئ يموت الأب ليواصل الأبن الطريق وحيدًا نحو الأمل والنجاة من الكارثة.

الروايتان تجتمعان في بنية "ما بعد الكارثة" ولكنهما تتباينا في تمثيل الهُويّة. ففي سياقٍ عربي مثقل بإرث العنف والانقسام، تقدِّم فرانكشتاين في بغداد مشهداً حضرياً ممزّقاً عقب الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م؛ حيث يُعاد تركيب جسدٍ الشخصية الرئيسة (الشَسْمَه) من أشلاء الضحايا فيتحوّل إلى كائنٍ رمزيٍّ متعدّد الدلالات يفتح سؤال العدالة عندما تغيب الثوابت الأخلاقية. رواية "فرانكشتاين في بغداد" تركز على تهجين الواقعي بالغرائبي واستدعاء عناصر من الغوثيك والديستوبيا ـ مقاربةَ انهيار المدينة بوصفه مجازاً لتحلل الوجود الإنساني وإعادة إنتاج العنف ضمن دوائر تتغذّى على نفسها. أما رواية "الطريق " تقدم عالماً كونيّاً منكوباً بعد انهيارٍ غامض للحضارة؛ رحلةَ أبٍ وابنه في فضاءٍ رماديٍّ مقفر، حيث تتشكّل إنسانيةُ الشخصيتين بالفعل الأخلاقي والمسؤولية الإنسانية المتمثلة في اهتمام الأب بالابن، وتُعرّف الهوية الفردية بوصفها مثابرةً قيميةً لا تزول رغم زوال البنى المؤسسية. تمتاز الرواية بكثافةٍ سرديةٍ تُحيل المعنى إلى التجربة الحسيّة المباشرة، فتُعيد صياغة ثنائيّات الخير/الشر ضمن أفق ديستوبي ما بعد الحضارة.

تتطلب الدراسة تقديم تعريفات لا بوصفها إطاراً نظرياً مُستحدَثاً، بل باعتبارها إطار مفاهيمي فلسفي نقدي يضبط القراءة النقدية التحليلية للروايتين. أول تلك المفاهيم هو (الهُويّة) والتي تعني البناءٌ المتحوّل الذي يتكوَّن داخل علاقات السلطة واللغة والذاكرة، وليس للهُويّة جوهرٌ ثابت، وإنما تتحقّق داخل بنية الخطاب؛ مما يجعكلها تتبدّل تبعًا للسياقات التاريخية والثقافية؛ وهذا ما يجعل الباحثين يتتبّعون تشكّلها عبر البنى السردية لا خارجها(١).ثانيًا (أدب ما بعد الكارثة): وهو تخييُلٌ لفقدٍ شامل يرفع عن الحضارة الإنسانية أبرز مقومات الاستقرار من أنظمة مؤسسية، قانونية، أخلاقية، وهو مايجعل حدود تخضع للاختبار، ثم ويُعاد بناء معنى الذات والعالم تحت شرط العدم والخراب(٢). ثالثًا: (الديستوبيا) وهو مفهوم فلسفي سياسي ظهر على الأرجح في منتصف القرن الثامن عشر وفي الغالب يشير إلى تصور سردي خيالي يتعلق بحالة من الفوضى والخراب وغياب المنظومة الأخلاقية في المجتمع(٣). رابعًا: (الغروتسك) الذي طرحه باختين في الفصل الخامس من كتابه الموسوم (أعمال فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية في العصر الوسيط وإبان عصر النهضة) ليشير إن الغروتسك هو تمثيل جمالي يقوم على خفض السامي إلى مستوى الجسد المادي المفتوح وغير المكتمل، بما يكشف هشاشة الفاصل بين العلو والدناسة، وبين المثال والمتجسّد. وهو يشتغل بوصفه بنية ازدواجية تضم الموت والميلاد في آن واحد، القديم وما يولِّد الجديد، باعتباره شكلاً يعبر عن الوجود بوصفه حالة دائمة التحول لا تعرف

(1) Grossberg, Lawrence, Stuart Hall, and Paul Du Gay. "Questions of cultural identity." Identity and Cultural Studies: Is that all there is (1996): 87-107.
(2) Berger, James Andrew. "After the End: Representations of Post-Apocalypse." University of Virginia, (1994): 11.
(3) Claeys, Gregory. Dystopia: A natural history. Oxford University Press, (2016), p 3-19

الاكتمال. هذا التصوير ليس تشويهاً للإنسان بل طاقة تحرر وتجديد، لأنّه يهدم السلطة الرمزية عبر السخرية ويعيد تخييل الحياة من تحت الأنقاض[١]. خامسًا: (الزمن السردي (الكرونولوجي/الكرونوس) لا بوصفه تتابعاً خطيّاً فحسب، بل باعتباره بُنيةً تعاد صياغتها عبر المحاكاة السردية، فينشأ من تداخل الاسترجاع والاستباق والتقطيع يوجِّه بوصلة الهُويّة وذاكرة الجماعة.[٢]

(١) باختين، ميخائيل، أعمال فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية في العصر الوسيط وإبان عصر النهضة". ترجمة شكير نصر الدين، (ط١، بغداد: منشورات الجمل، ٢٠١٥م)، ٣٩١ ومابعدها.

(2) Ricoeur, Paul. Time and Narrative. Translated by Kathleen McLaughlin and David Pellauer, The University of Chicago Press, 1984: 66.

المبحث الأول: البناء السردي للهُويّة في رواية ما بعد الكارثة

تشكّلات الهُويّة: الجمعي المتشظّي والفردي الأخلاقي

في رواية (فرانكشتاين في بغداد) تظهر الشَّخصيَّة المحوريَّة العجائبيَّة الَّتي أُطْلِقَ عليها اسم (الشَسْمَه)، الَّذي يعني في اللَّهجة العراقيَّة (لا اسم له). هذه الشَّخصيَّة العجائبيَّة الَّتي تحمل جسدًا مُكوَّنًا من أجزاء؛ لأجساد أشخاصٍ آخرين، قُتِلوا في مُمارسات العنف الَّتي شهدتها بغداد بين عامي (٢٠٠٥م) و(٢٠٠٦م)، كما يظهر في الزَّمن السَّرديّ لهذه الرّواية (الشَسْمَه) جسد؛ ولكنَّه ممزَّق؛ الأمر الَّذي يضمر حالة التَّشظِّي الاجتماعيّ في العراق في تلك الحقبة التَّاريخيَّة، فـ(الشَسْمَه) ليس كائنًا خارقًا للعادة، كما يظهر ذلك في أسطورة (فرانكشتاين) في الرّواية الإنجليزيَّة الَّتي تحمل الاسم ذاته، الَّتي نشرتها الرّوائيَّة (ماري شيلي) عام (١٨١٨م)، والَّتي يُصنِّفها النُّقَّاد من أبرز الأعمال الرّوائيَّة القوطيَّة الَّتي جسَّدت مشاهد الرُّعب والخوف؛ بسبب انهيار المنظومة الأخلاقيَّة؛ نتيجة فساد قوى السَّيطرة، سواء أكانت عائلات استقراطيَّة، أم مُؤسَّسات دينيَّة مُتسلِّطة. (ماري شيلي) جعلت (فرانكشتاين) وحشًا صنعه الطَّبيب (فيكتور فرانكشتاين)، وقد استلهمت (ماري شيلي) فكرتها من كتاب (الفلسفة الكيميائيَّة)؛ لـ(همفري ديفي)؛ حيث كان عصرها مشحونًا بنقاش جدليّ محتدم حول العلاقة بين العِلْم والأخلاق، والتَّداعيات الَّتي قد تُواجهها الحضارة البشريَّة عندما تفقد السَّيطرة على العِلْم.

في حين أنَّ (الشَسْمَه) في رواية (فرانكشتاين في بغداد) جاء ليطرح نقاشًا حول الأخلاق وفقدان القِيَم الإنسانيَّة؛ ليُؤكِّد أنَّ العمليَّة الأدبيَّة واللُّغويَّة ليست بريئة؛ لأنَّ الكلمات تحمل ذاكرتين: معجميَّة، وأخرى ثقافيَّة؛ ممَّا يجعل الأديب

سجين كلمات الآخرين، ومُقيَّدًا بكلماته أيضًا[١]. إنَّ (الشَسْمَه) لم يخرج من مختبر علميّ، وإنَّما نشأ من رحم الكارثة والقتل؛ ليعكس الواقع الكارثيّ في تلك الحقبة الدَّمويَّة من تاريخ العراق المعاصر؛ لذا وضع (أحمد سعداويّ) اقتباسًا من رواية (فرانكشتاين) لـ(ماري شيلي): " إنّي أطلب منك ألَّا تصفح عنِّي. استمع إليَّ، قم إذا استطعت، وإذا شئت دمِّر عمل ما صنعت يداك [الطَّبيب]"[٢]، ثمَّ يُورد ما قاله (الشسمه) "أنتم يا من تسمعون هذه التَّسجيلات الآن؛ إن لم تكن لديكم الشَّجاعة لمساعدتي في مهمَّتي الجليلة، فحاولوا على الأقل أن لا تقفوا في طريقي"[٣]، أي: (الشَسْمَه) نتيجة طبيعيَّة لأحداث كارثيَّة واقعيَّة جعلت حركة التَّاريخ تدور في سياقٍ مشحونٍ بالخراب الماديّ والمعنويّ؛ ليفقد القِيَم الإنسانيَّة، وينتج الهويَّة المُتشظِّية والمُثقلة بروافد العنف والكارثة.

أنَّ التَّناص الَّذي تصفه (جوليا كرستيفيا) "امتصاص وتحويل وإثبات ونفي لنصوص أخرى"[٤]، ظهر في عنوان الرّوايتين الَّذي يكشف أنَّه: يؤسِّس العنوان، أولًا، لعلاقته بخارجِه؛ سواء تمثّل هذا الخارج في واقعٍ اجتماعيّ أو في بُعدٍ سيكولوجيّ. وثانيًا، يحدّد العنوانُ صلته لا بالنصّ فحسب، بل أيضًا بمقاصد المرسِل من عمله؛ وهي مقاصد تنطوي على صورةٍ افتراضيّة للمستقبل تُفترَض استجابةً لها.

(١) نهلة فيصل الأحمد، "التفاعل النصي– التناصية: النظرية والمنهج". (ط١، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠م)، ١٢٠.

(٢) أحمد سعداوي، "فرانكشتاين في بغداد". (ط١، بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٣م)، ٥.

(٣) المصدر السابق: ٥.

(٤) جوليا كرستيفيا، "علم النص". ترجمة فريد الزاهي، (ط٢، المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٩٧م)، ٧٨.

وعلى هذا الأساس يتشكّل العنوان بوصفه خطابًا لا مجرّد صياغةٍ لغويّة[١]، يقول الرَّاوي: "فـ(الشَسْمَه) مصنوع من بقايا أجساد لضحايا، مضافًا إليه روح ضحيَّة، واسم ضحيَّة أخرى. إنَّه خلاصة ضحايا يطلبون الثَّأر لموتهم حتَّى يرتاحوا، وهو مخلوق للانتقام، والثَّأر لهم"[٢]. (أحمد سعداويّ) في رواية (فرانكشتاين في بغداد) يطرح السُّؤال الَّذي طرحته (ماري شيلي)، ولكن وفق مُعطيات الوضع الرَّاهن؛ من أجل مُناقشة مآلات انهيار القِيَم الإنسانيَّة وغياب المرجعيَّات الأخلاقيَّة؛ ومن ثمَّ إعادة تقييم تموضع الهويَّة ضمن السّياق الحضاريّ للمُجتمع البشريّ.

أما في المقابل فإن الهويَّة الإنسانيَّة ظهرت في رواية (الطَّريق) من خلال رمزيَّة (قدَّاحة النَّار) الَّتي لا تشير إلى وظيفة عمليَّة، بل تحمل بُعدًا ميتافيزيقيًّا وأخلاقيًّا؛ إذ تتحوَّل إلى رمزٍ للمثابرة على القِيَم في عالمٍ انهارت فيه كُلّ المرجعيَّات. إنَّها تشبه (شعلة بروميثيوس) في الميثولوجيا، لكنَّها هُنا ليست نار العقل أو الحضارة، بل نار الأخلاق والمعنى الَّتي تضمن استمراريَّة الهويَّة الإنسانيَّة في مواجهته للعصابات ودفاعه عن ابنه؛ حيث يقول الرَّاوي: "تحت الجسر أخرج الولَّاعة، أشعلها وشرع يكنس الأرض مستنيرًا بضوء الولَّاعة، الَّذي كان يُومض ويخبو ... أعاد الولَّاعة إلى مكانها المعتاد، ووضع يديه على كتفي الصَّبيّ ... إذ علينا نُوقد نارًا"[٣]. هذا التَّوظيف لرمزيَّة النَّار في ظُروفٍ كارثيَّة، يكشف تصوُّرات أخلاقيَّة وجوديَّة داخل البنية السَّرديَّة، وهذه السَّرديَّة الأخلاقيَّة الوجوديَّة تتقاطع مع (إيمانويل ليفيناس) (Emmanuel Levinas)، الَّذي يعتقد أنَّ الذَّات الإنسانيَّة لا تُعرَّف باستخدام ما تملكه أو تنجزه، بل اعتمادًا

(١) محمد فكري الجزار، "العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي". (ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م)، ٢١.

(٢) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ١٤٤.

(٣)المصدر السابق، ٦٧

على استجابتها لنداء الآخر[١]، وظهر ذلك من خلال المسؤوليَّة الَّتي يحملها الأب نحو الابن، وهذا ما جعل البنية السَّرديَّة تكشف عن هويَّة إنسانيَّة ذات حركة مُستمرَّة غير ثابتة. كما أنَّ هذا التَّوظيف السَّرديّ للنَّار، وما كشفه من رؤية فلسفيَّة أخلاقيَّة ينسجم مع مقولة (فيودور دوستويفسكي): "إذا لم يكن الله موجودًا، فكُلّ شيءٍ مباح"[٢]، أي الخير لا يحتاج إلى مرجعيَّة عليا كي يُمارَس، بل هو خيارٌ إنسانيٌّ حرٌّ، يُستأنف في كُلّ لحظة. وتكشف الدّراسة أنَّ بنية الهويَّة الإنسانيَّة في رواية (الطَّريق) تعتمد على رؤية فلسفيَّة وجوديَّة تستمدُّ استمراريَّتها في كُلّ حينٍ؛ من خلال التَّركيز على الفعل الإنسانيّ ذاته.

تلك النَّظرة الأخلاقيَّة الوجوديَّة جعلت الهويَّة الإنسانيَّة غير ثابتة في رواية (الطَّريق)؛ لأنَّ البنية السَّرديَّة رفضت الطَّابع الفانتازي العلميّ الَّذي غالبًا ما توسم به روايات ما بعد الكارثة. رواية (الطَّريق) اعتمدت بنية سرديَّة تُوظِّف الكارثة كبنيةٍ مُبهرةٍ أو فضاء تأمليّ بارد؛ من أجل الكشف عن الواقعيَّة النَّفسيَّة والأخلاقيَّة الَّتي تُؤثِّر في بنية الهويَّة الإنسانيَّة، وهذا ما جعل الرّواية تُؤكِّد باستمرارٍ بأنَّ الهويَّة غير ثابتة من خلال تصويرها لواقعيَّة نفسيَّة تُركِّز على التَّمسُّك بالخير في ظلّ ظُروف كارثيَّة، وعالم استفحل فيه الشَّرّ إلى أنْ أصبح نمط عيش، والدّراسة تُؤكِّد أنَّ تلك البنية السَّرديَّة الَّتي رفضت الفانتازيا تُوحي بنظرةٍ هيجيليَّةٍ حول ماذا يعني أن تكون إنسانًا؟ ولكن ليس عبر العقل والتَّاريخ، بل من خلال الكوارث، والصّراعات،

(1) Emmanuel Levinas. Totality and infinity: An essay on exteriority. Vol. 1. Springer Science & Business Media, 1979. P 178.

(٢) فيودور دوستويفسكي، "الأخوة كارامازوف". ترجمة محمد فائز، (ط١، بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٩م)، ٤: ١٦٩.

والتَّشبث بالمسؤوليَّة الأخلاقيَّة المباشرة(١).

الهويَّة ليست جوهرًا ثابتًا –كما يطرح (ستورات هول) (Stuart Hall) – بل هي عمليَّة مُستمرَّة من التَّموضع داخل منظومة الخطاب لأيّ مجتمع بشريّ(٢)، ووفق هذه الرُّؤية التَّفكيكيَّة تكون الهويَّة ذات بنية مرتبطة باستجابات وشروط حضاريَّة مُتغيّرة؛ ممَّا يجعل بنية الهويَّة ديناميكيَّة، وهذا ما ظهر في رواية (الطَّريق) من خلال تركيزها على تموضع الأب والابن نتيجة لاستجاباتهما للظُّروف المتغيّرة في رحلتهما؛ ممَّا يُحقِّق لهما البقاء وفق منظومة أخلاقيَّة، وليس انطلاقًا من انتماء تاريخيّ وإيمان أيدولوجيّ. يقول: "لا يوجد أناس على هذا الطَّريق يحملون كلمة الله. لقد رحلوا وأخذوا العالم معهم وهجروني"(٣). أي شروط الموقف الأخلاقيّ يُحدِّد هويَّتهما؛ حيث إنَّهما في الرّواية يُقرّران مُساعدة الآخرين، أو يرفضان مُساعدتهم من خلال مُشاركة الطَّعام أو الدّفاع عنه. فهذه العمليَّة المُستمرَّة في التَّموضع تُعيد إنتاج الهويَّة وفق علاقات تعاقديَّة مُتغيّرة، وليست وفق انتماء للتَّاريخ أو فعل حضاريّ. أي هويَّة الأب والابن ليست بنية كينونيَّة ثابتة، وإنَّما نتيجة لاستجابات تأويليَّة ديناميكيَّة.

الزمن والذاكرة الأخلاقية: تعطيل الخطّيّة وإعادة بناء الذات

إن (الشَسْمَه) في (فرانكشتاين في بغداد) يكشف عن تلاشي الحدود بين الخير والشَّرّ عندما ينتشر الضَّياع الأخلاقيّ، وانهيار المنظومة الإنسانيَّة، فهو ليس مُجرَّد وحش مُركَّب من أشلاء ضحايا إنما كائن يسعى إلى تحقيق العدالة للقتلى.

(١) أنظر: فريدريش هيجل، "فنومينولوجيا الروح". (ط١، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٦م).

(2) Stuart Hall, "Cultural Identity and Diaspora." (London: Routledg, ٢٠١٥): 392-403.

(٣) كورمارك مكارثي، "الطريق"، ٣١.

بالتَّالي شخصيَّة (الشسمه) عمليَّة مُعقَّدة ظهرت نتيجة العنف والدَّمار الَّذي يتداخل فيه الخير والشَّرّ، ليجعل الرّواية تُوحي بطرح سؤال ماهيَّة الخير والشَّرّ في زمن الكارثة؛ من خلال شخصيَّة (الشَسْمَه) الَّذي يحمل أرث هويَّة المجتمع العراقيّ في تلك الحقبة الزَّمنيَّة، الَّتي اشتهرت بتصاعد قانون الانتقام، وأصبح العنف لغة التَّواصل الوحيدة آنذاك. وبما أنَّ اللُّغة إحدى أهمّ مُحدِّدات الهويَّة البشريَّة، أبرزت البنية السَّرديَّة لرواية (فرانكشتاين في بغداد) أنَّ (الشَسْمَه) يحمل هويَّة مُتشظِّية لا تُؤمن إلَّا بلغة العنف.

(للشَسْمَه) دورٌ محوريٌّ في تطوُّر الأحداث السَّرديَّة من خلال حركته في ظلّ استمراريَّة حدوث الكارثة زمنيا؛ إذ يقول: " أنتم يا من تسمعون هذه التَّسجيلات الآن؛ إن لم تكن لديكم الشَّجاعة لمساعدتي في مُهمَّتي الجليلة، فحاولوا على الأقل، أن لا تقفوا في طريقي"(١)، في الطَّريق الَّذي يسلكه كُلّ يوم؛ من أجل محاولته للثَّأر للضحايا الَّذين قُتِلُوا ظلمًا في أعمال العنف. هنا تظهر هويَّة (الشَسْمَه) " مرغمة على الفعل وفق القوانين العامَّة الَّذي تسكنه، وأنَّ السَّارد أسير مُقدِّماته"(٢). نجد أنَّ ما تُضمره رسالة (الشَسْمَه) حركته وتنقله نتيجة لِمَا أحدثته الكارثة من أزمة إنسانيَّة في المجتمع، ولكنَّ التَّسجيل –ماوراء القص– الذي يُعلِّق على أحداث الرّواية يُخفي رغبة واضحة لديه بإعادة تموضع الهويَّة في زمن الكارثة، أي هو يعزل نفسه عن الأشخاص الَّذي يقفون في طريقه. بعبارة أخرى، (الشَسْمَه) لا ينتمي إليهم، وهذا التَّموضع للهويَّة جاء نتيجة الأزمة الإنسانيَّة الَّتي يُعاني منها

(١) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ٥

(٢) أمبرتو إيكو، "آليات الكتابة السردية". ترجمة سعيد بنكراد، (ط١، سوريا: دار حوار، ٢٠٠٩م)، ٩٢.

المجتمع العراقيّ في زمن الكارثة.

إنَّ حركة (الشَسْمَه) ليست مُجرَّد حدث سرديّ، بل وسيلة تعبير تكشف عن أزمة الهويَّة في حقبة زمنية تفتقر للقِيَم الإنسانيَّة؛ حيث نجده لا ينتقل بين أحياء (بغداد) فحسب، وإنَّما هذه الحركة تعكس الاضطراب الإنسانيّ في زمن الكارثة. بعد مقتل الشَّحَّاذين الأربعة على يد (الشَسْمَه)، تتساءل (فرج الدّلال) – إحدى شخصيَّات الرّواية – قائلة: "من الَّذي قتل هؤلاء الشَّحَّاذين المساكين. هل نزل عليهم قضاء الله وقدره وهم جلوس بهذه الهيئة"(١). أي ليست حركة بين أحياء حضريَّة ممزَّقة بسبب أعمال العنف، وإنَّما انتقال بين الخير والشَّرّ، بين البحث عن العدالة وممَّارسة الانتقام؛ السَّبب الَّذي يجعل هذه الحركة وجوديَّة مُستمرَّة غير ثابتة. يصبح " المكان الخرب يُحاكي أوَّلًا خراب أرواح المستولين على مقاديره، أي السُّلطة المنبثَّة في الحيز العام لذلك المكان. حين تريد أن تتعرَّف على مُجتمعٍ ما، فأحد معاييرك هو النَّظر إلى مكانه، مكانه هو صورته، صورة نفسه والتَّجسيد الحي لهويَّته، لرُؤيته إلى نفسه وإلى العالم، لكيفيَّة تدبير موقعه من العالم، وأخيرًا لدرجة رُقيّه أو انحطاطه"(٢)، يقول الرَّاوي: "إذ راحت صورته تتضخَّم، برغم أنَّها ليست صورة واحدة"(٣)؛ لأنَّ كُلّ طائفة ترميه إلى الطَّائفة الأخرى؛ الدَّافع الَّذي جعل "العميد: سرور مُحمَّد مجيد إلى الاعتقاد أنَّ الأميركيين هم من خلق هذا الكائن بالتَّحديد، خلق هذا (الفرانكشتاين)، وأطلقه في بغداد"(٤).

(١) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ٨٠.

(٢) سعد محمد رحيم، "المكان والهوية والاغتراب". الأديب العراقي، الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق، خريف ٢٠١٤م: ١٥٥–١٥٨.

(٣) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ٣٣٥.

(٤) المصدر السابق، ٣٣٥.

بينما رواية (الطَّريق) لا تتَّبعُ خطًّا زمنيًّا سرديًّا تقليديًّا يربط الماضي والحاضر والمستقبل. أي السَّرد لا يقوم على تسلسلٍ زمنيٍّ أو ترتيب لأحداث تاريخيَّة، وإنَّما يتَّكئ السَّرد على زمنٍ مُعطَّلٍ مُتشظِّي. وهذا ما جعل المرجعيَّة الَّتي تُؤسّس للهويَّة في الماضي غائبة تمامًا، والمستقبل محذوف من أفق التَّوقُّع داخل البنية السَّرديَّة، أمَّا الزَّمن المتاح في هذه الرّواية فهو الحاضر؛ ولكنَّه هشٌّ نفسيٌّ يتكرَّر في دوَّامةٍ من الخوف والجوع والتَّعب. أي الحاضر في رواية (الطَّريق) ليس إطارًا زمنيًّا يحتضن الأحداث، وإنَّما تموضع وجوديّ يكشف المعاناة والانتظار والسَّعي نحو النَّجاة والعيش. فكُلّ يومٍ في رواية (الطَّريق) لا يختلف عن سابقه؛ ممَّا جعل البنية السَّرديَّة تدور في عمليَّة تكراريَّة زمنيًّا؛ ومن ثمَّ يعيد السَّرد خلق المعنى من خلال التَّركيز على الوعي بالحاضر باعتباره جزءًا من السَّعي للعيش. هذا الخط الزَّمنيّ المُعطَّل يتقاطع مع مفهوم الزَّمن النَّفسيّ الَّذي طرحه (هنري برغسون) (Henri Berg)، والَّذي يقصد به أنَّ الزَّمن (la durée) بوصفه تجربة شعوريَّة داخليَّة مثل: الدُّوار، والتَّوتر، والانتظار، والخوف يختلف عن الزَّمن بوصفه فيزيائيًّا (الكرونوس) (Chronos).[١] أي البنية السَّرديَّة في رواية (الطَّريق) لا تقوم على المنطق الكرونولوجيّ التَّقليديّ. يقول الرَّاوي: " فهو لم يحتفظ بتقويم منذ سنوات. الحياة في هذا المكان لن تكون ممكنة في الشّتاء"[٢]، لا تعتمد على التَّقدُّم الخطِّيّ للحبكة، بل تبني المعنى من خلال التَّكرار الباطنيّ للتَّجربة كما يظهر في المشي، الاختباء، البحث عن الطَّعام، النَّوم، الاستيقاظ. وهذا التَّكرار ليس

(1) Henri Bergson, "Time and Free Will: An Essay on the Immediate Data of Consciousness." Translated by F. L. Pogson ،(\New York: Dover Publications٢٠٠١), 100–106.

(٢) كورمارك مكارثي، "الطريق"، ٦

عبثيًّا، بل أضفى طابعًا عميقًا لكُلّ فعلٍ يوميٍّ باعتباره ممَّارسة طقوسيَّة من أجل البقاء. وهذا ما يجعل المعنى المفقود في الزَّمن التَّاريخيّ يظهر من خلال الزَّمن الوجوديّ الأخلاقيّ من خلال أفعال الصَّبر، والعناية، والمحبَّة الَّتي تُؤسِّس لزمنٍ داخليٍّ لا يُقاس بالسَّاعات، بل بالكثافة الشُّعوريَّة والتَّعلُّق بالأمل. يقول الرَّاوي: "استيقظ قبل بزوغ الفجر ليشهد صباح يوم يتشكَّل ببطءٍ، ويتنازعه الضَّوء والعتمة"(١). يُوحي استيقاظ الأب إصراره على المشي نحو الجنوب، ومحاولة النَّجاة بأنَّ هذه الرّواية تتبنَّى رؤية تفاؤليَّة تأمليَّة على الرَّغم من سوداويتها، فأحلام الأب "غنيَّة جدًّا بالألوان" (٢). من خلال تأمُّلات الأب لجمال العالم الَّذي اندثر: الثَّلج، الضَّوء، البحر، والتَّركيز على جماليَّة الذَّاكرة؛ حيث يقول الأب لابنه: "تذكَّر فقط أنَّ الأشياء الَّتي تضعها في رأسك، ستبقى فيه للأبد"(٣). وهذا ما يجعل رواية (الطَّريق) تكشف بنية الهويَّة الإنسانيَّة من خلال زمنٍ نفسيٍّ روحيٍّ يقوم على استعادة الذَّاكرة والحنين من أجل الحفاظ، والاستمراريَّة لهويَّتهما الإنسانيَّة.

بعبارة أخرى، في زمن ما بعد الكارثة غياب السُّلطة لا يعني تحرُّر الفرد من القيد، بل يعني فقدان مرجعيَّة تُقنِّن الأفعال، وتُسبغ عليها معنى، ومن ثمَّ تتلاشى العلاقة التَّبادليَّة في تثبيت الهويَّة –كما في تصوُّر (هيغل) –(٤)؛ ولذا يصرُّ الأب في الرّواية على المُقاومة الأخلاقيَّة باعتبارها عمليَّة مُستمرَّة في تشكيل هويَّته؛ ولكن لا يوجد منظومة أخلاقيَّة تضمن قوانين عقابيَّة، وهذا ما يجعل الشَّرّ الَّذي

(١) المصدر السابق، ١٢

(٢) المصدر السابق، ٢٠

(٣) المصدر السابق ١٣

(4) Georg Wilhelm Friedrich Hegel, "Phenomenology of Spirit." Translated by A. V. Miller, (Oxford: Oxford University Press ,١٩٧٧), 111–119.

يُشكِّل الهويَّة ليست سمة للعدو ذاته في زمن ما بعد الكارثة؛ ولكنَّه نابع من الذَّات البشريَّة، ففي رواية (الطَّريق) الأب لا يرحم العجوز الَّذي طلب المساعدة مخاطبًا الابن: "ماضٍ إلى حتفه، لا نستطيع أنْ نشركه بما معنا، إنْ نفعل نمت معه"(١)، أي يقوم الأب بمـمَّارسة الشَّرّ باعتباره قيمة أخلاقيَّة وجوديَّة تشكِّل هويَّته. أي غياب الحدود الفاصلة بين الخير والشَّرّ في عالم ما بعد الكارثة يشكِّل الهويَّة الأخلاقيَّة في هذه الرّواية.

الفضاء والكارثة: المدينة الممزّقة والطريق المقفر

إن البنية السَّرديَّة لرواية (فرانكشتاين في بغداد) لا تُصوِّر الدَّمار والقتل فحسب. بل تجعل من تلك المشاهد الموجعة ركيزة أساسيَّة في البناء الدّرامي للعمليَّة السَّرديَّة؛ لأنَّ العمليَّة التَّخييليَّة للأدب ليست مُجرَّد نقل حرفيّ للواقع، وإنَّما عمليَّة تتجاوز الحدود؛ ممَّا يكشف الوظيفة للفعل التَّخييليّ الَّذي ينسلخ من تحديد الواقع(٢)؛ ولذا كانت الحركة والتَّنقل لأغراض مُختلفة: البحث عن العدالة، أو تحقيق الانتقام، أو الهروب من الموت ليست مُجرَّد عنصر في البنية السَّرديَّة، وإنَّما عمليَّة وجوديَّة تعكس عمق الأزمة الإنسانيَّة في زمن الكارثة الَّتي حلَّت في بغداد؛ من خلال طاقة تخييليَّة يصفها الرَّواي: "حدث الانفجار بعد دقيقتين من مغادرة باص (الكيا) الَّذي ركبت فيه العجوز (إيليشوا) أم دانيال ... سمعوا حشد أصوات بشريَّة مُتداخلة؛ صراخ غير واضح، ولغط ومُنبِّهات سيارات عديدة "(٣).

(١) كورمارك مكارثي، "الطريق"، ٤٨

(٢) إيزر، فولفغانغ، "التخييلي والخيالي من منظور الأنطروبولوجية الأدبية". ترجمة حميد لحميداني والجيلالي الكدية، (ط١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٨م)، ٩.

(٣) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ١١.

وهذا ما يُؤكِّده (فرانك كيرمود) (Frank Kermode) الَّذي يرى أنَّ السَّرديَّات الأدبيَّة غالبًا ما تصنع نهايات؛ لكي تُعطي معنًى للأحداث الفوضويَّة؛ ممَّا يجعل الأفراد يتكيَّفون مع الأزمة الإنسانيَّة والوجوديَّة للكارثة(١). كما أنَّ الحركة الخيط الَّذي يربط بين أحداث الرّواية، ورؤيتها الأدبيَّة باعتبارها تنتمي إلى أدب ما بعد الكارثة أو الخراب، فهذا الخيط الَّذي يجمع – أيضًا – عمق الأزمة الإنسانيَّة وتحوُّل الهويَّة. هذا التَّحوُّل الَّذي يطرأ على بنية الهويَّة العراقيَّة، ظهر من خلال شخصيَّات الرّواية وأحداثها الدّراميَّة.

وبذلك يصبح التَّنقل المكانيّ في زمن الكارثة يتضمَّن تحوُّلات في الهويَّة ذاتها، وهذه الهويَّة الَّتي تُعيد تشكيل ذاتها عندما تكون في مُواجهة الفوضى حيث " كُلّ شيءٍ انتهى، وظلّ يراقب العتمة الدَّاكنة تغطي المدينة كلّها"(٢)، وهذا ما كشفه تحوُّل (الشَسْمَه) من كائنٍ يسعى لتحقيق العدالة للضحايا الَّذين يتكوَّن جسمه من أشلائهم، إلى وحشٍ خارج عن السَّيطرة يسعى إلى القتل. بعبارة أخرى، هويَّة (الشَسْمَه) الَّتي تنقَّلت بين أحياء مُتعدِّدة لا سيَّما حي (البتاويين) الَّذي أصبح "عبارة عن خرابةٍ مُهدَّمة ... يُسمُّونها الخرابة اليهوديَّة"(٣)؛ ممَّا جعل هويَّة (الشَسْمَه) تتحوَّل عندما تغيَّرت الظُّروف في زمن الكارثة؛ ومن ثمَّ لم تُصنَّف في إطار ثابت في ظلّ الفوضى والصّراع. أي أصبحت هذه الهويَّة مُؤقَّتة غير مُكتملة؛ بسبب ارتباطها اللَّحظيّ بالوضع الرَّاهن، فهي لا تنتمي إلى الماضي الثَّابت المكتمل، وإنَّما تتطلَّع بحركة مُتغيِّرة ومُستمرَّة إلى الانتماء إلى المستقبل. العامل

(1) Kermode, Frank, "The Sense of an Ending: Studies in the Theory of Fiction with a New Epilogue." (Oxford: Oxford University Press، (٢٠٠٠: 67–93.

(٢) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ٩٧.

(٣) المصدر السابق، ١٨٧.

الَّذي يجعل هذه الحركة الزَّمنيَّة في الفضاء المكانيّ، الَّذي فَقَدَ منظومة القِيَم الإنسانيَّة يخلق أزمة في الهويَّة.

ومن هُنا أصبحت (بغداد) ليست مكانًا تدور فيه أحداث الرّواية، وإنَّما شخصيَّة سرديَّة تشهد أعمال العنف والفوضى؛ ممَّا جعل فضاء (بغداد) في هذه الرّواية سائلًا بلا قِيَم ثابتة. ويظهر ذلك بسبب طبيعة السَّرد الَّذي " يُمثِّل خطاب الذَّات إلى العالم، يقوم بوظيفة الوساطة الرَّمزيَّة، بمعنى أنَّه كفعلٍ رمزيٍّ يتوسَّط التَّجربة الزَّمانيَّة الإنسانيَّة"(١). أي في (بغداد) في زمن الكارثة تزول الحدود الفاصلة بين الخير والشَّرّ، فـ(الشَسْمَه) يقوم بأعمال الشَّرّ، ويدَّعي) الخير؛ ممَّا يجعل القارئ لا يستطيع تصنيفه أهو ضحيَّة أم قاتل؟ وهذا جاء نتيجة ما شهدته (بغداد) من أعمال عنف وقتل، وجعلها تفقد هويَّتها الأخلاقيَّة، والَّذي قاد إلى أزمة هويَّة جماعيَّة؛ بحيث السُّكَّان لا يشعرون بالانتماء، وقاموا باستبدال المرجعيَّات الأخلاقيَّة بمنطق البقاء العشوائيّ، وهذا ما ظهر في انتقال (محمود) الَّذي يعمل مُحرِّرًا صحفيًّا في صحيفة أسبوعيَّة في مدينة (العمارة)، لينتقل فجأة إلى (بغداد)، في الوقت الَّذي سُكَّانها يغادرونها نتيجة أعمال العنف؛ ممَّا جعل صديقه (حازم) يقول له: "ابقَ في مدينتك حتَّى تهدأ الأمور في العاصمة ثمَّ تعال"(٢)، ولكنَّه لم يبقَ في (العمارة)، وجاء ليعيش في فضاء (بغداد) (إعادة تموضع) وفق منطق البقاء العشوائيّ. أي لا يعلم ما سوف يحلُّ به في ظلّ تصاعد أعمال العنف والقتل؛ ممَّا يعني العيش في هذا الفضاء المكانيّ، وتحت تلك الظُّروف العصيبة، يجعل البقاء والانتماء إلى مكان ليس وفق منطلقات عقلانيَّة ولأهداف أخلاقيَّة، وهذا ما جعل

(١) محمد بو عزة، "سرديات ثقافية". (ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠١٤م)، ١٦.
(٢) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ٥٤.

(محمود) يُوسّع دائرة المتابعة والتَّعقيب بالتَّسجيل الَّذي أعطاه (هادي العتَّاك)، وجعله يقع في ورطة كبيرة لأزمةٍ وجوديَّة.

وظهرت أزمة الهويَّة الَّتي خلقتها الانتماء إلى المكان حي (البتاويين) عندما أعترف (محمود السَّوادي) لـ(هادي العتَّاك) قائلًا: "سأقول لك، أنا لا أعتقد أنَّ أصل عائلتي من العرب، ولا من المسلمين ... إنَّها مُشكلة، لسنا عربًا أصلاء"[١]، هذه الأزمة في الهويَّة والانتماء تكشف أنَّ الرّواية ليست عملًا أدبيًّا من أجل الإثارة، وإنَّما هي عمليَّة "بحث سرديٍّ مُتعدِّد المستويات في المشكلات الاجتماعيَّة والسّياسيَّة والدّينيَّة"[٢]؛ ولذا أزمة الهويَّة عند (محمود السَّوادي) ارتبطت بالعرق؛ إذ إنَّه ليس عربيًّا، ومن الفرقة الصَّابئة، ومن الطَّبقة الاجتماعيَّة المُتدنِّية؛ إذ يسكن في البتاويين، وعلى المستوى الاجتماعي والد (محمود السَّوادي) اخترع لقب "السَّوادي" بدلًا من الانتماء العشائريّ؛ ولذا سبَّب أزمة هويَّة لأبنائه؛ ممَّا جعل أُمّهم تقوم بإحراق المُذكَّرات الَّتي تركها والد (محمود)[٣]. ولكن في الرّواية يصرُّ (محمود) على التَّمسُّك بلقب (السَّوادي)؛ لأنَّه لا يستطيع أن يتصوَّر عالمًا يتوبيًّا في ظلّ الخراب الَّذي يحيط به، وأزمة الانتماء تكشفها البنية السَّرديَّة من خلال ذاكرة المكان (المقهى)[٤]، لكن هذه الأزمة في الانتماء وتشظِّي الهويَّة جعلت (محمود السَّوادي) في زمن الكارثة يعيش سيرورة مُستمرَّة لا مُتناهية وفقًا لتلك القيود الاجتماعيَّة، ونتيجة للصِّراعات وخيبات الآمال الَّتي يعيشها في زمن

(١) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"١٢٧–١٢٨.

(٢) عبدالله إبراهيم، "السرد، الاعتراف، الهوية". (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١١م)، ٨٩.

(٣) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ١٣٣

(٤) المصدر السابق، ١٢٨

الكارثة. أي أنَّه في حالة إعادة تموضع ديناميكيَّة، وهذا ما يجعل الهويَّة في زمن الكارثة: "شبكة من التَّعهدات والولاءات والوفاء والآمال والأحقاد الَّتي يحاول الجميع أنْ يتعامل معها في كُلّ استراتيجيَّات التَّوافق المُتغيِّرة باستمرار"(١).

إما في رواية (الطَّريق) تبرز ثنائيَّة الخير والشَّرّ عبر مشاهد سرديَّة تدور في فضاء مُوغل في الخراب والدَّمار؛ ممَّا جعل الابن يتساءل قائلًا: " أَمَا زلنا شخصين صالحين"(٢). إنَّ الفضاء المكانيّ ليس مسرحًا لأحداث الرّواية، وإنَّما رمز يعكس انهيار القِيَم الحضاريَّة، والمنظومة الأخلاقيَّة، وهذا الانهيار جعل الهويَّة ليست ثابتة. بل تتشكَّل في عمليَّة مُستمرَّة من خلال المواقف الأخلاقيَّة. في الرّواية يُشير الرَّاوي إلى وجود عصابات آكلة لحوم البشر، وهذه المُمارسة الشَّنيعة جعلت الرَّاوي يُوحي بإعطائهم هويَّة خاصَّة بهم، وتلك الهويَّة لم تكن لتظهر إلَّا بسبب محو الحدود الفاصلة بين الخير والشَّرّ. أي أفراد العصابات قبل حدوث الكارثة لم يكونوا من آكلي لحوم البشر، ولكن عندما حدثت الكارثة وما بعدها، ظهرت ممَّارسة الشَّرّ بسبب انحرافٍ في هويَّة الإنسان الَّذي فَقَدَ مجتمعه وإنسانيَّته. أي الهويَّة ليست مُعطًى مُسبقًا، بل كنشاطٍ مُستمرٍّ مرتبط بالسَّعي الأخلاقيّ للبقاء؛ لذلك يصرُّ الأب على حماية الابن؛ حيث يقول: " كنت تودُّ تعرف ماذا تشبه عصبة الأشرار، ها أنت ذا قد عرفت الآن، قد يحدث الأمر ثانية، إنَّ واجبي أن أعتني بك"(٣).

(١)فلوربان كولماس، "دليل السوسيولسانيات". ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، (ط١، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩م)، ٦٩١.

(٢) كورمارك مكارثي، "الطريق"، ٧٢.

(٣) كورمارك مكارثي، "الطريق"٧٢.

المبحث الثاني: الأخلاق الوجودية وتمثيلات الجسد في رواية ما بعد الكارثة

الجسد والعنف:

في رواية (فرانكشتاين في بغداد) ينهض (الشَسْمَه) من عالم الأموات ليعود إلى الحياة لتصوُّره البنية السَّرديَّة ليس كفعلٍ خارقٍ للعادة، وإنَّما حركة قادمة من الفناء؛ لتعيد تشكيل مفهوم العدالة في سياق عمليَّة سرديَّة تجعل (الشَسْمَه) في حركة مُستمرَّة ليس باعتباره كائنًا مسخًا يسعى للانتقام، وإنَّما رمزًا ديناميكيًّا يتطلَّع إلى إرساء العدالة الغائبة في زمن الكارثة. يقول: "سأقتصُّ بعون الله والسَّماء من كُلّ المجرمين، سأنجز العدالة على الأرض أخيرًا، ولن يكون هناك من حاجةٍ لانتظارٍ مُملّ ومُؤلم؛ لعدالة تأتي لاحقًا في السَّماء أو بعد الموت"[١]. هذه العدالة مُؤجَّلة مُعلَّقة في أفق المستقبل، فحركة (الشَسْمَه) تتجدَّد، ليس لأنَّ الحياة تعود إليها، وإنَّما بسبب زمن الكارثة لا يزال مُستمرًا؛ ممَّا يكشف أنَّ (الشَسْمَه) ليس تابعًا للحدث أو مُنفعلًا به، وإنَّما أصبح جزءًا ضروريًّا في بنية السَّرد[٢]، هذه الحركة: "محاولة الجمع بين المألوف واللامألوف، أو الحقيقيّ واللاحقيقيّ، والاستناد على التَّردُّد أو مبدأ الاحتماليّ لتقبُّل الأحداث، كلّ ذلك من شأنه أنْ يستفزَّ المتلقِّي، ويُثير سكون نظام البديهيَّات الطّبيعيَّة لديه"[٣]. وهذا ما يخلق أزمة وجوديَّة لانتماء الذَّات؛ ومن ثمَّ تصبح الهويَّة في رواية (فرانكشتاين في بغداد) مُتحرّكة ديناميكيَّة لا

(١) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ١٥٦–١٥٧.

(٢) حسن بحراوي، "بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م)، ٢١٠.

(٣) لؤي جميل علي، "العجائبي والسرد العربي، النظرية بين التلقي والنص". (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، سنة النشر غير مذكورة)، ٢١٤.

ترتبط بالماضي المتجذّر بالسَّرديَّات الكبرى[١]، وإنَّما تتطلَّع إلى السّياق المستقبليّ المفتوح على الاحتمالات المُتعدِّدة. أي البنية السَّرديَّة للرّواية تُساعد الحاضر على فهم الماضي، وتُقدِّم له منهجًا لتأويله[٢]. أي الهويَّة في رواية (فرانكشتاين في بغداد) تتشكَّل بالانتماء إلى العدالة الغائبة – حاليًا– ولكنَّها قد تظهر في المستقبل في تاريخ العراق المعاصر.

في سياق الكارثة والدَّمار، يتحرَّك (الشَسْمَه) بجسد يتشكَّل من أشلاء ضحايا العنف الَّتي تنتمي إلى الماضي، ولكنَّها لا تمنح (الشَسْمَه) اعترافًا حقيقيًّا بالهويَّة، فهو مسخٌ مُشوَّهٌ لا يعرف القارئ ماهيَّته وحقيقته الوجوديَّة. يقول الرَّاوي: "كيف ستكون هيئة هذا المجرم يا تُرى؟ فكّر العميد ... كيف سيكون هذا الرَّجل الَّذي تخترق الرّصاصات جسده فلا يموت، أو ينزف؟"[٣]. أي (الشَسْمَه) العجائبيّ لا يُشبه البشر؛ لأنَّه "لم يعد هناك سوى موضوع عجائبيّ واحد: الإنسان، لا إنسان الأديان، أو إنسان الرَّوحانيَّة، المنخرط في العالم حتَّى نصفه فقط، ولكن الإنسان المعطى – الطَّبيعة – والإنسان – المجتمع ... إنَّ الإنسان العادي هو بالتَّحديد الكائن العجائبيّ، ومن هنا يصير العجائبيّ القاعدة ليس

(١) مفهوم" السرديات الكبرى" طرحه الفيلسوف جان–فرانسوا ليوتار في كتابه (The Postmodern Condition) ليشير إلى المنظومة القصصية/التفسيرية الشمولية (اللغة، الفلسفة، التاريخ، الدين...ألخ) التي تمنح الأحداث المتفرقة معنى تاريخيًا كليًا؛ من أجل تبرير القيم والأخلاق وغيرها بوصفها "حقيقة".

(٢) أدوارد سعيد، "الثقافة والإمبريالية". ترجمة كمال أبو ديب، (ط١، بيروت: دار الآداب، ١٩٩٧م)، ١٦.

(٣) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ١٣٩

الاستثناء"[١]، أي الأشلاء الَّتي جمعها (هادي العتَّاك) وصنع منها (الشَسْمَه) تشير إلى طبيعة استلاب الهويَّة في زمن الكارثة، فهي لا تنتمي إلى الماضي في حين الحاضر يرفضها، ولكنَّها تتطلَّع إلى المستقبل؛ ممَّا يكشف أنَّ الهويَّة في زمن الكارثة مُضطربة وليست مُستقرَّة، فهي تسير بحركة دائمة، ولكنَّها عبثيَّة تخلق المزيد من التَّشوُّه والمزيد من العنف، وهذا ما ظهر في الرّواية عندما تحوَّل (الشَسْمَه) من الرَّغبة في تحقيق العدالة إلى الرَّغبة في الانتقام.

في (فرانكشتاين في بغداد) هويَّة (الشَسْمَه) لا تقتصر على كونها كيانًا مُركّبًا من أشلاء ضحايا القتل والعنف، بل يُمكن النَّظر إليها باعتبارها بنية لغويَّة مشحونة بخطابات أيديولوجيَّة مُتصارعة، برزت في تاريخ العراق المعاصر، الَّذي شهد انهيارًا للمنظومة الأخلاقيَّة الَّتي تضبط بنية الهويَّات. إنَّ (الشَسْمَه) ليس صوتًا فرديًّا، بل هو تعدُّد أصوات (polyphony) –كما يطرح (باختين)– هذه التَّعدُّديَّة جاءت نتيجة التَّركيبة الاجتماعيَّة والأيدولوجيَّة، يقول الرَّاوي: "في حي (الصَّدر) يقولون: إنَّه وهَّابيٌّ، وفي حي (الأعظميَّة) يقولون: إنَّه شيعيٌّ مُتطرِّف، والحكومة تراه عميلًا أجنبيًّا[٢]". أي هويَّة (الشَسْمَه) ليست مُستقرَّة، بل هي نتيجة لخطاب –كما يطرحه (فوكو) – تكون فيه الذَّات لا تسبق اللُّغة، بل تتكوَّن منها، وتُشكَّل وفق ما يُقال عنها ضمن أنظمة السُّلطة والمعنى[٣]. فـ(الشَسْمَه) لا يعرف نفسه، بل يعرف ما يُقال عنه، وما يُطلب منه فعله، فهو ليس كائنًا خارقًا، بل نتيجة

(١)تزفتيان تودوروف، "مدخل إلى الأدب العجائبي". ترجمة الصديق بوعلام، مراجعة محمد برادة، (ط١، القاهرة: دار شرقيات، ١٩٩٤م)، ١٥٥.

(٢) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ٣٣٥.

(٣) ميشال فوكو، "حفريات المعرفة". ترجمة سالم يفوت، (ط٢، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٧م)، ٤٤-٤٧.

سرديَّات أيدولوجيَّة مُتنافسة؛ ومن ثمَّ فإنَّ هويَّته ليست مُتشظِّية جسديًّا فحسب، بل مُتشظِّية لغويًّا وأيديولوجيًّا.

أما رواية (الطَّريق) تُصوِّر أنَّ تفكُّك البُنى الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة يقود إلى انحسار بنية الهويَّة الإنسانيَّة في البُعد المادِّي فقط؛ ممَّا يجعل الإنسان يفقد طبيعته الوجوديَّة. أي عندما يفقد الإنسان مرجعيَّاته التَّاريخيَّة والاجتماعيَّة يصبح الجسد يحمل ذاته في سياق عدميّ؛ لذا يقول الرَّواي: "لقد خطا خطوات عظيمة في طريق العدم"(١)، وهذا ما ركَّزت عليه هذه الرّواية في تصوير بنية الجسد الهزيل باعتباره رمزًا لبقايا الوجود، ويظهر عندما يصف الرَّاوي بأنَّ جسد الأب هزيلٌ يضعف مع تطوُّر الأحداث السَّرديَّة. كما يظهر الجسد بالوصف ذاته؛ ولكن برؤية وجوديَّة مغايرة، عندما يصف الرَّاوي آكلي لحوم البشر من خلال الحوار الَّذي دار بين الأب وزوجته الَّتي أقدمت على الانتحار؛ حيث تقول: "سوف يمسكون بنا إن عاجلًا أو آجلًا، وسوف يقتلوننا، سيغتصبوني ويغتصبونه، ثمَّ يقتلوننا، ثمَّ يأكلوننا"(٢)، فالجسد لديهم ليس مركزًا للذَّات، وإنَّما هو موضوعٌ للافتراس (وجبة غذائيَّة). غياب المرجعيَّات الَّتي تضبط البنية الأخلاقيَّة تجعل الهويَّة مُتشظِّية؛ ومن ثمَّ يُمكن استدعاء ما ذكره (جورجيو أغامبن) (Giorgio Agamben) عن ما يطلق عليه (الحياة العارية)(٣)، الَّذي يعتقد عندما تسقط القِيَم القانونيَّة والاجتماعيَّة لا يبقى إلَّا جسد الإنسان، وهذا ما ظهر في رواية (الطَّريق)؛ بالتَّالي أصبحت الهويَّة الإنسانيَّة في عالم ما بعد الكارثة على اندثار رمزيَّة الجسد باعتباره حاملًا

(١) كورمارك مكارثي، "الطريق"، ١٦.

(٢) المصدر السابق، ٥٣

(3) Giorgio Agamben, "Homo Sacer: Sovereign Power and Bare Life." (United States: Stanford University Press١٩٩٨م ،), 56.

للهويَّة، وهذا ما يقود إلى عدم الاستمراريَّة النَّفسيَّة والثَّقافيَّة. بل يجعل التَّركيز مُنصبًّا على البُعد المادِّي للجسد.

أخلاقيات البقاء وحدود الأمل

في رواية (فرانكشتاين في بغداد) تظهر شخصية (الشَسْمَه) مُتعدِّدة الأبعاد تُجسِّد حالة الهويَّة العراقيَّة الَّتي تعاني الانقسام الاجتماعيّ والوطنيّ في تلك المرحلة من تاريخ العراق. في البنية السَّرديَّة تتكوَّن أعضاء جسد (الشَسْمَه) من بقايا ضحايا الصِّراعات والقتل، فالذي قام بجمع أعضاء (الشسمه) هو هادي العتَّاك الذي يمتهن جمع الخردة والتجارة بها حيث يقول: " كنتُ أريد تسليمه إلى الطِّبّ العدليّ، فهذه جثة كاملة تركوها في الشَّوارع وعاملوها كنفاية. إنَّه بشرٌ يا ناس.. إنسان يا عالم. ليس جثة كاملة.. أنت عملتها جثة كاملة. أنا عملتها جثة كاملة حتَّى لا تتحوَّل إلى نفايات.. حتَّى تحترم مثل الأموات الآخرين، وتدفن يا عالم"[1]؛ وهنا يبرز التَّناص مع (فراكنشتاين) الشَّخصيَّة المحوريَّة الَّذي صنعه الطَّبيب في رواية (فرانكشتاين) لـ(ماري شيلي). يُمثّل (الشَسْمَه) الهويَّة العراقيَّة بوصفها كيانًا مُجزَّأً؛ بسبب ظروف تاريخيَّة، جعلت من الكارثة تحلُّ في المجتمع العراقيّ، وهذه التَّعدُّديَّة في بنية جسد (الشسمه) ترمز إلى تعدُّديَّة المجتمع العراقيّ نفسه، ولكنَّه عندما تحلُّ الكارثة تصبح هشَّة غير مُتماسكة، وليست ثابتة؛ ومن ثمَّ تسير نحو التَّحوُّل وعدم الاستقرار السَّلبيّ؛ الأمر الَّذي يجعل من (الشَسْمَه) شخصيَّة تنطلق من الرَّغبة في استعادة العدالة إلى الانزلاق في عبثيَّة كارثة القتل والتَّفجيرات؛ لتنشأ هويَّة تبحث عن الانتقام في سياق الخراب الَّذي كان مُؤثِّرًا في حركة التَّاريخ العراقيّ المعاصر.

(١) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"،٣٤.

في رواية (فرانكشتاين في بغداد) قام أحمد سعداويّ في بناء هويَّة مُتشظِّية (للشّسمه) في زمن تشتدُّ به أعمال العنف الَّتي لا تُفرِّق بين النَّاس، ولا تعري أيَّ اهتمامٍ للطَّبقات الاجتماعيَّة، أو الانتماءات العرقيَّة، أو الإيمان الدّينيّ. يقول الرَّاوي: "والله الحياة صارت صعبة.. ما نفع البيت إذا كانت الحياة صعبة.. خوف وموت وقلق.. المجرمين بالشَّوارع.. النَّاس عيونها تأكل واحدًا وهو يمشي.. حتَّى بالنَّوم كوابيس وكلساع نفز.. البلد صاير يا أم دنيه مثل هاي الخرابة اليهوديَّة اللي بصفك"(١). في الرّواية (الشَسْمَه) يتحرَّك بروح تنتمي إلى (مُحمَّد حسيب جعفر) (المسلم)، و(باسم دانيال) الَّذي منحته له العجوز الأثوريَّة الَّتي تعتنق المسيحيَّة، في حي (البتاوين) الَّذي تقطنه الجالية اليهوديَّة العراقيَّة في خمسينيَّات القرن العشرين، وأصبح مرتعًا للجريمة والانحراف، ومسرحًا لأعمال العنف والقتل. أي في ظلّ الأزمة الإنسانيَّة يتحرَّك (الشسمه) بهويَّة ممزَّقة مُتشظِّية، لا تعتمد على الماضي في انتمائها، ولا يحكمها الحاضر، وتسير نحو المستقبل المجهول؛ السَّبب جعل الرَّاوي يقول: " ظلَّت صورته تتضخَّم رغم أنَّها ليس صورة واحدة، ففي منطقة مثل حي (الصَّدر) كانوا يتحدَّثون عن كونه وهَّابيًّا، أمَّا في حي (الأعظميَّة) فإنَّ الرّوايات تُؤكِّد أنَّه مُتطرِّفٌ شيعيٌّ، الحكومة العراقيَّة تصفه بأنَّه عميلٌ لقوى خارجيَّة "(٢). (الشَسْمَه) الَّذي يتحرَّك بهويَّات مُختلفة، ويحاول الآخرون تأويله وربطه بهويَّات متباينة، يكشف أنَّه وُلِد من رحم أيدولوجيا الكارثة، الَّتي تبتعد ثمَّ

(١) المصدر السابق، ٢٤٥.

(٢) أحمد سعداوي،"فرانكشتاين في بغداد"، ٣٣٥.

تجعل القارئ يشعر بها[١]، اعتمادًا على عمليَّة حواريَّة يشترك بها المُؤلِّف والرَّاوي والشَّخصيَّات والقارئ. أي هويَّة (الشَسْمَه) الجماعيَّة ظهرت من اللُّغة السَّرديَّة الَّتي يصفها (باختين): "أنَّها صورة منظور اجتماعيّ، وصورة عيّنة أيدولوجيَّة اجتماعيَّة ملتحمة بخطابها وبلغتها"[٢].

في المقابل نجد رواية (الطَّريق) تصور رحلة الأمل عندما يقوم الأب برفقة ابنه إلى المشي وتجاوز مكانٍ قاحلٍ ورماديّ ممتد نحو الشاطئ عندما تنهار الحضارة البشريَّة ويخفت شعاع الأمل. أثناء العمليَّة السَّرديَّة للرّواية يُواجه الأب والابن شتاءً قارسًا. يقول السّارد: "عندما استيقظ في الغابة كان البرد وعتمة اللَّيل يلفَّانه. مدَّ يده ليتحسس الطّفل النَّائم بجانبه. اللَّيالي غارقة في ظلامٍ دامس، والأيَّام كُلٌّ منها أكثر رماديَّة وضبابيَّة من اليوم الَّذي سبقه"[٣]؛ ممَّا يجعل الأب يبحث عن بصيص أمل، ولكنَّ السَّارد يقول: "ولكن عبثًا كان يفعل"[٤]، وخلال رحلتهما يُواجهان تحدِّيات البقاء في زمن فَقَدَ أبسط مُقوِّمات الحياة، وانهارت منظومتها الأخلاقيَّة؛ لذا تحوَّل أغلب النَّاجين من الكارثة إلى مُجرمين، وآكلي لحوم البشر.

أما رواية (الطريق) تغيب بها الأسماء الشَّخصيَّة الأمر الذي يكشف عن إيمان (مكارثي) بانهيار النّظام الرَّمزيّ الَّذي يُشكِّل هويَّة الإنسان في المجتمعات البشريَّة

(١) جابر عصفور، "تيارات نقدية محدثة". (ط٢، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م)، ٣٨.

(٢) ميخائيل باختين، "الخطاب الروائي". ترجمة محمد برادة، (ط١، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)، ٢١٩.

(٣) كورماك مكارثي، "الطريق". ترجمة هيثم نشواتي ومعين الإمام، (ط٢، الرياض: العبيكان، ٢٠١٠م)، ٥.

(٤) المصدر السابق، ٥

المعاصرة. بعبارة أخرى غياب الهوية يعني غياب الأمل، والسعي نحو الأمل يشير – ضمنيا– إلى إعادة تموضع الذات وبناء الهوية، وهذا ما يجعل الرَّاوي يُشير إلى الأب والابن بصيغٍ مُحايدة (الرَّجل، والصَّبيّ)، وهذا التَّجريد الأنطولوجي المقصود يكشف أنَّ الوظيفة الأساسيَّة للذَّات البشريَّة هو المحافظة على البقاء. أي التَّركيز على بنية الهويَّة وليس على الانتماء المُؤسّسي الَّذي غالبًا ما يربط بتعريف وتأطير الهويَّة الإنسانيَّة. هذا التَّجريد لا يقتصر على شخصيتي الرّواية الرّئيسيتين، بل يشمل معظم الشَّخصيَّات الأخرى (كالرّجل العجوز، المارّون، اللُّصوص)، ممَّا يُضفي على العالم الرّوائيّ طابعًا رماديًّا غير مُؤطَّر أو مُحدَّد. أي في هذه الرّواية أُسقِطت جميع سمات الانتماء، والطَّبقة، والهويَّة القانونيَّة، وحتَّى التَّاريخ الشَّخصيّ. أي عندما يغيب المجتمع لا يبقى للاسم وظيفة.

أنَّ البنية السَّرديَّة لرواية (الطَّريق) استدعت تصوُّر (جاك لاكان) (Lacan Jacques) حول العلاقة بين اللُّغة والهويَّة، حيث يُشكِّل الاسم الخاص دخول الطّفل إلى النّظام الرَّمزيّ للُّغة(١)، وهو ما يمنحه مكانًا داخل البنية الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، وبالتَّالي إخفاء الاسم في رواية (الطَّريق) هو محوٌ للاعتراف الاجتماعيّ، وهذا ما يُشير إلى أنَّ الهويَّة تفقد أُسسها حين تنهار منظومات التَّمثيل الرَّمزيّ للُّغة. كما ترى الدّراسة أنَّ الذَّات في رواية (الطَّريق) تُعرف من خلال ما تفعله، لا عبر ما تُسمَّى به، وهذا يتقاطع مع ما طرحه (بول ريكور) (Paul Ricœur) في أنَّ الهويَّة ليست مُجرَّد تماثل (sameness)، بل هي القدرة على الاستمراريَّة في

(1) Jacques Lacan, "Écrits: A Selection." (United Kingdom: Taylor & Francis, ٢٠٢٠, 67.

الذَّاتيَّة الأخلاقيَّة (ipse-identity)، وهي الَّتي تُميِّز الفرد من خلال أفعاله والتزامه، حتَّى مع تغيُّر الظُّروف أو فقدان المرجعيَّات.[1] وهذا يظهر في رواية (الطَّريق) من خلال حذف أيّ انتماء للأب والابن، وهو ما يشبه عمليَّة تطهيريَّة للذَّات الإنسانيَّة، وجعلها تُركِّز على جوهرها وهو الفعل الأخلاقيّ فقط. وهذا يجعل الدّراسة تكشف أنَّ التَّركيز على الهويَّة الفرديَّة بوصفها كفاحًا يوميًّا من أجل الأمل بالبقاء الأخلاقيّ في غياب أي مرجعيَّة خارجيَّة، أي أنَّ الإنسان لا يُعرف إلَّا بأفعاله المُجرَّدة عن الهويَّة الاجتماعيَّة.

(1) Paul Ricoeur, "Oneself as Another." Translated by Kathleen Blamey ،(Chicago: University of Chicago Press,١٩٩٢م), 115-116.

الخاتمة:

كشفت الدّراسة أنَّ تمثيلات الهويَّة مُتعدِّدة ومُتحوِّلة في السِّياق الإنسانيّ في زمن ما بعد الكارثة، كما ظهر في روايَتَيْ: (فرانكشتاين في بغداد)؛ لأحمد سعداويّ، و(الطَّريق)؛ لكورماك مكارثي. وهذه الدّراسة طرحت فرضيَّة مفادها أنَّ رواية ما بعد الكارثة تُعيد مسألة مفهوم الهويَّة بوصفها بنية مُتغيّرة لا تستند إلى ماضٍ جوهريّ، بل إلى خيارات أخلاقيَّة أو جماعيَّة، تتشكَّل في لحظات الانكشاف الوجوديّ، وهذا ما كشفته الدّراسة عن تمثيلات الهويَّة الفرديَّة في رواية (الطَّريق)، الَّتي جاءت نتيجة الفعل الأخلاقيّ المُجرَّد والاستجابة للآخر، في حين صوَّرت رواية (فرانكشتاين في بغداد) هويَّة جماعيَّة مُتشظِّية، تنهض من رحم العنف والصّراع الأيدولوجيّ، وهو ما جعل الهويَّة تبرز بوصفها ردَّة فعلٍ على فوضى السَّرديَّات الأيدولوجيَّة وخراب المعنى.

جاءت أبرز نتائج هذه الدّراسة بوصفها:

أولًا: مُساهمة في توسيع أفق فهم مفهوم الهويَّة خارج النَّظرة التَّقليديَّة؛ المرتبطة بالانتماء الثَّابت التَّاريخيّ أو الحضاريّ، وظهر ذلك من خلال سبر أغوار كيفيَّة إعادة تشكيل الذَّات في ظلّ انهيار المنظومة الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة؛ ممَّا جعل الشَّخصيَّة الرّوائيَّة تُواجه شروطًا وجوديَّة تستدعي إعادة التَّموضع.

ثانيًا: وبناءً على ذلك فالهويَّة في رواية (فرانكشتاين في بغداد) ليست كيانًا ثابتًا تُعرف به الشَّخصيَّات، وإنَّما سيرورة ديناميكيَّة تتشكَّل وتتموضع في ظلّ انهيار المنظومة الأخلاقيَّة. ولكن تتَّجه الهويَّة الفرديَّة في رواية (الطَّريق) نحو أفق أخلاقيّ، عندما تنحسر السُّلطة والمُؤسَّسات القانونيَّة؛ ممَّا يجعل الهويَّة في زمن ما بعد الكارثة استجابة وجوديَّة لأفق أخلاقيّ.

ثالثًا: كما كشفت الدّراسة أنَّ الجسد في الرّوايتين يتحوَّل من كونه مركزًا للذَّات إلى فضاء صراع حول البقاء: ففي رواية (فرانكشتاين في بغداد) الجسد مُفكَّك، مُجزَّأ، ومُحمَّل بعبء ذاكرة الصّراع الأيدولوجيّ، في حين أنَّه في رواية (الطَّريق) الجسد هشٌّ، هزيلٌ، لكنَّه يُقاوم الانهيار، ويصبح آخر كيان للهويَّة.

رابعًا: أظهرت الدّراسة أنَّ الزَّمن في الرّوايتين مُتشظِّي: ففي (فرانكشتاين في بغداد) يتحرَّك الزَّمن في حلقة عبثيَّة مُكرَّرة بين الماضي الكارثيّ والحاضر المُضطرب، دون أفق للمستقبل، أمَّا رواية (الطَّريق) فقد رَكَّزت على الزَّمن النَّفسيّ في ظلّ غياب الزَّمن الخطِّي، لتصبح البنية السَّرديَّة تحمل تجربة روحيَّة للنَّجاة والصَّبر مُتكرّرة. وهذا ما أعاد تشكيل البنية السَّرديَّة للرّوايتين، إذ لم تعد الأحداث تقود إلى نهاية حتميَّة، بل أصبح كُلّ حدثٍ تجربة تأويليَّة للهويَّة في سياقها اللَّحظي.

هذه الدّراسة قامت بتوظيف مقاربة ثقافيَّة وجوديَّة لتحليل سرديَّات ما بعد الكارثة، بواسطة الجمع بين الأبعاد الفلسفيَّة (ريكور، ليفيناس، هيغل، فوكو)، والقراءات السَّرديَّة المقارنة؛ من أجل سبر أغوار تحوُّلات الهويَّة في النُّصوص السَّرديَّة الَّتي تكتب من حافَّة الانهيار. وعليه تُوصي الدّراسة بفتح المجال أمام دراساتٍ لاحقة؛ لاستكمال النّقاش حول تشكُّلات الهويَّة في فضاء ما بعد الكارثة، خصوصًا عبر النَّظر في تمثيلات هويَّة الآخر (المرأة، المهاجر، المخلوقات الأخرى)، كما تُوصي الدّراسة بإجراء دراساتٍ نقديَّةٍ بينيَّةٍ عن طريق توسيع المقارنة؛ لتشمل أجناسًا أدبيَّة أخرى، كالسّينما، أو الرّواية المُصوَّرة، أو النُّصوص الأدبيَّة الَّتي يساعد الذّكاء الاصطناعيّ في إنتاجها.

المصادر والمراجع:

سعداوي، أحمد. "فرانكشتاين في بغداد". (ط١، بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٣م).

سعيد، أدوارد. "الثقافة والإمبريالية". ترجمة كمال أبو ديب، (ط١، بيروت: دار الآداب، ١٩٩٧م).

إيكو، أمبرتو. "آليات الكتابة السردية". ترجمة سعيد بنكراد، (ط١، سوريا: دار حوار، ٢٠٠٩م).

فولفغانغ، إيزر. "التخييلي والخيالي من منظور الأنطروبولوجية الأدبية". ترجمة حميد لحميداني والجيلالي الكدية، (ط١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٨م).

تودوروف، تزفتيان. "مدخل إلى الأدب العجائبي". ترجمة الصديق بوعلام، مراجعة محمد برادة، (ط١، القاهرة: دار شرقيات، ١٩٩٤م).

كرستيفيا، جوليا. "علم النص". ترجمة فريد الزاهي، (ط٢، المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٩٧م).

بحراوي، حسن. "بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م).

محمد رحيم، سعد. "المكان والهوية والاغتراب". الأديب العراقي، الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق، (خريف ٢٠١٤م): ١٥٥–١٥٨.

محمد محمد فاروق، عبد التواب. "Apocalyptic and Post-apocalyptic Representations in Cormac McCarthy's The Road." مجلة كلية الآداب

جامعة الفيوم ١٥,٢، (٢٠٢٣م): ١٠٨٦-١١٢٤.

عبدالله إبراهيم، "السرد، الاعتراف، الهوية". (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١١م).

كولماس، فلوربان. "دليل السوسيولسانيات". ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، (ط١، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩م).

دوستويفسكي، فيودور. "الأخوة كارامازوف". ترجمة محمد فائز، (ط١، بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٩م).

مكارثي، كورماك. "الطريق". ترجمة هيثم نشواتي ومعين الإمام، (ط٢، الرياض: العبيكان، ٢٠١٠م).

جميل علي، لؤي. "العجائبي والسرد العربي: النظرية بين التلقي والنص". (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٤م).

بو عزة، محمد. "سرديات ثقافية". (ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠١٤م).

الجزار، محمد فكري. "العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي". (ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م).

باختين، ميخائيل. "الخطاب الروائي". ترجمة محمد برادة، (ط١، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م).

باختين، ميخائيل، أعمال فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية في العصر الوسيط وإبان عصر النهضة". ترجمة شكير نصر الدين، (ط١، بغداد: منشورات الجمل، ٢٠١٥م)، ٣٩١ ومابعدها.

فوكو، ميشال. "حفريات المعرفة". ترجمة سالم يفوت، (ط٢، بيروت: المركز الثقافي

العربي، ١٩٨٧م).

الأحمد، نهلة فيصل. "التفاعل النصي- التناصية: النظرية والمنهج". (ط١، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠م).

Agamben, Giorgio, "Homo Sacer: Sovereign Power and Bare Life." (United States: Stanford University Press,1998).

Alsaedi, Shaima Muzher Abid Alreda, "Dystopian Reality in Frankenstein in Baghdad a Novel by Ahmed Saadawi." Al-Adab Journal 13322-7(2020AD).

Bergson, Henri, "Time and Free Will: An Essay on the Immediate Data of Consciousness." Translated by F. L. Pogson, (New York: Dover Publications,2001).

Berger, James Andrew. "After the End: Representations of Post-Apocalypse. (University of Virginia, 1994).

Boukhalfa, Boutaina, "Sustaining Survival in a Post-Apocalyptic World: Cormac McCarthy's The Road." Dissertation ،Ministry of Higher Education ،(2017).

Claeys, Gregory. Dystopia: A natural history. Oxford University Press, (2016).

Georg Wilhelm Friedrich Hegel, "Phenomenology of Spirit." Translated by A. V. Miller ،(Oxford: Oxford University Press,1977).

Grossberg, Lawrence, Stuart Hall, and Paul Du Gay. "Questions of cultural identity." Identity and Cultural Studies: Is that all there is (1996): 87-107.

Hall, Stuart, "Cultural Identity and Diaspora." Colonial Discourse and Post-Colonial Theory ،(London: Routledge,2015): 392-403.

Kermode, Frank, "The Sense of an Ending: Studies in the Theory of Fiction with a New Epilogue." (Oxford: Oxford University Press,2000): 67-93.

Lacan, Jacques, "Écrits: A Selection." (United Kingdom: Taylor & Francis,2020).

Levinas, Emmanuel, "Totality and Infinity: An Essay on Exteriority." (Dordrecht: Springer Science & Business Media,1979)1: 178.

Paul, David, and G. Alan, "Neurotic Personalities, Unconscious Conflicts, and Repressed Emotions: A Positive Psychoanalytic Study of the Post-Apocalyptic Condition in Cormac McCarthy's

The Road."
Ricoeur, Paul. Time and Narrative. Translated by Kathleen McLaughlin and David Pellauer,) The University of Chicago Press, 1984) .
Ricoeur, Paul, "Oneself as Another." Translated by Kathleen Blamey, (Chicago: University of Chicago Press,1992).

Bibliography

Saʿdawi, Ahmad. "Frankenstein in Baghdad". (in Arabic). (1st ed., Beirut: Manshūrāt al-Jamal, 2013).

Saʿīd, Edward. "Culture and Imperialism". Trans. Kamāl Abū Dīb; (1st ed., Beirut: Dār al-Ādāb, 1997).

Eco, Umberto. "Techniques of Narrative Writing". Trans. Saʿīd Binkrād;.1(st ed., Syria: Dār Ḥiwār, 2009).

Iser, Wolfgang. "The Fictional and the Imaginary from the Perspective of Literary Anthropology". Trans. Ḥamīd Laḥmīdānī & al-Jīlālī al-Kudya. (1st ed., Casablanca: Maṭbaʿat al-Najāḥ al-Jadīda, 1998).

Todorov, Tzvetan. "Introduction to Fantastic Literature". Trans. al-Ṣiddīq Būʿalām; rev. Muḥammad Barāda; 1st ed., Cairo: Dār Sharqiyyāt, 1994).

Kristeva, Julia. "Textology". Trans. Farīd al-Zāhī. (2nd ed., Morocco: Dār Tūbqāl, 1997).

Baḥrāwī, Ḥasan. "The Structure of the Novelistic Form: Space, Time, Character", (in Arabic). (1st ed., Casablanca: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1990).

Raḥīm, Saʿd Muḥammad. "Place, Identity, and Alienation", (in Arabic). The Iraqi Writer, General Union of Writers and Authors in Iraq; (Fall 2014): 155–158.

ʿAbd al-Tawwāb, Muḥammad Muḥammad Fārūq. “Apocalyptic and Post-apocalyptic Representations in Cormac McCarthy’s The Road.” Journal of the Faculty of Arts, Fayoum University 15, iss. 2 (2023): 1086–1124.

Ibrāhīm, ʿAbdullāh. "Narration, Confession, Identity", (in Arabic). (1st ed., Beirut: al-Muʾassasa al-ʿArabiyya, 2011).

Coulmas, Florian. "Guide to Sociolinguistics". Trans. Khālid al-Ashhab & Mājidūlīn al-Nuhaybī. (1st ed., Beirut: Arab Organization for Translation, 2009).

Dostoevsky, Fyodor. "The Brothers Karamazov". Trans. Muḥammad Fāʾiz. (1st ed., Beirut: Dār al-Rāfidayn, 2019).

McCarthy, Cormac. "The Road". Trans. Haytham Nashwātī & Muʿīn al-Imām. (2nd ed., Riyadh: al-ʿUbaykān, 2010).

ʿAlī, Luʾayy Jamīl. "The Fantastic and Arabic Narrative: Theory Between Reception and Text", (in Arabic). (1st ed., Beirut: al-Dār al-ʿArabiyya, 2014).

Bū ʿAzza, Muḥammad. "Cultural Narratives", (in Arabic). (1st ed., Algeria: Manshūrāt al-Ikhtilāf, 2014).

al-Jazzār, Muḥammad Fikrī. "The Title and the Semiotics of Literary Communication", (in Arabic). (1st ed., Cairo: General Egyptian Book Organization, 1998).

Bākhtīn, Mikhail. "The Novelistic Discourse". Trans. Muḥammad Barāda. (1st ed., Cairo: Ruʾya, 2009).

Bākhtīn, Mikhail. "The Works of François Rabelais and Popular Culture in the Middle Ages and During the Renaissance". Trans. Shukayr Naṣr al-Dīn. (1st ed., Baghdad: Manshūrāt al-Jamal, 2015); pp. 391 ff.

Foucault, Michel. "The Archaeology of Knowledge". Trans. Sālim Yafūt. (2nd ed., Beirut: The Arab Cultural Center, 1987).

al-Aḥmad, Nahlah Faiṣal. "Textual Interaction – Intertextuality: Theory and Method", (in Arabic). (1st ed., Egypt: General Authority for Cultural Palaces, 2010).

الاستلزامُ الحواريّ في خِطاب السِّيرة الذاتية السُّعودية
دِراسة تداولية في سِير غازي القصيبي أنموذجًا

Conversational Implicature in Saudi Autobiographical Discourse: A Pragmatic Study of Ghazi Al-Qusaibi's Autobiography as a Case Study

د. مريم معيبد عبيد الرشيدي

الأستاذ المساعد بجامعة طيبة

البريد الإلكتروني: maraimmsa@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
15/09/2025		06/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-016		

المُسْتَخْلَصُ

اهتمت الدراسات التداولية بالأدب، ومن ذلك السير بنوعيها الذاتية وغير الذاتية (الغيرية)، فجاء هذا البحث الذي يتناول إشكالية رئيسة، هي معرفة طبيعة ظاهرة الاستلزام الحواريّ في سِير غازي القصيبي الجزئية الواردة في عيِّنة البحث، وتهدف الدراسة إلى الكشفِ عن ألفاظ التركيب والمعاني الصريحة في سِير القصيبي، وإظهار القوة الإنجازيّة للأساليب التركيبيّة في خطاب القصيبي، كذلك معرفة المعاني الضمنيّة في الاستلزام الحواريّ المتعلِّقة بالسياق، والإبانة عن الدلالات المضمرة وعلاقتها بالاستلزام الحواريّ وتأثيرها عليه، واعتمدت الدراسة المنهج التداولي؛ لتقديم وصف العيّنة، وتحليلها، وتناول ذلك من خلال البحث عن الألفاظ والأساليب التركيبية الصريحة والضمنية، في محورين هما: ألفاظ التراكيب والمعاني الصريحة، والقوة الإنجازية كذلك دراسة المعاني والدلالات الضمنيّة والمضمرة في سير القصيبي، من خلال محورين، هما: المعاني الضمنيّة في الاستلزام الحواري المتعلّقة بالسياق، والدلالات المضمرة والاستلزام الحواري.

وقد وصل البحث إلى عدد من النتائج، أهمها: ظهر للبحث أنَّ الحالة النفسيّة للمتكلّم تُؤدِّي إلى خرق متوّقع لقواعد الاستلزام الحواري، وقد ظهرت جليًّا في سير غازي القصيبي الجزئية، كذلك أثرَّت اللغة الشعريّة والأسلوب السَّاخر في صورة الاستلزام الحواري في سير غازي القصيبي الجزئية، بالإضافة إلى ما امتازت به الحوارات في سير غازي القصيبي بالتنوُّع ما بين الصريح والضمنيّ؛ نظرًا لكثرة موضوعات الحوارات، واختلاف ثقافات المتحاورين.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام الحواري، السيرة، غازي القصيبي، التداولية.

Abstract

Pragmatic studies have demonstrated a significant interest in literature, particularly in both autobiographies and biographies. This research therefore addresses a primary problem: understanding the nature of the phenomenon of conversational implicature in a selected sample from the partial autobiographies of Ghazi Al-Qusaibi.

This study aims to uncover the structural expressions and explicit meanings in the autobiographical works of Ghazi Al-Qusaibi; It also aims to highlight the performative power of structural stylistic devices in Al-Qusaibi's discourse, to uncover the implicit meanings in context-dependent conversational implicatures, and to elucidate the hidden significations, their connection to conversational implicature, and their influence on it. The research employs a pragmatic methodology to describe and analyze the corpus. This is achieved by examining explicit and implicit words and syntactic structures across two main themes: first, the words, explicit meanings, and illocutionary force of the structures; and second, the implicit and hidden meanings and significations in Al-Qusaibi's autobiographies. The second theme is further divided into two sub-sections: implicit meanings in conversational implicature as related to context, and hidden significations and conversational implicature.

The research arrives at several significant findings. It shows that the psychological state of the speaker can lead to a predictable violation of the rules of conversational implicature, a tendency that is evident in Al-Qusaibi's partial autobiographies. Furthermore, poetic language and a satirical style significantly influenced the form of conversational implicature in these works. The dialogues in Al-Qusaibi's autobiographies are also notably diverse, shifting between explicit and implicit forms due to the wide range of topics and the varying cultural backgrounds of the interlocutors.

Keywords: Conversational Implicature, Autobiography, Ghazi Al-Qusaibi, Pragmatics.

المقدمة

تحفل السير الذاتية الأدبيّة بالعديد من الأسرار والمواقف التي اعترضت الكاتب، ويرغب في نقلها إلى المتلّقي؛ فينجح بذلك بحسب ما يتصفُّ به الأديبُ من براعة تُسهم في إيصال ما يُريد، على أنَّ السيرة الذاتية هي سرد لأحداث واقعية بلغة أدبية.

إشكاليَّة الدِّراسة

تنطلقُ الدِّراسة من إشكالٍ رئيسٍ، وهو معرفة طبيعة ظاهرة الاستلزام الحواريّ في سِير غازي القصيبي الجزئية الواردة في عيِّنة البحث، وتشكُّل قواعد الاستلزام الحواري في السيرة.

تساؤلات الدِّراسة

يدور البحثُ حول مجموعة من التساؤلات التي تظهرُ معالجتُها في ثنايا الدِّراسة، وتتعلّق بظاهرة الاستلزام الحواريّ في سير غازي القصيبي الجزئية، أهمها: ما الألفاظ والأساليب التركيبيّة الصريحة والضمنيّة في سير القصيبي الجزئيّة، وكيف جاءت ألفاظ التراكيب والمعاني الصريحة في سير القصيبي؟ وما القوة الإنجازيّة للأساليب التركيبيّة، وأين تركزَّت المعاني الضمنيَّة في الاستلزام الحواري؟ وما هي الدلالات الضمنيّة والمضمرة في سير القصيبي الجزئيَّة؟

أهداف الدراسة

تنطلقُ الدِّراسة من مجموعة الأهداف في تناولها ظاهرة الاستلزام الحواريّ، تسعى الدِّراسة لتحقيقها، أهمُّها: الكشفُ عن ألفاظ التركيب والمعاني الصريحة في سِير القصيبي، وإظهار القوة الإنجازيّة للأساليب التركيبيّة في خطاب القصيبي، كذلك معرفة المعاني الضمنيّة في الاستلزام الحواريّ المتعلِّقة بالسياق، والإبانة عن الدلالات المضمرة وعلاقتها بالاستلزام الحواريّ وتأثيرها فيه.

طبيعة العيّنة

أتتْ عيّنة البحث في مجموعة من المؤلفات التي كتبها غازي القصيبي، وتُمثّل جزءًا من سيرتهِ الذاتيّة، وهي: (حياة في الإدارة، وسيرة شعريّة، بالإضافة إلى العودة سائحًا إلى كاليفورنيا، والوزير المرافق).

منهجيَّة البحث

انتهج البحثُ المنهج التداولي؛ لدراسة العيّنة، مُتخذًا الاستلزام الحواري عند پول غرايس آليةً لوصف وتحليل الظاهرة، بتطبيق قواعد الاستلزام الحواريّ الأربعة على مُجمل العيّنة للخروج بالنتائج المرْجوّة.

الدِّراسات التطبيقيّة السَّابقة

اتخذَّ أدبُ غازي القصيبي مكانةً كبيرة بين الباحثين والمهتمِّين بالأدب، فأحاطتْ به العديد من الدراسات التي تدرُس حياته ومؤلفاته، ولكن آثرَ البحثُ أنْ يختار تلك الدراسات المحكمّة التي درست سيرة غازي القصيبي، وأبرز الدراسات التي تماسَّتْ مع طبيعة موضوع هذا البحث–بحسب الاطلاع –:

- **التكوين الجمالي للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث: "حياة في الإدارة" لغازي القصيبي نموذجًا، منصور بن عبد العزيز المهوس، علامات في النقد، المجلد: (١٧)، ج (٦٥–٦٦)، (٢٠٠٨م).**

أتى تقسيم البحث في تمهيد وعدد من المحاور ونتائج خلُصت إليها الدِّراسة، ففي التمهيد قسَّم الباحث السيرة إلى قسمين: سيرة ذاتية، وسيرة غير ذاتية، ثُمَّ ذكرَ الفروق الدقيقة بين القسمين، بالإضافة إلى ما يمتازُ به كل قسم عن الآخر، وفي هيكل الدِّراسة ذكرَ البحثُ الجانب الفنيّ للسِيرة الذاتية السعودية، وأشار إلى المزايا الجماليّة في عدد من

السّير السعودية، ومن ضمنها سيرة (حياة في الإدارة) لغازي القصيبي، في حين ذكرَ – بشكل أوسع– إحدى المؤلفات التي تتحدَّث عن سيرة غازي القصيبي، وهو كتاب (حياة في الإدارة)، وفي المحور التالي جاء الحديث عن العتبات النصيَّة، مثل: (عتبة العنوان، والعتبة الأولى، والنص الموازي) مشيرًا إلى القيمة الصوتيّة والدلاليّة والتصويريّة في عتبة العنوان، إضافةً إلى بنية الصراع التي تُعدُّ من أبرز ملامح السيرة الذاتية الفنيّة، ثُمَّ جاءت الخاتمة بخلاصة ما توَّصل إليه الباحث من نتائج، كذلك قائمة بالفهارس الفنيّة.

- **الغزاة القصيبيّون الذات البروتيانية وإشكالية كتابة السيرة (الكاملة)، مبارك راشد الخالدي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، دورية الراوي، رقم العدد: (٢١)، (٢٠٠٩م).**

نُشرت المقالة الأدبية في دورية الراوي إحدى الدوريات الوطنية التي تهتمّ بالسرد العربي، وفيه تحدّث الباحث عن الجذور اللغوية لكلمة (البروتيانية) التي وُصفِتْ لشخصية غازي القصيبي، ثُمَّ استعرض إشكاليّة كتابة السيرة الكاملة لدى القصيبي؛ مع التركيز قبل الشروع في المعالجة إلى إيجاد الفروق بين السيرة الذاتية والسيرة الشعرية.

- **تمثيلات السرد السير ذاتي في خطاب غازي القصيبي الروائي: مقاربة تأويلية ثقافية، ضياء الدين عبدالله خميس، جامعة اليمامة، كرسي غازي القصيبي للدراسات التنموية والثقافية وجامعة الملك سعود، المجلد: (١)، (٢٠١٥م).**

جاء البحث في سبعة محاور، ففي المحور الأول تحدَّث الباحث عن مقدمة في السيرة الذاتيّة الروائية العربيّة، أما المحور الثاني فأتى في استفهام عمَّا كتبه غازي القصيبي هل هو سيرة ذاتية روائيّة أو غير ذلك، أمَّا المحور الثالث فقد عرض فيه الباحث رواية

(شقة الحرية) والإرهاصات الأوليّة لسِيرة غازي القصيبي الذاتية الروائية، وجاء المحور الرابع في الحديث عن رواية (العصفورية) مع تمثيلات الجنون الثقافية، كما أتى المحور الخامس عن المجاز الثقافي للأمة العربية في رواية (سلمى)، في حين تناول الباحث في المحور السادس رواية (سعادة السفير وكارزما الزعيم العربي الأوحد)، أمَّا المحور السابع فاختتمَ حديثه بعرضه لرواية (الزهايمر) الرواية الوصية وهي آخر رواية كتبها القصيبي؛ ونظرًا لقصرها سمَّاها القصيبي "بالأقصوصة"، وفي خاتمة البحث أشار الباحث إلى أنَّ هناك ملامح ظاهرة وأخرى مخبوءة سرديًّا لسيرة غازي القصيبي.

- **البناء الفني للسيرة الذاتية: كتاب (حياة في الإدارة) أنموذجًا، فرج سفران، جامعة الملك سعود، كرسي الأدب السعودي، العدد: (٣)، (٢٠١٦م).**

جاءت الدراسة في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة تتضمن النتائج، ففي التمهيد كان هناك تصوُّر عام من قبل الباحث حول السيرة الذاتية في الأدب العربي، وفي الفصل الأول ركزَّ الباحث حديثهُ على وضعية الراوي والمروي له، وقُسِّمَ إلى عدد من المباحث تحدَّث فيها عن أوضاع الراوي في النص السرديّ والمكانة التي يتخذُّها الراوي على المستوى السرديّ، وفي الفصل الثاني جاء تحت عنوان (رسم الشخصيَّات)، في حين كشف الفصلُ الثالث عن النظام الزمنيّ، وفي خاتمة الفصول كان الحديثُ عن الصيغة التي يحكي بها الكاتبُ عن حياتهِ وعرضهِ لأفكارهِ ومشاعرهِ، وفي خاتمة ما توَّصل إليه الباحثُ من نتائج أشارَ إلى أنَّ الراوي في كتاب (حياة في الإدارة) من نوعيّة الراوي العليم الذي يسيطرُ وُيهيمنُ عليهِ.

مباحث وموضوعات الدِّراسة

بحثتْ الدِّراسةُ الاستلزام الحواريّ في السيرة الذاتية دراسة في سِير غازي القصيبي،

ضمن تمهيدٍ ومبحثين، فشملَ التمهيدُ موضوعين: أولاً غازي القصيبي كاتبًا للسِيرة الذاتيّة، والآخر الاستلزام الحواريّ عند پول غرايس، ثُمَّ جاء المبحث الأول، بعنوان: الألفاظ والأساليب التركيبيّة الصريحة والضمنيّة، ضمن موضوعين، أحدهما: تناول ألفاظ التراكيب والمعاني الصريحة، والآخر: القوة الإنجازيّة للأساليب التركيبيّة، في حين جاء المبحث الثاني، بعنوان: المعاني والدلالات الضمنيّة والمضمرة في سِير القصيبي، وأتى ضمن موضوعين، أحدهما: المعاني الضمنيّة في الاستلزام الحواريّ المتعلِّقة بالسياق، والآخر: الدلالات المضمرة والاستلزام الحواريّ، ثُمَّ تلا ذلك خاتمة تضمَّنتْ فيها أبرز النتائج التي توَّصل إليها البحث.

التمهيد

تعدَّدت الفنون النثرية وتنوّعت، ومنها السيرة الذاتيّة ذات الطابع الأدبي التي يسردها الكاتب عن ذاته بأسلوب أدبي، وتحوي واقعه التاريخي؛ والسيرة الذاتيّة لأيّ كاتب يمتلك موهبةً أدبيّة يرى أنَّها قد مُزجت بالخيال الذي يُرضي ذائقة المتلّقي؛ وتكون سببًا في إقباله على هذا النوع من النثر الأدبي.

والسيرة في اللغة، تعني: "الطريقة، ويُقال: سار بهم سيرة حسنة، وسار الكلام والمثل في النَّاس، أي: شاع"(١)، في حين يُقصد بمصطلح السيرة من الناحية الأدبيّة ما يتعرّض له الكاتب من واقع حياته الفكريّة والوجدانيّة، إضافة إلى العقبات والصعوبات التي اعترضتهُ طوال حياتهِ إلى حين كتابتهِ لسيرته الأدبيَّة (٢).

ومن المفاهيمِ الشائعة للسيرة أنَّها: ترجمة تتعلّق بحياة شخصٍ ما، أو تدوين تاريخيّ لحياة شخص (٣)، كذلك عُرِّفتْ السيرة في الأدب الغربيّ، بأنَّها: "سردٌ استعاري نثْريّ يقوم به شخص واقعي عن وجودهِ الخاص، وذلك عندما يُركّز على حياتهِ الفردية، وعلى تاريخ شخصيّته بصفة خاصّة"(٤)، ولم تخرجْ المؤَّلفات التي أُلفت في السيرة الذاتية عن المصطلح السابق(٥)، وبصفة عامّة السيرة الذاتيّة عرض تاريخي لحياة الكاتب أو حياة

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، (د.ط، بيروت: دار أدر، د.ت)، مادة (س ي ر)

(٢) يُنظر: شعبان عبد الحكيم محمد، "السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)"، (ط١، عمّان: مؤسسة الوّراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م)، ١٣.

(٣) يُنظر: مجدي وهبة، وكامل المهندي، "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب"، (ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م)، ٢٠٥.

(٤) فيليب لوجون، "السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ"، ترجمة: عمر حلي، (د.ط، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م)، ٢٢.

(٥) يُنظر: إحسان عباس، "فنّ السيرة"، (ط٢، بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦م)، ١١٣. عبدالعزيز

الآخرين من أجل الوصول إلى الإمتاع القصصيّ الذي يَظهرُ في أسلوبه السرديّ[١].

في حين ميزّ النُّقاد بين نوعين من السير الذاتيّة[٢]: إحداهما، التي يَسردُ فيها الكاتب واقع حياتهِ بعد فترة زمنيّة؛ وسُمِّيَ هذا النوع بالسيرة الذاتيّة، والنوع الآخر: يسردُها الكاتب عن أشخاصٍ ذوي مكانةٍ معروفةٍ بين المتلّقين، ويُرّكزُ هذا النوع على الكشف عن الجوانب الإيجابيّة والسلبيّة لهؤلاء الأشخاص، ويُعرفُ هذا النوع بالسيرة الغيريّة.

أولًا: غازي القصيبي كاتبًا للسيرة الذاتية

ولد القصيبي في الأحساء عام (١٩٤٠م)، ونشأ في أسرة تمتهنُ التجارة، وتلّقى تعليمهُ في البحرين؛ انعكس ذلك عليه بالإيجاب؛ فعمل بالعديد من الأعمال ذات المجالات المتنوّعة، وقضى حياتهُ متنقلاً بين مدن المملكة العربية السعودية، فتنقّل ما بين الحجاز ونجد، أكسبهُ هذا التنقّل الاحتكاك بعدّة ثقافات عن طريق الحجّاج والزُّوار الذين يفدون إلى مكة المكرّمة والمدينة [٣].

امتاز غازي القصيبي عن غيرهِ من كُتّاب السيرة الذاتية، كونه يمتلكُ رصيدًا لغويًّا

شرف، "أدب السيرة الذاتية"، (د.ط، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٢م)، ٤٢.
عبد اللطيف الحديدي، "فنّ السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث"، (ط١، القاهرة: دار السعادة للطباعة، ١٩٩٦م)، ٦٧.

(١) يُنظر: أنيس المقدسي، "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة"، (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ٥٤٧.

(٢) يُنظر: هاني العمد، "دراسات في كتب التراجم والسير"، (ط١، عمّان: المؤَّسسة الصحفيّة الأدبية، ١٩٨١م)، ٨-٩.
فيليب لوجون، "أدب السيرة الذاتية في فرنسا "المفاهيم والتصورات"، ترجمة: ضحى شيحة، بغداد، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد: (٤)، (١٩٨٤م)، ٢٥.

٣) يُنظر: كمال عبد القادر، "حكاية اسمها غازي القصيبي"، (ط١، دبي: دار مدارك للنشر، ٢٠١١م)، ١٩.

ومعرفيًّا وثقافيًّا عاليًا؛ يرجع ذلك إلى قيمتهِ ككاتب، ومجال اختصاصهِ وطبيعة التجارب التي أوجدتْ لهُ طريقتهُ المتميزّة في كتابة سيرته على مستوى اللغة والأسلوب وطريقة التقديم؛ مِمَّا أثرَّ على صورتهِ الشخصيّة لدى القارئ.

ويُمكنُ للبحث تتبُّع مجموعة من سمات مادة السيرة الذاتيّة لدى غازي القصيبي؛ ولعلَّ أبرزها: اختيارهُ تجزئة سيرتهِ على عدّة مؤلفات بدلاً من كتابة سيرتهِ الذاتيّة في مؤلفٍ واحدٍ، ولا يُمكن تعليل السبب إلاَّ بالنظر إلى تكوين القصيبي الثقافي، والسياق التاريخي، والاجتماعي الذي جعله – حسب رأي البحث – إلى كتابة سيرتهِ بهذه الكيفيّة.

فكتب سيرتهُ في مؤلفهِ "حياة في الإدارة" ليُقدّم سيرتهُ الشخصيّة في الإدارة عندما شعر أنَّ موظفَ الدولة يحتاج إلى سيرة استرشاديّة لما ينبغي أن يكون عليه الموظف الحكومي، بعد أن عَمِلَ وزيرًا في الدولة[١]، ثُمَّ كتب "سيرتي الشعرية" عندما حاول المدافعة عن أسلوبهِ الحداثي في كتابة الشعر، ومواجهة التيار المحافظ الذي شكَّك في شعريّة ما يكتب وأصالتهِ؛ فكتب عن تكوينهِ الشعريّ والمناهل الأصيلة التي كوَّنت ملكتهُ الشعرية[٢]، ثُمَّ كتب "العودة سائحًا إلى كالفورنيا" ليُلّخص تجربتهُ مع الآخر بعد أنْ عَمِلَ فترة طويلة سفيرًا للسعودية، وقبلها طالبًا مبتعثًا[٣]، ثُمَّ ختمَ سيرهُ الجزئية بكتاب "الوزير المرافق" الذي دوَّن فيه تجربتهُ في العمل السياسي، ليجلي الكثير من اللغط حول

(١) يُنظر: غازي عبد الرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، (د.ط، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م).

(٢) يُنظر: غازي عبد الرحمن القصيبي، "سيرة شعرية"، (ط٣، جدة: تهامة للنشر والمكتبات، ١٤٢٤هـ).

(٣) يُنظر: غازي عبدالرحمن القصيبي، "العودة سائحًا إلى كاليفورنيا"، (ط٢، بيروت: دار الساقي، ١٩٩٧م).

طبيعة صناعة القرار السياسيّ السعودي [١].

كذلك من أبرز السّمات التي تميَّزت بها سير غازي القصيبي على مستوى الأسلوب هي اللغة الشعريّة، ويمكن تلمُّس اللغة الشعريّة في كثير من المواضع في ثنايا مؤلفاتهِ[٢]؛ والسبب في ذلك يعود إلى الخلفيّة الشعرية والأدبيّة المتجذِّرة في قلمِ القصيبي، فأثرَّت تجربتهُ الشعرية في أسلوبه بصورة واضحة في كتابتهِ لسيرتهِ الشخصيّة على مستوى الألفاظ والتراكيب المجازية، وقوة اللغة، وشاعريّتها التي سردَ بها المواقف والأحداث.

إجمالاً امتازت سير غازي القصيبي الجزئية باعتماد المنظور الشخصيّ حصرًا في نقل الحدث الذي يمرُّ بهِ[٣]، ولم يعتمدْ منظور الشخصيّات التي تقاطعَ معها في السير؛ هذه الميزة أتاحت لهُ القدرة على إبراز ذاتهِ بصورة دعمت شخصيتهُ القوية لدى القارئ.

مع العلم أنَّ القصيبي لم يكتب سيرته كاملة في كتابٍ واحد؛ والسبب يعود – حسب رأي البحث– إلى ذاكرتهِ "عندما بدأتُ أدنو من السنين، وبدأتُ أخشى أن تضعف الذاكرة وتبهت الألوان، رأيت أنَّ الوقت قد حان للكتابة عن سيرتي الإدارية، ظلَّ المحذوران اللذَّان أشار إليهما أبي في ذهني"[٤].

ومن المزايا التي اتضحَّت على مُجمل سير القصيبي محاولتهُ تصوير تجربتهِ ومواقفهُ

(١) يُنظر: غازي عبدالرحمن القصيبي، "الوزير المرافق"، (ط١،بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠م).

(٢) يُنظر على سبيل المثال من كتب غازي عبدالرحمن القصيبي: سيرة شعرية، والعودة سائحًا إلى كاليفورنيا.

(٣) يُنظر: مُحَمَّد جميل أحمد، غازي القصيبي.. والإبداع كحالة إنسانيّة، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، العدد: (٢٩)، (٢٠١٠م)، ٢٢.

(٤) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، (بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر،١٩٩٨م)، ٨.

الشخصيّة بصدق دون تكلّف أو مبالغة[١]، هذه الميزة سمحتْ لهُ بالحصول على جمهور أكبر من القرّاء على المستوى الشخصي، وأعطى سيرهُ الجزئية الشرعيّة لأن تكون مرجعًا للكثير من الكتب التي أرّخت لفترات زمنيّة معيّنة؛ نظرًا لأنَّ عددًا من المواقف الشخصيّة التي سردها كانت مع عدد من الشخصيّات العامّة والمشهورة[٢].

ثانيًا: الاستلزام الحواري عند غرايس

تُعدّ ظاهرة الاستلزام الحواري إحدى الظواهر المهمّة في التداولية، حيث قامت هذه الظاهرة على وجود افتراض مجموعة من القواعد التي يصدرها المتكلّم؛ وفق اعتبارات عقليّة تجعل من السُّلوك اللغوي فعلاً ناجحًا؛ أيضًا يُساعد الخروج المقصود عن تلك القواعد التي وضعها غرايس بظهور ما يُسمّى بالاستلزام الحواري[٣].

لقد انبثقت ظاهرة الاستلزام الحواري من الفلسفة التحليليّة؛ لما تحدثه الدراسات النفسيّة من إعانة المتكلم بأحوال المخاطبين، بالإضافة إلى معرفته بالظروف والأحوال المُلّمة بهم، وهي جزءٌ من الدراسات التداوليّة[٤].

يعود أصل هذه الظاهرة إلى غرايس، حيث تعدُّ محاضراته التي ألقاها في جامعة

(١) يُنظر: غازي عبدالرحمن القصيبي، "العودة سائحًا إلى كاليفورنيا"، ٦٢.

(٢) يُعدّ كتاب (الوزير المرافق) من الكتب التي تحكي المواقف التي حدثت مع المؤلف ورؤساء الدول وشخصيّات عامَّة.

(٣) يُنظر: حافظ إسماعيل علوي، التداوليّات: "علم استعمال اللغة"، (ط١،إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤م)، ٢١.

(٤) حركة فلسفية ظهرت إبان القرن العشرين، لها عدّة مسميات يطلق عليها: التحليل اللغوي، أو التحليل المنطقي؛ حيث تنبع منطقيًّا في الكلام، وذلك باعتبار اللغة هدفاً من أهداف البحث الفلسفي القائم على اكتشاف عناصر موضوع معين، من أجل غرض خاص، ويعدّ أبرز مفكريها: "لودفيغ فتجنشتاين، وفريجيه، وراسل". يُنظر: ناصر إبراهيم، "فلسفات التربية"، (ط٢، الأردن: دار وائل، ٢٠٠٤م)، ٢٨٧.

هارفارد سنة (١٩٦٧م) بعنوان: "المنطق والحوار" رافدًا أساسيًّا في نشأة الاستلزام الحواريّ، ومنها ميزَّ بين معنيين: أحدهما معنى صريح، والآخر معنى ضمنيّ، فمن – الضمني– تكوَّنت ظاهرة الاستلزام(١).

وظاهرة الاستلزام الحواري، هي: اتجاه المتكلم إلى خَلْق حوار مع المتلقي، يهدف إلى التواصل معه، ويُعدّ الاستلزام الحواري ظاهرة مهمّة بالنسبة للمتلقي، لما له من دور مهم في بيان مقاصد المتكلم التي يصدرها، وإيضاحها(٢).

كما تقوم ظاهرة الاستلزام الحواري على فكرة "أنَّ المخاطبين عندما يتحاوران إنَّما يقبلان ويتبّعان عددًا معيّنًا من القواعد الضمنيّة اللازمة؛ لاشتغال التواصل"(٣).

وأكدَّت الدراسات التداولية على أهمية معرفة المعاني الضمنيّة في الخطاب؛ لأنَّ أيَّ حديث عن المعنى الصريح والضمني لا يتحققّ إلاَّ بمعرفة مفهوميهما، وبناءً عليه عمَّق أوستن تأمله لظاهرة المعنى الضمنيّ عند فحصه مختلف الطرق التي تستلزم صحّة الإخبارات الأخرى، وذلك لأنَّها ربمّا تؤدي إلى إخفاقات في العملية التواصلية(٤)، مِمَّا سبق قسَّم غرايس المقاصد إلى ثلاثة أقسام(٥): القسم الأول يُعنى: بقصد المتكلم إبلاغ

(١) يُنظر: محمود أحمد نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م)، ٣٢-٣٣.

(٢) يقصد بمصطلح الاستلزام الحواري: أن ينقل المتكلم (حديثه) من دائرة المعاني الظاهرة، والصريحة إلى دائرة المعاني المضمرة؛ بحسب ما يقتضيها المقام. يُنظر: العياشي أدواردي، "الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة"، (ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ١٠٠.

(٣) فيليب بلانشيه، "التداولية من أوستن إلى غوفمان"، ترجمة: ابر الحباشة، (ط١،سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ٨٤.

(٤) يُنظر: المرجع سابق، ١٤٥.

(٥) حسّان الباهي، "الحوار ومنهجيّة التفكير النقدي"، (ط١،الدار البيضاء: إفريقيا الشرق،

المخاطَب مضمونًا دلاليًا محددًا، والقسم الثاني يتعرّف المتلقي من خلاله على القصد الأول (الظاهر) من المتكلم، في حين أنَّ القسم الثالث يهتمّ بغاية المتكلم التي تتمثّل ببلوغ المتلقي بتحقق القصد الأول، وتعرّفه على القصد الثاني.

كذلك هناك قسمان للحمولة الدلاليّة للمعنى عند غرايس، المعاني الصريحة، والمعاني الضمنية(١)

كما تقوم ظاهرة الاستلزام الحواريّ على عدد من المبادئ، التي أسهمت بصورة بارزة في تحقيق العمليّة التواصليّة بين المتكلّم والمتلقي، أهمها: مبدأ التعاون الذي يُعدّ أحد المقومات التي تقوم عليها التداوليّة، ويصف هذا المبدأ ما ينبغي للشيء أن يكون، لا ما هو كائن بالفعل في التفاعلات والحوارات الإنسانيّة(٢)، كما عُرِّف مبدأ التعاون بأنَّه: "على المتكلم أن يجعل في المحادثة بالقدر المطلوب في الوقت الملائم بما يقبل من غرض، أو اتجاه لتبادل الحديث المشغول به"(٣).

وبناءً على هذا المفهوم وضع غرايس القواعد الأربع لمبدأ التعاون: الكمّ، والكيف، والملاءمة، والكيفيّة(٤).

وبناءً على القواعد الأربع التي قام عليها مبدأ التعاونية أضاف التداوليّون مبدأ

٢٠٠٤م)، ١٢٨.

(١) يُنظر: مسعود حراوي، "التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية في التراث اللسانيّ العربي"، (ط١، الجزائر: دار الطليعة، ٢٠٠٥م)، ٣٦.

(٢) يُنظر: ليلى كادة، "المكون التداولي في النظرية اللسانيّة العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجًا"، أطروحة دكتوراة، جامعة الحاج لخضر، د.ت، ٩٧-٩٨.

(٣) جورج يول، "معرفة اللغة"، ترجمة: محمود فراج عبد الحافظ (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة، ١٩٩٥م)، ١٥١.

(٤) يُنظر: طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، (ط١،بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م)، ٢٣٨-٢٣٩، مسعود حراوي، مرجع سابق، ٣٣-٣٤.

التأدُّب ويتمثل في: عدم فرض آرائه على المتلقي، وإنَّما يُترك حرية الاختيار للمخاطَب، إلى جانب تعاطف المتكلم وإظهار تودُّده للمتلقين (١).

وفي الخروج عن إحدى قواعد التخاطب السابقة وكسرها رغبةً من المتكلم في تضمين خطابه معنى إضافياً غير المعنى الذي تُعبّر عنه كلماته، ورغبةً في حثّ المتلقي على إدراك المعنى الإضافي؛ ظهر ما سمَّاه غرايس بالاستلزام الحواريّ أو التخاطبيّ(٢).

إنَّ دراسة الاستلزام الحواريّ في السير الشخصية يُعدّ أحد أهم الدراسات التداوليّة الحديثة، يعود ذلك لطبيعة الجنس الأدبي (السيرة الشخصية) وفرادتِه، حيث تمتزج فيه الحوارات الخارجيّة والداخليّة في خطاب يقوم على الشفافيّة القصوى بين المتكلم والقارئ يتضح ذلك في ظهور العاطفة بين ثنايا تلك الحوارات.

ومع قيام فكرة الاستلزام الحواري في أساسها على أنَّ المتكلم والمخاطب يتبّعان أربع قواعد ضمنيّة تضمن تحقيق التواصل بينهما(٣)، فإنَّ الحوارات في السيرة الذاتية تراعي تلك القواعد في إطار من اللغة الصريحة والضمنيّة، التي تضمن قيام مبدأ التعاون –حيث يتعاون الطرفان– من هنا ينتُج الخطاب الذي يحتاج من الناقد إلى تأويل يتناسب مع التزام المتكلم بالقواعد الأربع للاستلزام الحواري وخرقها بصور متفاوتة وبطرق أدائية مختلفة.

جاءت سير القصيبي الجزئية في كتبه الأربعة –موضع الدراسة– مليئة بالحوارات التي مال فيها القصيبي إلى الإيجاز والشعرية، والقدرة على تقديم المعنى بعدد قليل من الألفاظ، مع تقديم حوارات تحمل مواقف مليئة بالتناقض والغرابة، ولقدرة القصيبي

(١) يُنظر: جورج يول، "التداولية"، ترجمة: قصي العتابي، (ط١،بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ٩٨-٩٩.

(٢) يُنظر: كاظم جاسم منصور العزاوي، التداولية في الفكر النقدي، "أطروحة دكتوراة"، جامعة بابل، العراق (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ٨٠.

(٣) يُنظر: عبد القادر البار، "الاستلزام الحواري وديناميكية التخاطب في مفهوم غرايس"، مجلة مقاليد ١٤، (٢٠١٨م)، ١٢٠.

اللغوية العالية فقد جاءت حواراته في مجملها مبنيّة على الفعل وردة الفعل، مع الوعي الكامل بالاختلاف بين المعنى المراد واللغة المنطوقة.

جاءت الحوارات التي ذُكِرتْ في سير القصيبي الجزئية في أصلها بين المتحاورين إمَّا باللغة العربية، أو الإنجليزية، أو الألمانيّة لذلك كان على القصيبي إعادة ترجمة تلك الحوارات في سيره الجزئية، ومحاولة تقديم إضاءات مُتسقّة مع طبيعة سياقات تلك الحوارات والخلفيّات الثقافيّة للمتحاورين؛ مِمَّا يُعدُّ مزيجًا فريدًا قلمّا يتّأتى في السير الشخصيّة، مع ذلك فإنَّ نسق تلك الحوارات لم يختلف كثيرًا على مستوى خرق قواعد الاستلزام الحواري، ولعلَّ ذلك يعود إلى استعمال القصيبي للأساليب اللغوية ذاتها في كلّ مرة، حيث حضور اللغة المكثّفة والشعريّة، ذات الدلالة الساخرة والغريبة أحيانًا.

إنَّ طبيعة الاستلزام الحواري داخل السير الجزئية يفرض على الباحث نمطًا معينًا من التأويلات تتناسب مع طبيعة موضوعات تلك الحوارات من جهة، ومن جهة أخرى قدرات المتكلم ومقاصده، وهذا الأمر يختلف من متكلم لآخر؛ إلاَّ أنَّه يظهر بصورة واضحة عند أولئك الكُتَّاب الذين يعتمدون لغة شعريّة، ومقدارًا من الأفكار والمواقف المختلفة وهذا ما تمثّل في سير القصيبي الجزئية.

المبحث الأول: الألفاظ والأساليب التركيبية الصريحة والضمنية في سير القصيبي

١–١ ألفاظ التراكيب والمعاني الصريحة

يمكن تتبُّع خرق قواعد التعاونية التي حدَّدها غرايس على مستوى الحمولة الدلالية للمعاني الصريحة في صيغتها القضوية[١]، وقد قسَّم غرايس تلك الحمولة الدلالية إلى قسمين: معانٍ صريحة، وتحوي: المحتوى القضوي، والقوة الإنجازية، بالإضافة إلى قسم آخر، يشمل المعاني الضمنية، ويحتوي على: المعاني العُرفية، والمعاني الحوارية[٢].

تظهر المفردات المكوّنة للتراكيب في النص، من خلال عدة مواضع داخل السير الجزئية للقصيبي، التي مثّلت ظاهرة حدَّدت أُطر الاستلزام الحواري في سيرهِ، فعند حديثهِ للقارئ عن مُحصّلة حياة الطفولة وتأثيرها على حياتهِ في الإدارة لاحقًا يقول: "أستطيع أن أقول إنَّ حصيلة السنوات الخمس الأولى من حياتي كانت وحدة مشوبة بالحزن، وطفولة تنمو تحت عين أبٍّ حازمٍ صارمٍ وفي كنف جدّة رؤوم حنون؛ هل تركتْ هذه الطفولة في عقلي الباطن ميراثًا رسم بسماته حياتي الإدارية! علم هذا عند ربي إنْ كان لي أن أحاول الإجابة فإنَّني أعتقد أنَّني نشأتُ وفي أعماقي إحساس كامن بأنَّ السُّلطة، بلا حزم، تؤدي إلى تسيّب خطر، وإنَّ الحزم، بلا رحمة، يؤدي إلى طغيان أشدّ خطورة"[٣].

---

(١) يُقصد بالعمل القضوي: الاتصال بالإحالة على مرجع من المراجع، أي تعدد الملفوظات لمعنى واحد، مع الحفاظ على ملفوظ خاص لكل أسلوب. يُنظر: القاضي، محمد وآخرون، "معجم السرديات"، (ط١، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م)، ٢٩٢–٢٩٣.

(٢) يُنظر: سليم حمدان، الاستلزام الحواري عند بول غرايس المفهوم والمقومات، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد٣:٢، (٢٠١٩م)، ٢٤–٢٥.

(٣) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، ١٢–١٣.

يُلحظ على النموذج السابق خرق واضح لمبدأ الكمّ الذي وضعهُ غرايس؛ حيث عبّر القصيبي عن حالته النفسيّة والبدنيّة عن نشأته الطفوليّة جملةً وتفصيلاً بحياة يشوبها الحزن واليأس في طفولتهِ (مشوبة، حزن، صارم)، فعبّر بكلمات أكثر من القدر المطلوب؛ ليجعل المتلقي في حالة من الاستعطاف إزاء صرامته في حياتهِ الإدارية لاحقًا، نتيجة الحرمان الذي عاناه.

ثُمَّ على مستوى آخر عبّر بعدد أكبر من الكلمات حول انعكاس حالتهِ النفسية على طريقة إدارتهِ، قام بتمثيلها في عدد من الكلمات التي تكرّرت أو تشابهت: "حزم، تسيّب، خطر، رحمة، طغيان، خطورة"، وردت في التركيب الذي مثَّل حكمته أثناء فترة عملهِ لاحقًا: "فإنَّني أعتقد أنَّني نشأتُ وفي أعماقي إحساس كامن بأنَّ السُّلطة، بلا حزم، تؤدي إلى تسيّب خطر، وإنَّ الحزم، بلا رحمة، يؤدي إلى طغيان أشدّ خطورة"[(١)].

فأدَّى ذلك الخرق في الكمّ بالزيادة إلى ظهور تعبير نفسيّ غير مباشر تجاه دور الوالدين في صُنْع شخصيّة الأبناء، والإشارة الضمنيّة إلى القارئ بضرورة الرفق والرحمة وملاطفتهم، وإشاعة السعادة في حياتهم.

أيضًا من النماذج التي جاءت في خرق مبدأ الكمّ استعمال أسلوب الإطناب الذي يُقصدُ به: غلبة الألفاظ الكثيرة على المعاني؛ لغرض تقوية هذه المعاني وتأكيدها[(٢)]، يحكي القصيبي موقفًا في سيرته حدث له مع موظف في وزارة الصحّة: "ابتسم مُوظف الصحّة وقال إنَّ علينا، في هذه الحالة، أن تبحث عن "حل". وكان الحلّ الجنيه الذي تركته على طاولته. بعد عودتي من الرحلة نفسها فوجئت بموظف في قسم الشرطة يطرق باب الشّقة ويخبرني أنَّ عليّ مراجعة القسم، يوميًا، لمدة شهر كامل

(١) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، ١٢-١٣.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن محمد السكَّاكي، "مفتاح العلوم"، تحقيق: محمد هنداوي، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠١١م)، ٣٨٨.

للتأكد من عدم إصابتي بمرض معدٍ"(١).

فعدد الألفاظ في التركيب جاء بقدر أكبر من المطلوب، فكان بإمكان القصيبي أن يكتفي بقوله: "ابتسم موظف الصحّة وقال إنَّ علينا، في هذه الحالة، أن نبحث عن "حل"، ولكن خرق مبدأ الكمّ بزيادة عدد الألفاظ، الذي أدَّى إلى إيضاح المعنى عند المتلقي من وجهة نظر الموظف، وبصورة غير مباشرة كان هدف هذا الخرق الإجمالي في مبدأ الكمّ بالزيادة في عدد الألفاظ التحذير من الوقوع في الإكراميّات والرشاوي اللتَّين هما وسيلتان من وسائل وطرق الفساد الذي يعوق الحركة العملية، فضلاً عن الهدر المالي بوضع هذه الأموال في غير محلّها، وهو بهذا الخرق في مبدأ الكمّ يُحذِّر المتلقي تحذيرًا ضمنيًّا من الاقتراب أو التفكير بهذه المفسدات، وتمتلئ سير القصيبي الجزئية بمثل هذه النماذج التي تُوَّضح إجمالًا أنَّ خرق قاعدة الكمّ بزيادة الكلام عن القدر المطلوب هي الظاهرة التي مثّلت المحتوى القضوي على مستوى المفردات داخل التراكيب في المعاني الصريحة في سير القصيبي الجزئية(٢)، وبذلك ظهر أنَّ غرايس أعطى المتكلّمين ومقاصدهم دورًا مهمًّا في إدراك المعنى، واستعماله من قبل المتكلم؛ كونه الأساس الذي يُعتمد عليه تقرير المعنى لغويًّا(٣)، وهذا ما ظهر في تأويل الخرق الذي حدث في سير القصيبي الجزئية.

ومن المبادئ التي يمكن دراستها أيضًا على مستوى خرق قواعد التعاونية للمعاني الصريحة داخل النص خرق مبدأ الكيف أو النوعية، الذي يهتمُّ بمدى ابتعاد المتكلّم عن

(١) القصيبي، "حياة في الإدارة"، ٢٢.

(٢) يتفاوت خرق القواعد الأربع بين حوار وآخر، ولا يُشترط أن تُخرق القواعد الأربع دفعة واحدة. يُنظر: سمية عامر، الاستلزام الحواري عند بول غرايس المفهوم والمقومات، "مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية"، المجلد ٢:٣، (٢٠١٩م)، ٣٢.

(٣) يُنظر: لاح إسماعيل، "نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس"، (ط١، القاهرة: دار قباء الحديثة،٢٠٠٧ م)، ٩.

الكلام غير المقنع، ووضوح ما يقولهُ[١]، مع افتقار الدليل لأغراض حوارية خرقًا للقاعدة في النص، التي تقوم على الشفافية والوضوح، وتستلزم الابتعاد عن الغموض، واللبس، والتزام الإيجاز، وتنظيم الأفكار[٢].

أيضًا من النماذج التي جاءت في السياق ذاتهِ ضمن خرق مبدأ الكيفيّة في كتاب "سيرة شعرية" عند حديثهِ عن النُقاد المحدثين: "ويندر اليوم أن نجد من النقاد المحدثين من يذكر شوقي أو حافظ بالخير، وفي هذا من التجنّي ما فيه، خصوصًا بالنسبة لشوقي الذي لا أزال أعتبره شاعرًا مبدعًا رغم أن جذوة إعجابي القديم به قد خبت"[٣].

فيظهر في النص السابق غياب ألفاظ الأعلام الممثّلين للنُقاد المحدثين والاكتفاء بألفاظ ذات دلالات تعميميّة (نُقاد، محدثين)، فجاء النموذج أقلّ موثوقية على مستوى الكيف من حيث مبدأ الإقناع، فيتحققّ هنا الاستلزام حينما خُرِقتْ إحدى القواعد الأربع، مع احترام المتكلم مبدأ التعاون[٤].

وفي سياق الحديث عن أفضليّة الشُّعراء، اكتفى المتكلم بذكر أحمد شوقي فقط، وجعلهُ دليلًا على صدق ما ذهب إليه مع تجاهل العلم الآخر "حافظ إبراهيم" من هذه التزكية، فأدَّى ذلك إلى تذبذبٍ واضحٍ على مستوى الإقناع في ذهن المتلقي، مع استعمال المتكلم لفظ (خصوصًا) عند حديثهِ عن أحمد شوقي فقط، دون إسناد فعل الإدهاش إلى الشاعر الآخر الذي ذكره بالاسم: حافظ إبراهيم.

(١) يُنظر: طه عبد الرحمن، "مرجع سابق"، ٣٣.

(٢) يُنظر: عمر بوقمرة، قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن –دراسة نقدية–، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، المجلد: ٥:٢، (٢٠٢١م)، ٤٥.

(٣) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "سيرة شعرية"، ٣١.

(٤) يُنظر: جميل حمداوي، "التداوليات بين النظرية والتطبيق"، (ط١، تطوان: دار الريف للطباعة والنشر، ٢٠١٩م)، ٤٨.

مع ذلك خُرِقَ مبدأ الكيف على مستوى آخر في النص عند حديثهِ عن محاسن الشعراء وبصفة خاصة أحمد شوقي باستعمال ألفاظ تدُّل على التعميم دون إفراد الأسباب فأضعف مبدأ الإقناع، وأورد التركيب (أعتبره شاعرًا مبدعًا) دون التعليل لذلك: "لقد بدأت قراءاتي الشعرية في حوالي الثانية عشرة، بشاعرين مفضليّن هما شوقي وحافظ...، خصوصًا بالنسبة لشوقي الذي لا أزال أعتبره شاعرًا مبدعًا"(١).

ويبدو النموذج في بدايتهِ قد خرق مبدأ الكيفيّة أو النوعية عند استعمال لفظ: (يندُر) للحكم على النُقاد أنَّهم لم ينصفوا شوقي أو حافظ إبراهيم، مع أنَّ القارئ عند تفحّصهِ لما قالهُ النقاد المحدثون عن شوقي يجد عكس ذلك إجمالًا.

إنَّ خرق مبدأ الكيفيّة في قواعد التعاونيّة –الذي يعني تجاهل المتكلم الكلام غير المقنع في النماذج السابقة– أوجدَ استلزامًا حواريًا فريدًا بين المتكلّم والمتلقي في النص السيريّ؛ فالمتلقي بين المتعاطف مع صاحب السيرة ومحاولة مسايرة وجهة نظرِهِ وتغييب المنطق، أوجد حالة شعورية عمّقت من تلك العلاقة وأوجدت فيها نوعًا من الجدلية التي ربطت ذهن المتلقي بالمتكلم وهذا جزء مهم مِمَّا أراده المتكلم من سرد سيرتهِ.

كذلك من قواعد خرق مبدأ التعاونية خرق الطريقة التي تعني مدى تقيّد المتكلم بترتيب الأفكار بالشكل المتعارف عليه، ومن النماذج التي يمكن إسنادها، الشاهد الآتي: "(والت ديزني) واحد من تلك القلة النادرة التي أثرَّت بموهبتها الحضارة الإنسانية كلها، لابُدَّ أنَّه مات وهو سعيد بعد أنْ نجحَ أكثر من أيّ إنسان قبله، في زرع ملايين البسمات على وجوه ملايين الأطفال. إنَّ له ركنا خاصا في قلبي"(٢).

يظهر خرق قاعدة الطريقة في عدة صور داخل النموذج؛ منها ظهور اختلاف في ترتيب الأفكار داخل التركيب، مثل: تقديم (والت ديزني) وتأخير العمل الذي قام به

(١) القصيبي، "المرجع السابق"، ٣١.

(٢) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "العودة سائحًا إلى كاليفورنيا"، ٢٠.

وهو زرع البسمة في وجوه الأطفال بافتتاح مدينة الألعاب، ويُمكن تأويل هذا الخرق بتداعي معانٍ صريحة تدُّل على أهمية هذا الرجل في حياة الناس والأثر الإنساني العميق الذي شكّله مشروع مدينة الألعاب التي قام ببنائها.

كذلك آثر سارد السيرة أن يبدأ من العام ثُمَّ يعود إلى الخاص، ثُمَّ انتقل إلى العام مرة أخرى... مع إقحام تعليق شخصي في التركيب "لهُ ركن خاص في قلبي" هذا الترتيب غير المنطقي أدى لبعض الغموض أو الزيادة، التي منحتْ المتلقي مفهومًا جديدًا للقيمة التي يمكن أن تقدمها تلك السمات التي منحها القصيبي لوالت ديزني (الموهبة، زرع ملايين البسمات، ركن خاص في قلبي).

يمكن تتبُّع خرق قاعدة الطريقة في مواضع كثيرة داخل السير الجزئية التي كتبها القصيبي؛ منها حديثه عن شاعرين أثّرا فيهِ في بداية حياته الشعرية: "والتقيت في بداية طريقي الشعري بشاعرين كان شقيقي نبيل –رحمه الله– يعتبرهما أعظم شعراء القرن العشرين العرب هما أبو القاسم الشابي والأخطل الصغير، لقد تأثرت كثيرًا، كما تأثرت أجيال متوالية من الشعراء الشباب العرب، بقصيدة الشابي المشهورة الجميلة "صلوات في هيكل الحب"[(١)].

في النموذج السابق من المفترض أن يكون القصيبي واضحًا ومباشرًا في تقديم المعلومات ضمن التركيب اللغوي، إلاَّ أنَّه وبصورة غير مفهومة أضاف "صلوات في هيكل الحُبّ" التي كتبها الشابيّ متجاهلًا الأخطل، بعد أنْ ذكر أبو القاسم الشابي والأخطل وعدّهما شاعرين مجيدين.

تعمَّد القصيبي مرارًا خرق القاعدة وفق مستويات متعدِّدة ففي حديثه عن رسالة الماجستير، لم يُرتِّب الأفكار بصورة منطقيّة، بل قدّم وقت فراغه من كتابة الرسالة عن الوقت الذي مكثه وهو يكتب الرسالة: "ولقد استغرق إعداد الرسالة ضعف الوقت

(١) غازي عبد الرحمن القصيبي، "سيرة شعرية"، ٣١.

المخصص في العادة لرسائل الماجستير وتطلب قراءات واسعة في نظريات القوة، قديمها وحديثها، حتى إذا ما انتهيت من كتابة الرسالة كنت تلميذًا مخلصًا من أتباع مورجنثاو مؤمنًا إيمانً قاطعًا أن القوة وحدها هي المفتاح السحري الذي يمكننا من فهم السياسة، سواء على المستوى النظري أو على مستوى الممارسة الفعلية"(١).

ولعلَّ هذا الخرق أدَّى بصورة غير متوقعة إلى تسليط الضوء على أهمية كتابة رسائل الماجستير والقيمة التي تقدُّمها تلك الكتابات إلى صاحبها.

وفي مستوى آخر جاء خرق مبدأ المناسبة –الذي يعني مدى تقيُّد المتكلّم بالسياق والموضوع– متواترًا في سير غازي القصيبي؛ والأمر يعود إلى طبيعة القلم الساخر الذي يمتلكه القصيبي(٢)، الذي أثرَّ على طريقة تناوله وعرضه لحكاية حصوله على درجة الماجستير.

ويمكن تتبُّع خرق القاعدة الرابعة بتحليل تسلسل الأفكار وخروجها مرارًا عن السياق، من خلال الاستطراد حول شهادة الميلاد والوفاة في حياة الإنسان ودورها في تحديد وجودهِ من عدمهِ في هذه الحياة، وهذا لا يتناسب مع سياق الحديث عن فنّ الإدارة، إلاَّ أنَّ هذا الخرق في الطريقة أدَّى إلى إعمال المتلّقي فكرهُ حول ماهية الوجود ودور الإدارة الناجحة في حياة الإنسان ودقتّها ومدى شمّوليتها وتنظيمها.

وفي المثال الثاني يُقحم القصيبي رغبتهُ في الزواج بحلّ مشاكل الشرق الأوسط: "يا فخامة الرئيس، لدي اقتراح لحلّ مشكلة الشرق الأوسط لم يجربه أحد من قبل. –ما هو؟ –اسمح لي بأن أتزوج فتاة أمريكية يهودية، وفتاة أمريكيّة مسيحيّة، وبهذا سيحدث

(١) غازي عبد الرحمن القصيبي، "سيرة شعرية"، ٦٩–٧٠.

(٢) أسماء محمد سعد بن الحِ، اللغة الساخرة ووظائفها في روايات غازي القصيبي، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر ٢١، (٢٠١٧م)، ٤٩٩٥.

تفاهم يؤدي بمرور الأيام إلى إحلال الوئام في المنطقة"[١].

الخروج عن القاعدة سابقًا أدَّى إلى تقديم جُملة من التأويلات تعود في مجملها على المتلّقي بالسخرية من نفسه؛ لانشغاله المتواصل بحلّ مشاكل الشرق الأوسط مع صعوبة ذلك.

خرق القواعد الأربعة التي حدَّدها غرايس على مستوى الحمولات الدلاليّة في المعاني الصريحة في مجملهِ يُعبّر عن رغبة القصيبي في إضفاء شيء من القُرب بينه وبين المتلّقي، وتقريب وجهات النظر قدر الإمكان، من خلال طرح تلك المعاني الصريحة في قالب من السخرية أو الغموض الذي يهدف إلى خَلْق مزيد من التأويلات والتشويق لدى المتلّقي.

١–٢ القوة الإنجازية للأساليب التركيبية

في الجانب الثاني من دراسة المعاني الصريحة والضمنيّة في السير الجزئية لغازي القصيبي، الذي يتضمّن القوة الإنجازية للأساليب التركيبية المتضمّنة الاستلزام الحواري بين المتكلّم والمتلّقي تواتر مجموعة منها، مثلَّت ظاهرة بارزة في كل السير التي كتبها القصيبي، كون الاستلزام الحواري دُرِسَ ضمن إطار الأفعال اللغويّة عند غرايس[٢].

عطفًا على ذلك تبحث الدراسة تلك الظواهر ضمن الأساليب التي شكلّت الاستلزام الحواري في عيّنة البحث، وهي: الاستفهام، والمبالغة، والتعجُّب؛ وهذا لا يعني اقتصار سير القصيبي على تلك الأساليب؛ إلاَّ أنَّه وبسبب ميل القصيبي إلى الوضوح في التعبير عن الأفكار، والجرأة في تناول الكثير من المواقف التي تعرَّض لها، وميلهُ إلى أسلوب ساخر في طرح القضايا المجتمعية في ثنايا سيرهِ حَتَمَ عليهِ استعمال المبالغة

(١) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "الوزير المرافق"، ٢٥.

(٢) يُنظر: جميل حمداوي، "مرجع سابق"، ٥٠.

والتعجُّب والاستفهام في كلّ مرةٍ حاول الاقتراب فيها من المتلقي، ومع هذا ظهرت بعض الأساليب التركيبية الحوارية الأخرى في سيره، مثل: النفي، والتمّني، والترَّجي، والنهي، والأمر...إلخ، إلاَّ أنَّها لم تكن مؤثرة بصورة كبيرة.

ففي جانب التعجُّب واصل القصيبي سردَ الكثير من المواقف إلى القارئ في قالب حاورَ فيه عقل المتلقي بأسلوب شيّق، يمكن تناول نموذج بارز على ذلك عند حديثِهِ عن تقديمه برنامجًا تلفازيًّا: "حسنًا! قدّمت برنامجًا تلفزيونيًّا. ونمت. وصحوت. فوجدت كل من ألقاه في الشارع يعرفني"(١).

يُلحظُ خرق قاعدة الكمّ بتقديم المتكلّم أسلوبًا تركيبيًّا لم يُوافق القدر المطلوب من الكلمات للدلالة على المعاني، ففي الجزء الأول تحدّث عن تقديمِهِ برنامجًا تلفازيًّا (قدّمت برنامجًا تلفزيونيًّا) دون أن يُعلم القارئ عن عنوان البرنامج، أو تاريخ تقديمِهِ، أو مكانِهِ، أو المجال الذي يختصُّ بهِ البرنامج! مع أنَّه أخبرَ القارئ في الجزء الثاني أنَّ هذا البرنامج قد غيّر مسار حياته (فوجدتُ كل من ألقاه في الشارع يعرفني) فمقدار الكلمات في التركيب لا يتوازى مع ضخامة الحدث، كذلك أثرَّ هذا الخرق في بناء أسلوب التعجُّب مِمَّا كان له تأثيرٌ مباشر على أفق التأويل لدى المتلّقي، الذي وصل إلى نتيجة مفادها براعة القصيبي في تقديم البرامج التلفازيّة.

هذا الاندهاش للقارئ تكرّر مرارًا مع خرق قاعدة الكمّ، ومن هذه النماذج: "ومع هذا فموظفيّ الهجرة يخشون أن يسمحوا بدخول زائر "شرعي" إلاَّ بهذه الشروط المشدَّدة، فتأمل! ذات يوم وأنا أملأ "استمارة" للحصول على تأشيرة أمريكية وجدت خانة تسأل عن الوزن فرفضت أن أملأها.. من حيث المبدأ"(٢).

خُرقتْ قاعدة الكمّ التي تهتمُّ بمقدار الكلمات من حيث الزيادة والنُقصان، مع

(١) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، ٦٧.

(٢) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "العودة سائحًا إلى كاليفورنيا"، ١٠.

اشتراطها إسهام المتكلّم بقدر من المعلومات تساوي المطلوب، بالإضافة إلى عدم إسهامهِ بمعلومات تفوق القدر المطلوب[١]، ففي النموذج السابق جاء الكلام أكثر من القدر المطلوب، كون القصيبي أخبرَ المتلّقي عن وجود خانة للوزن في استمارة الهجرة رفض أنْ يملأها هذا هو القدر المطلوب من الكلام للدلالة على المعنى، إلاَّ أنَّ القصيبي أضاف تركيبًا خرقَ به قاعدة الكمّ (ومع هذا فموظفو الهجرة يخشون أن يسمحوا بدخول زائر "شرعي" إلاَّ بهذه الشروط المشدَّدة، فتأمل!)؛ أدَّى هذا الخرق إلى تأويل جديد من قبل المتلّقي وهو سوء مُعاملة موظفي الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكيّة للأجانب، حتى لو كانوا شرعيّين؛ بسبب خلل في التركيبة الثقافيّة لهذا البلد، التي تقوم على التعزيز المبالغ فيه للقوميّة، وتأجيج المشاكل العرقيّة –كما ظنَّ القصيبي– مع أنَّ طلب معرفة الوزن في ظاهر الأمر لا يدلّ على ذلك.

كذلك يُمكن تناول القوة الإنجازية للأساليب التركيبيّة على مستوى أساليب الاستفهام في الاستلزام الحواري، الذي ظهر فيه خرق قاعدة الكيف التي تعتمد على ابتعاد المتكلّم عن تلك التراكيب التي تتضمّن كلامًا غير مقنع؛ ففي حديث القصيبي عن إحدى تشكّيلات الوزارة في السعودية: "هل يستغرب أحد، والحالة هذه، أن يصبح اسم الوزارة الجديدة في الشارع السعودي "حكومة الدكاترة؟". ذكرت صحيفة أجنبيّة وقتها، أن مجلس الوزراء السعودي في تشكيلته الجديدة من أكثر مجالس الوزراء في العالم ثقافة ومن أصغرها سنًّا. إذا كان هناك من الوزراء من يعتقد أنَّه تولّى الوزارة بفضل ذكاء طبيعيّ خارق، أو موهبة فطرية ذاتية، أو نفوذ سياسي، أو صلات عائلية، فها أنذاك أقول، بصراحة، إنَّ الظروف وحدها هي التي وضعتني على المقعد المليء بالأشواك"[٢]، استعمل القصبي في مُجمل حوارهِ مع المتلّقي أسلوب الاستفهام حول أحقيّة تسمية

(١) يُنظر: طه عبد الرحمن، "مرجع سابق"، ٣٤.

(٢) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، ١٢٤.

مجلس الوزراء بـ "حكومة الدكاترة" إلاَّ أنَّه وفي الوقت ذاتهِ يُنبّه على أنَّ حصول أحد هؤلاء الدكاترة على مقعد وزير لم يكن فقط بسبب ذكائهِ أو موهبتهِ أو نفوذهِ السياسي، بل إنَّه بصورة عامة جاء بسبب الظروف عطفًا على تجربته الشخصيّة... وبناءً على كون الاقتضاء التخاطبّي في الأساس قائمًا على مبدأ التخاطب، الذي هو الأساس للقصديّة عند المتكلّم(١)، يُمكن القول: إنَّ خرق قاعدة الكيفيّة جاءت من خلال رأي القصيبي بأنَّ الظروف هي ما جاءت بهؤلاء الوزراء، مع أنَّ كل المؤشرات تقول: إنَّ الكفاءة هي ما أهلَّتهم لتولي الوزارة، خصوصًا وأنَّ القصيبي نفسه يذكر أنَّ هؤلاء الوزراء يحملون شهادات عليا.

هذا الخرق أدَّى إلى تأويل لدى المتلّقي يعمد إلى أنَّ الكفاءة وحدها ليست المعيار الرئيس لتوليّ المناصب، بل إنَّ ظروف المرحلة ومتطلّباتها هي ما تُحدِّد الاختيار، بشرط الالتزام بمبدأ قاعدة الكيف، وهي: أن لا يقول المتكلّم ما يعتقد أنَّه كذبٌ، بالإضافة إلى تجنبّهِ الكلام الذي يفتقر إلى الحُجّة الكافية(٢).

وفي قاعدة الطريقة وعند البحث في القوة الإنجازيّة للأساليب يجدُ البحث حضورًا مؤثرًّا للمبالغة والتعجب، في تراكيب لم تلتزم بترتيب الأفكار المتعارف عليها، ففي حديث القصيبي عن أمراض العصر، مثل: ضعف البصر، لم يلتزم بترتيب الأفكار، حيث قال: "هؤلاء يقضون أمام التلفزيون ساعات لا تنتهي. حتى أنَّ أمراضًا معينة في العين بالذات تصيب هذه الفئة نتيجة التعرض الطويل للوهج التلفزيوني. والتلفزيون متعاون مع هؤلاء إلى أقصى الحدود، هناك عدد من المحطات يعمل على مدار اليوم والليلة"(٣).

(١) يُنظر: لاح إسماعيل، "مرجع سابق"، ٩.

(٢) يُنظر: طه عبدالرحمن، "مرجع سابق"، ٣٤.

(٣) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "العودة سائحًا إلى كاليفورنيا"، ٣٨.

فالقصيبي لم يطرح فكرة ضعف البصر ثُمَّ يذكر سبب ذلك، بل إنَّه ذكر السبب أولاً؛ وهو قضاء ساعات طويلة أمام التلفاز، فالقوة الإنجازيّة للتركيب "أمراضًا معيّنة في العين بالذات تصيب هذه الفئة"، هو تعجُّب من جرّاء علم الناس بخطورة مُشاهدة التلفاز لساعات طويلة، ومع ذلك يستمُّرون في هذا الصنيع، والخرق الآخر في الشاهد نفسهِ جاء في إيراد فكرة تعاون التلفاز مع هؤلاء المشاهدين؛ حيث إنَّ موضع هذا التركيب في بداية الفقرة –مع وجود قوة إنجازيّة تتمثّل في المبالغة– أدَّى إلى ترتيب غير منطقيّ لتسلسل الأفكار، فالترتيب المنطقيّ للفقرات من المفترض أن تكون بالشكل الآتي: يُصاب بعض الناس بأمراض نتيجة الوهج التلفازي، فالتلفاز الذي يعمل على مدار اليوم يجعل المشاهدين يقضون ساعات لا تنتهي أمامه.

يبقى الاستلزام الحواري الناتج عن خرق هذه القاعدة هو الإيعاز للمتلقي بخطورة التلفاز على المشاهد، ليس على مستوى العين فقط؛ بل على مستوى العقل والتفكير، وهذا ما قصدهُ القصيبي من طرح الفكرة.

كذلك وفي نموذج آخر اعتمد القصيبي على المبالغة والتعجُّب كقوة إنجازية يفتحُ معها استلزامًا حواريًّا مُحددًّا؛ نتيجة عدم ترتيب الأفكار ووضوح المقصود داخل التراكيب، ففي طرحهِ قيمة الصداقة وأهميّتها، تحدّث بصورة عامّة عن المصالح، والحقد، والغيرة، وأخَّرَ الفكرة الرئيسية التي أراد طرحها وهي قيمة الصداقة مع تغيير ترتيب الأفكار داخل الفقرة: "كنت أسمع من قبل بطبيعة الحال عن كلمات مثل: المصالح والحسد والحقد والغيرة، ولكنَّني لم ألتقِ بها كحقائق مرعبة إلاَّ في هذه الفترة، لم أكن أصدق –لولا أن التجربة المريرة علمتني– أنَّ إنسانًا لم تره ولم يرك ولم تعرفه ولم يعرفك يمكن أن يكرهك وأن يكيد لك، ولم أكن لأصدق –لولا أنني رأيت بعينيّ– كيف تنقلب الصداقة فتورًا يشبه العداء إذا مشى الطموح بين الصديقين، ولم أكن قد شاهدت عن كثب من قبل كيف تنقضّ المصالح الخاصة على المصلحة العامة في صراع قاسٍ غير

متكافي"[١].

إنَّ الترتيب المنطقي للأفكار داخل النصّ هو أن يتحدّث عن قيمة الصداقة ثُمَّ يعرض لأهمّ منغصاتها، وهي: (المصالح، والحسد، والغيرة) هذا الخرق للقاعدة أدَّى إلى تهميش قيمة الصداقة في المجتمعات فأمستْ نادرة جدًّا؛ بسبب تفشّي المصالح والحسد... فبقيتْ القيمة الإنجازيّة للمبالغة نفي وجود الصداقة "لم أكن أصدق –لولا أنَّ التجربة المريرة علمتني– أنَّ إنسانًا لم ترهُ ولم يركَ ولم تعرفه ولم يعرفك يمكن أن يكرهك وأن يكيد لك، ولم أكن لأُصدِّق –لولا أنَّني رأيتُ بعينيّ"، هذا النفي المبالغ فيه أتاح حوارًا فكريًّا بينه وبين المتلقي حول إمكانيّة انقلاب الصداقة إلى عداوة، وحقيقة وجود المصالح والحسد والحقد والغيرة في طبيعة جينات الإنسان، ولن تختفي إلاَّ بتهذيب الإنسان نفسه بإعلاء قيمة الصداقة، لذلك فإنَّ دراسة المعنى التواصلي هي أسمى ما تُريد التداولية الوصول إليه، مع ضرورة فهم السياق للوصول إلى المعنى[٢].

في حين جاء خرق قاعدة المناسبة في جزئية القوة الإنجازيّة لأفعال الاستفهام، والمبالغة، والتعجُّب بصور متفاوتة داخل السيرة الجزئية، ولعلّ الأمثلة الواضحة لذلك قليلة، بل ونادرة؛ والسبب يعود إلى طبيعة الموضوع الذي يتبعه القصيبي، وحذره من الخروج عن مناسبة الموضوع أو السياق على مستوى الأساليب الثلاثة الرئيسة؛ ليضمن تحقيق قُرب القارئ منه، وفهم ما يقصدهُ.

وجد البحث أنَّ من أهمّ النماذج التي خرقت القاعدة السابقة على مستوى الحمولة الدلاليّة للمعنى في معانيها الصريحة البحث عن القوة الإنجازية ضمن قاعدة المناسبة، حديثه عن لقائهِ بكيسنجر "خلال الزيارة الأولى كان كيسنجر نجم واشنطن الساطع الذي لم تزدهُ فضيحة "ووترجيت" إلاَّ تألقًا، كانت المباحثات الرسمية تدور

(١) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "سيرة شعرية"، ٩٦.

(٢) يُنظر: عبد القادر البار، "مرجع سابق"، ١٢٥.

معه"[١]، حقيقة الاستلزام الحواري يدور حول المقصد الضمني الذي لا يظهر في المحتوى الدلالي للعبارات، بل في المعنى الضمني داخل هذه العبارات، وهذا ما ظهر في النموذج السابق الذي يحمل في طيّاته أسلوب التعجُّب والمبالغة، ففي التركيب "خلال الزيارة الأولى" يستلزم وجود زيارات لاحقة، رُبَّما بعضها مثَّل أهمية، إلاَّ أنَّ القصيبي خرج عن مناسبة الموضوع، بقوله: "الأولى"؛ لأنَّه أرادَ أن يحكي عن كيسنجر وليس عن رقم الزيارة، وفي العبارة الأخرى "كان كيسنجر نجمَ واشنطن الساطع"؛ تستلزم وجود مهارات استثنائيّة لديه، مِمَّا يُعدّ خرقًا يستوجب دليلاً لهذا التألق، والدليل أتى في العبارة الآتية –التي تليها–: "لم تزده فضيحة "ووترجيت" إلاَّ تألقًا"، "ووترجيت" حدث سلبي يؤثر على سمعة صاحبه، إلاَّ أنَّ هذه الفضيحة السلبيّة انعكست على "كيسنجر" إيجابيًّا، فازدادت شعبيّته؛ مِمَّا يُعدّ كسرًا لقاعدة الصلة التي من المفترض أن تكون سلبيّة؛ لأنَّها جاءت عكس ذلك إيجابيًّا.

الاستلزام الحواري في الأساس هو طريقة يُعبِّر بها المتكلم عن مقاصده لتكون ملائمة للموقف، من هنا ووفق الخروج السابق عن تلك القواعد، ظهرت مجموعة من التأويلات المتضمنّة لهذا الحوار، أهمُّها: إعجاب القصيبي بكيسنجر "كان كيسنجر نجم واشنطن الساطع"؛ وسبب إعجابه يعود إلى الدور السياسي البارز لهُ، والسبب الثاني يعود إلى قدرته على تجاوز الظروف "لم تزده فضيحة "ووترجيت" إلاَّ تألقًا"، في حين جاء خرق قاعدة الأسلوب الأخير في النموذج السابق على مستوى الإبهام في هُويَّة الطرف الثاني الذي يقود المباحثات السياسية للجانب الآخر "كانت المباحثات الرسمية تدور معه"، ولم يذكر القصيبي تدور مع من، داخل هذا النموذج.

الاستلزام الحواري هو ظاهرة تدور حول المعنى الضمني الموجود في العبارات والتراكيب يقصدها المتحدث، وتظهر للمتلقي بصورة غير مباشرة، فهي تختلف عن

(١) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "الوزير المرافق"، ١٣.

المعنى الظاهري الموجود في الجُمل السابقة؛ لذلك اعتمدَ الاستلزام الحواري على السياق وقوانين التواصل الأربعة التي وضعها غرايس، ألا وهي: (الكمّ، والكيف، والطريقة، والمناسبة).

المبحث الثاني: المعاني والدلالات الضمنيّة والمضمرة في سير القصيبي

٢–١ المعاني الضمنيّة في الاستلزام الحواري المتعلقة بالسياق

فرَّق غرايس بين نوعين رئيسين من أنواع الاستلزام الحواري، الأول: يتعلّق بالاستلزام الاصطلاحي، الذي يعني: التواطؤ اللفظي مع الدلاليّ بين أهل لغة ما؛ فدلالة الألفاظ في هذا النوع لا تتغيّر بتغيُّر السياق، والنوع الثاني: يتعلق بالاستلزام الحواري الذي يتغيّر مع تغيُّر السياق، وهذا النوع هو ما درسهُ هذا المبحث.

الاستلزام الحواري المتغيّر مع السياق، يتميّز بأربع سمات رئيسة، السّمة الأولى: أنَّه يُمكن إلغاؤهُ من خلال حذف بعض ألفاظهِ، أو إضافة ألفاظ لا تمتّ لهُ بصورة مباشرة، والسّمة الثانية: أنَّه لا يقبلُ الانفصال، أي: أنه ومع إضافة ألفاظ غير مباشرة فإنَّ الدلالة لا تتغير، والسّمة الثالثة: التغيُّر، ويُراد به: أنَّ الدلالة الواحدة تتفرّع منها دلالات مرتبطة بها، والسّمة الرابعة: أنَّه يُمكن تقدير الاستلزام الحواري، ويقصد بذلك: أنَّ المتكلم يُرتبُّ ألفاظه وعباراتهِ بطريقة تُؤدي المعنى المراد.

والنوعان السابقان مُكمّل بعضهما لبعض، والسبب يعود إلى التمازج الحاصل بينهما على مستوى اللفظ خصوصًا، مع اعتماد المتكلم أسلوبًا خاصًّا به ومعجمًا لفظيًّا يعتمده دائمًا.

وقد فرغَ البحث من دراسة المعاني الصريحة في المبحث الأول، التي شملت الألفاظ الصريحة، والقوة الإنجازية للأساليب اللغويّة، وفي المبحث الثاني جاءت معالجة النماذج ضمن المعاني الضمنيَّة، التي تُفهم من السياق، فالسياق هو ما يُحدِّد طبيعة الاستلزام الحواري؛ وفقَ المعاني الضمنيَّة والمضمرة المتعلّقة به.

تُنتجُ المعاني من سياق خاص؛ وفق استلزامٍ حواريٍّ تُحدِّده معانٍ ضمنيّة، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة موضوعات، هي أبرز ما تضمنتّه السِّير الجزئية محلّ الدراسة، التي مثلّت ظاهرةً أثرَّت على بنْية سير القصيبي: (سياق الإفهام والحكمة، وسياق التوبيخ،

وسياق التعريف).

من النماذج المهمّة التي تكرّرت بصور مختلفة في سير القصيبي الجزئية، المتعلّقة بسياق الإفهام والحكمة، ما ذكره في حواراته مع الآخر (الأجنبي) "كان كيسنجر كعادته كثير الدعابة. بدأ كلمته في حفل العشاء الرسمي الذي أقامه للأمير فهد بالقول:

– إنَّه لمن محاسن الصدف أن نجتمع أنا وسمو الأمير في واشنطن في يوم واحد.

وكان يُشير إلى رحلاته "المكوكيّة" الشهيرة.

كما أنَّه بدأ جلسة المباحثات الرسمية بهذه الملاحظة: –لعلك لاحظت يا سمو الأمير أنَّ كل وزارة في أمريكا تقيم لنفسها وزارة خارجية مصغرة، وقسمًا مصغرًا للعلوم السياسية، وابتسم الجميع عدا ضحايا الملاحظة: مندوبي وزارة الدفاع والخزانة الذين كانوا يحضرون الاجتماع"(١).

وردَ الحوار السابق ضمنَ اجتماعٍ رسميّ بين الوفد السعودي والأمريكي الذي يستلزم الجديّة، والصدق، والوضوح، إلاَّ أنَّ هناك سياقًا آخرًا حملهُ الحوار، وهو (الدُعابة والسخرية، والعتب غير المباشر) بدأهُ (كيسنجر) بعبارة: (محاسن الصُدف)التي مهدّت بإفراغ مجموعة من المعاني الضمنيّة في الحوار، اخترقت قاعدتي: الكمّ، والكيف، فمحاسن الصُدف هنا، تعني ضمنيًّا: صعوبة هذا اللقاء وندرتهُ وأهميّتهُ؛ والسبب يعود إلى كثرة تنقُّلات واجتماعات كيسنجر (وكان يُشير إلى رحلاته المكوكيّة)، والمعنى الضمني الآخر المفهوم من السياق، يتعلق بتضارب الآراء والخطابات الصادرة من أمريكا، التي تمّ إيرادها في الحوار من خلال دعابة ألقاها (تقيم لنفسها وزارة خارجية مصغرة، وقسمًا مصغرًا للعلوم السياسيّة)، ابتسام الجميع هنا يعني: وضوح السياق الذي وردتْ فيه العبارة، الذي يتضمن المعنى الضمني، الذي قصده كيسنجر، وهو عدم رضاه عن حال العلاقات

(١) غازي بن عبدالرحمن القصيبي، "الوزير المرافق"، ١٣–١٤.

السعودية الأمريكية، وهذا سياق ناتج عن التوتّر العام في تلك الفترة[١].

سياق الإفهام والحكمة جاء عن طريق كيسنجر من خلال إظهار ملاحظة سلبيّة من الطرف الأمريكي، تتمثَّل بعدم التنظيم والتنسيق، إلاَّ أنَّ هذه الملاحظة يُمكن تأويلها من المتلّقي بأنَّها ملاحظة مزدوجة، أي: أنَّ الوفد السعودي تنبّه ومن خلال السياق أنَّ هذه الملاحظة رُبمَّا تكون قد جاءت من الطرف السعودي كذلك، إلاَّ أنَّ كيسنجر عنى بها وفق السياق الضمني إصلاح العلاقات السعودية الأمريكية وتحسينها، ومحاولة تجاوز الخلافات.

يُمكن تتبُّع مثل هذه النماذج بطرق مختلفة في السير الجزئية للقصيبي، كالحوار الذي دار بين الملك خالد وبين المستشار الألماني[٢]، كذلك الحوار الذي دار بين القصيبي وأحد أساتذة الاجتماع الأمريكيّين حول شروط القبول غير المكتوبة في جامعة هارفارد[٣].

وفي سياق التوبيخ الذي جاء بصورة ضمنية في ثنايا السير الجزئية للقصيبي ما يتعلّق برؤية القصيبي في الإدارة، حيث دأب في سياق كشف الواقع في الإدارات المختلفة على إيراد حوارات ضمنيّة تُفهم من السياق في أغلبها توبيخًا غير مباشر، وهي كثيرة في كتاب (حياة في الإدارة)، ومنها ذلك الحوار حول فشل بعض الإداريّين في أداء مهامهِ: "نستطيع أن نعتبر معظم الإداريين الفاشلين أعضاء في حزب "كتَبنا!" لماذا لا تحسن خدمة الجهاز يا سيّدي الإداري؟ "كتبنا اعتمادات ولم يحدث شيء". لماذا يستشري الفساد في جهازك يا سيّدي الإداري؟ "طَلبنا صلاحيّات إضافية نستطيع بها مقاومة الفساد، ولم يحدث شيء؟ كتب هؤلاء فهل يجوز لأحد أن يلومهم؟!"[٤].

(١) كانت العلاقات السعودية الأمريكية متوترة في فترة السبعينات الميلادية.

(٢) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "الوزير المرافق"، ٨١-٨٢.

(٣) غاوي بن عبد الرحمن القصيبي، "العودة سائحًا إلى كاليفورنيا"، ٤١.

(٤) غازي بن عبد الرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، ١٣١.

في هذا النموذج قدَّم المتكلم مشهدًا تمثيليًّا ضمنيًّا قائمًا على الحوار بين المسؤول والموظف خرقَ به قاعدة الكمّ في العبارة المجازيَة (**حزب كتبْنَا**)، فالعبارة الضمنيّة هنا، تعني: مجموعة من الإداريّين يُلقون اللوم على مسؤول خفيّ لم يَمنع الفساد؛ ليبرئوا أنفسهم من ذلك في سياق توبيخيّ كما ظهر لاحقًا في العبارتين: ("كتبْنا اعتمادات ولم يحدث شيء"، "طلبنا صلاحيّات إضافية نستطيع بها مقاومة الفساد، ولم يحدث شيء؟")، فيظهر أنَّ السؤالين السابقين كانا ضمن الأسئلة التوبيخيَّة التي جاءت في سياق الامتعاض من الفساد الذي يتحمّلهُ الموظَّفون أنفسهم، فخرقَ بذلك قاعدة الطريقة؛ حيث جاء السؤالان دون رابطٍ واضح يربطهما إلاَّ السياق العام.

اعتادَ القصيبي في سيرهِ الجزئية عند استعماله التوبيخ أن يُقدِّم حوارًا واقعيًّا يُمثّل طرفين يهدف بواسطتهِ إلى بناء حوار يخترقُ بهِ بعض قواعد الاستلزام الحواري، بالإضافة إلى إخلالهِ بالشُّروط الإضافية المتعلِّقة بقواعد الاستلزام الحواري، وأهمُّها مبدأ التَّأدُّب [(١)]، ولكن ظهرَ ذلك في سياق ضمنيّ غير مباشرٍ يستحيلُ على المتلّقي فهمهُ إن لم يفهمْ طريقة المتكلّم في الإدارة القائمة على الجرأة، والقوة، والقدرة على التغيير[(٢)].

والموضوعُ الثالث الذي شاعَ في السير الجزئية للقصيبي هو سياق التعريف بصورة ضمنيَّة؛ ويعني التعريف هنا: أن يُقدِّم المتكلّم حوارًا يُفهم من سياقهِ الضمنيّ أنَّ المتكلمَ خلقَ صورةً تعريفيّة لشيء ما، تُفهمُ ضمنيًّا.

ومن نماذج هذا النوع ما ذكرهُ حول نصيحة أحد الأصدقاء بألاَّ يذهب إلى "ديزني لاند" مع أبنائهِ: "قبل السفر تطوَّع أحد الأصدقاء بنصيحتي:

(١) يُوصف التأدب بأنَّه نظامٌ لغويٌّ له طرقه الخاصة التي تُسهمُ في تحقيقه، حيث يلجأ المتكلم إليه للوصول إلى الغاية المقصودة مع المخاطب، وإظهار الاحترام له. يُنظر: براون ولنفسن، "نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة"، ترجمة: هشام خليفة، (عمَّان: دار كنوز، ٢٠٢٣م)، ٤٥

(٢) يُنظر: غازي القصيبي، "حياة في الإدارة"، ٢٦١-٢٦٢

–لا تُضيّعْ وقتك في "ديزني لاند". أرسل الأولاد بمفردهم. أو مع أمهم. أمَّا أنت فلا تُضيّع وقتك هناك.

وشكرته على النصيحة. ولم أعلّق. كيف أستطيع أن أشرح لِمَنْ لمْ يمسّه سحر قط معنى الدخول في "مملكة سحرية"؟"[١].

في النموذج السابق ظهرت موضوعية التعريف من خلال السياق الضمنيّ المتمثّل في حديث القصيبي عن "ديزني لاند" (مملكة سحريّة) الذي جاء كإجابة ضمنيّة على النصيحة التي قدَّمها الصديق (لا تضيع وقتك في ديزني لاند) فمملكة سحريّة هنا تعريف بمقدار جمال وحجم "ديزني لاند"، ويظهر ذلك في خرقِهِ لقاعدتي: الكمّ، والكيف، فعدد الكلمات أقلّ من المعنى المراد إيصاله (مملكة سحريّة)؛ فالتركيب هُنا ضمنيّ مفادهُ أنَّ "ديزني لاند"؛ ليستْ مجرّد حديقة ألعاب عادية، بل إنَّها تحوي أماكن مُبهرة جدًّا عندما يُشاهدها شخص ما يُصاب بشيءٍ من السِّحر، كذلك خُرِقتْ قاعدة الكيف في العبارة: (شكرتهُ على النصيحة ولم أُعلّق) فمن المفترض أن يعترض القصيبي على حديث المتكلّم؛ بما أنَّه رافض النصيحة، ولكن لم يفعل ذلك! فأتى خرق القاعدة بشكر المتكلّم وعدم التعليق على نصيحته السلبيّة، فأدَّى ذلك إلى نشوء سياق ضمنيّ، يُمكن تأويله بأنَّ القصيبي يجد صعوبة في التعريف بـ"ديزني لاند" ومكانتها وما تحويهِ من أماكن مُبهرة.

٢–٢ الدلالات المضمرة والاستلزام الحواري

ظهر المعنى مضمرًا في سِير القصيبي الجزئية ضمن موضوعات مختلفة (الرمز الاجتماعي، والديني، والقومي، والجندر)، والإضمار يعني: إخفاء المعنى...[٢].

وقد عرَّفهُ غرايس بأنَّه: "مُناقض للكلام البيِّن، ويظهرُ من خلال كلمات في النصّ

(١) غازي القصيبي، العودة "سائحًا إلى كاليفورنيا"، ٢٩–٣٠

(٢) فيليب بلانشيه، "التداولية من أوستن إلى غوفمان"، ترجمة: ابر الحباشة، (ط١،سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ١٤٧

تتطلَّب من المتلقِّي التفكير في أمرٍ ما عندما يقرأُها" [١].

والإضمار في التداولية مُتعلّق بالخطاب، فالمتكلم لا يُصرّح بكل ما يُريد أن يقوله، وعلى المتلقِّي الاستدلال بما يُمكنهُ من العبارات والألفاظ، فالحمولة الدلاليّة تبقى مضمرةً بصورة جزئية يُستدلُّ بها من خلال الإشارات اللسانيّة وغير اللسانيّة[٢].

وعن العلاقة بين الإضمار والاستلزام الحواري يُمكن القول إنَّ: هناك علاقةً وثيقةً، حيث رأى غرايس أنَّ بعض المعاني لا تتأتَّى من خلال المكوّن اللغويّ؛ بل من خلال السياق الذي وردَ فيه المضمر[٣]، وخرقْ قواعد الاستلزام الحواريّ ضمن أساليب مُضمرة تستوجب فرضيّات متعدّدة للحوار نفسه في مُجملها مرتبطة بطبيعة المضمر والسياق الثقافي الوارد فيه.

وظهر سياق المضمر في الموضوعات الاجتماعيّة في جميع سِير القصيبي الجزئية، ولعلَّ أهمَّ تلك المضمرات تلك التي وردت عند حديثهِ عن مرحلة الطفولة المتعلِّقة بالدراسة وما يتمّاس معها من موضوعات اجتماعيّة؛ كطبيعة الأطفال في ذلك المجتمع، ففي الحوار الذي دارَ بين الأستاذ والتلاميذ عن التزامهم بالنظافة العامّة، كان بعض الطلاب يَصدُقون أستاذهم في عدم استحمامهم، وفي المقابل يُصدِّقُهم الأستاذ حتى لو كان ما يراهُ مخالفًا لذلك: "وكان من بين المدرّسين مدرّس... يسأل كل واحد منَّا إذا كان قد استحمَّ ذلك الصباح. إذا أجاب الطالب بالإيجاب نجا من العقاب، وإذا ذكر الحقيقة ... هوت المسطرة على الأصابع... كان المدرّس يُصدِّق من يزعم أنَّه استحمَّ

(١) عبدالحليم بن عيسى، "المضمر في الفعل الكلامي؛ طبيعته وأشكاله"، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران، الجزائر، (٢٠٠٨م)، ٣

(٢) عبد الله بريمي، " التداوليّات علم استعمال اللغة"، ط٢(إربد: عالم الكتب الحديث،٢٠١٤م)، ٢٧٩.

(٣) زينب عادل الشمري، قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ) (دراسة تداولية)، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ٣٢، (٢٠١٧م)، ٤.

ولو كانت كل الشواهد تُكذّب هذا الزعم"[١].

المضمر الاجتماعي في هذا النموذج يتعلَّق بطبيعة العلاقة بين الأستاذ والطالب في المجتمع الشرقيّ عمومًا القائمة على الاحترام والصدق المتبادل، كذلك المضمر الاجتماعي الآخر يتعلَّق بمشروعيّة تأديب الكبير للصغير اجتماعيًّا في تلك الفترة الزمنيّة.

ففي المضمر الاجتماعي الأول الخاص بالصدق المتبادل: "كان المُدّرس يُصدِّق من يزعم أنَّه استحمَّ ولو كانت كل الشواهد تُكذّب هذا الزعم".

حدثَ خرقٌ في قواعد الكمّ والكيف والطريقة، ظهر هذا الخرق بصورة متعاضدة؛ ليُحدثَ الإضمار الذي يستطيع المتلقي فهمهُ، فقوله: (يُصدِّق من يزعم) دليل على أنَّ الأستاذ كان يعرف أنَّ الطالب يكذب، فلفظُ (الزعم) هُنا دليل على عدم الصدق[٢]، إلاَّ أنَّ الإضمار جاء من خلال قبول الأستاذ لذلك القول من الطالب، فالمجتمع الشرقيّ بعمومهِ يُقدِّر قيمة العلاقة المقدَّسة بين الأستاذ والطالب طوال تاريخهِ الاجتماعي[٣]، وخرق قاعدة الكمّ والكيف جاءت من خلال عدم وجود ألفاظ داخل العبارة تُدلِّل على المعنى المضمر سوى لفظ (يزعم)، في حين جاء خرق قاعدة الكيف بترتيبٍ غير متعارف عليه للجُمل فذكرُ المتكلّم كيفيّة تفتيش الطلاب، ثُمَّ طريقة عقابهم، وآخرُ ما يحدث بينهما من أحداث إلى ما بعد ذلك، في حين جاء خرق قاعدة الطريقة من خلال عدم إيراد دليل يُؤكِّد صدق الحادثة أثناء سردها، وعدم وجود أيّ علامة تدُّل على وجود حادثة بعينها قد حدثت أو أنَّ هذا الأمر كان يتكرَّر بصور مختلفة في طفولة القصيبي.

(١) غازي عبد الرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، ١٣.

(٢) ابن منظور، "مصدر سابق"، مادة (ز ع م)، ١٢/ ٢٦٥

(٣) يُنظر: عبدالله بن الح بن سليمان الحديثي، "التعزيرات البدنية وموجباتها في الفقه الإسلامي"، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية، (١٤٠٩هـ)، ٢٠٩

في حين جاء المضمر الآخرُ المتعلق بمشروعيّة تأديب الكبير للصغير بإيراد الجُملة التالية في الحوار بين الأستاذ والطالب: "هوت المسطرة على الأصابع"(١) دون أنْ يذكر المتكلِّم ردَّة فعل الطالب على ذلك الضرب فالمضمر أنَّ الطالب كان يتقبَّل ذلك الضرب دون غضاضةٍ تُذكر، جاء هذا المضمر في الحوار من خلال خرقْ قاعدة الكمّ، فالكلمات التي وردتْ في العبارة لم تتضمَّن ردَّة فعل الطالب، وفهمَ المتلقِّي هذا المضمر من خلال معرفتهِ بالسياق الثقافي الذي حدثتْ فيه هذه الحادثة أيْ: تقريبًا في منتصف الستينيّات الميلاديّة حيث كان الضرب للتأديب منتشرًا في ذلك المجتمع(٢).

يأتي الموضوع الثاني في حوارات القصيبي مُتعلقًا بالجوانب القوميّة، ومنها (العُروبة) حيث تظهرُ شخصيّة القصيبي المعتدلة: "تونس في تصوّري "حلٌّ وسط جميل"، حلّ وسط بين الجبال والسُّهول، وبين الصحراء والبحر، وبين الغرب والشرق، كما في الحلول الوسط كُلِّها، لا يوجد في تونس التشنج الذي يُلازم عادةً الانحياز نحو نقيض أو آخر"(٣).

والمضمر هنا يتعلَّق بجانب التعصُّب والانحياز غير المُبرّر إلى القوميّة العربيّة الذي كان شائعًا في الوطن العربي في ذلك الوقت(٤)، فالعبارة (في تصوّري حلٌّ وسطٌ جميل) خرقتْ قاعدة الكمّ بإضمارها الحالة العربيّة لبقيّة الدول التي تُعاني التعصُّب؛ فالمتكلِّم قال أقلّ مِمَّا يقصد، كذلك خُرِقتْ قاعدة المناسبة؛ فلم يتقيّد المتكلِّم بسياق السؤال الموّجه له الذي كان يسألهُ عن المدينة التي زارها أكثر من سواها؛ فحديثهُ عن وسطيّة تونس وعلاقة الشرق بالغرب يُمثِّلُ خرقًا لمبدأ المناسبة، إلاَّ أنَّ المضمرَ حاضرٌ في ذهن

(١) غازي بن عبدالرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، ١٣

(٢) يُنظر: عائشة مبارك، التعليم قديمًا أخذ طابع الجديّة والتأديب، صحيفة اليوم ١٥٣٦٦، (٢٠١٥م).

(٣) المصدر السابق، ٣٣١.

(٤) يُنظر: هاني عوّاد، "تحولات مفهوم القومية العربية من الماديّ إلى المتخيّل"، (ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣م)، ١٠-١١

المتلقي، الذي يعرف مدى سوء العلاقة بين الشرق والغرب في ذلك الوقت.

والنماذج كُلها تدُّل على الوسطيّة التي يتسمُّ بها القصيبي، ففي حديثه مع السائق الأمريكي الذي تأخَّر عليه كان متسامحًا ودودًا، وساخرًا من علاقة العداوة المضمرة بين الشرق والغرب؛ الشرق الذي يُمثّلهُ القصيبي، والغرب الذي يُمثّله السائق: "في نهاية اليوم الطويل ذهبنا إلى المكان الذي اتفقنا مع "إدوارد الأول" على أن نجتمع فيه...جاء "إدوارد الأول" متأخراً ساعة...:

– لقد تأخَّرت ساعة!

قلتُ: ببرود أشدّ:

– سأقتلك فيما بعد!"(١).

فالمضمر يتعلّق بالعداوة التي يكنّها الشرق للغرب، والمتمثِلّة بتاريخ الحروب السابقة، التي سخرَ منها القصيبي في قوله: (سأقتلك فيما بعد!)، فيظهر أنَّ الحوار اخترقَ قاعدة الكمّ، والذي يظهر من السياق أنَّه ما زال متجذرًّا بالثقافة العربيّة.

والموضوع الثالث في الاستلزام الحواريّ المندرج تحت المضمر المتعلِّق بالجندر(٢)، الذي ظهر في سير القصيبي الجزئية متعلّقًا بالمرأة، ورُؤية القصيبي لها، ومن النماذج التي يُمكن دراستها ضمن هذا المضمر؛ حوارهُ عنها: "كانت المرأة دائمًا جزءًا من حياتي... كنتُ أتمنّى لو لم تسألني عن المرأة... أرأيت كيف يتسلّل الأكسجين إلى الدماء؟، كذلك تسلُّلها! كذلك غيابها... المرأة تشرق مع الشمس، وتغرب معها...في كل همسة

(١) غازي بن عبدالرحمن القصيبي، "سيرة شعرية"، ٥١.

(٢) كناية عن جنس الإنسان واستخدامه الحديث، وغالبًا ما يُقصد من استخدامه التشديد على الفوارق الاجتماعية والثقافية، يُنظر: محمد لطفي وآخرون، "التنوع البشري الخلاّق "تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية"، ترجمة: محمد يحيى، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م)، ١٤٣

"ماما!" هناك امرأة... في كل همسة "بنتي!" هناك امرأة... المرأة هي القناعة الكبرى! هي القضية الكبرى! هي الملحمة الكبرى!"(١).

المضمر تلك النظرة الدونيّة التي يكنُّها الرجل في ذلك الوقت للمرأة، واستهانته بدورها في الحياة، يُمكن فهم ذلك المضمر من خلال خرق قاعدة الكمّ حيث قال كلامًا أكثر من القدر المطلوب؛ مِمَّا يُمكن تأويله بأنَّ القصيبي أراد في الإضمار استعادة حقّ المرأة (كيف يتسلّل الأكسجين إلى الدماء، كذلك تسلُّلها، المرأة تشرق مع الشمس، المرأة هي القناعة الكبرى، هي القضية الكبرى، هي الملحمة الكبرى)، يُمكن دائمًا التأكيد على النظرة الإيجابية للمرأة، ومنها ما ذكرهُ في كتاب (العودة سائحًا إلى كاليفورنيا)، كالحوار الذي دارَ بين امرأة ورجل الشُّرطة وصل إلى المحكمة حول ادّعائها أنَّ الجنين الذي في بطنها يُعدُّ شخصًا ثانيًا معها في السيارة، وتحوَّلت القضيّة إلى جدلٍ حول الهُويّة والمرأة والرجل: "كانت امرأة تقود سيارتها بمفردها وتستخدم الخط، وعندما أوقفها رجل البوليس، قالت: إنَّها تحمل معها مسافرًا ثانيًا، وعندما استفسر رجل البوليس عن موقعه، أشارت إلى بطنها المنبعج، وقالت:

–هذا الجنين في أحشائي.

وكالعادة وصلت القضية إلى المحكمة، وحكم القاضي أنَّ الجنين يُعتبر واحدًا... واستأنفت الحكم، ونقض الاستئناف حُكم القاضي؛ معلنًا أنَّ الجنين لا يُعتبر واحدًا"(٢).

فالمضمر هنا الموقف تجاه المرأة بطبيعتها البيولوجيّة، ورفض الرجل الذي مثَّل الشُّرطة قبول نظرة المرأة إلى الجنين، ولجوؤهم إلى المحكمة إضمار عن تأزُّم العلاقة بين الرجل والمرأة، في حين أنَّ قرار الاستئناف من المحكمة الذي جاء ضدّ المرأة تكريسٌ لذلك الخلاف، وجاء الاستلزام الحواري في النموذج خارقًا لقاعدة الكيف، فكلام المرأة

(١) غازي عبدالرحمن القصيبي، "سيرة شعرية"، ١٩٩–٢٠٠.

(٢) غازي عبدالرحمن القصيبي، "العودة سائحًا إلى كاليفورنيا"، ١٨.

غير مقنع ولا يوجد عليه دليل (هذا الجنين في أحشائي)، ومن النماذج كذلك انتصارهُ للمرأة التي تعرَّضت إلى التحرُّش من قبل طبيب، فالمضمر استغلال الرجل لسُلطتهِ ونفوذهِ على المرأة من خلال خرقهِ في الاستلزام الحواري لقاعدة الكمّ والطريقة، فذكرَ كلامًا أقلّ من القدر المطلوب، ولم يُرتّب أفكارهُ ويتحدَّث بوضوح: "الطبيب الذي تحرَّش بمرضة، وتبيّن في التحقيق أنَّ في ملفه سبع مخالفات سابقة مُماثلة"(١).

مع ذلك فإنَّ الاستلزام الحواري الذي جاءَ في تلك السير تجاوز في مُجملهِ المعاني الحرفيّة للجُمل التي وردتْ فيها تلك الحوارات، مع بروز دور السياق في تفسير طبيعة الاستلزام الحواري وتأثيره في إظهار المعنى الضمني، مع التأثير الكبير لأسلوب القصيبي اللغوي القائم على: السُّخرية، والانتقاد، والتشويق، والتلميح.

كذلك فإنَّ الاستلزام الحواريّ في سيرهِ الجزئية –وكما ظهر في النماذج السابق– تأثرَّ بصورة مباشرة بالسياقات الثقافيّة للمتحاورين؛ لاعتماد السياق في الاستلزام على المقام التخاطبي ومقاصد المتكلّمين ودلالة الألفاظ الرئيسة والثانوية داخل الحوار، بالإضافة إلى أنَّ المقاصد تختلف من لغة إلى أخرى فما هو استلزام حواري في لغة ما قد لا يكون كذلك في لغة أخرى، وما هو خرقٌ لقاعدة من قواعد الاستلزام الحواري في ثقافة ما قد لا يكون كذلك في ثقافة أخرى، وهذا ما حدث في حوارات القصيبي التي جاءت في أغلبها مع أبناء لغات وثقافات أخرى، خصوصًا في كتابي الوزير المرافق، والعودة سائحًا إلى كاليفورنيا.

(١) غازي عبدالرحمن القصيبي، "حياة في الإدارة"، ٢٥٨.

الخاتمة

خرجت دراسة الاستلزام الحواري في سير غازي القصيبي الجزئية بعدّة نتائج، أهمُّها:

ظهر للبحث أنَّ الحالة النفسيّة للمتكلّم تُؤدِّي إلى خرق متوقع لقواعد الاستلزام الحواري، وقد ظهر جليًّا في سير غازي القصيبي الجزئية.

كذلك أثرَّت اللغة الشعريّة والأسلوب السَّاخر في صورة الاستلزام الحواري في سير غازي القصيبي الجزئية.

امتازتْ الحوارات في سير غازي القصيبي بالتنوُّع ما بين الصريح والضمنيّ؛ نظرًا لكثرة موضوعات الحوارات، واختلاف ثقافات المتحاورين.

جاءت صور الاستلزام الحواري في سير القصيبي الجزئية متنوّعة، أهمُّها الخرق المتكرِّر في قاعدتي الكمّ، والكيف، في حين جاء خرق قاعدتي الملاءمة والكيفيّة في صورة أقلّ.

كشف البحث عن مجيء ألفاظ الحوارات بصورة واضحة بعيدة عن الغموض؛ تتصف بالإيجاز؛ ممّا أثرَّ في طبيعة الاستلزام الحواري في صورة عامَّة.

أبان البحث عن مستوى القوة الإنجازية للأساليب التركيبيّة من خلال بروز أساليب: المبالغة والتعجُّب والاستفهام، في الحوارات الواردة.

اتضحَّ للبحث وجود قسمين رئيسين للسياقات في الحوارات الواردة، أحدهما معانٍ ضمنيَّة، والآخر معانٍ مضمرة.

بيّن البحث أنَّ أهمّ الموضوعات التي جاءت في سياقات المعاني الضمنيّة هي: الإفهام، والتوبيخ، والتعريف.

أوضح البحث أنَّ أهمّ السياقات التي جاءت فيها المعاني المضمرة في سير القصيبي الجزئية هي تلك المتعلّقة بالمضمر الاجتماعي، والقومي، والهُويّة.

اتضحَّ للبحث تأثّر الاستلزام الحواري في الحوارات باختلاف الخلفيّات الثقافية للمتحاورين، وتأثير اللغات الأصليّة على طبيعة الحوار.

التوصيات:

توصي الدراسة بمزيدٍ من الأبحاث التي تستكشف الأبعاد التداوليّة الأخرى في الأدب السيري السُّعودي، لاسِيما النظرية البلاغية للاستلزام، وتطبيقاتها على نصوص السّير؛ لتعميق فهمنا بكيفيّة بناء المعنى في الخِطاب السردي العربي الحديث.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

القصيبي، غازي عبدالرحمن. "حياة في الإدارة". (د.ط، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م).

القصيبي، غازي عبدالرحمن. "سيرة شعرية". (ط٣، جدة: تهامة للنشر والمكتبات، ١٤٢٤هـ).

القصيبي، غازي عبدالرحمن. "العودة سائحًا إلى كاليفورنيا". (ط٢، بيروت: دار الساقي، ١٩٩٧م).

القصيبي، غازي عبدالرحمن. "الوزير المرافق". (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠م).

ثانيًا: المراجع

إبراهيم، ناصر. "فلسفات التربية". (ط٢، الأردن: دار وائل، ٢٠٠٤م).

إحسان، إحسان. "فنّ السيرة". (ط٢، بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦م).

أحمد، مُحَمَّد جميل. "غازي القصيبي.. والإبداع كحالة إنسانيّة ."مركز عبد الرحمن السديري الثقافي العدد ٢٩، (٢٠١٠م).

أدواردي، العياشي. "الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة". (ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠١١م).

إسماعيل، صلاح. "نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس". (ط١، القاهرة: دار قباء الحديثة، ٢٠٠٧م).

الأفريقي، ابن منظور. "لسان العرب". (د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت).

الباهي، حسّان. "الحوار ومنهجيّة التفكير النقدي". (ط١، الدار البيضاء: إفريقيا

الشرق، ٢٠٠٤م).

بريمي، عبد الله. "بين تداوليات سيرل وتفكيكيّة دريدا". ضمن كتاب: (التداوليّات علم استعمال اللغة)، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي. (ط٢، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤م).

بلانشيه، فيليب. "التداولية من أوستن إلى غوفمان". ترجمة صابر الحباشة. (ط١، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م).

بو قمرة، عمر. "قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن –دراسة نقدية– ."مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد المجلد الخامس، العدد الثاني، (٢٠٢١م).

الحديدي، عبد اللطيف. "فنّ السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث". (ط١، القاهرة: دار السعادة للطباعة، ١٩٩٦م).

حمدان، سليم. "الاستلزام الحواري عند بول غرايس المفهوم والمقومات ."مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية المجلد الثاني، العدد الثالث، (٢٠١٩م).

حمداوي، جميل. "التداوليات بين النظرية والتطبيق". (ط١، تطوان: دار الريف للطباعة والنشر، ٢٠١٩م).

سرحان، مكيّ محُمَّد. "أدباء خليجيّون مميّزون –غازي القصيبي–". (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٨م).

السكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد. "مفتاح العلوم". تحقيق محمد هنداوي. (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١م).

شرف، عبدالعزيز. "أدب السيرة الذاتية". (د.ط، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٢م).

الشمري، زينب عادل. "قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ) (دراسة تداولية) ."مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية العدد ٣٢، (٢٠١٧م).

صالح، أسماء محمد سعد. "اللغة الساخرة ووظائفها في روايات غازي القصيبي ."حوليّة كلية اللغة العربية بجرجا الجزء الخامس، العدد ٢١، (٢٠١٧م).

صحراوي، مسعود. "التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسانيّ العربي". (ط١، الجزائر: دار الطليعة، ٢٠٠٥م).

عامر، سمية. "الاستلزام الحواري عند بول غرايس المفهوم والمقومات ."مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية المجلد ٢، العدد ٣، (٢٠١٩م).

عبد القادر، كمال. "حكاية اسمها غازي القصيبي". (ط١، دبي: دار مدارك للنشر، ٢٠١١م).

عبدالرحمن، سوسن جبَّار. "غازي عبدالرحمن القصيبي دراسة في حياته ومؤلفاته ١٩٤٠–٢٠١٠م ."مجلة العلوم التربوية والاجتماعية (ريس) العدد السادس، المجلد ٢، (٢٠١٩م).

عبدالرحمن، طه. "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).

العزاوي، كاظم جاسم منصور. "التداولية في الفكر النقدي". (أطروحة دكتوراة، جامعة بابل، ٢٠١٢م).

علوي، حافظ إسماعيل. "التداوليّات (علم استعمال اللغة)". (ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤م).

العمد، هاني. "دراسات في كتب التراجم والسير". (ط١، عمّان: المؤسسة الصحفية الأدبية، ١٩٨١م).

عوّاد، هاني. "تحولات مفهوم القومية العربية من المادي إلى المتخيّل". (ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣م).

القاضي، مُحمَّد وآخرون. "معجم السرديات". (ط١، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م).

كادة، ليلى. "المكون التداولي في النظرية اللسانيّة العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجًا". (أطروحة دكتوراة، جامعة الحاج لخضر، د.ت).

لبار، عبد القادر. "الاستلزام الحواري وديناميكية التخاطب في مفهوم غرايس ."مجلة مقاليد العدد ١٤، (٢٠١٨م).

لوجون، فيليب. "أدب السيرة الذاتية في فرنسا المفاهيم والتصورات". ترجمة ضحى شيحة .مجلة الثقافة الأجنبية العدد ٤، (١٩٨٤م).

لوجون، فيليب. "السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ". ترجمة عمر حلي. (د.ط، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م).

مُبارك، عائشة. "التعليم قديمًا أخذ طابع الجديّة والتأديب ."صحيفة اليوم العدد ١٥٣٦٦، (٢٠١٥م).

مُحَمَّد، شعبان عبد الحكيم. "السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)". (ط١، عمّان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).

المقدسي، أنيس. "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة". (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

نحلة، محمود أحمد. "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر". (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م).

وهبة، مجدي والمهندس، كامل. "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب". (ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م).

يول، جورج. "التداولية". ترجمة قصي العتابي. (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م).

يول، جورج. "معرفة اللغة". ترجمة محمود فراج عبد الحافظ. (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة، ١٩٩٥م).

Bibliography

ʿAbd al-Qādir, Kamāl. "A Story Called Ghazi al-Qusaibi" (in Arabic). (1st ed., Dubai: Dar Madarek Publishing, 2011).

ʿAbd al-Raḥmān, Sawsan Jabbār. "Ghazi ʿAbd al-Raḥmān al-Qusaibi: A Study of His Life and Works (1940–2010)". Journal of Educational and Social Sciences (RIS), vol. 2, issue 6 (2019).

Abdulrahman, Taha. "Al-Lisan wal-Mizan aw Al-Takawthur Al-Aqli". (1st edition. Beirut: Arab Cultural Center, 1998).

Al-Amd, Hani. "Dirasat fi Kutub Al-Tarajim wal-Siyar". (1st edition. Amman: Al-Mu'assasah Al-Sahafiyah Al-Adabiyah, 1981).

Al-Azzawi, Kadhim Jassim Mansour. "Al-Tadawuliyah fi Al-Fikr Al-Naqdi". (PhD thesis. University of Babylon, 2012).

Al-Bahi, Hassan. "Al-Hiwar wa Manhajiyat Al-Tafkir Al-Naqdi". (1st edition. Casablanca: Ifriqiya Al-Sharq, 2004).

al-Qusaibi, Ghazi ʿAbd al-Raḥmān. "Returning as a Tourist to California" (in Arabic). (2nd ed., Beirut: Dar al-Saqi, 1997).

Al-Qusaibi, Ghazi Abdulrahman. " The accompanying minister " (in Arabic). (1st edition. Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing, 2010).

Al-Qusaibi, Ghazi Abdulrahman. "Life in Administration" (in Arabic). (Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing, 2000).

Al-Qusaibi, Ghazi Abdulrahman. "A Poetic Biography" (in Arabic). (3rd edition, Jeddah: Tihama for Publishing and Libraries, 1424 AH).

Al-Hadidi, Abdullatif. " The Art of Biography between Selfhood and Otherness in the Light of Modern Criticism" (in Arabic). (1st edition. Cairo: Dar Al-Saadah for Printing, 1996).

Al-Maqdisi, Anis. "Al-Funoun Al-Adabiyah wa A'lāmuha fi Al-Nahda Al-Arabiyah Al-Haditha". (2nd edition. Beirut: Dar Al-Ilm lil-Malayin, 1987).

Al-Qadi, Muhammad et al. "Mu'jam Al-Sarrdiyyat". (1st edition. Tunisa: Dar Muhammad Ali for Publishing, 2010).

Al-Sakkaki, Abu Yaqub Yusuf bin Muhammad. "Miftāh Al-Uloum". Investigated by Muhammad Hindawi. (2nd edition. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 2011).

Al-Shammari, Zainab Adel. " Rules of Linguistic Discourse in al-Farrāʾs Maʿānī al-Qurʾān (d. 207 AH): A Pragmatic Study" (in Arabic). Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences (in Arabic) 32, (2017).

'Alawi, Hāfiz Ismaili. " Pragmatics (the study of language use)" (in Arabic). (1st edition. Irbid: Alam Al-Kutub Al-Hadith, 2014).

'Amir, Sumaya. " Conversational Implicature in Paul Grice: Concept and Components" (in Arabic). Al-Qari Journal for Literary, Critical, and Linguistic Studies (in Arabic) vol.2, issue 3 (2019).

'Awwad, Hani. " Transformations of the Concept of Arab Nationalism from the Material to the Imagined" (in Arabic). (1st edition. Beirut: Arab Network for Research and Publishing, 2013).

Blanchet, Philippe. "Pragmatics: From Austin to Goffman". Translated by Saber Al-Habasha. (1st edition. Syria: Dar Al-Hiwar, 2007).

Bouqamra, Omar. "The Rules of Discourse: From Paul Grice to Taha Abdelrahman – A Critical Study" (in Arabic). Ammarat Journal in Language, Literature, and Criticism (in Arabic) vol.5, issue 2 (2021)

Braimi, 'Abdullah. "“Between Searle’s Pragmatics and Derrida’s Deconstruction" In Pragmatics (The Study of Language Use)" (in Arabic), edited by: Hafiz Ismaili 'Alawi. (2nd edition. Irbid: Alam Al-Kutub Al-Hadith, 2014).

Edwardi, Al-Ayyashi. "Conversational Implicature in Linguistic Pragmatics: From Awareness of Apparent Generic Particularities to the Formulation of Regulating Rules" (in Arabic). (1st edition. Algeria: Manshurat Al-Ikhtilaf, 2011).

Hamdan, Salim. "Conversational Implicature in Paul Grice: The Concept and Its Components" (in Arabic). Al-Qari Journal for Literary, Critical, and Linguistic Studies, vol. 2, issue 3 (2019).

Hamdawi, Jamil. "Pragmatics: Between Theory and Application" (in Arabic). (1st edition. Tétouan: Dar Al-Rif, 2019).

Ibrahim, Nasir. "Falsafat Al-Tarbiyah". (2nd edition. Jordan: Dar Wael, 2004).

Ihsan, Ihsan. "Fann Al-Sira". (2nd edition. Beirut: Dar Al-Thaqafa, 1956).

Ismail, Salah. "The Theory of Meaning in the Philosophy of Paul Grice" (in Arabic). (1st edition. Cairo: Dar Qubaa Al-Haditha, 2007).

Kada, Laila. " The Pragmatic Component in Arabic Linguistic Theory: The Phenomenon of Conversational Implicature as a Case Study" (in Arabic). (PhD thesis. University of Al-Hajj Lakhdar).

Labar, Abdul Qadir. " Conversational Implicature and the Dynamics of Communication in Grice’s Theory" (in Arabic). Maqalid Journal, issue 14, (2018).

Lejeune, Philippe. "The Autobiographical Genre in France: Concepts and Perspectives". Translated by Duha Shiha. Journal of Foreign Culture, issue 4, (1984).

Lejeune, Philippe. "Autobiography: Principles and History". Translated by Omar Hali. (Beirut: Arab Cultural Center, 1994).

Mubarak, Aisha. "Education in the Past Took on a Serious and Disciplinary Character" (in Arabic). Al-Yaum Newspaper, 15366, (2015).

Muhammad, Shaaban Abdul Hakim. "A The Autobiographical Genre in Modern Arabic Literature: A Critical Study" (in Arabic). (1st edition. Amman: Al-Warraq Foundation, 2015).

Nahla, Mahmoud Ahmed. "New Horizons in Contemporary Linguistic Research" (in Arabic). (Alexandria: Dar Al-Ma'rifa Al-Jam'iyah, 2002).

Sahrawi, Massoud. " Pragmatics among Arab Scholars: A Pragmatic Study of the Phenomenon of Speech Acts in the Arabic Linguistic Heritage" (in Arabic). (1st edition. Algeria: Dar Al-Tali'a, 2005).

Saleh, Asma Mohamed Saad. "Satirical Language and Its Functions in the Novels of Ghazi Al-Qusaibi" (in Arabic). Annual of the Faculty of Arabic Language in Girga, vol. 5, issue 21 (2017).

Sarhan, Maki Muhammad. "Distinguished Gulf Writers – Ghazi Al-Qusaibi" (in Arabic). (1st edition. Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing, 1998).

Sharaf, Abdulaziz. "Autobiographical Literature" (in Arabic). (Egypt: Egyptian International Publishing Company, 1992).

Wahba, Magdi, and Al-Muhandis, Kamel. "Mu'jam Al-Mustalahat Al-Arabiya fi Al-Lughah wal-Adab". (2nd edition. Beirut: Maktabat Lubnan, 1984).

Yule, George. "Pragmatics". Translated by Qusai Al-Attabi. (1st edition. Beirut: Arab Scientific Publishers, 2010).

Yule, George. "Linguistic Competence". Translated by Mahmoud Faraj Abdul Hafiz. (Alexandria: Dar Al-Wafaa, 1995).

نبرُ الكلمةِ وتدفّق الدلالةِ في الخطابِ
دراسةٌ في الديناميّةِ التواصليّةِ
"تنظير وإنجاز"

Word Stress and Meaning Flow in Discourse
A study in Communicative Dynamics
Theory and Application""

د. نجلاء علي مطري

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربيّة وآدابها بكليّة الفنون والعلوم الإنسانيّة بجامعة جازان

البريد الإلكتروني: nmatari@jazanu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
04/09/2025		06/11/2025

نشر البحث
A Research Publication

شوال ١٤٤٧هـ = April 2026

DOI:10.36046/2356-000-019-017

المُلخّص:

يقدّمُ هذا البحثُ دراسةً في الدلالة اللسانيّة التي اهتمتْ بنبر الكلمة، تجاوزًا لصعوبة البحث في نبر الجملة، بحيثُ تقترح نظريّة الديناميّة التواصليّة مجموعة من القواعد التداوليّة التي نعتوها بالتنظيم التداوليّ للجملة، حيث يقع النبرُ على الكلمة الأخيرة في جملة الجواب على كلّ سؤال. وقد شرح الباحثون في هذا الصدد العلاقة بين المحور والبؤرة والتعليق أمثال: ديزسو وفير باس، انطلاقًا من السياق التداوليّ لتدفّق المعلومات في مختلف اللغات.

بيد أنّ الباحثة انتقدت هذه النظريّة ووسّعتها؛ لأنّ الاشتغال على الخطاب الشعريّ أو الخطاب السياسيّ يجعل وضع النبر في آخر كلمة أمرًا غير وارد. ومن ثمّ، تحديد مواضع النبر تخضع للعلاقة بين المتكلّم والمخاطب، وكيف يتمّم بناء المعلومات القديمة والجديدة بينهما.

وهكذا قدّمتِ الباحثة في هذا البحث ملفوظات شعريّة أثبت من خلالها علاقة الديناميّة التواصليّة بأفعال الكلام، وهو توسيع من طرفها، وقد اختبرت ذلك على بعض الملفوظات الشعريّة وبعض جمل اللغة العادية، ثم قاربت مسألة انسجام الخطاب ونبر الكلمة في علاقتهما برتبة الحقائق والعوالم الممكنة، مستفيدةً من أطروحات فان ديك الذي اشتغل على انسجام النصّ بناء على مفهوم السياقات التفسيريّة وعلاقتها بما تقدّمه من جديد عندما يتغيّر الحدث وتتغيّر بالضرورة معه العوالم الممكنة، وحينها يصبح النبر ملازمًا للعالم الممكن الجديد. غير أن تحليل الباحثة لمؤولات الرؤية والرؤيا في خطابات صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان تعدُّها محاولة منها لبناء خطاب نقديّ سعوديّ يقتحم الخطابات السياسيّة التي تحاول إقناع المتلقي وتبني أطروحتها بالتدرُّج. وكانت مؤولتها قد اعتمدت على تقطيع الخطاب وعوالمه الممكنة، مع التركيز على العلاقات التراكيبيّة والاستبداليّة لتحليل القديم والجديد في خطاب

صاحب السمو الملكيّ. ومن ثمّ، استخلصت أنّ تدفّق معلومة المستقبل هي أساسُ بناء الخطاب وجديده في خطاب صاحب السمو الملكيّ، ممّا يحدّد تغيرّات ممكنة شكّلت إستراتيجيّة العهد الجديد للمملكة العربيّة السعوديّة.

الكلمات المفتاحيّة: نبر الكلمة– المعلومة القديمة، المعلومة الجديدة، رتبة الحقائق، التعليق، والانتقال، والمحور والبؤرة.

Abstract

This research presents a study in linguistic semantics that focused on word stress, overcoming the difficulty of researching sentence stress, such that the theory of communicative dynamics suggests a set of communicative rules that we call the communicative organization of the sentence, where stress falls on the last word in the sentence answering each question. The researchers have explained, in this regard, the relationship between the topic, the focus, and the comment, such as Déesse and Firbas, based on the pragmatic context of information flow across different languages. However, the researcher criticized this theory and expanded upon it, arguing that working with poetic discourse or political discourse makes placing the stress on the final word impossible. Consequently, the determination of stress positions is governed by the relationship between the speaker and the addressee, and by how the two-construct old and new information between them.

Thus, in this study the researcher presented a set of poetic utterances through which she demonstrated the relationship between communicative dynamism and speech acts—an extension proposed on her part. She tested this on selected poetic utterances as well as on some sentences from ordinary language. She then examined the issue of discourse coherence and word stress in their relation to the hierarchy of facts and possible worlds, drawing on the theoretical propositions of Van Dijk, who investigated textual coherence on the basis of the concept of interpretive contexts and their relation to what they introduce as new when an event change—whereby possible worlds necessarily change with it. At that point, stress becomes intrinsically associated with the new possible world. However, the researcher's analysis of the interpretations of vision and dream in the speeches of His Royal Highness Crown Prince Mohammed bin Salman is regarded as an attempt on her part to construct a Saudi critical discourse that engages political discourses seeking to persuade the recipient and to build their theses gradually. Her interpretive approach relied on segmenting the discourse and its possible worlds, with a focus on syntagmatic and paradigmatic relations in order to analyze what is old and what is new

in the Crown Prince's discourse. The researcher consequently concluded that the flow of information about the future constitutes the foundation for constructing discourse and its novelty in the speeches of His Royal Highness, thereby determining possible transformations that have shaped the strategy of the Kingdom of Saudi Arabia's new era.

Keywords: word stress; old information; new information; fact ranking; comment; transition; topic; focus.

مقدّمة:

إنّ الدرسَ النقديّ الحديث لا يمكن أن يستقيمَ في العالم العربيّ دون الترسيخ النظريّ اللسانيّ، الذي يفيدُ في التعرُّف على أحدثِ النظريّاتِ اللسانيّة العالميّة وقراءة الخطاب بشكلٍ عامٍ في ضوئها؛ ذلك أنّ اللسانيّات هي تفسيرٌ وتأويل للظواهر اللغويّة، ومن ثمّ، فإنّ الشعرَ وغيره من الظواهر الأدبيّة يوظّف تلك الآليّات اللسانيّة ويقدّمها في حيّز لسانيّ سياقيّ يجعل الدراسة النقديّة علميّةً نسبيًّا. وهذا ما قصده الشكلانيّون الروس عندما تحدَّثوا عمّا سمَّوه بـ (علم الأدب).

إنّ **المنظورَ اللسانيّ** النقديّ توسّعه الباحثة في هذا البحث، مستفيدةً من المنجز التداوليّ الوظيفيّ كما ورد عند علماء عرب مثل: أحمد المتوكّل وغربيين مثل: دزسو وفيرباس وفانديك وغيرهم، **نحو** صياغة **إشكاليّة قديمة جديدة هي: كيف يتمفصلُ النبرُ في الجملة، وبالتالي كيف ينتجُ عن هذا التمفصل ديناميّة التواصل في سياق العلاقة بين المنتج والمتلقّي في خطاب شعريٍّ؟**

ذلك أنّ قضيّة النبر الصوتيّ تمّ التطرُّق إليها من طرف النحاة وعلماء الأصوات واللسانيين قديمًا وحديثًا، غير أنّ إجماع العلماء على صعوبة الخوض في نبر الصوت وعلى رأسهم: (ابن جنّي، وتمّام حسّان، والسغروشني، ومحمد مفتاح وغيرهم)، يجعلنا نترك قضيّة الرمزيّة الصوتيّة جانبًا؛ لأنَّها كما يقول محمد مفتاح: "مبحثٌ غيرُ دقيقٍ"[1]، انطلاقًا من كون النبر الصوتيّ يتحكَّم في منظومته الإنشاد ومساق التلفُّظ الصوتيّ، الذي يختلفُ باختلاف المنشدين وحالاتهم النفسيّة والثقافيّة وغيرها. وهكذا

(١) راجع كتابي: محمد مفتاح، "تحليل الخطاب الشعري". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،١٩٨٥م).

– محمد مفتاح، "في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقيّة". (ط١، الدار البيضاء: دار الثقافة،١٩٨٩م).

ظهر مبحثٌ جديدٌ في اللسانيّات المعاصرة هو مبحثُ نبر الكلمة (Word Stress)، الذي يربط نبر الكلمة داخل الجملة بالمعلومة الجديدة في الخطاب ويضع لها رتبة خاصّة تتداخل مع إشكاليّة التقديم والتأخير في الخطاب، ويتمفصل عنها أثرٌ ديناميّ في تقدُّم التواصل وتطوُّره.

فما أسسُ ومفاهيمُ نظريّة الديناميّة التواصليّة، وما علاقتها بالتراكم الدلاليّ في الخطاب الشعريّ عبر تدرُّج السلسلة اللغويّة ورتبة الكلمات التي تحوي النبر في مساقها؟

– **موضوع البحث**: دراسة نبر الكلمة في الجملة والخطاب.

– **أهميّة البحث**: تنبعُ أهميّةُ هذا البحث من كونه يطرحُ مقاربةً جديدة للنبر اللغويّ، تتجاوزُ النظرة الصوتيّة البحتة إلى تحليل تداوليّ يربطُ بين النبر وتدفّق الدلالة داخل الخطاب؛ إذ تسعى الدراسة إلى الكشف عن البنية العميقة التي تحكمُ توزّع النبر في النصوص الشعريّة والسياسيّة، بوصفه أداةً لإبراز المعلومة الجديدة وتنظيم العلاقة بين المتكلّم والمخاطَب. كما تتجلّى أهميتها في توظيف نظرية الديناميّة التواصليّة توظيفًا مرنًا يتلاءمُ مع خصوصيّة الخطاب العربيّ، ويسهمُ في بناء رؤية نقديّة ولسانيّة حديثة تواكبُ تطوّر الخطاب السعودي في العهد الجديد، بما يحمله من تحوّلات فكريّة ورمزيّة تعبّر عن انتقال في بنية المعنى وأساليبه الإقناعيّة.

– **أهداف البحث**: سعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف لعلّ أبرزها:

١. تحليل مفهوم النبر بوصفه ظاهرة تداوليّة تسهمُ في بناء الدلالة وتنظيم تدفّق المعلومات داخل الخطاب.
٢. اختبار نظريّة الديناميّة التواصليّة وتوسيعها لتشمل الخطابات غير التقليديّة كالشعر والخطاب السياسيّ.
٣. استجلاء العلاقة بين النبر وأفعال الكلام في النصوص الأدبيّة والسياسيّة، وبيان أثرها في انسجام الخطاب.

٤. الكشف عن كيفيّة إسهام النبر في توليد العوالم الممكنة وتغيّرها تبعًا للسياقات الحدثيّة والمعرفيّة.

٥. بيان دور النبر في إستراتيجيّات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسيّ السعودي الحديث.

– **مشكلة البحث**: تتمثّل مشكلة هذه الدراسة في محدوديّة المقاربات اللسانيّة التي تناولت النبر ضمن إطار صوتيّ أو نحويّ ضيّق، دون الالتفات إلى أبعاده التداوليّة والدلاليّة. كما تطرحُ الدراسة تساؤلًا حول مدى صلاحيّة قاعدة وضع النبر على الكلمة الأخيرة —— كما تفترضها نظريّة الديناميّة التواصليّة —— عند تحليل الخطابات التي تتسمُ بتعدّد المقاصد والأساليب، كالشعر والخطاب السياسيّ. ومن ثم تنطلقُ المشكلة البحثيّة من السؤال الرئيس الآتي:

– كيف يسهمُ نبر الكلمة في توجيه تدفّق الدلالة وتنظيم المعلومات داخل الخطاب في ضوء نظرية الديناميّة التواصليّة؟

وتنبثق عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما حدود العلاقة بين النبر وأفعال الكلام في النصوص الشعريّة والسياسيّة؟
- كيف يتبدّلُ موقع النبر تبعًا لعلاقة المتكلّم بالمخاطَب وسياق إنتاج الخطاب؟
- وما أثر ذلك في بناء العوالم الممكنة وانسجام الخطاب دلاليًا وتداوليًا؟

– **منهجيّة البحث**: للتحقّق ممّا افترضناه، اخترنا منهجيّةً استنباطيّة، أيّ: إنّنا نطرح النظريّة ثم نفحصها **في** الخطاب. ولذلك اعتمدنا على المقاربات الديناميّة التواصليّة، وهي تندرجُ ضمن اللسانيّات التداوليّة التي تجمع بين التحليل الدلاليّ والتداوليّ للنصوص، مع الاستفادة من مفاهيم نظريّة أفعال الكلام ونظريّة العوالم الممكنة. كما توظّفُ الدراسة المنهج التحليليّ النصّيّ في تقطيع الخطاب إلى وحداته التركيبيّة والدلاليّة لرصد مواضع النبر وأنماطه. وقد طُبِّقت هذه المنهجيّة على عيّنةٍ من

الملفوظات الشعريّة، إلى جانب خطاباتٍ لصاحب السموّ الملكيّ، بهدف اختبار مدى فاعليّة النبر في إنتاج الدلالة الجديدة وتوجيه تدفّق المعنى ضمن السياقات التداوليّة المتحوّلة التي تميّز الخطاب السعوديّ في العهد الجديد.

– **الإطار النظريّ**: إطارنا النظريّ هو النظريّة اللسانيّة الدلاليّة التداوليّة التي اشتغل خلالها مجموعة من الباحثين اللسانيين، أمثال: ديزسو، وفيرباس، وفان ديك وغيرهم، وذلك بقصد تقديم مفاهيم سياقيّة تداوليّة لتنظيم المعلومات بين القديم والجديد، ممّا يحقّق انسجام الخطاب.

– **قسّمنا البحث إلى مقدّمة، وأربعة محاور، هي**:

– **المحور الأوّل**: مقولة الرتبة في الديناميّة التواصليّة.

– **المحور الثاني**: الحقائق ورتبة العوالم الممكنة.

– **المحور الثالث**: رتبة الأعمال والتنظيم التداوليّ.

– **المحور الرابع**: ديناميّة الخطاب السياسيّ.

المحور الأوّل: مقولة الرتبة في الديناميّة التواصليّة

– ١–١ تدفُّق المعلومات التواصليّة:

يمكن اعتبار الرتبة (رتبة الأصوات، والكلمات، والجمل) داخل الخطاب مكونًا رياضيًّا زمنيًا، بحيثُ يمكن أن نجعلَ من رتبة الكلمات شبيهة بالرتبة الرياضيّة، فهي: عبارة عن نقطٍ متتابعة في خطٍ زمنيٍ. وهذا يعني أنّ الرتبة تنتظم عمليّة التأليف بين الوحدات وبين المكوّنات والمركّبات والجمل في اللغة. ومن ثمّ، تسهمُ الرتبةُ في ضمان انسجام الخطاب، وكلّ تشويش عليها له تأثير على نبر الكلمة وعلى الدلالة المباشرة والدلالة التداوليّة(١).

بالنظر إلى ما سبق، يمكن أن نقارب إشكاليّة رتبة الصوت والحرف، ورتبة الكلمات، ورتبة الأحداث والحقائق من زاوية علاقاتها بالبنيّات الدلاليّة والتداوليّة والتركيبيّة. وهو ما يشكلُ مباحث الديناميّة التواصليّة. وقد ذكر تمّام حسّان في كتابه: (اللغة العربيّة معناها ومبناها): "أنّ الرتبة هي فرعٌ على (التضامّ) إذ لا رتبة –في نظره– لغير متضامّين. والتضامُ بهذا المعنى هو أن يستلزمَ أحدُ العنصرين عنصرًا آخر أي (التلازم) أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى (التنافي) ..."، كما نسبوا "وظيفة الزمن إلى الأدوات وهي منه براء وإلى الظروف، وهي تفيده معجميًّا لا وظيفيًّا"(٢). ويقصد بالرتبة الطرق الممكنة بلاغيًا لوصف الجملة من حيثُ التقديم والتأخير والفصل والوصل وغيرها، وفي كلّ ذلك دلالة علي أهميّة الرتبة في تحقيق انسجام الخطاب.

إنّ البحثَ في الرتبة ومفاهيمها ضمن الديناميّة التواصليّة هو بحثٌ في النتائج

(١) راجع: إسماعيل شكري، "امبرطوريّة التنافذ نظرية في النسبية التأويليّة". (ط١، الدار البيضاء: دار توبقال– ٢٠١٦م)، ص ١٠٩: ١١٦.

(٢) تمّام حسان، "اللغة العربية: معناها ومبناها". (ط١، المغرب: دار الثقافة،١٩٩٤م) ، ص١٧.

اللسانيّة التداوليّة وأثرها على نمو الخطاب عبر مفهومين أساسيين هما: المحور، والبؤرة.

فكيف يؤثّر التنظيم التداوليّ (Pragmatic Organisation) للجملة على نبرها، وهل لهذا التنظيم (محور/ بؤرة) علاقة بالرتبة الأصليّة للغات؟

من هنا تتشكّلُ دراسات اللسانيّ التداوليّ لازلو دزسو (Dezső László, 1982)[1] نقطة انطلاق مجموعة من الباحثين التداوليّين الذين استفادوا من مدرسة براغ ومن دراسات اتجاه المنظور الوظيفيّ للجملة، قصدَ تطوير مفهوم التنظيم التداوليّ للجملة والخطاب. فقد انتبه هذا العالم إلى أنّ التنظيم التداوليّ هو الذي يحدّد رتبة المكونات باعتباره واسطة تنظيميّة، ومن ثمّ، يحدّد علاقة هذه الرتبة بنبر الجملة. لكنّه، وهو يشتغلُ على مجموعة من اللغات اكتفى بإبراز علاقة النبر بالرتبة الأصليّة للغات، دون التركيز على أهميّة التداول في تحديد الرتبة والنبر كذلك.

ويمكن أن نلخّص أطروحات دزسو فيما يأتي:

١– اللغات العالميّة من حيث ترتيب المكوِّنات نوعان:

أ–نوع يعرّف فيه ترتيب الفاعل (s) سـبقًا على المفعول (o)، مثل الإنجليزيّة (فا ف مف)، والعربيّة (ف فا مف).

ب–نوع يعرّف فيه المفعول سبقًا على الفاعل مثل اللغات من نمط (ف مف فا).

٢– في الصنف الأول (أ) نجد المُنَفِّذ (Agent) دلاليًا هو الفاعل تركيبيًّا، والمحور (Theme)، كما أنّه يسبق الهدف (Goal) دلاليًا وهذا الهدف هو المفعول تركيبيًّا، والبؤرة (Focus) تداوليًّا.

٣– يُلاحظ أنّ هذه اللغات من صنف (أ) تتبعُ المبدأ الذي ينظِّر له الاتجاه الوظيفيّ

(1) László Dezső. "*Studies In Syntactic Typology and Contrastive Grammar*", Translated by: Imre Gombos and Béla Hollósy. Berlin; Boston: De Gruyter Mouton. 1982. PP. 20:34.

للجملة، الذي تتبناه الأطروحة الآتية:

إنّ اللغات من صـــنف (أ) هي الحاملة للعنصـــر الأعلى في الدرجة الديناميّة التواصليّة، وهو العنصرُ الذي يتأخّر على العنصر الحامل لدرجة دنيا.

ومعنى هـذا الكلام أنّ فيرباس (Firbas, J-1981)(١) قـد اقترح مـا يســـمى بالديناميّة التواصليّة ويقصد به مدى إسهام مكوّنات الجملة في تقدّم التواصل وتطوّره، ومن ثمّ، فإنّ اللغات التي يسـبق فيها الفاعل المفعول تؤخّرُ الوحدة التي تطوّر التواصـل في آخر الجملة، حيث يكون النَّبْرُ واقعًا على الكلمة المتأخّرة في الجملة أيّ: البؤرة.

ويفصّل **فيرباس** في ذلك على أساس مجموعة من المبادئ، هي:

أ- **التعليق** هو الجملة التي تحتوي على نبر الكلمة أو نبر الجملة. وبمعنى آخر، فإنّ التعليق يحوي **البؤرة** (Focus) **والانتقال** (Comment)، ومثال ذلك، إذا قلنا: **سأشاركُ في مباراة تخصُّ كرة القدم**، فإنّ جملة **تخصّ كرة القدم** هي **تعليق**، و**الانتقال** هو فعل: (**تخصُّ**)، وأمّا الكلمة **المنبورة**، فهي **البؤرة**: **كرة القدم**، أيّ: أنّ المتلقي يعرف بأنّ المتكلّم سيشـارك في مباراة، لكن لا يعرف نوعهـا، فتـأتي جملة التعليق متأخّرة في الكلام لتوضّـــح البؤرة، أيّ: المعلومة الجديدة والموسومة بالنبر.

ب- نلاحظُ أنّ العنصـر المتأخّر في الجملة هو، حسـب **دزسـو وفيرباس**، الحامل للمعلومة الجديدة بالنسـبة للمتلقّي هو العنصـر الموسـوم بالنبر. لكننا نرى أنّ هذا المنظور لدى العالمين اللســـانيين يتعامل مع الرتبة وكأنَّها مكونٌ ثابت، ويُقصي أهميّة التنظيم التداوليّ في تحديد رتب المكوّنات نفسها.

فليس بالضـرورة أن يكون المكوّن المنظور (البؤرة) هو المفعول، وليس بالضـرورة

(1) See: Jan Firbas. "*Scene And Perspective*". In: Brno Studies In English, 1981, vol. 14, iss. 1, pp. 48: 49.

أن يكون متأخرًا في الكلام، وهذا يعني أنّنا ننتقدُ البلاغة العربيّة التي ترى أنّ الـمُقدَّم أولى، كما تنتقدُ نظرية **دزسو وفيرباس** التي تجعل من المتأخِّر أولى، لأنّه في نرى أنّ النبر يقع على المعلومة الجديدة سواءٌ أكانت متقدّمة أو متأخِّرة.

فإذا قلت لي: **سافرت إلى جدة صباحًا**، ولكي نحدِّد النبر والبؤرة، نطرحُ السؤال: **ماذا فعلت صباحًا؟** سيكون الجواب: **سافرت**، والمتقدّمة في الكلام هي الحاملة للنبر، ومن ثمّ، هي **البؤرة**.

أما إذا كان السؤال: **متى سافرت إلى جدّة؟** فستصبح المعلومة الجديدة هي: **(صباحًا)**، وهي: **البؤرة**.

وإذا قلت لك: **أين سافرت؟** فستكون **(جدة)** هي **المعلومة الجديدة**.

إذن، تحديد نبر الكلمة في البؤرة يخضع للسياق التواصليّ الذي يمكِّن من تحديد المعلومة المتعارف عليها بين المتكلّم والسامع، أيّ: (المحور) و(البؤرة) التي تمثّلُ المعلومة الجديدة.

ونجدُ في الأدبيّات الوظيفيّة التداوليّة ما يرادفُ مصطلح المحور، ويتمُّ التعبير عنه بمصطلحات مثل: **(الحول التداوليّ)** (Pragmatic Aboutness) أو **(عائديّة الخطاب)** (Discourse Anaphoric) أو (Topic).

أما البؤرة، فهي الجزءُ الذي يسهم أكثر في تقدّم التواصل وتطوّره، فسياقها يمثّل المعلومة الجديدة ويقع عليها نبر الجملة أو نبر الكلمة، وتؤشِّر على أعلى الدرجات الديناميّة التواصليّة. لكن، كما وضحنا سابقًا، ليس بالضرورة أن تأتي في آخر الكلام.

وللبؤرة مثل **المحور** مصطلحان اثنان، هما: (Focus = Rheme)، بينما يمثل مصطلح **تعليق** (Comment) مصطلحًا أشمل، إذ يضمُّ **البؤرة والانتقال** (Transition).

ونوضِّح ذلك من خلال بعض الأمثلة التي نربطها بسياقات من خلال أسئلة:

١– ماذا تقرأ خديجة؟ تقرأ خديجة رواية

محور بؤرة

أمّا إذا كان السؤال: **أيَّ نوع من الروايات تقرأ خديجة؟**

فستعاد تكوين المكونات الدلاليّة كالآتي:

٢– خديجة تَقرأ رواية بوليسيّة.

محور تعليق

في هذا المثال، يكون التعليق الانتقالي هو: رواية بوليسيّة، بينما البؤرة هي: بوليسيّة.

إذن، نحن نخالف ما ورد في منظور الديناميّة التواصليّة الذي يجعل بالضرورة البؤرة متأخِّرة في الكلام

فيمكن أن نطرحَ السؤال من جديد: من يقرأ الرواية البوليسية؟ فيصبح الجواب:

خديجة هي من يقرأ الرواية البوليسية.

البؤرة المحور

ويقودنا هذا إلى التفسير في نظرية سسومو كونو (Susumu Kuno, 1978)[١] الذي قدّم قاعدة تداوليّة مبدئيّة تعرف بـ (مبدأ تدفّق المعلومة - Information Flow Principle = IFP).

(1) See: Susumu Kuno. *"Functional Sentence Perspective: A Case Study from Japanese and English"*. Linguistic Inquiry 3(3) 1972: 269–281

نشرحها كالآتي:

١–٢ تدفّق المعلومات والتنظيم التداوليّ للخطاب:

يعتمدُ هذا المبدأ على أنّ الكلمات تنتظم في الجملة تبعًا لقدم أو جدة المعلومة. فالكلماتُ ممثّلة لمعلومة قديمة ومحتملة تأتي في المقدِّمة، بينما الكلمات الممثلة للمعلومة الجديدة وغير المحتملة تأتي في آخر الجملة[١]. ومع ذلك، فإنّ هذه القاعدة تعدُّ قاعدة أساسيّة فقط، أو ما يسميه تيوان أ. فان ديك (Teun A. van Dijk)[٢] بـ(الترتيب العاديّ لعناصر المحور والبؤرة).

ففي نظرنا، مقاصد المتكلِّم والمخاطب قد تتجاوز هذا التنظيم وتخرقه حسب مساق وسياق الملفوظات. ولذلك، فافتراض أسئلةٍ بخصوص الفقرات والنصوص في الجمل هو الكفيلُ بتحديد مواقع البؤرة والمحور (المعلومة القديمة، والمعلومة الجديدة).

فعلى سبيل المثال:

---

(١) نشير هنا إلى وجود اختلاف في هذه المفاهيم بين النحو الوظيفيّ التداوليّ، والنحو التوليديّ. وهذا ما يؤثّر على ترجمتها عند كلّ من أحمد المتوكّل، والفاسيّ الفهريّ، فالأوّل، وهو وظيفيٌّ تداوليٌّ يماثلُ على غرار الوظيفين بين Theme وTopic للإحالة على المحور، بينما الثاني يرى أنّ Topic هي البؤرة أيّ الموضع. وهذا معناه أنّ ما هو بؤرة عند الوظيفين يوجد في الموضع عند التوليديين.

– راجع: أحمد المتوكّل. "اللسانيات الوظيفية: مدخل نظريّ"، (د.ط، الرباط: منشورات عكاظ،١٩٨٩م)، ص٩٣؛ وعبد القادر الفاسي الفهري. "في اللسانيات واللسانيات العربية". إشراف إدريس السغروشي، وعبد القادر الفاسي الفهري، (د.ط، الدار البيضاء: منشورات عيون المقالات، ١٩٨٨)، ١٤: ٢٤.

(2) Teun. A Van Dijk. "*Text and context: Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse*". University of Amsterdam, Second Impression. 1982, pp.12 :16.

إذا طرحنا السؤال: أين سافرت خديجة؟ يأتي جوابه متضمنًا للبؤرة: سافرت إلى مكة. بينما إذا قلنا أو تساءلنا: ماذا فعلت خديجة؟ ستكون البؤرة في بداية الملفوظ: سافرت إلى مكة(١).

ويمكن أن نقاربَ الديناميّة التواصليّة في ملفوظٍ شعريٍّ سواء أكان جملةً أم خطابًا، وذلك لتأويل وتفسير مدى تقدُّم الشاعر مع المتلقِّي في تنمية (المحور)، ليتحوّل تدريجيًا إلى بؤرة تصبحُ بدورها محورًا، وينتقل الشاعر إلى بؤرة جديدة وهكذا دواليك.

يقول الشاعر أحمد الحربي في ديوانه: (مع الريح)، وفي قصيدة (وطن العرب)(٢):

وطنٌ تمزّقه السهام
وليس لي وطنٌ سواه
عيناه لي عينان
ويداي ترتعشان
في كفيه
لا حلمٌ يراودها
ولا قلبٌ يغرّدُ بالمشاعر
والأحاسيسِ التي
يروي جماجمها الرواة
وطنٌ هو الآتي
وكلُّ مشاكلي في عينيه

(١) في اللسانيّات المركّب الفعليّ مثل: دخل، ومثل: دخل الولد، وأمّا المركّب الاسميّ مثل: الجو حار، بينما المركّب الحرفيّ مثل: إلى المدرسة ذاهبٌ.

(٢) أحمد الحربي، "ديوان مع الريح". (ط١، القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع،٢٠١٥م)، ص ١٣١: ١٣٣

في خصره
في كفّه
في كلِّ أحلام الحفاة
أنا ليس لي من هذه الدنيا
سوى لحن الشفاه
أنا ليس لي مالٌ ولا جاه
ولا أرضى بتقبيلِ الكفوف
ولا الجباه
أنا يا أنا قلمٌ
أسلِّطه على نفسي
وتذبحني مواويل الرُّعاة

في هذا الملفوظ الشعريّ تتدفَّق المعلومات في سياق دلاليٍّ تداوليٍّ يؤشِّر على مواضع النبر، التي تمثّلُ المعلومات الجديدة. نلاحظ تراكم الوحدة الدلاليَّة (وطن) في أكثر من سطرٍ شعريٍّ، وهذا يقودنا إلى اعتبارها (محورًا) أيّ: أنَّ القصيدةَ محورها الأساس الذي يقدِّمه الشاعر للمتلقِّي هو وطن بدون تعريف. وإقصاء التعريف يحيلنا أساسًا على أنّ محور الخطاب ليس فقط هو وطن الشاعر، بل وطن كلّ عربي وكلّ متلقٍّ للقصيدة.

وما يفحصُ هذا التأويل عنوان القصيدة: (وطن العرب) الذي جاء معرفًا بالإضافة، ليجعل من ثنائيّة التعريف والتنكير علامة سيميائيّة على تأرجح الدلالة التداوليّة بين وطنين: وطن لكلّ العرب، ووطن لكلّ آدميّ يعيش السياق نفسه ويتمثّله كما هو حال الشاعر. هل معنى ذلك أنّ الشاعر يجعل من الوطن العربي محورًا، ومن وطن الإنسانيّة محورًا لكلِّ ذات تقرأ القصيدة؟

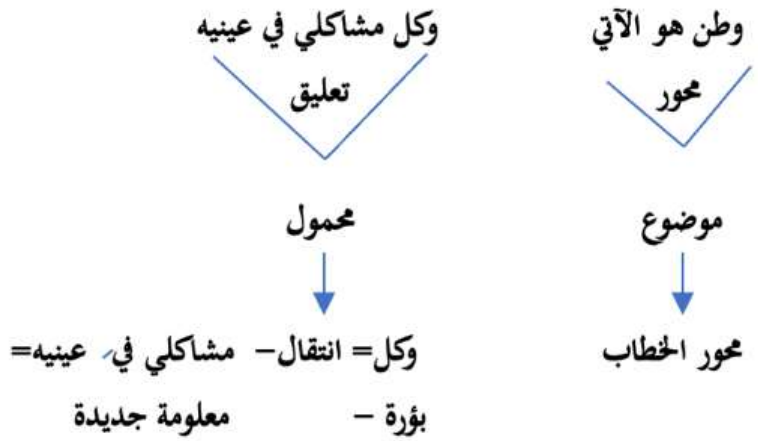
نتبنّى هذا الافتراض من خلال التساؤل السابق، حيثُ يأتي التعريف في العنوان

فقط ويغيب في المتن. فما حال هذا الوطن؟ أيّ: ما المعلومة الجديدة التي ستجيب على معضلة الشاعر مع وطنه؟ نلاحظ أنّ الوطن تصدّر أوّل سطر شعريّ، وبعدها مباشرة تأتي البؤرة/الجديد، وهي: إسناد الوطن إلى ذات الشاعر. وكأنّ السياق الديناميّ التواصليّ يجيب عن السؤال: إذا كان محور القصيدة هو وطن ما، فما علاقته بالشاعر؟ الجواب: إنّه وطنه، والذي يقع عليه النبر في الملفوظ، **وليس لي وطنَ سواه**. لنلاحظ أنّ الوحدة المعجمية (وطن) الأولى هي محور، لكن عندما يتصدّر (الانتقال) وهو (وليس لي) في السطر الثاني، تتحوّل الوحدة من محور إلى وحدة بؤرة.

إذن، انطلق الشاعر في العنوان من محور الوطن العربي ليخصّصه وينسبه إلى ذاته في تحوّل إلى بورة، لكن سرعان ما يتحوّل الوطن والذات إلى محور أساس الخطاب، وما يأتي بعده هو بؤرة متراكمة علي بورة في شكل تراكم ديناميّ يجيبُ على كثير من الأسئلة التداوليّة، مثل: ما الذي يمكن أن يطرحه المتلقّي: وما الإشكال في وطنك؟ هل هي وقائع أم أحلام؟

تأتي الأجوبة عبارة عن بؤر منبورة في مختلف الأسطر الشعريّة.

هكذا ترتعشُ يدُ الشاعرِ في وطن ممزّق، بل إنّ الوطن هو مشكلةُ الشاعر، عندما يقول: وطن هو الآتي وكلّ مشاكلي في عينيه. يمكن عندها أن تقديم نمذجة تمثيليّة لثنائيّة المحور البؤرة لتوضيح حركة النبر وتحوّل المعلومات الجديد عبر الملفوظ الشعري، كالآتي:



الشكل رقم (١) ثنائيّة المحور البؤرة

لننتبه أنّ الانتقال: (وكلّ) في الملفوظ الشعريّ حمالٌ لكلِّ التمثُّلات السياقيّة التي يشيّدها المتلقِّي بخصوص وطن الشاعر. فهو معلومات جديدة تحيلُ على الأحلام وعلى الحبّ، وفي الآن ذاته يتدفّق اعتزاز الشاعر بنفسه في شكل معلومات جديدة متدفِّقة. فلا يرضى الشاعر بواقع هذا الوطن، فيأتي الجواب البؤرة: أنا (محور) ليس لي مالَ ولا جاهَ (تعليق). ولا أرضى بتقبيل الكفوف ولا الجباه. هذا التدفُّق الديناميّ التواصليّ، الذي كشف عن متواليات دلاليَّة تداوليَّة خفية، يفاجئ المتلقِّي بمعلومات جديدة آخر النصّ، وهي: قلم الشاعر، فهو غناه وسيفه وكلُّ ما يملك. يقودنا هذا التحليل الإجرائيّ السلس إلى أنّ المتلقِّي تفاعل مع منتج النص واستوعب وطن الشاعر، وهو وطنٌ لكلِّ ذات كذلك، لكنّه وطنٌ تضيعُ فيه الأحلام، ويبقى الشعرُ السلطة الوحيدة التي تسمح لشاعر أنّ يعبّر عن ذاته: أنا الشاعر.

ومن هنا نستخلص الفعل اللغويّ الخفيّ (Language Act) بالمعنى الذي يقدّمه جرايس وسورل، والمتمثّل في تشييدنا لمؤوّلة **الاستلازم الحواريّ**: أنا شاعرٌ يتأسَّى لأحزان المهمشين. وذلك انطلاقًا من قوله: **أنا يا أنا قلمٌ أسلِّطه على نفسي وتذبحني مواويلُ الرعاة**.

انطلاقًا من المقاربة السابقة، نستخلصُ الآتيّ:

أ–نحدّد المحور/البؤرة بواسطة مؤشرات نصيّة وسياقيّة تحيلنا على بعض الأسئلة التي تخصُّ الجديدة أو القديمة في الخطاب.

ب–يلعبُ هذا التنظيم التداوليّ دورًا كبيرًا في توليد المعلومات وتصنيفها بين القديم والجديد، ومن ثمّ تحقيق انسجام النص.

ج–إنّ لهذا الترتيب الزمنيّ التداوليّ خلفيّات معرفيّة تتمثّل في ديناميّة التواصل للتأثير المتبادل بين المتكلِّم والمخُاطَب.

وبناءً على ما سبق، يمكن اعتبار مفهوم **محور الخطاب** عاملاً أساسيًّا في تحقيق ترابط الجمل وانسجام النصّ. وذلك بالنظر إلى أنّ هذا التمييز بين المحور والبؤرة أو التعليق يوازي التمييز الكلاسيكيّ في الفلسفة والمنطق بين الموضوع (Subject) والمحمول (Predicate). فالترتيب العادي لثنائية (الموضوع/ المحمول) يمكن اعتباره مؤشرًا في سياقٍ ما على المحور والتعليق. ومثال ذلك: سافر عليٌّ إلى جدّة. يمكن اعتبار هذا الملفوظ مؤشِّرًا على الاصطلاحات السابقة: إذا كان السؤال: أين سافر عليٌّ؟، فإنّ إلى (جدةَ) هي التعليق، ومن ثمّ، هي المحمول، وأمّا (علي وسفره) فهما: المحور أيّ: الموضوع. لكن يجب أن ندرجَ ملاحظةً أساسيةً مفادها:

– ضرورة عدم الخلط بين المنظور المنطقيّ لمفهوميّ الموضوع والمحمول، حيثُ إنّهما يحيلان إلى تقسيم منطقيّ فلسفيّ وصوريّ لا علاقة له بالديناميّة التواصليّة، التي نجدها موضوع مباحث الديناميّة التواصليّة، ويرجع ذلك إلى اعتبارات عديدة، من بينها:

– أنّ المحورَ والبؤرةَ مؤشران على موضوعة أساسيّةٍ في الدرس اللسانيّ الحديث، هي: كيف يسهم نبر الكلمة عبر تدفّق الدلالة في بناء الانسجام بين الخطاب والمتكلّم والمتلقّي؟

غير أنّ الديناميّة التواصليّة لا تتحقَّق فقط برتبة الكلمات أو الوحدات المعجميّة من حيث ورود المعلومات القديمة والمعلومات الجديدة، بل يجب الاشتغال كذلك في الخطاب على رتبة الحقائق ووظائفها في تطوّر الخطاب ودناميّته.

المحور الثاني: الحقائق

الرتبةُ والعوالم الممكنة

لقد تمّ الاستدلال سابقًا على أنّ ترتيب مكوّنات الجملة وفق قيود تداوليّة ومعرفيّة يؤشّر على ديناميّة الخطاب ومدى فاعليَّة التواصل خلاله، انطلاقًا من المقارنة بين تراكم المحور على حساب البؤرة أو العكس.

غير أنّ هاتين الوظيفتين، أيّ: وظيفة المحور، ووظيفة البؤرة لا تحيلان فقط على الذوات والأشياء، بل تحيلان كذلك على الحقائق (Facts) أيّ: يحيلان على عوالم ممكنة (possible World)، ممّا يسمح بتحديد مدى تأثير تلك الحقائق على ديناميّة التواصل، حيثُ نشيّدُ (الحقائق) الأكثر أهميّة من غيرها في الخطاب. إذا كانت الجمل تعينُ حقائقنا في عالم ممكن فإنّ "متواليات الجمل تعيّن متواليات الحقائق"(١). معنى ذلك أنّ هناك تماثلاً بين بنية متواليات وبنية متواليات الحقائق، لكن التوالي الخطّيّ للجمل ليس بالضرورة أن يرتبُ الحقائق ترتيبًا خطيًّا. ذلك أنّ ترتيب الحقائق رهين بقواعد تداوليّة ومعرفيّة تؤدّي في الخطاب إلى حالة تأويليّة يقوم بها المتلقّي باستخراج الحقيقة الأهمّ أيّ: الحقيقة البؤرة. ومن ثمّ، فإنّ (فان ديك) يقرّ بوجود "ترتيب عادي للحقائق يأخذ بعين الاعتبار تأويل المتواليات الجمل بالنظر إلى أنّ ما يرد فيها من أعمال يأتي مرتبًا وفق حقائق الرتبة الأساس التي يختارها المتكلّم أو صاحب الخطاب"(٢).

لنأخذ الأمثلة الآتية:

أ– توجه عليٌّ نحو المقهى، خلع سترته، وطلب شرب القهوة.

ب–توجه عليٌّ نحو المقهى وقبل أن يطلب القهوة خلع سترته.

(1) Teun. A Van Dijk. "*Text and context*", p.114.
(2) Ibid, pp.117.118.

ج–توجه عليٌّ نحو المقهى، ثم طلب القهوة بعد أن خلع سترته.

ج–توجه عليٌّ نحو المقهى، طلب شرب القهوة، وقد خلع سترته من قبل.

لنلاحظ في هذه الجمل أنّ ترتيبها الخطيّ حمل بعض التغييرات الزمنيّة التي لم تغيّر في ترتيب الحقائق. فأن نقول: إنّ ج أ وهي توجه عليٌّ إلى المقهى، قبل ج ب وهي خلع السترة، بل وقبل طلب القهوة، لا يغير شيئًا من الحقائق في باقي الجمل، سواء جاء طلب القهوة قبل خلع السترة أو بعده. حيث إنّ:

< ج أ، ج ب>و<قبل ج ب، ج أ>و<ج ب بعد ج أ> هي مجرد تغييرات في رتبة الجمل، لكنّها لم تمسّ الترتيب العاديّ والخطيّ للحقائق، الذي يبدأ بزمان التوجّه نحو المقهى، ثم خلع السترة، وطلب القهوة. بيد أنّ المتلقِّي، وإن اعتبر تغيير الحقيقة لم يؤثِّر فيه تغيير ترتيب الجمل، فإنّه يشيّدُ عوالم جديدة من الحقائق انطلاقًا من طرح أسئلة تتمحور حول القيمة الإخبارية لكلّ جملة من الجمل السابقة (Information Value):

لماذا تأخرت جملة طلب القهوة على جملة خلع السترة؟ وفي ملفوظ آخر: لماذا تأخرت جملة خلع السترة على طلب القهوة؟ هذا يعني أنّ تلك الجمل، في ظاهرها، تحملُ نفس الرتبة العاديّة للحقائق والمناسبة لترتيب الجمل، لكنها تضمرُ تشويشًا على الحقيقة. فالمتكلمُ، بتغييره لترتيب الجمل بين ملفوظ وآخر، إنما يلمّحُ لسياقات تأويليّة إدراكيّة، حيث يحاول من خلال هذا التلميح تنبيه القارئَ إلى أنّ: خلع عليّ لسترته، سواء تقدّم أو تأخّر، يؤشِّر على إعياء أو ارتباك أو عجلة من أمره أو شعورًا بالحرارة. أيّ: أنّ تلك الجمل السابقة، كما يقول فان ديك، اختلف ترتيبها لكن حقيقتها الظاهرة لم تختلف، بيد أنّ حقائقها الغائبة اختلفت. فعوض أنْ نقولَ: توجّه عليٌّ إلى المقهى وطلب القهوة بعد أن خلع السترة، يبني المتلقِّي حقيقة غائبة وهي: ذهب عليٌّ

إلى المقهى وهو في عجلة من أمره أو اشتدت به الحرارة[1]، ممّا يعدّه فان ديك ضمن (السياقات التفسيريّة) (Explanatory Context).

إذن، نلاحظ أنّ الملفوظات تتراكمُ وفق ترتيبٍ عاديّ للمكوّنات والحقائق، وعندما يغيّر المتكلّم من الترتيب الأولي، يبدو للوهلة الأولى أنّ الحقيقة لم تتغيّر. ومن ثمّ، هناك حقائق حاضرة يعرفها المتكلِّم والمخاطب، بيد أنّ السياق التفسيريّ قد يؤشّر على حقائق غائبة من وراء هذا التغيير في ترتيب الملفوظات والحقائق.

وبهذا المعنى، فإنّ ترتيب الحقائق والتشويش عليه هو تشويشٌ على الحقيقة نفسها. اعتمادًا على السياق الذي يربط السامع بالمتكلِّم، انطلاقًا من قيود سياقيّة تداوليّة ومعرفيّة. وهذا السياق الذي يخفي حقائق غائبة هو نفسه يمنعُ بعض الأوساط في سياق فضائيّ محدد، مثل قولنا: هناك ملعقة صغيرة في المطبخ وتحتها مائدة كبيرة.

ففان ديك بهذا المعنى يجعل من تأويل الحقائق مرهونًا بسياق منطقيّ ومقبول يتعاقد عليه كلًا من المتكلِّم والسامع.

وبذلك نبحثُ في رتبة الأعمال التي تؤثرُ في رتبة الحقائق ذاتها.

(1) See: Teun. A Van Dijk. "*Text and context*", p.103.

المحور الثالث: رتبةُ الأعمال والتنظيم التداوليّ

قد تمّ البرهنة سابقًا على أنّ مكوّن الزمن، ومن ثمّ، الرتبة في اللغة، يؤدي وظيفية أساسيّة في تدفُّق المعلومات وتصنيفها وفق قيود تداوليّة ومعرفيّة إلى معلومات قديمة أو معلومات جديدة منبورة. غير أنّنا دافعنا عن الأطروحة القائلة: بأنّ نمو الخطاب لا يخضع بالضرورة لمقولتي: المقدّم أولى أو المؤخّر أولى. ذلك أنّ العلاقة بين المتكلّم والسامع أو المنتج والقارئ، هي التي تحدِّدُ نمو الخطاب وتفاعل المقصديّات، كما دافعنا عن فكرة أساسيّة، وهي: أنّ الكلماتِ ليست مجردَ أشياء في العالم الخارجيّ، بل هي حقائقٌ وأعمالٌ لا تخضعُ بدورها إلى تصنيف ثابت ضمن مقولة الرتبة. وبذلك، فإنّ لوظيفتيّ البؤرة والمحور في الخطاب علاقة أساسيّة بمفهوم (العمل Action) الذي يترتّب عن ذلك مقولات أخرى مثل: (الأحداث) و(الحالات) وغيرها.

وهكذا، تمثّل نظريّة العمل المشَكِّلَ لمبدأ أساسيّ في الديناميّة التواصليّة وفي تحليل الخطاب تحليلاً تداوليًّا، إذ تعدُّ مقولةً أساسيّة في مدى تحقيق منتج الخطاب لمقصديّات الإنجاز، بناءً على تصنيف معلوماته إلى حالات للأعمال أو وضعيّات. وبذلك، يجب على محلِّل الخطاب أن ينتبه إلى أنّ أيّ تغيير في عالم ممكن ما، أو بالأحرى يظهر بين وضعيتين، يمثّل تقدُّمًا في بناء الخطاب وتطوّره بما يفيدُ الإشباع المعلوماتيّ لدى المرسَل إليه. فمثلاً، إذا طرأ تغيّر ما في عالم ممكن بين الوضعيتين: <ع أ، ز أ> و <ع أ، ز أ+1>، فإنّ هذا يؤشّر على تغيّر أدنى، إذا كانت هذه الأوصاف أو التغييرات تختلف فقط في قضيّة ذريّة (Atomic proposition)، بينما يظلُّ التكافؤ في باقي العناصر[1]،

(1) See: Teun. A Van Dijk. "*Text and context*", pp.167:172

وتجدرُ الإشارة إلى أنّ مفهوم العوالم الممكنة (**Atomic proposition**)، ينظر إليه في المنطق الدلالي خاصّة مع هينتيكا بأنّه الجملة أي القضية التي هي في الأصل مجرد خيال أو صورة ذهنيّة حيث إنّ كل كلامنا هو مجرد عوالم ممكنة متخيّلة.

مثال توضيحيّ:

أ–الباب مفتوحٌ = <ع أ، ز أ>.

ب– البابُ غيرَ مفتوحٍ بعد ذلك = <ع أ، ز أ+ ١>.

إذن، نلاحظ أنّ التغيير طرأ في قضيّة ذريّة أيّ: أدنويّة واحدة، وهي أنّ الباب صار غير مفتوح بعد أن كان مفتوحًا في العالم الممكن السابق. وفي هذا المعنى يعدّ فان ديك أنّ التغيّر (change) لابد أن يحدث تغييرات في خصائص العوالم الممكنة؛ إذ تظهر أشياء وتختفي أخرى، وتبنى أو تهدم علاقات بين الأشياء. وبذلك، لا يحدث أي تغير إذا كانت أوصاف كلّ من الوضعيتين السابقتين متشابهتين.

ويضيفُ فان ديك إلى التغيّر الأدنى الذي رأيناه سابقًا ما يسميّه الحدث المركّب (Compound Event)، أيّ: الحدث الذي يتكّون من عدّة أحداث ترتّب خطيًّا لكنّها تدرك في الذهن كحدث واحد في مستوى معين من مستويات الوصف. فنجد في هذه الأحداث المركَّبة الحالة الأوليَّة في القضيّة الأولى تشبه الحالة الأوليّة في القضيّة الثانية، بينما الحالة النهائيّة تناظر الحالة النهائيّة المرتبطة بالحدث النهائيّ. معنى ذلك أنّ الحدث المركَّب، إذا كان متسلسلاً بهذا المعنى، فإنّه ينعتُ بكونه **مستمرًّا متواصلاً**، وإلا كان متقطّعًا. فعلى سبيل المثال، نعدّ (حدث التحطيم) حدثًا مركّبًا، لأنّه يتكوّن على الأقل من حدث التحرُّك وحدث التكسير، بل إنّ حدث التحطيم حدثٌ مستمرًا، بخلاف (حدث الغناء) إذ غالبًا ما يكون متقطعًا لوجود ثغرات زمنيّة بين الأحداث الفرعيّة. ونضيفُ إلى الأمثلة السابقة فعل (أمطر) بحيث إنّ عملية الإدراك والوصف في الأحداث المستمرة تجعلان بؤرة الانتباه تركّز على خصائص التغيّر التي أحدثها فعل الإمطار[1].

وانطلاقًا من التصنيفات السالفة الذكر، يمكن الحديث عن متواليات الأحداث (Sequences of Events)؛ أيّ عن سلسلة أحداث مميزة يتبعُ الواحدُ منها الآخر في

(1) See: Teun. A Van Dijk. "*Text and context*", pp.169:170.

الزمان، بمعنى في عوالم ممكنة. إذا كانت المتوالية المتكوّنة من عدة أحداث مدركة بوصفها وحدة، فإنها تعدُّ حدثًا مركّبا؛ فهي متواليات متعدّدة، لكنها بحكم ورودها في سلسلة تلفظيّة واحدة يمكن نعتها للمتوالية الواحدة المتضمّنة لأحداث متعدّدة. ومعنى ذلك أنّ المتواليات المدركة كوحدة واحدة تقدم أحداثًا تختزلُ معرفتها في الحدث المركّب.

وقد يقول قائل: إنّ هذا الشرح التفصيليّ ما جدواه في تحليل الخطاب الشعريّ وغيره؟ فجوابنا واضح، وضوح النظرية ذاتها؛ لأنّ اللسانيّات المعاصرة تطوّرت بشكلٍ مذهلٍ ومن ثمّ، فهي تقدّم شرحًا علميًّا لظواهر شعريّة أو خطابيّة من قبيل: الاستعارات، العوالم الممكنة، التمييز بين العمل والفعل، ممّا يسهمُ في توجيه القارئ نحو تأويل محليّ.

أمّا النقدُ العربيُّ –وللأسف– فقد توقّف عند حدود اللسانيّات التداوليّة ولم يواكب تطوّرها نحو اللسانيّات المعرفيّة، والدلالة المعرفيّة، والسيميائيّات المعرفيّة، والأنثروبولوجيا المعرفيّة وغيرها. وبذلك، لا يمكن أن نغفل تطوّر الخطابات المعاصرة وفي الآن نفسه تطوّر اللسانيّات التي تمدُّنا بآليّات التفسير والتأويل العلميين.

ويميّز فان ديك في هذا الصدد بين متوالية الأحداث وسلسلة الأحداث. فالسلسلةُ يمكن أن تتكوَّن من أحداث مستقلَّة عن بعضها البعض، بينما في المتوالية لا ترتب الأحداث ترتيبًا خطيًّا فحسب، بل تكون مترابطة أيضًا. والمبدأ المميّز لهذين المفهومين (متوالية الأحداث وسلسلة الأحداث) هو مبدأ السببيّة (Causation). فسلسلةُ الأحداث يمكن أن تكون متوالية إذا ارتبطت فيها الأحداث برابط السببيّة. كما أنّ هذا المبدأ يجري فقط بين الأحداث ولا يجري بين الحالات. فإذا قلنا مثلا: إنّ حالة ما تمثّل النتيجة، فإنّنا نقصد أنّ حدثًا هو النتيجة ويحتوي على تلك الحالة بوصفها نهائيّة، مثل قولنا:

تسبّب الزلزال في حالة تشرُّد الناس. إنّ السببيّة هنا تجري بين حادثة الزلزال

وسلسلة الأحداث والأعمال المترتّبة عنها والتي تحوي حالة التشرُّد(١).

إذن، يمكن اعتبار نظريّة العمل كما يطرحها فان ديك نظريّة تحلِّلُ بشكل ذريّ ما يحدث في العوالم الممكنة من تغيّرات وأحداث وحالات، ممّا أسهم في تطوير نظريّة الديناميّة التواصليّة وعلاقة نبر الكلمة بنمو الخطاب وتطوّره. وهذا ما يجعلنا نؤكّد أنّ تفسير وتأويل العوالم الممكنة وظاهرتي المحور والتعليق هي كلُّها آليّات لسانيّة تأويليّة لتفكيك الخطاب وإعادة تشييده، انطلاقًا من مفاهيم ترتبطُ أحيانًا بالقالب الدلاليّ وأحيانًا أخرى بالقالب الفضائيّ الصوتيّ.

إنّ اختيار الباحثة للديناميّة التواصليّة ودرجات النبر في الكلمة يمثّل إستراتيجيّة تحليليّة جديدة تمكّننا من الكشف عن المضمرات وعن تفاصيل تأثير مقصديّات المتخاطبين في بعضهم بعض خاصّة أنّ الخطابات، بقدر ما تقدِّم الصريح من المعاني، فإنّها تضفي معانٍ أخرى نحلِّلها من زاوية الديناميّة التواصليّة. فإلى أيّ حدّ تسعفنا هذه النظريّة في إعادة بناء الخطاب السياسيّ وأثره في المجتمع؟ ونموذجنا خطاب صاحب السمو الملكيّ وليّ العهد الأمير محمد بن سلمان حيث نحاولُ استكشاف ديناميّته التواصليّة التي تجعل من خطابه خطابًا فريدًا وجديدًا على المجتمع السعوديّ ذاته.

(١) السببية تكون بين الأحداث وليس بين الحالات، فإذا قلت: مرضك أحزنني، فالسببية هنا ليست بين حالة المرض وحالة الحزن بل بين أحداث مترتبة عن المرض وانتجت أحداثا أخرى أدت إلى الحزن. فنعيد صياغة العوالم الممكنة ونقول: مرضك جاء انطلاقًا من شربك للمياه الغازية وهذا ما جعلني أتحرك بك بين طبيب وآخر مما أحزنني كثيرا.
وهذا ما ستظهر قيمته الدلالية التأويلية في تحليل خطاب أكبر مركب وذي مقصديات متعددة.

المحور الرابع: ديناميّة الخطاب السياسي

المحور المنطلق والبؤرة الهدف

٤–١ بناء الرؤية والرؤيا لخطابات صاحب السمو الملكيّ وليّ العهد الأمير محمد بن سلمان آل سعود:

أ– المدونة:

"هذه توجيهات سيّدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود يحفظه الله، حيث أمرنا بأن نخطّط لعمل يلبي كلّ الطموحات ويحقق جميع الأمنيات.

وبناء على توجيهه، حفظه الله، وبدءًا من هذا اليوم، سنفتح بابًا واسعًا نحو المستقبل، ومن هذه الساعة سنبدأ العمل فورًا من أجل الغد، وذلك من أجلكم – أيّها الإخوة والأخوات – ومن أجل أبنائكم وأجيالنا القادمة.

ما نطمح إليه ليس تعويض النقص في المداخيل فقط، أو المحافظة على المكتسبات والمنجزات، ولكن طموحنا أن نبنيَ وطناً أكثر ازدهاراً يجد فيه كل مواطن ما يتمناه، فمستقبل وطننا الذي نبنيه معاً لن نقبل إلا أن نجعله في مقدمة دول العالم، بالتعليم والتأهيل، بالفرص التي تتاح للجميع، والخدمات المتطورة، في التوظيف والرعاية الصحيّة، والسكن والترفيه وغيره.

نلتزم أمامكم أن نكون من أفضل دول العالم في الأداء الحكوميّ الفعّال لخدمة المواطنين، ومعًا سنكمل بناء بلادنا لتكون كما نتمناها جميعًا مزدهرةً قويةً تقوم على سواعد أبنائها وبناتها وتستفيد من مقدراتها، دون أن نرتهن إلى قيمة سلعة أو حراك أسواق خارجيّة.

نحن نملك كلّ العوامل التي تمكننا من تحقيق أهدافنا معًا، ولا عذر لأحد منا في أن نبقى في مكاننا، أو أن نتراجع لا قدر الله.

رؤيتنا لبلادنا التي نريدها، دولة قوية مزدهرة تتسع للجميع، دستورها الإسلام ومنهجها الوسطيّة، تتقبّل الآخر. سنرحّب بالكفاءات من كلّ مكان، وسيلقى كلّ احترام من جاء ليشاركنا البناء والنجاح.

في المرتكزات الثلاثة لرؤيتنا: العمق العربيّ والإسلاميّ، والقوة الاستثماريّة، وأهميّة الموقع الجغرافيّ الإستراتيجيّ؛ سنفتح مجالاً أرحب للقطاع الخاص ليكون شريكًا، بتسهيل أعماله، وتشجيعه، لينمو ويكون واحدًا من أكبر اقتصادات العالم، ويصبح محركًا لتوظيف المواطنين، ومصدرًا لتحقق الازدهار للوطن والرفاه للجميع. هذا الوعد يقوم على التعاون والشراكة في تحمُّل المسؤولية.

لقد سمينا هذه الرؤية بـ (رؤية المملكة العربية السعوديّة٢٠٣٠)، لكننا لن ننتظر حتى ذلك الحين، بل سنبدأ فورًا في تنفيذ كلّ ما ألزمنا أنفسنا به، ومعكم وبكم ستكون المملكة العربية السعودية دولة كبرى نفخر بها جميعًا إن شاء الله تعالى"(١).

ب– إعادة البناء:

١– تقطيع الخطاب إلى عوالم ممكنة

إذا كانت العوالم الممكنة تمثّلُ ملفوظات تحوي قضايا متخيّلة بالضرورة، وفق النظرة الفلسفيّة التداوّليّة لهنتيكا (٢)(Hintikka) ، فإنّها تشيرُ إلى شروط مساقيّة وسياقيّة تمكّن محلّلِي الخطاب من تحديدها اعتمادًا على قاعدة فان ديك السابقة فيما يخصُّ ما اسماه بـ التغيّر (Change) فالانتقال من عالم ممكن إلى آخر شرطه الأساس الزمان والتغيّر، ومثال ذلك:

(١) رؤية القيادة. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٤/١١/١٠م " من موقع:
https://www.vision2030.gov.sa/ar/leadership-messages

(2) See: Jaakko Hintikka.*" L'intentionnalité et les mondes possibles* [Intentionality and Possible Worlds]". Translated by Nadine Lavand. Villeneuve-d'Ascq: Presses Universitaires de Lille, 1989 .P. 146

العالم الممكن أ = <ع١ + ز١>

والعالم الممكن ب = < ع١ + ز٢>

لكن عندما يحصل التغير يصير العالم الممكن جديدًا كالآتي:

العالم الممكن ج = <ع٢ + ز٣ + تغير ١>

إنّ أ في النمذجة السابقة تحوي عالمًا ممكن بزمانه الأوّل، كقولك: (شربت القهوة)، فالعالم الممكن هنا هي: قضيّة شرب القهوة، وزمانها الماضيّ.

وفي النمذجة العالم الممكن ب فيكرّر نفس العالم الممكن أ لكن بزمان جديد (ز٢)، مثل: (شربتُ القهوة الآن). غير أنّ التغيّر في العوالم الممكنة ينقلنا من عالم ممكن قديم إلى عالم ممكن جديد. وقد يحمل هذا العالم الجديد تغيرًا واحدًا أو أكثر من تغيّر، مثل قولنا: (شربت القهوة بدون سكر)، حيثُ تنشأ قضية جديدة مع زمان جديد انطلاقًا من التغيّر: شرب القهوة من دون سكر. لكن إذا أضفنا على هذا العالم الممكن ج تغيّرًا في داخله حصلنا على تغير جديد ٢ أيّ: <ع ٢ + ز٤ + تغير ٢، كما في قولنا: (شربت القهوة بدون سكر طبيعي). معنى ذلك أنّ التغير هو الذي ينقلنا من عالم إلى آخر، ولكن قد يظلُّ العالم الجديد المتغيّر عن الأوّل، حاملاً لنفس القضيّة أو المحتوى القضويّ ذاته مع تغيّر ثان، أو ثالث.....، ومعنى ذلك كلِّه أنّ التغيُّر المطلق: ينقلنا من عالم ممكن قديم إلى جديد، وأمّا التغيُّر الجزئيّ فينقلنا من محتوى إلى محتوى متفرّع عنه في العالم ذاته.

بالعودة إلى خطاب وليّ العهد، يمكنُ أن نقطّع متوالياته وفق عوالم ممكنة يشكّل بعضها عوالم ممكنة (منطلَقٍ) وأخرى عوالم ممكن (هدف) أيّ: تلك التي تحوي النبر، ومن ثمّ، تنمو بالخطاب وبآليّاته، حيث يتيحُ هذا التصنيف تتبّع تطور الرسائل، وتحديد موقع المحور والبؤرة في الخطاب السياسي، وفهم كيف يحرك الخطاب المعنى والمقصدية لدى المتلقّي:

١–١ العوالم الممكنة المنطلق:

– < هذه توجيهاتُ سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود يحفظه الله>

– < حيثُ أمرنا بأن نخطط لعمل يلبّي كلّ الطموحات ويحقق جميع الأمنيات>

– < وبناء على توجيهه، حفظه الله، وبدءًا من هذا اليوم، سنفتح بابًا واسعًا نحو المستقبل، ومن هذه الساعة سنبدأ العمل فورًا من أجل الغد، وذلك من أجلكم – أيُّها الإخوة والأخوات – ومن أجل أبنائكم وأجيالنا القادمة >

نحلِّل تلك العوالم الممكنة المنطلق، انطلاقًا من كونها تحوي قضايا ممكنة، ومن ثمّ، فمحورها الدلاليّ العامّ هو توجيهاتُ خادمِ الحرمين لتطبيق مشروع تنمويّ شامل وجديد.

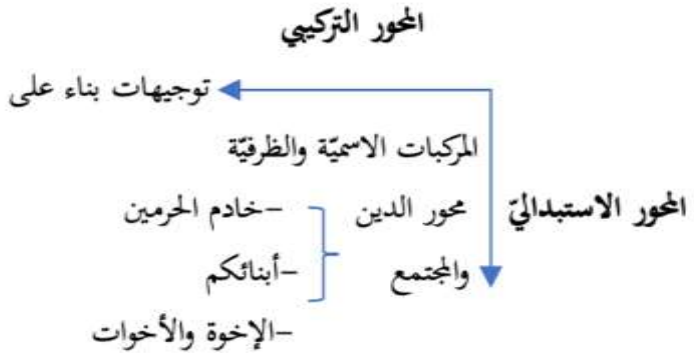
نبرهنُ على هذا المحور المنطلق بناء على مفهوميّ العلاقات التراكبيّة (Syntamatic) والعلاقات الاستبداليّة (Paradigmatic)، حيث إنّ الأولى تحوي تتابعًا للمركّبات الاسميّة مثل: هذه توجيهات، حيث، وبناء على، ... وهذا مؤشِّر على رغبة منتج الخطاب في التعريف؛ لأنّ المركبات الاسميّة أو الظرفيّة مثل: (حيث) تنبئُ المتلقّي بالجديّة، إذ إنّ كلّ تعريف وراءه مسؤوليّة، وهذا ما نجده في الدرس التداوليّ الذي يعتبر أنّ المركبات الاسميّة بشكل عام تحوي محور الحديث ومنطلقاته التعريفيّة التي ترتبط مباشرة بالذات المنتج التي تتحمّل مسؤوليّة أمام السامع.

وأمّا المحور العاموديّ الاستبداليّ فإنّه يخيرنا بين وحدات معجميّة توسمُ بها تلك التوجيهاتُ التي انطلق منها الأميرُ ليحدّدَ البؤرة في المتواليات اللاحقة، ومن ذلك على سبيل المثال: محورُ التوجيهات تحوي الملفوظ: خادم الحرمين الشريفين– يحفظه الله– الطموحات، الأمنيات، المستقبل، الإخوة والأخوات، الأجيال القادمة.

إنّه محور استبداليٌّ للتوجيهات، لكنّه يؤشِّر على عوالم ممكنة تتكرَّر عن مقصديّة لإثارة المتلقّي من خلال مراكز إشاريّة (Deictic centers) تحيلنا بدورها على (أمر

طارئ مستجد) من قبيل: هذه الساعة، وهذا اليوم، ناهيك عن حضور بعض منفِّذي الدلالة الذين يرتبطون مباشرة بالإسلام، مثل: الحرم الشريف، إضافة إلى بعض المنفذين الاجتماعيين مثل: الإخوة والأخوات، وكلُّ ذلك خدمة لجعل منطلق الخطاب منطلقًا رصينًا يشي بحدثٍ جللٍ تعرفه المملكةُ لعربيّةُ السعوديّةُ.

ويمكنُ أنْ نقدّم نمذجة للعلاقة بين المحور التراكبيّ والمحور الاستبداليّ في العوالم الممكنة التي شرحناها آنفًا كالآتي:



الشكل (٢) محاور العوالم الممكنة المنطلق

إذن، لنلاحظ أنّ منتج الخطاب، وليّ العهد، قد بدأ خطابه بتكريس ثوابت الأمّة، وهي منطلقاتٌ لمحور الخطاب؛ أيّ: أنّ التوجيهاتِ صادرةٌ عن خادم الحرمين الشريفين، بوصفه السلطة السياسيّة والدينيّة، لكنّه ربطها بخدمة المجتمع والمتلقّي، بوصفهما جزءًا من تلك الثوابت، وقد برهنّا على تأويل ذلك بناءً على مفاهيم لسانيّة تداوليّة من قبيل: العوالم الممكنة. والقضايا، والمراكز الإشاريّة، ومحوري التراكب، والاستبدال.

نستخلص أنّ بناء المنطلقاتِ والمحاورِ في خطاب ولي العهد يعتمدُ على شرعيّات

متعددة: الشرعيّة الدينيّة (خادم الحرمين الشريفين)، والشرعية الاجتماعيّة (الإخوان والأخوات)، والشرعيّة الراهنيّة (الحاضر والمستقبل).

فكيف أن نشيّدَ (العوالم الممكنة الهدف)، أيّ: العوالم المنبورة التي تؤدي إلى تدفّق المعلومات الجديدة مع تدفّق الخير والتفاؤل بالنسبة للمنتج والمتلقّي معًا؟

١–٢ العوالم الممكنة الهدف وتدفّق المستقبل:

انطلاقًا من المدونة السياسيّة السابقة نقطّع الملفوظات القضويّة بناءً على العوالم الممكنة الآتية:

- **<ما نطمح إليه ليس تعويض النقص...>**
- **<طموحنا أن نبني وطنا أكثر ازدهارًا>**
- **<وطننا الذي نبنيه معًا>**
- **<أن نجعله في مقدّمة دول العالم>**
- **<نلتزم أمامكم >**
- **<ولا عذر لأحد منّا بأن نبقى في مكاننا>**
- **<أو أن نتراجع>**
- **<رؤيتنا لبلادنا>**
- **<دستورها الإسلام ومنهجها الوسطيّة تتقبّل الآخر>**
- **<سنفتح مجالا أرحب للقطاع الخاصّ>**
- **<لقد سمينا هذه الرؤية رؤية المملكة ٢٠٣٠ >**
- **<سنبدأ فورًا في تنفيذ كلّ ما ألزمنا أنفسنا به>**

إنّ ما يميّزُ الملفوظاتِ القضويّة السابقة هي كونها مميّزة عن بعضها بعض بما ينعت في اللسانيّات **بالخصائص المميّزة**، إذ تزاوج بين المركّبات الفعليّة والمركّبات الاثنيّة، بل تتزاوج بين التعريف (Definition) والأنشطة (Activities) من قبيل التعريف: (رؤيتنا

لبلادنا...دولة قوية، في المرتكزات: العمق العربي...، لقد سمينا هذه الرؤية رؤية المملكة٢٠٣٠). غير أنّ الخطاب لا يكتفي بالتحديدات، بل يضيفُ إليها ملفوظات الأنشطة التي تربط بين النوايا والأفعال وتكرّر بداخل أفعالها سمات حركة ونشاط مثل: (سنبدأ العمل فورًا، نبني وطنًا، سنكمل بناء، سنفتح مجالاً أرحب، لينمو).

نعتبر المؤشّرات الآنفة الذكر، من قبيل: التعريف والحركة والنشاط، في خطاب وليّ العهد مؤشّرات دالة على حدوث تغيّر في كلِّ العوالم الممكنة التي حصرناها في باب الهدف المنبور، حيثُ النبرُ يقع على المركّب الفعليّ (نبني)، وعلى المركّب الحرفيّ (في مقدّمة دول العالم)، كما يقع أيضًا على رؤية ٢٠٣٠، ومن ثمّ، تتحوّل (**الرؤية**) إلى (**رؤيا**) في هذا الخطاب؛ أيّ: رؤيا فلسفيّة وإستراتيجيّة جديدة تغيّر العوالمَ الممكنةَ من مجرد أحداث ومتغيّرات إلى أعمالٍ كاملةٍ بالمعنى الذي يقدمه فان ديك حيث إنّ الأعمال (Actions) تختلف عن الأفعال (Acts) لكونها مرتبطة بتحقيق الأهداف (Goals). فالأعمالُ لا تعدُّ أعمالًا إلا ارتبطت بتحقيق الأهداف الإستراتيجيّة[١]، وهذا ما نجده في الخطاب، إذْ تدفع الذاتُ المجتمعَ نحو تحقيق أعمال لا أفعال فحسب. وتنبئُنا بعضُ المركّبات الاسميّة بأنّ هذه الأعمال استراتيجية وبعيدة الأهداف، مثل: (أن نكون من أفضل دول العالم، أن نبني وطنًا أكثر ازدهارًا، دون أن نرتهن إلى قيمة سلعة). وقد جاءت هذه المركّبات في شكل تحديد للأهداف والقدرات، وهي نفسها الكفايات (Competencies) التي يتحدث عنها هوارد جاردنر (Howard Gardner) في كتابه: (الذكاءات المتعدّدة)[٢].

بناء على ما سبق، نتساءل: هل يمكن أن نتحدثَ عن تغيّر بسيط في العوالم الممكنة؟

(1) See: Teun. A Van Dijk. "*text and context* ", p114.

(2) See: Howard Gardner. "*Frames of Mind: the theory of Multiple intelligences*". Heineman London. 1984, pp 34-35.

إنّ التغيّر الحاصلَ هو نقلةٌ من الرؤية إلى الرؤيا، هو نقلةٌ كذلك من فعل بسيط بدون أهداف إلى أعمال عظيمة بأهداف إستراتيجيّة، وهي إذن، رؤية تدرج الوسطيّة في بناء المجتمع، وتنفتحُ على الآخر، ولا ترهنُ الاقتصاد بسلعة البترول، ممّا يجعلُ الأعمالَ داخلَ هذه الرؤية بمثابة ثورة هادئة في القول والعمل معًا.

ومن ثمّ، يمكن أن نقدّم نمذجةً لهذه العوالم الممكنة المختلفة كليًّا عن عوالم المنطلق، أيّ: أن كلّ عالم ممكن جديد هو متغيّرٌ جديد (New change):

< ع١+ ز١+ غ١ >، < ع٢+ ز٢+ غ٢ >، <ع٣+ ز٣+ غ٣+ n. ما لا نهاية >....

نفسّرُ تراكمَ العوالم الممكنة السابقة، وهي عوالمُ الرؤيا الإستراتيجيّة المنبورة، بكونها: في ع١ هناك غ١ أيّ: تعدُّد موارد الاقتصاد، ع٢ تحوي غ٢ أيّ: تغيّرًا جديدًا في وسطيّة الإسلام، وفي: ع٣ تحوي غ٣، أيّ: تغيّرًا جديدًا في الانفتاح على الآخر... وبالتدرُّج مع الملفوظات المنبورة المتراكمة نحصل على غ+N أيّ ما لا نهاية من التغيّرات.

إنّنا بهذا المعنى الإستراتيجيّ، وبعد إعادة بناء الخطاب، نحصل على ديناميّة تواصليّة في تقدّم الخطاب المرسِل بمتلقيّه نحو الحقيقة المنبورة. ذلك أنّ خطاب ولي العهد يغيّر ليس فقط الأفعال والأعمال بالمعنى التداوليّ المعرفيّ، وإنما يغيّر الحقيقةَ كاملةً، أيّ: يجعلها حقيقة التغيير التي تفرضها الشرعيّات الثلاث التي تحدّثنا عنها، وهي: شرعيّة الإسلام، وشرعيّة المجتمع، وشرعيّة الراهن المحليّ والدوليّ. ولقد قادنا هذا الاستنتاج الأهمّ الذي يربطُ المتغيّرات بالحقائق، إذّ أنّ رؤية المملكة التي بشّر بها ولي العهد قد فكّكنا ملفوظاتها وعوالمها الممكنة لتصير رؤيا بمعناها الفلسفيّ والسياسيّ والإستراتيجيّ.

خاتمة:

يُعدّ هذا البحث محاولة لفتح أفق تداوليّ جديد في دراسة النبر اللغويّ، من خلال ربطه بتدفّق الدلالة في الخطاب، لا سيّما في النصوص التي تتجاوز الجمل المعياريّة إلى الخطابات الشعريّة والسياسيّة ذات البنية الرمزية المتحوّلة. وقد انطلق البحث من نقد فرضيّة نظرية الديناميّة التواصليّة التي حصرت النبر في الكلمة الأخيرة من الجملة، واقترح بديلًا أكثر مرونة يجعل النبر تابعًا لتدفّق المعلومات ولحركيّة الخطاب بين المتكلّم والمخاطَب.

وتوصّل البحث إلى أنّ النبر ليس مجرّد سمة صوتيّة، بل مؤشّر تداوليّ ودلاليّ، يعبّر عن كيفيّة انتقال المعنى من القديم إلى الجديد، وعن تموضع المتكلّم في السياق التواصليّ. كما تبيّن أنّ موقع النبر يتبدّل تبعًا لمقاصد الخطاب، ومقام القول، والعلاقة الشعورية والمعرفية بين أطراف التواصل.

وفي الخطاب الشعري، ظهر النبر بوصفه وسيلة لإعادة بناء البنية الدلاليّة للنصّ، بحيثُ يصبحُ مركزَ النبرِ هو مركزُ المعنى الجماليّ والمجازيّ، فيما يتجلّى في الخطاب السياسيّ كأداة لتكثيف المعنى الإقناعيّ وتنظيم إستراتيجيّات التأثير في المتلقّي.

وقد أظهر التطبيق على خطابات صاحب السمو الملكي أنّ تدفّق معلومة المستقبل هو العنصر الذي يحدّد مواضع النبر، ويُعيد تشكيل العوالم الممكنة داخل الخطاب السياسيّ السعوديّ الحديث، بما يتوافقُ مع الرؤيّة المستقبليّة للعهد الجديد.

وبناءً على ذلك، أكّد البحث أنّ النبر والتداولية يشكّلان معًا محورًا أساسيًا في فهم بنية الخطاب العربي، وأنّ الربط بين الصوت والدلالة والسياق هو الطريق الأمثل لتأسيس لسانيّات عربية تداوليّة تستوعب تحوّلات النصوص الحديثة.

– نتائج الدراسة:

- تحوّل النبر من مفهوم صـــوتيّ إلى وظيفة تداوليّة: أثبت البحث أنّ النبر ليس

عنصرًا صوتيًا منعزلًا، بل هو وسيلة للتعبير عن البنية المعلوماتيّة للخطاب وتوزيع المعاني بين القديم والجديد.

- مرونة نظريّة الديناميّة التواصليّة: أظهرت النتائج أنّ النظرية قابلة للتوسيع لتشمل الخطابات غير المعياريّة، شرط دمجها بمفاهيم السياق وأفعال الكلام والعوالم الممكنة.
- العلاقة بين النبر وأفعال الكلام: يتبدّل موقع النبر تبعًا لنوع الفعل الكلاميّ (الإخباريّ، الإنشائيّ، الإقناعيّ، الانفعاليّ)، ما يجعله مؤشرًا على المقاصد التواصلية للمتكلّم.
- النبر في الخطاب الشعريّ: يُعدّ النبر وسيلةً لتوليد الطاقة الإيقاعيّة والمعنويّة، ويُسهم في إعادة بناء التوازن بين الدلالة والرمز والإيحاء.
- النبر في الخطاب السياسيّ: يعملُ النبرُ على إبراز المعاني المركزية المرتبطة بالرؤية والمستقبل والسلطة الرمزيّة، ويساعدُ في بناء إستراتيجيّات الإقناع وإدارة التلقّي.
- العوالم الممكنة وتغيّر النبر: كلّما تغيّر الحدث أو المرجع في الخطاب تغيّر معه موقع النبر، لأنّه ينتقل من المعلومة التي تمثل محور الحديث المعروف إلى المعلومة الجديدة التي تشكّل العالم الممكن.
- الخطاب السعوديّ نموذج دالّ: بيّنت الدراسة أنّ الخطاب السياسيّ السعوديّ الحديث يوظّفُ النبر بوصفه أداة دلاليّة لبناء خطاب استشرافيّ متجدّد، يتكئُ على المفاهيم المستقبليّة والإصلاحيّة.

– توصيات الدراسة:

١. دعوة إلى مزيد من الدراسات التطبيقيّة التي تتناولُ النبر في ضوء التداوليّات ضمن أنواع مختلفة من الخطاب العربيّ (الدينيّ، الإعلاميّ، الأدبيّ).

٢. إدماج دراسة النبر في مناهج اللسانيّات العربيّة الحديثة، مع التركيز على علاقته

بتدفّق المعلومات وبنية المعنى.

٣. الاهتمام بدراسة النبر في الخطاب الشعريّ السعوديّ المعاصر بوصفه أداة لبناء الإيقاع المعنويّ والتأثير الجماليّ.

٤. توسيع المقاربة التداوليّة لتشمل تحليل الخطاب السياسيّ في ضوء أدوات اللسانيّات الخطابيّة (كالانسجام، والاتساق، والعوالم الممكنة، وإستراتيجيّات التلقّي).

٥. إطلاق مشروع بحثيّ عربيّ لدراسة العلاقة بين نبر الكلمة في السياق عبر مناهج التداوليّة الحديثة، بما يربط بين النظريّة والتطبيق في تحليل الخطاب.

قائمة المراجع

المراجع العربيّة:

أحمد الحربي، "ديوان مع الريح". (ط١، القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع،٢٠١٥م).

حسان، تمّام. "اللغة العربية: معناها ومبناها". (ط١، المغرب: دار الثقافة، ١٩٩٤).

شكري، إسماعيل. "امبرطوريّة التنافذ: نظرية في النسبية التأويليّة". (ط١، الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠١٦م).

الفهري، عبد القادر الفاسي. "في اللسانيات واللسانيات العربية". إشراف إدريس السغروشي، وعبد القادر الفاسي الفهري. (د.ط، الدار البيضاء: منشورات عيون المقالات، ١٩٨٨م).

المتوكّل، أحمد. "اللسانيات الوظيفية: مدخل نظريّ". (د.ط، الرباط: منشورات عكاظ،١٩٨٩م).

مفتاح، محمد. "تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٥م).

مفتاح، محمد. "في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقيّة". (ط1، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٩م).

المراجع الأجنبيّة:

Firbas, Jan. "On the concept of communicative dynamism in the theory of functional sentence perspective". In: Studia Minora: Facultatis Philosophicae Universitatis Brunensis, 1971.

Firbas, Jan. "Scene and Perspective". In: Brno Studies In English. 1981, vol. 14, iss. 1. pp. 37-79

Gardner. Howard. "Frames of Mind: the theory of Multiple intelligences". Heineman London. 1984.

Hintikka, Jaakko." L'intentionnalité et les mondes possibles [Intentionality and Possible Worlds]". Translated by Nadine Lavand. Villeneuve-d'Ascq: Presses Universitaires de

Lille, 1989.
Kuno Susumu. "Functional Sentence Perspective: A Case Study from Japanese and English". Linguistic Inquiry 3(3) 1972: 269–320.
László Dezső. "Studies In Syntactic Typology and Contrastive Grammar", Translated by: Imre Gombos and Béla Hollósy. Berlin; Boston: De Gruyter Mouton. 1982.
Van Dijk, Teun A. "text and context: Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse". University of Amsterdam, Second Impression. 1982.

الشبكات العنكبوتيّة:

رؤية القيادة. "استرجعت بتاريخ ١٠/١١/٢٠٢٤م" من موقع: https://www.vision2030.gov.sa/ar/leadership-messages

Bibliography

Aḥmad al-Ḥarbī, "Dīwān ma‘a al-rīḥ". (1st ed., Cairo: Dār al-Nābighah, 2015).

Ḥassān, Tammām. "al-lughah al-‘Arabīyah: ma‘nāhā wa-mabnāhā". (1st ed., Morocco: Dār al-Thaqāfah, 1994).

Shukrī, Ismā‘īl. "The Empire of Permeation: A Theory of Interpretive Relativity", (in Arabic). (1st ed., Casablanca: Dār Tūbqāl, 2016).

al-Fihrī, ‘Abd al-Qādir al-Fāsī. "fī al-lisānīyāt wa-al-lisānīyāt al-‘Arabīyah". Supervised by: Idrīs al-Saghroushy and ‘Abd al-Qādir al-Fāsī al-Fihrī. (Casablanca: ‘Uyūn al-maqālāt publications, 1988).

Miftāḥ, Muḥammad. "taḥlīl al-khiṭāb al-shi‘rī: istirātījīyah al-Tanāṣṣ". (Casablanca: al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 1985).

Miftāḥ, Muḥammad. "fī Sīmiyā’ al-shi‘r al-qadīm dirāsah Naẓarīyat wa-taṭbiqiyyah". (1st ed., Casablanca: Dār al-Thaqāfah, 1989).

خطاب الحبّ في كتاب (الزهرة) لأبي بكر الأصفهاني

The Discourse of Love in Abu Bakr al-Asfahani's Kitāb al-Zahrah

د. منى بنت سعود آل تويم

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بمحافظة الخرج–المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: m.altwuaym@psau.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
16/09/2025		24/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-018		

ملخص البحث:

تقوم هذه الدراسة المعنونة بـ"خطاب الحبّ في كتاب (الزَّهرَة) لأبي بكر الأصفهاني" على التحليل الأسلوبي البنيوي لخطاب الحبّ في كتاب (الزّهرة) للأصفهاني، بغية استظهار مكوناته، ووظائفه ودلالاته، من خلال ما اشتمل عليه الخطاب من آرائه، وتصنيفاته، وتخيراته للأبيات الشعرية، وتعليقاته عليها.

وقد كشفت الدراسة أنّ خطاب الحبّ عند الأصفهاني نهض على ثلاثة مكوناتٍ رئيسة هي: المكوِّن العنواني، والمكوِّن الشعري، والمكون النثري، ولكلٍ منها وظائفه لتحقيق المقاصد التي سعى إليها المؤلف، من تلك الوظائف؛ الوظيفة الإغرائية، والتعليمية، والتأديبية، والحجاجية. وقد كشفنا تعدّد شخصيات المؤلف من خلال تنوع نبراته الأسلوبية، وتداخل مستوياته التعبيرية؛ إذ برزت شخصية العاشق والفقيه والفيلسوف، وقد غلبت شخصية المؤلف العاشق على الخطاب؛ إذ تصدّى ظاهرة (الحبّ) مؤلِّفٌ حشاه أحشاء عاشق، فلا عجب إن صدر عنه خطاب استجلى ظاهرة الحبّ من أطرافها استجلاء المحلّل الخبير.

الكلمات المفتاحية: خطاب، الحبّ، الشعر، كتاب الزهرة، أبو بكر الأصفهاني، التراث العربي.

Abstract:

This This study, entitled "The Discourse of Love in Kitāb al-Zahrah by Abū Bakr al-Asfahānī," adopts a structural-stylistic approach to the analysis of the discourse of love in Kitāb al-Zahra. Its aim is to uncover the components, functions, and meanings of this discourse through an examination of the author's views, classifications, selection of poetic verses, and his commentary on them.

The findings reveal that al-Asfahānī's discourse of love is founded upon three principal components: the titulary, the poetic, and the prose components. Each of these serves specific functions that contribute to achieving the author's intended purposes—namely, the persuasive, didactic, ethical, and argumentative functions.

The study also exposes the multiplicity of the author's personas, reflected in the diversity of his stylistic tones and the interplay of his expressive levels. Within the text emerge the voices of the lover, the jurist, and the philosopher; yet the dominant voice remains that of the lover. The author, possessing the heart of a true lover, undertook the theme of love with profound insight—thus, it is no wonder that his discourse explores the subject from every angle with the precision and sensitivity of a discerning connoisseur.

Keywords: Discourse, Love, Poetry, Kitāb al-Zahrah, Abū Bakr al-Aṣfahānī, Arabic Heritage.

المقدمة

يسعى الخطابُ[١] -انطلاقًا من وظائفه- إلى إيصال مقاصد معينة، وتحقيق أهدافٍ مرجوّة، ففي الخطاب تبرز مقاصد المؤلف؛ منها ما ينص عليها صراحة، ومنها ما تتوارى في طيات الخطاب، ومن ثَمّ تصبح لغة الخطاب شكلًا دالًا يقود إلى المدلولات الثانوية في المكونات السياقيّة، والعلاقات النصية، والافتراضات المسبقة التي يبني المرسل لغة خطابه عليها؛ ليدركها المرسل إليه، مستدلًا على المقاصد من خلالها[٢].

- مشكلة البحث:

تنبثق إشكالية الدراسة في محاولة الكشف عن بنية خطاب الحبّ في كتاب (الزهرة) للأصفهاني، من خلال دراسة مكوناته، ودلالاته، وخصائصه، وما تحققه تلك الخصائص من غايات وظائفية.

- أهمية البحث:

تبرز أهمية الدراسة في سعيها إلى إعادة قراءة خطاب الحب في كتاب الزهرة للأصفهاني قراءة جديدة، تسعى إلى تحليل البنية الخطابية التي تشكّل عبرها هذا الخطاب، في محاولة للكشف عن آلياته التعبيرية، ووظائفه الدلالية، ومنطلقاته الأسلوبية.

---

(١) نقصد بالخطاب هنا: "الوحدات التي تتجاوز نمط الجملة وتخضع لقواعد تنظيم جارية في مجموعة معينة...هي قواعد تتعلق بتخطيط النص"، انظر: باتريك شارودو، ودومينيك منغنو،"معجم تحليل الخطاب"، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، (ط١، تونس: دار سيناترا والمركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م):١٨٢

(٢) عبد الهادي بن ظافر الشهري، "إستراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية"، (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م): vi

ويظهر أن ثمة حاجة إلى دراسة خطاب الحبّ في التراث العربي في مؤلفاته العديدة؛ لاستظهار البنية التي تقوم عليه هذه المؤلفات، حيث "يبدو خطاب المحبة بمختلف أشكاله وتوجهاته وأزمنته خطابًا غنيًّا في تراثنا العربي لكنه لم ينل ما يستحقه من البحث ليتحول إلى جزء من المنظومات الفكرية والأخلاقية المعترف بها والقابلة للتعمق والتطور باستمرار"(١).

– أهداف البحث:

تروم الدراسة تحليل بنية خطاب الحب في كتاب الزهرة من خلال:

١–تحليل البنية الخطابية لكتاب الزهرة، للكشف عن طرق انتظامها، وبنيتها الدلالية.

٢–الكشف عن الوظائف الأسلوبية التي ينهض بها الخطاب؛ بوصفها تجليات لأسلوب المؤلف، ووسائل للتأثير في المتلقي.

٣– الكشف عن تجليات حضور شخصية المؤلف، وأثر ذلك في خطابه.

٤–إبراز القيمة المعرفية لخطاب الحب في التراث العربي، من خلال الكشف عن البنية المعرفية لظاهرة الحب التي أسس لها الأصفهاني في كتابه.

– منهج البحث:

تتوسل الدراسة بالمنهج الأسلوبي في مقاربة البنية الخطابية لكتاب الزهرة لأبي بكر الأصفهاني؛ إذ تسعى إلى تحليل المكونات النصية الكبرى، والكشف عن العلاقات التي تنظم الأساليب ووظائفها، وإبراز التنوعات الأسلوبية للمؤلف

(١) معجب الزهراني، "خطاب المحبة ضد خطاب التوحش: قضايا الحبّ ومكانة المرأة في طوق الحمامة لابن حزم". *مجلة موارد جامعة سوسة–كلية الآداب والعلوم الإنسانية* ١٠، (٢٠٠٥م): ٥١

ومنطلقاتها في خطابه.

- الدراسات السابقة:

يظهر أن كثيرًا من الباحثين الذين اهتموا بظاهرة الحبّ في المؤلفات التراثية، أَوْلوا كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم عناية كبيرة، بينما لم يحظ كتاب (الزهرة) بدراسات توازي أهميته، إلا أن أهم الدراسات التي خصّته بدراسة مفصلة-بحسب ما تبين لي- ما يلي:

١-(الحبّ العذري-نشأته وتطوره):

وهي دراسة للباحث أحمد عبد الستار الجواري، وفيه درس مفهوم الحبّ ونشأته، وأفرد فصلاً بعنوان: الحبّ عند الفقهاء، درس فيه كتاب الزهرة للأصفهاني؛ مستعرضًا آراءه في الحبّ ومراتبه وأحواله، ولم يدرس مكونات خطابه.

٢- (الحبّ في التراث العربي):

وهي دراسة للباحث محمد حسن عبد الله، خصّ المؤلف في الفصل الثاني أهم من ألف في الحبّ في تراثنا العربي، وقسمهم إلى نوعين: نوع عدَّ مؤلفوها المحبة والعشق ظاهرة إنسانية، وهي من أحوال النفس البشرية. والنوع الثاني: ما ألفه أهل التصوف الذي يعدون المحبة الإنسانية مرتبة أولى في سلوك السالك إلى المحبة الإلهية[١]. وقد عَدّ المؤلف أبا بكر الأصفهاني من أوائل المؤلفين في النوع الأول، وهو الذي أسس اتجاهًا جديدًا قي دراسة الحبّ؛ متمثلًا في الملاحظة، والرصد، والتصنيف، والتحليل. ومع هذا فإن كلتا الدراستين وغيرهما من الدراسات [٢]، لم

(١) محمد حسن عبد الله، "الحبّ في التراث العربي"، (ط١، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ديسمبر ١٩٨٠م): ٤٠

(٢) ثمة دراسات أخرى للكتاب لكنها اختصت بالاستدراكات على المحقق، مثل دراسة: ١- =

تحلل خطاب الحبّ في كتاب (الزهرة) تحليلاً أسلوبيا بنيويا، ومن هنا نشأت فكرة هذه الدراسة، منطلقة من أهمية دراسة الخطابات الثقافية في تراثنا العربي بأدوات نقدية جديدة، للكشف عن جذور هذه الخطابات في تاريخ ثقافتنا، وأسس بنائها، والغاية من تأليفها.

=

إبراهيم السامرائي، "مع كتاب (الزهرة) لأبي بكر محمد بن أبي سلمان داود الأصفهاني". *مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم* ٢٨ (١٩٨٤م):٦٢٣-٦٥١

٢-محمد البقاعي، "نظرات من كتاب الزهرة". *اتحاد الكتاب العرب* ١٦، (١٩٩٦): ١١٥-١٢٥

التمهيد

يُعدّ الأصفهاني رائد التأليف في الحبّ في الثقافة العربية، فهو وإن كان سُبق إلى التأليف في هذا الموضوع، إلا أنه امتاز بمحاولته استجلاء ماهيّة الحبّ مستندًا على ما اطلع عليه في ثقافته العربية والثقافات الأخرى، من كتب دينية، وأدبية، وفلسفية، فكشف عن أسباب تكونه وبواعثه النفسية والسلوكية، فجمع البواعث إلى المظاهر، والعلامات إلى النتائج، جاعلا عيّنة بحثه ما اختاره من (الأبيات الشعرية) الغزلية، والتي وصفت الحبّ وأحواله، فصنفها تحت أبواب مرتبة، وعلق عليها بآرائه ومذهبه، وبهذا عُدّ متفرّدًا بريادة البحث النظري في الحبّ(١).

ألّف الأصفهاني(ت٢٩٦هـ) كتابه (الزهرة) في بواكير التأليف عن ظاهرة الحبّ في الثقافة العربية الإسلامية، بعد مؤلفات الجاحظ(ت٢٥٥هـ) الذي فتح باب التأليف في الحبّ بإشاراته في رسائله عن النساء والقيان، ثم ما كتبه أحمد بن الطيب السرخسي (ت٢٨٦هـ) في مؤلفه (اللهو والملاهي) وهو في الغناء والمغنين والمنادمة والملح، وكتاب القيان(٢). ثم جاء الأصفهاني من بعده بمؤلف قائم على موضوع الحبّ؛ مازج فيه بين الفقه والأدب بأسلوب فني مميز(٣) محاولاً الكشف عن أحواله، ومراتبه، وأسبابه، وعوارضه، وتقلباته، وآثاره، وإرشاد المتأدبين إلى آدابه.

وتأليف الفقهاء في الحبّ لافت في الثقافة العربية، وقد يتعجب المرء من اعتناء

(١) محمد حسن عبد الله، "الحبّ في التراث العربي"، ٧١-٧٢

(٢) المرجع السابق، ٤٢

(٣) فائزة بسندي، ومهسا خليليان، "استكشاف جوانب جديدة من ملامح الرومانسية العربية في شعر الغزل لأبي بكر بن داود الأصفهاني". *مجلة أوراق ثقافية للآداب والعلوم الإنسانية* ٣٦ (٢٠٢٥م): ١٧

مجموعة من الفقهاء الظاهرية والحنابلة بالحبّ، ودراسته دراسة موسعة[١]، إلا أننا حين نتأمل ما يقوم عليه مفهوم الحبّ؛ سنجد أن اهتمام الفقهاء به عائد إلى أن الفقه يهتم بالعلاقات الاجتماعية وما يترتب عليها، فلا غرو إذن أن ينشغل الفقهاء بهذا النوع من التأليف؛ وذلك بقصد الكشف عن النوازع الإنسانية، وطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، وما يقبل في تلك العلاقة وما لا يقبل[٢].

يُوجِّه الأصفهاني كتابه لأهل الظرف والأدب، باعثه في التأليف تأديب المحبين والعشاق بآداب الحبّ؛ للارتقاء بهذه العاطفة إلى مستوى روحي عالٍ لا تكدرها شوائب الملذات الدنيوية؛ وذلك برياضة النفس، وتقويم سلوكها، وتوجيه تفكيرها، فالحبّ عنده تعبير عن حالة عقلية، تأملية، ولذا ستجده يخاطب الرجل، على أنه هو المحب دائما، والطالب دائما، والمرأة هي المحبوبة المطلوبة، وهذا من سمات ظاهرة الحبّ في الثقافة العربية[٣].

وقد تبين أن من مقاصد الخطاب ما ذكرها الأصفهاني صراحة في مقدمته، ومنها ما تبينت لنا بعد تحليلٍ لإستراتيجياته في الكتابة؛ التي تعني الاختيارات الشكلية والأسلوبية التي يقصدها الكاتب بوعي في أثناء عملية إنجاز النص، ويكون غالبًا لكسب ثقة القارئ النموذجي، والتأثير الفعال في القارئ المعتاد[٤].

وقد انطلق الأصفهاني في خطابه من معيار سمّاه: (الحبّ التّام)، معبّرًا به عن مستوى نفسي وتأملي خاص، ونظرة مثالية تسعى إلى إنشاء خطاب عن مثالية

(١) عبد السلام، سعد، "الحبّ بين الدين والفلسفة عند ابن حزم الظاهري". *مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع* ٩ (٢٠١١م): ١١٠

(٢) عبد الله، محمد حسن، "الحبّ في التراث العربي"، ٤٧

(٣) المرجع السابق، ٧٣

(٤) الزهراني، معجب، "خطاب المحبة ضد خطاب التوحش"، ٥٠

الحبّ، بخلاف المؤلفات الأخرى التي جاءت من بعده؛ مثل طوق الحمامة وغيره التي ترى أن الحبّ سلوك اجتماعي يتطلب الذوق والكياسة[١].

– قراءة في عنوان الكتاب:

سنقف ابتداء عند دلالة العنوان؛ لما لها من علاقة وثيقة بالخطاب وبنيته المعرفية، وكما نعرف فقد اشتملت عنوانات أكثر المؤلفات التراثية على المحسنات البديعية من سجع وجناس وغيرها، فإذا قرأتَ عنوانا منها دلّك على أنه مؤلف تراثي –أو حديث مرتبط بالتراث– من سبك العنوان الذي غالبًا ما يأتي في جملة أو جملتين. إلا أننا هنا نجد هذا المصنف قد سُمي بكلمة واحدة: (الزّهرة) وقد اُختلف في معناها؛ هل المقصود بها الزَّهرة في البستان، أم كوكب (الزُّهرة)؟

رجّح المحقق أن تسميته بالزَّهرة بفتح الزاي؛ لتعليلات عدة ذكرها في مقدمته؛ جاء فيها أن كتاب أحمد بن محمد الجياني الأندلسي المعروف بـ(الحدائق) الذي عارض فيه كتاب الزهرة، وفي قوله (الحدائق والزهرة) دلالة على الربط بين الحديقة والزهرة، وكذلك أن استعمال لفظة (الزهرة) في الكتب معروف عند المتقدمين من مثل: الزهر المقطوف من فتح الرؤوف، زهرة البساتين وغيرها، وأنه لم يجد عند القدامى من ضبطها بالضم، وكذلك ما ذُكر في خبر ياقوت الحموي من ارتباط الزهرة بمتنزهات القلوب[٢].

وحين نتأمل العنوان وارتباطه بالموضوع وسبب تأليف الكتاب؛ يتبين لنا أن مفردة الزهرة قد تبدو المعادل الموضوعي للحب؛ فإذا رأينا ما يشتمل عليه الكتاب من

(١) المرجع السابق، ١٤٣

(٢) أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني، "كتاب الزهرة". تحقيق إبراهيم السامرائي، (ط٢، الزرقاء: مكتبة المنار، ١٩٨٥م): ٢٧-٢٨

التبصرة بالآداب التي يجب على المحبّ أن يتحلى بها، وعلمنا أن الزهرة تحتاج إلى رعاية لتنمو وتعيش وكذلك الحبّ؛ قَرُب ظننا أن المقصود بالزهرة كناية عن الحبّ، كما أن دلالة الإزهار والتفتح تماثل تفتح الروح بالحبّ وتلطف الحواس به، ومما يرفد هذا المذهب أن التعريف بأل يحيل على مفردة مقصودة بعينها، وكذلك لإفراد زهرة في عنوان الكتاب مع غلبة الجمع على العنوانات المذكورة؛ مثل زهر الآداب وغيرها؛ للدلالة على جمع الأخبار والأشعار؛ فلو كان ذلك لكانت دلالة الجمع أقرب، فلمّا أُفردت ولم تضف إلى كلمة تُفصح عن المقصود، غلّبنا ما ذهبنا إليه من ارتباط الزهرة بمعنى الحبّ وأثره ارتباطًا معنويا ودلاليا ولفظيًّا[١].

(١) للاستزادة من آراء النقاد فيما يخص دلالة العنوان، انظر: أحمد عبد الستار الجوادي، "الحبّ العذري: نشأته وتطوره". (ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٤٨م) ص١٠٧-١٠٩

المبحث الأول: مكونات خطاب الحبّ في كتاب الزهرة

اشتمل خطاب الحبّ في كتاب الزهرة على ثلاثة مكوناتٍ رئيسة، تأتي تباعًا بحسب موقعها في الكتاب: المكوّن العنواني، والمكون الشعري، والمكون النثري.

يحاول المؤلف في الجزء الأول من الكتاب تأسيس خطاب في الحبّ، انطلاقًا من مسارب متعددة، تشتمل على المكونات الآنفة الذكر؛ أولاها: وضع خمسين عنوانا في الحبّ على جنس المثل. ثانيها: يورد بعض الأشعار المتخيّرة بقصد تأكيد المعنى الذي يذهب إليه. ثالثها: يبين رأيه في أشعار الغزل والحبّ؛ من حيث صواب معناها مِن خطئه، وصدق المحب مِن عدمه.

أولا– المكون العنواني:

يُقيم الأصفهاني كتابه في خمسين بابًا مقسمة بحسب موضوعاتها، وقد عنونها على صيغة أمثالٍ وحِكَم، تُمثّل النواة الأساسية لخطاب الحبّ، كأنما هي حِكَم سائرة في مفاوز الحبّ ومهامه، مُفصِّلاً بها نظريته في الحبّ، ومورِدًا تحت كل عنوان/مثلٍ، مقطعاتٍ شعرية تُشاكل المعنى المراد، يقول في هذا: "وقد جعلت الأبواب المنسوبة إلى الغزل من هذا الكتاب أمثالا، ورتبتها على ترتيب الوقوع حالا فحالا. فقدمت وصف كون الهوى وأسبابه، وبسطت ذكر الأحوال العارضة فيه، بعد استحكامه من الهجر والفراق، وما توجبه غلبات التشوق والإشفاق. ثم ختمتها بذكر الوفاء بعد الوفاة، وبعد أن أتيت على ذكر الوفاء في الحياة. وأجريت ما بين أول الأبواب أوسطها، وما بين أوسطها وآخرها على المراتب بابا فبابا، لم أقدِّم مؤخرا، ولم أؤخر مقدما"[1].

يقوم خطاب الحبّ عند الأصفهاني على البدء بسرد النتائج (العنوانات) في مطلع كل فصل، ثم دعمها بالشواهد الشعرية؛ إذ يبدو أنه استقرأ دلالات الحبّ في الذاكرة

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٤١-٤٢

الجمعية المتمثلة في تلكم الشواهد، والمقولات الدالة التي تصف أبعاد هذه العاطفة، ثم استخلص منها حِكَمًا صاغها أمثالاً، فصيّرها عناوين لخطابه استفتح بها فصوله؛ فجاءت خلاصة كل فصل متمثّلة في عنوانه، وللأمثال وظيفتها الإقناعية، ولهذا فإن صياغة النتائج بقالب مثلي يرسخ المعنى المراد من كل فصل في ذهن القارئ، وهذه من الإستراتيجيات المتقدمة في التأليف التي وظفها الأصفهاني في خطابه.

وإذا ما أنعمنا النظر في طريقة سبك العنوانات، نلحظ أن الجمل الشرطية استغرقت ثلثيها؛ إذ بلغت تسعة وعشرين عنوانًا بُدئ بـ(من)، واثنان بـ(إذا)، فما دلالة ذلك؟ سنقف ابتداء على معنى الشرط، وهو عند اللغويين: "تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني...وقيل: الشرط: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه"(١)، وهذا الأسلوب في الكتابة من حيث ارتباط الفعل بنتيجته ارتباطا مباشرًا يؤثر في استجابة القارئ، وله وظيفته التي تؤثر في تلقي القارئ وعلوقه في ذهنه، وأثره في نفسه، يقول عبد العظيم المطعني: "الأسلوب الشرطي يمتاز بربطه أجزاء الكلام ربطا ملاحظا فيه ترتُّب المسبب على السبب، فإذا ذكرتَ أداة الشرط وأردفتَ بفعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما سيكون، فإذا ذكر الجواب بعد هذه الاستثارة، وهذا التشويق تمكن أيما تمكن"(٢).

من مميزات أسلوب الشرط كذلك، أن الأفعال بعدها قد يُعدل بها عن الاستقبال إلى المضي لفظا لا معنى؛ لدلالة الاحتياط للمعنى، يقول ابن جني:

(١) الجرجاني، علي، "كتاب التعريفات". تحقيق جماعه من العلماء، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٣م): ١٢٥

(٢) المطعني، عبد العظيم، "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة،١٩٩٢م): ٣: ٢٠٨

"فيجيء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع؛ وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى، فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كأن هذا قد وقع واستقر، لا أنه متوقع مترقب"(١)، فهذه الجمل الشرطية تقريرية، تقوم على فعل مضارع عدل عنه بالماضي المثبت وقوعه، من حيث هو فعل متعلق بمآل حتمي؛ لتُحدث لدى المتلقي إدراكًا بنتيجة تلكم الأفعال ومآلاتها، وهذه التقنية الحجاجية تندرج ضمن (الحجة البرغماتية) بما يسميه الاحتجاج بالرابط السببي، التي تربط بين السبب أو الحدث وما ينتج عنه(٢)، بغية التحضيض عليه أو التنفير منه، يقول بيرلمان: "إننا نطلق الحجة البرغماتية على تلك التي تسمح بتقويم فعل أو حدث في علاقته بنتائجه المفيدة أو الضارة. هذه الحجة تلعب دورًا مهما في الحجاج"(٣)، وهنا نجدها في المكون العنواني تتراوح في ربطها السببي ما بين اتجاهين؛ أولهما يبدأ من السبب إلى النتيجة، مثل قوله: "من كثرت لحظاته، دامت حسراته"(٤)، و "من عاتب على كل ذنبٍ أخاه، فخليق أن يملّه ويقلاه"(٥)، وغيرها كثير، والآخر يبدأ من النتيجة إلى السبب، مثل قوله: "سوء الظن، من شدّة الضن"، وهذه التقنية الحجاجية بحسب بيرلمان من أهم وسائل الحجاج(٦).

(١) ابن جني، "الخصائص". تحقيق محمد علي النجار، (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت): ٣: ١٠٧

(٢) بيرلمان، شاييم وآخرون، "المصنف في الحجاج". ترجمه: محمد الولي (ط١، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٢٣م): ٤٠٩

(٣) المرجع السابق، ٤١٣

(٤) الأصفهاني، "الزهرة"، ٤٥

(٥) المصدر السابق، ١٩٥

(٦) صولة، عبد الله، "في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات". (ط١، تونس: مسكلياني للنشر =

وخطاب الحبّ –في عمومه– قائم على الآداب التي يجب على المحبوب أن يتحلى بها، وطرق تهذيب أفعاله، ومشاعره، في محاولة لفهم طبيعة الحبّ، وما يتركه من أثر على المحب والمحبوب، فكان من المنطقي أن تكثر الجمل الشرطية حتى تبلغ ثلثيه في خطاب يُعنى بالحبّ؛ لما فيها من توجيه وتأديب وتبصرة كما ذكرنا، وكذلك لما في طبيعة هذا الشعور من أنه قائم على الفعل ورد الفعل، من المحب والمحبوب، وما يتبعهما من مشاعر متعلقة بهما.

حين نحاول تفكيك خطاب الحبّ عند الأصفهاني متمثلا في العنوانات وما تحيل عليه معانيها؛ فإننا نجدها مقسمة على ما يلي:

من ١–٥ قائمة على وصف تكوّن الهوى وأسبابه، ومن ٦–٢٩ في ذكر أحوال الحبّ وآدابه، ومن ٣٠–٤٨ في ذكر ما توجبه غلبات التشوق والإشفاق، ومن ٤٩–٥٠ في الوفاء وأحواله.

فالمثل بما يحويه من تكثيف المعنى بلغةٍ رشيقة مسجّعة ذات جرس، أدعى إلى تعلقه في الأذهان ومن ثَمّ تذكّره، وقد ذكر في مقدمته ما يُلمح إلى أنه نحا إلى هذا النحو قاصدًا تلك السيرورة، يقول: "ومثل هذا الكتاب إنما يطلبه أهل الآداب ليخفّ على الألفاظ، ويتسهّل للحفاظ"(١).

ومما يلفت النظر في طريقة سبك هذه الأبواب/الأمثال وترتيبها، أنها جاءت متدرجة مع التطور المألوف لعاطفة الحبّ في مسارها العام المتوقع؛ فلما كان (النظر) هو البداية، يكون الباب الأول بعنوان: (من كثرت لحظاته زادت حسراته)، ومن ثم تبدأ البلبلة واضطراب الخاطر، فيكون الباب الثاني: (العقل عند الهوى أسير والشوق

=

والتوزيع، ٢٠١١م): ٥٠

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٤١

عليهما أمير)، وتمر العلاقة بأطوار عدة تصفها الأبواب يمر بها الزمن بسيرورته وصيرورته، فيأتي الشيب مقرًّا بالجفاء فاليأس وهو مقدمة للموت؛ ليختم الكتاب بالفصل الأخير (قليل الوفاء بعد الوفاة أجل من كثيره وقت الحياة) وهو خاتمة الأبواب الخمسين التي تدرجت مع صيرورة الحبّ ومآلاته[1].

وإذا نظرنا إلى العنوانات من منطلق الإيجاب والسلب في ظاهرة الحبّ؛ يمكننا تقسيم المكون العنواني إلى دائرتين؛ الأولى: المعاني التي تدخل في دائرة الإيجاب: من ١-١٩؛ وهي تتضمن أسلوب الوصف والإرشاد مثل المفردات الإيجابية الدالة: (الظفر، التذلّل، الحبيب، الأديب، ظريف، عفيف، الظرف، حافظ، الخلّة، قرب المزار) والأفعال الدالة مثل: (كثرت، دامت، تداوى، طال سروره، وفى، هان، قنع، أحبّه أحبابه، لم يعاتب، اغتفر، اعتذر). أما الدائرة الثانية: وهي العنوانات من ٢٠-٥٠؛ فتتضمن المفردات السلبية مثل: (الغدر، الهجر، الفراق، النوى، البلا، الوداع، تعذيب، المستوحش، تلهُّب، المنفرد، المفارق، الأوهام، العجز، نحول، كمد، بعيد، شديد، صدّ) والأفعال الدالة مثل: (غاب، بكى، راعه، غلبه، صبر، تجلّد، تعرّض، مُنع، تشوّق، أُمتحن، فاته، حُجب، تعلّل، قصر، طال، غُلب، شابت، جفا، يئس)، وهذا يوضح هيمنة الدائرة السلبية، وفي هذا دلالة على ما يكتنف ظاهرة الحبّ وما يغلب عليها من ورود الأهوال والمشاق، أكثر من حصول المحابّ، وهذا ما أراد الأصفهاني إظهاره في خطابه بدءًا من العنوانات.

ثانيًا- المكون الشعري:

إذا كان الشاعر أول من انتقل بالحبّ من مستوى الظاهرة السلوكية إلى مستوى الظاهرة الفنية؛ فإنه يستحق أن يُلقّب بـ (أول مؤلف) عن الحبّ، إذا أريد بالتأليف

(١) عبد الله، محمد حسن، "الحبّ في التراث العربي"،٧٢-٧٣

مجرد التعبير التلقائي[١]، وعلى الشعر بُنيت خطابات الحبّ التي بحثت في الموضوع وصفًا وتحليلاً؛ لأن الشعر هو التجلي الفني لظاهرة الحبّ، فكلّ شاعر عبّر عن تجربة واقعية أو خيالية هو عيّنة صالحة للدراسة.

في هذا الخطاب يُمثِّل المكون الشعري المادة الخام الذي بنى عليها الأصفهاني خطابه، ومنها انطلق في ذكر آرائه ومعتقداته ومذاهبه عن الحبّ مُستدلّا عليها بها، وذلك بعد أن استوفت قريحته كثيرا من القصائد والمقطوعات في الحبّ، استخلص منها الحكم وعنون بها فصوله، ثم تخيّر تحت كل عنوان ما يناسبه من المقطوعات والأبيات. وهو مع تخيّره للأشعار كان يورد من أشعاره ما ينسبه إلى أهل زمانه، ذكر ذلك المسعودي في مروجه[٢].

والاستناد إلى الشواهد الشعرية تقنية حجاجية يوظفها المؤلف في خطابه ليؤسس قاعدة معينة، يسميها بيرلمان تقنية الشاهد (L'illustration)؛ إذ يؤتى بالشاهد لتوضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذهن؛ ومن ثمَّ يقوي درجة تصديقها والاقتناع بها لدى المتلقي[٣].

يورد الأصفهاني في مقدمته ما يبين منهجه في التأليف: "وأنا–إن شاء الله– أذكرُ بعقب كل باب منها ما يُشاكله من الأشعار، وأقتصر على القليل من الأخبار؛ لأنها قد كثرت في أيدي الناس، فقلّ من يستفيدها. وأُفاضل بين الأشعار على ما توجبه الحال التي ادعاها صاحبها"[٤].

(١) عبد الله، محمد حسن، "الحبّ في التراث العربي"، ٣٩

(٢) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، "مروج الذهب ومعادن الجوهر". تحقيق كمال حسن مرعي، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية،٢٠٠٥م): ٢٣٦/٤

(٣) بيرلمان، شاييم وآخرون، "المصنف في الحجاج"، ٥٢١

(٤) الأصفهاني، "الزهرة"، ٤٤

إن أول مقطوعة يستشهد بها في كتابه ليثبت انتفاء قاعدةٍ في الحبّ، تكتنز – في الوقت ذاته– بمفردات تُنبيك عن عِظَم موضوعه وأهميته؛ تأمل هذه المفردات في المقطوعة الشعرية التي ابتدأ بها: (الخطب ، أمر، محدثات الأمور...)، يقول: "أنشدني بعض الظرفاء:

ليس خطب الهوى بخطب يسير ولا يُنبيك عنه مثـل خبـير
ليس أمـر الهوى يدبـره الـ ـرأي ولا بالقياس والتفكيرِ
إنما الأمر في الهـوى خطـراتٌ محدثات الأمور بعـد الأمورِ
إن تكن صـادق المـودة فاقنع وارض ممن تحبـه باليـسيرِ

ويبدو أنّ تَخيّر الأصفهاني لهذه المقطوعة تخير العارف البصير فقوله: "لا يُنبّيك عنه مثل خبير" لعل الخبير يعني بها نفسه؛ فهو الذي خبر الحبّ حتى أهلكه وهو في بحبوحة شبابه(١).

يظهر للمتأمل في خطاب الحبّ عند الأصفهاني؛ أنه يأتي بالمكوّن الشعري ليؤدي وظيفتين:

أولاها: أن المقطوعات الشعرية تنوب عما يريد ذكره للقارئ، من مثل ابتدائه في مطلع الفصل الأول بمقطوعة تشرح طبيعة الحبّ وأسباب تكونه ومآلاته، فيذكر قول أعرابية:

أرى الحبّ لا يفنى ولم يُنه الألى أُحينوا وقد كانوا على سالف الدهرِ
وكـلهم قـد خـالـه في فـؤاده بأجمعه يحكـون ذلك في الشعـرِ
وما الحبّ إلا سمع أذن ونظرة ووجبة قلبٍ عن حديث وعن ذكرِ

(١) ذكر ذلك في مقدمة كتابه، انظر: الأصفهاني، "الزهرة"، ٣٨

ولو كان شيء غيره فني الهوى وأبلاه من يهوى، ولو كان من صخرِ

ثانيها: أنه يأتي بالمقطوعات الشعرية ليستدل بها، وليعلق عليها إن أحسن الشاعر أو أساء، يقول في ذلك: "وقد ذكرنا من أقاويل الشعراء في الهوى يقع ابتداؤه من النظر والسماع ما في بعضه بلاغ. ثم نحن ذاكرون ما في ذلك الأمر الذي أوقعه السماع والنظر، ولِمَ وقع، وكيف وقع؛ إذ قد صح كونه عند العامة وخفي سببه على الخاصة"(١). وهذا كما ذكرنا من التقنيات الحجاجية، فالشعر مكوّن أساسي ضمن خطابات الحبّ في الثقافة العربية له وظيفة معاضدة للسرد كما نرى في طوق الحمامة(٢).

ثالثًا– المكون النثري:

تبرز شخصية الأصفهاني بوصفها ضرورة حتمية في بناء خطاب الحبّ؛ لذلك ستجده غالبًا ما يحضر في تخيره للأخبار، وتعليقه على الأشعار، وتجارب الشعراء، والتجارب التي ورَد معتركاتها في حياته الخاصة.

فللمكوّن النثري سلطته الأبوية في خطاب الحبّ عند الأصفهاني؛ على نحو ما يتمثّل في آرائه وتعليقاته على الأشعار التي يوجّه فيها المتأدِّبين والشعراء والعشاق إلى آداب الحبّ، موافقًا أحيانًا على مذهب بعضهم ومثنيًا عليهم، ومخالفًا لهم في أحايين أخرى، ومنكرًا عليهم مذهبهم، بل قد يسلبهم أحيانًا صدق محبتهم، ويقدح في وفائهم.

يبيّن في ختام المقدمة أن مراتب الحبّ لا قاعدة يؤصل عليها، ولا طريق فيه يُتّبع، فقد يتخلق الحبّ في أدنى أطواره أو أعلاها، فلكل فرد تجربته المتفردة، وفي ذلك

(١) المصدر السابق، ٥٣

(٢) المنصف شعرانة، "خطاب الحبّ في طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي". *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القيروان ١٤*، (٢٠٢٢م): ٢١٠

يقول: "ليس لهذا الشأن أصل مُقدّم، وطريق مُفوّض، فمن خالف ترتيبه كان معنّفًا"(١)، وهو لا يُلزم الشعراء باتباع طريق معين، إنما يلزمهم بالحال التي ادّعوها لأنفسهم، وأن يفوا بما شرطوه على أنفسهم، ومع ذلك تراه يورد رأيه فيما يذهبون إليه في أشعارهم، من معانٍ ومذاهب ورؤى، ويفاضل بين الحسن والأحسن، يقول في مذهبه هذا: "أُفاضِل بين الأشعار على ما توجبه الحال التي ادّعاها صاحبها، ولا أحمل الناس على اختيار أحدهم فأكون ظالما لهم، لأن الرجل لا يلزمه أن يقول ما أصّله غيره، وإنما يلزمه أن يفي بما شرطه على نفسه...غير أني، وإن كنتُ مُقرًّا لهم بالإصابة على ما قدّموه لأنفسهم، فلن أمنع نفسي حظّها من الإخبار بأحسن أقاويلهم"(٢).

ويبرز في المكون النثري سعة ثقافته الدينية والفلسفية؛ يظهر ذلك في استناده على أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأقوال الحكماء، والفلاسفة، والأعراب، وأهل الأدب، والمتصوفين، ويَقِلّ ذكره للأخبار والقصص.

وهو في إيراده لتعليقاته على الأشعار كما يقول عنه أحمد عبد الستار: "كان يقول الشعر بروح الإنسان الذي تملكه العاطفة، ويكتب النثر بروح المفكر المثالي الذي يفلسف الفكرة ويهذبها ويخلصها مما يشوب الخلق الإنساني وما يطرأ عليه"(٣).

يتكثّف المكون النثري في أوائل أبواب كتابه العشرة الأولى تقريبا، حيث ضمّنها ركائز نظريته عن الحبّ؛ معناه، وأسبابه، وملامحه، وقد يورد أبوابًا كاملة لا يعلق عليها برأي أو معلومة، وإنما يكتفي بإيراد شواهد شعرية تتناسب وعنوان الباب.

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٥٣

(٢) الأصفهاني، "الزهرة"، ٥٣

(٣) الجوادي، عبد الستار، "الحبّ العذري"، ١١٨

وحين نتتبع هنا المكون النثري في الجزء الأول من هذا الكتاب–وهو مدار الدراسة– سنجد أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: المقدمة، ثم تمهيد في وصف الحبّ، ثم ما يورده من آراء وتعليقات على الأشعار المختارة.

١– المقدمة:

حين نعمد إلى تفكيك بنية المقدمة، ستتجلى لنا بعض الدلالات التي تفتح لنا آفاقًا أوسع لفهم هذا الخطاب ومقصوده؛ وقد اشتملت المقدمة على مقاصد عدّة، نوردها فيما يلي:

أ– الاستفتاح بالدعاء:

يبتدئ الأصفهاني مقدمته بالدعاء لصديق لم يشر إلى اسمه، وحين نحاول استجلاء ملامح شخصية المخاطَب فإنها ستتجلّى من خلال صيغ الدعاء؛ إذ نجد ملمحين واضحين:

الأول: حبه له وتشوقه إليه وتفديته بنفسه، ومنها نستظهر شعور الأصفهاني تجاهه من خلال جملة من الأدعية أَوردَها تباعًا: "أطال الله في العز الدائم بقاك، وصان عن غِيَر الأيام نعماك، وجعلني غرضًا للنوائب فداك، وقدّمني على ورود الحمام قبلك وأبقاك...أدام الله الرغبة إليك...لينطق من المودة لك، والثقة بك، والرعاية والأنس بقربك، على حال تفنى الأوصاف دون فنائها، وتنقضي الآجال قبل انقضائها...قدمني الله قبلك وقاء لك...كيف يكون متفضلا عليك من ليست فيه فضيلة إلا وهي مردودة إليك"(١). ونلحظ من معاني هذه الأدعية عظيم حبه للمهدى إليه، وتعلقه به.

الثاني: وصفه المهدى إليه بعدم الوفاء له، وضعف مودته له، والانقطاع عن

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٣٧–٣٨

وصله، وفي ذلك يقول: "فإني وإن بخل عليّ الزمان بوفائك، ونافستني الأيام فيما أعتصم به من حبل إخائك...ولن يعدل بي ما شكوت وجوده من تواتر جفائك، وألمتُ لفقده من صحة وفائك...لئن حُرمتُ العلم بفضلك عليّ مع ما حرمته من رغبتك في وميلك إلي...ما الذي تُنكر-أدام الله عزك، وبسط بالخيرات يدك- من تغير الزمان وأنت من مغيريه، ومن جفاء الإخوان وأنت المقدم فيه.، بأن تحتج له وتعتذر لفاعليه، أحرى منك بأن تعيبه وتذم مستعمليه"(١). وفي هذه الأدعية بيان لحال المؤلِّف من فقده لوفاء صاحبه، وصلته به، وفي هذا دلالة على أن هذا الشعور هو ما أعظَم أسباب تأليفه لهذا الكتاب، كما سيرد ذكره.

ب- أسباب تأليف الكتاب:

تُعدّ المقدمة عقدًا بين المؤلف والقارئ، وفيها نتبين أسباب تأليف الكتاب، وما سيردنا في متنه. أما أسباب تأليفه فإنه لم يكن سببًا واحدًا كما نصّ المحقق على ذلك وهو إهداؤه للمخاطب؛ وإنما تبدّت لنا أسباب عدّة، نوردها تباعًا كما تبيّناها من المقدمة.

إن السبب الأكبر الدافع إلى تأليف كتاب في الحبّ، ما ذكره المؤلف في مقدمته(٢)، وما ذُكر عنه من أخبار؛ من أنه واقع به، متلظٍّ بعذاباته، متسائلاً عن كنهه، وعن مبدئه ومنتهاه ومآله، والحبّ بطبيعته يعيا على التجلية والسبر والوصف؛ وهذا ما جعله يعمد إلى تأليف مؤلف يدور حوله، ويحاول تفسير آثاره، ووصفها، وما يجب على المحب والمحبوب أن يتصفا به، وهو إذ يصف أعراضه وتباريحه يحاول أن يؤسس خطابًا في أخلاقياته؛ بجمع ما كتب عنه وتفنيده ونقده.

(١) المصدر السابق، ٣٨-٣٩

(٢) الأصفهاني، "الزهرة"، ٣٨

ويضع في آخر المقدمة نصًا هو أشبه بعقد بين المؤلف وقارئه؛ ففيه يُفصح عن أسباب تأليفه، وعما سيورده في متنه، يقول فيه: "وقد عزمتُ لِما رأيتُ بكَ من غلبات الاشتياق، ومن ميلك إلى تعرف أحوال المشاقّ، أن أُوجّه إليك نديمًا يشاهد بك أحوال المتقدمين، ويُحضرك أخبار الغائبين، ينشط بنشاطك، ويمل بملالك، إن أدنيته دنا، وإن أقصيته نأى، لا يزهى عليك عند حاجتك إليه...انتزعته لك من خواطري، واخترته من غريب ما اتصل بمسامعي...وأقتصر في ذلك على قليل من كثير، وأقنع من كل فن باليسير، إذ كان ما نقصده أكثر من أن يتضمنه كتاب، أو يعبر عن حقيقته كتاب"(١)، وهو في خلاصته ينشد تأديب المتأدبين والشعراء والعشاق بآداب الحبّ الكامل.

هذا ما يخص المقدمة التي بين فيها أهم الأسباب التي دعته إلى تصنيف كتابه، ومن المكونات السردية بعد المقدمة تمهيده لخطاب الحبّ.

٢– تمهيد في وصف الحبّ:

يفتتح الأصفهاني خطابه بمقولة تصف ظاهرة الحبّ ومرجع نشوئها، وذلك في قوله: "قال بعض الحكماء: رُبَّ حرب جُنيت من لفظة، ورُبّ عشق غُرس من لحظة"(٢)، وفي تخيّر مفردة (غرس) بكل ما تحيل عليه، ما يكشف عن رقّة العرب في وصفهم لهذه العاطفة وتكوّنها في القلب، وما يحيل عليه معنى الغرس؛ من التجذّر والتخلل في القلب كما تتخلل الجذور باطن الأرض، وما يدل عليه من النماء والحياة، وهذه المعاني كلها حاضرة في خطاب الحبّ وفي فصوله، ووصف نشأة الحبّ بمفردة

(١) المصدر السابق، ٤٠

(٢) الأصفهاني، "الزهرة"، ٤٥

(الغرس) يباين أشدّ المباينة مفردة (الوقوع) الشائعة في أدبيات الحبّ الغربية[١]، وشتّان ما بين الوقوع والغرس.

وفي تمهيد الكتاب يستفتح الأصفهاني خطابه بتأسيس قاعدة لماهية الحبّ؛ مستجلبًا الشواهد من خلفيته الدينية والثقافية، محاولًا استكناه سبب نشأته في نفوس الخلق، حيث يبتدئ بالحديث عن تشاكل الأرواح، ومن الشواهد التي أوردها، حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الأرواح وتآلفها، ثم قول طرفة بن العبد، ثم ما زعمه بعض الفلاسفة اليونانيين؛ أن الله -جلّ ثناؤه- خلق كل روح مدورة الشكل، ثم قطعها نصفين وجعل في كل جسد نصف، فإذا لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قطع مع النصف الذي معه كان بينهما عشق للمناسبة القديمة، وتتفاوت أحوال الناس في هذا على حسب رقّة طبائعهم، وفي هذا نلحظ اتكاءه على كثير من المقولات الفلسفية اليونانية التي تصف ظاهرة الحبّ، إلا أنه كثيرًا ما يُسبق أقوالهم بمفردة: (وزعم) وذلك في توافق الأبراج بتوافق الطباع وغيرها من الآراء[٢]، بينما تغيب هذه المفردة عند استشهاده بأقوال آخرين تستشعر موافقته لقولهم[٣]، مما يشعر القارئ أنه يستشهد بأقوالهم للاستئناس لا الموافقة الكليّة، أو أنه يتحرّز حين يوردها.

(١) يقف عالم النفس إيريك فروم في كتابه (فن الحبّ) عند مفردة (الوقوع) ويرى أن هذه المفردة نشأت من منطلق مفهوم هذا العصر لمعنى الحبّ؛ الذي هو نتيجة لأيديولوجيا تعمم فكرة "الحبّ الرومانسي"، بينما الحبّ الحقيقي-كما يراه- هو (الوقوف) في الحبّ لا الوقوع؛ والذي يعني تعلم فن الحبّ تعلمًا مقصودًا، وهو الحبّ الواقعي القائم على التكافل. انظر: أريك فروم. "فن الحبّ-بحث في طبيعة الحبّ، أشكاله"، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، (د.ط، بيروت: دار العودة، ٢٠٠٠م): ١٣

(٢) الأصفهاني، "الزهرة"، ٥٣- ٥٥

(٣) المصدر السابق، ٥٨

وفي خاتمة هذا الباب، يُهيّئ القارئ لما سيأتي من أخبار وأشعار تبين كنه هذا الشعور وأثره في النفوس، فهو على وعي بما ينتهجه من أساليب مقصودة، وما يورده من أبواب مرتبة ترتيبًا بحسب ما يستقصيه في هذه الظاهرة من بدء نشوئها، ثم ما يعرض عليها من أحوال، إلى منتهاها.

في البدء يحاول الأصفهاني فهم كنه هذه العاطفة، حتى يصل إلى أنها شعور يُفقد المرء الإحساس الفيزيائي بالزمن(١)؛ فهو كالسّكرة التي يشعر بها شارب الخمر؛ في اختلال الشعور بالزمن فيها، وسرعة انقضائها، وللزمن في الحبّ مداره الخاص ومقياسه. ومع هذا، فأهل الحبّ يُزرون على عيش من لم يتطعّم مذاقه، ولم يتعبَّد باسترقاقه(٢)، مع ما يجتمع فيه من النعيم والبؤس، غير أنه يَعِدُ هؤلاء الذين تنعموا بالحبّ بقصر أيام الحبّ وطول أيام البؤس بعدها؛ وذلك تحت فصلٍ عنونه بـ(من طال سروره قصرت شهوره) يقول معلقًا على أحوالهم في أشعارهم: "فهؤلاء الذين قد سامحهم الدهر بصحابهم فاستطابوا المقام على حالهم. ومن وصل إلى شيءٍ نفسِهِ تقاصرت عليه الأيام، وراصدته بمكروهات الشهور والأعوام"(٣)، وهنا يتبين ما يدافعه الأصفهاني وهو يؤلف كتابه، من مشاعر الشوق والحنين وفقد من يحب، فيتجلى ذلك في تعليقاته.

٣– آراؤه في ظاهرة الحبّ:

ذكر الأصفهاني مسببات تكوّن الحبّ في النفس البشرية، وأسباب تمكنه، محاولا الإحاطة بهذا الباب من جوانب عدّة:

(١) المصدر السابق، ١٠٨–١٠٩

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق، ١٠٩

أولا– دواعي تكوّن الحبّ وأسبابه:

يرى الأصفهاني أن (إرسال النظر) من أبرز مسببات تكوّن الحبّ وأهمها، وقد جعله في مطلع كتابه، ومبتدأ فصوله، فجعل عنوانه: "من كثرت لحظاته دامت حسراته"، وفيه شَرَح مسببات تكوّن الحبّ ومراتبه؛ إذ بيّن أن ثمّة علاقة جدلية بين سبب تكون الحبّ وتمكّنه؛ فالمحبة إذا جاءت لهوا ونظرا؛ عَذُبَ ابتداؤها وسرع انقضاؤها، أما المحبة التي تتمكن في القلب حتى يعييه الهوى، فهي التي تجيء مُرتّبة على التمام في المصافاة، فالسبب السريع يُنشئ حبا سريع الذهاب، أما الأسباب العميقة التي لا تنشأ في وقت سريع، فهي المحبة التي يطول بقاؤها، يقول مبينًا هذه الفكرة بعد إيراده أبياتًا تعرض جزءًا من هذه الفكرة: "فالمحبة ما دامت لهوًا ونظرًا فهي عذبة المبتدأ سريعة الانقضاء. فإذا وقعت مرتبة على التمام في المصافاة؛ تعذرت قدرة القلب على هواه، فحينئذٍ تَضِلّ أفهام المتميزين، وتُبطل حيل المتفلسفين"[(١)]، فالنظر والسماع، أحدهما أو كلاهما معا؛ هما سببان للحب وليس نتيجة له؛ لذا لا يضعهما ضمن مراتب الحبّ.

ثانيا– مراتب الحبّ:

إن من أهم ما يقوم عليه خطاب الحبّ عند أبي بكر الأصفهاني محاولة وصفه، وإيراد مراتبه التي يسميها: "أحوال ما قبل العشق وما بعده" وهو إذ ذاك يفصل في أحوال هذه العاطفة التي أعيت الفلاسفة والعارفين أن يحيطوا بها، وستلحظ أنه يُقيم تفسيراته لتلك المراتب على الجانب اللغوي، وهو أول من تعرض لمصطلحات الحبّ ورتبها ترتيبا تصاعديا[(٢)].

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٦٢

(٢) عبد الله، محمد حسن، "الحبّ في التراث العربي"، ١٣٣

في تصنيفه لمراتب الحبّ، يقول مبينا أن العشق مرتبة من مراتب الحبّ:"ولها مراتب فأول ما يتولد عن النظر والسماع الاستحسان..."[١]. فمراتب الحبّ عنده: الاستحسان ثم يقوى فيصير مودة ثم تقوى المودة فتصير محبة، ثم تقوى المحبة فتصير خُلّة، يقول في وصفها: "والخلة بين الآدميين أن تكون محبة أحدهما قد تمكنت من صاحبه، حتى سقطت السرائر بينه وبينه فصار متخللا لسرائره، ومطلعا على ضمائره... ويقال إن الخلة بين الآدميين مأخوذة من تخلل المودة بين اللحم والعظم، واختلاطهما بالمخ والدم"[٢]، ثم تقوى الخُلّة فتوجب الهوى، "والهوى اسم لانحطاط المحبّ في محابّ المحبوب وفي التوصل إليه بغير تمالك ولا ترتيب"[٣]، ثم تقوى الحال فيصير عشقا، "والعاشق يمنعه من سُرعة الانحطاط في هوى معشوقه إشفاقه عليه وضنّه به، حتى إن إبقاءه عليه ليدعوه إلى مخالفته وترك الإقبال عليه. فمن الناس ما يتوهم لهذه العلّة أن الهوى أتم من العشق، وليس الأمر كذلك"[٤]، ثم يزداد العشق فيصير تَتْيما، "وهو أن تصير حال المعشوق مستوفية للعاشق، فلا يكون معها فضل لغيرها، ولا يزيد بقياسه شيئا إلا وجدته متكاملا فيها"[٥]، ثم يزداد التتيم فيصير ولهًا، "والوله هو الخروج عن حدود الترتيب والتعطل عن أحوال التمييز، حتى تراه يطلب ما لا يرضاه، ويتمنى ما لا يهواه، ثم لا يحتذي مع ذلك مثالا، ولا يستوطن حالا"[٦]، وهذا هو آخر أحوال الحبّ ومراتبه.

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٥٨
(٢) المصدر السابق، ٥٩
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٤) المصدر السابق،٦٠
(٥) الأصفهاني، "الزهرة"، ٦٠
(٦) المصدر السابق، ٦١

وقد وضع هذه المراتب في الباب الثاني تحت عنوان: (العقل عند الهوى أسير والشوق عليهما أمير)، وبهذا يتبين أنه خصص الباب الأول والثاني بالحديث عن نشأة الحب ومراتبه، وجعل بقية الأبواب في أحوال الحب وآدابه.

١- الحبّ التّام/ المثالي:

هذا المذهب هو العماد الذي قام عليه خطاب الأصفهاني في الحبّ؛ فقد سعى إلى وضع معيارٍ تامٍّ للحب، ودعا المتأدبين والعشاق إلى بلوغه أو الاقتراب منه، وهو يقيس صدق المحبة أو عمق ثبوتها أو بلوغها الغاية على هذا المعيار، نجد ذلك في كثرة ورود العبارات التي تصم الحال بالتمام أو الكمال من مثل قوله: (ليست من أحوال أهل التمام، كان أتمّ حالاً، مقصرة عن حال التمام، ناقصة عن حدّ التمام، وأتمّ من هؤلاء في الحال، زائل عن مرتبة الكمال، حال تامة، ضعف الحال، ضعف الجزع، ...) من أمثلة ذلك تعليقه على أبيات ليزيد بن الطثرية يقول فيها:

أعيب الذي أهوى وأُطري جواريا ... يرين لها فضلا عليهنّ بينا
برغمي أطيل الصد عنها إذا بدت ... أُحاذر أسماعا عليها وأعينا
فقد غضبت أن قلت إن ليس حاجتي ... إليها وقالت لم يُرِد أن يُحِبنا
وهل كنت إلا معمدا قانط الهوى ... أسرّ فلما قاده الشوق أعلنا
أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

ثم قال معلقا عليها: "ولعمري إن هذا لمن نفيس الكلام غير أن في البيت ضعفا؛ وذلك أنه جعل سبب تمكن الهوى من قلبه أنه صادفه خاليا لم يسبقه إليه غيره. **وليست هذه من أحوال أهل التمام**؛ إذ كل من صادف محلاً لا يُدافع عنه، لم يتعذر عليه طريق

التمكن منه"[١]، وهذه لفتة لطيفة تدل على دقّة نظر الأصفهاني في تأمله للحب ونوازعه واشتغالاته؛ فليس من أهل التمام من جعل سبب الحبّ خلوّ القلب.

ومن ذلك تعليقه على أبيات جميل بثينة التي يقول فيها:

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو أخبره الواشي لقرت بلابله

بلا، وبأن لا أستطيع، وبالمنى ... وبالوعد، حتى يسأم الوعد آمله

وبالنظرة العجلى، وبالحول تنقضي ... أواخره لا نلتقي وأوائله

فيقول في آخر تعليقه: "إلا أنه وإن كان قد بالغ في القناعة، فإنه قد التمس التعلل بالوعد، وبتأميل اللقاء على البعد، ومن قنع بترك اللقاء، وأقام على حال الوفاء؛ **كان أتمّ حالا**"[٢]، وأورد أبياتًا لأبي صخر الهذلي:

ويقر عيني وهي نازحة ... ما لا يقر بعين ذي حلم

أني أرى وأظن أن سترى ... وضح النهار وعالي النجمِ

فقال معلقا عليها: "وهذه لعمري قناعة مفرطة في بابها، وإن كانت مقصرة عن حال التمام؛ لأن صاحب هذه الحال يستجلب بُعدًا لنفسه نسيم الوصال"[٣]، وهو هنا يُشنع على من يقنع من الوصال بالنظر إلى النجوم كما ينظر هو إليها وهذا ينقص من تمام الهوى.

ومن ذلك ما أورده تحت عنوان: (من مُنع من كثير الوصال، قنع بقليل النوال) بعد أن ذكر عدّة أبيات شعرية علّق عليها بقوله: "وكل هذه الأحوال ناقصة عن حد التمام، على عُجْب أصحابها بها وافتخارهم بذكرها، وتوهمهم أن قد تهيأ لهم على

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٦٢

(٢) المصدر السابق، ١٥٦

(٣) الأصفهاني، "الزهرة"، ١٦١

أنفسهم ما لم يتهيّأ لغيرهم من صبرها لأحبابهم على الحظ اليسير من نوالهم. وأتم من هؤلاء في الحال، وأحسن صبرا على قليل النوال، بل على ترك جميعه، من رضي من النيل بسلامة محبوبه، وكان ذلك نهاية مطلوبه"(١). وهذه الحال التامة التي يقنع فيها المحب بسلامة محبوبه عن أي وصال.

ومن الكمال في الحبّ أن يشكو المحب لحبيبه؛ ليطلعه على ما في ضمائره لا أن يبتغي منه النوال، ففي الفصل المعنون بـ(ليس بلبيب من لم يصف ما به للبيب)، يختمه بقوله: "إن الكامل في حاله هو الذي كان غرضه في إظهار إلفه على كل ما يلقى به أن يجعلها مشاركا له في علم ضمائره، ومتحكما معه لا بل عليه في سرائره، فلا يتحكم هو حينئذ على خليله في أمر، ولا يستظهر عليه بسرٍّ، وكل من زال عن هذه الحال فزائل عن مرتبة الكمال"(٢).

وحين يصف الحال التامة يشنع بأحوال الناقصين عنها، ومن ذلك قوله: "ولسنا قادرين على ذكر حال تامة عن أحد من الشعراء في هذا الباب؛ لأن كل واصف بوصفه أدل الأشياء على ضعفه. فأهل التمام إذن سكوت عن الوصف، مستغرقون في غمراته، مشتغلون به عن صفاته"(٣)، جاء هذا النص تحت باب (من قصر نومه طال ليله)، وهو هنا يأخذ على الشعراء وصفهم لطول ليلهم، ففراغهم لوصف معاناتهم قدح في محبتهم، وهذا يدل على ضعف أحوالهم.

ومن ذلك قوله تحت باب (من قصر عن مصاحبة الجاد لم تنفعه مساءلة الدار): "وأما إخباره بأنها تهيج هواه وادّكاره، فهو أيضا معنى غير مبتدع، إلا أنه يدل

(١) المصدر السابق، ١٦٢

(٢) المصدر السابق، ٩٠

(٣) الأصفهاني، "الزهرة"، ٣٨٢

على ضعف في الحال، ونقص في الجزع"[١]، وهو هنا يأخذ على المحبين أن تهيج الأطلال والديار الخالية هواهم، فالمحب الكامل لا يُذكِّره ما يراه بحبيبه؛ لأنه في شغل دائم به، وهذه حال قد تعلو عن طبيعة البشر.

٢– الحبّ صامت والشوق فاضح/ تفكيك وظيفة الشوق:

تأتي وظيفة الشوق في خطاب الحبّ (بالإفصاح عما أُضمر)؛ فالشعور وحده يمكن كتمانه؛ أمّا وقد بلغ معه حدّ الاشتياق فلا قدرة للمحب على الكتمان؛ إذ يصاب الحبّ بالعِيّ فإذا ما بلغه الشوق أفصح، فالمحرك الرئيس للإفصاح عنده هو بلوغ حدّ الشوق لا شعور الحبّ نفسه، وهو يتخلل أحوال الحبّ جميعها، يقول مبينا وظيفة الشوق: "والشوق تابع لكل واحدة من هذه الأحوال. والمستحسِن يشتاق إلى ما يستحسنه على قدر محله من نفسه. ثم كلما قويت الحال قوي معها الاشتياق، فالحبّ وما أشبهه يتهيأ كتمانه، فإذا بلغتِ الاشتياق بطل الكتمان"[٢]، ففي الخطاب يعلي الأصفهاني من قيمة التستر والإخفاء والتكتم إلا في أحوال خاصة، وهو مع ذلك يجعل قوة الشوق وضعفه للشيء المستحسن، معيارًا لقدر محبته له، حيث إنه بقدر الشوق يستبين قدر المحبة، والشوق مفصح عما كتم وستر، ولذا كان دلالة عليه.

(١) المصدر السابق، ١٤٢

(٢) المصدر السابق، ٦١

المبحث الثاني: تعدد شخصيات المؤلف في الكتاب

يظهر في خطاب الحبّ عند الأصفهاني تعدد شخصيات المؤلف؛ فتراه في أغلب تعليقاته ينطلق من نظرة العاشق المتبصِّر بالحبّ وأحواله، فترى نظراته صادقة نفّاذة، وتجد في أسلوبه عذوبة وطلاوة نشأت عن جمال النفس المحبة؛ التي صقلها الوجد، ورقّقتها لوعة الهوى. وفي أحايين أخرى تراه مشتملا جبّة الفقيه الفيلسوف؛ همّه أن يقف على المقدمات والنتائج، ويزن الأمور بالقياس الصوري والمنطق العقلي بعيدًا عن الواقع النفسي؛ فيخرج حديثه ثقيلًا على النفس، يكثر فيه التكلّف، ويغلب على أسلوبه الجفاف والتعقيد. وقد تجتمع هاتان الشخصيتان في موضع واحد؛ فيبدو الأصفهاني العاشق مثاليًا، يُلزم العشاق بأخلاق متعالية، ويفرض عليهم ما لا طاقة لهم به، وذلك حين يتحدث عن الحال التامة، ومرتبة الكمال(١).

أولا–المؤلف الفقيه والفيلسوف:

ذكرنا في مقدمة هذه الدراسة كثرة تأليف الفقهاء في ظاهرة الحبّ، وعللنا ذلك أن علم الفقه يهتم بتأصيل العلاقات الإنسانية وتنظيمها، فلا غرو أن تظهر شخصية الأصفهاني الفقيه في ثنايا خطابه، إلا أن ذلك بدا في مواضع قليلة، وذلك حين يذكر الحقوق، والأخلاقيات، فتراه يتلبّس لبوس الفقيه، ويشيع المنطق في خطابه، فيلتفت عن أسلوب الأديب العاشق إلى أسلوب الفقيه، وتبدو لغته مباشرة ومنطقية وصارمة، نجد مثل هذا في قوله: "الوفاء اسم للثبات على الشرائط فكل من عقد على نفسه أو عقد عليه غيره ممن يلزمه عقده شيئا فثبت عليه لم يزل عنه سمى موفيا، وكل من شرط على نفسه شرطا وزال عنه للزوال سُمّي غادرا"(٢).

(١) الجوادي، عبد الستار، "الحبّ العذري"، ١٥١

(٢) الأصفهاني، "الزهرة"، ٤٧٢

ومن أمثلة ذلك أنه يقف منصفًا المحب على نفسه، وذلك في المعنى الذي أنشده يزيد بن الطثرية:

يقولون صبرا يا يزيد إذا نأت ويا رب لا ترزق على حبها صبرا

فيقول: "فهذا يختار لنفسه البلاء ضنا بمحلِّها من الهوى. ولعمري إن هذه لحال وكيدةٌ، وإنها لو فارقته حتى يرى نفسه بعين الحرية مِن مُلكها لانتقل عن رأيه وندم على وفائه"(١)، وهذا حديث منطقي عاقل، يندر أن يذكره الأصفهاني، الذي غلب على خطابه التحدث بلغة العشاق؛ الذين يتذللون لأحبائهم ويفدونهم بأنفسهم، وهذا الرأي غلب عليه منطق الفقيه كما ذكرنا.

ومن ذلك رأيه في بعض الأبيات التي خرجت عن الوصف المقبول شرعًا وعرفًا، فقال مُعلّقًا عليها: "فأمّا هذا النحو من الشعر فلست أنشط لذكره، لا من شعر امرئ القيس ولا من شعر غيره، فهو فعل خارج عن حدّ الديانة والمروءة، وما خرج عن حدّ هذين البابين تعدّى عيبه من فاعله إلى ناشره ومستحسنه"(٢)، وهذا منطق الفقيه الذي لا يقبل من الشعر ما يصف حال المحبين وصفا يخالف الديانة والمروءة، فلا يباح للشعراء ما لا يباح لغيرهم، بل إنه يشنع على من ينشره ويستحسنه، فهو وإن كان يقبل من الشعراء ما يصف حال المحبين إلا أنه يتوقف عند الوصف الفاحش البذيء، فلا يورده إلا أن يستدرك عليه.

ومن ذلك ما نجد في بعض المواضع من الاستدلال بالآيات الكريمات على ما يذهب إليه من رأي في أحوال المحبين؛ من مثل تعليقه على قول من عاب تغير حال المحب عند رؤية حبيبه؛ إذ يرون أن من استوفى الهوى منه حقه، وتناهى به إلى الغاية؛

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٦٨

(٢) المصدر السابق، ١٢٨

ما كان اللقاء يزيد شيئًا أو ينقصه[١]، فقال: "على أنّه من طلب لآدمي مثله بما لم يطالب الله عباده فأخلق بأن يكون ظالماً. وقد مدح الله -تبارك وتعالى- قومًا فقال: ﴿الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾[٢]، فلم يعبهم -تعالى- بأن كان ذكره بحضرتهم مُظهرًا عليهم ما لم يكن قبلُ موجودًا منهم"[٣]، فهو في بعض مواضع من خطابه يقيس أحوال المحبين بما يرد في القرآن الكريم من ذكر أحوال المحبين من عباد الله، أو صدق المحبة وتفنيد أقوال غيرهم من الأقوام مثل استدلاله بقول الله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾[٤]، فاستدلّ على أن عقاب الله لهم على ذنوبهم دليل على انتفاء محبتهم؛ فقاس عليها أن الحقد والموجدة محال أن ترد بين المحبين هزلاً أو جدًّا[٥].

وهو حين يذكر ظرافة المحبين يلزمهم بالعفة لسببين؛ الأول: ديانة وعرفًا، والثاني: أن العفة تورث إبقاء الودّ بين المحبين؛ وقد جاء ذكر هذا في الباب الثامن تحت عنوان: (من كان ظريفًا فليكن عفيفًا)، ذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم[٦]: "من عشق فعفّ فكتمه فمات فهو شهيد"[١]، فقال معلقًا على هذا

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٨٢

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢

(٣) الأصفهاني، "الزهرة"، ٨٣

(٤) سورة المائدة، الآية ١٨

(٥) الأصفهاني، "الزهرة"، ٧٩-٨٠

(٦) يذكر ابن القيم في كتابه (الداء والدواء) عن تخريج هذا الحديث: "وأما حديث: "من عشق فعف" فهذا يرويه سويد بن سعيد، وقد أنكره حفاظ الإسلام عليه. قال ابن عدي في كامله: هذا الحديث ما أحد إلا أنكره على سويد، وكذلك ذكره البيهقي وابن طاهر في =

الحديث: "ولو لم تكن عِفّة المتحابين عن الأدناس، وتحاميهما ما ينكر في عرف كافة الناس؛ محرمًا في الشرائع، ومستقبحًا في الطبائع، لكان الواجب على كل واحد منهما تركه إبقاء وده عند صاحبه، وإبقاءً على ودّ صاحبه عنده"(٢)، وهذه التفاتة خبير في الحبّ، وفقيه في أحوال العلاقات الإنسانية؛ فالعفة بين المحبين تبقي على دوامها؛ لترفعها عما يقدح أو يشين.

ومن الأمثلة التي تبين عن روح الفيلسوف والحكيم؛ كثرة إيراده لأقوال الفلاسفة من الغربيين من مثل ذكره أقوال المتفلسفين كما يصفهم عند ذكر أقوالهم بشكل عام(٣)، وذكره لأقوال أفلاطون(٤)، وبطليموس(٥)، وجالينوس(٦)، وكثرة إيراده للآراء التي تبين عن نَفَس الحكيم من مثل قوله: "وعلى أنه لا ينبغي للعاقل أن يُفرط في الجزع من غِيَر الأيام؛ فإن الدهر حال بعد حال، وكما كان اتصال السرور ذريعة إلى

=

الذخيرة والتذكرة، وأبو الفرج ابن الجوزي وعدّه من الموضوعات، وأنكره أبو عبد الله الحاكم على تساهله، وقال: أنا أتعجب منه. قلت: والصواب في الحديث أنه من كلام ابن عباس– رضي الله عنهما– موقوفا عليه، فغلط سويد في رفعه". انظر: ابن القيم الجوزية، "الداء والدواء ". تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، (ط١، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ): ٥٦٨

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ١١٧

(٢) المصدر السابق، ١١٧

(٣) المصدر السابق، ٥٣

(٤) المصدر السابق، ٥٤

(٥) المصدر السابق، ٥٥

(٦) المصدر السابق، ٥٥، ٥٨

وقوع المحذور، وكذلك ربما كان وقوع المكروه من أقوى الأسباب لرجوع المحابّ"[1]، ومثل هذه الآراء الحكيمة التي تكثر في خطابه، يختلط بها منطق العاشق، الذي تراه في غالب أحواله يرجو ويحاذر.

ثانيًا– المؤلف العاشق:

يظهر المؤلف العاشق في أغلب أبواب الكتاب، ومنه ينطلق في صياغة خطابه في الحبّ، وقد وضع له معيار التمام أو الكمال؛ فإما أن يكون الشاعر دون ذلك أو أنه قد بلغ ذلك الحد.

في تأمله لتجليات الحبّ في الشعر؛ ينفذ الأصفهاني إلى روح المحب، يتحسسه ببصيرته لا ببصره، فيعلق على أبيات للحسين بن مطير الأسدي مُنطلقا من منظورٍ نفسيٍّ لافتٍ يجلي عن بصيرة نافذة بروح العاشق. صدّر تخيره لهذه المقطوعة بقوله: "وهو من جيّد ما قيل في معناه" يقصد قول الحسين:

قضى الله يا أسماء أن لستُ زائلاً ... أحبك حتى يغمض العين مغمضُ

فحبك بلوى، غير ألا يسرني ... وإن كان بلوى أنني لك مبغضُ

إذا ما صرفتُ القلب في حب غيرها ... إذا حُبُّها من دونه يتعرّضُ

فيا ليتني أقرضتُ جلدًا صبابتي ... وأقرضني صبرًا على الشوق مقرضُ

فعلّق مستنكرًا وصف الشاعر حبها بأنه بلوى، وذكره البغض في معرض قصيدة عن الحبّ: "أما قوله (فحبك بلوى) فكلام قبيح المعنى، وذلك أنه إن كان صادقًا في هواها، مختارًا لها على ما سواها، فقد أتى على نفسه؛ إذ جعل اختياره مضرا بقلبه. وإن كان لم يدخل في الهوى مختارا، وإنما وقع به اضطرارا، فقد أخطأ؛ إذ سمى ما هو موجود في طبعه مفارق لنفسه باسم البلوى التي تعرض له، وتنصرف عنه. وأما إخباره

(١) المصدر السابق، ١٧٠

بأنه لا يُسَرُّ بأن يكون مبغضا لها، فكلامٌ لو سكت عنه كان أولى"[١]. فهو ينأى بالمحبين أن يذكروا ما يُستقبح ذكره في معرض الحبّ، مثل وصفه الحبّ بـ (البلوى)، أو ذكره مفردة (البغض) في سياق الحبّ، وهذا رأي العاشق الخبير؛ الذي لا يرى أن الحبّ يعرض للنفس حينا وينصرف عنها حينًا، فلم يصح تشبيهه بالبلوى في مفارقتها للنفس أحيانًا.

ومما يلحظ في خطاب العاشق أنه كثيرًا ما يفتتح بعض الأبواب بجملٍ مؤثرة، بليغة، ومختصرة، لا تخرج إلا من نفس كواها الهوى؛ من ذلك ما ذكره في مبتدأ باب (ما خُلق الفراق إلا لتعذيب العشاق): "أمّا الفراق فمستغن ببشاعة اسمه عن الإغراق في وصفه"[٢]، وكذلك في مفتتح باب (في الوداع قبل الفراق بلاغ إلى وقت التلاق): "فِعل الوداع وتركه، نقص كلّه لمن قدر أن يرد الفراق عن نفسه"[٣].

ومن ذلك أخذه على بعض العشاق أقوالهم، من مثل تعليقه على بيت توبة بن الحمير:

قالت مخـافة بيننا وبكت لـه ... والبين مبعوض على المتخوّفِ:

لو مات شيء من مخافة فُرقةٍ ... لأماتني للبين طـــول تخوفي

ملأ الهوى قلبي فضقت بحمله ... حتى نطقـت بـه بغير تكـلفِ

يقول: "فليلى الأخيلية –عفا الله عنا وعنها– إن كان ما حكاه لنا توبة عنها في البيت الثاني حقًا، فإنها كانت جاهلة بأحوال العشاق، غافلة عمّا تولّده روعات الفراق، ولعمري إن مراثيها في توبة بعد وفاته لدالّة على أنها لم تتعلق من الهوى إلا

(١) الأصفهاني، الزهرة، ٦٥،٦٦

(٢) الأصفهاني، الزهرة، ٢٦٨

(٣) المصدر السابق، ٢٥٩

بأطرافه؛ إذ لو كان الهوى قد بلغ بها أقصى الحال، كانت حياتها بعد وفاة توبة ضربا من المحال"[1].

غير أنه ينعى على الشعراء هذا السرف الشديد في اليأس حتى لا يجد لقائل هذين البيتين طريقا لإعذاره:

من حبها أتمنى أن يـلاقيني من نحـو بلـدتها نا ع فينعاهـا
كيما أقول فراق لا التقاء له وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

وقريب منه قول البحتري الذي يبين أنه يريد محبوبته ما دامت تواصله فإذا هجرته انصرف قلبه عنها، وذلك في قوله:

أريد لنفسي غيرها حين لا أرى مقاربة منها ونفسي تريدها

وفي الحبّ الذي يراه الأصفهاني صادقًا يشف عن روح محبة حقيقية، تظل على دوام حبها لا تتغير بتغير أحوال المحبوب، لا بقربه وبعده، ويجد ذلك ماثلا في قول البحتري:

يهواك لا أنّ الغرام أطاعه حتما، ولا أن السلوّ عصاه
متخير ألفاك خيرة نفسه ممـن نـــآه الـــودّ أو أدنـــاه

ويتجلى المؤلف العاشق في تعليقاته النقدية على معاني الشعراء المحبين المتغزلين، من مثل مخالفته لهم في معانيهم وتصوير أحوالهم أو موافقته، ففيها تتبين فلسفته في الحبّ وأبعاده وحدوده.

ومن مظاهر تلوّعه بالعشق أنه ينعى على الشعراء تبرمهم بالرقيب، كقول الشاعر:

إذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق كلاما تكلمنـــا بأعيننـــا ســـــرّا

(١) المصدر السابق، ٢٣١

فنقضي –ولم يعلم بنا– كل حاجةٍ ولم نُظهر الشكوى ولم نهتك السترا

ولو قذفت أحشاؤنا ما تضمّنت من الوجد والبلوى إذن قذفت جمرا

فيقول معلقًا عليه: "صاحب هذا الشعر البائس مغترّ بالزمان، جاهل بصروف الأيام، يتبرم بالرقيب مع مشاهدة الحبيب. وهو لا يعلم أن هذه الحال، تتقاصر عنها الأيام، وتنقطع دونها الآجال"(١). فالعاشق الذي تلظى بالفراق والهجر، وقاسى من الدهر مكايده، علم أن هذه الحال من أهون أحوال المحبين.

ومن المواضع كذلك تعليقه على أبيات جميل(٢):

ولربّ عارضة علينا وصلها بالجدّ تخلطه بقول الهازلِ

فأجبتها بالقول بعد تستر حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي كقدر قلامة فضل وصلتك أو أتتك رسائلي

فقال: "أما هذا فقد دلنا بغاية جهده على شدة تمكنها من قلبه وأخبرنا مع ذلك في شعره أنه لو تهيأ خلاص شيء من حبه من يدها لصرفه إلى غيرها وهذه حال لا ترضي أهل الوفاء ولا يستعملها أهل الصفاء"(٣). وهو يأخذ على المحب ما يستبين من ضعف وفائه، ولو كان مقصده وصف استحكام حبها على قلبه، لكن قبوله لوصل غيره إن ضعف حبها فهو دليل على نقص في تمام الهوى.

ومما يتبين عظيم معرفته في ظاهرة الحبّ، وصفه العاشق الذي يشوقه نسيم الريح، أو لمعان برق، أو سجع حمام، ناقص عن حال التمام؛ وذلك من جهتين، إحداها: "قلة صبره على فقد صاحبه حتى يحتاج أن يرى ما يشوقه بذكره، والأخرى

(١) الأصفهاني، الزهرة، ١٤٩

(٢) المصدر السابق، ١٥٥

(٣) المصدر السابق، ١٥٦

أن من كانت هذه صفته فإن الصبابة لم تتمالك على قلبه، فتشغله عن أن يتشوّق بشيء يلم به. غير أن الشوق بما ذكرناه إنما يُقصِّر بأهله عن درجة الكمال، وليس بمُدخل لهم في جملة الموصوفين بالنقص والإخلال"[1]. وهو هنا يضعهم في منزلة بين منزلتين؛ فلا هم من أهل التمام، كون تشوقهم ظهر بسبب خارجي، ولا هم من أهل النقص؛ لأنهم لم يأتوا بما يصم حالهم بالنقص.

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٣٠٣

المبحث الثالث: وظائف الخطاب:

يقوم خطاب الحبّ في كتاب الزهرة على وظائف ذات قيمة دلالية، تتضح فيما يلي:

أولا– الوظيفة الإغرائية:

تتمثل في العنوانات التي ارتضاها لأبواب كتابه، وتشكلت في جنس المثل والحكمة، مما جعلها تغري القارئ بالنظر فيما ورد تحتها من آراء وتعليقات، والعنوانات أمثال استغرقت الكتاب كله، منها قوله: "من كثرت لحظاته دامت حسراته"، "من طال سروره، قصرت شهوره"، "من مُنع من كثير الوصال، قنع بقليل النوال"، "من لم يلحق بالحمول بكى على الطلول"[١] وغيرها.

ثانيا– الوظيفة التعليمية والتأديبية:

إن ما يتميز به هذا الخطاب أنه صادر من فقيه أديب وشاعر؛ فللفقيه سلطته في المجتمع التي تقتضيها وظيفته التعليمية والإرشادية للناس، بما يخص أمور دينهم ومعاملاتهم، وما يلفت النظر أن الكتاب الآخر الذي شُهر بظاهرة الحبّ في التراث العربي هو "طوق الحمامة" للفقيه ابن حزم الأندلسي؛ فالحبّ والفقه يشتركان في أنهما مما تختص به أعمال القلوب، وهما في الآن نفسه يؤثران تأثيرًا مباشرًا في سلوك الإنسان وتوجهاته وتعاملاته اليومية.

في هذا الخطاب تتجلى الوظيفة التعليمية في التعليقات التي يُعقِّب بها على مختاراته من المقطوعات الشعرية، وأكثر ما برزت هذه الوظيفة في مفتتح كتابه؛ في

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ٤٣

تعريفه للحب وعلاماته ومنازله، وتظهر كذلك في بدايات فصوله على طول الكتاب وهي كثيرة؛ فهو يفتتحها بعرض وتقسيم وتصنيف مسرودة بأسلوب تعليمي؛ من هذا قوله تحت فصل (من أحبه أحبابه وشى به أترابه): "مكايد الوشاة كلها تنقسم على ثلاثة أقسام: فسعاية المتحابين إلى غيرهما، وسعاية المحب إلى محبوبه، وسعاية المحبوب إلى محبه، فهذه عند كثير من الأدباء أضعف المكايد أثرًا. وليس الأمر كذلك، ولا هو أيضًا بضد ذلك، ولكنه محتاج إلى نقصان؛ أما العشاق والمتيمون فلا يقبلون قول الوشاة، بل لا يسمعونه؛ لأن الثقة منهم بأحبابهم ماحية لقول من وشى بهم، وأما أهل الوله المدلّهون فيقبلون مالا يسمعون، فضلا عما يسمعون، لما قدمنا من وصفهم، وغلبة الظن على أنفسهم"(١).

ومنها كذلك في قوله تحت فصل (من لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ الخلّة): "المعاتبة على الذنوب من المحب والمحبوب قد تجري على ضروب: فمنها معاتبة استتاب تقي من الارتياب، ليزول الشك بما يجري فيها من الجواب، ومعاتبة تقع بعد اليقين يقصد بها العاتب إلى أن يعلم هل من ذلك الذنب عذر؟ أم هو داخل في باب الغدر؟ ومنها معاتبة توقيف تجري جهة التعنيف...وترك جميع المعاتبة يدخل في باب الإهمال"(٢). ففي هذا النص وغيره تتجلى الوظيفة التعليمية التي تسعى إلى التفصيل في أحوال الحبّ، لتبصرة المتأدبين بتلك الأحوال وما يعترضها، وتعليمهم ظواهرها ومسبباتها، وما يتوجب عليهم فعله في تلكم الأحوال.

(١) الأصفهاني، "الزهرة"، ١٨١

(٢) المصدر السابق، ١٨٩

أمّا الوظيفة التأديبية فتتجلى في مواضع عدّة يصعب حصرها هنا، لكنني سأورد أمثلة عليها؛ منها أخذه على الشاعر أن حبه تولّد عن استحسان صورة وقدٍّ، قال معلقا على أبيات للبحتري: "أما هذا الشعر فمن أضعف شيء أعرفه، وذلك أن صاحبه إنما استحسن صورة وقدًّا فمتى تغيّر حسنها، أو رأى ما هو أحسن في عينه منها، اتّبعه وتركها. على أنه مع افتقاره إلى خليله، وعدمه لشكله ونظيره، منتقد في هواه؛ فمرّة يتسخط ومرة يترضاه، حتى "يمسي مولى ويصبح عبدا" وهذه حال خسيسة فإن كان ولا بد للمحب من التباعد عن المحبوب فليكن ذلك ظاهرا في الأفعال، غير معتقد في القلوب"(١).

ومن ذلك قوله تحت فصل عنونه بـ(من طال سروره قصرت شهوره) في توجيه أخلاقي واصفا حسن حال المحبين في الوصل بعد الانقطاع: "فكيف وحال الصفاء إذا ابتدأت بين المتحابين بالمشاكلة الطبيعية؟ ثم اتصلت بالحراسة عن الأخلاق الدنيّة؟ ثم عذُبت بالرعايات الاختيارية؟ بلغت بهما الحال إلى حيث انقطعت بهما دونه الآمال، وعلى أن الحزم لمن سومح بالوصال، ألا يُرسل نفسه كل الإرسال، فإن ذلك ربما دعا المحبوب إلى الملال، وإن كان مقيما على رعاية الحال"(٢).

ثالثا– الوظيفة الحجاجية:

يوظف الأصفهاني في خطابه عدّة حجج منها ما يسميه بيرلمان حجّة السلطة (Argument d'autoritĕ)، وهي التي يستخدم فيها المحاجِج هيبة شخص أو مجموعة

(١) المصدر السابق، ٢٣٤-٢٣٥

(٢) الأصفهاني، "الزهرة"، ١١٦

من أشخاص لدفع المخاطب لتبني دعوى ما، ومنهم الأنبياء ورجال الدين والعلماء والفلاسفة والشعراء وغيرهم[1]، لذا نجده يحشده من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الأولين من الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة والأدباء وغيرهم ما يؤيد مذهبه، وكذلك فيما يورده من مقطوعات شعرية تعزز من صواب آرائه في الحبّ.

ومن أبرز أمثلته عنده تعليقه على قول الشاعر:

وكيف يحب القلب من لا يحبه بلى، قد تريد النفس من لا يريدها
وكنت إذا ما زرت ليلى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
تحلّل أحقادي إذا ما لقيتها وتنمي بلا جرم علي حقودها

يقول: "أما قوله "تحلل أحقادي إذا ما لقيتها" فهو كلام صحيح، ولو أبدل اسم الحقد بغيره كان أحسن؛ لأن الحقد لا يتولد إلا عن موجدة، فتخفى في النفس، ويظهر غيرها ويرصد صاحبها بالمكافأة عنها. وهذا كله محال بين المتحابين بين باب الجد والهزل جميعا. وقد ذكر الله تعالى جل ثناؤه في باب محبته للمؤمنين دليلا على ما قلناه، وذلك قوله عز وجل: {وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء} فجعل- جل ثناؤه- مكافأتهم بالمعاقبة على ذنوبهم دليلا على تكذيب دعواهم"[2].

ومن ذلك أنه جعل انشغال المحب بالزجر والعيافة دليلاً على امتحانه بمفارقة أحبابه أو أمله في وصالهم؛ فهو في قلق دائم يبحث في الكون من حوله ما بشائر

(١) أمقران، "تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان" ٢٢٩،
(٢) الأصفهاني، "الزهرة"، ٨٠

الأقدار ونذرها؛ متفائلا بوصال أحبابه، أو متشائمًا بها ليأس ويسلى، ومما يبين عظم حساسية المحب لما حوله وتأويله للأسماء ورموزها ما أورده من أشعار تؤيد ما ذهب إليه(١)، منها قول جران العود:

جرى يوم جئنا بالجمال نزفّها عُقابٌ وشحّاج من البين يبرحُ

فأمّا العقاب فهو منها عقوبة وأما الغراب فالغريب المطرّحُ

وقول جحدر الفقعسي:

تغنى الطائران ببين سعدى على غصنين من غرب وبانِ

فقلت لصاحبيّ و–كنت أحرى بزجر الطير–: ماذا تخبرانِ؟

فقالا: الدار جامعة بسعدى فقلت: بل انتما متمنيانِ

وكان البان أن بانت سليمى وفي الغرب اغتراب غير داني

وفي هذا ما يدل على أن المحب حين يحبّ فإنه يدخل في حالة مجازية مع الوجود؛ فيستحيل الوجود إلى أم رؤوم ترشد ابنها؛ فما يراه من مشاهد حوله ليست مشاهد يومية عادية؛ بل هي رسائل كونية لها دلالتها المنطبعة في أعماقه، فكأن المحب يرتقي بالحبّ إلى درجة من العلوّ ترقّ بها نظرته للوجود.

وقد تبين لنا أن الأصفهاني في خطابه الحجاجي يوظف الأشعار بتقنيتي الشاهد والمثال، وهو كثيرًا ما يستحضر الأبيات الشعرية شواهد في بداية كل باب ثم يختمها بذكر رأيه، ويقلّ عنده استحضار الأبيات الشعرية على أنها أمثلة يختم بها لتأييد مذهبه، وهذا يكشف عن وعي الأصفهاني بالأساليب الحجاجية التي ذكرها

(١) المصدر السابق، ٣٣٦-٣٤٣

شارلمان في كتابه[1].

يتضح من هذه الأمثلة توظيف الأصفهاني لكثير من تقنيات الحجاج في سبيل إقناع القارئ بوجهة نظره في الحبّ، وهو ما يؤكد أن الحجاج كان مادّة من مواد خطابه في الحبّ، وشكّل- إلى جانب الأبواب المثلية والمكوّن الشعري والمكون النثري- أهم مظاهر بلاغة الخطاب في كتاب الزهرة.

(١) فرّق بيرلمان بين الشاهد والمثال؛ إذ بين أن ذكر الشاهد يكون عادة في البداية ويأتي متعددًا، ثم يستخلص منه نظرية أو قاعدة عامة، بينما المثال يُذكر في النهاية لتأييد الرأي ويكون غالبا مقتضبا وغير متعدد. انظر: بيرلمان، "المصنّف في الحجاج"، ٥٢١-٥٣١

الخاتمة

إن التّصدّر لموضوع الحبّ في القرون الأولى؛ يدلّ على ازدهار الثقافة العربية والإسلامية آنذاك، وقد تبدّى في هذا المؤلَّف النضج المعرفي والفكري لخطاب الحبّ؛ لعل مصدر ذلك ما اختصّ به مؤلّفه؛ من فقهٍ وأدبٍ وشاعرية، وقد ظهرت في هذا البحث عدّة نتائج، أوردُ أهمها:

١- يُعدّ الأصفهاني من أوائل من عرضوا لظاهرة الحبّ، مما وصل إلينا من التراث العربي.

٢- ينطلق خطاب الحبّ عند الأصفهاني من نظرة مثالية، تسعى إلى الارتقاء بالمحبين إلى درجة الكمال وهو ما يسميه (الحبّ التّام).

٣- تبين أن المكوّن العنواني هو النتيجة التي خَلُص إليها المؤلف من كل فصل.

٤- لجأ الأصفهاني إلى الوسيط المِثَلي في تبويبه للأبواب؛ ليضمن سيرورة آرائه في الحبّ.

٥- صيغت العنوانات –في أغلبها– على أسلوب الشرط؛ الذي يؤدي وظيفة التأثير والإقناع من حيث ارتباط الفعل بجوابه؛ وذلك ناتج عن الباعث التأديبي الذي قصده المؤلف.

٦- هيمنت المعاني السلبية في العنوانات على المعاني الإيجابية؛ وهو ما يكشف عن رؤية الأصفهاني لظاهرة الحبّ.

٧- يعدّ (المكون الشعري) المادة الخام التي بنى عليها الأصفهاني خطابه، ليستخلص منها الحكم والعبر، ويكشف عن النوازع الإنسانية؛ فهي تمثّل (عينة) من تجارب حياة الشعراء، وآرائهم.

٨- قام خطاب الأصفهاني في حجاجه على تقنيّ (الشاهد) و(المثال)، مع هيمنة (الشاهد) على غالب خطابه.

٩- ظهرت السلطة الأبوية في المكون النثري؛ متمثّلة في تعليقات الأصفهاني على الأشعار الغزلية ومذاهب الشعراء فيها؛ ما بين موافقتهم والثناء عليهم، أو

مخالفتهم والإنكار عليهم، وسلبهم أحيانا صدق التجربة والشعور.

١٠- غلبت على خطاب الأصفهاني شخصية المؤلف العاشق، الخبير بالعشق والعشاق وما يعتريهم من أحوال متباينة.

١١- حضرت في خطاب الأصفهاني شخصيتان متمايزتان، هما: الفقيه والفيلسوف؛ إذ يتجلى عند الأول الميل إلى التقعيد الأخلاقي، والاحتكام إلى معيار الشرع في ضبط العاطفة، بينما يتبدّى لدى الثاني النزوع إلى التأمل العقلي واستنباط المعنى من التجربة الإنسانية للحب.

١٢- تجلت في الخطاب وظائف عدّة؛ تمثلت في: الوظيفة الإغرائية التي اتخذت من المثل وسيطا إغرائيا للقارئ، وكذلك الوظيفة التعليمية والتأديبية التي توجه السلوك وتؤطره أخلاقيًا، والوظيفة الحجاجية التي تقيم المعنى على المنطق والإقناع، والاستعانة بالتقنيات الحجاجية.

هذه أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وإن خطاب الحبّ في الثقافة العربية بحاجة إلى مزيد بحث واستقصاء؛ لاستخلاص النتائج التي تكشف عن تمثيلات المجتمع آنذاك للحب والمحب والمحبوبة، ولهذه العلاقة الجدلية بين الرجل والمرأة، المتجلية في أزهى وأرقى مراتبها؛ سعيًا إلى فهم أنفسنا عبر فهم نظرة الثقافة التراثية الممتدة من تلك الأزمان إلى زماننا هذا، فما زالت الثقافة تعيد إنتاج نفسها بالوسائط الأدبية الممتدة إلى اليوم ومن أهمها جنس المثل.

المصادر والمراجع

المصادر:

الأصفهاني، أبو بكر محمد بن داود. "كتاب الزَّهرة". تحقيق إبراهيم السامرائي. (ط٢، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "الخصائص". تحقيق محمد علي النجار. (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ).

الجرجاني، علي. "كتاب التعريفات". تحقيق جماعة من العلماء. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٣م).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. "مروج الذهب ومعادن الجوهر". تحقيق كمال حسن مرعي. (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م).

المراجع:

فروم، إريك. "فن الحبّ–بحث في طبيعة الحبّ وأشكاله". ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. (د.ط، بيروت: دار العودة، ٢٠٠٠م).

شارودو، باتريك، ودومينيك منغنو. "معجم تحليل الخطاب". ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود. (ط١، تونس: دار سيناترا والمركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م).

بيرلمان، شاييم وآخرون. "المصنف في الحجاج". ترجمة محمد الولي. (ط١، بنغازي: دار الكتاب المتحدة، ٢٠٢٣م).

الجوادي، أحمد عبد الستار. "الحبّ العذري: نشأته وتطوره". (ط١، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٤٨م).

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. "إستراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية".

(ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

صولة، عبد الله. "في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات". (ط١، تونس: مسكلياني للنشر والتوزيع،٢٠١١م).

عبد الله، محمد حسن. "الحبّ في التراث العربي". (د.ط، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٠م).

المطعني، عبد العظيم. "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة،١٩٩٢م).

الدوريات:

أمقران، شعبان. "تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان"، *مختبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية* ٥، (٢٠١٨م): ٢٢٣-٢٣٦

بسندي، فائزة، ومهسا خليليان. "استكشاف جوانب جديدة من ملامح الرومانسية العربية في شعر الغزل لأبي بكر بن داود الأصفهاني"، *مجلة أوراق ثقافية* ٣٦، (٢٠٢٥م):٣١٧-٣٣٦.

الزهراني، معجب. "خطاب المحبة ضد خطاب التوحش: قضايا الحبّ ومكانة المرأة في طوق الحمامة لابن حزم"، *مجلة موارد جامعة سوسة-كلية الآداب والعلوم الإنسانية* ١٠، (٢٠٠٥م):٤٩-٧٤.

شعرانة، المنصف. "خطاب الحبّ في طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي"، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القيروان ١٤*، (٢٠٢٢م):٢٠٣-٢١٦.

عبد السلام، سعد. "الحبّ بين الدين والفلسفة عند ابن حزم الظاهري"، *مجلة الحكمة* ٩، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، (٢٠١١م):١١٠-١٢٥.

Bibliography

Al-Aṣfahānī, Abū Bakr Muḥammad bin Dāwūd. "Kitāb al-Zahrah". Investigated by Ibrāhīm al-Sāmurrāʾī. (2nd edition, Jordan: Maktabat al-Manār, 1985).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʿUthmān. "Al-Khaṣāʾiṣ". Investigated by Muḥammad ʿAlī al-Najjār. (4th edition, Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, n.d.).

Al-Jurjānī, ʿAlī. "Kitāb al-Taʿrīfāt". Investigated by a group of scholars. (1st edition, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1983).

Al-Masʿūdī, Abū al-Ḥasan ʿAlī bin al-Ḥusain. "Murūj al-Dhahab wa Maʿādin al-Jawhar". Investigated by Kamāl Ḥasan Marʿī. (1st edition, Beirut: al-Maktabah al-ʿAṣriyyah, 2005).

Fromm, Erich. "The Art of Love: An Inquiry into the Nature of Love". Translated by Mujāhid ʿAbd al-Munʿim Mujāhid. (Beirut: Dār al-ʿAwdah, 2000).

Charaudeau, Patrick, and Dominique Maingueneau. "Dictionary of Discourse Analysis". Translated by ʿAbd al-Qādir al-Mahīrī and Ḥammādī Ṣumūd. (1st edition, Tunis: Dār Sīnatrā and National Translation Center, 2008).

Perelman, Chaim, et al. "Al-Muṣannaf fī al-Ḥijāj". Translated by Muḥammad al-Walī. (1st edition, Benghazi: United Book House, 2023).

Al-Jawādī, Aḥmad ʿAbd al-Sattār. "Al-Ḥubb al-ʿUdhrī: Its Emergence and Development", (in Arabic). (1st edition, Cairo: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1948).

Al-Shahrī, ʿAbd al-Hādī bin Ẓāfir. "Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach", (in Arabic). (1st edition, Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah, 2004).

Ṣawlah, ʿAbd Allāh. "On Argumentation Theory: Studies and Applications", (in Arabic). (1st edition, Tunisia: Maskīliyānī for Publishing and Distribution, 2011).

ʿAbdullāh, Muḥammad Ḥasan. "Love in the Arabic Heritage". (Kuwait: World of Knowledge Series, 1980).

Al-Muṭʿinī, ʿAbd al-ʿAẓīm. "Characteristics of Qurʾanic Expression and Its Rhetorical Features". (1st edition, Cairo: Maktabat Wahbah, 1992).

Periodicals:

Amqrān, Shaʿbān. "Argumentation Techniques in the New Rhetoric of

Chaim Perelman", (in Arabic). Laboratory of Renewing Research in Teaching Arabic 5, (2018): 223–236.

Basandī, Fāʾizah, and Mahsā Khalīliyān. "Exploring New Aspects of Arabic Romanticism in the Love Poetry of Abū Bakr ibn Dāwūd al-Aṣfahānī", (in Arabic). *Awraq Thaqāfiyyah Journal* 36, (2025): 317–336.

Al-Zahrānī, Muʿjib. "The Discourse of Love versus the Discourse of Savagery: Issues of Love and the Status of Women in Ṭawq al-Ḥamāmah by Ibn Ḥazm", (in Arabic). Mawārid Journal, University of Sousse 10, (2005): 49–74.

Shaʿrānah, al-Munṣif. "The Discourse of Love in Ṭawq al-Ḥamāmah by Ibn Ḥazm al-Andalusī", (in Arabic). *Journal of the Faculty of Arts and Humanities*, University of Kairouan 14, (2022): 203–216.

ʿAbd al-Salām, Saʿd. "Love between Religion and Philosophy in the Thought of Ibn Ḥazm al-Ẓāhirī", (in Arabic). Al-Ḥikmah Journal 9, (2011): 110–125.

تقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة (LLMs) في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية

Evaluating the Performance of Large Language Models (LLMs) in Detecting and Classifying Writing Errors among Arabic-as-a-Second-Language Learners

د. خليوي سامر خليوي العياضي

أستاذ تعليم اللغة العربية المشارك بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: khlewe@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
24/10/2025		06/12/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-019		

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، ولتحقيق ذلك، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واختيرت أربعة نماذج من أجل تقييم أدائها وهي : Gpt-4o و Gemini 2.5 pro و DeepSeek v3.2 و ALLaM 34B ، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن وجود قصور واضح في قدرة النماذج اللغوية الضخمة على كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية بدقة كافية، حيث بلغ أعلى قيمة أداء محقق لدى نموذج Gemini 2.5 pro 0.5399 في مقياس F1-Score ، وهي نسبة لا يمكن الاعتماد عليها في سياق التعليم، وفي ضوء هذه النتائج. أوصت الدراسة بضرورة توخي الحذر عند توظيف هذه النماذج في ميدان التعليم بشكل عام وتعليم اللغة بشكل خاص، مع أهمية الإشراف المباشر من المعلم. كما أوصت بالعمل على بناء معايير تقييم دقيقة للنماذج اللغوية الضخمة في ميدان التعليم، وتحسين تصميم الموجّهات (Prompts) من خلال تجربة أساليب متقدمة مثل سلسلة الأفكار (CoT)؛ طلبا لرفع دقة النماذج وتقليل نسبة الهلوسة.

الكلمات المفتاحية: النماذج اللغوية الضخمة، تعليم اللغة العربية لغة ثانية، تحليل الأخطاء الكتابية، تقييم الأداء، هندسة الموجّهات.

Abstract

This study aimed to evaluate the performance of Large Language Models (LLMs) in identifying written errors made by non-native learners of Arabic. To achieve this, the study employed a descriptive-analytical methodology, selecting four models for performance evaluation: Gpt-4o, Gemini 2.5 pro, DeepSeek v3.2, and ALLaM 34B. The findings revealed significant shortcomings in the ability of LLMs to identify written errors with sufficient accuracy. The highest performance was achieved by the Gemini 2.5 pro model with an F1-Score of 0.5399, a score considered insufficient for full reliance in an educational context. Considering these findings, the study recommended exercising caution when employing these models in the field of education in general and language teaching in particular, emphasizing the importance of direct supervision by the teacher. It also recommends the development of rigorous evaluation criteria for LLMs in the educational domain and improving prompt design by experimenting with advanced techniques such as Chain-of-Thought (CoT) to enhance model accuracy and reduce the incidence of hallucination.

Keywords: Large Language Models (LLMs), Arabic as a Second Language (ASL), Written Error Analysis, Performance Evaluation, Prompt Engineering.

المقدمة:

يشهد العصر الحالي ثورة تقنية غير مسبوقة، تمثلت في الذكاء الاصطناعي؛ إذ تمكنت الآلة من قدرات بشرية متعددة، فظهرت نماذج لغوية تحاكي هذه القدرات، وكان أحد أبرز أنواعها، النماذج اللغوية الضخمة (Large Language Models - LLMs) مما أحدث نقلة نوعية في تفاعل الإنسان مع الآلة، التي أظهرت تمكنا في فهم اللغة وتوليدها وبرعت في مهام متقدمة مثل: التحليل المنطقي، والاستدلال، والترجمة، مما أثار اهتمامًا كبيرًا في الأوساط الأكاديمية[١].

فقام الباحثون والأكاديميون في مختلف الحقول العلمية باستثمار هذه الإمكانيات وتوظيفها في مجالاتهم. ففي ميدان الطب، أُستثمرت في تقديم الاستشارات الطبية[٢]، وفي البرمجة، أُختبرت في إنشاء شيفرات برمجية[٣]، وفي اللغويات أجريت دراسات متعددة مثل: توليد النصوص الأدبية والقصصية[٤]، واختصار النص وتلخيصه[٥]، وغيرها من الدراسات، وفي هذا كله إشارة إلى ضرورة استثمار منتجات الذكاء الاصطناعي وتطويعها في مختلف المجالات الممكنة، وأنه بات ضرورة ملحة لمواكبة التطور المعرفي والتقني.

(1) Chang, Y., Wang, X., Wang, J., Wu, Y., Yang, L., Zhu, K., and Xie, X. "A Survey on Evaluation of Large Language Models." ACM Transactions on Intelligent Systems and Technology 15, no. 3 (2024):2

(2) Biswas, Md. R., Mohsen, F., Shah, Z., and Zaghouani, W. "Potentials of ChatGPT for Annotating Vaccine-Related Tweets." 2023 Tenth International Conference on Social Networks Analysis, Management and Security (SNAMS) (2023)

(3) Al-khafaji, N. J., and B. K. Majeed. "Evaluating Large Language Models Using Arabic Prompts to Generate Python Codes." 2024 4th International Conference on Emerging Smart Technologies and Applications (eSmarTA) (2024)

(4) Alhussain, A., and A. M. Azmi. "Beyond Event-Centric Narratives: Advancing Arabic Story Generation with Large Language Models and Beam Search." Mathematics 12, no. 10 (2024): 1548.

(5) Einieh, Y., Almansour, A., and Jamal, A. "Fine-Tuning an AraT5 Transformer for Arabic Abstractive Summarization." 2022 14th International Conference on Computational Intelligence and Communication Networks (CICN) (2022)

وفي هذا السياق، لم يكن ميدان تعليم اللغات بمعزل عن هذه التحولات، حيث برزت النماذج اللغوية الضخمة أداة أحدثت تغييرات جوهرية في الممارسات التعليمية[١]، ورأى فيها التربويون أداة لتحسين العملية التعليمية سواء كانت على مستوى المعلم أم المتعلم أم المنهج، وأجريت العديد من الدراسات في هذا الميدان، فمن حيث جهة المتعلم أثبتت دراسة نوعية[٢] أن منصات تعلم اللغة المتكاملة مع الذكاء الاصطناعي أظهرت تحسنًا ملحوظًا في الكفاءة اللغوية لدى متعلمي اللغة الناطقين بغيرها، خاصة في تنمية المفردات وفهم القواعد النحوية وتنمية مهارة المحادثة، وأجرت بني عرابة[٣] دراسة لقياس فاعلية تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارة القراءة الإبداعية وبقاء أثر التعلم؛ مما يؤكد أن هذه الأدوات توفر تجربة تعليمية أكثر جاذبية وتفاعلية، وقد أشارت الدراسات إلى أن المتعلمين يقرّون بفعالية هذه الأدوات في توفير الوقت والإسهام في العملية التعليمية [٤].

ومن جهة المعلم تعد عملية التقويم والتغذية الراجعة الفورية أحد أهم أدواره التي تستهلك وقته وجهده، وتحد من قدرته على تقديم متابعة شخصية لكل متعلم، وهنا

(1) Dong, Bingyu, et al. "Large Language Models in Education: A Systematic Review." 2024 6th International Conference on Computer Science and Technologies in Education (CSTE) (2024); Hamaniuk, Vita A. "The Potential of Large Language Models in Language Education." Educational Dimension 5 (2021)

(2) Mulyanto, D., Zaki, M., Ridho, A., and Fata, K. "Artificial Intelligence Utilization for Arabic Language Skills Development in Arabic Language Learning." An-Nidzam: Jurnal Manajemen Pendidikan dan Studi Islam 11, no. 1 (2024)

(٣) بني عرابة، إخلاص بنت إبراهيم بن حمد، والكاف، فاطمة بنت محمد بن أحمد. "فاعلية بعض تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات القراءة الإبداعية وبقاء أثر التعلم لدى طالبات الصف السادس الأساسي." المجلة العربية للنشر العلمي، ع٧٨، (٢٠٢٥م)

(4) Al-Alami, Suhair E. "EFL Learners' Attitudes Towards Utilizing ChatGPT for Acquiring Writing Skills in Higher Education: A Case Study of Computing Students." Journal of Language Teaching & Research 15, no. 4 (2024): p.1029

يأتي دور أدوات الذكاء الاصطناعي لتسهم في حل هذا[١]، فيمكنها تقديم الدعم الفوري الذي يساعد المعلم في العملية التعليمية ومتابعة أداء المتعلم.

أما من ناحية دورها في المنهج التعليمي، فتسهم أدوات الذكاء الاصطناعي في عملية تطوير المناهج، إذ يمكنه توفير إطار عمل للمعلمين لتصميم الدروس، والمساعدة في توليد الأفكار والملخصات والخطوط العريضة للمقررات بشكل أسرع وأفضل، مما يوفر وقت وجهد المعلمين بشكل كبير[٢]، ويراعي مع ذلك حاجات وخصائص المتعلمين من خلال اقتراح الإستراتيجيات والتدريبات المناسبة لمستوياتهم[٣].

ومع هذا فإنه من الضروري التمييز بين قدرة أدوات الذكاء الاصطناعي على إنتاج نصوص صحيحة، وقدرتها على تقديم دور فاعل في العملية التعليمية؛ لذا يجب أن يسبق استثمارَ هذه الأدوات في العملية التعليمية، الوقوفُ على قدرتها ومعرفة الإستراتيجيات التي تجعل منها أداة فاعلة في العملية التعليمية بحق؛ وما ذاك إلا لأنها لم تبن في الأساس لتقوم بدور في العملية التعليمية، بل لتولد نصاً سليماً وفق السياق[٤]؛ لذلك يجب أن تنطلق البداية من تقويم أدائها في الغرض المراد تحقيقه قبل توظيفها في العملية التعليمية؛ لأنها عرضة لظاهرة "الهلوسة" وتوليد معلومات غير صحيحة[٥].

ويزداد تقييم أداء النماذج أهمية إذا كانت العملية تستهدف مهارات اللغة العربية؛

(1) BONNER, Euan; LEGE, Ryan; FRAZIER, Erin. Large Language Model-Based Artificial Intelligence in the Language Classroom: Practical Ideas for Teaching. Teaching English with Technology, (2023: p.23

(2) Ayodele, O. S., Aliu, J., Owoeye, F. O., Ajayi, E. A., and Sheidu, A. Y. "The Role of Artificial Intelligence in Curriculum Development and Management." Journal of Digital Innovations & Contemporary Research in Science, Engineering & Technology 11, no. 2 (2023): p.38

(3) Ejjami, R. "The Future of Learning: AI-Based Curriculum Development." International Journal for Multidisciplinary Research 6, no. 4 (2024): p.1

(4) Panagiotidis, P. "LLM-Based Chatbots in Language Learning." European Journal of Education 7, no. 1 (2024): p.107.

(5) Chang, Y., Wang, X., Wang, J., Wu, Y., Yang, L., Zhu, K., and Xie, X. "A Survey on Evaluation of Large Language Models.": p.15

لأن تمكن تلك الأدوات من اللغة العربية يعد أقل بكثير إذا ما قورن بتمكنها من اللغة الإنجليزية فهما وتوليدا؛ لأن اللغة العربية تعد من اللغات ذات الموارد المحدودة؛ لقلة البيانات العربية التي دُربت عليها(١)، وهذا يوضح أن ما أَثْبَتَت أدوات ذكاء الاصطناعي قدرتها فيه باللغة الإنجليزية لا يعد مسلمة في بقية اللغات.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة استخدامها تحت إشراف المعلم الذي يُدرك الكيفية السليمة لتوظيفها، والحصول على أفضل نتيجة تنعكس بشكل إيجابي على الأهداف المرادة، فمن غير هذا قد لا يكون لأدوات الذكاء الاصطناعي دور بارز، وهذا ما أكدته الدراسات من أن استخدامها من قبل الطلاب لم يظهر أي تقدم يلاحظ في اكتساب مهارات اللغة على الرغم من رضا المتعلمين عن مخرجات تلك الأدوات(٢)، بل إن هناك مخاوف من أن الاعتماد المفرط عليها قد يعيق تطوير هذه المهارات(٣).

من هنا، تأتي هذه الدراسة لتسهم في هذا الباب لتقف على قدرات النماذج اللغوية الضخمة في ميدان تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، متخذة من مهارة الكتابة حقلا لها؛ لمعرفة مدى قدرة النماذج اللغوية في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية.

وتبرز أهمية هذه الدراسة من خلال تقاطع مجالين: فمن المجال التربوي، يمكن أن تقدم نتائجها رؤى واضحة للمعلمين والمصممين التربويين حول واقع أدوات الذكاء الاصطناعي في قدرتها على كشف وتصنيف الأخطاء، وأيّ تلك الأدوات ذات جودة عالية في هذا الميدان، مما يسمح باتخاذ قرارات حول كيفية استخدامها أدوات مساعدة.

(1) Nehar, A., Bellaouar, S., Souffi, S., and Bouameur, M. "Dhati: A Fine-Tuned Large Language Model for Evaluating Subjectivity in Arabic Textual Data." *Proceedings of the 2023 5th International Conference on Pattern Analysis and Intelligent Systems (PAIS)* (2023): p.1

(2) Al-Alami, "EFL Learners' Attitudes Towards Utilizing ChatGPT for Acquiring Writing Skills in Higher Education" : p.1029.

(3) Dong, "Large Language Models in Education: A Systematic Review": p.131

أما من المجال التقني، فتسهم الدراسة في تقييم القدرات الحالية للنماذج اللغوية الضخمة في التعامل مع الأخطاء في كتابات متعلمي العربية الناطقين بغيرها، مما يسهم في تسليط الضوء على المجالات التي تحتاج فيها هذه النماذج إلى مزيد من التطوير.

مشكلة الدراسة:

يعد تحليل أخطاء المتعلمين وتقديم التغذية الراجعة لهم، أحد أهم المجالات التي تسهم في اكتسابهم لمهارات اللغة الكتابية، ومع أهميته إلا أنه يستنزف من المعلم وقتا وجهدا كبيرين؛ فينبغي منه متابعة شخصية ودقيقة لكل متعلم لتحديد أخطائه وتصويبها، وتقديم الشرح اللازم للمتعلم، في سبيل إكسابه المعرفة وتطوير مهاراته؛ ولهذا السبب يمكن استثمار النماذج اللغوية؛ لأنها تقدم حلا لهذا الإشكال(١).

وقد أُجريت بالفعل دراسات عديدة في ميدان تعليم اللغات تناولت توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي، بدءا من وضع التصورات النظرية، والرؤى التربوية، والتطبيقات التعليمية، وانتهاءً بقياس فاعليتها في تنمية المهارات اللغوية المختلفة(٢). إلا

(1) Jaashan, H. M. S., and A. A. Alashabi. "Using AI Large Language Model (LLM-ChatGPT) to Mitigate Spelling Errors of EFL Learners." *Forum for Linguistic Studies* 7, no. 3 (2025)

(٢) عبد اللوي، محمد. "توظيف الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد." مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث، ع١٧، (٢٠٢٤م)؛ عنتر، دينا. "دمج الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية في التعليم العالي: دراسة حالة على ChatGPT 4 Education."مجلة الأرائك للعلوم والإنسانيات، ع٦، (٢٠٢٤م)؛ محسني، فاطمة. "دمج الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: إستراتيجيات فعالة لتطوير المهارات اللغوية." مجلة الباحث، (٢٠٢٥م)؛ الملحم، تركي عبد العزيز. "واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية من وجهة نظر المعلمين." مجلة كلية التربية (أسيوط) ٣٧، ع٢، (٢٠٢١م)؛ الهذلول، علي بن هذلول علي. "أثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات الكتابة الأكاديمية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى." مجلة جامعة

أن هذه الجهود – رغم أهميتها – غالبًا ما أغفلت الخطوة السابقة والضرورية، المتمثلة في تحليل دقيق لكفاءة هذه النماذج وقدراتها في تمكنها من تلك المهارات التي يُستهدف تنميتها لدى المتعلم.

خاصة مع تجدد هذه النماذج على الساحة بشكل متسارع، وهذا التجدد حمل معه اختلاف بين هذه النماذج من حيث البيانات التي تدربت عليها ومعمارياتها وغير ذلك. هنا يبرز سؤال ملح يحتاج إلى إجابة وهو: أي هذه النماذج ذو الأداء الأفضل في ميدان تعليم اللغة لغير أهلها؟ والإجابة عنه تتطلب عملية تقويم لأدائها؛ للوقوف على نقاط القوة والضعف فيها في ضوء المهارات المطلوب تنميتها، قبل اعتمادها أو توظيفها في البيئات التعليمية.

ويجدر في هذا السياق الإشارة إلى أن جزءًا كبيرًا من الأبحاث التي قيّمت أداء النماذج اللغوية، أو عنيت ببناء معايير التقويم كانت تقف عند حدود مقدرة النموذج فقط. فعلى سبيل المثال هناك تقييم لمدى قدرة النموذج على التلخيص أو الترجمة، أو فهمه للنصوص المقروءة[1]، فليس الهدف من عملية التقويم هو التأكد من مستواها؛ لتطبيقها في ميدان حيوي، أي أن الباعث لعملية التقييم هو معرفة أداء النموذج بحد ذاته، أما هذه الدارسة فإنها تتجاوز اختبار قدرات النموذج في تحديد الأخطاء فقط، إلى تقويم مدى صلاحيتها بوصفها أداة تعليمية قابلة للدمج في ميدان تعليم اللغة العربية

الملك عبد العزيز – العلوم التربوية والنفسية، مج٤، ع٢، (٢٠٢٥م)

(1) G., Campesan, G., Farooq, M., Alhammadi, M., Launay, J., and Noune, B. "AlGhafa Evaluation Benchmark for Arabic Language Models." *Proceedings of the First Arabic Natural Language Processing Conference (ArabicNLP 2023)* (2023); AL-KHALIFA, Shahad; AL-KHALIFA, Hend. The Qiyas Benchmark: Measuring ChatGPT Mathematical and Language Understanding in Arabic. arXiv preprint arXiv:2407.00146, 2024; Lamsiyah, S., Zeinalipour, K., El Amrany, S., Brust, M., Maggini, M., Bouvry, P., and Schommer, C. "ArabicSense: A Benchmark for Evaluating Commonsense Reasoning in Arabic with Large Language Models." Proceedings of the 4th Workshop on Arabic Corpus Linguistics (WACL-4) (2025)

للناطقين بغيرها.

بناء على ما سبق تمثلت مشكلة الدراسة في غياب تقييم لأداء النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، وجاءت هذه الدراسة لقياس مدى موثوقيتها وكفاءتها في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، ومقارنة أداءاتها فيما بينها للوقوف على مستواها، ومعرفة أي هذه النماذج ذات كفاءة عالية في هذا الميدان

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الرئيسة التالية:

١. ما الأخطاء الكتابية التي يقع فيها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها؟
٢. ما مستوى كفاءة النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية في كتابات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟
٣. ما الموجّه الذي يقدم أفضل أداء في نتائج النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

١. قائمة بالأخطاء اللغوية التي يقع فيها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها.
٢. الوقوف على مستوى كفاءة النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية في كتابات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية.
٣. التعرف على الموجّه الذي يقدم أفضل أداء في نتائج النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

١. تُعد هذه الدراسة استجابة للحاجة المتزايدة إلى توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي التي تنادي بها الدراسات في ميدان تعليم اللغات.
٢. تُسهم الدراسة في تزويد معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها بأفضل النماذج اللغوية الضخمة التي يمكن استخدامها في تعليم العربية بشكل عام وفي كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية بشكل خاص.
٣. تُفيد هذه الدراسة مختصي الذكاء الاصطناعي في تقديم بيانات حول أداء النماذج اللغوية في سياق تعليمي، مما يساعدهم على التعرف على أوجه القوة والقصور فيها، وتوجيه جهود التطوير المستقبلي.
٤. يمكن أن تسهم نتائج الدراسة في تطوير أدوات تدقيق لغوي أكثر دقة وفعالية لمعالجة الأخطاء الكتابية في النصوص العربية.

مصطلحات الدراسة:

- النماذج اللغوية الضخمة :(LLMs) نماذج حاسوبية كبيرة تُدرب على كميات هائلة من البيانات النصية؛ لتكون قادرة على فهم اللغة البشرية وتوليدها.[١]
- كشف وتصنيف الأخطاء: تحديد المواطن التي تنحرف فيها استجابات المتعلم عن مقاييس الاستخدام اللغوي الصحيح[٢].
- التقييم: إعطاء قيمة لشيء ما وفقا لمستويات وضعت أو حددت سلفا[٣].

حدود الدراسة:

(1) Chang, Y., Wang, X., Wang, J., Wu, Y., Yang, L., Zhu, K., and Xie, X. "A Survey on Evaluation of Large Language Models.": p.3

(٢) طعيمة، رشدي أحمد. "تعليم العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه." المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، (١٩٨٩م): ٥٤

(٣) بوبنديرة، عبد العزيز. "الامتحانات التقليدية ومشكلات التقييم." مجلة البحوث التربوية والتعليمية ١٣ (عدد خاص)، (٢٠٢٤م): ٤٤٤

الحد الموضوعي:

اقتصرت الدراسة على تقييم أداء أربعة نماذج في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية دون الشفوية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في المستوى الرابع، وهذه النماذج هي: Gpt-4oو Gemini 2.5 pro و DeepSeek v3.2وALLaM 34B.

الحد الزماني:

طبقت الدراسة على النماذج اللغوية الضخمة المذكورة خلال الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٤٧هـ الموافق ٢٠٢٥م.

تقييم النماذج اللغوية وتعليم العربية:

تعد النماذج اللغوية الضخمة تطورًا كبيرًا على أنظمة تعلم اللغة بمساعدة الحاسوب، وقدمت قفزات كبيرة جدا في ميدان التعليم، حيث وفرت تفاعلًا حواريًا وتغذية راجعة فورية للمتعلمين تناسب مستواهم وقدراتهم [١].

وفي ميدان تعليم اللغات أجريت العديد من الدراسات التي أثبتت فعالية النماذج اللغوية الضخمة في مساعدة المتعلمين على اكتساب المفردات وتعزيز الاحتفاظ بها على المدى الطويل[٢]، ففي مهارة الكتابة تفوقت النماذج اللغوية الضخمة على أدوات التقييم الآلي التقليدية بتقديمها ملاحظات شاملة لا تقتصر على القواعد اللغوية فحسب، بل تشمل أيضًا المحتوى والتنظيم والأسلوب، مما يمنحها قبولًا وتفضيلًا أعلى لدى المتعلم[٣]بالإضافة إلى ما تقدمه من أدوار فاعلة في تخفيف عبء العمل على

(1) FINCHAM, Naiyi Xie; ALVAREZ, Aitor Arronte. Using large language models (llms) to facilitate l2 proficiency development through personalized feedback and scaffolding: An empirical study. In: Proceedings of the International CALL Research Conference. 2024: pp. 60,63

(2) Zhang, Z., and X. Huang. "The Impact of Chatbots Based on Large Language Models on Second Language Vocabulary Acquisition." *Heliyon* 10 (2024): p.1

(3) Zheng, R. "AWE and LLMs in L2 Writing Feedback: An Exploration of EFL Learners' Experiences." *Academic Journal of Humanities & Social Sciences* 8, no. 7 (2025): pp. 61,65

المعلمين؛ ليزيد من كفاءتهم في العملية التعليمية [١].

ويتبادر إلى الذهن من النظرة الأولى للنتائج التي توفرها النماذج اللغوية الضخمة، أنها قادرة على تقديم ما يحتاج إليه المستخدم من متعلم وغيره، إلا أن الأمر المنطقي يقتضي الاحتكام قبل إصدار الحكم، من خلال إجراء اختبار لقدراتها ومعرفة كفاءتها قبل توظيفها، خاصة في ميادين محورية مثل ميدان التعليم الذي له خصوصيته في جميع ما يتصل به لضمان سير العملية التعليمية على أفضل وجه، إلا أنه – على حد علم الباحث – لم تجر اختبارات في تقييم أداء النماذج اللغوية من منطلقات ميدان تعليم اللغات، وما أجري في هذا الميدان لا يعدو كونه نظرة عامة على قواعد العربية أو اختصار النصوص أو الاستدلال وفهم المقروء، ومن الملاحظ أن عددًا من هذه الدراسات أشارت إلى أن أداء النماذج اللغوية في اللغة العربية جاء دون المستوى بخلاف الإنجليزية[٢]، كما أجريت دراسة قامت باختبار أداء نماذج GPT-4 و GPT-4o و Gemini في الإجابة عن أسئلة اختبار القدرات العامة السعودي (GAT)، انتهت إلى أن مستويات تلك النماذج مازالت متوسطة فقد حصلت على درجات دقة تتراوح بين ٤٠٪ و ٦٠٪ ،وأشار الباحثون إلى أنها ليست كافية لتجعل من تلك النماذج أداة مساعدة للمتعلمين من أهل اللغة في فهم المهارات المتطلب معرفتها لتجاوز ذلك الاختبار[٣]، وهذا يطرح تساؤلًا عن قدرة تلك النماذج على مساعدة متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في تنمية مهاراتهم اللغوية الحالية .

(1) Yavuz, F., Çelik, Ö., and G. Yavaş Çelik. "Utilizing Large Language Models for EFL Essay Grading: An Examination of Reliability and Validity in Rubric-Based Assessments." British Journal of Educational Technology 56 (2025): p. 163

(2) Koto, F., Li, H., Shatnawi, S., Doughman, J., Sadallah, A. B., Alraeesi, A., Almubarak, K., Alyafeai, Z., Sengupta, N., Shehata, S., Habash, N., Nakov, P., and T. Baldwin. "ArabicMMLU: Assessing Massive Multitask Language Understanding in Arabic." arXiv preprint arXiv:2402.12840 (2024).

(3) Alahmadi, M. D., Alharbi, M., Tayeb, A., and M. Alshangiti. "Evaluating Large Language Models' Proficiency in Answering Arabic GAT Exam Questions." Engineering, Technology & Applied Science Research 14, no. 6 (2024):

دور الموجّهات (Prompts) في تحسين أداء النماذج اللغوية الضخمة:

يعرف الموجّه بأنه مجموعة تعليمات تُقدّم إلى نموذج لغوي كبير (LLM)، تعمل على تهيئته وتخصيصه وتعزيز قدراته أو تنقيحها[١]، وتهدف صياغة الموجّهات إلى توجيه النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) للحصول على أفضل النتائج، وذلك عبر تصميم تعليمات محددة ودقيقة لا تقتصر على مجرد طرح سؤال، بل يتضمن تقديم سياق وإرشادات واضحة للنموذج، مما يتيح له إنتاج إجابات أكثر دقة، وتخصصًا، وملاءمة للمهمة المطلوبة [٢].

تكمن الأهمية الجوهرية لصياغة الموجّهات في كونها أداة فعالة لتحسين أداء النماذج اللغوية دون الحاجة إلى إعادة تدريبها أو تعديل معامِلاتها الداخلية[٣] فهي تُعد بمثابة جسر يربط بين ما يريده المستخدم وقدرات النموذج، مما يمكّن النماذج من التكيّف مع المهام المتنوعة[٤]، فبفضل هذا الأسلوب، يمكن للمستخدمين الحصول على نتائج موثوقة ومخصصة، والحد من الأخطاء والهلوسات التي قد تنتج عن الغموض في التعليمات[٥].

إن صياغة الموجّهات لها دور كبير في جودة مخرجات النماذج اللغوية الضخمة وقد عني بها الباحثون، وسعوا إلى اكتشاف أفضل أساليب تلك الموجّهات في ميادينهم

(1) White, J., Fu, Q., Hays, S., Sandborn, M., Olea, C., Gilbert, H., Elnashar, A., Spencer-Smith, J., and D. C. Schmidt. "A Prompt Pattern Catalog to Enhance Prompt Engineering with ChatGPT." arXiv preprint (2023): p.2

(2) Sahoo, P., Singh, A. K., Saha, S., Jain, V., Mondal, S., and A. Chadha. "A Systematic Survey of Prompt Engineering in Large Language Models: Techniques and Applications." arXiv preprint (2024): p.1

(3) Sahoo, P., Singh, A. K., Saha, S., Jain, V., Mondal, S., and A. Chadha. "A Systematic Survey of Prompt Engineering in Large Language Models: Techniques and Applications.": p.1

(4) Bansal, P. "Prompt Engineering Importance and Applicability with Generative AI." Journal of Computer and Communications 12 (2024): p.15

(5) Zuccon, G., and B. Koopman. "Dr ChatGPT, Tell Me What I Want to Hear: How Prompt Knowledge Impacts Health Answer Correctness." arXiv preprint (2023): p.2

المختلفة، فقد قام Sahoo وزملاؤه (2024) بجمع تلك الأساليب من خلال مراجعة منهجية لهندسة تلك الموجّهات، وحصروها في 12 قسما واندرج تحتها 41 أسلوبا، تهدف جميعها إلى اكتشاف أفضل طريقة لتحقيق أفضل استجابة للنماذج اللغوية، وهو ما أثبتته الدراسات التي عادوا إليها. وفيما يلي أهم هذه الأساليب المتعلقة بأداء النماذج اللغوية[١]:

١. أسلوب الأمثلة:

في هذا الأسلوب يقوم المستخدم بتمرير أمثلة توضيحية لما يريده مع الموجّه المدخل للنموذج وقد تتعدد الأمثلة في الأمر لأكثر من مثال.

مثال: استخرج الأخطاء الإملائية في النص التالي وفق الأمثلة الموضحة:

[النـــــص]

الأخطاء الإملائية مثل:

أخطاء كتابة همزة القطع: ابراهيم

أخطاء كتابة التاء المربوطة: جميلت

.....

٢. أساليب المنطق والاستدلال:

تنوعت الأساليب تحت هذا القسم، والقاسم المشترك بينها هو تقديم طريقة للتفكير مع الموجّه؛ لكي تساعد النموذج في تنفيذ الأمور المعقدة خطوة بخطوة للحصول على أفضل نتيجة، وقد تصل طريقة التفكير إلى أمور تفصيلية مع إرفاق أمثلة مع التفكير لزيادة الدقة،

(1) Sahoo, P., Singh, A. K., Saha, S., Jain, V., Mondal, S., and A. Chadha. "A Systematic Survey of Prompt Engineering in Large Language Models: Techniques and Applications."

وغالبا ما تستخدم هذه الأساليب في العمليات التي يرى المستخدم فيها أنها تحتاج إلى تفكيكها إلى خطوات أصغر.

مثال: استخرج الأخطاء الكتابية في النص التالي واستخدم الخطوات التالية في كشف وتصنيف الأخطاء.

الطريقة: استخرج أولا الأخطاء الإملائية ثم النحوية ثم الدلالية.

[النـــص]

٣. أساليب تقليل الهلوسة Hallucination

إحدى الأساليب التي ناقشها الباحثون ما عني بمشكلة الهلوسة التي قد تصيب النماذج، فتقدم ردوداً غير صحيحة أو غير منطقية، وسعوا من خلال تلك الأساليب إلى ضمان الدقة في استجابات النماذج، وأحد هذه الأساليب التي لا تدخل بالضرورة في هندسة الموجّهات ما يعرف بالتوليد المعزز بالاسترجاع Retrieval Augmented Generation (RAG)، وهو تزويد النموذج بمعلومات خارج معرفته، ويطلب منه أن يجيب من خلال تلك المستندات المقدمة؛ لكي لا يأتي بمعلومات غير صحيحة لتجنب الهلوسة، إلا أن هناك أساليب تفيد في جانب الهلوسة ذكرها الباحثون، منها سلسلة التحقق، وفكرتها أن يتحقق النموذج من الإجابة التي قدمها ثم يؤكدها أو يعدلها، مثالها:

الموجّه: أين الحال في الجلمة التالية:

رأيت زيدا باكياً

الإجابة الحال: زيداً

التحقيق: هل كلمة (زيد) تدل على هيئة حال الشيء؟

الإجابة: لا.

الإجابة النهائية: الحال: باكيا.

٤. أساليب التحسين والكفاءة.

وهنا يطلب من النموذج بعد الإجابة عن الموجّه أن يقوم بانتقاد إجابته وفحصها لتقديم إجابة أفضل من المقدمة سلفا، وتقارب الأسلوب السابق في المجمل.

٥. أساليب ما وراء المعرفة والتأمل الذاتي:

تحفز هذه الأساليب النموذج على التفكير بشكل تجريدي حول الأمر المقدم قبل تقديم إجابة من خلال النظر بالمبادئ والمفاهيم المذكورة في الأمر واستعراضها ثم يقدم الإجابة في ضوء تلك الأسس، وهو أشبه بمراجعة ما ذكر حول تلك المفاهيم لتقديم إجابة مؤكدة، وأحد هذه الأساليب أسلوب "أخذ خطوة إلى الوراء" Take a Step Back، كأن يتضمن التوجيه مسائل لحساب قيم رياضية مبنية على نظريات وخوارزميات متعددة؛ فيطلب من النموذج في الأول أن يتأكد من كل نظرية على حدة ويراجعها ثم يكمل التوجيه وينجزه.

تجدر الإشارة إلى أن جميع ما ذكر من أساليب ليس بالضرورة أن تكون مناسبة للمهام اللغوية، بالإضافة إلى أن ما ذكروه يراعي اللغات ذات الموارد الضخمة بعكس اللغة العربية التي تعتبر من اللغات ذات الموارد المحدودة، إلا أن هناك من الباحثين العرب من قدم أساليب تفيد في تحسين أداء النماذج اللغوية، عبر تقديم موجهات تستثمر قدرات النماذج اللغوية في اللغات ذات الموارد الضخمة، ومن تلك الأساليب:

١. تقديم الأمر باللغة الإنجليزية:

لاحظ الباحثون أنهم إذا قدموا الموجّه باللغة الإنجليزية في مهام تخص اللغة العربية، فإن أداء النموذج يكون أفضل من تقديم الموجّه باللغة العربية؛ وذلك بسبب تمكن النموذج من اللغة الإنجليزية؛ لأن كمية البيانات الإنجليزية التي تدرب عليها أكبر بكثير من اللغة العربية(١)، مثاله:

بدلا من كتابة الأمر: لخص النص التالي:

[النص باللغة العربية]

يصبح الأمر: Summarize the following text

[النص باللغة العربية]

٢. نقل المعرفة (Knowledge Transfer)

لا يعتبر نقل المعرفة في الأصل شيئاً يمكن توظيفه من خلال كتابة الموجّهات، ولكنه يحسّن نتائج اللغة العربية ،ويقصد به أن قدرة النموذج ومعرفته لنظام اللغات ذات الموارد الضخمة يمكن أن ينعكس على النتائج في اللغات ذات الموارد المحدودة، فعلى سبيل مقدرته وفهمه للقواعد اللغوية في اللغة الإنجليزية ونمطها يكون له أثر في معالجة اللغات الأخرى(٢)؛ لأن هناك قواعد عالمية تتماثل فيها جميع اللغات، من ذلك أن اللغات تحوي على أفعال وأسماء وصفات،

(1) Khondaker, M. T. I., Naeem, N., Khan, F. L., Elmadany, A. A., and M. Abdul-Mageed. "Benchmarking LLaMA-3 on Arabic Language Generation Tasks." *Proceedings of the Second Arabic Natural Language Processing Conference* (2024): p.285

(2) Alshammari, W., and S. Alhumoud. "TAQS: An Arabic Question Similarity System Using Transfer Learning of BERT with BiLSTM." *IEEE Access* 10 (2022)

فقدرته على فهم الصفة في اللغة الإنجليزية يمكن أن ينعكس على قدرته على استخراج الصفات في العربية.

ومن الجدير في هذا السياق أن يُشار إلى أن كتابة الموجّهات تتشكل من عدة مكونات قد تزيد أو تنقص بحسب غرض المستخدم، وهي تفيد في سياق تحسين أداء ومخرجات النماذج اللغوية الضخمة، وهناك عدة أشكال لمكونات الموجّهات ومن تلك المكونات ما يلي(١):

١. الدور :هذا المكون يحدد "شخصية" أو هوية النموذج التي يجب أن يتقمصها، مما يساعد النموذج ويوجهه لأخذ هذا الدور، مثاله" :أنت خبير في اللغة العربية".
٢. التوجيه: يعد الأمر الرئيسي أو السؤال الأساسي الذي يحدد المهمة المطلوبة من النموذج، مثاله" :استخرج الأخطاء الكتابية في النص التالي".
٣. المعلومات الإضافية: يوفر هذا المكون سياقًا إضافيًا أو تفاصيل تساعد النموذج على فهم المهمة بشكل أفضل. كإضافة قيود أو سياق للمهمة أو توضيحات، مثاله" لا تكتف بتحديد الأخطاء فقط بل صححها أيضا" أو "النص المقدم أحد نصوص متعلمي اللغة العربية لغة ثانية"
٤. تنسيق المخرجات :يحدد هذا المكون الهيكل أو الشكل الذي يجب أن تكون عليه إجابة النموذج، مثاله: " قدم إجابتك على شكل جدول مكون من ثلاثة أعمدة: الخطأ، والصواب، والشرح.
٥. الأمثلة :تقديم مثال ونموذج للأخطاء أو شكل المخرج مما يزيل أي غموض في التعليمات السابقة، ومثال:

(1) Zheng, Y., Li, T., Huang, H., Zeng, T., Lu, J., Chu, C., Huang, Y., Jiang, Z., Xiong, Q., Ge, Y., and M. Li. "Are All Prompt Components Value-Neutral? Understanding the Heterogeneous Adversarial Robustness of Dissected Prompt in Large Language Models." *arXiv preprint* (2025)

"هذا مثال على المخرجات المطلوبة:

الخطأ	الصواب	الشرح
رأيت رجلان	رأيت رجلين	كلمة 'رجلين' مفعول به منصوب، وعلامة نصب المثنى هي الياء وليس الألف

منهجية الدراسة وإجراءاتها

في هذا القسم عرض للإجراءات المنهجية في تقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة (LLMs)في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية. وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ لتصف واقع قدرة النماذج اللغوية في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، وتحلل تلك النتائج للوقوف على نقاط القوة والضعف في أداء النماذج؛ بغية الوصول إلى الحكم على مدى إمكانية استثمارها في ميدان تعليم العربية للناطقين بغيرها.

مجتمع الدراسة:

تمثل مجتمع الدراسة في النماذج اللغوية الضخمة (LLMs) المتاحة للاستخدام العام والبحثي في الفترة التي أجريت فيها الدراسة.

عينة الدراسة:

اختار الباحث عينة قصدية مكونة من أربعة نماذج لغوية ضخمة، وهي:

١. Gpt-4o
٢. Gemini 2.5 pro
٣. DeepSeek v3.2
٤. ALLaM 34B

واختيرت النماذج الثلاثة الأولى؛ لأنها من أكثر النماذج زيارة من قبل

المستخدمين، كما أشارت إلى ذلك المواقع التي عُنيت بالتسويق والتجارة، ومن تلك المواقع، موقع onelittleweb الذي أشار إلى أن أكثر الزيارات السنوية لعام ٢٠٢٥م حصلت عليها المواقع التالية[١]:

جدول (١) عدد الزيارات السنوية لمواقع النماذج اللغوية الضخمة

موقع النموذج اللغوي الضخم	عدد الزيارات السنوية
ChatGPT	46.59 مليار
DeepSeek	2.74 مليار
Gemini	1.66 مليار

أما النموذج الرابع ALLaM 34B، فهو النموذج المخصص للغة العربية التي أشرفت عليه سدايا، ويعد النموذج الأقوى في أسرته، وأضيف للقائمة؛ لأنه مخصص للغة العربية، وليس كبقية النماذج المذكورة متعددة اللغات.

أداة الدراسة: تمثلت أداة الدراسة في بناء بطاقة تقييم لأداء النماذج اللغوية الضخمة في التعرف على الأخطاء الكتابية التي قد يقع فيها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها.

مصادر الأداة: لبناء قائمة الأخطاء الكتابية استعرض الباحث عددا من الأبحاث التي هدفت إلى تحليل أخطاء متعلمي العربية الناطقين بغيرها لجمع قائمة شاملة لتلك الأخطاء، وتلك الدراسات هي:

(1) Sarkar, S. (2025, August 8). The AI 'Big Bang' study 2025: Best AI chatbots and what 55.88 billion visits reveal. OnelittleWeb. https://onelittleweb.com/data-studies/best-ai-chatbots/

دراسة الملحم[١]، ودراسة الهذلول[٢]، ودراسة محسني [٣]ودراسة عبد اللوي[٤]، ودراسة عنتر[٥]، بالإضافة إلى عدد من الأخطاء التي اقترحها المقيمون لنصوص متعلمي اللغة العربية مما لم تذكر في الدراسات السابقة.

تحكيم الأداة: قدمت الأداة إلى (٤) محكمين من المختصين في تعليم العربية لغير الناطقين بها، لإبداء ما يرونه لازما من إضافة أو تعديل أو حذف؛ لاعتمادها في عملية التقييم.

وجاءت الصورة النهائية لبطاقة التقييم التي حوت جميع الأخطاء التي قد يقع فيها متعلمو اللغة العربية على النحو التالي:

(1) Alfaifi, Abdullah, and Eric Atwell. "Potential Uses of the Arabic Learner Corpus." Paper presented at the Leeds Language, Linguistics and Translation PGR Conference 2013, Leeds, UK (2013)

(٢) أمين، مروة مصطفى السيد. "أخطاء الكتابة بين متعلمي العربية الناطقين بها والناطقين بغيرها في المرحلة الجامعية الأولى: كلية الألسن جامعة عين شمس نموذجًا." فيلولوجي: سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، ع٦٥، (٢٠١٦م).

(3) Hilal, Mahmud, and Ahmet İsmailoğlu. "Arapça Öğretimi Gören Öğrencilerin Yaygın Dilbilimsel Hataları ve Çözümler Üzerine Uygulamalı Alan Çalışması: Kırıkkale Üniversitesi K.K.Ü.FEF. Arapça M.T.B Örneği." Kırıkkale Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi 10, no. 2 (July 2020)

(٤) الأفيوني، بشار مصطفى، وشالكينسكايا، أرينا. "تحليل الأخطاء اللغوية في الإنتاج الكتابي لدى متعلمي اللغة العربية الروس في جامعة موسكو الحكومية." مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، س١٥، ع٢، (٢٠٢٤م)

(5) Farraj, K. K. "TAHLIL AL-AKHTHA'INDA MUTA'ALLIMI AL-LUGHAH AL-'ARABIYAH LI AL-NAATHIQIINA BI GHAIRIHA." Arabiyat: Jurnal Pendidikan Bahasa Arab dan Kebahasaaraban 2, no. 1 (2015)

جدول (١) الصورة النهائية لبطاقة تقييم أداء النماذج في التعرف على الأخطاء الكتابية لمتعلمي العربية الناطقين بغيرها

مجال الخطأ	العدد	نوع الخطأ	كلمات أصاب فيها النموذج	كلمات أخطأ فيها النموذج
القواعد الكتابية		عدم مراعاة المسافة بين الكلمات		
		وضع مسافة بين حروف الكلمة		
الإملاء		الخطأ في همزة الوصل والقطع		
		الخطأ في الهمزة المتوسطة والمتطرفة		
		الخطأ في التاء المفتوحة والمربوطة (ت،ة)		
		الخطأ في الهاء والتاء المتطرفتين (هـ، ة)		
		الخطأ في الألف اللينة (ا، ى)		
		الخطأ بين النون والتنوين (ن ، ـًـٍـٌ)		
		تقصير الصوائت الطويلة (و،ي،ا ← ـُـِـَ)		
		تطويل الصوائت القصيرة (ـُـِـَ ← و،ي،ا)		
		الخطأ في كتابة اللام الشمسية والقمرية		
		الخطأ في كتابة الحروف التي تكتب ولا تنطق		
		الخطأ في كتابة الحروف التي تنطق ولا تكتب		
		حذف نقاط الحروف أو زيادتها (الإعجام)		
		استبدال حرف أو أكثر من الكلمة		
		زيادة حرف أو أكثر		
		نقص حرف أو أكثر		
		الخطأ في ترتيب الحروف داخل الكلمة		
علامات الترقيم		علامة ترقيم خاطئة		
		علامة ترقيم زائدة		
		علامة ترقيم مفقودة		
الصرف		الخطأ في اختيار بنية الكلمة المناسبة		

النحو		الخطأ في الإعراب		
		الخطأ في التعريف والتنكير		
		الخطأ في الجنس (التذكير والتأنيث)		
		أخطاء إسناد الفعل للفاعل		
		الخطأ في العدد (الإفراد والتثنية والجمع)		
		الخطأ في ترتيب الكلمات في الجملة		
		كلمة زائدة		
		كلمة ناقصة		
		استبدال كلمة مكان أخرى		
الدلالة		خطأ في كتابة المفردة المعجمية الصحيحة		
		الخطأ في اختيار الكلمة المناسب المناسبة		
		الخطأ في اختيار التعبير المناسب		
		انعدام الدلالة في التركيب		

يظهر الجدول (١) الشكل النهائي لبطاقة التقييم التي طبقت على النماذج اللغوية الضخمة، لمعرفة قدرتها في التعرف على الأخطاء الكتابية، وهذه البطاقة تقيس أداء أحد النماذج في طريقة واحدة، وبناء على ذلك فقد بلغ عدد البطاقات (١٢٠) بطاقة، لكل نص يقدم للنموذج ثلاث بطاقات، كل بطاقة منها تمثل أحد الموجّهات التي وضحت في أثناء الخطوات الإجرائية، مضروبة في عدد النصوص التي بلغت (١٠) نصوص، مجموع كلماتها (١٨٤٠) كلمة.

النماذج اللغوية المختبرة:

حددت أربعة نماذج، ثلاثة من أشهر النماذج اللغوية التوليدية، وأكثرها استخداما، وواحد من النماذج التي بنيت للغة العربية وهي:

DeepSeek v3.2: نموذج تكون من 671 مليار معامِل، وتدرب على ما يقارب من 14.8 تريليون مفردة عالية الجودة، مستهدفا التركيز على اللغة الإنجليزية والصينية ثم

تأتي بقية اللغات بعد ذلك [١]

Gemini 2.5 pro: نموذج صدر عن شركة قوقل، ولم تعلن حين الكشف عنه عن عدد المعامِلات أو المفردات التي تدرب عليها النموذج، إلا أن الاختبارات التي أعلنت عن أداء هذا النموذج تفوقت على نماذج لغوية ضخمة أخرى في عدد من المهام[٢] مثل: deepseek و Grok و GPT

GPT-4o: نموذج صدر عن شركة Open AI، ولم يعلن شيء بشكل رسمي عن عدد المعامِلات ولا المفردات التي تدرب عليها، ولكن هناك ورقة صدرت عن باحثين من شركة مايكروسوفت أشارت إلى أن عدد معامِلات النموذج بلغ حوالي ٢٠٠ مليار معامِل[٣].

ALLam: نموذج "علّام" الذي أصدرته SDAIA "الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي" بحجم معامِلات ٣٤ مليار، وبلغ العدد الإجمالي للمفردات التي تدرب عليها ٥.٢ ترليون مفردة، تكوّن في جزء منه من مزيج بين اللغة الإنجليزية والعربية[٤].

خطوات تنفيذ التقييم:

الخطوة الأولى:

أخذت نصوص عشوائية من كتابات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في المستوى

(1) DeepSeek-AI. "DeepSeek-V3 Technical Report (arXiv:2412.19437v2)." *DeepSeek-AI* (2025)

(2) Google DeepMind. "Gemini Model Thinking Updates: Advanced Coding." Google Blog, March 2025. Retrieved October 19, 2025, from https://blog.google/technology/google-deepmind/gemini-model-thinking-updates-march-2025/#advanced-coding.

(3) Ben Abacha, A., W.-w. Yim, Y. Fu, Z. Sun, M. Yetisgen, F. Xia, and T. Lin. "MEDEC: A Benchmark for Medical Error Detection and Correction in Clinical Notes (arXiv:2412.19260v1)." *arXiv preprint* (2024).

(4) BARI, M. Saiful, et al. Allam: Large language models for arabic and english. arXiv preprint arXiv:2407.15390, 2024.

الرابع، بلغ عدد مفرداتها (١٨٤٠) كلمة وقد اعتمد الباحث في جمع هذه النصوص على المدونة اللغوية لمتعلمي اللغة العربية[١].

الخطوة الثانية:

قدمت نصوص متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها لمختصين في تعليم العربية، بلغ عددهم (١٠) مختصين، وطلب منهم تقييم كتابات متعلمي اللغة واستخراج الأخطاء الكتابية باستخدام بطاقة التقييم التي بنيت في ضوء الأخطاء الكتابية لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها.

الخطوة الثالثة:

عرضت نصوص متعلمي العربية الناطقين بغيرها على النماذج المحددة سلفا؛ للتعرف على الأخطاء الكتابية، وتنوعت الموجّهات المدخلة لتحقيق أغراض الدراسة، ثم قورنت نتائج النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء مع الأخطاء المحددة سلفا من قبل المختصين في المرحلة الثانية؛ لمعرفة إن كانت النماذج استطاعت أن تتعرف على تلك الأخطاء.

الخطوة الرابعة:

بعد رصد ما أخطأت فيه النماذج وأصابت من الأخطاء، طبق عدد من المقاييس؛ للوقوف على النسبة التي حققها كل نموذج في القدرة على التعرف على الأخطاء، وتمثلت هذه المقاييس فيما يلي: مقياس الدقة Accuracy ومقياس الاستدعاء Recall ومقياس الدقة المحددة Precision ومقياس النسبة الموزونة F1-Score

الموجّهات المدخلة:

لم تهدف الدراسة إلى تقييم نتائج تلك النماذج فقط، ولكن أيضا سعت للوصول إلى استكشاف أَمْثَل طريقة لتوظيفها في تعرف أخطاء متعلمي اللغة؛ لذلك لم تكتف

(1) Alfaifi, Abdullah, and Eric Atwell. "Potential Uses of the Arabic Learner Corpus."

بموجه واحد (prompt) بل جعل هناك ثلاث صور لتلك الموجّهات؛ لمحاولة التوصل إلى أفضل أداء لها في التعرف على الأخطاء، وجاءت تلك الأوامر على النحو التالي:

الموجّه الأول:

حدد الأخطاء الكتابية في النص التالي:

[النص]

الأمر الثاني:

أنت خبير لغوي في اللغة العربية متخصص في تحليل الأخطاء الكتابية والنحوية والصرفية والدلالية والإملائية. مهمتك هي تحليل النص التالي واستخراج الأخطاء الكتابية.

التعليمات:

تعرف على الأخطاء في جميع النص.

حلل الأخطاء وفقًا للقائمة التفصيلية أدناه. لكل خطأ:

اذكر **الكلمة أو الجزء الخاطئ**. وعدد كل نوع من الأخطاء:

قائمة أنواع الأخطاء:

المجال: أخطاء القواعد الكتابية:

عدم مراعاة المسافة بين الكلمات، مثل: ويعلم – وعدمحمد، والصحيح: ويعلم – وعد محمد.

وضع مسافة بين حروف الكلمة، مثل: مح مد –كا تب والصحيح محمد – كاتب.

المجال: الأخطاء الإملائية:

.....

النص المراد تحليله:

[النص]

الأمر الثالث:

You are an Arabic language expert specializing in analyzing orthographic, syntactical, morphological, semantic, and spelling errors. Your task is to analyze the following text and identify all writing-related errors.

Instructions:

1. **Review the entire text** carefully and identify any writing issues.
2. Analyze each error according to the detailed list below.

For each error, provide:

- The **incorrect word or phrase**.
- The **type of error**, based on the categories listed.
- A **count** of each error type.

Error Categories:

Domain: Orthographic (Writing) Errors

1. Lack of proper spacing between words
   Example:
   Incorrect ⟶ وعدمحمد –ويعلم
   Correct ⟶ وعد محمد –و يعلم
2. Unnecessary spaces within a single word
   Example:
   Incorrect ⟶ كا تب – مح مد
   Correct ⟶ كاتب –محمد

Text to be analyzed:
[Text]

مقياس التقييم:

للحكم على درجة تمكن النماذج من قدرة التعرف على الأخطاء الكتابية في نصوص متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، حددت المقاييس التالية: (Accuracy,

Precision, Recall, F1-Score)

ويهدف كل مقياس منها لغرض محدد للحكم على مخرجات النماذج اللغوية الضخمة[١]:

:Accuracy

يستخدم مقياس الدقة العام Accuracy لتقييم الأداء الكلي للنموذج، من خلال حساب نسبة جميع الإجابات الصحيحة من إجمالي النص. والإجابات الصحيحة هنا يقصد بها ما تعرف بالفعل أنه خطأ، وما تجاهله؛ لأنه صواب. فلم يخطئ بوضعه في قائمة الأخطاء وهو صحيح، فمثلًا، إذا تعرف النموذج على ٦٠ كلمة أنها تحوي على خطأ من أصل ١٠٠ كلمة، ومن هذه الـ 60 كلمة، 10 كلمات لا يوجد بها خطأ فإن حساب دقته يكون كالتالي:

$$\text{Accuracy} = ((60 - 10) + ((100 - 60) - 10)) \div 100 = (50 + 30) \div 100 = 80\%$$

وشرحها كالتالي:

عدد الإجابات الصحيحة = 60 – 10

الكلمات الصحيحة التي تجاهلها لعدم وجود خطأ بها = (60 - 100) – 10 الدقة = عدد الإجابات الصحيحة + الكلمات الصحيحة التي تجاهلها لعدم وجود خطأ بها ÷ 100 = 80%

:Precision

(1) Fadel, A. S., O. A. Abulnaja, and M. E. Saleh. "Multi-Task Learning Model with Data Augmentation for Arabic Aspect-Based Sentiment Analysis." *CMC-Computers, Materials & Continua* 75, no. 2 (2023): p. 4434; Karajeh, O., M. N. Al-Kabi, and E. A. Fox. "Fusing AraBERT and Graph Neural Networks for Enhanced Arabic Text Classification." *2023 24th International Arab Conference on Information Technology (ACIT)*. IEEE (2023): p.5; Van Huyssteen, G. B., E. R. Eiselen, and M. J. Puttkammer. "Re-Evaluating Evaluation Metrics for Spelling Checker Evaluations." In *Proceedings of First Workshop on International Proofing Tools and Language Technologies*, (2004)

أما الدقة المحددة (Precision) فتركّز على قياس مدى صحة النموذج في تحديد الأخطاء. فمثلا لو حدّد النموذج 30 كلمة على أنها تحتوي على أخطاء كتابية، وتبين أن 25 منها فقط كانت أخطاء كتابية بالفعل وباقي الكلمات لم يكن فيها أخطاء، فالدقة المحددة تُحسب كالتالي:

$$\text{Precision} = 25 \div 30 = 83\%$$

:Recall

الاستدعاء (Recall) يقيس مدى قدرة النموذج على اكتشاف كل حالات الخطأ في النص. فمثلًا، إذا كان هناك ٤٠ خطأ كتابيا فعليًا في النص، واستطاع النموذج اكتشاف ٢٥ منها فقط، فإن الاستدعاء يكون:

$$\text{Recall} = 25 \div 40 = 62.5\%$$

:F1-Score

أما مقياس F1 (F1-Score) فيُستخدم للجمع بين الدقة المحددة والاستدعاء في رقم واحد متوازن، خصوصًا عند عدم توازن أنواع الأخطاء. فلو كانت الدقة ٨٣٪ والاستدعاء ٦٢,٥٪، فإن قيمة F1-Scoreهي كالتالي:

$$F1 = 2 \times (0.83 \times 0.625) \div (0.83 + 0.625) \approx 71.4\%$$

ويُعد هذا المقياس الأنسب لتقييم النماذج التي تتعامل مع أخطاء متباينة في التوزيع والتكرار.

نتائج الدراسة ومناقشتها

للإجابة عن سؤال الدراسة الأول الذي نصه " **ما الأخطاء الكتابية التي يقع فيها متعلمو اللغة العربية الناطقون بغيرها** "، فقد جمعت قائمة بالأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية من الدراسات والأدبيات السابقة، وبعد عرضها على مختصين جاءت الصورة النهائية للأخطاء الكتابية على النحو التالي:

جدول (٢) الصورة النهائية لقائمة الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية

مجال الخطأ	عدد أنواع الأخطاء
القواعد الكتابية	٢
الإملاء	١٦
علامات الترقيم	٣
الصرف	١
النحو	٩
الدلالة	٤
المجموع	٣٥

يعرض جدول (٢) التصنيف النهائي لأنواع الأخطاء الكتابية التي وقع فيها متعلمو اللغة العربية من الناطقين بغيرها، وقد بلغ مجموع أنواع الأخطاء المرصودة (35) نوعًا، موزعة على ستة مجالات رئيسة، وقد سبق تفصيل هذه الأنواع في جدول (١).

وتصدّر مجال الإملاء القائمة بـ 16نوعًا من الأخطاء، ما نسبته 45.7٪ من إجمالي الأنواع، وشمل أنواعًا كثيرة من الأخطاء، من ذلك الأخطاء المتعلقة بكتابة الهمزات، والأخطاء في كتابة التاء المربوطة والمفتوحة وغيرها من الأخطاء التي أشارت إليه الدراسات. تلاه مجال النحو الذي بلغت فيه الأخطاء (٩) أنواع ما نسبته (25.7٪)، فقد ذكرت الدراسات أخطاء في المستوى النحوي متنوعة وقع فيها متعلمو العربية بدءا من الإعراب وضبط الكلمات بناء على الموقع مرورا بالأخطاء المتعلقة بالجنس والعدد

والزمن وإسناد الفعل وغيرها من الأخطاء.

أما أخطاء الدلالة فقد جاءت في المرتبة الثالثة حيث بلغت (٤) أنواع ما نسبته (11.4٪)، وتتمحور حول أخطاء المعنى، مثل أخطاء اختيار الكلمة المناسبة، أو أخطاء انعدام الدلالة. ثم جاءت أخطاء علامات الترقيم التي بلغت (٣) أنواع ما نسبته (8.6٪)، وتليها أخطاء القواعد الكتابية، وتمثلت في نوعين ما نسبته (5.7٪)، أشار إليها المختصون في نقطة يكثر فيها أخطاء المتعلمين وهي تجاهل أو زيادة فراغ بين كلمة وأخرى أو بين حروف الكلمة الواحدة، وورد نوع واحد في مجال الأخطاء الصرفية ما نسبته (2.9٪).

وللإجابة عن سؤال الدراسة الثاني الذي نصه "**ما مستوى كفاءة النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية في كتابات متعلمي اللغة العربية لغة ثانية** "، جاءت النتائج بناء على أفضل أداء للنماذج على النحو التالي:

جدول (٣) نتائج تقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة في تعرف أخطاء متعلمي اللغة

النموذج	Accuracy	precision	Recall	F1-Score
Gemini 2.5 Pro	0.8027	0.7802	0.4127	0.5399
GPT-4o	0.8016	0.8682	0.3449	0.4937
DeepSeek v 3.2	0.7516	0.5880	0.3817	0.4629
Allam 34B	0.6119	0.1008	0.0484	0.0654

يعرض الجدول (٣) مقارنة بين أداء أربعة نماذج لغوية ضخمة في التعرف على الأخطاء الكتابية في نصوص متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، وذلك من خلال إجراء أربعة مقاييس أساسية على نتائج تلك النماذج وهذه المقاييس هي: الدقة

(Accuracy)، والاسترجاع (Recall) ، والدقة المحددة (Precision) ، ومعدل التوازن (F1-Score)، وقد أظهرت النتائج أن نموذج Gemini 2.5 Pro قدّم أفضل أداء نسبي بين النماذج الأربعة، حيث حقق أعلى معدل دقة (Accuracy) بلغ 0.80، وأداء متوازن نسبيًا في باقي المقاييس، إذ بلغت الدقة المحددة 0.78، بينما كان الاسترجاع منخفضًا نسبيًا عند 0.41، مما انعكس على معدل التوازن (F1) الذي سجّل 0.54 تقريبًا.

تلاه نموذج GPT-4o الذي سجّل أداءً قريبًا من Gemini 2.5 Pro في الدقة (0.80)مع تفوقه في الدقة المحددة (Precision) التي بلغت 0.87، إلا أن ضعف الاسترجاع (0.34) أثّر سلبًا على معدل التوازن الذي بلغ 0.49، مما يشير إلى أن النموذج دقيق في تحديد نوع الخطأ إلا أنه ليس ذا قدرة عالية على تعرف جميع الأخطاء في النص. أما نموذج DeepSeek v 3.2، فقد جاء في المرتبة الثالثة بدقة إجمالية 0.75، مع توازن نسبي في الدقة المحددة (0.59) والاسترجاع (0.38)، مما أدى إلى تحقيق معدل F1قدره 0.46. أما نموذج Allam فقد كان أضعف أداء بين النماذج المختبرة؛ إذ لم تتجاوز دقته 0.61، مع تدنٍ شديد في الدقة المحددة (0.10) والاسترجاع (0.05)، مما نتج عنه أدنى معدل F1 وهو 0.065 فقط.

وهذا يشير إلى ما لحجم النموذج وضخامة معامِلاته من دور كبير في رفع كفاءته، فإن نموذج علام بلغت معامِلاته ٣٤ مليار، أما بقية النماذج فقد تجاوزت هذا بكثير، فنموذج DeepSeek v 3.2بلغت معامِلاته 671 مليار معامِل، وبلغ نموذج GPT-4o ٢٠٠ مليار معامِل. أيضا هناك دور كبير لضخامة البيانات التي دربت عليها تلك النماذج، فإن نموذج Allam "علام" بلغ عدد المفردات التي دُرب عليها ٥.٢ ترليون مفردة، بينما نموذج DeepSeek v 3.2درب على 14.8 تريليون مفردة.

وفي نهاية المطاف فجميع أداءات النماذج لم ترق للمستوى المطلوب الذي يمكن الاعتماد عليه، فجميع قيم F1-Score تعد قيماً لا يمكن الركون إليها في أداء مهمة

كشف وتصنيف أخطاء متعلمي اللغة العربية في النصوص، ويظل الأمر رهين إشراف معلم اللغة العربية؛ لاستثمار هذه النماذج في تنمية مهارات متعلمي اللغة، وهذا يتوافق مع ما ذكرته دراسة Al-Alami [1]. ويحيل الباحث هذا التدني في القيم إلى كثرة الأخطاء في النصوص من جهة، ومن جهة أخرى التباس نوع الخطأ على النماذج في عدد منها فعلى سبيل المثال لوحظ أن النماذج تحيل الخطأ في حذف النقاط (الإعجام) إلى استبدال حرف في مثل كلمة (الرياص)، وهذا يعد خطأ إعجام وليس استبدال كما في (بعد) وأراد المتعلم كلمة (بعض).

أيضا وُجد أن النماذج يلتبس عليها إسناد الخطأ المتعلق بالكلمة؛ لتردد هذا الخطأ في مجال الصرف والنحو والدلالة، فجميع هذه المجالات ورد في أنواعها مفردة كلمة. أيضا من الأمور التي تربك النماذج الأخطاء المركبة في كلمة واحدة، فمثلا كلمة (اسيارت) حوت خطأين الأول في اللام الشمسية والثاني في كتابة التاء المربوطة تاء مفتوحة. كما لوحظ ظهور الهلوسة على هذه النماذج فتأتي بنتائج غير صحيحة، ولكن فقط تحاكي الموجّه المدخل لها، فقدمت النماذج أنواع أخطاء جديدة غير صحيحة وغير موجودة، وأشارت إلى كلمات صحيحة بأنها تضمنت أخطاء وأسندتها إلى أنواع لا تنتمي إلى الخطأ المذكور.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه النماذج لم تبن في الأصل للتعرف وتحليل الأخطاء، إنما هي نماذج عامة تركز على إنتاج النصوص من خلال الرد على ما يطلب منها، وهذا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار؛ لأن بنية هذه النماذج التقنية وتدريبها وبياناتها لا تركز على هذه المهمة.

وللإجابة عن سؤال الدراسة الثالث الذي نصه "**ما الموجّه الذي يقدم أفضل أداء لنتائج النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى**

(1) Al-Alami, "EFL Learners' Attitudes Towards Utilizing ChatGPT for Acquiring Writing Skills in Higher Education"

متعلمي اللغة العربية لغة ثانية؟ " وبعد تنفيذ جميع صيغ الموجّهات، جاءت النتائج النحو التالي:

جدول (٤) نتائج النماذج اللغوية بناء على صيغة الموجّه في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية

النموذج	الموجّه	Accuracy	precision	Recall	F1-Score
GPT-4o	أمر ١	0.8016	0.8900	0.3365	0.4889
GPT-4o	أمر ٢	0.8016	0.8683	0.3450	0.4938
GPT-4o	أمر ٣	0.8149	0.8814	0.3801	0.5294
Gemini Pro 2.5	أمر ١	0.7869	0.7784	0.3646	0.4970
Gemini Pro 2.5	أمر ٢	0.7869	0.7692	0.3690	0.4992
Gemini Pro 2.5	أمر ٣	0.8027	0.7802	0.4128	0.5399
DeepSeek v 3.2	أمر ١	0.7500	0.6780	0.3165	0.4305
DeepSeek v 3.2	أمر ٢	0.7516	0.5881	0.3818	0.4630
DeepSeek v 3.2	أمر ٣	0.7335	0.5997	0.3081	0.4066
Allam 34B	أمر ١	0.5982	0.1117	0.0317	0.0483
Allam 34B	أمر ٢	0.6119	0.1008	0.0484	0.0654
Allam 34B	أمر ٣	0.5778	0.0778	0.0317	0.0447

يعرض الجدول (٤) تأثير اختلاف صيغة الموجّه في أداء النماذج اللغوية الضخمة في مهمة كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية. ويتضح من النتائج أن هناك تأثيرا واضحا في هذا الباب كما أشارت الدراسات السابقة؛ إذ أظهرت بعض الصيغ تحسناً في التوازن بين مقاييس الأداء، ولا سيما في قيم الـ F1-Score التي تعكس مدى المستوى الدقيق للنموذج في التعرف على الأخطاء.

وقد أظهر نموذج GPT-4o عند استخدام صيغة الموجّه الثالث أفضل أداء إجمالي بين جميع التركيبات؛ إذ حقق أعلى دقة (Accuracy = 0.81) وأعلى دقة محددة (Precision = 0.88)، مع معدل توازن (F1 = 0.53)، مما يشير إلى أن هذه الصيغة كانت الأنسب في توجيه النموذج للتعرف على الأخطاء على نحو متزن نسبيًا. أما نموذج Gemini Pro 2.5 فقد سجل أداءً جيدًا في جميع صيغ موجهاته الثلاثة، مع تفوق ملاحظ لصيغة الموجّه الثالث التي حققت أفضل قيمة لـF1 بلغت (0.5399) مقارنة ببقية الموجّهات، وهو ما يدل على أن هذا الموجّه ساعد النموذج على تحقيق توازن أفضل بين الدقة المحددة (0.7802) والاسترجاع (0.4128). أما نموذج DeepSeek v3.2فقد سجل أداءً متقاربًا في صيغ موجهاته الثلاثة، مع تفوق ملاحظ لصيغة الموجّه الثاني التي حققت أفضل قيمة لـ F1 بلغت (0.46) مقارنة ببقية الموجّهات، وهو ما يدل على أن هذا الموجّه ساعد النموذج على تحقيق توازن أفضل بين الدقة المحددة (0.59) والاسترجاع .(0.38)

أما نموذج Allam 34B فقد أظهر أداءً ضعيفًا في جميع صيغ موجهاته الثلاثة، مع تفوق طفيف لصيغة الموجّه الثاني التي حققت أفضل قيمة لـF1 بلغت (0.0654) مقارنة ببقية الموجّهات، مما يشير إلى أن هذا الموجّه كان الأنسب نسبيًا لهذا النموذج رغم محدودية قدرته العامة على التعرّف على الأخطاء؛ إذ بلغت دقته المحددة (0.1008) واسترجاعه (0.0484).

وهذا يشير كما ذكرت الدراسات إلى أن صيغة الموجّه تمثل عاملاً حاسمًا في

تحسين أداء النماذج اللغوية الضخمة؛ إذ يمكن لتعديل بسيط في طريقة صياغة الموجّه أن يُحدث فرقا ملموسًا في النتائج. كما تكشف النتائج أن النماذج الأضخم تستجيب بشكل أوضح لتغيّر صيغ الموجّهات أكثر من النماذج الصغيرة وهو في هذا السياق نموذج ALLam الذي بلغت معامِلاته 34 مليار.

وتجدر الإشارة إلى أن الأرقام في الجدول (٤) تشير إلى أن أداء النماذج في صيغة الموجّه الأول كان الأكثر دقة في تحديد نوع الخطأ فعلا، ولكن لم يكن قادرا على تعرف جميع الأخطاء في النص، وهنا اتضح ما لبقية صيغ الموجّهات من حث للنماذج لاستظهار جميع ما في النص من أخطاء كما توضحه قيم Recallالاسترجاع في الجدول.

ومع ذلك، فإن قيم F1-Score المتحققة عمومًا لا تزال متواضعة، ولا ترقى إلى مستوى الاعتماد الكامل على النماذج في مهمة كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية دون إشراف بشري. وهذا يؤكد ما توصلت إليه نتائج السؤال السابق من أن هذه النماذج لم تُصمَّم أساسًا لتحليل الأخطاء، بل لإنتاج اللغة ومعالجتها بصورة عامة، مما يجعل دقة المخرجات مرهونة في الوقت الحالي بجودة الموجّه وتحديد المهمة بدقة ووضوح، واستخدام أساليب أخرى، وطرائق في التعامل مع النماذج لرفع كفاءتها.

النتائج والتوصيات:

ألقى الذكاء الاصطناعي بظلاله على العديد من المجالات، وأحد هذه المجالات الحيوية مجال التعليم، وقد قام المختصون مذ ظهوره بتوظيفه في شتى مجالات التعليم؛ لما يوفره من مميزات تقدم حلولا وتيسيرا في كثير من زوايا العملية التعليمية. إلا أن هذا التوظيف يجب أن يسبقه وقوف على القدرات الفعلية لتلك الأدوات، وأنها قادرة على تقديم نتائج دقيقة جدا في الميدان الذي تُوظف فيه، وبدون هذا الأمر قد يكون في توظيفها أثر عكسي على المتعلمين؛ لذلك سعت الدراسة إلى الوقوف على قدرتها في التعرف على أخطاء المتعلمين الناطقين بلغات أخرى، وأسفرت النتائج إلى أن النماذج اللغوية الضخمة لا يمكن الاعتماد عليها في هذا الميدان وأقصى نسبة دقة حققتها بلغت53%، وهذا ليس بكافٍ.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنه لوحظ أن قدرة النماذج على تصحيح النص أفضل من قدرتها على كشف وتصنيف الأخطاء ، وكأنّ الأمر فيه أمر عربي قحٌ قادر على استخدام اللغة وتصحيح الخطأ، ولكن لو سئل عن الاستثناء المفرغ في النص لما اهتدى إليه، وهنا تقترح الدراسة النظر إلى استثماره بطرائق أخرى يوصي بدراستها، منها أن تستخدم أساليب تقوم على سلسلة الأفكار CoT من خلال تقسيم النص إلى جمل أقصر، ثم تصحيحها ومطابقتها من النص الأصلي، ثم يطلب من النموذج أن يستخرج الفرق ليحدد نوع الخطأ في النص، وربما دُمج معها أحد أساليب الاستدلال للتأكد من الإجابة وخفض هلوسة النماذج.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج المهمة في إطار تقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، ومن أبرز هذه النتائج:

١. قائمة بالأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، اشتملت على ٣٥ نوعًا من الأخطاء موزعة على المجالات التالية: قواعد الكتابة، والإملاء، وعلامات الترقيم، والصرف، والنحو، والدلالة.

٢. أظهرت نتائج التقييم تفوق نموذج Gemini Pro 2.5 حيث بلغت قيمة F1-Score 0.5399 في التعرف على الأخطاء الكتابية، تلاه نموذج Gpt-4o بقيمة بلغت 0.4937ثم DeepSeek v3.2الذي حقق 0.4629، تلا ذلك بمستوى منخفض بشكل كبير نموذج ALLaM 34Bفقد حصل على 0.0654 في قيمة F1-Score.

٣. بينت الدراسة أن حجم النموذج وضخامة معامِلاته، وحجم البيانات التي يُدرب عليها، تؤدي دورا بارزا في قدرتها على إدراك ما هو مطلوب منها تنفيذه.

٤. أظهرت الدراسة أن صياغة الموجّهات (Prompts) تؤدي دورًا كبيرًا في تحسين نتائج النماذج، حيث حقق الموجّه التفصيلي سواء بالإنجليزية أم العربية أعلى أداء، موزعا بين النماذج.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإنها توصي بالنقاط التالية:

١. ضرورة بناء معايير تحليل دقيقة وشاملة لتقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة في المجالات اللغوية المختلفة، لا سيما في مهام اللغة العربية المرتبطة بتعليمها.

٢. ضرورة توظيف النماذج اللغوية في ميدان التعليم، ولكن بحذر مع ضرورة إشراف المعلم على العملية التعليمية؛ لتحقيق أقصى فائدة من النماذج اللغوية.

٣. تحسين تصميم الموجّهات (Prompts) المقدمة للنماذج، وجعلها أكثر وضوحًا وتفصيلًا؛ لتفادي الإجابات غير الدقيقة والهلوسة قدر الإمكان التي قد تنتج من النماذج.

٤. ضرورة اعتماد بيانات أصيلة ناتجة عن متعلمين حقيقيين عند اختبار النماذج؛ لضمان تمثيل كافٍ للواقع اللغوي والتحديات الكتابية الفعلية التي يواجهها متعلمو العربية.

٥. تشجيع البحث المستقبلي على مقارنة أداء النماذج اللغوية في سياقات متنوعة، مع تجربة المزيد من أساليب صياغة الموجّهات التي قد تحسن أداء النماذج بشكل أكبر.

٦. تدريب معلمي اللغة العربية على استخدام النماذج اللغوية الضخمة في التعليم، ويقصد بالتدريب هنا أن تقدم لهم أمثل الأساليب وأفضلها؛ لاستثمار هذه الأدوات وتحقيق الاستفادة القصوى منها في مجال التعليم.

المصادر والمراجع:

أولا– المراجع العربية:

الأفيوني، بشار مصطفى، وشالكينسكايا، أرينا. "تحليل الأخطاء اللغوية في الإنتاج الكتابي لدى متعلمي اللغة العربية الروس في جامعة موسكو الحكومية." مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، س١٥، ع٢، (٢٠٢٤م): ٦٧–٩٠.

أمين، مروة مصطفى السيد. "أخطاء الكتابة بين متعلمي العربية الناطقين بها والناطقين بغيرها في المرحلة الجامعية الأولى: كلية الألسن جامعة عين شمس نموذجًا." فيلولوجي: سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، ع٦٥، (٢٠١٦م): ٣٥–٦٩.

بني عرابة، إخلاص بنت إبراهيم بن حمد، والكاف، فاطمة بنت محمد بن أحمد. "فاعلية بعض تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات القراءة الإبداعية وبقاء أثر التعلم لدى طالبات الصف السادس الأساسي." المجلة العربية للنشر العلمي، ع٧٨، (٢٠٢٥م): ١١٢–١٣١.

بوبنديرة ، عبدالعزيز. "الامتحانات التقليدية ومشكلات التقييم." مجلة البحوث التربوية والتعليمية ١٣ (عدد خاص)، (٢٠٢٤م): ٤٤١–٤٥٨.

طعيمة، رشدي أحمد. "تعليم العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه." المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، (١٩٨٩م)

عبد اللوي، محمد. "توظيف الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد." مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث، ع١٧، (٢٠٢٤م): ٤٠٢–٤١٧.

عنتر، دينا. "دمج الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية في التعليم العالي: دراسة حالة على ChatGPT 4 Education." مجلة الأرائك للعلوم والإنسانيات، ع٦، (٢٠٢٤م): ٤٦٧–٤٩١.

محسني، فاطمة. "دمج الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: إستراتيجيات فعالة لتطوير المهارات اللغوية." مجلة الباحث، (٢٠٢٥م): ١–١٣.

الملحم، تركي عبد العزيز. "واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية من وجهة نظر المعلمين." مجلة كلية التربية (أسيوط) ٣٧، ع٢، (٢٠٢١م): ٣٩–١٠٨.

الهذلول، علي بن هذلول علي. "أثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات الكتابة الأكاديمية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى." مجلة جامعة الملك عبد العزيز – العلوم التربوية والنفسية، مج٤، ع٢، (٢٠٢٥م): ٥٠–٦٩.

ثانيا– المراجع الأجنبية:

Al-Alami, Suhair E. "EFL Learners' Attitudes Towards Utilizing ChatGPT for Acquiring Writing Skills in Higher Education: A Case Study of Computing Students." *Journal of Language Teaching & Research* 15, iss. 4 (2024): 1029.

Al-khafaji, N. J., and B. K. Majeed. "Evaluating Large Language Models Using Arabic Prompts to Generate Python Codes." *2024 4th International Conference on Emerging Smart Technologies and Applications (eSmarTA)* (2024.

Al-Khalifa, Shahad; Al-Khalifa, Hend. The Qiyas Benchmark: Measuring ChatGPT Mathematical and Language Understanding in Arabic. arXiv preprint arXiv:2407.00146, 2024.

Alahmadi, M. D., Alharbi, M., Tayeb, A., and M. Al-Shanqiti. "Evaluating Large Language Models' Proficiency in Answering Arabic GAT Exam Questions." *Engineering, Technology & Applied Science Research* 14, iss. 6 (2024): 17774–17780.

Alfaifi, Abdullah, and Eric Atwell. "Potential Uses of the Arabic Learner Corpus." Paper presented at the *Leeds Language, Linguistics and Translation PGR Conference 2013*, Leeds, UK (2013).

Al-Husain, A., and A. M. Azmi. "Beyond Event-Centric Narratives: Advancing Arabic Story Generation with Large Language Models and Beam Search." *Mathematics* 12, no. 10 (2024): 1548.

Almazrouei, E., Cojocaru, R., Baldo, M., Malartic, Q., Alobeidli, H., Mazzotta, D., Penedo, G., Campesan, G., Farooq, M., Alhammadi, M., Launay, J., and Noune, B. "AlGhafa Evaluation Benchmark for Arabic Language Models." *Proceedings of the First Arabic Natural Language Processing Conference (ArabicNLP 2023)* (2023): 244–275.

Al-Shammari, W., and S. Alhumoud. "TAQS: An Arabic Question Similarity System Using Transfer Learning of BERT with BiLSTM." *IEEE Access* 10 (2022): 91509–91522.

Ayodele, O. S., Aliu, J., Owoeye, F. O., Ajayi, E. A., and Sheidu, A. Y. "The Role of Artificial Intelligence in Curriculum Development and Management." *Journal of Digital Innovations & Contemporary Research in Science, Engineering & Technology* 11, no. 2 (2023): 37–46.

Bansal, P. "Prompt Engineering Importance and Applicability with Generative AI." *Journal of Computer and Communications* 12 (2024): 14–23.

Bari, M. Saiful, et al. Allam: Large language models for Arabic and English. *arXiv preprint arXiv:2407.15390*, 2024.

Ben Abacha, A., W.-w. Yim, Y. Fu, Z. Sun, M. Yetisgen, F. Xia, and T. Lin. "MEDEC: A Benchmark for Medical Error Detection and Correction in Clinical Notes (arXiv:2412.19260v1)." *arXiv preprint* (2024).

Biswas, Md. R., Mohsen, F., Shah, Z., and Zaghouani, W. "Potentials of ChatGPT for Annotating Vaccine-Related Tweets." *2023 Tenth International Conference on Social Networks Analysis, Management and Security (SNAMS)* (2023): 1-6.

Bonner, Euan; Lege, Ryan; Frazier, Erin. Large Language Model-Based Artificial Intelligence in the Language Classroom: Practical Ideas for Teaching. Teaching English with Technology, (2023), 23.1: 23-41.

Chang, Y., Wang, X., Wang, J., Wu, Y., Yang, L., Zhu, K., and Xie, X. "A Survey on Evaluation of Large Language Models." *ACM Transactions on Intelligent Systems and Technology* 15, no. 3 (2024): 1–45.

DeepSeek-AI. "DeepSeek-V3 Technical Report (arXiv:2412.19437v2)." *DeepSeek-AI* (2025)

Dong, Bingyu, et al. "Large Language Models in Education: A Systematic Review." *2024 6th International Conference on*

Computer Science and Technologies in Education (CSTE) (2024): 131–134.

Einieh, Y., Almansour, A., and Jamal, A. "Fine-Tuning an AraT5 Transformer for Arabic Abstractive Summarization." *2022 14th International Conference on Computational Intelligence and Communication Networks (CICN)* (2022): 194–197.

Ejjami, R. "The Future of Learning: AI-Based Curriculum Development." *International Journal for Multidisciplinary Research* 6, no. 4 (2024): 1–31.

Fadel, A. S., O. A. Abulnaja, and M. E. Saleh. "Multi-Task Learning Model with Data Augmentation for Arabic Aspect-Based Sentiment Analysis." *CMC-Computers, Materials & Continua* 75, no. 2 (2023): 4419–4442.

Farraj, K. K. "Tahlil Al-Akhtha 'inda Muta'allimi Al-Lughah Al-'Arabiyah Li Al-Naathiqiina Bi Ghairiha." *Arabiyat: Jurnal Pendidikan Bahasa Arab dan Kebahasaaraban* 2, no. 1 (2015): 112–129.

Fincham, Naiyi Xie; Alvarez, Aitor Arronte. Using large language models (llms) to facilitate l2 proficiency development through personalized feedback and scaffolding: An empirical study. In: Proceedings of the International CALL Research Conference. 2024. p. 59-64.

Hamaniuk, Vita A. "The Potential of Large Language Models in Language Education." *Educational Dimension* 5 (2021): 208–210.

Hilal, Mahmud, and Ahmet İsmailoğlu. "Arapça Öğretimi Gören Öğrencilerin Yaygın Dilbilimsel Hataları ve Çözümler Üzerine Uygulamalı Alan Çalışması: Kırıkkale Üniversitesi K.K.Ü.FEF. Arapça M.T.B Örneği." *Kırıkkale Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi* 10, no. 2 (July 2020): 731–742.

Jaashan, H. M. S., and A. A. Alashabi. "Using AI Large Language Model (LLM-ChatGPT) to Mitigate Spelling Errors of EFL Learners." *Forum for Linguistic Studies* 7, no. 3 (2025): 328–339.

Karajeh, O., M. N. Al-Kabi, and E. A. Fox. "Fusing AraBERT and Graph Neural Networks for Enhanced Arabic Text Classification." *2023 24th International Arab Conference on Information Technology (ACIT)*. IEEE (2023).

Khondaker, M. T. I., Naeem, N., Khan, F. L., Elmadany, A. A., and M. Abdul-Mageed. "Benchmarking LLaMA-3 on Arabic Language Generation Tasks." *Proceedings of the Second Arabic Natural Language Processing Conference* (2024): 283–297.

Koto, F., Li, H., Shatnawi, S., Doughman, J., Sadallah, A. B., Alraeesi, A., Almubarak, K., Alyafeai, Z., Sengupta, N., Shehata, S., Habash, N., Nakov, P., and T. Baldwin. "ArabicMMLU: Assessing Massive Multitask Language Understanding in Arabic." *arXiv preprint* arXiv:2402.12840 (2024).

Lamsiyah, S., Zeinalipour, K., El Amrany, S., Brust, M., Maggini, M., Bouvry, P., and Schommer, C. "ArabicSense: A Benchmark for Evaluating Commonsense Reasoning in Arabic with Large Language Models." *Proceedings of the 4th Workshop on Arabic Corpus Linguistics (WACL-4)* (2025): 1–11.

Mohseni, Fatima. "Integrating Artificial Intelligence into Teaching Arabic as a Foreign Language: Effective Strategies for Developing Linguistic Skills." (in Arabic). Al-Bāḥith Journal, (2025): 1–13.

Mulyanto, D., Zaki, M., Ridho, A., and Fata, K. "Artificial Intelligence Utilization for Arabic Language Skills Development in Arabic Language Learning." *An-Nidzam: Jurnal Manajemen Pendidikan dan Studi Islam* 11, no. 1 (2024): 18–32.

Nehar, A., Bellaouar, S., Souffi, S., and Bouameur, M. "Dhati: A Fine-Tuned Large Language Model for Evaluating Subjectivity in Arabic Textual Data." *Proceedings of the 2023 5th International Conference on Pattern Analysis and Intelligent Systems (PAIS)* (2023): p. 1-7

Panagiotidis, P. "LLM-Based Chatbots in Language Learning." *European Journal of Education* 7, no. 1 (2024): 102–123.

Sahoo, P., Singh, A. K., Saha, S., Jain, V., Mondal, S., and A. Chadha. "A Systematic Survey of Prompt Engineering in Large Language Models: Techniques and Applications." *arXiv preprint* (2024).

Van Huyssteen, G. B., E. R. Eiselen, and M. J. Puttkammer. "Re-Evaluating Evaluation Metrics for Spelling Checker Evaluations." In *Proceedings of First Workshop on International Proofing Tools and Language Technologies*, (2004) :91–99

White, J., Fu, Q., Hays, S., Sandborn, M., Olea, C., Gilbert, H., Elnashar, A., Spencer-Smith, J., and D. C. Schmidt. "A Prompt Pattern Catalog to Enhance Prompt Engineering with ChatGPT." *arXiv preprint* (2023).

Yavuz, F., Çelik, Ö., and G. Yavaş Çelik. "Utilizing Large Language Models for EFL Essay Grading: An Examination of Reliability and Validity in Rubric-Based Assessments." *British Journal of Educational Technology* 56 (2025): 150–166.

Zhang, Z., and X. Huang. "The Impact of Chatbots Based on Large Language Models on Second Language Vocabulary Acquisition." *Heliyon* 10 (2024): e25370.

Zheng, R. "AWE and LLMs in L2 Writing Feedback: An Exploration of EFL Learners' Experiences." *Academic Journal of Humanities & Social Sciences* 8, no. 7 (2025): 60–69.

Zheng, Y., Li, T., Huang, H., Zeng, T., Lu, J., Chu, C., Huang, Y., Jiang, Z., Xiong, Q., Ge, Y., and M. Li. "Are All Prompt Components Value-Neutral? Understanding the Heterogeneous Adversarial Robustness of Dissected Prompt in Large Language Models." *arXiv preprint* (2025).

Zuccon, G., and B. Koopman. "Dr ChatGPT, Tell Me What I Want to Hear: How Prompt Knowledge Impacts Health Answer Correctness." *arXiv preprint* (2023).

ثالثا– الموقع الالكتروني:

Google DeepMind. "Gemini Model Thinking Updates: Advanced Coding." Google Blog, March 2025. Retrieved October 19, 2025, from https://blog.google/technology/google-deepmind/gemini-model-thinking-updates-march-2025/#advanced-coding.

Bibliography

Abdelloui, Muhammad. “Employing Artificial Intelligence in Teaching Arabic as a Foreign Language Remotely.” (in Arabic). Journal of Scientific Development for Studies and Research, iss. 17 (2024): 402–417.

Afyouni, Bashar Mustafa, & Shalkinskaya, Arina. “Linguistic Error Analysis in the Written Production of Russian Learners of Arabic at Moscow State University.” (in Arabic). Journal of Linguistic and Literary Studies, vol. 15, iss. 2 (2024): 67–90.

al-Hadhlūl, ʻAlī ibn Hadhlūl ʻAlī. “The Impact of Artificial Intelligence Applications on Developing Academic Writing Skills among Arabic Learners Who Speak Other Languages.” (in Arabic). King Abdulaziz University Journal – Educational and Psychological Sciences, vol. 4, iss. 2 (2025): 50–69.

al-Mulḥim, Turkī ʻAbd-al-ʻAzīz. “The Reality of Using Smartphone Applications in Teaching Arabic to Speakers of Other Languages at the Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers at the Islamic University, from the Teachers’ Perspective.” (in Arabic). Assiut University, Faculty of Education Journal, vol. 37, iss. 2 (2021): 39–108.

Amin, Marwa Mustafa Al-Sayed. “Writing Errors among Native and Non-Native Learners of Arabic in the First University Stage: The Faculty of Al-Alsun, Ain Shams University as a case study.” (in Arabic). Philology: Series in Literary and Linguistic Studies, iss. 65 (2016): 35–69.

ʻAntar, Dīnā. “Integrating Artificial Intelligence into Teaching Arabic in Higher Education: A Case Study on ChatGPT-4 Education.” Al-Araek Journal for Sciences and Humanities, iss. 6 (2024): 467–491.

Banī ʻUrābah, Ikhlāṣ bint Ibrāhīm ibn Ḥamad and al-Kāf, Fāṭimah bint Muḥammad ibn Aḥmad. “The Effectiveness of Selected Artificial Intelligence Applications in Developing Creative Reading Skills and Retention of Learning Among Sixth-Grade Female Students.” (in Arabic). Arab Journal for Scientific Publishing, isss. 78 (2025): 112–131.

Boubandirah, Abdelaziz. "Traditional Examinations and Assessment Problems." (in Arabic). Journal of Educational and Pedagogical Research, vol. 13 (Special Issue), (2024): 441–458.

Tu'aimah, Rushdi Ahmad. "Teaching Arabic to Non-Native Speakers: Its Curricula and Methods". (in Arabic). Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization (ISESCO), 1989.

مصفوفة مقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك

A Proposed Matrix of Skills Required for Speaking Skills for Learners of Arabic Who Speak Other Languages, according to the Common European Framework of Reference

د. علي بن محمد الغامدي

الأستاذ المشارك بقسم تعليم اللغة العربية بجامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: almghamdi@uqu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
16/10/2025		10/12/2025

نشر البحث
A Research Publication

شوال ١٤٤٧هـ = April 2026

DOI:10.36046/2356-000-019-020

المستخلص:

هدف هذا البحث إلى إعداد قائمة بالمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وفقًا للمستويات اللغوية، وإعداد قائمة بالأسس الرئيسة لبناء مصفوفة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث، وإعداد قائمة بالمصفوفة المقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك؛ ولتحقيق هذه الأهداف استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصل الباحث إلى قائمة بالمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؛ وفقًا للمستويات اللغوية، تكونت من أربع مهارات فرعية، انبثق عنها مائة وثلاث وعشرون مهارة إجرائية، وقائمة بالأسس الرئيسة لبناء مصفوفة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث، تكونت من خمسة أسس رئيسة، انبثق عنها ثمانية أسس فرعية، تفرع عنها ثلاثة وعشرون مؤشرًا، وإعداد قائمة بمصفوفة المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك، تكونت من أربع مهارات فرعية انبثق عنها مائة وثلاث وعشرون مهارة إجرائية، وقد قسمت المهارات الإجرائية إلى ستة مستويات لغوية هي: المستوى المبتدئ: تكون من مستويين: المستوى (A1)، وعدد مهاراته الإجرائية تسع عشرة مهارة، والمستوى (A2)، وعدد مهاراته الإجرائية ثلاث وعشرون مهارة، والمستوى المتوسط: تكون من مستويين: المستوى (B1)، وعدد مهاراته الإجرائية تسع عشرة مهارة، والمستوى (B2)، وعدد مهاراته الإجرائية تسع عشرة مهارة، والمستوى المتقدم: تكون من مستويين: المستوى (C1)، وعدد مهاراته الإجرائية سبع عشرة مهارة، والمستوى (C2)، وعدد مهاراته الإجرائية ست وعشرون مهارة.

الكلمات المفتاحية: المصفوفة، مهارات التحدث، الإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

Abstract

This research aimed to prepare a list of speaking skills needed for learners of Arabic speaking other languages according to linguistic levels, prepare a list of basics for building a matrix of speaking skills, and prepare a list of the proposed matrix of speaking skills needed for learners of Arabic speaking in other languages according to the common European framework of reference. To achieve these goals, the researcher used the descriptive analytical approach. the research reached a list of speaking skills needed for learners of Arabic speaking in other languages according to linguistic levels, where it consisted of (4) sub-skills, to which (123) procedural skills belong, and a list of basics for building a matrix of speaking skills needed according to linguistic levels, where it consisted of (5) key foundations, to which (8) sub foundations belong, to which (23) indicators belong, and a list of the matrix of speaking skills necessary for learners of Arabic who speak other languages according to the common European framework of reference, as it consisted of (4) sub-skills to which (123) procedural skills belong, and procedural skills were divided into six language levels: beginner level: two levels: Level (A1), number of procedural skills (19) skills, Level (A2), number of Procedural skills (23) skills, and intermediate level: two levels: level (B1) and number of procedural skills (19) skills, Level (B2) and the number of its procedural skills (19) skills, and the advanced level: It consists of two levels: Level (C1) and the number of its procedural skills (17) skills, Level (C2) and the number of its procedural skills (26) skills .

Keywords: Matrix, Speaking Skills, Common European Framework of Reference.

مقدمة البحث:

للغة العربية أهمية كبرى بين لغات العالم؛ حيث أصبحت من اللغات المهمة التي يراد تعلمها؛ لأسباب تعليمية، ودينية، وثقافية، واقتصادية؛ لهذا أصبح هناك إقبال متزايد على تعلم اللغة العربية؛ سواء لأغراض خاصة، أم لأغراض عامة.

ويعد مجال تعليم اللغة العربية من المجالات المهمة والحديثة، حيث فتحت المعاهد في الجامعات العربية عامة، وفي أغلب الجامعات السعودية خاصة؛ لأهمية هذا المجال في تعليم المتعلمين العلوم الشرعية، والثقافة الإسلامية، والعناصر اللغوية، والمهارات اللغوية.

وتعد مهارة التحدث من أهم المهارات اللغوية في مجال تعليم اللغة العربية، فهذه المهارة يحتاج إليها المتعلم في كل وقت؛ ليستطيع التواصل مع غيره سواء داخل بيئة الجامعة، أم خارجها مع المجتمع الذي يعيش فيه.

ولهذا تعتبر مهارة التحدث مهارة أساسية يجتهد المتعلم في إتقانها في مجال تعليم اللغات الأجنبية؛ ليستطيع أن يتواصل شفهيًّا مع الناس(١).

وتزداد أهمية مهارة التحدث لدى المتعلمين لاستخدامها أكثر من أي مهارة أخرى في حياتهم، فهم يتحدثون أكثر مما يكتبون، ومن هنا يمكن اعتبار مهارة التحدث هي الشكل الرئيسي للتواصل اللغوي بالنسبة للمتعلمين، وعلى ذلك تعتبر مهارة التحدث من أهم الأجزاء في الممارسة اللغوية، واستخداماتها(٢).

ولهذا ينبغي على مؤلفي المقررات التعليمية التدرج في عرض محتوى مصفوفة مهارة التحدث، وكذلك الوضوح، والتوازن في تقديم مهاراتها، وذلك وفقًا لمستويات

(١) الفوزان، عبد الرحمن. "إضاءات لمعلمي اللغة العربية"، الرياض: مطابع الحميضي، ط١، (٢٠١١م)، ص١٨٥.

(٢) مدكور، علي. "تدريس فنون اللغة العربية النظرية والتطبيق"، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، (٢٠٠٨م)، ص١٠٧.

المتعلمين اللغوية المختلفة، ووفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات.

حيث يعد الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات من أهم الأطر الحديثة في تطوير، وازدهار مجال تعليم اللغات الأجنبية بصورة عامة، ومجال تعليم اللغة العربية بصورة خاصة.

وقد قدم هذا الإطار معايير أساسية، واضحة لتوصيف بيّن لأهدافها، ومحتواها وطرقها؛ مما ينعكس ذلك إيجابيًّا على كفاءة المتعلمين اللغوية(١).

من هنا جاءت فكرة البحث الحالي لتقديم مصفوفة مقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

الإحساس بمشكلة البحث:

هناك عدّة أمور أسهمت في الإحساس بمشكلة البحث من أهمها:

١–تدريس الباحث لمقررات المحادثة:

شعر الباحث خلال تدريسه لمقررات المحادثة بأن هذه المقررات لا تحدد المهارات اللازمة لمهارة التحدث لكل مستوى من المستويات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى بدقة ووضوح، فالمهارات محدودة جدًّا، ومكررة في جميع المستويات اللغوية؛ دون مراعاة التدرج من السهولة إلى الصعوبة في هذه المهارات؛ حسب المستويات اللغوية المختلفة.

٢–الدراسة الاستطلاعية التي أجراها الباحث:

قام الباحث بعمل دراسة استطلاعيّة حول مدى تحديد المهارات اللازمة لمهارة

(١) صبير، عبد الناصر عثمان. "الإطار المرجعي الأوروبي المشترك لتعلم اللغات وتعليمها وتقييمها"، جامعة أم القرى، ط١، (٢٠١٦م)، ص٢.

التحدث لدى المتعلمين في المستويات اللغوية المختلفة، حيث وجَّه سؤالًا للمتخصصين في مجال تعليم اللغة العربية في جامعة أم القرى، وتمثَّل السؤال في الآتي:

هل هناك مصفوفة تحدد المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟ إذا كان الجواب بنعم. وضّح ذلك.

وقد اتفقوا جميعًا بعدم وجود مصفوفة خاصة لمهارات التحدث للمتعلمين.

٣-توصيات الدراسات السابقة:

أوصت العديد من الدراسات السابقة بأهمية تنمية مهارة التحدث، فقد ذكرت دراسة (الرشيد، عبيد: ٢٠١٦م)[١]، أهمية التعرف على مهارات التحدث المناسبة لمتعلمي المستوى الثاني، والتعرف على إستراتيجيات التعلم التعاوني في تنمية هذه المهارة، كما أشارت دراسة (البلوشية، ميساء: ٢٠٢٠م)[٢]، أهمية تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها؛ وذلك باستخدام إستراتيجية عباءة الخبير، كما أشارت دراسة (إبتهال، أبو رزق: ٢٠٢٠م)[٣] أهمية تطوير مهارة التحدث باستخدام الفيديو التشاركي كأداة تعليمية.

وكذلك أوصت العديد من الدراسات السابقة بأهمية مصفوفة (المدى

(١) الرشيد، عبيد. "أثر إستراتيجية التعلم التعاوني في تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة، (٢٠١٦م).

(٢) البلوشية، ميساء. "فاعلية إستراتيجية عباءة الخبير باستخدام الدراما في تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها"، رسالة ماجستير، جامعة نزوى: كلية العلوم والآداب، (٢٠٢٠م).

(٣) أبو رزق، إبتهال. "استخدام الفيديو التشاركي كأداة تعليمية لتطوير مهارة التحدث باللغة العربية: أثرها والاتجاهات نحوها"، جامعة السلطان قابوس: مجلة الدراسات التربوية والنفسية، (٢٠٢٠م).

والتتابع)، فقد ذكرت دراسة (العليان: ٢٠١٩م)[١]، أهمية بناء مصفوفة المدى، والتتابع للمفاهيم النحوية اللازمة للمتعلمين الناطقين بلغات أخرى، كما أشارت دراسة (الغامدي: ٢٠١٩م)[٢]، أهمية بناء مصفوفة خاصة لمهارات الاستماع اللازمة للمتعلمين الناطقين بلغات أخرى.

وكذلك أوصت العديد من الدراسات السابقة بأهمية الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات، فقد أشارت دراسة (سعيد، عاطف، ومحمد، داوود: ٢٠١٤م)[٣]، إلى أهمية الاستفادة من الإطار الأوروبي المرجعي المشترك في مجال تعليم اللغة العربية، كما أشارت دراسة (المحجري، محمد: ٢٠١٥م)[٤]، إلى أهمية بناء المهارات اللغوية، ومنها مهارة التحدث وفقًا لمعايير الإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

تحديد مشكلة البحث:

بناءً على ما عرض تحدّدت المشكلة في:

عدم وجود مصفوفة معدة إعدادًا علميًّا لتحديد المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي

(١) العليان، محمد. "تصميم مصفوفة مدى وتتابع المفاهيم النحوية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، رسالة ماجستير، السعودية: الجامعة الإسلامية (٢٠١٩م).

(٢) الغامدي، علي. "مصفوفة مقترحة لمهارات الاستماع اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء المعايير العالمية لتعليم اللغات الأجنبية"، جامعة أسيوط: كلية التربية، (٢٠١٩م).

(٣) سعيد، عاطف، ومحمد، داوود. "الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات: أهدافه ومحاوره وكيفية الاستفادة منه في تعليم اللغة العربية"، جامعة إفريقيا العالمية، (٢٠١٤م).

(٤) المحجري، محمد. "معايير المهارات اللغوية للناطقين بغيرها للمستويات A – B – C وفقًا للإطار المرجعي الأوروبي للغات"، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، (٢٠١٥م).

المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية.

أسئلة البحث:

١- ما المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية؟

٢- ما الأسس الرئيسة لبناء مصفوفة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك؟

٣- ما المصفوفة المقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك؟

أهداف البحث:

١- إعداد قائمة بالمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية.

٢- إعداد قائمة بالأسس الرئيسة لبناء مصفوفة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

٣- إعداد قائمة بالمصفوفة المقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

أهمية البحث:

١- يفيد المتعلمين؛ حيث يقدم لهم قائمة بالمهارات اللازمة لمهارة التحدث التي تنمي لديهم هذه المهارات.

٢- يفيد المعلمين؛ حيث يقدم لهم مصفوفة مقترحة بالمهارات اللازمة لمهارة التحدث، هذه المصفوفة تساعدهم في تنمية مهارات التحدث لدى المتعلمين.

٣- يفيد الباحثين؛ حيث يقدم لهم مجموعة من الأدوات البحثية.

٤- يفيد معدي المناهج؛ حيث يقدم لهم مصفوفة مقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث التي تم التوصل إليها في هذا البحث.

مصطلحات البحث:

يكتفي الباحث بعرض التعريفات الإجرائية:

المصفوفة:

تقديم مهارات التحدث في مصفوفة متدرجة في مهاراتها حسب المستويات اللغوية المختلفة بطريقة واضحة، ومحددة، تسهم في عملية التعلم.

مهارة التحدث:

قدرة المتعلم في استخدام اللغة العربية للتواصل مع الآخرين بشكل واضح وسليم؛ مستخدمًا في ذلك مهارات التحدث اللفظية، وغير اللفظية.

الإطار الأوروبي المرجعي المشترك:

معيار دولي مرجعي في تعليم اللغات الأجنبية، اهتم بوضع إطار موحد لعملية التعلم، وطرائق التدريس، والتقييم، يمكن تطبيقه بسهولة، ووضوح على جميع لغات العالم.

حدود البحث:

الحدود المكانية: معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

الحدود البشرية: اقتصر البحث على الهيئة التدريسية، ومن في حكمهم في بعض الجامعات السعودية.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الثالث ١٤٤٥هـ لتطبيق أدوات البحث.

الحدود الموضوعية: اقتصر البحث على مصفوفة مهارات التحدث وفقًا

للمستويات اللغوية التي أقرَّها الإطار المرجعي الأوروبي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية.

الإطار النظري

أولًا: المصفوفة:

مفهوم المصفوفة:

عرَّفها (اللقاني، وآخرون)[١]، بأنها: مواضيع تقرر على كل مستوى دراسي، في مقرر دراسي، عبر مراحل التعليم، بحيث تعطى شيئًا أكثر تفصيلًا عن أبعاد محتوى المنهج المطلوب تدريسه، وتحديد كل موضوع، وأهدافه التي يجب أن تحققها تلك المواضيع، وعرَّفها (شحاتة، وآخرون)[٢]، بأنها: تسلسل المفردات على المستويات اللغوية لكل مستوى لغوي، أو أكثر، وتسمى بخرائط المنهج الدراسي، وعرَّفها (آل عمر)[٣]، بأنها: مجموعة من المواضيع التي تقدم في المقرر الدراسي طيلة مراحل التعليم، ويراعى فيها حداثة المحتوى، والتدرج، والتوازن بين موضوعاتها كمًّا وكيفًا، والبساطة، والوضوح، والملائمة لمستويات المتعلمين، وقدراتهم في كل مستوى لغوي، وعرَّفها (الغامدي، علي)[٤]، بأنها: موضوعات تعليمية تقدم بطريقة منظمة، ومرتبة في تناولها، وفي اختيار محتواها، عن طريق المدى والتتابع؛ بما يتناسب مع المستويات اللغوية المختلفة للمتعلمين.

---

(١) اللقاني، وأحمد، والجمل، علي. "معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس"، القاهرة: عالم الكتب، ط٢، (١٩٩٩م)، ص٢٢٠.

(٢) شحاتة، حسن، والنجار، زينب، وعمار، حامد. "معجم المصطلحات التربوية والنفسية"، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، (٢٠٠٣م)، ص٢٧٨.

(٣) آل عمر، أحمد بن عبدالله. مرجع سابق، (٢٠١٠م)، ص١.

(٤) الغامدي، علي. مرجع سابق، (٢٠١٩م)، ص٢١٩.

أهمية المصفوفة:

للمصفوفة أهمية كبرى في نجاح العملية التعليمية، وذلك من خلال دورها الفعال في تنظيم المقررات التعليمية، فهي تقدم الأهداف، والمعارف، والمهارات، والتدريبات، والأنشطة، والتقويم بشكل متدرج ومتوازن للمتعلمين(١).

فبناء مصفوفة متخصصة في ميدان تعليم اللغة العربية تسهم في توازن تقديم المهارات الأساسية، ومهاراتها الفرعية الإجرائية بطريقة منظمة، ومرتبة، وواضحة.

وتعمل المصفوفة على توضيح جميع المفاهيم الأساسية، والأفكار الرئيسة الواردة في المقرر الدراسي بصورة أفقية ورأسية لصفوف التعليم بجميع مستوياته، بحيث تراعي التكامل الرأسي، والأفقي بين موضوعات المقرر التعليمي(٢).

فالمصفوفة تؤثر تأثيرًا كبيرًا في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، من خلال تقديم مهارات لغوية واضحة، ومحددة لكل مستوى تعليمي من المستويات اللغوية.

وهذه المصفوفة تسهل على المتعلمين عملية التعلم؛ لأنها تراعي المستويات اللغوية لديهم، فتبدأ من السهل ثم تنتقل إلى الصعب، وتقدم البسيط قبل المركب، وتهتم بالمحسوس بداية حتى تصل إلى المجرد، منذ بداية دراسة المتعلم في المستوى الأول (المبتدئ)، حتى يصل إلى المستوى السادس (المتقدم)(٣).

ثانيًا: مهارة التحدث

مفهوم مهارة التحدث:

(١) المرجع السابق نفسه، ص٢٢٠.

(٢) آل عمر، أحمد بن عبدالله. مرجع سابق، (٢٠١٠م)، ص١.

(٣) الغامدي، علي. مرجع سابق، (٢٠١٩م)، ص٢٢٠.

عرَّفها (جاب الله، وآخرون)[١]، بأنها: فنٌّ نقل الخبرات، والمشاعر، والأحاسيس، والمعارف، والمعلومات، والأفكار، والآراء، ووجهات النظر من المتحدّث إلى المستمعين من المخاطبين نقلًا يقع منهم موقع القبول، والتفاعل، والفهم ، والاستجابة، وعرَّفها (عليان، أحمد)[٢]، بأنها: كل ما يصدرُ عن المتعلم من صوتٍ ليُعبّر به عن شيء له دلالة في ذهن المتحدث والمستمع، أو على الأقلّ في ذهن المتحدث، وتراعى فيه القواعد اللغوية المنطوقة، وعرفها (فجال، محمد)[٣]، بأنها: فنّ نقل المعلومات، والأفكار، والمشاعر، والآراء إلى المستمعين من خلال الصوت، وعرَّفها (علي، كمال، ٢٠١١م: ٢٢٩)[٤]، بأنها: مهارة لغوية تتضمن قدرة المتعلم على التفكير، واستعمال اللغة، والأداء الصوتي، والحركيّ في التعبير الشفهي عن مشاعره وأحاسيسه، وأفكاره، وخبراته، واعتقاداته، واتجاهاته، وأغراضه، ومواقفه، ونقلها إلى المستمعين بطريقة إبداعية ، أو وظيفية، وفي طلاقة وانسياب، مع سلامة النطق، وحُسْن الإلقاء، وصحة التعبير، ويتطلب التّمكُّن من مهارات محددة، حتى يحقق الهدف المراد له.

نستنتج من التعريفات السابقة ما يلي:

١- التعبير عما يريده المتحدث من مشاعر، وأحاسيس، ومعارف، وأفكار، وآراء

(١) جاب الله، علي، وحافظ، وحيد، وعبدالباري، ماهر. "تعليم اللغة العربية لذوي الاحتياجات الخاصة بين النظرية والتطبيق"، القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر، ط١، (٢٠٠٨م)، ص١٤٧.

(٢) عليان، أحمد. "المهارات اللغوية: ماهيتها، وطرائق تنميتها"، الرياض، دار المسلم، ط٤، (٢٠١٠م)، ص٧٠.

(٣) فجال، محمد. "مهارات الكتابة"، جامعة الملك سعود: إدارة النشر العلمي، (٢٠١٠م)، ص١١.

(٤) علي، كمال. "القراءة والمحادثة في ضوء منهج تكاملي"، مكتبة المتنبي، ط٢، (٢٠١١م)، ص٢٢٩.

بطرق إبداعية، ووظيفية.

٢- التفاعل بين المتحدث والمستمع.

٣- مراعاة القواعد اللغوية أثناء التحدث.

٤- التمكن من المهارات اللفظية، وغير اللفظية لمهارات التحدث.

أهمية مهارة التحدث:

تعد مهارة التحدث من المهارات الإنتاجية في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، وهي المهارة الثانية من المهارات اللغوية التي تقدم للمتعلمين، وهي مهمة للمتعلمين في تكوين أفكارهم؛ لكي يتواصلوا مع الآخرين بطريقة صحيحة. فهي تشكل الفن الرئيس للمتعلمين؛ لبناء ثروتهم اللغوية من المفردات، والأفكار، وهو ما يجب الاهتمام به من حيث تنمية المفردات لدى المتعلمين، حتى يتمكنوا من التعبير عن الأفكار بوضوح في أثناء تحدثهم، حيث يشغل مساحة كبرى من النشاط اللغوي، كما يمثل وسيلة مهمة ورئيسة في عملية الاتصال في المجتمع(١).

وتتضح أهمية مهارة التحدث في تعويد المتعلم على الطلاقة كي يعبر عن أفكاره، وقدرته على المبادأة، ومواجهة الجمهور؛ لهذا هي طريقة للإقناع، والفهم والإفهام، بين المتحدث والمستمع(٢).

ومن أهم المبادئ في تعليم مهارة التحدث، الاهتمام بمستوى الطلاقة، والدقة، أو السلامة اللغوية لدى المتعلمين، ولابد من تشجيع المتعلمين على استخدام اللغة في سياقات موقفية حقيقة ذات معنى، وتوفير التغذية الراجعة، والتصحيح للمتعلمين، وتوفير الفرص المتعددة والمتنوعة للمتعلمين للمبادرة في

(١) علي، كمال. مرجع سابق، (٢٠١١م)، ص٢٣١.

(٢) عليان، أحمد. مرجع سابق، (٢٠١٠م)، ص٧٠.

التحدث، والتحاور، والتواصل[١].

ويمكن تلخيص أهمية مهارة التحدث فيما يلي:

١- تنمية شخصية المتعلمين؛ حيث يستطيعون التعبير عما يريدونه من أفكار، ومشاعر، وأحاسيس.

٢- تنمية الثروة اللغوية لدى المتعلمين.

٣- تنمية المهارات التواصلية اللفظية، والمهارات التواصلية غير اللفظية.

٤- تعويد المتعلمين على الطلاقة في حديثهم.

٥- مساعدة المتعلمين في إبداء آرائهم سواء بالموافقة أم بالرفض.

٦- مساعدة المتعلمين في مناقشة أغلب المواضيع التي تعرض عليهم.

ثالثًا: الإطار المرجعي الأوروبي المشترك لتعلم اللغات وتعليمها وتقييمها:

مفهوم الإطار المرجعي الأوروبي المشترك:

عرَّفه (محمد، محمود)[٢]، بأنه: مجموعة من الأساسيات، والتصورات، والإجراءات التي تهدف إلى توحيد آليات تعليم وتعلم اللغات في أوروبا، وكذلك توحيد صياغة الاختبارات اللغوية، وتقييم نتائجها؛ لتصبح معترفًا بها على المستوى العالمي، وعرفته (البصري، هداية)[٣] بأنه: وثيقة أعدها المجلس الأوروبي ضمن

(١) أبو عمشة، خالد. "المغني في تعليم اللغة العربية للناطقين"، أصوات للدراسات والنشر، ط١، (٢٠١٨)، ص٦٤.

(٢) محمد، محمود. "الإستراتيجيات الحديثة التي ينبغي اتباعها في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية وفق الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات واللغة العربية"، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، (٢٠١٥م)، ص١٧.

(٣) البصري، هداية. "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بين التواصل والتداولية: مقاربة نوعية في ضوء الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية"، جامعة بغداد، (٢٠٢١م)، ص٥٧.

مشروع تعلم اللغات من أجل المواطنة، ويرمز له اختصارًا (CEFR)، ويستعمل لإقامة نظم التحقق من القدرة اللغوية.

أهمية الإطار المرجعي الأوروبي المشترك في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها:

تظهر أهمية هذا الإطار في ميدان تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها، حيث أبرز مجموعة من الإجراءات التي تشترك فيها معظم لغات العالم، ومنها اللغة العربية، وذلك على مستوى الأهداف، والمحتوى التعليمي، وطرق التدريس، والوسائل التعليمية، والأنشطة، وأساليب التقييم، وكيفية تطويرها(١).

فالمقررات المبنية على معايير الإطار الأوروبي المرجعي المشترك عملت على تحقيق التواصل الفعال والتداولية، وجعلت متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى قادرًا على التواصل والتداول بما يحقق له الاندماج والتفاعل مع أفراد مجتمع اللغة الهدف، حيث أنجز هذا الإطار التواصل والتداولية في تعليم اللغات الأجنبية، بما فيها اللغة العربية للناطقين بغيرها(٢).

وقد تميز هذا الإطار بعدد من المزايا المهمة في تعليم اللغات الأجنبية ذكرها (العربي، أسامة)(٣) فيما يلي:

١- الشمول: حيث يُقدِّم نطاقًا واسعًا من المعارف اللغوية، والمهارات اللغوية، وتطبيقها، فهو يقدم سلسلة مقاييس متدرجة يمكن بواسطتها قياس مدى التقدم في التعليم.

(١) الغامدي، علي. مرجع سابق، (٢٠١٩م)، ص٢٢٢.

(٢) البصري، هداية. مرجع سابق، (٢٠٢١م)، ص٥٦.

(٣) العربي، أسامة زكي السيد. "برنامج مقترح قائم على الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات في تنمية كفاءات تلقي اللغة وإنتاجها لدى دارسي اللغة العربية غير الناطقين بها"، جامعة أسيوط، (٢٠١٤م)، ص٥٧٩.

٢- الشفافية: وتهتم بوضوح المعلومات، وأن تكون مصاغةً بشكل محدد، ومتاحةً، وسهلةَ الفهم للمستخدم.

٣- الترابط: خلو التوصيف من أي تناقضات داخلية، وضرورة وجود علاقة منطقية بين هذه العناصر:

- التعرف على حاجات المتعلمين.
- تحديد الأهداف التعليمية.
- وصف المحتوى وتحديده.
- اختيار المواد التعليمية.
- وضع وتطبيق البرامج التعليمية.
- التقييم والاختبار.

ويهتم الإطار الأوروبي بالكفاءة اللغوية لدى المتعلمين، بالإضافة إلى تعلم اللغة، وتعليمها واستخدامها بشكل سليم، وهذا ينعكس إيجابيًّا على متعلم اللغة في فهم اللغة، واكتساب مهاراتها(١).

ويضيف (سعيد، عاطف، ومحمد، داوود)(٢)، مجموعة من العناصر الرئيسة والمهمة عن الإطار المرجعي الأوروبي المشترك تمثلت فيما يلي:

١- الاهتمام بالبعد التداولي في تعليم اللغة العربية، وذلك لكثرة جانب الأداء الشفوي.

٢- اعتماد الأنشطة المرئية والمسموعة، فهي أساسية ومهمة في تعليم اللغة العربية.

٣- توحيد أسس بناء المحتوى التعليمي، ومعايير التقييم اللغوي وفق نظام واضح وشفاف للجميع.

---

(١) الغامدي، علي. مرجع سابق، (٢٠١٩م)، ص٢٢٢.

(٢) سعيد، عاطف، ومحمد، داوود. مرجع سابق، (٢٠١٤م)، ص١٢٣

٤- إتاحة الفرصة للدول العربية لمراجعة سياساتها اللغوية بما يقربها من بعض في عملية التخطيط والتنفيذ.

٥- تقسيم المستويات التقليدية الثلاثة (المبتدئون، والمتوسطون، والمتقدمون) إلى ستة مستويات.

وقد وضع الإطار المرجعي الأوروبي المشترك تصورًا وافيًا وواضحًا لتطوير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وخصوصًا في المجالات التالية:

١- تحديد المستويات اللغوية بحسب الإطار.

٢- تطوير المبادئ في تعليم اللغة وتعلمها في ضوء الإطار.

٣- توظيف الأهداف اللغوية العامة والخاصة في ضوء الإطار.

٤- توظيف المناهج والخطط الدراسية في ضوء الإطار.

٥- توظيف الإطار في الفصول الدراسية: التعليم والتخطيط للدروس.

٦- توظيف الإطار في وضع الاختبارات والتقييم.

٧- تطوير المعلمين وتنميتهم مهنيًّا على ضوء الإطار المرجعي الأوروبي المشترك[١] (أبو عمشة، خالد، ٢٠١٨م: ١١).

وقد قسم الإطار الأوروبي المرجعي المشترك مستويات التعلم إلى ستة مستويات رئيسة على النحو التالي:

١- المستوى المبتدئ وانبثق عنه مستويان فرعيان هما:

- A1: يمثل المستوى الأول: وهو المستوى الأساسي أو الكفاءة التمهيدية.
- A2: يمثل المستوى الثاني: وهو مستوى البداية أو مستوى البقاء.

٢- المستوى المتوسط أو (الحر)، وانبثق عنه مستويان فرعيان هما:

(١) أبو عمشة، خالد. مرجع سابق، (٢٠٢٠١٨م)، ص١١.

- B1: يمثل المستوى الثالث: وهو مستوى البداية أو العتبة.
- B2: يمثل المستوى الرابع: وهو المستوى العملي أو التحكم الأولي.

٣- المستوى المتقدم أو (المتقن)، وانبثق عنه مستويان فرعيان هما:

- C1: يمثل المستوى الخامس: وهو مستوى الكفاءة العلمية.
- C2: يمثل المستوى السادس: وهو مستوى الإتقان.

الدراسات السابقة:

المحور الأول: تصميم المصفوفة:

١- دراسة (الجابري: ٢٠١٨م)[١]، هدفت الدراسة إلى: التعرف على المفاهيم الأدبية، وأسس بنائها، وتصميم مصفوفة مدى، وتتابع للمفاهيم الأدبية اللازمة للمتعلمين، وقد استخدم المنهج الوصفي، وقد توصلت النتائج إلى قائمة بأسس مصفوفة مدى، وتتابع للمفاهيم الأدبية اللازمة للمتعلمين.

٢- دراسة (العليان:٢٠١٩م)[٢]، هدفت الدراسة إلى التعرف على المفاهيم النحوية، وأسس بنائها، وتصميم مصفوفة مدى، وتتابع للمفاهيم النحوية اللازمة للمتعلمين، وقد استخدم المنهج الوصفي، وقد توصلت النتائج إلى قائمة بالمفاهيم النحوية تضمنت سبعةً وخمسين مفهومًا، وقائمة بأسس بناء المصفوفة للمستويات الأربعة، حيث تضمنت أربعة أسس رئيسة اندرج عنها سبعة عشر أساسًا فرعيًّا، وتصميم مصفوفة مدى وتتابع للمفاهيم النحوية تضمنت أربعة عشر موضوعًا رئيسًا.

(١) الجابري، مطلق بن مريع. "تصميم مصفوفة مدى وتتابع للمفاهيم الأدبية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، رسالة ماجستير، السعودية، الجامعة الإسلامية، (٢٠٠٨م).

(٢) العليان، محمد. مرجع سابق (٢٠١٩م).

٣- دراسة (الغامدي، علي: ٢٠١٩م)[١]، هدفت الدراسة إلى إعداد قائمة بالمصفوفة المقترحة لمهارات الاستماع اللازمة للمتعلمين على ضوء المعايير العالمية لتعليم اللغات الأجنبية، وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت النتائج إلى قائمة بمصفوفة مهارات الاستماع اللازمة للمتعلمين وفقًا للمستويات اللغوية على ضوء المعايير العالمية لتعليم اللغات الأجنبية، حيث تكونت من ثلاث مهارات فرعية ينتمي إليها اثنتان وثمانون مهارة إجرائية، وقد تم تقسيم المهارات الإجرائية إلى ستة مستويات لغوية.

٤- دراسة (عبدالله، رحاب: ٢٠٢٠م)[٢]، هدفت الدراسة إلى اقتراح مصفوفة مدى، وتتابع للتراكيب، والقواعد للناطقين بغير العربية في ضوء الاحتياجات، والشيوع، والوظيفية، وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت النتائج إلى الموضوعات شديدة الأهمية التي يجب تكراراها في أكثر من مستوى، كما حدد الموضوعات قليلة الأهمية، والموضوعات متوسطة الأهمية.

٥- دراسة (اللهيبي، وآخرون: ٢٠٢٢م)[٣]، هدفت الدراسة إلى إعداد مصفوفة مدى، وتتابع لمفاهيم الثقافة الإسلامية اللازمة لبرنامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت

(١) الغامدي، علي. مرجع سابق، (٢٠١٩م).

(٢) عبدالله، رحاب. "مصفوفة المدى والتتابع للقواعد للناطقين بغير العربية في ضوء الاحتياجات والوظيفية والشيوع"، جامعة الأزهر، (٢٠٢٠م).

(٣) اللهيبي، محمد، الحديبي، علي، الحجوري، صالح. "مصفوفة المدى والتتابع لمفاهيم الثقافة الإسلامية اللازمة لبرنامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها"، جامعة حفر الباطن: المجلة الدولية للعلوم الإنسانية، (٢٠٢٢م).

النتائج إلى مصفوفة مدى، وتتابع لمفاهيم الثقافة الإسلامية اللازمة لبرنامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تضمنت مائتين وأربعة عشر مفهومًا من مفاهيم الثقافة الإسلامية، موزعة على أربعة مستويات.

التعقيب على المحور الأول:

- أوجه الاتفاق:

١- اتفقت جميع الدراسات السابقة في المنهج المستخدم في البحث، وهو المنهج الوصفي التحليلي.

٢- اتفقت جميع الدراسات في بناء مصفوفة مدى، وتتابع.

٣- اتفقت جميع الدراسات في تصميم المصفوفة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

- أوجه الاختلاف:

١- اختلفت الدراسة الحالية مع جميع الدراسات السابقة، حيث استخدم الباحث المصفوفة لمهارات التحدث؛ أما دراسة (الجابري:٢٠١٨م)، فقد استخدم المصفوفة للمفاهيم الأدبية، ودراسة (العليان: ٢٠١٩م)، الذي استخدم المصفوفة لبناء المفاهيم النحوية، ودراسة (الغامدي: ٢٠١٩م)، الذي استخدم المصفوفة لمهارات الاستماع، ودراسة (عبدالله، رحاب: ٢٠٢٠م)، التي استخدمت المصفوفة للقواعد والتراكيب، ودراسة (اللهيبي، وآخرون: ٢٠٢٢م)، الذين استخدموا المصفوفة لمفاهيم الثقافة الإسلامية.

٢- اختلفت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تصميم المصفوفة وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

المحور الثاني: مهارة التحدث:

١- دراسة (الرشيد، عبيد: ٢٠١٦م)[١]، هدفت الدراسة إلى التعرف على مهارات التحدث التي تتناسب مع المستوى الثاني للمتعلمين، والتعرف على إستراتيجيات التعلم التعاوني في تنمية مهارة التحدث، وقد استخدم المنهج شبه التجريبي، وتوصلت النتائج إلى قائمة بمهارات التحدث بلغت أربع عشرة مهارةً أساسيةً، كما دلت النتائج على أثر إستراتيجية التعلم التعاوني في تنمية مهارة التحدث لدى المتعلمين.

٢- دراسة (البلوشية، ميساء: ٢٠٢٠م)[٢]، هدفت الدراسة إلى اختبار فاعلية إستراتيجية عباءة الخبير باستخدام الدراما في تنمية مهارة التحدث لدى المتعلمين، وقد استخدم المنهج شبه التجريبي، وقد توصلت النتائج إلى تأثير البرنامج التدريسي المبني وفقًا لإستراتيجية عباءة الخبير على تنمية مهارة التحدث لدى أفراد المجموعة التجريبية، حيث كان مرتفعًا، ودالًّا إحصائيًّا.

٣- دراسة (البيومي، جمال، ومصلح، عمران: ٢٠٢٠م)[٣]، هدفت الدراسة إلى دراسة الطرق المستخدمة في تعليم مهارة التحدث، وتحليل عرض مهارة التحدث في سلاسل تعليم اللغة العربية المشهورة؛ بهدف تقويم تلك الطرق بما يشتمل عليه من أنشطة لغوية وتدريبات؛ وذلك لتحسين تعليم مهارة التحدث، وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت النتائج إلى أهمية التطوير المستمر لتعليم مهارة التحدث بناء على ما جاء في الدراسة

(١) الرشيد، عبيد. مرجع سابق، (٢٠١٦م).

(٢) البلوشية، ميساء. مرجع سابق، (٢٠٢٠م).

(٣) البيومي، جمال. "تعليم مهارة التحدث في سلاسل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة تحليلية تقويمية"، مجلة جامعة المدينة العالمية للعلوم التربوية والنفسية، (٢٠٢٠م).

التحليلية للسلاسل الثلاث.

التعقيب على هذا المحور:

- **أوجه الاتفاق:**

١- اتفقت جميع الدراسات في استخدام مهارة التحدث.

٢- اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة (البيومي، ومصلح:٢٠٢٠م)، في منهج البحث؛ حيث استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي مثل الدراسة السابقة.

٣- اتفقت جميع الدراسات السابقة في إجراء البحث في ميدان تعليم اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

- **أوجه الاختلاف:**

١- اختلفت الدراسة الحالية مع جميع الدراسات السابقة؛ حيث استخدم الباحث مصفوفة مقترحة لمهارات التحدث؛ أما دراسة (الرشيد:٢٠١٦م)، فقد استخدم إستراتيجية التعلم التعاوني لتنمية مهارة التحدث، ودراسة (البلوشية:٢٠٢٠م)، حيث استخدمت إستراتيجية عباءة الخبير لتنمية مهارة التحدث، ودراسة (البيومي، ومصلح: ٢٠٢٠م)، حيث درسا طرق تعليم مهارة التحدث، وتحليلها في سلاسل تعليم اللغة العربية المشهورة.

٢- اختلفت الدراسة الحالية مع الدراستين السابقتين دراسة (الرشيد:٢٠١٦م)، ودراسة (البلوشية: ٢٠٢٠م)، في منهج البحث حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ أما الدراستان السابقتان فقد استخدمتا المنهج شبه التجريبي.

المحور الثالث: الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات:

١- دراسة (العربي، أسامة: ٢٠١٤م)[١]، هدفت الدراسة إلى تنمية كفاءات القراءة (تلقي اللغة)، والكتابة (إنتاجها)، لدى المتعلمين من خلال البرنامج اللغوي القائم على الإطار المرجعي الأوروبي المشترك، وقد استخدم المنهج شبه التجريبي، وقد توصلت النتائج إلى فعالية الوحدة في تنمية كفاءات القراءة (تلقي اللغة)، والكتابة (إنتاج اللغة)، لدى المتعلمين في المستوى (الثالث)، وهو يعادل المستوى (B1).

٢- دراسة (محمد، محمود: ٢٠١٥م)[٢]، هدفت الدراسة إلى التعرف على أبرز الإستراتيجيات الحديثة التي يجب اتباعها في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية، وذلك وفق الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات، وتعليم اللغة العربية، وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت النتائج إلى تعدد الإستراتيجيات المستخدمة في التدريس المعتمدة في مناهج تعليم اللغة العربية القائمة على اقتصاد المعرفة من أبرزها: إستراتيجية التعلم التعاوني، وإستراتيجية التدريب على الاستقصاء والتدريب على التساؤل، وإستراتيجية التفكير الناقد، وإستراتيجية تبادل الأدوار، وإستراتيجية التعلم من خلال النشاطات، وإستراتيجية الخريطة الذهنية، وإستراتيجية خرائط المفاهيم.

٣- دراسة (البصري، هداية: ٢٠٢١م)[٣]، هدفت الدراسة إلى إجراء مقاربة

(١) العربي، أسامة زكي السيد. مرجع سابق، (٢٠١٤م).

(٢) محمد، محمود فتوح. "الإستراتيجيات الحديثة التي ينبغي اتباعها في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية وفق الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات واللغة العربية"، الرياض: مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، (٢٠١٥م).

(٣) البصري، هداية. مرجع سابق، (٢٠٢١م).

نوعية بين أنموذجين للمناهج الحديثة؛ سلسلة جامعة السودان المفتوحة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وبين الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية، وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت النتائج إلى إزالة الصعوبات التي تواجه متعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها؛ بالاستفادة مما قدمه الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية.

التعقيب على هذا المحور:

- أوجه الاتفاق:

١- اتفقت جميع الدراسات في استخدام الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية.

٢- اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة (محمد:٢٠١٥م)، ودراسة (البصري: ٢٠٢١م)، في استخدام المنهج الوصفي التحليلي.

٣- اتفقت جميع الدراسات في إجراء البحث في ميدان تعليم اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

- أوجه الاختلاف:

١- اختلفت الدراسة الحالية مع دراسة (العربي: ٢٠١٤م)، في منهج البحث حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ أما (العربي: ٢٠١٤م)، فقد استخدم المنهج شبه التجريبي.

٢- اختلفت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة حيث استخدم الباحث بناء مصفوفة لمهارات التحدث وفقًا للإطار المرجعي الأوروبي المشترك؛ أما دراسة (العربي: ٢٠١٤م)، فقد استخدم الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات في تنمية كفاءات القراءة، والكتابة، ودراسة (محمد:٢٠١٤م)، فقد استخدم

الإستراتيجيات الحديثة التي يجب اتباعها في مجال تعليم اللغة العربية كلغة ثانية، وذلك وفق الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات، ودراسة (البصري: ٢٠٢١م)، فقد استخدم تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بين التواصل والتداولية: مقاربة نوعية في ضوء الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية.

إجراءات البحث وأدواته:

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لوصف بياناته، وتحليل نتائجه الميدانية.

مجتمع البحث:

تكوَّن مجتمع البحث الحالي من أعضاء هيئة التدريس ببعض الجامعات السعودية، وذلك خلال الفصل الدراسي الثالث لعام ١٤٤٥هـ.

عينة البحث

اختيرت عينة عشوائية منتظمة قوامها ثلاثة عشر عضوًا من أعضاء هيئة التدريس من (جامعة أم القرى)، و(جامعة الملك عبد العزيز)، و(الجامعة الإسلامية).

أدوات البحث:

الأداة الأولى: استبانة المهارات اللازمة لمهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية:

الاستبانة في صورتها الأولية تكونت من أربع مهارات فرعية انبثق عنها مائة وثماني وعشرون مهارة إجرائية، وقد وزعت على المحكمين؛ وذلك للإجابة عن السؤال الأول "ما المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية؟".

التزم الباحث بالخطوات الآتية لإعداد الاستبانة:

١- الهدف من إعداد استبانة:

حددت المهارات اللازمة لمهارة التحدث وفقًا للمستويات اللغوية التي تسهم في بناء المصفوفة المقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لدى المتعلمين وفقًا

للإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية.

٢–مصادر إعداد الاستبانة:

راجع الباحث العديد من المراجع التي تناولت مهارة التحدث كمرجع: معايير تعليم اللغة العربية في الصفوف الأولى (قاسم، والحديبي: ٢٠١٥م)[١]، ومعايير تعليم اللغة العربية للصفوف من الرابع إلى السادس (قاسم، والحديبي: ٢٠١٨م)[٢]، ووثيقة (جامعة أم القرى: ١٤٣٦هـ)[٣] في بناء منهج تعليم اللغة.

٣–إعداد الاستبانة في صورتها الأولية:

بين الباحث للمحكمين في مقدمة الاستبانة الهدف منها، ثم طلب منهم قراءتها، وإبداء رأيهم فيها، وإجراء ما يرون مناسبًا من التعديلات من وجهة نظرهم.

ويتضح من الجدول الآتي توصيف للاستبانة في صورتها الأولية.

(١) قاسم، محمد، والحديبي، علي. "معايير تعليم اللغة العربية في الصفوف الأولى"، السعودية: مكتب التربية العربي لدول الخليج، (٢٠١٥م).

(٢) قاسم، محمد، والحديبي، علي. "معايير تعليم اللغة العربية للصفوف من الرابع إلى السادس"، السعودية: مكتب التربية العربي لدول الخليج، (٢٠١٨م).

(٣) "وثيقة بناء منهج تعليم اللغة". جامعة أم القرى: معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ط١، (١٤٣٦هـ).

جدول (١)

توصيف الاستبانة في الصورة الأولية

م	مهارات التحدث الفرعية	عدد (المهارات الإجرائية)	النسبة المئوية من المجموع
١	يستخدم المفردات والتراكيب في أثناء حديثه بشكل صحيح.	٢٢	٪١٧,١٨
٢	يتحدث عن مواقف حياتية بشكل صحيح.	٥٩	٪٤٦,٠٩
٣	يتواصل شفهيًّا مع الآخرين مستخدمًا مهارات التواصل غير اللفظي بشكل مناسب.	١٥	٪١١,٧٣
٤	يوظف مهارات التفكير أثناء حديثه.	٣٢	٪٢٥
	العدد الكلي	١٢٨	٪١٠٠

١- تحكيم الاستبانة:

عرضت الاستبانة في صورتها الأولية على محكمين متخصصين في مجال تعليم اللغة العربية، وقد أخذ بآرائهم في عملية التحكيم.

٢- تعديل الاستبانة وفقًا لنتائج التحكيم:

عُدلت الاستبانة بناء على آراء المحكمين التي تمثلت في إضافة بعض المهارات الإجرائية، أو حذف بعض المهارات الإجرائية، وقد جاءت النتائج كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (٢)

حساب الوزن النسبي لاتفاق آراء المحكمين حول المهارات اللازمة لمهارة التحدث لدى المتعلمين وفقًا للمستويات اللغوية

	مهارات التحدث الفرعية	مجموع المهارات الإجرائية	الوزن النسبي	النسبة المئوية
١	يستخدم المفردات والتراكيب في أثناء حديثه بشكل صحيح.	٢٢	٣,٥٧	٨٩,٣٪
٢	يتحدث عن مواقف حياتية بشكل صحيح.	٥٩	٣,٥١	٨٧,٨٪
٣	يتواصل شفهيًّا مع الآخرين مستخدمًا مهارات التواصل غير اللفظي بشكل مناسب.	١٥	٣,٤٣	٨٥,٨٪
٤	يوظف مهارات التفكير أثناء حديثه.	٣٢	٣,٢٩	٨٢,٣٪
	المجموع الكلي للمهارات	**١٢٨**	**٣,٤٥**	**٨٦,٣٪**

يتبين من الجدول نسبة الاتفاق بين المحكمين حول سلامة بناء الاستبانة، وشمولها للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لدى المتعلمين، حيث بلغت (٨٦,٣٪)، وقد تراوحت النسبة المئوية للوزن النسبي للمهارات الإجرائية المنبثقة عن المهارات الفرعية من (٨٢,٣٪ – ٨٩,٣٪)، وهذه النسب تزيد عن (٨٠٪)، وهي النسبة التي حددت كحد أدنى لقبول المهارات، وهذا يدل على أن المحكمين اتفقوا بنسبة (٨٦,٣٪) على إجراء التعديلات المتمثلة في إضافة بعض المهارات الإجرائية، أو حذف بعض المهارات الإجرائية.

وبناءً على ذلك فقد قبلت هذه المهارات، واعتمدت في الصورة النهائية.

صياغة الاستبانة في صورتها النهائية:

بعد التأكد من صدق الاستبانة، واتفاق آراء المحكمين أجرى الباحث

التعديلات المطلوبة، وبناءً على ذلك فقد بلغ عدد المهارات الإجرائية للاستبانة في صورتها النهائية مائة وثلاث وعشرون مهارة إجرائية؛ موزعة على أربع مهارات فرعية، ويبين الجدول (٣) الآتي وصفًا لها.

جدول (٣)

توصيف القائمة في الصورة النهائية

م	مهارات التحدث الفرعية	عدد (المهارات الإجرائية)	النسبة المئوية من المجموع
١	يستخدم المفردات والتراكيب أثناء حديثه بشكل صحيح.	٢٢	٪١٧,٨٨
٢	يتحدث عن مواقف حياتية بشكل صحيح.	٥٧	٪٤٦,٣٤
٣	يتواصل شفهيًّا مع الآخرين مستخدما مهارات التواصل غير اللفظي بشكل مناسب.	١٥	٪١٢,٢٠
٤	يوظف مهارات التفكير أثناء حديثه.	٢٩	٪٢٣,٥٨
	العدد الكلي	١٢٣	٪١٠٠

الأداة الثانية: استبانة الأسس الرئيسة لبناء مصفوفة مهارات التحدث:

الاستبانة في صورتها الأولية تكونت من خمسة أسس رئيسة انبثق عنها ثمانية أسس فرعية، تفرع عنها ثلاثة وعشرون مؤشرًا، وقد وزعت على المحكمين، وذلك للإجابة عن السؤال الثاني: " ما الأسس الرئيسة لبناء مصفوفة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك؟"

التزم الباحث الخطوات الآتية لإعداد الاستبانة:

١- الهدف من إعداد الاستبانة:

حددت الأسس الرئيسة حيث تكونت من أسس نفسية، وأسس لغوية، وأسس معرفية، وأسس ثقافية، وأسس تربوية يمكن من خلالها المساهمة في بناء المصفوفة المقترحة لمهارات التحدث اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

٢- مصادر إعداد الاستبانة:

راجع الباحث العديد من المراجع التي تناولت الأسس الرئيسة لبناء المصفوفة لمهارات التحدث كمرجع: الأسس المعجمية، والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (طعيمة: ١٤٠٢هـ)[١]، وكذلك بعض الدراسات كدراسة (الحديبي: ٢٠٠٨م)[٢]، ودراسة (الغامدي: ٢٠١٨م)[٣].

٣- إعداد الاستبانة في صورتها الأولية:

بين الباحث للمحكمين في مقدمة الاستبانة الهدف منها، ثم طلب منهم قراءتها، وإبداء رأيهم فيها، وإجراء ما يرون مناسبًا من التعديلات من وجهة نظرهم. ويتضح من الجدول الآتي توصيف لها.

جدول (٤)

توصيف استبانة الأسس الرئيسة لبناء مصفوفة مهارات التحدث اللازمة في الصورة الأولية

م	الأسس الرئيسة	عدد الأسس الفرعية	عدد المؤشرات	النسبة المئوية من المجموع
١	أسس نفسية	٢	٤	١٧,٣٨٪
٢	أسس لغوية	٣	٨	٣٤,٨٠٪
٣	أسس معرفية	١	٣	١٣,٠٥٪

(١) طعيمة، رشدي. "الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٤٠٢هـ).

(٢) الحديبي، علي. "فاعلية برنامج قائم على معايير اللغة العربية كلغة أجنبية في تنمية المهارات الحياتية اللازمة للناطقين بلغات أخرى"، رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط: كلية التربية، (٢٠٠٨م).

(٣) الغامدي، علي. "فاعلية برنامج قائم على معايير تعلم اللغات الأجنبية في علاج صعوبات الإنتاج اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، رسالة دكتوراه، السعودية: الجامعة الإسلامية، (٢٠١٨م).

م	الأسس الرئيسة	عدد الأسس الفرعية	عدد المؤشرات	النسبة المئوية من المجموع
٤	أسس ثقافية	١	٥	٪٢١,٧٢
٥	أسس تربوية	١	٣	٪١٣,٠٥
العدد الكلي		٨	٢٣	٪١٠٠

١- تحكيم الاستبانة:

عرضت الاستبانة في صورتها الأولية على محكمين متخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقد أخذ بآراء المحكمين جميعهم.

٢- تعديل الاستبانة وفقًا لنتائج التحكيم:

تبين من نتائج التحكيم اتفاق المحكّمين حول سلامة بناء الاستبانة، وشمولها للأسس، ومؤشراتها، وذلك بعدم إجراء تعديلات عليها، وقد جاءت النتائج كما يبين الجدول التالي:

جدول (٥)

حساب الوزن النسبي لاتفاق آراء المحكمين حول أسس بناء مصفوفة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك

	الأسس الرئيسة	مجموع الأسس الفرعية	المجموع الكلي للمؤشرات	الوزن النسبي	النسبة المئوية
١	الأسس نفسية	٢	٤	٤,٠٠	٪١٠٠
٢	الأسس لغوية	٣	٨	٤,٠٠	٪١٠٠
٣	الأسس معرفية	١	٣	٤,٠٠	٪١٠٠
٤	الأسس ثقافية	١	٥	٤,٠٠	٪١٠٠
٥	الأسس تربوية	١	٣	٤,٠٠	٪١٠٠
المجموع		**٨**	**٢٣**	**٤,٠٠**	**٪١٠٠**

يتبين من الجدول نسبة الاتفاق بين المحكمين حول سلامة بناء الاستبانة، وشمولها للأسس، ومؤشراتها، بلغت (١٠٠٪) لجميع الأسس، وهذه النسب تزيد عن (٨٠٪)، وهي النسبة التي حددت كحد أدنى لقبول المؤشرات، وهذا يدل على أن

المحكمين اتفقوا بنسبة (١٠٠٪)، بعدم إجراء تعديلات على الاستبانة.

وبناءً على ذلك فقد قبلت الأسس الرئيسة، والفرعية، والمؤشرات المنبثقة عنها، واعتمدت في الصورة النهائية.

٣- صياغة الاستبانة في صورتها النهائية:

بعد التأكد من صدق الاستبانة، واتفاق آراء المحكمين بعدم إجراء تعديلات عليها، تكونت الاستبانة في صورتها النهائية من خمسة أسس رئيسة، انبثق عنها ثمانية أسس فرعيّة، تفرع عنها ثلاثة وعشرون مؤشرًا، ويبين الجدول الآتي وصفًا لها.

جدول (٦)

توصيف قائمة الأسس الرئيسة لبناء مصفوفة مهارات التحدث اللازمة في الصورة النهائية

م	الأسس الرئيسة	عدد الأسس الفرعية	عدد المؤشرات	النسبة المئوية من المجموع
١	أسس نفسية	٢	٤	٪١٧,٣٨
٢	أسس لغوية	٣	٨	٪٣٤,٨٠
٣	أسس معرفية	١	٣	٪١٣,٠٥
٤	أسس ثقافية	١	٥	٪٢١,٧٢
٥	أسس تربوية	١	٣	٪١٣,٠٥
العدد الكلي		٨	٢٣	٪١٠٠

الأداة الثالثة: استبانة المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك:

الاستبانة في صورتها الأولية تكونت من أربع مهارات انبثق عنها مائة وثلاث وعشرون مهارة إجرائية، وقد قسمت المهارات الإجرائية إلى ستة مستويات لغوية، وقد وزعت الاستبانة في صورتها الأولية على المحكمين؛ وذلك للإجابة عن السؤال الثالث "ما المصفوفة المقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك؟".

التزم الباحث بالخطوات الآتية لإعداد الاستبانة:

١- الهدف من إعداد الاستبانة:

هذه الاستبانة هدفت إلى بناء مصفوفة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية المختلفة، وذلك وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

٢- مصادر إعداد الاستبانة:

راجع الباحث العديد من الدراسات التي تناولت بناء المصفوفة كدراسة (الجابري: ٢٠١٨م)[١]،ودراسة (الغامدي: ٢٠١٩م)[٢]، ودراسة (عبدالله: ٢٠٢٠م)[٣]، وكذلك راجع الباحث العديد من المراجع التي تناولت الإطار المرجعي الأوروبي المشترك كمرجع (صبير: ٢٠١٦م)[٤]، ودراسة (المحجري:

(١) الجابري، مطلق. مرجع سابق، (٢٠١٨م).
(٢) الغامدي، علي. مرجع سابق، (٢٠١٩م).
(٣) عبدالله، رحاب. مرجع سابق، (٢٠٢٠م).
(٤) المحجري، محمد. مرجع سابق، (٢٠١٥م).

٢٠١٥م)[١]،ودراسة (محمد: ٢٠١٥م)[٢].

٣– إعداد الاستبانة في صورتها الأولية:

بين الباحث للمحكمين في مقدمة الاستبانة الهدف منها، ثم طلب منهم قراءتها، وإبداء رأيهم فيها، وإجراء ما يرون مناسبًا من التعديلات من وجهة نظرهم.

ويتضح من الجدول الآتي توصيف للاستبانة في صورتها الأولية.

جدول (٧)

توصيف استبانة مصفوفة مهارات التحدث اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك في الصورة الأولية

م	مهارات التحدث الفرعية	المهارة الإجرائية						النسبة المئوية من المجموع
		المستوى المبتدئ		المستوى المتوسط		المستوى المتقدم		
		A1	A2	B1	B2	C1	C2	
١	يستخدم المفردات والتراكيب أثناء حديثه بشكل صحيح.	٥	٥	٤	٣	٢	٣	١٧,٨٨
٢	يتحدث عن مواقف حياتية بشكل صحيح.	٨	١٦	٧	٦	٨	١٢	٤٦,٣٤
٣	يتواصل شفهيًّا مع الآخرين مستخدما مهارات التواصل غير اللفظي بشكل مناسب.	٢	٢	٢	٣	٣	٣	١٢,٢١
٤	يوظف مهارات التفكير أثناء حديثه.	٤	٣	٣	٧	٦	٦	٢٣,٥٧
العدد الكلي		١٩	٢٦	١٦	١٩	١٩	٢٤	٪١٠٠

٤– تحكيم الاستبانة:

عرضت الاستبانة في صورتها الأولية على محكمين متخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقد أخذ بآرائهم جميعًا في عملية التحكيم.

(١) محمد، محمود فتوح. مرجع سابق، (٢٠١٥م).

(٢) صبير، عبد الناصر. مرجع سابق، (٢٠١٦م).

٥- تعديل الاستبانة وفقًا لنتائج التحكيم:

بينت نتائج التحكيم اتفاق المحكّمين حول سلامة بناء الاستبانة، وقد جاءت نتائج الاتفاق كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (٨)

حساب الوزن النسبي لاتفاق آراء المحكمين حول مصفوفة المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية المختلفة، وذلك وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك

م	مهارات التحدث الفرعية	المهارة الإجرائية						المجموع الكلي للمهارات الإجرائية	الوزن النسبي	النسبة المئوية
		المستوى المبتدئ		المستوى المتوسط		المستوى المتقدم				
		A1	A2	B1	B2	C1	C2			
١	يستخدم المفردات والتراكيب أثناء حديثه بشكل صحيح.	٥	٥	٤	٣	٢	٣	٢٢	٣,٦٨	٪٩٢,٠
٢	يتحدث عن مواقف حياتية بشكل صحيح.	٨	١٦	٧	٦	٨	١٢	٥٧	٣,٦١	٪٩٠,٣
٣	يتواصل شفهيًّا مع الآخرين مستخدما مهارات التواصل غير اللفظي بشكل مناسب.	٢	٢	٢	٣	٣	٣	١٥	٣,٣٩	٪٨٤,٨
٤	يوظف مهارات التفكير أثناء حديثه.	٤	٣	٣	٧	٦	٦	٢٩	٣,٤٧	٪٨٦,٨
العدد الكلي		١٩	٢٦	١٦	١٩	١٩	٢٤	**١٢٣**	٣,٥٤	٪٨٨,٤

يتبين من الجدول نسبة الاتفاق بين المحكمين حول سلامة بناء الاستبانة، وشمولها للمصفوفة بلغت (٨٨,٤٪)، وقد تراوحت النسبة المئوية للوزن النسبي للمهارات الإجرائية المنبثقة عن المهارات الفرعية من (٨٤,٨٪ - ٩٢٪)، وهذه النسب تزيد عن (٨٠٪)، وهي النسبة التي حددت كحد أدنى لقبول المهارات

الإجرائية، وهذا يدل على أن المحكمين اتفقوا بنسبة (٨٨,٤٪) على إجراء التعديلات المتمثلة في تعديل بعض المهارات الإجرائية، وذلك في نقل بعض المهارات الإجرائية من مستوى لغوي إلى مستوى لغوي آخر.

وبناءً على ذلك فقد قبلت هذه المهارات، واعتمدت في الصورة النهائية.

٦– صياغة الاستبانة في صورتها النهائية:

قام الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة من المحكمين، وبناءً على ذلك فقد بلغ عدد المهارات الإجرائية للاستبانة في صورتها النهائية مائة وثلاث وعشرون مهارة إجرائية؛ موزعة على أربع مهارات فرعية، ويبين الجدول (٩) الآتي وصفًا لها.

جدول (٩)

توصيف قائمة مصفوفة مهارات التحدث اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك في الصورة النهائية

م	مهارات التحدث الفرعية	المهارة الإجرائية						النسبة المئوية من المجموع
		المستوى المبتدئ		المستوى المتوسط		المستوى المتقدم		
		A1	A2	B1	B2	C1	C2	
١	يستخدم المفردات والتراكيب أثناء حديثه بشكل صحيح.	٥	٥	٤	٣	٢	٣	١٧,٨٨
٢	يتحدث عن مواقف حياتية بشكل صحيح.	٨	١٣	٩	٧	٨	١٢	٤٦,٣٤
٣	يتواصل شفهيًّا مع الآخرين مستخدما مهارات التواصل غير اللفظي بشكل مناسب.	٢	٢	٣	٣	٢	٣	١٢,٢١
٤	يوظف مهارات التفكير أثناء حديثه.	٤	٣	٣	٦	٥	٨	٢٣,٥٧
العدد الكلي		١٩	٢٣	١٩	١٩	١٧	٢٦	١٠٠٪

نتائج البحث وتفسيرها:

للإجابة عن السؤال الأول، ما المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية؟

توصل البحث إلى قائمة بالمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية، وقد تكونت من أربع مهارات فرعية، انبثق عنها مائة وثلاث وعشرون مهارة إجرائية.

وتتفق النتائج السابقة مع دراسة (الرشيد:٢٠١٦م)[١]، ودراسة (البلوشية:٢٠٢٠م)[٢]، التي توصلت إلى قائمة بمهارات التحدث؛ هذه المهارات يمكن تضمينها في المقررات التعليمية؛ لتنمي مهارات المتعلمين في مهارة التحدث.

للإجابة عن السؤال الثاني، ما الأسس الرئيسة لبناء مصفوفة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك؟

توصل البحث إلى قائمة بالأسس الرئيسة لبناء مصفوفة لمهارات التحدث اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وتكونت من خمسة أسس رئيسة، انبثق عنها ثمانية أسس فرعية، تفرع عنها ثلاثة وعشرون مؤشرًا.

ويرى الباحث بأن هذه الأسس الخمسة (النفسية، واللغوية، والمعرفية، والثقافية، والتربوية)، وأسسها الفرعية، ومؤشراتها مهمة في تصميم المقررات التعليمية؛ لأن ذلك يسهم في إعداد المقررات التعليمية التي تتناسب مع المستويات اللغوية للمتعلمين.

(١) الرشيد، عبيد. مرجع سابق، (٢٠١٦م).

(٢) البلوشية، ميساء. مرجع سابق، (٢٠٢٠م).

وتتفق النتيجة السابقة مع دراسة (الحديبي:٢٠٠٨م)[١]، ودراسة (الغامدي: ٢٠١٨م)[٢]، حيث توصلت هاتان الدراستان إلى قائمة بأسس بناء برامج تعليمية اشتملت على الأسس الخمسة (النفسية، واللغوية، والمعرفية، والثقافية، والتربوية).

للإجابة عن السؤال الثالث، ما المصفوفة المقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك؟

توصل البحث إلى قائمة بمصفوفة المهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للمستويات اللغوية، وذلك وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك، تكونت من أربع مهارات فرعية انبثق عنها مائة وثلاث وعشرون مهارة إجرائية، وقد قسمت المهارات الإجرائية إلى ستة مستويات لغوية كما هي موضحة في الجدول التالي:

(١) الحديبي، علي. مرجع سابق، (٢٠٠٨م).

(٢) الغامدي، علي. مرجع سابق، (٢٠١٨م).

جدول (٧)

المهارات الإجرائية لمهارات التحدث مقسمة على ستة مستويات وفقًا للإطار الأوروبي المشترك

المهارة الفرعية: يستخدم المفردات والتراكيب في أثناء حديثه بشكل صحيح					
A1	A2	B1	B2	C1	C2
يكمل جملًا بمفردات مناسبة في أثناء حديثه.	يوظف المترادفات لتوضيح معنى حديثه.	يستخدم أسلوب الاستفهام أثناء حديثه.	يستخدم أدوات الربط المناسبة أثناء حديثه.	يستخدم تراكيبَ لغوية مترابطة أثناء حديثه.	يضبط تمييز العدد ضبطًا صحيحًا أثناء حديثه.
يضع المفردات في جمل مفيدة من إنشائه أثناء حديثه.	يوظف المتضادات لتقوية المعنى أثناء حديثه.	يستخدم أسلوب التعجب أثناء حديثه.	يتحدث بتراكيب فصيحة.	يستخدم الأعداد المركبة في تراكيب لغوية أثناء حديثه.	يستخدم النعت ويضبطه ضبطًا صحيحًا أثناء حديثه.
يختار المفردات التي تناسب الموضوع الذي يتحدث عنه.	يتحدث بكلمات صحيحة.	يستخدم أسلوب النفي أثناء حديثه.	يرتب المفردات والتراكيب في ضوء ما تعلمه من أساليب أثناء حديثه.		يستخدم التوكيد ويضبطه ضبطًا صحيحًا أثناء حديثه.
يستخدم المفردات بمعانيها الصحيحة أثناء حديثه.	يستخدم جملًا اسمية صحيحة أثناء حديثه.	يستخدم أسلوب النهي أثناء حديثه.			
يستخدم تراكيبَ بسيطة في حديثه.	يستخدم جملًا فعلية صحيحة أثناء حديثه.				
المهارة الفرعية: يتحدث عن مواقف حياتية بشكل صحيح					
A1	A2	B1	B2	C1	C2
يذكر عنوان المكان.	يتحدث عن صورة أمامه.	يستخدم جملًا واضحة أثناء حديثه.	يتحدث عن موقف محدد مرتبا أفكاره ترتيبًا منطقيًّا.	يوظف المفردات والعبارات المناسبة في وصفه أثناء حديثه.	يصف ظاهرة طبيعية وصفًا مناسبًا.

يوضح استخدامات المكان.	يجيب عن الأسئلة إجابة كاملة.	يطرح أسئلة محددة مرتبطة بالموقف الذي يتحدث عنه.	يستخدم الوقفات الصحيحة أثناء حديثه.	يعكس وصفه وجهة نظره مدعومة بالأدلة أثناء حديثه.	يصف حدثًا سابقًا وصفًا متكاملًا.
يذكر أسماء الأدوات التي يستخدمها في المنزل.	يصف مكانًا يحب زيارته.	يتحدث عن موقف رآه في بيئته.	يضبط الكلمات ضبطا نحويًا من خلال ما درسه من قواعد أثناء حديثه.	يصف شخصية معروفة وصفا صحيحا.	يبدأ الوصف من الكليات إلى الجزئيات.
يذكر أسماء الأدوات التي يستخدمها في قاعته الدراسية.	يصف منزله.	يصف أدوار أصحاب الخدمات (الطبيب – رجل المرور – عامل النظافة) وغير ذلك.	يصف حدثًا معينًا (مناسبة – احتفال – زيارة) من خلال ثروته اللغوية أثناء حديثه.	يرتب أفكاره في تسلسل واضح أثناء حديثه عن خبرة شخصية.	يلتزم الدقة في وصف ما حوله.
يعبر بجملتين عن موضوع قرأه.	يصف الشارع الذي يسكن فيه.	يستخدم الكلمات والعبارات التي تتناسب مع المواقف المختلفة.	يلخص موقفًا تواصليًا حدث بينه وبين أحد من زملائه على مواقع التواصل الاجتماعي.	يعبر عن إحساسه ومشاعره تعبيرًا مناسبًا.	يبدأ حديثه بمقدمة تثير انتباه السامعين.
يعبر بجملتين عن موضوع استمع إليه.	يصف قاعته الدراسية.	يستخدم الأدلة والشواهد أثناء حديثه.	يتحدث بطلاقة حول المواقف الشخصية التي يحبها.	يتحدث عن موقف طريف حدث له.	يسرد بعض مواقفه الإنسانية.
يعبر بجملتين عن موضوع اطلع عليه عبر الإنترنت.	يصف المعهد الذي يدرس فيه.	يلخص شفويًا موضوعًا استمع له من التلفاز.	يستخدم الألفاظ المقبولة اجتماعيًا في المواقف التواصلية الشفوية.	يقدم تقريرًا شفهيًا عن عمل جماعي لقاعته الدراسية.	يحكي بعض خبراته الشخصية الطريفة بلغة فصحية.
يجري حوارات	يصف هواياته	يلخص شفهيًا		يجري مقابلة	يتحدث عن

قصيرة مع زملائه.	المفضلة.	موضوعا قرأه في الإنترنت.		بسيطة مع شخص مسؤول.	نفسه في بعض المناسبات العامة.
	يستخدم عبارات الترحيب في المواقف التواصلية الشفوية.	يجيب شفهيًّا عن أسئلة المواقف التواصلية إجابات كاملة.			ينهي حديثه بخاتمة مناسبة تلخص الغرض من حديثه.
	يستخدم عبارات الشكر في المواقف التواصلية الشفوية.				يلقي أحاديث شفوية معلوماتية.
	يستخدم عبارات التهنئة في المواقف التواصلية الشفوية.				يستخدم وسائل التنبيه المناسبة (طرح سؤال – ضرب أمثلة).
	يستخدم عبارات الاعتذار في المواقف التواصلية الشفوية.				يستخدم الأساليب اللغوية التي تؤثر في المستقبل (تكريم – تبجيل – دعاء).
المهارة الفرعية: يتواصل شفويا مع الآخرين مستخدما مهارات التواصل غير اللفظي بشكل مناسب					
A1	A2	B1	B2	C1	C2
ينظر إلى المستمعين أثناء حديثه.	يستخدم إشارات اليد بصورة مناسبة للتعبير عما يريده.	يعبر بوجهه عن الشعور بالسعادة.	يعبر بوجهه عن التعجب.	تتوافق حركات يده مع مضمون حديثه.	يؤدي دورًا تمثيليًّا بحركات معبرة عن الموقف.
يتحدث بصوت مسموع ومناسب للمستمعين.	يبدأ حديثه بابتسامة.	يعبر بوجهه عن الاعتراض.	يعبر بوجهه عن الثقة بالنفس.	يوظف حركته وانتقاله بين المستمعين لإيصال رسالته.	يعبر بيديه لتأكيد كلامه.
		يعبر بوجهه عن الشعور بالدهشة.	يعبر بوجهه عن الحزن.		يوافق بين ألفاظه وحركاته.
المهارة الفرعية: يوظف مهارات التفكير أثناء حديثه					

A1	A2	B1	B2	C1	C2
يقارن شفهيًّا بين تركيبين من التراكيب اللغوية البسيطة.	يبدي رأيه في قصة مصورة.	يذكر ما أعجبه في موضوع أو قصة أو سلوك.	يحلل شفهيًّا نصا قرأه أو استمع إليه.	يناظر زميله في مسألة خلافية مدعمًا وجهة نظره بالأدلة.	يتحدث بشكل متصل من دون توقف (طلاقة الكلام).
يذكر كلمات تبدأ بحرف معين.	يبدي رأيه في سلوك بعض الشخصيات.	يذكر ما لم يعجبه في موضوع أو قصة أو سلوك.	يبدي رأيه في صورة أو مجموعة صور شاهدها.	يستخدم الأدلة والشواهد على صحة حديثه.	يحكم شفهيًّا على شخصيات وأحداث قصة.
يذكر كلمات تنتهي بحرف معين.	يفسر شفهيًّا حبه لشخص ما.	يذكر نهاية يتوقعها لقصة معينة.	يناقش آراء الآخرين بموضوعية.	يذكر حلولًا متنوعة لمشكلة عرضت عليه.	يبدي رأيه في موقف شاهده.
يذكر كلمات تبدأ وتنتهي بحروف معينة.			يعبر عن بعض الصور والأحداث بأسلوبه الخاص.	يعبر عن بعض الصور والأحداث بأسلوب طريف.	يرتجل حديثًا يحمل فكرة واضحة.
			يذكر حلولًا متنوعة لمشكلة ما.	يذكر نهايات متنوعة لقصة غير نهايتها الموجودة.	يعبر عن مشاعره بعبارات واضحة.
			يطرح أفكارًا جديدة حول موضوع استمع إليه.		يبتكر قصة قصيرة.
					يذكر أكبر عدد ممكن من مرادفات كلمة معينة.
					يذكر أكبر عدد ممكن من مضادات كلمة معينة.

وبعد عرض مهارات التحدث الفرعية، ومهاراتها الإجرائية يرى الباحث بأن هذه المهارات مهمة صممت بشكل مصفوفة مدى وتتابع، حيث تميزت بالتتابع، والترابط في عرض مهاراتها الإجرائية على جميع المستويات اللغوية المختلفة.

ويرى الباحث أهمية الإطار الأوروبي المرجعي المشترك في تكوين المصفوفات المبنية على معايير عالمية لتعليم اللغات الأجنبية، حيث قام الباحث بتوزيع مهارات التحدث على مستوياتها الستة (C2- C1- B2-B1- A2- A1)، متدرجة تبدأ من السهل ثم تنتقل إلى الصعب، وتهتم بالمحسوس بداية ثم الانتقال إلى المجرد؛ لأن هذا التوزيع يساعد مصممي المقررات التعليمية بتأليف مقررات مبنية على المعايير العالمية في تعليم اللغات الأجنبية.

وتتفق النتيجة السابقة مع دراسة (البصري:٢٠٢١م)[١]، التي أوصت بالاستفادة مما قدمه الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية.

التوصيات:

١- التركيز والاعتناء بمهارة التحدث لدى المتعلمين؛ وذلك بإثراء المقررات التعليمية بالمواقف التواصلية، والتفاعلية من خلال المصفوفة المقترحة لمهارات التحدث.

٢- توظيف التقنيات الحديثة في تصميم المقررات التعليمية التي تنمي المهارات الأساسية، والفرعية لمهارة التحدث لدى المتعلمين من خلال المصفوفة المقترحة لمهارات التحدث.

٣- الاستفادة من مخرجات مصفوفة مهارات التحدث في البحث الحالي لبناء مقررات تعليمية وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات.

---

(١) البصري، هداية. مرجع سابق، (٢٠٢١م).

المقترحات:

١- مصـــفوفة مقترحة للمهارات اللازمة لمهارة القراءة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

٢- مصـــفوفة مقترحة للمهارات اللازمة لمهارة الكتابة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك.

المراجع

أبو رزق، إبتهال. "استخدام الفيديو التشاركي كأداة تعليمية لتطوير مهارة التحدث باللغة العربية: أثرها والاتجاهات نحوها". *جامعة السلطان قابوس: مجلة الدراسات التربوية والنفسية*، (٢٠٢٠م).

أبو عمشة، خالد. "المغني في تعليم اللغة العربية للناطقين". (ط١، أصوات للدراسات والنشر، ٢٠١٨).

آل عمر، أحمد بن عبدالله. "المدى والتتابع في تصميم المناهج". (التربية والتعليم، ٢٠١٠م).

البصري، هداية. "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بين التواصل والتداولية: مقاربة نوعية في ضوء الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية". *جامعة بغداد*، (٢٠٢١م).

البلوشية، ميساء. "فاعلية إستراتيجية عباءة الخبير باستخدام الدراما في تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها". *جامعة نزوى: كلية العلوم والآداب*، (٢٠٢٠م).

البيومي، جمال. "تعليم مهارة التحدث في سلاسل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة تحليلية تقويمية". *مجلة جامعة المدينة العالمية للعلوم التربوية والنفسية*، (٢٠٢٠م).

جاب الله، علي، وحافظ، وحيد، وعبدالباري، ماهر. "تعليم اللغة العربية لذوي الاحتياجات الخاصة بين النظرية والتطبيق". (ط١، القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م).

الجابري، مطلق بن مريع. "تصميم مصفوفة مدى وتتابع للمفاهيم الأدبية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *السعودية: الجامعة الإسلامية*،

(٢٠٠٨م).

الحديبي، علي. "فاعلية برنامج قائم على معايير اللغة العربية كلغة أجنبية في تنمية المهارات الحياتية اللازمة للناطقين بلغات أخرى". *جامعة أسيوط: كلية التربية*، (٢٠٠٨م).

الرشيد، عبيد. "أثر إستراتيجية التعلم التعاوني في تنمية مهارة التحدث لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة*، (٢٠١٦م).

سعيد، عاطف، ومحمد، داوود. "الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات: أهدافه ومحاوره وكيفية الاستفادة منه في تعليم اللغة العربية". *جامعة إفريقيا العالمية*، (٢٠١٤م).

شحاتة، حسن، والنجار، زينب، وعمار، حامد. "معجم المصطلحات التربوية والنفسية". (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣م).

صبير، عبد الناصر عثمان. "الإطار المرجعي الأوروبي المشترك لتعلم اللغات وتعليمها وتقييمها". (ط١، جامعة أم القرى، ٢٠١٦م).

طعيمة، رشدي. "الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها". (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ).

عبدالله، رحاب. "مصفوفة المدى والتتابع للقواعد للناطقين بغير العربية في ضوء الاحتياجات والوظيفية والشيوع". *جامعة الأزهر*، (٢٠٢٠م).

العربي، أسامة زكي السيد. "برنامج مقترح قائم على الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات في تنمية كفاءات تلقي اللغة وإنتاجها لدى دارسي اللغة العربية غير الناطقين بها". *جامعة أسيوط*، (٢٠١٤م).

علي، كمال. "القراءة والمحادثة في ضوء منهج تكاملي". (ط٢، مكتبة المتنبي،

٢٠١١م).

العليان، محمد. "تصميم مصفوفة مدى وتتابع المفاهيم النحوية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *السعودية: الجامعة الإسلامية*، (٢٠١٩م).

عليان، أحمد. "المهارات اللغوية: ماهيتها، وطرائق تنميتها". (ط٤، الرياض: دار المسلم، ٢٠١٠م).

الغامدي، علي. "فاعلية برنامج قائم على معايير تعلم اللغات الأجنبية في علاج صعوبات الإنتاج اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *السعودية: الجامعة الإسلامية*، (٢٠١٨م).

الغامدي، علي. "مصفوفة مقترحة لمهارات الاستماع اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء المعايير العالمية لتعليم اللغات الأجنبية". *جامعة أسيوط: كلية التربية*، (٢٠١٩م).

فجال، محمد. "مهارات الكتابة". (جامعة الملك سعود: إدارة النشر العلمي، ٢٠١٠م).

الفوزان، عبد الرحمن. "إضاءات لمعلمي اللغة العربية". (ط١، الرياض: مطابع الحميضي، ٢٠١١م).

قاسم، محمد، والحديبي، علي، "معايير تعليم اللغة العربية في الصفوف الأولى". (السعودية: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ٢٠١٥م).

قاسم، محمد، والحديبي، علي. "معايير تعليم اللغة العربية للصفوف من الرابع إلى السادس". (السعودية: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ٢٠١٨م).

اللقاني، وأحمد، والجمل، علي. "معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس". (ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٩م).

اللهيبي، محمد، الحديبي، علي، الحجوري، صالح. "مصفوفة المدى والتتابع لمفاهيم الثقافة الإسلامية اللازمة لبرنامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها". *جامعة*

حضر الباطن: المجلة الدولية للعلوم الإنسانية، (٢٠٢٢م).

المحجري، محمد. "معايير المهارات اللغوية للناطقين بغيرها للمستويات A – B – C وفقًا للإطار المرجعي الأوروبي للغات". *مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية*، (٢٠١٥م).

محمد، محمود فتوح. "الإستراتيجيات الحديثة التي ينبغي اتباعها في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية وفق الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات واللغة العربية". الرياض: *مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية*، (٢٠١٥م).

مدكور، علي. "تدريس فنون اللغة العربية النظرية والتطبيق". (ط١، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).

"وثيقة بناء منهج تعليم اللغة". (ط١، جامعة أم القرى: معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ١٤٣٦هـ).

Bibliography:

Abu Rizaq, Ibtihal. "Using Participatory Video as an Educational Tool to Develop Arabic Speaking Skills: Its Impact and Attitudes Towards It." (in Arabic). Sultan Qaboos University: Journal of Educational and Psychological Studies, (2020).

Abu Amsha, Khaled. "Al-Mughni in Teaching Arabic to Non-Native Speakers." (in Arabic). (1st ed., Aswat for Studies and Publishing, 2018).

Al-Omar, Ahmed bin Abdullah. "Scope and Sequence in Curriculum Design." (in Arabic). (Education and Teaching, 2010).

Al-Basri, Hidaya. "Teaching Arabic to Non-Native Speakers Between Communication and Pragmatics: A Qualitative Approach in Light of the Common European Framework of Reference for Languages." (in Arabic). University of Baghdad, (2021).

Al-Balushi, Maysaa. "Effectiveness of the Expert Cloak Strategy Using Drama in Developing Speaking Skills among Arabic Learners for Non-Native Speakers." (in Arabic). University of Nizwa: College of Arts and Sciences, (2020).

Al-Bayoumi, Gamal. "Teaching Speaking Skills in Arabic Language Learning Series for Non-Native Speakers: An Analytical and Evaluative Study." Journal of Al-Madina International University for Educational and Psychological Sciences, (2020).

Gaballah, Ali, Hafiz, Wahid, and Abdelbari, Maher. "Teaching Arabic to Individuals with Special Needs Between Theory and Practice." (in Arabic). (1st ed., Cairo: Itrak Printing and Publishing, 2008).

Al-Jabri, Mutlaq bin Murei'. "Designing a Scope and Sequence Matrix for Literary Concepts Necessary for Arabic Learners Who Speak Other Languages." (in Arabic). Saudi Arabia: Islamic University, (2008).

Al-Hadibi, Ali. "Effectiveness of a Program Based on Arabic as a Foreign Language Standards in Developing Life Skills Necessary for Non-Native Speakers." (in Arabic). Assiut University: Faculty of Education, (2008).

Al-Rasheed, Obaid. "The Effect of Cooperative Learning Strategy on Developing Speaking Skills among Arabic Learners Who Speak Other Languages." (in Arabic). Islamic University: Al-Madinah Al-Munawarah, (2016).

Saeed, Atef, and Mohammed, Dawood. "The Common European Framework of Reference for Languages: Its Objectives, Axes, and

How to Benefit from It in Teaching Arabic." (in Arabic). Africa International University, (2014).

Shehata, Hassan, Al-Najjar, Zeinab, and Ammar, Hamed. "Dictionary of Educational and Psychological Terms." (in Arabic). (Cairo: Egyptian Lebanese Publishing House, 2003).

Sabir, Abdul Nasser Othman. "The Common European Framework of Reference for Learning, Teaching, and Assessing Languages." (in Arabic). (1st edition, Umm Al-Qura University, 2016).

Taima, Rushdi. "Lexical and Cultural Foundations for Teaching Arabic to Non-Native Speakers." (in Arabic). (Mecca: Umm Al-Qura University, 1402 AH).

Abdullah, Rehab. "The Scope and Sequence Matrix of Grammar for Non-Arabic Speakers in Light of Needs, Functionality, and Frequency." (in Arabic). Al-Azhar University, (2020).

Al-Arabi, Osama Zaki Al-Sayed. "A Proposed Program Based on the Common European Framework of Reference for Languages to Develop Receiving and Producing Language Competencies in Non-Native Arabic Learners." (in Arabic). Assiut University, (2014).

Ali, Kamal. "Reading and Conversation in Light of an Integrated Approach." (2nd edition, Al-Mutanabbi Library, 2011).

Al-Olayan, Mohammed. "Designing a Matrix of Scope and Sequence of Grammatical Concepts Necessary for Learners of Arabic as a Foreign Language." (in Arabic). Saudi Arabia: Islamic University, (2019).

Olayan, Ahmed. "Language Skills: Their Nature and Methods of Development." (4th ed., Riyadh: Dar Al-Muslim, 2010).

Al-Ghamdi, Ali. "Effectiveness of a Program Based on Foreign Language Learning Standards in Addressing Language Production Difficulties for Learners of Arabic as a Foreign Language." (in Arabic). Saudi Arabia: Islamic University, (2018).

Al-Ghamdi, Ali. "Proposed Matrix for Listening Skills Necessary for Learners of Arabic as a Foreign Language in Light of Global Standards for Teaching Foreign Languages." (in Arabic). Assiut University: College of Education, (2019).

Fajal, Mohammed. "Writing Skills." (in Arabic). (King Saud University: Scientific Publishing Administration, 2010).

Al-Fawzan, Abdulrahman. "Insights for Arabic Language Teachers." (in Arabic). (1st ed., Riyadh: Al-Humaidhi Press, 2011).

Qasem, Mohammed, and Al-Hudaibi, Ali. "Standards for Teaching Arabic in the Early Grades." (in Arabic). (Saudi Arabia: Arab Bureau of Education for the Gulf States, 2015).

Qasem, Mohammed, and Al-Hudaibi, Ali. "Standards for Teaching Arabic Language for Grades Four to Six." (in Arabic). (Saudi Arabia: Arab Bureau of Education for the Gulf States, 2018).

Al-Laqani, Ahmad, and Al-Jamal, Ali. "Glossary of Educational Terms Defined in Curricula and Teaching Methods." (in Arabic). (2nd ed., Cairo: Alam Al-Kutub, 1999).

Al-Luhaibi, Mohammed, Al-Hudaibi, Ali, Al-Hajouri, Saleh. "Matrix of Scope and Sequence of Islamic Culture Concepts Required for the Arabic Language Program for Non-Native Speakers." (in Arabic). Hafar Al-Batin University: International Journal of Humanities, (2022).

Al-Mahjari, Mohammed. "Standards of Language Skills for Non-Native Speakers for Levels A – B – C According to the European Framework of Reference for Languages." (in Arabic). King Abdullah Bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service, (2015).

Mohammed, Mahmoud Fattouh. "Modern Strategies to be Followed in Teaching Arabic as a Second Language According to the Common European Framework of Reference for Languages and Arabic Language." (in Arabic). Riyadh: King Abdullah Center for Arabic Language Service, (2015).

Madkour, Ali. "Teaching the Arts of the Arabic Language: Theory and Practice." (in Arabic). (1st ed., Amman: Al-Maseerah Publishing and Distribution, 2008).

"Curriculum Development Document for Language Teaching." (in Arabic). (1st ed., Umm Al-Qura University: Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers, 1436 AH).


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨
١٩٦

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE PART 2

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

Part 2

Issue: 19
January - March 2026